

موسوعة الشعر العربي

اختارها وشرحها وقدّم لها

مطاع صفدي و ايليا حاوي

اشرف عليها

الدكتور خليل حاوي

التحقيق والتصحيح: نصاً ولغةً وروايةً

أحمد قدامة

الشعر الجاهلي

المجلد الأول

شركة خياط للكتب والنشر ش.م.ل
شارع بلس - بيروت، لبنان

موسوعة الشعر العربي (١)

الخطوط بريشة : فؤاد اسطفان

جميع الحقوق محفوظة للناشر
بيروت ١٩٧٤

فهرس الموضوعات

تمهيد عام

مقدمة عامة للعصر الجاهلي بقلم مطاع صفدي

تمهيد عام
لموسوعة الشعر العربي

لم تقدم أية دولة أو مؤسّسة على جمع الشِّعر العربي في موسوعة واحدة ، تضم شعراءه جميعاً ، سواء أكانوا معروفين أم منسيِّين أم مجهولين ، فظلّت هذه الفكرة حلماً يراود عدداً من المثقفين في حقل النّهضة الحقيقة للأدب العربي ، حتى أتيح لها أخيراً أن تلقى سبيلها إلى الحياة في هذه الموسوعة التي نضعها بين أيدي القراء .

من المعلوم أن الشِّعر العربي لم ينشر إلا جزء ضئيل منه حتّى اليوم ، كما أن الجزء المنشور ، خلال فترات طويلة ، فُقِد من واجهات المكاتب ، مما جعل محب الأدب والطالب والمثقف والأستاذ يتطلعون إلى أسلوب علمي وعملي ، يسد تلك الحاجة ، متجاوزاً الصُّعوبات الّتي تحيط بإحياء التراث العربي وتضعه في متناول الجميع .

إن المكتبة العربية حتّى الآن ، لم تستطع أن تنشر سلسلة كاملة من دواوين الشِّعر العربي . فإذا ظهرت بعض هذه المسلسلات أحياناً ، فإنها تقتصر على كبار الشُّعراء الّذين سبق لدواوينهم أن طُبعت مراتٍ عديدة . أي أنها لا تجابه الكنوز الخفيَّة ، لتنقب عن الشُّعراء المجهولين الضّائعين ، إلا في حالات قليلة .

وغالباً ما تقتصر هذه المسلسلات على جمع الشِّعر ، دون تحقيق علمي مسؤول . وإذا حقّقت بعض هذا الشِّعر ، فإنها تلقيه إلى القارىء مجرداً عن شروح كلماته ومعانيه ، عارياً من التقييم والنَّقد ، معزولاً عن ظروفه التّاريخية ، وعلاقته بالشاعر وسيرته ، ما عدا مسلسلات حديثة قليلة ، عنيت ـ إلى حدٍ ما ـ بالتّحقيق وشرح بعض الكلمات فقط .

ولقد تحتَّم من جراء ذلك أن استمر التخلُّف في مكتبة الشِّعر ، وخاصة أنه ليس ثمّة أنظمة مكتبية تحفظ الطّبعات المتوالية ، وتوفّر الكتاب لطالبه ، عند طلبه ، فهذه الدّواوين المطبوعة تختفي وتتناثر بين أصقاع العالم العربي والغربي أحياناً ، وقد بات العثور على ديوان ما ، طبع منذ سنوات في مدينة من المدن أشبه بالبحث عن أثرٍ قديمٍ مفقود .

وإنه لمن العبث أن ننظر إلى نهضتنا الأدبية الحديثة ، على أنّها استكملت شروطها التّاريخية والثّقافية ، وهي ما زالت تفتقر إلى معرفة الجزء الأكبر من تراثها الشِّعري . كما تفتقر إلى دراسته ، وشرحه وتقييمه ووضعه ضمن ظروف خلقه وبيئته الفكرية ، وهي

تعرف أن الشعر العربي ـ القديم والحديث ـ هو جوهر التراث الثّقافي للأمة العربية ، وإنّ في إحيائه وتنظيمه وشرحه ، وعرضه بصورة تاريخية متكاملة ، إحياء لهذا التّراث وتحديثاً حضارياً لائقاً به ، يبعثه على مستوى ثقافة العصر ومقاييس تياراته الأدبية والنّقدية .

لهذا كله ـ بل لأكثر من هذا ـ فان موسوعة تضم الشِّعر المعروف والمجهول . وتضعه ضمن حلقات متتالية . تصل أبعد حلقات الإبداع في التراث ، بلحظات الحضارة والإزدهار ثم الذبول والاضمحلال ، إلى عصر النهضة والانبعاث الحاضر . . . وتعطي منظراً واحداً متكاملاً لروائع الشعر العربي ، وتحيي أواصره الفنيّة ، بوحدة عضوية شفافة ، وتُظهر نمو أساليب التّعبير الفني ، وتنوُّع أشكال الصِّياغة اللُّغوية وتقدمها المطرد حسب موحيات العصر . . . إن مثل هذه الموسوعة التي ينشدها كل عربي مثقف ، إذا لم يكتب لها الظهور بعد إلى عالم الوجود ، فإننا نرجو أن تكون موسوعتنا هذه ـ المتواضعة ـ مقدمة لتلك ، ولبنة صغيرة نضعها في بنيان صرحنا الثقافي الشامخ لتعقبها لبنات ، ولبنات أكثر وأكبر وأشمل .

لقد شملت هذه الموسوعة مختلف عصور الشِّعر ، من العصر الجاهلي . إلى العصر الإسلامي الأول ، إلى العهد الأموي والأندلسي ، فالعباسي . وعصور الإنحطاط وعصر النّهضة حتى العصر الحديث . ولذلك جاءت في ثلاثين مجلداً من الحجم الكبير ، يحوي كلّ مجلد نحو خمسة آلاف بيت من الشِّعر لعشرات من الشُّعراء .

وقد حرصت الموسوعة على تأليف مقدمات وافية لعصور الشِّعر ، تحدِّد فيها ملامح العصر من النّاحية الفنّية ، وتبرز التّطورات اللُّغوية والخصائص الأدبية الّتي ابتكرتها مذاهبه الكبرى ، وتجمع ما بين آراء النُّقاد القدامى ، وبين اتجاهات التّحليل الفكري واللُّغوي والنّفسي ، وبذلك تعطي هذه المقدمات أجواء العصر بشكل جديد ، يصل أصوله التاريخية والحضارية بآفاق المواقف الفنية الحديثة . ويكشف عن معاني وخصائص لتلك المذاهب ، لم تكن معروفة ، أو لم تكن تلقى الإهتمام والعناية من قبل الدارسين .

وكذلك حرصت الموسوعة على بناء مقدمات مطوّلة للشُّعراء أنفسهم ، حاولت فيها أن تُطبِّق النّظرات العامة الواردة في اتجاه المقدمة العامة للعصر ، من أجل فهم أجوائه وشخصياته الشّعرية الكبرى .

إن مقدّمة الشّاعر ، فضلاً عن أنها تلمُّ بأحداث حياته وظروفه التّاريخية ، فإنها تلقي ضوءاً نقدياً على صنعة الشّاعر وأسلوبه ، وتبيّن مناحي التّجديد والتّقليد عنده ، كما أنها

تسبر أغوار تجربته الذاتية ، وترسم صورة واضحة لأسس مدرسته الفنيّة ، وانتماءاته الفكرية والاجتماعية .

إن الموسوعة تتابع حلقات المقدّمات من إطارها الأوسع في العصر ، إلى إطار أضيق للشّاعر ، إلى الحلقة الأصغر ، في القصيدة الواحدة . فتبني مقدمات للقصائد الأساسية والمطولات الشّعرية ، تتابع فيها تطبيقاً أدق للآراء العامة الواردة في مقدمة الشّاعر والعصر .

وبذلك تضع العمل الفني المفرد في منظوره الفني والتاريخي الشّامل ، وتبرز عناصر التكامل والتنامي بين الكل والجزء .

والموسوعة لا تنتقي انتقاء ، سواء ما بين الشُّعراء ، أو ما بين قصائد الشّاعر الواحد . بل — لأنها تهدف إلى الشُّمول — فإنها تأتي للشّاعر الكبير بأكثر ديوانه . وتأتي للشّاعر المتوسِّط بما يغطي الجانب الأهم من شعره . وتكتفي ، للشّاعر العادي ، بما يناسب مكانته التّاريخية والأدبية .

ولقد اتّبعت الموسوعة أساليب فنّية متعدِّدة لتنظيم تسلسل الشُّعراء ، وتوالي قصائد الشّاعر الواحد ، بشكل يوحّد ما بين التنظيم الزَّمني ، والتّرابط الشِّعري ، والتكامل التّاريخي . ولم تكتف الموسوعة بالمقدمات ، والتّنظيم ، ولكنها كلّفت ذاتها مهمة أشق وأهم ، وهي تقديم الشِّعر مشروحاً كألفاظ ، مفسّراً كأبيات .

فإن أكثر الدّواوين المعروفة لم تهتم بالشَّرح والتّفسير ولا بالتّقديم والنّقد ، أو أن بعضها يكتفي بشرح الكلمات ، ولا يتعدى ذلك إلى إيضاح معاني الأبيات ، إلا لماماً . ولكن الموسوعة قَرَّبت معاني الألفاظ إلى اللّغة الحديثة ، مع الاحتفاظ بأصالة التفسير القديم . كما زاوجت بين الشُّروح القديمة للشُّعراء الكبار ، وآفاق التّحليل الحديث . وهكذا لم تعط الموسوعة مجموعة من الشِّعر ، ولكنها قدمت كذلك هذه المجموعة من خلال غيضة كثيفة من الشُّروح والتّفاسير ونظرات النقد والمقارنة .

وبذلك يجد القاريء فيها معرضاً لعالم الشِّعر ، وإطاراً لأصول نقدية وثقافية وتاريخية عامة ، تصبح أسساً للدِّراسات الموسَّعة ، ودليلاً فكرياً واضحاً للطّالب والمثقّف ، ومادة خصبة لعمل الدارس والأستاذ والأديب .

والخلاصة فإن هذه الموسوعة تحيط بالشِّعر العربي منذ العصر الجاهلي ، حتى أوائل القرن العشرين ، مختارة من العصر الأدبي الواحد معظم شعرائه ، مشهورين ومغمورين ، مصنِّفة إيّاهم بالنِّسبة للفن الأدبي الّذي ينتمون إليه ، والموضوعات والمعاني الغالبة على

آثارهم . كما أنه اقتُبس فيها من الشّاعر ما يحيط بمعظم المعاني الّتي تطرَّق إليها . ومثّلت فيها مختلف المستويات الفنيّة الظّاهرة في نتاجه ، مع توسُّع في اختيار الشِّعر القديم ، لصعوبة ارتياده ، ووعورة ألفاظه ، وتعقّد معانيه ، أحياناً ، وذلك لِتُدْنِيه من القاريء ، وتضعه في متناول يده .

وقد أعد واضعوها مقدّمة وافية لكل عصر من عصور الأدب العربي ، ودراسة للشّاعر في حدود قيمته بالنِّسبة إلى الشِّعر العربي عامة ، وإلى عصره خاصة ، ومهّدَّت لكل قصيدة بإيجاز لمعانيها ، معقبة عليها تعقيباً نقدياً ، شارحة الألفاظ ، ولكل معنى من معانيها الّتي قد تلتبس حتّى على القاريء المتوسِّط الثّقافة .

كما وضع المؤلفون عشرة من الفهارس الحيَّة ، تتناول تطور الفنون الأدبية والمعاني والتشابيه والاستعارات التي تنتمي إليها . كما أعدوا فهارس للتّقاليد والعادات والعبادات واللّباس والأطعمة والآنية والمواعين ، فضلاً عن فهارس الأعلام والقوافي وما إليها .

ولقد حققت هذه الموسوعة أهدافاً وفوائد عديدة :

فهي أحيت تراث الشِّعر العربي ، وأعادته إلى التّداول بإزالة العوائق اللّفظية والمعنوية ، التي تحول بينه وبين القاريء .

وهي كشفت عن عشرات من الشُّعراء المغمورين في مختلف عصور الأدب العربي من الجاهلية إلى الإسلام ، ومن العصور الأُموية والعباسيّة والأندلسيّة فضلاً عن عصري الانحطاط والنَّهضة ، والعصر الحديث .

كما أغنت القاريء العربي عن مئات من الكتب والدَّواوين الضّائعة والنّاقصة ، فضلاً عن المصادر القديمة الصّعبة المتناول ، والمفقودة في الأسواق ، ووضعت بين يديه مجموع الشِّعر العربي ، في تنسيق تاريخي ونقدي ، واصلة تيّاراته المتعدِّدة ، وموحِدة بين ينابيع الشِّعر القديم والشِّعر الحديث .

وكذلك يسَّرت للقاريء الاطلاع على تَطَوُّر أي فن من الفنون الشِّعرية ، ومعانيه وتشابيهه واستعاراته ، فيما يربو على خمسة عشر قرناً من التاريخ الأدبي . فهي تمكّنه ، مثلاً ، من الاطلاع على معظم القصائد الّتي وصفت بها المرأة ، ومعظم المعاني الّتي وردت فيها والّتي تُلِمُّ بكل ملمح من ملامحها وطبع من طباعها . مثل ذلك أوصاف الطّبيعة ومعاني الهجاء والفخر والمدح والتأمّل والحكمة وما إليها .

لقد أدى الجمع والتّوحيد بين الشُّعراء الّذين ينتسبون إلى الفن الواحد ، إلى خدمات

جُلَّى للقاريء العادي ، والباحث ، وصاحب الاختصاص مِمَّن يودُّون دراسة التَطوُّر الّذي طرأ على الفنون الشّعرية ، والمعاني والتّشابيه ، فضلاً عن أي عصر من عصور الأدب .

عملت المقدمات النَّقديَّة الّتي خصَّ بها المؤلفون العصور الأدبية والشُّعراء والقصائد على إلقاء أضواء فنيّة على مستوى العصر والشّاعر والقصيدة ، كاشفة ما استتر من مضمونها وغايتها . كما أن شروح المعاني الوافية المذيَّلة بملاحظات نقدية ، أسهمت بالتَّمهيد للقاريء والولوج إلى حقيقة الأبعاد الفنيّة والنفسيّة الّتي تنطوي عليها القصيدة ، أو مجموعة القصائد المختارة من الشّاعر الواحد . وكذلك فإن لوائح المصادر والمراجع الملحقة بكل جزء ، تُمَهِّد لذوي الاختصاص سبل التعمُّق بدراسته ، وتُغنيهم عن عناء التّحري عنها في الكتب القديمة .

لقد عمدنا إلى وضع هذه الموسوعة للشِّعر العربي كأداة لتيسيره ، وإحيائه وإعادة وضعه في متناول القرّاء ، على مستوياتهم الثّقافية المتباينة . وعزمنا على تمثيل واقع الشِّعر وفنونه المختلفة في كل عصر ، وعند كل شاعر ، في سبيل العرض والإحاطة ، مصنّفين الشُّعراء بالنِّسبة إلى الموضوعات الغالبة على شِعرهم ، بالرَّغم من أخذهم بجانب غير يسير من الموضوعات الأُخرى . ولقد اضطَّررنا إلى ذلك لضرورة التأليف ، مع أن ذلك التَّقسيم قد لا يستقيم بالنِّسبة إلى بعض الخصائص الفنيّة ، وبسبب تصدّي بعض الشُّعراء إلى موضوعات متعدِّدة بنسب متقاربة ، تجعل مهمة التّصنيف عسيرة مضطربة . إلا أننا مع تلك المحاذير ، آثرنا تصنيف الشُّعراء تصنيفاً شكلياً ، على الأقل ، وعزمنا على التنويه بذلك للقاريء ، ليكون على بينة منه .

فقد نقع على شاعر شُهِر بالحكمة كلبيد أو زهير ، فإذا أقبلت على شعره ، ألفيت موضوعات الوصف تطغى عليه ، فضلاً عن سائر الأغراض الفنيّة الأخرى . كما أنك تجد شاعراً كامريء القيس أو المهلهل ، شهِر بالفروسية ، فيما يغلب على نتاجه الوصف أو الرِّثاء . ولم نكد نعثر في الشِّعر العربي على مذاهب فنّية واضحة المعالم ، بارزة الألوان ، ليجري التصنيف وفقاً لطبائعها ، بل أن الشّاعر يدنو من سواه في جانب ، وينأى عنه في جوانب أخرى ، ممّا يجعل مهمة التّصنيف الفنّي متعذرة ، عديمة الجدوى .

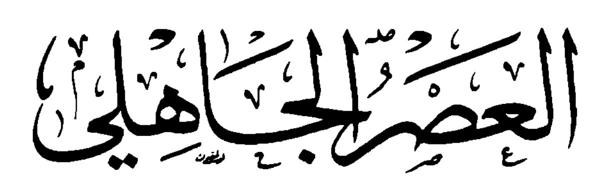
ولقد اعترضنا ، كذلك مشكلة الشِّعر المنحول ، وصحّة نسبة بعض القصائد إلى أصحابها وإلى العصر الّذي ينتمون إليه . إلاّ أننا لم نشأ أن ننفق جهدنا في تحقيق المذاهب والآراء المطروحة في هذا الشأن ، بل اقتصرت مهمتنا على تناول الأثر من مصدره القديم ، على أنه شبيه بالأثر الأصيل ، إن لم يكن هو بالذّات ، مكتفين باتفاق الرُّواة وأئمة الأدب

على اعتباره صحيح النّسبة إلى صاحبه وإلى عصره . فالشِّعر الجاهلي الّذي اخترناه ، هو الشِّعر الّذي جرى شبه إجماع عليه في هذا الصَّدد . وقد كان حسبنا أن نجمع الآثار الّتي انتهت إلينا من العصور الأدبية المختلفة ونضعها بين أيدي الباحثين ذوي الاختصاص ، لينظروا في صحة نسبتها ، إذا ما وجدوا سبيلاً إلى النّظر ، ويعمدوا إلى تقييمها تقييماً فنياً نهائياً ، ويفيدوا من دلالاتها الاجتماعية والتّاريخية والسّياسية والفنيّة وما إليها ، مكملين المهمّة الّتي باشرناها . إلا أننا مع ذلك ، لم نغفل أمر التحقيق والتقييم إغفالاً تامّاً ، بل إننا تصدينا لهما أثناء الاختيار . وإذا كنا قد أثبتنا للشّاعر بعض المقطوعات الّتي لا شأن فنياً لها ، فقد ألمحنا ذلك في المقدمة الخاصة بكل قصيدة .

وألحقنا كل عصر بفهارس حيّة متعدِّدة ، تراجع في مظانها ، تناولنا فيها المعاني العامة والفنون الشِّعرية والتّقاليد والعادات وبعض الأوصاف والتّشابيه ، فضلاً عن بعض المظاهر الفنيّة ، ليكون القاريء على بيّنة من تطوُّر هذه الأُمور كلّها ، كما أن الباحث قد يفيد منها لأبحاثه في استيفاء معالم الشِّعر والشُّعراء والعصر ، كما يطلع على ما طرأ عليها في سياقها الطّويل عبر الزمن ، ورأينا بالإضافة إلى ذلك كلّه ، أن نلحق كل شاعر بلائحة للمصادر والمراجع الّتي خصّته بالبحث والدِّراسة ، مما ييسر للباحثين أمر الرُّجوع إليها .

بقي أن نشير إلى أنّ تسميتنا لهذه المجموعة بموسوعة الشِّعر العربي ، ينطوي على قليل أو كثير من التجوّز ، إذ أننا لم نتوخ الإلمام بأسماء الشُّعراء العرب جميعاً ، بل بأكبر عدد منهم ، فإن الإحاطة الشّاملة بهم ، تبدو متعذِّرة ، فقد كان كثير من العرب ينظمون الشِّعر العربي في مناسبات معيَّنة ، كما أن الأصول القديمة تحفل بأسماء العديدين منهم ، وقد كانت مهمتنا تقتصر على الإلمام بالشُّعراء الّذين رافقوا الحركة الشِّعرية في عصرهم ، وأسهموا فيها وأثبتوا نوعاً من الحضور الدّائم على مسرحها .

ولا بد أن نخص بالشكر العدد الكبير من الأساتذة والمحررين والمساعدين الّذين شاركوا المؤلفين في هذا المجهود الضّخم خلال سنوات طويلة . ونخصُّ بالشكر خاصة الأساتذة المراجعين الّذين أسهموا في إخراج هذه الموسوعة بأفضل حظٍّ ممكن من الجودة والكمال . ولا ننسى أن نعترف أخيراً بأن هذه الموسوعة هي محاولة أولى لا تخلو من بعض نقص أو خطأ ، ولكنها بناء أول يتطلّب إغناء وتتابعاً على درب بعث التراث العربي وتكامله .



راجعه الدكتور جبرائيل جبّور

كتبه مطاوع صفدي

الشِّعْرُ الجاهِلي

إن أية مجموعة للشِّعر العربي ، لا تنطلق أولاً ، من العناية الكافية بالشِّعر الجاهلي ، فإنها تهمل بذلك فتوة الإبداع الشّعري ، وتحذف منه أصوله الأولى التي ألفت تقاليد الصياغة الشعريّة عبر مئات من السنين . ولذلك ، فإن هذه المجموعة الكبرى ، الّتي حاولت أن تكون موسوعة للشّعر العربي ، احتضنت الشّعر الجاهلي بروح إيجابية شاملة ، فأفردت له نحو أربعة مجلدات كاملة ، اعتقاداً من مؤلفيها ، أن شمول هذا العصر بقممه العالية ، ومن هم دون هذه القمم ظهوراً ، ومستوياته الظاهرة حتى درجة الانغمار والنسيان ، يحيي أكمل تجربة فنية تكوّنية ، ألّفت أساساً عظيماً لبناء روح الثّقافة العربية كلها .

والواقع ، فإن من يحاول أن يقارن بين محصول الشّعر الجاهلي ، بغيره من العصور المتأخرة ، يكاد يدرك أنه الأصل والنموذج ، إنما كان هناك ، وأن الظل والنسخة ، إنما هو جهد غالب على بقية الشّعر العربي في عهود الحضارة القديمة .

فلقد أعجب المثقفون والمبدعون العرب في كافة مراحل تطوّر الحضارة العربيّة ، بالشّعر الجاهلي ، وجعلوه دائماً المقياس الأعلى ، والتقييم الفريد لكل نظم مستجد . وأكثر من هذا ، فإن الشّعر الجاهلي ، أصبح معيناً لا ينضب لجميع فروع الثقافة الإنسانية ، في علوم اللّغة وتوابعها ، هذه العلوم الّتي شغلت أكبر العقول في عصور الاستقرار والتنوع في الخلق الفكري ،والعلمي .

بل إن قيمة الشّعر الجاهلي تصاعدت حتى أصبحت تعادل قيمة الأصل الرّوحي والقومي للأمة العربية ، إبّان صراعها مع الثقافات الوافدة ، وخلال معارك الدّفاع ضد الشّعوبية .

ولا عجب إذا رأينا أن الشّعوبية القديمة ، كانت تبذل قُصارى جهدها للنّيل من الشّعر الجاهلي ، تارة عن طريق الطعن في نسبته ، فخلقت بذلك مشكلة النّحل والوضع في أصوله ، وتارة عن طريق إثارة عواصف من النقد والتجريح ، تحطّ من قيمة موضوعاته وأساليبه البلاغية ، متهمة إياه بالبداوة والفقر والمحدودية وغيرها من

الصِّفات السّلبية ، الّتي تهدف في الحقيقة ، إلى إدانة الإنسان العربي في عين ذاته ، وتجريده من مواهبه ، في الإبداع ، والرّقي الفكري ، والاجتماعي.

ولقد استمرت معركة الشّعر الجاهلي ، ضده ومعه ، عبْرَ مختلف عصور الثّقافة العربية ، فلم تكن إبّان عصر النّهضة حتى النصف الأول من هذا القرن ، أقل حدة ، وأعدل حكماً ، ممّا عانته في عهد الصّراع ضد الشّعوبية ، إبّان الحضارة العباسية .

وما زال المثقف العربي ، حتى يومنا الحاضر ، يحس أن معركة الشّعر الجاهلي هذه ، إنما دارت وتدور خارج حدود هذا الشعر وبعيداً عن الساحات الأساسية ، التي ينبغي أن يصول فيها البحث والتّحليل الموضوعيان الجديان .

ومن مظاهر هذه المعركة الخارجية حول حدود الشّعر الجاهلي ، متابعة الافتراضات والبراهين والرُّدود الإيجابية والسّلبية ، حول صحة نسبة هذا الشّعر أو انتحاله .

ولقد شغل الكثير من نقاد الأمس واليوم ، في الانتماء إلى جبهات الإثبات أو النّفي . لكأنما هذا الشّعر ، كل قيمته أنه وجد جاهلياً أو لم يوجد .

والأغرب من هذا ، أن السجّال والنقاش ، كان يبحث دائماً عن براهين الإثبات والنّفي ، خارج طبيعة الشّعر الجاهلي ، في أساليب الإسناد ، ومتابعة الرّوايات . فكثيراً ما أعطى النّاقد لنفسه مهمة الباحث التاريخي ، ونسي دراسة الشّعر ذاته . والكشف عن تجربته الخاصة وأبعاده ، الحضارية ، ومذهبه في الفكر ، والوجود والإنسان ، .

ومن حاول أن يقترب أكثر من الشّعر الجاهلي ، شُغل بلغته وقوافيه ، وعروضه واهتم بعموده ، وأبواب فنونه ، حتى أصبح هذا النّوع من المواجهة ، هو المنفذ الوحيد المؤدي إلى دراسة هذا الشّعر ، وتقييمه . وتولدت هكذا مشكلة تصنيف الشّاعر وشعره إلى غزل أو مديح ، أو رثاء وحكمة وحماسة . وصار النّاقد يبحث في ديوان الشّعر ، عمّا يؤيد تصنيفاً له ضمن زمرة الوصّافين أو المدّاحين ، أو الشُّعراء الحكماء ، أو شعراء البلاط .. وهكذا .

ومن الغريب حقاً ، أن يكون الشّعر الجاهلي هو مصدر علوم اللغة والتّاريخ والآثار أحياناً ، وعلوم البلاغة والبديع وغيرها ، ولا يكون مصدراً للكشف عن مقوماته الداخلية .

وإذا كان النّقاد القدامى ، وقد حاولوا أن يغطوا هذا النقص ، الّذي لم يعوه ، بأساليب البحث عن سرقات الشّاعر ، ومقارنته ، من هذه الزاوية ، بمن سبقه أو عاصره

من الشُّعراء ، وبمواجهات تقتصر على النقد اللّغوي ، فإن النّقاد المحدثين ، لم يتقدموا إلا قليلاً عمّا توقف عند حدوده ، النّقد التقليدي القديم .

نصل إلى القول : إن الشّعر الجاهلي وتجربته كَفَنّ ومعاناة ، وثقافة تكوينية وُجودية ، ولغة من الرُّموز الكثيفة عن الحياة ، ومواقف العربي من مشكلاتها المختلفة ، إن هذا الشّعر بهذا المنحى . ما زال مجهولاً ، ما زال عالماً مغلقاً بكراً . لم تتناوله أقلام النُّقاد الجدد ، إلا للمحات عابرة ، لا تستوعب شموله ، ولا تسبر أغواره .

* * *

وأول ما ينبغي أن ينتبه إليه الناقد الحديث ، هذه الصّلةُ العميقة الفريدة ، بين بنية اللّغة العربية ، وبين شِعرها الجاهلي . فليس هذا الشّعر شيئاً مختلفاً عن بنية العربية ، ليس فرعاً أو تطبيقاً عالياً لها ، بل إنه هو صميم الينبوع التجريبي والواقعي ، الّذي صدرت عنه اللّغة العربية نفسها .

ذلك أن السّؤال عن طريقة تأليف الألفاظ ، وعن طريقة إبداع الشّعر ، يؤديان بنا إلى جواب واحد، وهو أن الصّوت المعبِّر عن توافق الوعي عند الإنسان العربي ، مع الظَّرف الحيوي الّذي يؤلف لحظة القول ، لحظة الكلام ، هو نفسه الّذي ألّف جَذْرَ الكلمة في اللّغة ، وهو الّذي تطوّر ، ليؤلف جذر التفعيلة في الوزن الشّعري .

ومن هنا جاء اعتبار اللّغة العربية لغة عضويةً ، وليست تركيبية . بمعنى أن جذور ألفاظها ، إنما هي رموز موسيقية عن الحالة الداخلية للنّاطق ، في وضع أو حالة أو موقف ، وأن تغير هذه الجذور بالحركات ، هوتخصيص للأنغام الأساسية بلونيات الأحوال المرتبطة بالفعل ، وآنات الزمان ، وتغير صيغة المخاطبة . في حين أن أكثر اللّغات الأوروبية خاصة ، قد عانت نهائياً من الانفصام الصّوتي والتجريبي بين الألفاظ وموسيقاها ، وبين المعاناة . فأصبحت أقرب إلى المصطلحات الموضوعة ، كرموز اتفِقَ على دلالاتها بفعل الوعي والحاجة . في حين أن اللّغة ذات المنشأ والتّطور العضويين ، لا يمكنها أن تقبل بالإصطلاح ، وتبتعد عن الصّيغة البنيوية لجذور ألفاظها ، وحركاتها ، وتكيفها مع بنية المعاناة ، في لحظة القول والفعل .

وتتّضح هذه الفروق ، بين اللّغة ذات البنية العضوية ، وبين اللغات الأوروبية ، وبالأخص منها اللاّتينية ، في أن هذه الأخيرة ، قد اعتمدت مسألة الإضافة الخارجية إلى جذورها ، فيما دُعي بالمسبق والملحق (Prefix Suffix) . وخضع تغير الجذر في معانيه وأحواله الزمانية والخطابية ، إلى مصطلحات الإضافة في أول الجـذر أو آخره ، من

الحروف . على أن التغيّر في اللّفظ العربي لا يلحق المبدأ أو الملحق من حروفها، بقدر ما ينبجس من صميم بنية الجذر. أي ان تغيرها عضوي ، يتبع بنية الجذر. بينما نجد في اللّغات التركيبية الإصطلاحية أن التغيّر فيها إضافيّ على الجذر ، منفصل عن التّوافق الصّوتي ، والوضع الذاتي للنّاطق ، ومُصْطَلَحٌ عليه بالمعنى كذا أو كذا . وبالحالة كذا ، دون أن يكون الحذف والإضافة الخارجيان قادرين بذاتيهما على الإيحاء بمضمون التغيّر ، إن لم تسبقه معرفة واعية بمعنى اصطلاح المبدأ أو الملحق الّذي طرأ على الجذر ، وغيّره خارجياً .

نريد من هذا ، أن نصل إلى أن اللّغة العربية ، والشّعر العربي ، كلاهما قد تكوّنا نتيجة انفعال خلاّق يعانيه النّاطق أو الشّاعر ، في لحظة القول أو الفعل . وبالتّالي فإن مصدرهما واحد ، وهو وحدة البنية التجريبية . وليس مصدرهما الاصطلاح والتركيب . حسب حاجة النّطق وتنوع أغراضه . وذلك هو الفرق في الواقع بين لغة للعمل . وأخرى للجرس ، أو للرمز المرتبط بالمعاناة . وبينما تتوجّه لغة العمل إلى تسمية الأشياء الخارجية بمصطلحات ، فإن لغة الرّمز والوحدة البنيوية العضوية تسير في طريق تنمية الصُّور الذّاتية . وحتى عندما تسمّى اللّغة الذّاتية أشياءَ العالم ، فإنما تعطيها ألفاظاً ، تظل الأسماء فيها أقربَ إلى صفات الأشياء ، كما يراها الإنسان المتعامل بها حسب أحواله الوجدانية والعقلية ، وصلته الخارجية بها . فكأن الأشياء الخارجية هذه ما هي إلا متكئات أو حوامل لمضامين تتلقاها من الوجدان الناطق الحاكي عنها ، لترجع إليه ، منعكسةً عليه بصدى الجرس ، الّذي تجسّم في الحس ، ليصبح أوقعَ في الوعي . فاسم الشيء هو تثبيت لرؤية الإنسان النّاطق أو المسمّى ، أكثر منه رسماً موضوعياً له ، كما هو في أحواله الخاصة ، المنعزلة عن إسقاط الوعي عليها . من هنا نستطيع أن نجد تعليل تميّز العربية بغنى واضح في الأفعال ، وليونة غير محدودة في اشتقاق الأحوال والأوصاف منها ، يقابله شبه فقر بأسماء الأشياء الخارجية المصنوعة ، خاصة .

فالأفعال واشتقاقاتها وصفاتها ، كلّها تؤكد عضوية اللّغة واتحادها بالنّاطق . ذلك أن الفعل والصِّفة ، إنما هما محاولة لتسمية سلوك الإنسان ذاته ، وتصنيف حركاته ، وتثبيت رموزٍ عن أحواله المتغيّرة خلال الزّمان . ولعل معيشة العربي في مكان شبه خالٍ ، وفي طورٍ من الصّناعة والزّراعة أقل من أولي ، جعل إحساسه بالمكان ، أهم من إحساسه بالأشياء المصنوعة باليد الإنسانية المدرجة في مجالاته .

فانعطفت بداهةُ العربي إلى ذاته ، وراح يبني حضارة المعاني الأقرب إلى القِيَم منها إلى ترجمة المحسوسات القليلة المتناثرة في فضاء مكانه الرّحيب الخالي .

وإذا كان ذلك المكان لاتجسمه أمام وعيه ، إلا كتل المادة الارضية ذاتها ، من أشكال السُّهوب والمفازات ، وأنواع الرّوابي والتلال ، والوديان والاخاديد ، وأشكال تجمعات الرِّمال والحصى وغيرها ، وإن الشّيء الوحيد شبه المتحرّك خلال هذه الكتل المادية وفوقها ، هو الإنسان أولاً ، وهو ركب الظّغائن ، والنِّياق ، فإن العالم المرئي ، ظلّ أرحب وأوسع أمام وعي العربي ، من تجسماته الصّغيرة المتناثرة ، أكثرها جامد ساكن ، وقليلها متحرك .

وهذا المنظر العالمي ، أعطى لتكوين الوجدان العربي ولغته المعبِّرة وشِعره المعبّر عن خلاصة هذه اللّغة ، أعطى له جذرين شبه متناقضين ظاهرياً على الأقل :

أولهما ، هو ولوع العربي بتقصِّي الجزئيات والتّفاصيل في هذه المجسّمات القليلة المتناثرة أمامه . فإذا بشِعره أصبحت له مهمةُ العِلم الذّاتي في تسمية التّفاصيل ، تلك التّسمية الّتي تُثبِّت أولى المعارف عن موضوعات هذه الأسماء ، وتجعل مجرد ذكر الإسم ، يستدعي حضور الشّيء بصورة تشمل حقيقته ، كما اكتشفتها خِبْرَةَ العربي .

إن أسماء هذه التفاصيل ، لم تثبت خبرة وصفية وتجريبية فحسب ، بل حاولت أن تستكمل جميع مظاهر الموضوع في ذاته ، وفي علاقته مع الإنسان مكانياً ، وخلال تغيّر أحواله حسب تعاقب لحظات الماضي والحاضر والمستقبل . واستناداً إلى هذا الرأي نستطيع أن نعلِّل ظاهرة إسهاب الشّعر الجاهلي عن النّاقة مثلاً . وهي الظّاهرة الّتي أثارت دهشة القارىء الحديث من تعلق هذا الشّعر بمثل هذا الحيوان ، إذ أن اللّغة العربية تكاد تفرد قاموساً مستقلاً لأسماء النّاقة . ومن الملاحظ أن هذه الأسماء ، هي أوصاف تارة لألوانها ، تارة لحالاتها من قوة وتعب وهزال ، وأشكالها وسلالاتها وأطوارهـــا الجنسية والنّفسية . ثم ساحت اللّغة في تفاصيل أعضائها وجزئيات هذه الأعضاء ، وحاولت أن تقدِّم صورة بالغة الدِّقة لتشريحها مرئياً من الخارج . وكذلك فعلت هذه اللّغة بأسماء الخيل والأسلحة ، فكثفت معرفـة العربي بهـا في الأسمـاء والصِّفات ، وتسميات الأجزاء وعلاقاتها وأوضاعها .

وهنا تبدو هذه التسميات والأوصاف محكية بصيغة استعمالها ، أي من خـــلال الموقف العملي للإنسان منها . ولذلك جاءت ألفاظها تكاد تكون صورة صوتية ، عن صيغة وجودها الاستعمالي بالنِّسبة للإنسان .

وكما تألف قاموس خاص ، صوتي ومعرفي ، في اللّغة العربية لحيوانات العربي وأسلحته ، كذلك قامت هناك علوم جغرافية ذاتية أخرى ، مسحت عالم التجسمات

المادية في رحاب المكان اللامتناهي ، أمام عيون العربي القوية النفاذة . فتألف قاموس بآلاف الألفاظ ، لجميع مظاهر الأرض ، بخطوطها الكلّيّة ومعالمها التفصيلية الدقيقة ، وأحوالها في الطّبيعة والانواء ، وتغيّرها حسب إيقاعات النّهار واللّيل ، الحر والبرد ، الفصول الأربعة . فحاولت بداهة هذه اللّغة ، أن تعوض عن الشّروح العلمية الموضوعية ، بخزن معرفة الإنسان بالأرض والجو والأنواء والرِّياح ، وتكثيفها في ألفاظ ، نحتت أصواتها وحروفها ، لتؤدي مضمونها العلمي والتجريبي لدى سماع المخاطب لها ، فتحضر أمام وعيه كحقيقة كاملة مجسَّمة .

وما يبدو لنا اليوم ، في موضوع ألفاظ النّاقة ، أو الخيل ، أو الأسلحة ، أو الأرض والأنواء أنه مترادفات ، وكلمات متشابهة لشيء واحد ، إنما كان في حقيقته نوعاً من الدراسة العلمية الّتي تبدأ بالتعريفات العامة ، ثم تقسم الموضوعات إلى أجناس وأنواع ، وتتابعه في تفرعاته المختلفة ، وتعطي لكلٍ منه أوصافه وتعيِّن حالاته . كل ذلك عن طريق تثبيت ألفاظٍ ، تقابل هذه التقسيمات اللامتناهية .

وليس من شك ، في أنه إذا كانت اللّغة العربية الجاهلية هي لغة وعلم في وقت واحد ، أي هي علم العربي بذاته ، وأرضه ، وعالمه ، وأشياء هذا العالم ، فإن هذا العلم هو ميثولوجيا الخيال العربي كذلك ، وكان الشّعر الجاهلي هو هذه الميثولوجيا .

إن تلك الخبرة الدّقيقة المتنوعة بعالم الصحراء وحيوانه ، وأدواته الحربية والمعاشية القليلة ، وما احتوت عليه من تثبيت لجملة كبيرة من المعارف العملية ، لم تكن لينتظمها كلٌ شامل كعالم الصّحراء ، إلاّ إذا ما تعاونت جميعها كالأنغام التفصيلية ، الصّادرة عن آلات موسيقية مختلفة متكاملة ، لتخلق وحدة المعزوفة الكبيرة ، أمام الوجدان الفنان ، الكلّي الحس ، والمنزع والتّطلّع . ذلك ما حاول أن يخلقه شعر الملاحم الضّخمة لدى معلمي الفن الجاهلي الأوائل .

هذان هما الجذران الوجوديان ، المكوِّنان لوجدان الثقافة العربية من لغة وشعر ومعاناة حياتية : إنهما حسّ التفاصيل مجسّمة في مادتها ، مصوَّرة حسب موقف الإنسان منها ، ملوّنة بجرس المعاناة ، محمَّلة بانفعال لحظة القول والفعل ، وحس بالمكان اللاّمتناهي ، المتطوِّر إلى شعور باللاّنهاية ، أضفى على عالم العربي هالة الميثولوجيا ، من خلال الشّعر أولاً ، حتى جاء الدّين ، فترجم هذا الشّعور الأصيل باللاّنهاية ، إلى كونية إلهية مطلقة .

* * *

فالقول : بأن موضوعات الشّعر الجاهلي محدودة جافة ، بعيدة عن اهتمامات العربي الحديث ، إنما هو رأي المثقّف الأجنبي الرّوح والفكر عن مناخ ذلك الشّعر وأصالتــه الخاصة . وليس من الضّروري ، أن يكون هذا المثقّف غير عربي ، بل يكفيه ، أن يدخل حرم الشّعر العربي ، غير مسلّح بذوق ، قادر على استرجاع أصول التجربة الجاهلية ، الّتي أبدعت لغة من أعظم لغات الثقافات الإنسانية الذّاتية ، وأوصلت إلى ذلك الشّعر ، الّذي يكشف عن روح تلك الثقافة ، ويحيطها بجوّها الموسيقي المرتبط بينابيع المعاناة ، وهي في عنف توترها وانغمارها ، بوَجْد اللّحظة ، الباعثة على الصّورة الفنيّة .

صحيح أن الشّاعر الجاهلي ، كان يردّد ويكرّر أوصافاً للنّاقة والفرس والسّلاح ، ويعاود بكاء على الأطلال ، وحنيناً إلى الظّعائن الرّاحلة ، وجعجعةَ صولاتٍ وجولات ، في غرور الفخر والتّفاخر ، العظمة والتّعاظم . . إلاّ أن محدودية هذه الموضوعات ومرض تكرارها ، وغرابة التعلُّق بها والنّطق بألفاظها ، والتعمّل في اصطناع أساليب صياغتها أحياناً ، من المادة الواحدة ، وفي الموضوع المكرور المعاد ، إلاّ أن كل ذلك يؤلف في الواقع ، حاجزاً ما ، يولّد الغربة والانفصام ، بين الذّوق الجديد والذّوق القديم .

ولكن هذا الحاجز الّذي زاد في تدعيمه نوع من النقد اللّغوي والنّحوي والتّاريخي ، الذي مارسه أدباؤنا في عصر التدوين ، وردَّده بعض المحدثين ، هذا الحاجز ، يجب أن يُهدَّم ويحطَّم أمام نيّة أشمل وأعمق ، نيةِ اكتشاف التجربة الجاهلية ، من جذورهـــا التكوينية الأصلية ، نية مسلحة ، إلى جانب الذّوقَ المتميّز ، بعلوم الاجتماع ، والاجتماع اللّغوي خاصة ، وفلسفات الجمال والحضارة .

ذلك أن النّشاط التعبيري ، شبه الوحيد تقريباً ، الّذي مارسته الثقافة العربية كان هو الشّعر ، وإذا كان ثمة من حاجة إلى كشف هذه الثقافة ، فلا بدّ من كشف الشّعر أولاً .

فإن جولات التعبير حول هذه الموضوعات المحدودة ، فضلاً عن أنه كان له تبريره الواضح ، وهو ضيق الحياة الخارجية وفقرها النّسبي ، في العصر الجاهلي ، إلاّ أن الحاجة إلى الخروج من هذا الضّيق ، هو الّذي ولّد ، ولا شك ، ضرورة خَلْقِ عالم فوق هـــذا العالم ، وهو ميثولوجيا الشّعر .

فجاء الشّعر الجاهليّ ، ليصوّر واقعاً ، ويكون أميناً له إلى درجة العلمية التقريريـــة المباشرة . وليغذّي ، في الوقت ذاته ، شعور اللانهاية ، الّذي يعمر وجدانَ العربي ، فحاول أن ينفلت من جزئية عالمه الواقعي ، وضيقه النسبي ، بتفجير ألفاظ اللّغة موسيقياً أولاً ، وموسيقياً آخراً .

فلقد خدمت موسيقيةُ الأصل العضوي للفظة العربية في اللغة ، الخبرةَ العملية عند العربي ، عندما كوَّنت له ما يظلّ أقربَ وألصق بإيحاء المعنى المُراد منها .

ولكن الشّاعر أراد أن يحرر هذه الألفاظ من دقتها العلمية كذلك ، بأن يطلق منها طاقة الإيحاء غير المحدود ، عن طريق تفجير السِّياق والعبارة التي تجري بها ، موسيقياً بالوزن والقافية ، وأساليب الصِّياغة الشّعرية ، الّتي راح يبتكرها كل شاعر معلم كبير ، على طريقته الخاصة .

فاللاّمحدودية في الشّعر الجاهلي لا يمكن أن نكتشفها ، وننغمر بأصدائها ، ونتشوّف آفاقها الوجودية ، إلاّ ببعث الموسيقى في جذر الكلمة الشّعرية ، ولونيتها الخاصة ، وفي علاقتها الجرسية بغيرها من الألفاظ ، ضمن سياق العبارة ، وأسلوب الصِّياغة .

هذه الموسيقى ليست تأملية باطنية ، إنها على العكس فضائيةٌ مجسّمةٌ ، ذلك أنها موسيقى مقولةٌ مغنّاة بصوت جهوري ، وملء الفضاء المِرنان ، بين الشّاعر والجماعة المستمعة .

فليس هدف الشّاعر الجاهليّ أن يأتي بالمعاني الجديدة ، ولكنه مسوق ، بحكم طبيعة اللّغة والتجربة ، إلى خلق الوجد الحسي . وكلّمانجح في خلق هذا الوجد فإنه لا يجدد على مستوى المعنى كما نفهمه اليوم ، ولكنه يجدّد على مستوى بعث البنية الوجدانية كلّها لدى المستمع المرتبط مع هذا الشّاعر ، بذات نوازع التجربة القائمة في عالمهما ، كتفاصيل تثبّت خبرات عملية ، وكانطلاق ميثولوجي إلى آفاق الوجد شبه الصّوفي باللاّنهاية ، غير المعروفة ، غير المجسّمة إلا في فضاء النفس الشّعرية ، على الطّريقة الجاهلية آنذاك .

لذلك ، فإن العامل الجمالي الموجِّه للقصائد الكبيرة ، لم يكن هو عامل الإتحاف بالجمال البسيط ، ولكنه عامل خلق الروعة ، عن طريق تفجير موسيقى ملحمية من خلال الألفاظ ، المسوقة بأنغام النظم والقافية .

ولهذا كان على مريد الشّعر الجاهلي ، ألاّ يقرأ قصائده صامتاً ، بل عليه أن يتلفظها أصواتاً مسموعة ، ومنغّمة حسب إيقاعاتها ، ومضخّمةً تارة ، وملطّفةً تارة أخرى ، كسمفونية أصوات بشرية تتداخل وتتخارج ، وتتقاطع أنغاماً تفصيلية ، وتوشيحية ، حول محاور أنغامٍ مطوَّلة ومردَّدة ، متراجعة وراء الأصداء ، وعالية عليها ، متفتّحة مع مخارج حروف صوتية ، متمهّلة أمام الحروف شبه السّلبية الصّماء والثابتة ، يُغَنِّيها ، بصدره وحنجرته ، وملء شدقيه ، قصائد الحرب والفخر ، قصائد الغزل والطّرب ، قصائد التفجُّع والتمرُّد الصوفي .

فإن لم يُبعث عالَمُ القصيد الجاهلي ، كعالَم صوتي أولاً ، غني ، ضاج ، متماوج عميق شفاف ، فإن القصيدة إذن ما هي إلا كومة ألفاظ غريبة صعبة ، تتحدث عمّا لا يُعاش الآن ولا يُفهم ، ولا يُحس . ولا طريقَ إليه إلا القاموس ، وشروح الأقدمين ، وشروح شروحهم . . وبذلك ينعدم التّعاطفُ ، ويقوم حاجز الغربة ، وينزوي الشّعر الجاهلي ، وتجربة الحياة الجاهلية ، وأصول الثقافة العربية كلها . . . ينزوي ، هذا كله ، في غابات الأوراق الصّفراء ، كما كانت حاله في أكثر أطوار حضارة التدوين ، وعصر النهضة إلى أيامنا هذه .

*

إن هذا الوجود الصَّوتي النغميّ للشّعر الجاهلي ، هو طريق التّعاطف معه ، وسبيل الفهم والتذوّق ، واكتشاف كنوزه الفنيّة . فالشّاعر الجاهلي نظم قصائده ، بالقول ، بالصّوت ، بما يشبه الغناء والتلحين ، وقليلاً ما كتبه . ذلك أن اللّغة ، ككتابة وقراءة ، لم تكن هي الأساس ، بل هو الحكاية ، أو القول ، ثم الرواية . فإذا ما فرغ الشّاعر من ترجمة الموسيقى الغامضة ، الضّاجّة في صدره ، وقت الإبداع ، ألقاها على مسامع راويته ، ليحفظها ثم يرددها منشداً ومغنّياً لها على ربابته أحياناً ، في أحياء العرب ونواديهم ، لتنتشر ما بين البادية والحاضرة .

فالشّعر الجاهلي مَقول مُغنّى ، مسموع . وتَطَوُّرُ أوزانِه وقوافيه ، وَتَوَاتُرُ قصص شعرائه ومساجلاتهم وأسواقهم ، يدعم هذا الرأي ، في الوجود الصّوتي النغمي لأساس القصيدة الجاهلية . فإذا لم تتفجّر الطّاقةُ الصوتية ما بين حروفها وألفاظها وعباراتها وقوافيها ، فإنها تفقد أعظمَ مزاياها الإبداعية ، وهو خلقُ الوجد باللانهاية ، في نفس القاريء أو المستمع والمتذوِّق .

ليس هذا فحسب ، بل إن الموسيقى الكليّة الكامنة في القصيدة الجاهلية ، ليست موسيقى رتيبة ، بل هي موسيقى أجواء متغيّرة . إنها هالات الأصداء الروحية والفكرية ، الّتي تخلقها حولها صورُ الأوصاف الّتي قد تتكرر ، للموضوعات المحدودة المعروفة . ولكن مرة يأتيها الشّاعر غاضباً ومرة محزوناً كئيباً ، ومرة أخرى مهولاً متجبّراً ، ومرة غامضَ الرؤية والتعبير . فإذا بكلمات وأسماء وأوصاف معينة للنّاقة والطّلل والطّريق والمفازة والأنواء ، والخيل ، تنتقيها الحالة الذّاتية للشّاعر ، لتأتلف مع الغضب أو الفرح ، أو التفجّع أو الفخر . وهكذا كانت الملاحم الكبيرة ، الّتي تتنوع ما بين وصف النّاقة وتشبيهاتها المختلفة ، تارة ببقر الوحش ، أو حمار الوحش ، أو النّعام أو الذئب ، إنما

تقدم لنا مناظرَ مختلفة ، ظاهرُها الوصفُ العلمي الدقيق لأحوالها وأجزائها ومراتعهـا ، وباطنها يجسِّم حالاتٍ وجدانيةً للشّاعر ذاته ، فيُحَمِّلُها مشاعرَه ، ويجعلها تئنّ أنينَه مرة ، أو تغضب غضبه ، أو تصبو صبواتِه في الفخر والاعتداد بالنّفس .

والشّعراء الصِّغار العاديون ، يغرقون في الوصف ، ويضيعون الميثولوجيا ، يفقدون الحس بالبعد الأعمق من وراء الموسيقى . أما الشّعراء الكبار منهم ، فإنّهم يُطوِّرون الموسيقى ، إلى رموز كبرى في الحياة والوجود . فإذا النّاقة المقتحمة لأهـوال المفازات ، الهزيلة الجسد ، الشّديدة العصب ، الصبور الحرون ، تتحول إلى رمز الإنسان الفارس السّائح في عالم مَهوّلٍ معادٍ . وإذا بأسراب الظّباء تتطوّر إلى رموز الغواني والحسان وخدورهن ورشاقة أجسامهن ، وبراءة نفوسهن . . وتقفز الروح المأساوية شوطاً آخر ، فإذا ببعض الشّعراء الكبار ، ينشئون لوحات من القصص الحيّة الحركية عن حيوانات الصّحراء ، كحمار الوحش وإناثه ، ليقدموا لنا آفاقاً عميقة عن رموز الصّراع الإنساني في الحب والغيرة ، ومقارعة الخطوب للفوز بالحرية ، وعزلة الحب والكرامة .

وفي هذه اللّوحة تضجُّ الحركةُ الملحمية لتتصاعد إلى مستويات ثقافية عالمية ، فإذا بالحديث والصّورة ، وتطوّر المعاناة ، تحلُّ محلَّ حوار التراجيديا اليونانية .

وإذا بالطّبيعة وحيواناتها وأنوائها ومفازاتها ، تَتَشَخَّص كلّها ، وتَتَقَمّص أدوارَ أطراف التراجيديا الإنسانية العربية ، فالصّراع الميتافيزيقي بين الإرادة والقدر ، بين القلب الإنساني وحتمية المصائر والطّبيعة والكون ، من حول الإنسان المشرَّد في الفيافي ، الباحث عن بقعة خضرة وسط البلقع ، وعن غدير ماء في أرض الحصى والرِّمال ، وعن سرب غيوم ، في وهج الهاجرة القافل خلف الربيع ، المقتحم لأهوال الأمكنة المجهولة ، ذات الدَوي المخيـف من عزيف الكائنات غير المرئية ، السّابح وسط عواصف الصّمت اللامتناهي . هذا الصراع الميتافيزيقي يَتَجَسَّم بين الإنسان ، والطّبيعة الصّحراوية . بين الإنسان المخصب ، والإنسان المجدب ، بين الفارس المنتصر ، والفارس المُذَلّ ، وقـد انتزعت هذه الصّراعات ، ذرواتٍ من التقيّيم الأخلاقي ، المتصل بالمعاناة الوجوديـة ، بحيث شَفّت أخيراً عن موقف روحي عميق للشّاعر العربي ، إزاء ما دعاه بالدَّهر .

فإذا بجوهر التجربة الجاهلية تقوم كلّها على أساس الصّراع ضد الـدَّهر . الدَّهر ، هذا المصطلح الروحي الحضاري الشّامل ، الّذي يستحق تحليلاً فلسفياً مطولاً ، إنما رمز في تناولاته المباشرة ، إلى ذلك الفعل الشامل الخفي ، الّذي يَتَضَمّن أحداثَ الوجود ، ويوجِّهها وجهاتٍ غامضة ، ويدفع بالإنسان تحت ظلالها إلى مصائر فاجعية غالبـا .

فالدّهر ، بهذا المنظار ، أشمل من القدر وأرهب ، وأكثر واقعية وقرباً من الجوهر المفكر المطلق ، قياساً على مفهوم الزمان . وفيه من القضاء حتميته الجافية الّتي لا مفرَّ منها . وفيه من الزمان كذلك تقلّبه ، وتغييره لأحوال الكائنات . وفيه من القدر غموض المصدر ، ومفاجأة الصدفة ، ولا معقولية التسلسل في الأسباب والنتائج ، وفي توزيع السَّعادة أو الألم .

ولقد ظلّ الوجدان العربي ، حتى بعد ظهور الإسلام يشكو من ألغاز الدهر . ولكن الجاهليّ ، كان يخوض معه معركة رهيبة مستمرة . كان القحط هو الحادث الرتيب المهدد ، هو الصّورة الفاجعية المترددة ، من حين إلى آخر ، على حياة العربي . وهي الصّورة الّتي تُشَخِّص تحقّقاً مستمراً لفعل الدّهر . وكان الفقر والذل ، والموت ، هي علامات الدهر أيضاً ، يغرسها هنا وهناك في حياة الفرد والجماعة . . كان العربي يكافح في صور الشّر اليومي ، إرادة الشّر الكلّية الّتي تخترم الكون من بدايته حتى نهايته ، ولذلك كانت نشوة الشّاعر بالبطولة والفروسية ، بالكرم ، والانتصار ، بالحب والحرية والفن . كانت هذه النشوة علامة النصر الميتافيزيقي على الدهر .

لقد انتشرت عقيدةُ بطلان الوجود ، في أرضية الشّعر الجاهلي كلّه . ومع ذلك ، فلقد اختلفت مواقف الشّعراء من حيث الخضوع أو الاستسلام ، أم التمرُّد والثورة تجاه هذا اليقين . فمن طائفة الشّعراء الفرسان والصّعاليك ، إلى شعراء الحكمة والتأمل ، فإننا نعثر على تسلسل يتتابع في خط التطرف ما بين نشوة الوهم بالتمرد ، إلى الوجد الصوفي ، النابع عن الخضوع بنوع من العقلانية الباردة أحياناً ، كما عند لبيد ، إلى نوع اللاّمبالاة المصطنعة للحكمة كما عند الأعشى ، إلى نوع من الرواقية الفاجعية ، كما عند زهير .

لقد كان تقلّب إيقاع الزمان ، ما بين الجدب والخصب ، ما بين حل الحبيبة وترحالها ، ما بين رحلتي الصّيف والشتاء ، يجعل حياة الجاهليّ متأججة دائماً بين قطبي التعارض . وكان الشعور بالدهر ، وحدثانه ، يضع الإنسان الجاهلي دائماً موضعَ الفريسة ، وفخاخُ العدم تحيط به من كل جانب . ولذلك فإن نشوة التمرد بالحب والخمرة والفروسية ، وصوفية الخضوع ، تلتقيان في روحية الشّعر الجاهلي ، لتتكاملا وتعبّرا عن طرفي التجربة اليومية .

ومن هذه النقطة يمكننا أن نفهم هذا التطرف الذي طبع الموضوعات التقليدية في الشّعر الجاهلي : الكرم إلى أقصاه ، والشجاعة إلى أعنف صور البطولات . والصّبر على الشّدائد ، والحب إلى درجات الوَلَه والضّياع ، وبقية المعاني المحركة لوجدان الإنسان الجاهلي ، من تضحية وثأر وأمانة . . وغيرها .

فليست هي صيغة المبالغة في الشّعر ، التي خلقت هذا التطرُّف . بل إن حدية المعاناة في الواقع ، هي الأصل الحقيقي لتلك الصيغة . وهي ترجع إلى توتر الحماسة . فليس ثمة من درجات وسط ، ولا من علاقات تواطؤ ونفاق أخلاقي أو وجودي ، سواء في حرب الدفاع عن الواحة والعرض ، أو الغزو من أجل الثأر أو الفوز بالماء والسبي والمال . أو سواء في العلاقة مع الطبيعة ، مع الجدب أو الخصب فيها ، مع الهاجرة أو سرى اللّيل البارد ، وسط الخلاء والصمت ، وفي حضن المجهول والخوف .

ولقد كان على الشّاعر الجاهلي أن يشتق جميع انفعالاته من توتر أساسي خلاق . هو الحماسة للفخر ، الحماسة للشّجاعة والكرم والإصالة . للهّو والتمتع ومعاقرة الجنس والخمر . فيْ تلك الحماسة تأكيد لاشعوري أولي ضد الدهر ، ضد الصّحراء ، ضد الجدب والمرض والجوع ، والذلّ الروحي .

والحماسة في الأصل ، ضد الهوادة ، ضد التروّي ، والتعقُّل ، ومن هنا كانت طفولة الشّعر الجاهلي ، براءته وقوته ، وسعادته المؤثرة ، المنطلقة في حرية العاصفة واللّهب في الهاجرة ، والتعلق الدموي بالحياة والبقاء .

لقد كانت هذه الحماسة ، هي ذخيرة القبيلة للدّفاع ، سواء ضد القبائل الأخرى . أو ضد الطّبيعة . وإذا كانت قصيدة عمرو بن كلثوم النّونية ، هي أوضح مثال عن هذه الحماسة الطفولية ،فإنها في الوقت ذاته ، نموذج عن هذا التأكيد اللاّشعوري ، بالإيجاب المرجو ضد السّلب الموجود والمهدد . وبعبارة أخرى . كان عمرو يريد أن يقرر رَخاصة الإنسان ، ولكنه بدلاً من ذلك ، فإنه استنفر جميع صيغ المبالغة في أفخم موسيقى خطابية ، ليوحي باليقين المعاكس . فهو يستنجد بإرادة البطل ضد الدّهر ، بشجاعة شبه مستحيلة ضد خطر النّقص والضّعف والذل ، الخطر الممكن ،والمتحقّق كل لحظة .

فالمبالغة ، تلك الصيغة المسيطرة على حركة البناء الأساسية ، في بلاغة القصيدة العربية ، لم تأت نتيجة ابتكار البلاغة النظرية ، ولكنها بلاغة المعاناة الحدية ، في لحم الواقع وعظمه . فلقد كان العدم اليومي ، هو النقيض المقابل لحيوية الإنسان الصّحراوي ، المترحّل السّائح بين المفازات . وكان هذا العدم ، يولد الشعور برخاصة الإنسان . وكان على هذا الإنسان أن يلجأ إلى دفاع الخيال والفعل معاً . ومن الفعل تولدت الفروسية الجاهلية كأعلى مصدر لأخلاق العربي فرداً وجماعه . ومن دفاع الخيال ، تَولّد الشعر ، وكانت الحماسة ، عاطفية تارة ، ووجودية شمولية تارة أخرى ، هي المحرك الكياني لجوهر الحيوية العربية كلها .

ولقد سمّى العربي كل هذا بالدهر . وكان عليه أن يتحدى الدَّهر ، بالتجربة والمعاناة قبل أن يكون بالفكر والتجريد . على أن نفهم من اصطلاح الدهر ، ما حاولنا تمييزَه في جو هذه اللّفظة . كما يحياها وجدان العربي الجاهلي . ولقد اتخذ هذا التحدي خلال ديوان الجاهلية أشكالاً من الوعي والتعبير ، نكاد نلمح فيها جميعَ بذور المواقف الوجودية ، الّتي مرت بها حضارة اليونان إلى حضارة الغرب الحديثة ، وما قبلهما من حضارات الشّرق القديم . بمعنى أن للمثالية والواقعية ، وما بينهما من مواقف تتراوح درجات بين تأكيد الذاتية أو الموضوعية ، وما يحيط بكل هذه النظرات ، من أجواء الميثولوجيا العفوية ، ونزعة تأنيس الطبيعة والكون ، ونزعة التوحيد بين الإنسان والعالم ، كل هذه المواقف ، والأجواء والهالات التفصيلية الفكرية الّتي تحيط بها ، قد كشفت عن ملامح أساسية وأصيلة لها ، في قصائد الشّعراء الجاهليين الكبار .

ولقد حاولنا من خلال بعض مقدمات هؤلاء الشّعراء وقصائدهم ، في هذه الموسوعة أن نلمّح تلميحاً سريعاً إلى تمييزات فكريةٍ وفلسفية ، تنبّه إلى صلة الشّاعر أو القصيدة ، بذات الينبوع الثقافي الذي مَتَح منه مذهبٌ حضاري أو فلسفي معروف . ولكن ليس معنى هذا أننا نعطي للشّعر الجاهلي تفوقات وهمية ، واستباقات تاريخية على المذاهب الفلسفية والفنّية والحضارية الأساسية ، بل إننا نصدر في هذا ، عن اعتقادنا أن كل تجربة معاشة إبداعية لمجتمع بشري ، لا بد أن تمر بإيقاعات كل حضارة إنسانية عليا . يبقى الاختلاف في التعبير ، والنسج ، والتأقلم الروحي ، ودرجة الارتباط بالتغييرات المادية التي تحدثها كل حضارة متقدمة ، صار فيها تأثير الموضوع أقوى من تأثير الذّات ، كما يحدث بالنسبة للحضارة الصناعية المعاصرة .

إن ملامح هذه المذاهب في الشّعر الجاهلي ، هي نوازع التجربة الفطرية البدائية أكثر منها . هي أثر للوعي المجرد ، القاصد إلى تأليف تعبيرات مجردة ، عن مشكلاته الواقعية أو الفكرية . اي أن طرازاً من التجربة أدّى إلى طراز من التعبير في ذلك الشّعر . ونحن اليوم ، المسلحين بثقافة المذاهب والأفكار ، نستطيع أن نستخدم بعض مفاتيح هذه الثقافة ، لتفسير ذلك الطراز من التجربة ، وأسلوب تعبيره عن ذاتها من خلال الشّعر ، فنحن الّذين نجد ذلك الشّاعر أقرب إلى المثالية الحيوية ، أو المثالية الصوفية ، ونحن الّذين نكتشف في قصائد ذلك الشّاعر نزعة لتمجيد الحسّ إلى درجة العدمية التجريدية ، أو العدمية التراجيدية على طريقة (بودلير) مثلاً . فإن ظاهرة التواقت ما بين لحظات متشابهة ، من كل تجربة جماعية في الواقع أو الفكر مع تجربة جماعية أخرى ، في نفس الشّروط الذاتية ، قد أصبحت شبه قانون في الأبحاث الإجتماعية ذات النزعة التاريخية المقارنة .

غير أن ما يلفت النّظر في التجربة الجاهلية خاصة ، هو ظهور اللّغة العربية بذلك الاتساع والحساسية الفنية في الألفاظ والتراكيب وصيغ التعبير ، ضمن أقل الشّروط الموضوعية جغرافياً وبشرياً ، واجتماعياً ، قدرةً على إبداع مثل تلك الأداة التعبيرية الغنيـة . فمن يقول : ببدائية الحياة البدوية والصّحراوية ، لا بد أن يدهش ، وأن يحسّ بالتناقض العنيف بين مظهر البدائيّة ، وبين هذه الموسيقى الشّمولية التفصيلية ، النّاشئة بين العقــول والوجدانات من خلال اللّغة ، والتي لم تصنع شيئاً يذكر على الأرض الرملية ، بقدر مـــا صنعت بالشيء اللاّمرئي في ذلك الإنسان السائح المشرد عبر مفازات الخلاء الصحراوية .

فإذا اعترفنا بغنى اللّغة العربية الجاهلية ، فلا بد أن نعترف أن الغنى بالألفاظ يقابـل حتماً غنى بالمعاني ، بلونيات المعاني ، وإذا كان قاموس تلك اللغة قد اشتمل على قواميس كبيرة تخصّ المحسوسات من جماد الأرض والحيوان ، وبعض الأدوات القليلة ، فإنه اشتمل كذلك على قاموس يكاد لا ينتهي ، من ألفاظ المعاني المرتبطة بأفعال الإنسان وأحواله النفسّية والفكرية والعاطفية ، وألفاظ العلاقات . وقد حكمت كل هذه الألفاظ حساسيةٌ عاليةٌ بالقيم ، حتى لا يكاد يتلفّظ العربي بلفظة إلاّ ويضمنها ثمة حكماً ، هو مزيج من الحيوية الوجودية والتقييم الأخلاقي فاللّغة العربية هي ثقافة الجاهلية . وهذه اللّغة مَحْكِيَة مَرْوِيَّة مُتَداولة دائماً ، أي أنها في حال من الفعل والتحقّق الدَّائم . والشّعر هو أرقى مظاهر هذه اللغة ثقافةً . ليس هو وجه من أَوْجُهِ نشاطها ، بل هو جوهرها الحيوي والتجربي ، الّذي تصاعد من رُقيها الوجودي ذاته حتى تَصَفَّت هي ، أو تَوَلَّد هو مـــن شفافيتها الخاصة . فما يدهشنا من غنى في تلك اللّغة ، مع افتقار شروط البيئة المولّدة للحضارة ، يدهشنا أكثر فيما احتواه هذا الشعر ، من ينابيع التجربة الحضارية ، التي تتواقت مع أصفى مراحل الثقافة الإنسانية في نموذجها الذاتي البديء .

* * *

ومن الواضح أن الحقبة ، التي اصطُلح على تسميتها بالمرحلة الجاهلية ، لا تتعدّى المائة من الأعوام السّابقة على ظهور الدعوة الإسلامية . وعلى هذا الأساس فإن ما وصلنا من شعر هذه الفترة القصيرة زمانياً ، إنما هو الحلقة الأخيرة ، من تطوّر اللّغة العربية ، وأداتهـــا التعبيرية الأولى ، الشّعر ، فيما قبل الإسلام . وإذا كانت تسميتها بالمرحلة الجاهلية ، بالتّضاد مع الرشاد والمعقولية الّتي أتى بهما الإسلام ، فإن هذه التسمية ، على الرّغم من أنها تحمل إدانة لهذا النمط من المعيشة الخارجة على الهداية بالمعنى الديني ، إلا أنها لا تخلو من تحديد وقعي لطبيعتها الثقافية . فهي في الواقع طبيعة الجهل ، لا على أن الجهل هو فقدان المعرفة

الإلَهية ، بل باعتبار أن الجهل هو حياة الفطرة الحماسية ، الخالية من سيادة العقل ، بمعنى الهداية والرشاد الدّيني .

والواقع فإن الجاهلية هي اصطدام فتوة الانسان ، بالعدم ، ومحاولة الخلاص بالنشوة ، لا بالمعقولية اللاهوتية . وسلوكية النشوة ، هي أساس مذهب الفروسية الجاهلية الذي تَحكَّم في جميع مظاهر الحياة السابقة على الإسلام . وليس مذهب الفروسية في الواقع إلا الشّعر في اللّغة . ومن هنا جاء هذا التطابق الحتمي بين مستوى الحس البطولي في أرضية الواقع ، وبين مستوى الميثولوجيا ، ذات النزعة الترا جيدية تلقاء العمل الميتافيزيقي ، كما عبر عنه شعر الملاحم الكبرى في جميع الحضارات السّابقة على العلم المادي .

ومن الظاهر أن الحماسة العربية ، الّتي فُهمت أحياناً على أنها صيغ بلاغية للمبالغة وتضخيم التأثير ، هي ترجمة سلوكية النشوة إلى شعر الفخر . وانطلاقاً من الفخر ، تتبلور مشكلة الأخلاق العربية كلها ، الّتي لم يأت الشعر الجاهلي ، إلا ليُكوِّن لها أناشيد الدَعوة والتأييد ، والتغنّي بهـا .

ذلك أن مشكلة تحدي العدم ، لم تكن تُواجه لدى التجربة الجاهلية ، بالفرار إلى سلوكية السيطرة على المادة وتغييرها إلى ما فيه منفعة الخدمة اليومية للإنسان ، بل كانت تُواجه عن طريق التصعيد الذّاتي ، إلى اللحظة الّتي يمتزج فيها الواقع بالخيال . وتتولّد نشوة ، هي مزيج أيضاً من الشّعور الموقت بالقوة ، والشعور كل لحظة بخطر الانهيار الكامل ، إن لم تتابع حركة التصعيد إلى ما هو إعلى فأعلى ، ولو عن طريق النرجسية المغلقة أحياناً .

والحقيقة فان ما اصطُلح على تسميته بفن الفخر في الشعر الجاهلي ، إنما هو أساس الصيّاغة التراجيدية ،في كل الفن الشعري في هذه الحقبة . ذلك أنه ، إذا كانت التراجيديا تقوم على أساس تفجير النَّسيج الفني بين قطبي صراع ، فإن منطلق الفخر العـربي ، هوتمجيد لحظة الانتصار في هذا الصراع . فلقد كان على العربي ،في مثل شروط تلك البيئة القاسية ، أن يؤكد ثباته أمام العدم ، كل لحظة . وكان العدم يتكشف له في صورة العدو الذي ينافسه على ينابيع المياه . ومراتع الإبل ، ثم صَعَّدَ العربي هذا الموقف الطبيعي المادي المباشر ، إلى فكرة العرض والشرف . فأصبح الدفاع عن المال ـ بما تعنيه هذه اللّفظة من دلالة واسعة تشمل كل موضوع تَملكٍ ـ هو انتصار للكرامة ، هو معادل قِيَمِي لوجود الشّرف أو استلابه . وأصبحت أرض الربيع (المرعى) والإبل ، وإهل الحي ، كلّها مجموعة رموز لوجود الرّجولة العربية ، المهدَّدة من

قبل الغزاة في كل لحظة . وهكذا فان الصّراع كان أساس السُّلوكية الجاهلية . وكان الصّراع بالتالي ، هوالبرهان الإيجابي الوحيد ضد تهديد العدم .

ولو تساءلنا ما الذي جعل عربي الصّحراء ، يفتخر دائما بموضوعات معينة ، تعود إلى ثلاث قِيَم أساسية ، هي إصالة النسب ، والشّجاعة في الحرب ، والكرم في الأخلاق ، لوجدنا أن الحماسة الّتي تقود إلى موقف الفخر دائماً ، إنما هي نوع من التأكيد الوجودي ، ضد تهديد العدم ، كما سبق أن قلنا . ولذلك فإن أساطير الحضارات ،في مراحل فُتُوّتها ، كانت دائماً عامرة بقصص البطولات . فلقد كان إحساس الإنسان بالمجهول حوله ، يعطيه دائماً وعياً غير واضح برخاصته ، وضعفه . ولم يكن له سوى تجسيم أخطار هذا المجهول ، وتصنيفها ، بواسطة خلق فكرة الوحوش الخرافية ، الآلهة الشّريرة ، والشياطين والجان . أما العربي ، فان واقعيته العضوية ، كانت تُنَفِّرُهُ من ترجمة شعوره بالمجهول المهدد إلى مثل هذه الكائنات الخرافية . ولذلك بدلاً من أن يخترع أساطيره على منوال أساطير اليونان مثلا ، فانه حَوَّلهَا إلى ميثولوجيا السّلوك الفروسي نفسه ، فكانت ملحمة الفخر الدائمة في شعره . وجعل أقطاب الصراع دائماً في هذه الملحمة ، هي قصص الحروب ، والغزوات اليومية الّتي كانت تؤسّس المغزل الدائم لنشاط القبيلة ، والمدرسة العضوية ، لتربية أجيالهـا ، وتغذية تراث وجودها ، من ماض إلى مستقبل .

أما افتخاره بنسبه ، فمسألة ترجع في الواقع إلى حدس أخلاقي متميِّز لدى وجدان الفارس العربي ، أكثر ممّا ترجع إلى مسألة صفاء الدم ، من ناحية عضوية خالصة . ذلك أن تفاخر العرب بأصولهم ، إنما هو تأكيد على استمرر مقاييس التفوُّق الفروسي ، من الجدِّ إلى الحفيد . فحين ينتسب الشّاعر إلى القبيلة الفلانية ،وما عرف عنها من مكارم الأخلاق ،في أصولها الأولى ، فإنما يؤكد لنفسه الأنتماء البطولي الكريم .

وبينما قامت تقاليد الارستقراطية لدى الشّعوب الأخرى ، على أساس استعلاء نخبة قليلة بما تملّكت من موارد اقتصادية متميزة ، بالقوة والإرهاب غالباً ، فإن التّفاخر بالنّسب ، لدى عرب الجاهلية ، كان مسألة شعبية ، ولم تكن تمييزاً لنخبة . وإذا صح القول ، فلقد كان هناك عدد من القبائل الكبيرة ، كان الأنتماء لها يؤلف تمييزاً ، لا يقتصر على فئة قليلة ، ولكنه يشتمل على مجتمعات كثيفة كبيرة .

وعلى هذا الأساس ، وكما تبرز القراءة التحليلية الهادئة لملاحم الشّعر الجاهلي ، فإن الفخر لم يكن نوعاً من الغرور الفارغ ، ولكنه كان أعلى دفاع للعربي الفارس ضد الدّهر ، ضد البوار ، ضد الغزاة ، ضد المجهول الذي يحمل إليه إعصار الرِّمال ،

وجدب المواسم ، وأخطار المفازات البعيدة الرهيبة . كان الفخر تأكيداً لنموذج العربي الفارس ، الأقوى على الوجود ، على الصمود ، في وجه تهديدات العدم المادي المباشر ، والعدم الميتافيزيقي المطلق ، الّذي لم يفارق وعي الجاهلي لحظة أبداً . بل ناضل العربي وكافح دائما ، من أجل التمرُّد على رعب الصّحراء ، بالقوة والشهامة وإقراء الضّيف ، ونجدة الملهوف ، وإطعام الجائع . وحماية الضّعيف . تلك هي مفاصل السّلوك الفروسي ، وتلك هي رموز الانتماء للأفضل .

فكان على الشّاعر ، قبل أن يكون الفصيح باللغة الجميلة المعبرة ، والشّعر الفخم المبدع ، أن يكون الفصيح بالسّلوك النموذجي ، المطلوب في حياة القبيلة العربية . كان عليه أن يكون من الفرسان المُجلين في ساحات الوغى ، ومن المكرمين الأخيار ، ومن المدافعين الأمينين ، عن عرض القبيلة ، وقت الفزع ، وتجلي المكرمات الكبيرة . وهكذا وضع الوجدان الجاهلي القيمةَ الفنيـة ، تتويجـاً للقيمة الأخلاقية . وجعل العربي الّذي يبدع حياة البطولة والشّرف بمثابة العربي الشّاعر ، الّذي يبدع القصيد العظيم ، المترجم عن تلك الحياة ، والداعية لأصحابها في نوادي الانتساب والفخر .

ولعل القيمة الفنيـة الشّاملة الّتي يعطيهـا عرب الجاهلية لمفهوم الفصاحة ، تدل على اتجاه توحيد الفعل بالتعبير الفني عنه . ذلك أن الفصاحة ، كانت هي دليل الأصالة ، دليل أن يكون الناطق عربياً ، أو غير عربي . فوجود النّطق ، هو أساس التقييم . فاللسان غير الفصيح يجعل الآخرين يحكمون على صاحبه بالسّلب المطلق ، كأنه غير موجود حقاً .

* * *

والواقع ليس ثمة شعب من شعوب الحضارات القديمة ربط بين وجود الكلمة ، ووجود الإنسان كقيمة إيجابية مشروعة ، كالشعب العربي آنذاك . فلقد كان شرط الإبداع بالكلمة ، مدخلاً ، أساسياً لقبول السّيد إجتماعياً ، فكيف يكون الشاعر إذن . إنه واحد من أكبر أسياد المجتمع ، ذلك أنه بلغ بفصاحته ، إلى درجة الشّعر . فـلا عجب إن كان ظهور الشّاعر في قبيلة ، أشبه بمولد البطل العظيم ، الّذي لا يعلوه بطل آخر في الشجاعة والكرم . فإن شعباً يُمَجِّد الكلمة المبدعة إلى هذا الحد ، لَحَرِي به أن يبني حضارة القيمة والمعنى في الذّات ، أعظم بناء وتأسيس ، كأكبر جواب على تحدي الفقر واليباب والسراب في العالم الخارجي .

لقد كانت صلابة القفر ، تتحدى ألا ينبت في رملها المجدب إلا النخيل السامق القاسي الغلاف ، المكثف الحيوية والغذاء في ثماره ، وألا يعيش في مفازاتها إلا العربي

متوحد المنفرد ، المكثف الوجود والحيوية في إرادة البقاء ، وفيما يتجاوز مجرد البقاء إلى البقاء الأفضل . ولم يكن بناء الأحجار فوق الرمال نيرد على هذه الإرادة . فكان بناء الإنسان من الداخل بفعل نشوة الخلق ، وتجاوز التهديد . وكانت تقاليد العربية ، هي أن تبلغ الفصاحة ، وكان الأنتماء إلى الأصالة هو الأنتماء إلى الفصاحة . وكان أعلى تعبير عن فصاحة العقل هو فصاحة اللّسان الذكي القادر على معادلة النطق الجميل بالفعل المتفوق . فكأن الشّعر الجاهلي إذن هو النشيد المغنيّ لبطولات الفروسية الجاهلية .

ولقد وَصَلنا الشعرُ الجاهلي وهو في أرقى حلقات تطوره ، وقدرته على استشفاف جميع مظاهر الحياة الجاهلية ، تقاليدها وقِيَمِها وإساطيرها ، فضائلها ونواقصها .

وحين انغلقت تلك المرحلة السحرية من حياة العرب ، لم يعد بالإمكان أن يستمر الشّعر العربي في صورته الجاهلية ، فانتهى بانتهاءها ، ولذلك فكل ما جاء بعده من شعر ، من المراحل الأسلامية المتأخرة ، كان يضع نَصْبَ عينيه ، تقليد الكمال ، الذي تضمّنه شعر الصحراء الأول . فوقع التناقض بين تجربة الحياة الحضارية الجديدة ، وبين وسيلة التعبير عنها ، فانعدمت فصاحة الشّعر ، حين ضاع الاتحاد العضوي الفطري بين العقل والنطق . وانتقل الشعر من دور البطولة الشعبية ، إلى دور الترف في قصور الاعيان والخلفاء . وظهرت بذلك عيوب الحماسة فيه .فاذا هي أساليب مجردة من التفخيم والتضخيم واللّعب بالألفاظ ، وهنا انكشفت لعبة المبالغة ، فظهرت وكأنها محض بلاغة لفظية فحسب ، وذلك لانعدام حدِّية التجربة الّتي عاشها المترفون وشعراؤهم ، في عهود المدنية المتأخرة .

لقد كان صدق الشّعر الجاهلي ، هو أساس تأثيره بالجماعة العربية ، وبالتالي هو جوهر فصاحته الوجودية . وفي حين كان يُطلب من الشّاعر الجاهلي ، إذ يصف قفراً أو سرابا أو نوءاً من أنواء الطبيعة ، أوحيواناً ، أن يصدق في تسميات التفاصيل . وأن ينقل علاقات التفاصيل وارتباطها بالموقف الواقعي ، فإنما كان بالأحرى ،أن يُطلب منه خَلْق الواقع الإنساني الذي يتحدث عن مكرماته على مستوى اللّفظ ، كما هو على مستوى الفعل ، والتحقق العياني الظّاهر .

ليس هذا فحسب ، فان الشعر الحماسي لم يكن ليصور واقعاً بطولياً موجوداً بل كان قادراً على الدعوة إلى خلق واقع . ليس كله موجوداً . لقد كان من فصاحة الفن الشّعري أنه مساهم في تحقيق جوهر التجربة البطولية للفروسية الجاهلية .فان الكلمة الفنية لم تكن للمتعة النظرية ، ولكنها كانت كذلك دليل عمل ، كانت أشبه

بأوامر العقيدة ، إذ كانت اللّغة العربية ، هي العقيدة الأعلى للعربي ،في الأخلاق والوجود أولاً ، ثم في الفن ثانياً .

فلا عجب ان كانت معجزة القرآن الأولى هي بيانه ، هي فصاحته الخاصة ، التي اعتبرها العربي الجاهلي ، عندما أصغى إلى آياته ، أنها فوق إمكانية البشر ، فآمن بها وبما تقوله . وأصبح القرآن في الإسلام ، هو عقيدة العربي المسلم ، مثلما كانت اللّغة بفصاحتها وشعرها ، هي عقيدة العربي في الجاهلية .

ذلك هو التميز الخاص الّذي تتفرد به الثقافة العربية ، من خلال أهم مصادرها . اللّغة الجاهلية وشعرها ، وقرآن الإسلام وبيانه . انها الثقافة القائمة على عبقرية اللّفظة . اللفظة الّتي ليست أداة تعبير عما هو موجود ، بل هي أعظم عوامل خلق ما لم يوجد بعد.

* * *

نستطيع الآن أن نواجه بعض المشكلات الّتي تعترض الشعر الجاهلي ، من حيث نشأته التاريخية الاجتماعية ، وتطور صياغته ، وأسلوب بناء القصيدة المطوَّلة ،ومصطلح العمود الّذي تقيدت به ، وغيرها من مثل هذه القضايا .

فلقد أصبح من المُسَلّم به ، أن ما وصلنا من الشّعر الجاهلي ، لا يرقى إلى أكثر من مئة عام إلا بقليل ، ما قبل الدعوة الإسلامية ، بالتالي ، فان عصوراً كاملة من تطور هذا الشّعر ، ومدارسه ونزعاته هي في حكم المفقود الّذي لا أمل بالعثور عليه أبداً .

ومن ناحية أخرى فاننا لا نستطيع أن نحكم بصورة نهائية على أن المُعَلّقات وبعض القصائد والمقطوعات الأخرى الّتي وصلتنا هي بالفعل ، من نتاج آخر حلقات التطور الّذي بلغه الشّعر قبل الإسلام . فأولاً ، إن هذا الحصاد القليل الّذي نملكه ، هو من نتاج بعض القبائل ، الّتي تقطن في الشمال ، والشمال الشّرقي إلى الغربي خاصة ، من الجزيرة العربية ، في حين أن التاريخ يحدثنا عن انتشار القبائل العربية في مناطق صالحة للسكن ، أكبر وأوسع من المناطق الشمالية . فنحن لا نكاد نعرف شيئاً من شعر القبائل الجنوبية واليمنية ، والموغلة في أعماق الصّحراء . وكذلك ، فاننا لا نعرف شيئاً من شعر العرب البائدة ، ولا من شعر الدول الكبيرة الّتي عمرت اليمن القديم .

وعلى هذا الأساس ، فان مانملكه من هذا الشّعر السابق على الإسلام ، هو أقل من قليل ، بل ليس هو إلا مجموعة نُتَف ، لايمكنها ، مهما اغتنت بالدلالات ، أن ، تغنينا عن آلاف الأشعار الضائعة ، المفقودة إلى الأبد .

ولعل النّقاد اكتفوا باقفال هذه المشكلة المحزنة ، بالاتفاق على أن ما وصلنا من هذا الشّعر ، ربما كان هو أرقى وأعلى مراحل تطور الشّعر السابق على الإسلام ، إن

هذا الافتراض لا يثبت أمام تحليل . بل ربما كان هناك من يقول ، إن الجاهلية ، في المئة سنة السّابقة على قيام الدعوة الإسلامية ، كانت في الواقع تمثل مرحلة التدهور والانحلال الاجتماعي الأخير ، لفترة سابقة من التماسك والرقي . فلعلّ هذا الشّعر إذن ، ليس هو أعلى ما بَلَغَهُ تطور الإبداع الشّعري العربي إلا إذا اعتبر إن رُقيّ الشّعر وعمقه أحياناً ، يأتيان في عصر أفُول حضارة ناضجة آيلة إلى الزوال .

ومع ذلك فان هذا الشّعر القليل ، الّذي بين أيدينا ، لم يخْل هو كذلك من ثغرات ، نفذ منها الشكُ إلى صحته ونسبته قديماً ، في عصر تدوين رواياته وتأليف المجموعات والمنتخبات منه ، وحديثاً حين أثار طه حسين عاصفة التشكيك في جميع ذلك الشّعر .

ومع تسليمنا بوجود مثل هذه الثغرات في تناقض بعض روايات هذا الشّعر ، وفي إسناد القصائد أو الأبيات ، أحياناً ، إلى أكثر من شاعر ، وفي الشّك في بعض هذا الشّعر ، من أن يكون منحولاً كلّه ، على يد بعض الرواة المتهمين في أمانتهم ، مثل خلف الأحمر ، فاننا نرفض أن نعلق هذا الشّعر كلّه في الفراغ ، بسبب من بعض اتهامات وشكوك ، وتناقض روايات . ونعتمد في إثبات صحة انتماء هذا الشّعر إلى الجاهلية ، على الأدلة الدّاخلية المتضمنة في بناء القصيدة ومعانيها ، وإشاراتها التاريخيّة ، وأسلوب صياغتها ، ولغتها . حتى ولو كان هناك بعض الشّعر الّذي نُظم في عصر التدوين ، فانه إذا مابلغ درجة اتقان النموذج الّذي يقلده ، فانه يكفي أن ننسبه إلى المدرسة الجاهلية فنياً ولغوياً ، وإن لم نتثبت من نسبته تاريخياً .

ذلك هو حل ، وإن لم يبد كاملاً نهائياً ، إلا أنه يسمح للدّارس المحلل ، أن يتجاوز عقبات المدخل ، المبالغ فيها أحياناً ، لأسباب شعوبية في الماضي ، وشبه شعوبية كذلك في العصر الحديث ، ويصل إلى محاولة تذوّق هذا الشّعر ، وفهمه داخلياً ، والكشف عن بنيته الثقافية وعلاقتها ببنية التجربة الجاهلية كلّها . فيتضح له أن أكثر هذا الشّعر صحيح النسبّة إلى روح تلك التجربة ، وذلك هو المعول عليه ، الاهم ، لمتابعة كشف هذا الشّعر ، ومعرفة كنوزه الفكرية والإنسانية .

وأما مايقال من نظريات حول نشأة الوزن والقافية ، فان المرجح ، هو الرأي القائل ، بأن الأوزان المعقدة ، ذات التفعيلات المختلفة ، كانت مرحلة متأخرة ، بالنسبة للأوزان البسيطة القائمة على تكرار تفعيلة واحدة ، أو أجزاء منها . ولذلك فان الرّجز هو المرشح لأن يكون ، من الأوزان الأولى ، لبساطته وسهولته ، وتوافقه مع إيقاع وحداء القافلة ، واسلوب سير النّاقة والبعير . وعلى هذا فانه يمكن القول : إن بناء المعلقات والقصائد المطولة ، التي اعتمدت على البحور المعقدة ، كالطويل

والبسيط ، إنما جاءت نتيجة رحلة طويلة ، من تطور الوزن والقافية ، من جهة ، وتقدم نظرية البناء الشّعري كمضمون ، وأساليب صياغة وتأليف بين المعاني المعقدة من جهة أخرى .

نأتي الآن ، الى فكرة عمود القصيدة الجاهلية ، فان ما دار حول هذه الفكرة ، من نقاش غني ، في عصر التدوين ، كان في الواقع يريد أن يطرح فلسفة بناء القصيدة العربية ، وإن لم يتوصل إلى الكشف عن منطلق هذه الفلسفة .

فنحن ندع الآن البحث الدائر عمن كان أول من وقف على الأطلال ، وأول من شبّه كذا بكذا ، وأولَ من مدح أورثى أوتغزل . لنقف قليلاً حول السؤال القائل : ما الذي جعل القصيدة الجاهلية ، تستقر هذا الإستقرار الطويل حول نظرية العمود ؟

أفلا يدل هذا الإستقرار ، أولاً ، على يقين الشّاعر بأن هذا الشكل لعمود القصيدة يظل هو الشكل الأكمل ، والأقرب إلى احتواء مفهوم الانسجام الجمالي لدى ذوق العربي ، المبدع والمتذوق معاً ؟

لقد أخذ بعض النّقاد وما زالوا يأخذون على هذا الشكل ، احتواءه على موضوعات مختلفة . فالوقوف على الأطلال والغزل ، لا علاقة له بالفخر ، لا علاقة للاثنين معاً بوصف الصّحراء والناقة ، لا علاقة لهذه كلها ، بالموضوع الأساسي للقصيدة إن كان الرثاء أو المدح .

قد يبدو هذا النقد للوهلة الأولى أنه صحيح ، ولكننا إذا عدنا إلى ما كنا كشفنا عنه في تحليل جوهر المعاناة لدى الشّاعر الجاهلي ، وهو الحماسة ، لوجدنا أن القصيدة الجاهلية ، هي وحدة من حيث الوجدان المعانى ، وهو بكثير ، من حيث تعدد الموضوعات التي يسلط عليها هذا الوجدان بؤرة معاناته .

ولشرح هذه الفكرة نقول : إن الشّعر الجاهلي ، هو في الحقيقة ، شعر العواطف الكبيرة . ففن الفخر ، هو عاطفة حدية في الزهو والخيلاء وتأكيد إيجابية الذات ، وفن الغزل هو مجد الحس والصبابة ، وبناء العلاقة الفردية ، داخل سيطرة الذات الجماعية .

وكذلك فان الرثاء هو التعبير عن أعنف مشاعر الالتياع أمام الفقدان والضياع ، فهو الرعب الملطّف بالأسف على زوال الآخر ، بينما هو الرُّعب من زوال محترم للذّات ، اليوم أوغداً .

فتلك الفنون التي دارت حولها القصيدة العربية ، إنما هي في حقيقتها ، لهجات

وجدانية مختلفة للحن واحد هو حماسة العربي أمام مفاصل المعاناة المثالية الأساسية . هذه المعاناة التي تترجم عن نفسها في ميدان الحرب بالفروسية ، والفروسية هي ، مؤونة الفخر والتفاخر . وتترجم عن نفسها في ميدان العواطف بالحب المطلق إلى درجة التيتم والعذرية تارة والحسية العنيفة تارة أخرى .... وفي ميدان التنافس الاجتماعي بالمديح مرة ، والهجاء مرة أخرى ، والرثاء مرة ثالثة .

فان نزعة تثبيت الصّورة المصفة عن الذات ، فردية كانت أم اجتماعية ،قد جعلت الشّاعر مغنياً لحن العظمة سواء في التضحية ، أو الأنتصار في الحرب ، سواء في مدح الملك ، أو في امتداح القبيلة أو نسبها ، وامتداح الميت المَرْثيّ . فهنالك عملية تمجيد دائمة تحول من موضوع إلى آخر . وليس هذا التمجيد سوى الوجه الثاني الإيجابي لمعاناة العربي ، وهي الحماسة ، حماسة للحياة في وجه يقين مرعب شامل بالعدم .

ولذلك وصفت حياة ما قبل الإسلام بالجاهلية ،ليس لأنها الحياة خارج المعرفة بأمور اللاهوت فقط ، بل لأنها محاولة لجعل الفتوة مصدراً للوجود ، وأعلى مقياس لقيمه ومفاهيمه . وما كان إلا الشّعر وحده ، هو سبيل للتعبير عن سلوك الفتّوة . ذلك أن العيش في مملكة الفتوة هو كالعيش بالشّعر وللشّعر .

ولكن معجزة الجاهلية الشّعرية هي أنها مارست أمجاد المثل على مستوى اللّحم والعظم والتراب ، أي على مستوى الأرض والأنسان ، والواقع الاجتماعي . وحين وصلت التجربةإلى طور القدرة على التعبير عن قيمها ، لم يكن لها إلا الشّعر وهذا الشّعر الذي نصفه بأنه فن الجاهلية الأول والأخير .

فان صلة هذا الشّعر بعضوية اللّغة العربية ، في ذلك الطور ، من ناحية ، وإن صلته بواقع التجربة الحماسية أو المثالية ، من ناحية ثانية هي مبرره الفني والتاريخي الوحيد .

فلقد يُباح لنا أن نستهجن استمرار فنون الشّعر الجاهلي ، في عصور الحضارة العربية المتأخرة ، لتغير ظروف الجاهلية والحضارة تغيراً أساسيا .

ولكن ليس لنا أن نهزأ أو نحتقر أو نعجب سلبياً ، لبكاء على أطلال ، ولوصف الناقة أو حمار وحش ، أو لنفخة غرور في فخر ، أو لتعظيم ملك أو أمير في مدح ، إذا ما أرجعنا كل هذه الاصوات التعبيرية إلى نغمة الحماسة الأولى في تجربة الشّاعر الجاهلي ، وكشفنا من خلالها ، الباعث الوجودي الأعمق لمثل هذه المواقف .

المبالغة في تأكيد قمم البطولة تجاه تحدّي الصّمت والرمل واليباب في كون صحرائه البلقع .

فالعربي واجه يقينه الفلسفي الكياني بالزوال ، في جاهليته ، بالفتوة ، وأخلاق الفروسية الفردية ، ثم واجه يقين الزوال في الحضارة بالإسلام ، واليقين بالأبدية بعد الموت .

فالأصل إذن في جوهر استمرار الروح العربية ، ليس هو تبدل موقفها من الموت حيوياً ، ومن العدم وجودياً ، ما بين الجاهلية وتعبيرها الأول الشّعر ، وما بين الإسلام ، وتعبيره الأول بالدولة ، فذلك أمر تشترك فيه جميع الحضارات العليا ، ولكن الأصل هو أن اليقين بالعدم في الجاهلية ، كان مبعثاً لتفجير طاقات الحسّ في اتجاه معاناة الانفعالات الكبيرة ، عن طريق اللّفظ المتحد بالفعل .

وكان اليقين بالعدم ، يعطي للعربي موقفاً خاصاً من الزمن ، فإذا هو الشّعور بالانقضاء ، فلا عجب إذن أن تَوَّجَ الجاهلي قصيدته دائماً بافتتاحية عن الأطلال . ذلك أن الوقوف على الأطلال ، لم يأت تقليداً عرضياً . ولكنه عَكَس جوْهَر الدفْع الفني ، وهو لوعة الإنسان من الزوال . فالعربي المرتحل عبر المفازات والبوادي . كان هو المرتحل أيضاً بين آنـــات الزمن .

كان الرمل يعفي على أمكنته ، وكان الانقضاء يعفي على ذكرياته . وحيث مرتبـــع القوم ، وموطن الحبيبة ، وملاعب الطّفولة والشّباب ، وماء الغدير ، وربيع العشب ومواسم الأمطار والخصب ، تقوم الحياة ، ويعم الغناء ، وتسيطر مسرات البقاء الموقّت . فإذا مـا تغيرت الحال ، ورحل الحي ، وعمَّ القفرُ المكانَ ، ولم يبق إلا أسطر الماضي ، وَتَدُ خَيْمَة ، وأحجارُ موقد قديم ، وعلامات البشر والحب والرّعي ، فإن التجربة إذن قدمت للشّاعر أعمق منهل للخيال والانفعال ، يجيب على طبيعة الحل والترحال ، في مكان لا يحفظ أثراً لمقيم وإقامة ، وعبّر زمن يحدده إيقاع الخصب والجدب ، لقاء الحب ووداعه ، موقعةُ بطولة أو ثأر أو موت ، ولحظةُ كرم وقِرىً ، أو عقْمٍ وجحود .

فالوقوف على الأطلال مدخل شعوري كياني للقصيد الجاهلي ، وإن كان موضوعـاً غريباً على ذوقنا وتجربتنا الحديثة . وهو يلخّص في حقيقته ، أفجع ما في تجربـة الغربـة الدائمة للعربي ، في المكان اللاّمتناهي .

وانطلاقاً من هذا المدخل ، يسير الشّاعر مع تسلسل التذكُّر والتعاطف مع الماضي . فيحاول أن يعيد بناء المنظر الماضي ، ويحييه أمام وجدانه ، من أشباح الطّلل والربع الدارس

فإذا بلحظة جديدة في القصيدة تظهر منطقياً ، وقد إصطلح على تسميتها بالغزل .

فإذا كان الطلل هو مسرح الماضي ، فأن أجمل ما في الماضي ، هو الحب . حتى لقد اتحد التذكّر في القصيدة العربية بالحب . فقليلاً ما حدثنا الشّاعر الجاهلي إلا عن الحبّ القديم ، لأنه حب مفقود دائماً . إنه ضائع في ملعب الدّهر . والشاعر يشكو دائماً من الصرم والقطع والمسافة الزمانية ، والمسافة المكانية التي تفصله من محبوبه كان الأصل في علاقة الحب هو الهجران والانفصال .

وهنا يبرز مرة أخرى الإحساس المأساوي بالمكان . ذلك أن العربي ، يعبر عن انقضاء الزمن ، بالترحال والانفصال عبر البوادي الشاسعة الواسعة . فمنظر الظعائن المرتحلة ، هي القافلة الأبدية ، التي تقطع المسافات بدون نهاية . وكذلك فإن الحبيبة والشكوى من بعادها ، والتحسّر على لحظات التمتع بقربها ، تخرج عن التجسيد الشخصي لتصبح موئلاً للحنين إلى الاتحاد ، بَدَلَ الانفصال ، إلى الربع والخصب ، إلى الصورة المعاكسة دائماً لواقع الشظف والجدب ، والحرمان ، فالزمان انقضاء والمكان انفصال . وبؤرة المعاناة هو الانسان المنقضي ، المرتحل دائماً .

وهكذا نسج (اليقين بالزوال) جوّه الأخير ، حول كل قصيدة كبيرة ، لشاعر كبير ، فإذا بالوقوف على طلل معين ، يتحول إلى رثاء للأرض اليباب عامة . وإذا بتذكر لقاء الحبيبة ووصفها ومقارنتها بالظبية ، وبناء صور اللّطف والبراءة حولها من خلال تصوير الحسن المترف ، مع الرفيقات والوصيفات ، يصبح هذا التذكّر والوصف موجها إلى كل حب وحبيبة . ومن هنا جاء إنعدام الفردية المعينة بالغزل حتى أصبح التشبيب بَميٍّ وليلى وهند وأترابهن ، ليس سوى التشبيب بالحبيبة إجمالاً

فهذا النوع من التجريد ، ليس فقراً بالتشخيص . إذ ليس كالعربي إحساساً بالتفاصيل والمرئيات ، ولكنه جنوح بالتجريد إلى دور الرمز . فحين يكون الحب عند امريء القيس ، فإن جسد المرأة وعواطفها ، ونفورها ووصالها ، وأوصافها تتحول هي والخمرة وسرى اللّيل ، إلى أجواء المعاناة الكبرى ، تجاه المشكلة الأساسية ، الانقضاء والانفصال . فالفروسية والحب والخمر ، هي وسائل الانتصار على الانقضاء والانفصال في الزمان والمكان ، في الكون . هي أدلة الإنسان على وجوده ضد الدهر ، هي نشوة الجاهلية ضد عقلانية التسليم بالزوال .

فن الطّلل ، الّذي هو موضوع الحنين إلى الرَّبـع والطّفولة والجمـال والترف ، إلى تشخيص الطّلل وإحيائـه بالحياة المنقضية ، في منظر الغزل ووصف الحبيبـة ، عينيها خاصة ، شعرها وطيب ريقها ، وليونة جسدها ، ووضعها ضمن إطار من ارستقراطية الجمال ، وترف الأنوثة في وصف ترفعها عن العمل اليدوي ، ونظافة خدرها ، ونعيم قربها ، ثم الانتقال إلى تشبيهها هي وتربها ، بالظّباء في الرياض ، وما يتخلّل ذلك من الإشارة إلى الشّوق ، وآلام الهجران والبعاد والمبالغة في حماسة اللّهفة واللّوعة ، كـل ذلك يؤلف أكثر من مدخل تقليدي عند الشّعراء الأساسيين ، أنه مجال التعبير الذاتي لـدى الشاعر . وقد يبلغ هذا التعبير قمة من قمم المعاناة الشمولية ، بنغم مأساوي إطلاقي ، يستشف منه القاريء الحديث رموزاً كثيفة عن موقف الشّاعر من المرأة والسعادة ، والحياة المثلى ، حتّى تتخطّى الرؤية أحياناً إلى آفاق أبعد وأغنى بالإيحاء والدّلالة الفكرية ، إلى جانب روعة الصّور والتشبيهات ، الّتي هي واحدة من أهم أدوات البناء التعبيري ، في الشّعر العربي .

ولقد يعجب بعض النُّقاد من تكرار صورة معينة عن نموذج المرأة المحبوبة ، في جمالها وفي علاقاتها بالرّجل ، وفي طبيعتها الأنثوية الخفرة ، حتّى تنعدم ملامح الخصوصية من قصص الحب كأحداث وأشخاص . والحقيقة فإن تفسير هذه الظاهرة العامة ، في شعـر الأقدمين ، من جاهليين ومتأخرين ، ظاهرة سيطرة النماذج الواحدة المتكرِّرة ، إنما يرجع إلى مجال يتخطّى الفن ، إلى أسلوب رؤية العربي لمسألة الذاتية والموضوعية ، من جهة ، وإلى أسلوب قياس العربي لجودة الشّعر ، وفهمه لمشكلة التجديد والتقليد ، من جهة ثانية .

فالعربي قد يكون ذاتياً ولكنه ليس فردياً . فهو يرفض أن يتحدّث عن نفسه كفرد متميّز ، ولكنة يوحّد فَرْدَه بالذّات الإنسانية الكلّية ، كما يتصورها نموذجياً . فتعامل العربي فكرياً مع النّماذج والمُثل ، هي الّتي تجعله ، عندما يصبح شاعراً ، يعبّر عن الفارس من خلال طراز واحد من السّلوك والصفات ، وعن المرأة ، من خلال طراز واحد كذلك ، من الجمال والأخلاق والتصرفات ، وهو الطراز المُقيَّمُ ، على أنه النموذج الأعلى .

ولذلك فحين يحاول الشّاعر أن يصف لنا حبيبته ، فإنه يكرر في وجدانه الصّورةَ المثلى عن المرأة الجميلة المحبوبة ، كما هي في الوجدان الاجتماعي عامة . فالتكرار هنا ، إذن ليس وليدَ العُقْم والفقر في الموهبة الكاشفة ، ورؤيتها القاصرة لمعالم التجارب الفردية ، بقدر ما هو وليد احترام القيم الأساسية في المقاييس الجمالية لدى الجماعة .

وانطلاقاً من هذه النقطة أيضاً ، نستطيع أن ندرك موقف العربي الجاهلي ، من مشكلة التقليد والتجديد في قوالب القصيدة ، وأساليب الصياغة ، والتشبيهات والصور وغيرها .

فمن الواضح أن الشّاعر الجاهلي لم يكن مأخوذاً كالشّعراء المتأخرين ، بمسألة البحث عن الجديد في ابتكار المعاني والتشبيهات . ذلك أن عقلية التعلّق بالنماذج ، سواء على صعيد الواقع أو صعيد الفن ، لم تكن لتسمح للشّاعر بحرية ابتكار القوالب العامة للقصيدة . بل كان يطلب منه كما يطلب من السّاحر ، أن يأتي بالواقعية ، بأساليب تفوق الواقع وقدراته ، في الوقت ذاته .

أي أن الذوق العربي كان يحاكم الشّاعر من حيث أن قصيدته جاءت معبرة بطريقة جميلة عن معانيه وقيمه ، ونماذج تفكيره وحساسيته ، قليلاً أو كثيراً . فلم يكن هذا الذوق وهو في مرحلته التلقائية ، قد وضع مقاييس تفصيلية لبلاغة العمل الفني وبديعه . فكان يطلب من الفنان أن يقول (شِعراً) دون أن يبحث هو عن وسيلة هذا الشّعر وأدواته الفنية .

ولذلك كان تأثير القصيدة في المستمع ، هو العامل الأول في تقدير قيمتها . فلم يكن المستمع ليهمه البحث عن الجديد في الصورة والتعبير ، بقدر ما كان يتّبع إحساسه الخاص ، بوقع هذه القصيدة أو تلك ، وتأثيرها على وعيه وإحساسه ، المثقف إجمالاً باللغة الفصحى ، وأساليب تعبيرها العالية ، وبالقصائد الكبرى الأساسية للشّعراء العظام . الّتي اعتبرت هي المقياس الأعلى ، لا من حيث كون هذه القصائد الكبرى . عينات للتقليد . ولكنها أصول للخلق الشّعري .

ولم تتحول هذه القصائد إلى عينات للتقليد . إلا عند بعض شعراء الجاهلية ذوي الموهبة المحدودة ، وكذلك بالنسبة لشعراء العصور الإسلامية فيما بعد . والواقع ، فإن الجمود عند العمود وفنونه الأساسية ، إبّان العصور المتأخرة . هو الّذي أفقدها صفة الأصول ، ومسخها إلى أشكال فارغة ، للتقليد السطحي الخارجي . خاصة عندما انعدمت الصلة بينها وبين التجربة اليومية ، التي أبدعتها ، على يد المعلمين الأوائل .

نعود الى القول : ان المحافظة على طبيعة المدخل الى القصيدة الطويلة ، في الوقوف على الأطلال ثم في الانتقال الطبيعي الى تذكر الحي والحبيبة ، والتغزل بها وأوصافها إنما هو المدخل الّذي يؤكد ذاتية الشّاعر أولاً . وهو أمر طبيعي ينسجم مع حركة الخلق الفني إذ تبدأ من الداخل ، من الوجدان ، الى الخارج ، الى العالم .

وما أن يستنفد تشوق الشّاعر إلى أرض الحبيبة ، والتغزل بجمالها والشّكوى من بعادها ، حتّى ينطلق في رحلته على ناقته ، وقد خلّف وراءه الأطلال والأشواق . فينكفيء الى وصف ناقته ، وهنا قد يأخذ الناقد على الشّاعر القديم ، هذا الانتقال من وصف الحبيبة الى وصف النّاقة . ولكن تسلسل الحركة يبدو منطقياً بالنسبة للشّاعر ، الّذي ابتدأ بالوقوف على الأطلال ، ثم تحول الى متابعة ارتحاله على ناقته ، هذا بالنسبة لدوافع

تأسيس ذلك التقليد عند شعرائه الأوائل . ومن الطّبيعي بعد ذلك ، أن يصف الشّاعر الطّريق ، والأهوال الّتي يواجهها في المفازات . وهنا يبرز الشّاعر الجاهلي مقدراتـه المتنوعة . فهو لا بد أن يصف أنواع سير النّاقة ، حسب طبيعة الأرض الّتي تقطعهـا ، والهدف الّذي تسعى إليه ، وعليه أن يكون وصفُه مطابقاً لخبرة العربي ، ومعرفته عن النّاقة ، وأنواعها وأشكال جسمها وأعضائها . وإذا بالشّاعر ، إذا ما ذكر نوعاً من هذه النِّياق ، فإن عليه أن يلتزم باختيار الأوصاف الملائمة لذلك النوع من جهة ، والمنسجمة مع الوضع النفسي للشّاعر ، والهدف الّذي يتوجّه إليه في ارتحاله ، من جهة أخرى .

وينتهز الشّاعر هذه المناسبة ، ليشبّه ناقته بحيوانات الصحراء الأخرى ، تـارة بالحُمُر الوحشية أو الثور ، أو ذكر النّعام . وهو كلّما انعطف الى حيوان ، حاول كذلك أن يفصل في أوصاف جسمه وحركاته ، وأن يضعه ضمن إطار قصة نموذجية عن حياته وعلاقاته بأترابه ، أو أعدائه . فيلقي عليه من أحواله النفسية ، ما يرمز إلى معاناة الشّاعر الخاصة . وإذا نزعة تأنيس الطبيعة ووحوشها ، تخدم هنا الشّاعر ، في الرَّمز والتلميح الى مفاصل خاصة بمعاناته ، وموقفه هو من العالم سلباً أو إيجاباً ، كما سبق أن حلّلنا ذلك ، في هذا البحث .

يبقى أن القصيدة ، عندما تبلغ موضوعها الأصلي ، كالمديح والرثاء ، أو الفخر ، فإنها تكون قد مرت بذلك ، عبر أجواء الشّاعر وعالمه الذاتي ، من خلال مناظر الأطلال والأحبة والنياق ووحوش الصحراء ، وأنواع مفازاتها ، وإطارات الأنواء فتمتزج هكذا ، رحلة الشّاعر مع عواطفه وأفكاره ، برحلته في عالمه الخارجي مع الحيوان والطبيعة القاسية المهولة . وإذا بالقصيدة هي أيضاً ، قافلة من المشاعر والأوصاف والانفعالات ، لها حركة الارتحال المشتقة من طبيعة الرحلة الدائمة في حياة العـربي الصحراوية .

والشّعراء الجاهليون العاديون هُم الّذين يقفون في الواقع عند حدود الوصف الخارجي ، الأقرب الى التصوير المرئي بحسِّ العين وحدها . في حين أن الشّعراء الكبار منهم ، يُصَعِّدُون الوصف الى مستوى الحركة المأساوية الّتي تعكس صراع الوجدان الفني المبدع مع العالم المتشيء الجامد ، في سبيل صياغته مرة أخرى بما يوحي بتجربة الشّاعر الوجودية . فإذا بالأطلال والأحبّة والظّعائن ، والصحارى ووحوشها ، والنياق وأشباهها من حيوانات الصحراء ، تتحرك جميعها كأبطال أسطورية ، في ميثولوجيا الشّعر الجاهلي فتكوّن لنا العالم الواقعي السحري معاً ، للمعاناة الفنية الوجودية الفذة ، لهذا النوع مـن الفعل والنطق لدى إنسان الإبداع الشّعري في الجاهلية .

فمن الإجحاف بحق هذا الشّاعر وعالمه وطقوسه السّرية ، أن نحاكمه بعقلية المنطق المجرَّد ، والمقايسة حسب شروط نقدنا الحديث . والأسلوب الوحيد الّذي يوصلنا إلى تذوق شعره الرائع ، هو محاولة بعث تجربته وعالمه وعلاقة الفطرة المبدعة ، الّتي تربطه به . ولذلك فإننا حين أقدمنا على إفساح أكبر مجال ممكن في هذه الموسوعة ، الى الشّعر الجاهلي ، وشرحه بأسلوب أقرب الى وجدانه الأولي البديء ، فإننا كنا نحاول بذلك التأكيد على إصالة هذه التجربة الفريدة الّتي أبدعت الحياة الجاهلية ، وشعرها الفطري البليغ ، بلاغة التراجيديا الإنسانية ، وهي في فجر اكتشافها لرموز الصراع الأساسي في حضارة المعاناة ، قبل حضارة الصناعه والدولة واللاهوت المنظّم .

ومن ناحية أخرى فلعل سبب فقر القصائد الجاهلية عامة ، بالتّصوير النفسي والتفصيل في الأحوال الفردية . لعل سبب ذلك يرجع الى تفضيل الشّاعر استنابةَ الوسائط الأخرى ، كالناقة الظعينة ، وحيوانات الصحراء ومفازاتها . لكي تنقل لنا . بصورة غير مباشرة . هواجسه الخفية وأحلامه الغامضة . وأحواله النفسية . ولذلك وجب على قارئي هـذه القصائد ألاّ تخدعهم عناوين الموضوعات ، فلا يعجب كيف يصف الشّاعر الثور والظّبي ، وحمار الوحش ، وقليلاً ما يقدم لنا نفسه ومشاعره . بل إن الأمر على العكس ، فلعلّ هذا الشّاعر كان يتعفّف من الحديث على الذات ، فيجعل العالم كله ، رموزاً له ، عن قصد أو عن استغراق في وحدة المعاناة بينه ، وبين موضوعات هذه المعاناة .

فلقد كان الشّاعر الجاهلي يطمس فرديته الخاصة ، ليبرز الذاتية العامة . وكانت هذه الذاتية ، تنوب عن الموضوعية المادية ، بالموضوعية الإنسانية ، فهو لم يكن ليهتم بأن يؤكد شخصيته كجوهرٍ متعالٍ متفرد ، ولكنه يتحدث باسم الإنسان العربي ، باسم ذاته كما هو مدرك من خلال مُثُل اللّغة والتربية ، والسّلوك الجماعي .

وبالمقابل فإن الجماعة كانت تنتظر من شعرائها تأكيدَ ذاتيتها ، كما هي في الواقع أو كما يجب أن يكون عليه واقعها لتغنى ، عن طريق الشّعر ، بصوفية الفن ، بالميثولوجيا المعنوية الّتي ليست هي سوى الوجه الذاتي لواقع الفروسية ، كأحداث وأفعال خارجية متحقّقة .

والفروسية في حقيقتها ، ليست سوى تصعيد قيمي وصوفي لحتميات الحياة الاجتماعية في الجاهلية . فإذا كان الصراع على الأرض والخصب والماء وما يتبعه من متطلبات الشّجاعة والنّخوة والتضحية ، هو الصّورة اليومية لواقع العلاقات المادية ، فإن الأخلاق والفن من ناحية أخرى ، ربطا حتميات هذا الصراع بقيم أعلى من ماديته . فجاءت مُثُل الحياة الأخلاقية لِتَصُوغ لنا نموذج الفروسية ، كأعلى مقياس لوجود الفرد

والجماعة معاً . فالقوة مع الحلم ، والضّعف مع الإباء ، يناظرهاالغنى مع الكرم ، والفقر مع العزة ، هما في الحقيقة وجه الحتمية المادية المنعكسة عن ظروف الصّراع الواقعي ، ووجه الحماسة المثالية ، التي تُصَعِّد هذه الحتمية وتقلبها إلى حرية ، عندما يتبناها البطل ويحققها بإرادته ، وتَطَلُّعه المثالي الخاص .

فمجتمع الفروسية بهذا التحديد ، لا يفرز إلاّ هذا الشّعر في الحماسة . حماسة الفخر موجَّهة تارة للذات ، فتكون اعتزازاً وتكريماً للقوم والقبيل والأصل ، كالسّياسة والوطنية والدعاية المعاصرة .

وتُوجه هذه الحماسة للآخر فرداً أو قبيلاً، فيكون المديح إيجاباً ، أو الرثاء سلباً ، حين تُكَرِّم مقاييس الحماسة الّتي تلبسها الفقيد ، وضاعت بوفاته .

فما يتحدث في هذه الفنون ، من فخر ومديح ورثاء ، هو صوتُ الجماعة يتابع تمجيد مُثُلها ، وتغذيتها بما يشبه وطنيةً ، للأخلاق والقيم اليومية ، وهي الأرض المعنوية الّتي تنبت وتخصب وتتنفس عليها الروح العربية آنذاك . وكذلك هذه الفنون ، كما في غيرها ، ليس للشّاعر أن يبتكر ، ولكن عليه أن يفصح لغوياً وفنياً ، ليؤكد ما يؤمن به الجميع ، وما يحترمه الجميع ، وما يزيد في حماستهم له .

فإذا بِقِيَم الفروسية هي الّتي تتكرر ، في الفخر عندما ينسبها الشّاعر لنفسه وقومه ، وفي المدح عندما ينسبها للآخر ولقومه ، وفي الرثاء عندما يبكيها في فقدان من كان يحملها ويحافظ عليها . وفي الهجاء ، عندما يسلبها الشّاعر من المهجو ، ويجرده منها ويعريه أمام تقاليد البطولة والكرم والإباء والتضحية .

ويمل القارىء الحديث من هذا التِّكرار ، ومن هذه الإعادة لذات القيم والمعادلات الخلقية والسّلوكية . ولكن القبيلة الجاهلية ، لم تكن لتمل ذلك ، لأن حماسة شعرائها هي بمثابة استمرارها ، ووطنيتها ، وانتمائها لما تعتقد أنه هو أعلى قيم الوجود والشّرف .

تلك الفروسية الناضجة بالفتوة والمثالية إلى درجة الاعتقاد الصّوفي ، تقابلها في فن آخر هو الحكمة ، قوةُ الخضوع لحقيقة الصّيرورة الوجودية . فإذا بنغم واحد يسيطر على جميع مقاطع الحكمة ، من القصائد الجاهلية . وهو نغم يبدو مناقضاً لفروسية الفعل والأخلاق الجاهلية . إنه يستبدل التمرُّد والأنفة أمام الآخر ، بالاستسلام أمام حقائق الزوال . ولكن هذا الاستسلام ، هو الوجه الواقعي للشّجاعة ، لشجاعة العقل الذي يستطيع أن يعترف أخيراً بالنهاية المحتومة ، التي لا فرار منها . وإذا بهذا اليقين الميتافيزيقي المطلق بالعدم ، يجعل من الجاهلية توتراً إنسانياً فذاً ، بين قطبي النضج إلى درجة

الشيخوخة في التفكير ، والفتوة إلى درجة الجاهلية في التمسك بنشوة الحياة ، بالحب ، بالظفر ، بالبطولة والمغامرة .

ولكن الشعراء الفرسان كامرىء القيس وطرفة خاصة ، استطاعا في الواقع ، أن يعبرا عن هذا التوتر الّذي يتجاوز التناقض المنطقي . فتحولت الحياة إلى فرصة نادرة للتمتع المأساوي ، للمعاناة بين حدي الفناء المطلق ، والامتلاء المطلق . فلم ينس امرؤ القيس عَبَثَ الوجود ولا معقوليته ليتعبّد الحس المادي كما فعل الأعشى ، بل جعل من الحب والمرأة والخمرة والفروسية وسائل لتفجير المعاناة بهذا العبث . إذ أن شدة النشوة معلقةٌ بلحظة انقضائها السّريع ، وعودة الوحشة في الصّمت واللاشيء . وجاء طرفة ليختزل لنا ، في عدة أبيات من معلقته ، سر هذه المعاناة كلّها . وليس غريباً أن يخرج أروع الشّعر الجاهلي من معاناة شعراء الفرسان ، سواء منهم الفرسان الملتزمون بقبائلهم ، أو الخارجون عنها كالصّعاليك .

وأخيراً إذا كانت الحياة الجاهلية ، كما قدمنا ، هي مادة الشّعر الجاهلي ، وروحه ، أفلا يمكن لهذا النوع من الشّعر أن ينقضي بانقضاء تجربته الواقعية ، على أن نفهم هذا الانقضاء ، من حيث امتناع تكراره في ظروف أخرى مغايرة ، خارج النمط الجاهلي في المعيشة والتفكير والانفعال إزاء قضايا الإنسان والمصير . والحقيقة ، فإن ما جاء ، بعد المرحلة الجاهلية ، من شعر أموي وعباسي وأندلسي ، كان يعاني باستمرار من تناقض قاس ، بين سلطة النموذج الجاهلي ، في أسلوب النظم وموضوعاته ، وخصائصه ، وبين تغير معطيات التجربة اليومية ، في ظلٍّ قيام مجتمع المدن والدّول الجديدة .

ولقد امتدت معاناة هذا التناقض عبر تطوّر الحضارة العربية ، بقدر ما ازدادت الشّقة تباعداً ، ما بين اللّغة العربية الفصحى ، لغة الجاهلية ، وما بين تعدد اللّهجات العاميّة ، وأشكال التّحريف الّتي اعتَوَرَت اللّسان العربي الفصيح ، في مجتمع الامتزاج والاختلاط ، مع شعوب شتّى أخرى . ولعل ذلك ، هو السّبب ، في محاولة شعراء بني أميّة ، وبني العباس خاصة ، التمسّك بنموذج الشّعر الجاهلي ، وقياس الشّاعرية عندهم ، بمقياس الفصاحة ، وتقييم الفصاحة هي أيضاً ، بقدر تمسّكها بقوالب النظم القديم . وبَقِي وصف الشّاعر بالفحولة ، هو أعلى تقييم يعطى لموهبته . لأن الفحولة هي النّظم بلغة الصّحراء ، ومعانيها ، ومواقفها . حتى أدى هذا ، إلى طغيان النّزعة اللّغوية واللفظية ، على كلٍّ ما عداها من النزعات ، في نقد الشّاعر وتقييمه فنّياً وجمالياً .

هذا الاعتبار أصبح قانون النقد في العصور المتأخرة ، المعترف به رسمياً من أصحاب السّلطة الأدبية والفكرية . فكان من نتائجه أن رُفع شاعر إلى أعلى المقامات ، بسببٍ من

فحولته وفصاحته ، ومحافظته على القديم ، كالبحتري مثلاً . وأهمل شاعر آخر كإبن الرومي ، لغلبة التجديد في مضمون شعره بميل أقوى نحو الفردية والتجربة النفسيـــة . وكذلك ، وتحت سلطة هذا الاعتبار ، كان الاتّجاه الفكري ، يُدان به أحياناً ، شعـراء كبار كالمتنبي والمعري وأبي تمام ، لغلبة المضمون على قوالب النظم التقليدي .

وهكذا فإن النقد الرسمي ، المرتبط بالتقيم على أساس قرب القصيدة الجديدة أو بعدها عن النموذج الجاهلي ، لم يسيء إلى حركة التجديد فقط في الثقافة الحضارية المتطوّرة ، ولكنه أساء إلى الشّعر الجاهلي نفسه ، من عدة نواح ، منها أن مدرسة الفحولة ، عجزت عن فهم العمق الإنساني والفكري ، الّذي وَحّدَ البنية الوجودية للشّعر الجاهلي . فكان أن تعلّقت بألفاظ هذا الشّعر ، وقواعده اللّغوية ، وأشكال صياغته ، ومحدودية موضوعاته ظاهرياً . فاتَّجَهَ التّجديد في العصور المتأخرة ، نحو هذه اللّفظية السطحية ، وأهمل ما عداها ، حتى انتصرت صناعة البيان ، وتلاشت تجربة الشّاعر تحت وطأتها فما أن انتهى عهد العمالقة الكبار ، كالمتنبي وأبي تمام والبحتري والمعري وابن الرومي ، حتى انحدر الشّعر انحداره الأخطر نحو الاجترار في اللّفظ والمعنى .

ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من الشّعراء المغمورين ، الّذين تجاهلهم نفوذ النقد الرسمي ، وضاعوا تحت طبقات الحكام والأمراء ، شعروا بنوع من التحرّر من عبء هذا النقــد ، فانطلقوا يعبّرون عن تجاربهم الذّاتية ، وهمومهم الفردية والاجتماعية ، على هواهم ، فكان لبعض هــذا الشّعر ثمة قيمة ، من حيث صدق التعبير ، ودلالة الشّهـادة عـلى أحوال الفنان والمجتمع ، خلال ظروف الحضارة العربية وأفولها ، وإن ابتعد عن أصول النظــم التقليدي ، أو ضَعُفَ دون مستوى الصّياغة الفنيّة المقبولة .

ومنذ مطلع عصر النّهضة ، حتى منطلق الشّعر الحديث ، فإن مشكلة هذا التناقض ، بين تغير مضمون الحياة العربية ، وعلاقاتها الاجتماعية ، وقيمها الحضارية وبين سلطـة النماذج الاتباعية ، في التعبير الفني شعراً أو نثراً ، عن هذا التغيير الشامل ، لا زالت هي العامل المحرِّك لمدارس النقد والشّعر الجديدة .

وفي حين قام الشّعر الجاهلي ، كأعلى صورة فنية ، عن تطابق التعبير مع واقع التجربة الإنسانية في عصره ، فإن البحث عن وسيلة تطابق بين تغير هذه التجربة وأداة التعبير عنها ، قد ضلّ هذا الهدف ، منذ انحدار الحضارة العربية القديمة . وما زال ، تلك حاله ، حتى أيامنا هذه . وليس ثمة من سبيل إلى استعادة التجربة الجاهلية ، من أجل استعادة شِعر يشبه شعرها . ولكن السبيل ، هو أن يتحوّل عصرنا الحاضر الناهض ، إلى الكشف عن مقوماته

في أرضه ومجتمعه ، ليبعث شِعراً قادراً على بلوغ ذروة في التعبير والأصالة ، تناظر ذروة الشّعر الجاهلي ، وإن اختلف المضمون واختلف النطق به ، وبأساليب معاناته وترجمتها إلى ما ينسجم معها ، في فنون الحضارة الإنسانية المعاصرة .

* * *

وهنا لا بد لنا من أن نختم هذا البحث بتحليل ظاهرة الصّعلكة ، الّتي كانت مدرسة حياة وفن في الوقت ذاته ، تَخَرَّج فيها عدد من شعراء الجاهلية الأولى . وكان امرؤ القيس وطرفة وسواهما ، غير بعيدين عنها . حتى ليمكن أن نذهب بالرأي مع بعض القائلــين ، بأن تجربة الصّعلكة هي أكبر مصدر لتطور الشِعر الجاهلي ، في أساليبه ، ومضمونه الإنساني والوجودي .

ظاهرة الصعلكة

بالرغم من أن المثقف العربي ، قد سنحت له فرص كثيرة أثناء مطالعاته ، للتعرّف إلى بعض شذرات من حياة الصعاليك وشعرهم ، إلا أن هذه الفئة من الناس ، كما عاشت منبوذة من مجتمعها آنذاك ، استمرت منبوذة من قبل الدارسين والشارحين لآثار التراث الجاهلي ، منذ عصر النهضة حتى يومنا الحاضر .

وإذا كنا قد اصطلحنا على اعتبار أن تاريخ الشّعر العربي ، وأصوله الفنّية ومصادر تجاربه الإنسانية ، قد أخذت قواعدها الأولى من ثقافة الجاهليين العضوية ، فان أحد هذه المصادر الأساسية ، لا شك ، والتي هي الأقرب إلى مصطلح العفوية الحقيقية والتجربة الإنسانية اليومية المليئة ، نجده لدى الصّعاليك أكثر مما نجده لدى شعراء فحول آخرين ، من الجاهليين . أي أننا بقدر ما نعتبر تراث الجاهلية ، هو تراث الفتوة والحيوية الأولى في الحضارة العربية ، فان أكثر ما تنطبق عليه هذه الصّفات ، هو شعر الصّعاليك بكل تأكيد . .

ذلك أن أدب الإلتصاق بالبادية ، وألفة مفازاتها ووحوشها ، ومعاشرة خلائها وأنوائها ، وأن أدب الفروسية المباشرة وألفة العفوية المبدعة ، وقمم التجربة في معاناة الحرية ، والدفاع عن كرامة الإنسان بدون مجتمع ، بدون حماية ، بدون أي حد من حدود الضمانة العادية ، إن هذا الأدب ينطلق حاراً عنيفاً ، من خلال فروسية الصّعلوك ، وتقاليده الخاصة في معاناة الشّجاعة والجوع والكرامة ، والفقر من أي شكل من أشكال متاع الدنيا .

الصّعلوك فارس اليأس ، وبطل الحرية خارج المجتمع ، وعدو التقاليد التي تُسَوِّي بين الناس في الظلم والفقر والمهانة ، ولا تُسَوِّي بينهم في القيمة والغنى والكرامة .

الصّعلوك خارج القبيلة ، وفي عصر حتّمت المعيشة الطبيعية القاسية على أقوامه نمط الحياة الجماعية للدّفاع والغزو ، وتأمين الطعام والحماية . الصُّعلوك هذا ، حمل مسؤولية المعيشة كفرد ، مستغنياً بدفق من التمرّد ، غريب في دمه ، عن كلّ نوع من أنواع الضمانات داخل حياة الصحراء ، ومع وَحْشِها وفيافيها المجدبة المرملة ، وتلقاء عداوة الطبيعة والإنسان معاً .

فالشّعر الجاهلي ، هو شعر الحيوية العربية الاولى ، ولكن شعر الصّعاليك ، يكاد يكون هو جوهر هذه الحيوية ، في صفائها المطلق ، إذ أنها استطاعت أن تتحرر حتّى من تقاليد النمط القبلي من معيشة الجاهليين . على الرغم من بساطة هذا النمط وأولية تقاليده .

ولكن بالطبع ، فان شعر الصّعاليك ، النابع عن تجربة ، مطلقة الحرية ، وفي ظروف الحياة الجاهلية ، لا يخلو ، من التغني ، بهذا النّوع من التشرد العدمي ، الّذي هو غاية في حد ذاته . فإن عادات السّلب والنهب ، التّي كانت تؤلف جزءاً أساسياً من حياة القبائل نظراً لظروف الاقتتال على المرعى والكلأ ، هذه العادات تابعها معشرُ الصّعاليك بعد أن عرُّوها من كل اعتبار مزيف خارجي ، فأصبحت مُثُلُ الشجاعة والكرم والبطولة ومعاناة الشّدائد كلّها ، غايات إنسانية خالصة بالنسبة لفرسان الصّعاليك . وهم إذ يمارسونها بكل عنف وصرامة ، فانهم يربأون بهذه المعاناة أن تدخل تحت أي تصنيف خارجي اجتماعي ، يقضي على نقاوتها الفردية الأصيلة .

ولكن ليس معنى هذا أن جميع الصّعاليك كانوا ينزعون هذه النزعة في حياتهم ، بل أن قسماً كبيراً منهم ، وخاصة من الّذين حُرموا من أسباب القوة الجسدية والنفسية ، فقد خضعوا إلى حياة الذل ، وعاشوا أشبه بالشحاذين المعروفين في المجتمعات الأخرى .

إلاّ أن فئة أخرى من هؤلاء الصّعاليك ، أوتيت مواهب الشّجاعة والمقدرة النفسية والجسدية إلى جانب مواهب الإبداع الشعري والفصاحة ، فاقترنت عندهم حياة الفروسية بلحظات التعبير الفني ، وامتزجت عندهم تجربة الحياة العنيفة ، بتجربة التعبير الشعري المباشر عنها .

ولو أننا تتبعنا الفلسفة غير المباشرة التّي كانت تتضمنها حياة الصّعلكة ، وخاصة منها حياة المبدعين من فرسانها وشعرائها ، لوجدنا أنها قريبة جداً مما يسميه (نيشته) بنموذج البطولة (الديونوزوسية) ، نموذج الفرح بالحياة كما هي ، والإقبال عليها بفيض من القوة واتحاد النّفس بالجسد ، دون غلبة القيم الخارجية على المعاناة الذاتية .

فاننا نلتقي بالشّاعر والفارس من بين الصّعاليك ، وهو يقطع الصّحراء بحثاً عن موقعة بطولة ، أو لحظة انتشاء بموقف من الكرم ، أو موقف من المروءة للجائعين والمعدمين ، منتقماً لهم من ترف الأغنياء وأموالهم الفائضة .

فحين تتفجّر نشوةُ الحرية في أعماق الصُّعلوك الثائر ، نجد في سلسلة مواقفه المتوترة ، احتجاجاً كلّياً على أسلوب الحياة الاقتصادية السائدة آنذاك ، بين قبائل العرب .

فالصّعاليك الّذين ، ما كانوا يملكون شيئا من متاع الدنيا ،. راحوا في الوقت ذاته يسعون إلى تحقيق نوع من العدالة الإجتماعية على طريقتهم الخاصة .

ولذلك فأن تمرّدهم الفردي ، كان في الوقت ذاته ، يحمل دعوة اجتماعية صامتة عبّرت عنها أشعارهم في تصوير حياة الجوع ، والنقمة على الأغنياء الّذين نصبوا جداراً بينهم وبين صراخ المتألمين .

لقد رفض شعراء الصّعاليك ، الحياة الخاملة والمستضعفة ، وطلبوا المغامرة ، ولذة اكتشاف المجهول ومصارعة الخطوب ، وهم في ذلك لا يُبالون بصروف الحياة وَمَشَاقِّها ، يفخرون بفراغ بطونهم من الطّعام ، ويتغنّون بفقرهم وفقر عائلاتهم من أبسط أسباب المعيشة . ومع ذلك ، فانهم مندفعون متحمسون لحياة الحرية ، بدون قيود خارجية ، ولا حدود ذاتية تمنعهم عن الانطلاق والتعالي عن حياة الرعي والاستقرار قرب بيت من الشّعر وقطيع من الإبل .

وفي شعر الصّعاليك ارتباط حي بالطبيعة المباشرة ، ووصف غني لأحوال الإنسان المتشرد المتوحّد في الفيافي . وبقدر ما يحس الشّاعر منهم ، بأنه منبوذ من أهله وقومه بقدر ما يغوص في وحدة الطبيعة ، ويأنس إلى برها ووحشها . ولذلك كثُر في شعر الصّعاليك التفاخر بعشرة أبناء الطبيعة ، بعيداً عن الإنسان . كما غلب عليهم التَفَجُّع من رياء البشر ونفاقهم ، من غدرهم ، وتنكرهم للأبطال . حتى لكأن الشاعر الصّعلوك يوحي للناس أنه اختار أن يكون منبوذاً بملء إرادته . ولم يُقبل على الصّعلكة ، إلاّ ترفعاً منه عن حياة المجتمع الّذي نبذه .

وهنا نجد الصعلوك وكأنه قلب الآية . فاذا هو النابذ لقومه ، بدلاً من أن يكون المنبوذ . وهو المتمرد على قيم قومه وعاداته ، في الغزو والثأر الجماعي . وهو بعد . المتوحّد ، المُشْتَرِع لنفسه قانونه الخاص ، والمشرَّع له .

وهكذا يقيم الصّعلوك الشّاعر دولة حريته ، بمنأى عن العشير والأهل . وبذلك . فانه يتيح لنفسه ، كل ما يراه مناسباً لمطمحه في المغامرة والغزو ، في الحب والخمر ، وفي الكرم والمروءة . . تلك القيم الّتي يقبل عليها الفارس الصّعلوك مرضاة لنفسه قبل كل شيء ، وبعيداً عن بوارق الشهرة بين الآخرين .

حتى لقد تفوق بين الصّعاليك ، من الكرماء من يطاول باعُه أشهر كرماء العرب ، كحاتم الطائي ، ومن ينافس أعظم فرسانهم كعنترة ، ومن يضاهي أبرز مجيريهم كالسّموأل .

وهكذا حفل شعر الصّعاليك بقصص مآثرهم الحقيقية . حتى ضَعُفَ عندهم . عنصر المبالغة الّذي يسود أكثر قصائد الجاهليين . إذ أن شعر الصّعاليك بقي مرآة عفوية صادقة لمواقف ومواقع حياتهم وأحداثها الغريبة . وجاء أكثر شعرهم بعيداً عن الصنعة والتكلّف ، وبعضه أوغل في نزعته ، حتى الانتشاء بالألم والشّقاء .

وبعضه قد يغرق في تتبع الجزئيات والأوصاف المعهودة للنّاقة ، والسلاح ، ومظاهر الأرض والفلاة . ولكن مع ذلك فإن هذه الجزئيات تكاد تَشُعُّ بخلق جديد . من خلال تجربة الشّاعر الصّعلوك الفذّة . ذلك أنها تتلوَّن بأحاسيسه . بموقف الدهشة من روائع العالم . فلا يمل الصّعلوك من معاقرة خمرة الوحشة . حتى يُوغل في أبعد المفازات التي لم تطرقها قَدَمُ إنسان من قبل ، ولا يفتأ يكرر ميزاته كمخلوق من نوع آخر ، أقرب إلى وحش الطبيعة منه إلى الإنسان . وهذا المخلوق عدَّاءٌ من الطّرَّاز الأول . عليم بمصارعة الوحوش ، قادر على التغلّب على الظمأ والجوع . يكاد يغزو بمفرده الجماعات والقوافل ، معتمداً على سرعة حركته ، وجرأته وقدرته على شل اعدائه كأنه الأسد الهصور أو الباشق المغير .

والفارس الصُّعلوك ، أبعد الناس تعَلُّقا بأماني الحياة . فهو راغب عن الدنيا وإن كان من أكابر عشاق مسراتها وملاذها الطبيعية المباشرة . لكنه يَعِفُّ عن عيشة مع الضّعة . وعن غذاء مع الذّل . وعن عمر بلا مغامرة أو مأثرة فروسية . ولذلك كانت اللحظة الفنية هي ذروة الحياة عنده . فكان يحمل شعار : أن يعيش الإنسان عَرضاً وعُمْقاً ، وألا يعيش طولاً واستمراراً رتيباً عقيماً .

فإن ما عاناه الصّعلوك الفارس قبل مئات السنين ، أصبح مصدر فلسفة وفكر في عصور الحضارة الجديدة . كما في المذاهب الحيوية والوجودية إعتباراً من (نيتشه) و(غوبو) ، إلى (سارتر) ، و(كامو) .

مع الفارق ، وهو أن شاعرنا الصعلوك ، قد عاش أفكاره وأحاسيسه وسط التجربة المادية الكثيفة . بينما أتى هؤلاء المفكرون بفلسفاتهم ، وهم غارقون في زيف الحياة العصرية المتكلّفة وفي وقت الأفول الحضاري . فهي إذن فلسفات حنين لشباب الإنسان وفتوته ، أكثر منها تصوير لواقع الإنسان الحالي .

* * *

ولا بد أن نشير إلى مشكلة الشُّكوك الّتي تثار حول شعر الصعاليك ، وهي مشكلة ذات شقين ، أولهما يتعلق بالإختلاط الواقع في نسبة قصائد ومقطوعات لأكثر

من شاعر واحد . والشق الثاني يتعلق بما يقال : عن ضياع القسم الأكبر من شعر الصّعاليك ، وخاصة منه المنسوب إلى كبارهم ، كالشَّنْفَرَى ، وعُرْوَة بن الورد ، وتَأَبَّطَ شرّاً ، وما يقال : عن كثرة النحل فيه . حتى لقد دأبت بعض الروايات الأدبية ، على التشكيك في أهم القصائد ، ونقصد (لامية العرب) للشَّنْفَرى خاصة . فالجدل حول صحة انتساب هذه القصيدة ، ما زال يدور حتى اليوم بين دارسي الأدب القديم ونُقّاده . والذين يميلون إلى عدم الأخذ بصحة روايتها عن الشَّنْفَرى ، يستندون إلى أقوال عديدة ، تُلَمّح إلى أن (خَلَفَ الأحْمَر) هو ناظمها .

ومهما يكن من أمر ، فان الناقد الحديث يستطيع أن يضع بعض الحلول المؤقتة لمشكلة الشّكوك هذه ، في شُقَّيها ، كما سبق أن قلنا في هذا البحث أما القول : باختلاط نسبة القصائد فالرد عليه ، هو أن ذلك لا يقلل من قيمة هذه القصائد ، ومن كونها ترتبط بهذا الشّاعر أو ذاك ، ما دامت تعبّر عن جو متجانس وتنطلق عن تجربة متكاملة ، ساهم فيها شعراء اصدقاء ، كثيراً ما كان بعضهم يبدأ القصيدة ، فيتمّمها زميله الثاني والثالث وهكذا ، وأما القول : بأن (لامية العرب) وهي أهم ما في ديوان الصّعاليك أو على الأقل هي أفضل ما وصلنا من ديوانهم .. هذه اللاّمية ،منحولة كلّها وقد صنعها (خلف الأحمر) ، فذلك أمر لا يمكن قبوله تاريخياً .إذ أن (خَلَف الأحمر) الذي انتحل وصنع قصائد كثيرة ، ونسبها إلى شعراء عرب كبار وحوَّر وعدَّل ، أتم وأنْقصَ ، من قصائد وأبيات ، لم ينظم قصيدة الشَّنْفَرَى كلّها ، وهو على أبعد حد ، قد مارس هوايته العجيبة ، في التحوير والتغير في مقاطع أو أبيات ، أو أجزاء من أبيات في هذه القصيدة . ولولا نَفَسها الخاص ، وجوها الذاتي ، بما تحمله من جميع خصائص التجربة ، الّتي تَمَيَّزت بها حياة هذه الفئة الغريبة من فرسان العرب ومتشرديها ، ولولا الوحدة القوية ، الَّتي تسيطر على كلّية القصيدة ، لأمكن القول أنها تَمُتُّ إلى عصر ، هو غير العصر الجاهلي ، وإلى شاعر ، ليس من الصّعاليك ، كخلف الأحمر مثلا .

إن مضمون هذه القصيدة الفريد ، وأسلوب صياغتها المتين المبدع ، والحماسة النّفسية الّتي توقد وَهْجَها ، كل هذا يجعلها بعيدة عن أن تكون مصنوعة ، أو منحولة على يد ليست يد شاعر ، ولشاعر ليس من الجيل الجاهلي ، ولشاعر جاهلي ، ليس من طائفة الصّعاليك .

ولا يهم بعد هذا إن كان صاحب القصيدة هو الشَّنْفَرى أو تأبط شراً ، ما دام في عضوية هذه القصيدة ، تتردد روحٌ واضحة ، لا يمكن أن تتكرر ، فيما عدا ذلك

العصر، ولدى فئة، ليست من جذوة الصّعلكة . والبداوة الفردية المبدعة ، والتجربة الطبيعية المباشرة الّتي اختصت بها لامية العرب .

ومن ناحية أخرى ، يجب أن ننتبه إلى أهمية ذلك الصراع الشّعوبي العنيف ، الّذي اختفى وراء الفئات الأدبية المتصارعة ، في العصر العباسي ، على ادعاء الأدب الجاهلي والطّعن في أصوله وأشخاصه ، وإبداعاته .

فلقد وقفت (لامية العرب) كأوضح شاهد مبدع على أصالة الحياة الفروسية الجاهلية وحضارتها الذاتية ، ورقيها الفكري الخاص ، ووجد أنصار الشُّعوبية في هذه القصيدة خاصة دليلاً قوياً ينقض ادعاءاتهم ، ولذلك ، فلا عجب أن حاولوا طمس أصلها ، وردها إلى النّحل والزّيف حتى ظهرت (لامية العجم) (لِصُرَّدُر) وكأنها محاولة لمعارضة لامية العرب للشّنفرى .

والخلاصة ، فإن ما قلناه في مقدمة هذا البحث ، عن مشكلة النّحل والشكوك حول انتساب الأشعار لأصحابها ، يمكن أن نطبقه على موضوع النّحل في شعر الصّعاليك .

فما يهتم به الناقد الحديث ، هو مدى تطابق التجربة ، وأسلوب التعبير عنها ، على خصائص العصر ، والشّعراء المنسوبة اليهم تلك القصائد .
وحتى لوكان هناك بعض المنحول والدخيل على قصائد الصّعاليك ، ومقطوعاتهم ، فان ذلك ، لا يشوِّهُ من الأصول المقلدة ، ما دام الناظم المنتحل لها ، يحاول أن يستبطن تجربة الصّعاليك ، وأن يتفهم خصائصها ، لينظم على غرار ما كان معروفاً ثابتاً أصله وانتسابه للشّعراء الصعاليك ، في عصر الانتحال ، وتضارب الروايات ، وخلال ظروف الصِّراع السّياسي ما بين تأكيد النزعة العربية ، والدفاع عن أصول ثقافتها ، وما بين تعدد جبهات الهجوم والنيل من هذه الثقافة ، على يد المتعصبين لشعوبهم غير العربية

وبكلمة واحدة ، فان ظاهرة الصّعلكة ، وما أنتجته من مآثر فروسية وإنسانية ، على صعيد السُّلوك الفردي والأجتماعي ، وما قدمته من تجارب حيوية عَبَّرت عن نفسها في قصائد كثيرة ، وفي مقاطع شعرية رائعة ، هي واحدة من الظّواهر المجهولة في تراثنا التاريخي والأدبي ، تحتاج إلى جلاء وتحليل واكتشاف ، يطلعنا على كنوزها الفكرية والأدبية .

الشُعَراءُ الصَّعاليك

الشَّنْفَرى
تَأَبَّطَ شَرّاً
السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَةِ
عَمْرو بنُ بَرَّاقٍ
عُرْوَةُ بنْ الوَرْدِ

الشَّنْفَرَى[1]

الشَّنفَرى[1]

هو ثابت بن أوس الأزدي ، الملقب بالشَّنْفَرى . ولم يعرف تاريخ ولادته . وقيل في نشأته آراء مختلفة وروايات متباينة . ولكن ثمة إجماع على القول : بأنه عاش ونشأ بين بني سلامان من بني فَهْم الَّذين أسروه ، وهو طفل صغير . فلما شبّ عرف بقصّة أسره ، فحلف أن يقتل منهم مائة رجل . ولقد اشتهر عن الشَّنْفَرى مع زملائه ، كَتأبَّط شَرّاً ، وعَمْرو بنُ بَرّاقة ، أنه كان من أشهر عدّائي الصّعاليك ، وأكثرهم جرأة ، وأشدهم دهاء . وقد عاش مع إخوانه ، تارة ، ومنفرداً ، تارة أخرى ، في البراري والجبال والمفازات البعيدة ، يغزو على قدَمَيْه ، مرة ، وعلى فرسه ، مرة أخرى ، ويهاجم أضعاف عدده من النّاس ويسلبهم . وقد مات مقتولاً على يد أحد أفراد القبيلة التي انتقم منها ، وقتل تسعة وتسعين من رجالها . وأما القتيل المائة ، فقيل : إنه بعد أن مات الشَّنْفَرى ، رفسه هذا الرجل على جمجمته ، فدخلت شظيَّة في قدمه وقتلته .

يتقدم الشَّنْفَرى شعراء الصعاليك ، جميعاً ، بفضل شهرة قصيدته المطوّلة المعروفة باسم لاميَّة العرب . وإذا كانت كتب الأدب قد نقلت لنا قصائد ومقطوعات أخرى ، نسبت إليه ، فان لاميَّة العرب تظلّ هي المتفوّقة ، ليس من حيث طولها فحسب ، ولكن من حيث بروز الخصائص الفنية واللّغوية الممتازة التي شهرت الشَّنْفَرى ، وأعلت من قيمة شعر الصّعاليك عامة .

فإذا كان عُرْوَةُ بنُ الوَرْد قد تزعَّم جماعات الصّعاليك ، فان الشَّنْفَرى هو زعيمهم شعرياً بدون مزاحم . ذلك ان الشَّنْفَرى لم يُطْلعنا وحسب على أسرار حياة الصّعاليك وأهدافهم ، وأساليب تصعلكهم ، كما فعل غيره من الشعراء زملائه ، بل لقد ارتفع في تصوير هذه الحياة إلى مستوى الخلق الفنّي الموهوب ، حتى أضحت لاميَّة العرب واحدة من أهم وثائق الفنّ والحياة المعبّرة عن نموذج المعيشة الجاهلية .

فالشَّنْفَرى ، في هذه اللاميَّة الخصبة ، وفي غيرها من المقطوعات القليلة التي وصلتنا ، يؤكّد باستمرار على تفرّد الصّعلوك ، وتمرده ، وشجاعته ، وصبره على الشدائد ، ويصوّر أساليب الغزو ، وأنواع الأسلحة التي يستخدمها . ولكن هذه الموضوعات تختص ، عند الشَّنْفَرى ، بصياغة رائعة ، كشفت عن حسّ شعريّ بأسرار اللغة ، وعلاقات الألفاظ ، وقدرتها على تكوين الأجواء النفسية المطلوبة . فكانت حياة البداوة الأولى أشبه بعالم أسطوريّ ، وكان الشَّنْفَرى واحداً من أبطال هذا

العالم الموهوم . ولذلك ، فإن واقعيَّة الوصف لمظاهر هذا العـالم ، قد شفَّفتها أجواءُ الأسطورة التي نَسَجَها الشعرُ الملتهب بأهواء الإقبالة شبه الصوفية على عناصر هذا النَّوع من الوجود الغريب . فإن حماسةَ الشَّنْفَرى للصحراء والوحش ، وتطلّعَه إلى الحرية والوحدة ، ومغامراته في سبيل إكفاء نفسه وأصحابه ، كلّ ذلك قد صنع طبقة من الفكر والذّوق والرقيّ المعنوي ، فوق خشونة المنظر المُبْتذل للسَّرقة والغزو ، ومعاناة الصعلكة بتفاصيلها التي قد تصدم الوجدان المتحضّر الرقيق .

فلقد كانت تلك الصياغة الفنية العالية ، مع فخامة اللغة العربية الأولى ، وتعدّد زوايا الرؤيـة الشعرية ، من البراعة والموهبة والرقي الذوقي ، بحيث حوّلت مباذلَ الصعلكة ذاتَها إلى قيم خاصة ، قادرة على تبرير هذا النَّوع من السلوك ، جمالياً ، على الأقل ، وإن لم يكن خُلُقياً واجتماعياً .

ولكن الشَّنْفَرى ، كما فجَّر موضوعات التصعلك ، ووقائع هذا النَّمط من حياة التمرّد والخروج على تقاليد المجتمع القَبائلي ، من ناحية شعرية ، فانه حاول أن يجعل منها شهادة على فروسيته وشجاعته وكرمه ، واعتمادِه المطلق على إمكانياته كفرد متوحّد . ثم أن الشَّنْفَرى لم يُهْمل جانب الإنسانيـة المُضْطهدة المظلومة من نفسه . فلأ تمردَه غضباً على أعدائه الذين دفعوه إلى حياة انطلقت من مبدإ المطالبة بثأر عن سبَيْه صغيراً ، ولطفولته الذليلة عند القوم الذين اضطهدوه واستعبدوه حتى شبّ ، وراح ينظّم أهداف وجوده ، حسب ثورة الانتقام في نفسه .

ان الشَّنْفَرى الذي اشتهر كواحد من أشجع فرسان الصعاليك ، ومن أقواهم شكيمة وأكثرهم قدرة على الغزو ، عدْواً وفراراً على قدميه ، كان في الوقت نفسه رجلَ صبابة ووَجْد . كان شاعر غَزل لطيف ، كاشفاً لغوايات الأنوثة ، متعشّقاً لمفاتنها ، متذوّقاً لقيم المرأة المُشاركة لهموم زوجها ، المتحلّية بأخلاق العفَّة ، المتطبّعة بطباع المرأة المتقدّمة مدنياً ؛ حتى أصبحت أوصاف الشَّنْفَرى للمرأة ، نموذجاً يُحتذى لدى شعراء الجيل الثاني من الجاهلية ، وكأنها أوصاف للمرأة الكاملة المرموقـة وجدانياً واجتماعياً .

والخلاصة فإن الشَّنْفَرى قد أعطى أعلى ما يمكن أن تقدّمه موهبة فطرية شفَّافة ، مأخوذة بحماسة الانطلاق والحرية والغلبة ، معجونة بحيوية التجربة المادية المُعَاشة . فجاءت قصيدته المطوّلـة ومقطوعاته أفضل صورة عن تراث المعيشة الصحراوية المبدعة فوق الواقع ، على مستوى الأسطورة والشعر ، من فنّ وحقيقة ، ومذهب حياة خارقة فذّة .

تعتبر لاميّة العرب من أفضل نماذج الشعر الجاهلي عامة ، وشعر الصعاليك خاصة ، وذلك لما حَوَتْهُ من مميّزات أساسية ، في إبراز حياة الصعلوك وخصاله في الفروسية والبطولة ، واليأس من الجماعة الإنسانية .

وقد حرص فيها الشاعر على رسم شخصيته ذاتياً وخارجياً ، مُعجباً بقوّته النفسية والجسدية ، مفصّلا لفلسفته في مقارعة الخطوب ، ومواجهة تحديات الطبيعة ، وسرعة شنّة للغزوات في اللّيل والنهار .

والقصيدة ، بعد ذلك ، حافلة بالصور الحسّية المباشرة ، غنية بالإيقاع الموسيقي الذي يكاد يُعيد لنا صفحة من الحياة النادرة لأولئك الفرسان المشرّدين . وبالرغم من أن هذه القصيدة ، قد حفلت بموضوعات كثيرة ، إلا أنها حافظت على وحدتها في المحور الذي تدور حوله ، وهو محور شخصية الشاعر التي عرضها صاحبُها ، من مختلف جوانبها النفسية والحركية ، باطار فنّي رائع .

يبدأ الشاعر قصيدته بتصوير قرار هجرته عن أهله ، وانسياحه في الأرض بعيداً عن أذى قومه له (١) ، وكيف أنه يفضّل عشرةَ وحوش البرّ على عشرة قومه ، حتى أنه يقارن بين شجاعته وشجاعة الوحش ، فيرى أنه أشجع منه . وإذ أصبح الشاعر منفرداً بنفسه في البراري ، فانه لم يجد له إلا ثلاثة أصحاب هم : قلبه الأبيّ الشجاع ، وسيفه الأبيض ، وقوسه الصفراء ، ولقد راح ينطلق عدْواً في الصحراء ، صابراً على الجوع والعطش ، مقارناً نفسه بالذئب المتضوّر جوعاً ، وهو في ذلك لا يتفجّع على نفسه ، بقدر ما يفخر بها .

---

(١) روي عن الشنفرى أنه أخذ أسير فداء . في بني سلامان بن مفرج ، وهو غلام صغير . فنشأ بينهم وأساؤوا إليه . دون أن يعلم بحقيقة أمره . ثم عندما عرف هذه الحقيقة . توعد القوم بأن يقتل منهم مئة رجل ، وتقول الرواية : أنه نفذ وعده فيهم .

وكذلك فان الشاعر مثلما نافس الذئب في جوعه ، نافس القطا في سرعة وروده للماء . وحين يفترش الصحراء يحس ألم ظهره ، لنحولته وجوعه . وهو ، مع ذلك ، وبالرغم من شعوره بحريته المطلقة مع الطبيعة ، يعترف بهمومه التي يعانيها من كونه طريداً مشرّداً ، وهو صابر على ذلك ، غير طامع بغنى ولا متألم من فقر .

ويعرج الشاعر أخيراً على وصف غزوة من غزواته ، خلال ليلة مظلمة ممطرة ، ثم خلال نهار شديد الحرّ . ولا ينسى أن يصف سرعة عَدْوه بالبرّ ، ومؤالفته لوعول الجبال ، وسبقه لها ، وعند المساء تتجمع حوله هذه الوعول مستأنسة به كأنّه واحد منها .

لَامِيَّةُ العَرَبِ

١ أَقيموا ، بني أُمّي ، صُدورَ مَطِيِّكُم ، ... فإنِّي ، إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ ، لَأَمْيَلُ !

٢ فَقَدْ حُمَّت الحَاجَاتُ ، وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ ... وشُدَّتْ ، لِطِيَّاتٍ ، مَطَايَا وأَرْحُلُ ؛

٣ وفي الْأَرْضِ مَنْأًى ، لِلْكَرِيم ، عن الْأَذَى ... وفيهَا ، لِمَنْ خَافَ القِلَى ، مُتَعَزَّلُ .

٤ لَعَمْرُكَ ، مَا بالْأَرْضِ ضيقٌ على امْرِىءٍ ... سَرَى رَاغباً أَوْ رَاهِباً ، وَهُوَ يَعْقِلُ .

٥ وَلِي ، دُونَكُم ، أَهْلُونَ : سِيْدٌ عَمَلَّسٌ ... وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ ، وعَرْفَـاءُ جَيْأَلُ ؛

---

١ المَطيّ : ما يركب من الدواب . أقيمُوا : استعدوا للرحيل . أمْيَل : اسم تفضيل من مال .

• يتمنى الشاعر أن يرتحل عنه أهله ، وأن ينطلق هو إلى صحبة سواهم من وحوش البرية ، أو زملاء الصعلكة . وفي ذلك تشخيص واضح لموقف الشاعر الصعلوك من المجتمع .

٢ حُمَّتْ : قدرت وتهيَّأت . طِيَّات : جمع طيَّة ، ما تنطوي عليه النفس من حاجات وميول .

• فلقد نضجت في النفس حاجاتها للسفر والترحال ، كما أُعِدّت عدّة السَّفر ، وخلال وقت مناسب ، وهو الليل المقمر الكاشف للطَّريق .

٣ مَنْأى : المنزل البعيد . القِلى : الكراهية والحقد . مُتَعَزّل : مكان التوحد والانعزال .

• إن الشاعر المفجوع بأهله ، ما زال يأمل بوجود منزل بعيد له ، يلجأ إليه متفرداً ، متوحداً ، ناجياً بكرامته من البغض والمُبْغضين .

٤ سَرَى : مشى ليلا .

• يقسم للتوكيد أن العالم ما زال متّسعاً لكل مرتحل في غياهب الليل ، لهدف في ذاته ، يوافي به ويعقله . وبذلك يخطّ الشاعر الصعلوك قاعدة أساسية للمتوحد ، هو إيمانه بذاته وقدرته على التفرّد .

٥ السِيْد : الذئب . العَمَلَّس : القويّ على السير والجري . أرْقَطُ زُهْلُول : نمر أملس ويجوز الحيَّة (تذكَّر وتونَّث) . عَرْفَاء : أي ذات عُرف . وجَيْأل : من أسماء الضبع ، أي الضبع ذات العرف الطويل ، وهو شعر أعلى العنق .

• إنّ الشاعر الصعلوك الذي هجر أهله ، أدان الإنسانية كلها ، واستعاض عنها بمصاحبة الوحوش في البراري . وليس ذلك إلاّ إمعاناً في العودة إلى أصل الحياة وبراءتها الأولى .

٦ هُمُ الأَهْلُ. لَا مستَودَعُ السِّرِّ ذائعٌ لَدَيْهِمْ، وَلاَ الْجَانِي، بِما جَرَّ، يُخْذَلُ

٧ وَكُلٌّ أَبِيٌّ، بَاسِـلٌ. غَيْرَ أَنَّني، إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ، أَبْسَلُ،

٨ وإِن مُدَّتِ الأَيْدِي إِلى الزَّادِ، لَمْ أَكُنْ بأَعْجَلِهِمْ، إِذْ أَجْشَعُ القوم أَعْجَلُ

٩ وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّـلٍ عَلَيْهِم، وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ!

١٠ وَإِني كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِياً بِحُسْنَى، وَلاَ في قُرْبِهِ مُتَعَلَّـلُ،

١١ ثَلاَثَـةُ أَصْحَابٍ: فُـؤَادٌ مُشَيَّعٌ، وَأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ، وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ،

---

٦ جَرَّ : ارتكب جريرة أو إثماً .

* إن رفقة الوحوش تغني عن النميمة والطعن من الخلف . وهي لا تخذُل صاحبَها ، إن أتَى ما تأخذُه عليه الجماعةُ البشرية من إثم أوجريرة . وفي ذلك يضع الشاعر نفسه ضد المفهوم الجذري للأخلاق السائدة ، إذ أنّ ما يُسميه المجتمعُ جريرةَ أوإثماً ، قد لا يكون هوكذلك في نظر الشاعر الهائم خارجَ إطار هذه المجتمعات .

٧ أبيّ : صاحب الأنفة والعزّة . بَاسل : شجاع .

* يَعتزّ الشاعر بشجاعته ، إذا واجه هدفاً أوطريدة صيد ، أوطريدة عدوّ. فلا بدّ أن تكون له الغَلَبةُ عليها .

٨ أجْشَع : من الجشع ، المحبّ النّهم للطعام .

* يتعفّف الشاعر عن سلوك الجشع . وبذلك تَبْرز لدى الصعلوك صفة مدنية ، هي أقرب إلى خصائص الفروسية الراقية منها إلى خصائص التشرد المبتذل .

٩ البَسْطَة : السعَة في العيش . التَّفَضّل : الإكرام .

* إنّ ترفّع الشاعر عن الجشع وسواه ، ليس سوى مظهر من مظاهر غناه النفسيّ بالكرم ، وغناه المادي بسعة العيش .

١٠ فَقْدَ : مفعول ثان (لكفاني) . المُتَعَلّل : الشيء الذي يُمنّي الإنسانُ نفسه به لإلهائها .

١١ ثَلاَثَة : فاعل كفاني في البيت السابق .

* يقول : إن ثلاثة أشياء تُغنيني عن فَقْد من لم ألْقَ منهم خيراً ، ومن ليس لي في صُحبتهم نفع ومُلتهى . والثلاثة هي : فؤاد مُشيَّع ، أي قلب شجاع جسور ، وأبيض إصْليت : أي سيف صقيل . وصَفْرَاءُ عَيْطَل : أي قوس صفراء ، طويلة العنق متينة .

١٢ هَتُوفٌ ، مِنَ المُلْسِ المُتُونِ ، يَزِينُها رَصَائعُ قَدْ نِيطَتْ إلَيْهَا ، وَمِحْمَلُ ،

١٣ إذا زلّ عَنْها السَّهمُ ، حَنّتْ كَأَنَّها مُرَزَّأةٌ ، ثَكْـلى ، ترِنُّ وتُعْوِلُ .

١٤ وَلَسْتُ بِمِهْيافٍ ، يُعَشِّي سَوَامَــهُ ، مُجَـدَّعَةً سُقْبانُها ، وهْيَ بُهَّلُ ؛

١٥ وَلَا جُبَّـــأ أَكْهَى مُرِبٍّ بعِرْسِهِ يُطَالِعُهَا في شأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَـلُ ؛

١٦ وَلَا خَـــرِقٍ هَيْقٍ ، كَأَنَّ فُؤادَهُ يَظَلُّ بِـهِ المُكَّـاءُ يَعْلُو وَيَسْفُـلُ ،

---

١٢ هَتُوف : أي أن القوس ذات رنين يصدر عن وترها المشدود . المُلْس المُتُون : جوانبها . نيطَتْ بها : علقت بها . الرّصائع : ما تُرصّع به السيوف من جواهر وغيرها . المحْمَل : ما يحمل به السَّيف أو القوس .

١٣ المُرَزّأة : التي أصابها مصيبة .

* يُشخّص الشاعرُ القوسَ ، ويُسقطُ عليها شعورَ الإنسان ، فهي تُعْولُ وترنّ ، إذا ما زلّ عنها السهم ، كأنها أمّ ثكلت ولداً لها . وفي هذه الصورة نزعة وجدانيّة ظاهرة ، ومحاولة إحياء للقوس والسَّهم معاً .

١٤ مهْيَاف : السريع الظمأ وسط النهار . يُعَشّي سَوَامه : يرعى إبله في العشاء ، أي يتأخر في الرواح من المراعي . المُجدّعة : السيّئة الغذاء . السُّقْبان : جمع سقب ، صغير الناقة . البُهَّل : ج . باهل وباهلة ، الناقة التي لا صرارَ على ضرْعها ، لمنع أولادها من الرضاعة .

* يريد أنه متعفف فلا يشرب حليب نياقه ، ويتأخر بالرواح حتى تعوض النياق عما شربه من لبنها وليس كالرعاة الآخرين الذين يمنعون صغار الإبل عن الرضاعة ، ليحتفظوا بلبنها لهم . بل إنك ترى صغار إبلي سمينة ، ليست سيئة الغذاء ، لأن الأمهات لا صرار لها .

١٥ الجُبَّأ : الجبان . الأكْهَى : سيء الأخلاق . مُربّ : مقيم في مكان . العِرْس : الزوجة .

* يصف الشاعر نفسه بأنه ليس رجلا جباناً قعيد منزله ، لاجئاً عند زوجه ، يشاورها في كلّ الأمور .

١٦ الخَرِق : المذهول من الذعر ، أو الخجل . الهَيْق : الظليم ، ذكر النعام . المُكّاء : طائر . يمكو : يصفر كثيراً . وهو كثير الخفوق بجناحيه .

* لست كالظليم الذي سرعان ما يصاب بالخوف عند حدوث أية نأمة ، فيرتعد فؤاده ، ويرتجف كأنه طائر خفوق الجناح ، يعلو ويسفل باستمرار .

١٧ وَلا خَالِفٍ دَارِيَّــةٍ ، مُتَغَزِّلٍ ، يَرُوحُ وَيَغْـدُو ، دَاهِناً ، يَتَكَحَّلُ .

١٨ وَلَسْتُ بِعَـلٍّ شَرُّهُ دُوْنَ خَيْرِهِ ، أَلَفَّ ، إذا مَا رُعتَهُ اهْتَاجَ ، أَعْزَلُ .

١٩ وَلَسْتُ بِمحْيارِ الظَّلاَمِ ، إذا انْتَحتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسِّيفِ يَهْمَاءُ هَوْجَلُ

٢٠ إذا الأَمْعَزُ الصَّوَّان لاَقَى مَناسِمي ، تَطَايَرَ مِنْـهُ قَـادِحٌ ومُفَلَّـــلُ .

٢١ أُديمُ مِطَــالَ الجُوعِ حَتَّى أُمِيتَـهُ ، وأَضْرِبُ عنه الذِّكْرَ صَفْحاً ، فأُذهَلُ ؛

---

١٧ الخَالف : الذي لا خير فيه ، والقاعد خلف القوم عن الأعمال الكبيرة ، والأحمق . الدّارية : الملتجيء إلى داره لا يبارحها . المُتَغَزِّلُ : المتشبب بالنساء .

* ولست برجل قليل الخير ، لا يفارق داره ، يصبح ويمسي جالساً إلى النساء لمحادثتهن ، . وهو يدّهن ويكتحل كأنه منهن .

١٨ العَلّ : القرّاد ، ذبابة الخيل ، يستعار للرجل الصغير الجسم . ألَفّ : العاجز الذي لا يقوم لحرب ولا لضيف . رَاعَه : أفزعه . إهْتَاجَ : تَحيَّرَ الأحمق .

* لست برجل ضعيف الجسم والهمَّة ، يعلوشَرُّهُ على خيره ، لا يسعى في أمرحرب ولا ضيف ، وهو حينما يخشى من شيء ، يفرّ من أمامه كالأحمق ، ويهاب حتى من حمل السلاح .

١٩ المحيّار : شديد الحيرة « كثير الارتباك » . إنْتَحَتْ : قصدت واعترضت . الهَوْجَل : الرجل المفرط الطول ، الأحمق . العسيف : السائر في طريق من دون دليل ، وعلى غير هداية ولا قصد . اليَهْمَاء : البرية التي يتيه فيها المرء ولا يجد طريقه . الهَوْجَل : الثانية : صفة للبرية ، وفيها تجسيم ؛ يعتبرها الشاعر تشبه الإنسان الشديد الطول ، والتي يضلّ فيها المرء طريقه .

* لا يربكني الظلام حتى في الفلوات البعيدة المخيفة التي يضلّ فيها الرجل الأحمق .

٢٠ الأمْعَز : المكان الصلب الكثير الحصى . الصوّان : صفة للمكان القاصي الذي يكثر فيه حجر الصوان . المَناسم : جمع المنسم ، خف البعير . القَادح : الذي يقدح ناراً . المُفَلَّل : المكسَّر .

* يقول : لأنه يسير حافياً ، فقد أصبح خفّ قَدَمه صلباً كحافر الحصان قوةً .

٢١ المِطَال : مصدر ماطله ، أي مدّة وسوّفه . أذْهَل : أنسى .

* أشاغل الجوع حتى يذهب عني وأنساه . وبذلك يصف الشاعر نفسه أنه قوّي على ردّ رغبات نفسه .

٢٢ وأَسْتَفُّ تُرْب الأَرْضِ كَيْ لا يَرَى لَهُ عَلَيَّ ، مِنَ الطَّوْلِ ، امرُؤٌ مُتطَوِّلُ .

٢٣ وَلَوْلا اجْتِنَابُ الذَّأْم ، لَمْ يُلفَ مَشْرَبٌ يُعاش بِهِ ، إِلاَّ لَدَيَّ ، وَمأْكَلُ ؛

٢٤ وَلٰكِنَّ نَفْساً مُرَّةً لا تُقِيم بِي عَلَى الضَّيْمِ ، إِلاَّ رَيْثَمَا أَتحَوَّلُ .

٢٥ وأَطوِي عَلَى الخُمْصِ الحَوَايا ، كَمَا انْطَوَت خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ ؛

٢٦ وأَغْدُو عَلَى القُوتِ الزَّهِيدِ ، كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ ، أَطْحَلُ ،

---

٢٢ سَفَّ الدَّوَاء : أخذه بشكل مسحوق أو غير ملتوث أي غير ذائب في الماء ولا معجون . الطَّوْل : الفضل والمنَّة .

* أتشرد في البراري وأستفّ تراب الأرض ، حتى لا أضطر إلى طلب منَّة من أحد .

٢٣ الذّأم : اللّوم والذم .

* يريد الشاعر أن يدفع عنه تهمة العجز ، في الحصول على الطعام ، بينما هو ، في الواقع ، إذا أراد ، قادر على جمع أصناف المآكل والمشارب ، شأنه في ذلك شأن الآخرين .

٢٤ المُرّة : الأبيَّة .

* إن نفسي الأبية لا تصبر على ضَيْمْ حتى تدفعه عنها .

٢٥ الخُمْص : الجوع . الحَوَايا : جمع حوية ، ما يحوي البطن كالمعي وغيرها . الخُيُوطَة : ج خيط ، والتاء تدل على كثرة الجمع . مَاريّ : بتشديد الياء : إزار الساقي من الصّوف المخطّط . أغَارَ الحَبْل : أحْكم فتلَه .

* أشدّ أمعائي على الجوع فأطويها ، كما يطوي الفاتلُ خيوطاً يفتلها ويُحْكم برمها .

٢٦ الأزَلّ : الخفيف ، القليل لحم الوركين ، وهي صفة للذئب الخفيف ، السريع . التَّنَائف : التَّنوفة ، الأرض القفراء ، المفازة . تَهَادَاه : توصله من مفازة إلى أخرى . الأطْحَل : الّذي لونه كلون الطحال ، أو بين الغبرة والبياض .

* إنّني أبكر بقوت قليل ، أقنع به ، وأعدو في طلبه عدْو الذئب الحرّ .

٢٧ غَدَا طَاوِياً،يُعَارِضُ الرِّيحَ ، هَافياً ، يَخُوتُ بأَذْنَابِ الشِّعابِ ، ويَعْسِلُ

٢٨ فَلَمَّا لَوَاهُ القُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ ، دَعا ؛ فأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحَّلُ ،

٢٩ مُهَلْهَلَةٌ ، شِيبُ الوُجُوهِ ، كَأَنَّهَا قِدَاحٌ بِكَفَّيْ يَاسِرٍ ، تَتَقَلْقَلُ ،

٣٠ أَو الخَشْرَمُ المَبْعُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ مَحَابِيضُ أَرْدَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ ؛

٣١ مُهَرَّتَةٌ ، فُوهٌ ، كَأَنَّ شُدُوقَهَا شُقُوقُ العِصِيِّ ، كَالِحَاتٌ وَبُسَّلُ .

---

٢٧ الطَّاوي : الجائع . يُعَارِضُ الرِّيح : يجري معها . الهَافي : فاعل من هفا ، يعدو خفيفاً ، يميناً وشمالاً ، من شدة الجوع . يَخُوت : ينقضّ ، يخطف . يقال : خات البازي إذا انقضّ على صيده . أذْنَابُ الشّعَاب : أواخرها ، والشّعاب الطرق في الجبل . يَعْسل : يمشي خَبَباً ويسرع .

• تراني مثل هذا الذئب ، إذ يقوم ، صباحا ، فيُسابق الريح ويعدو ، ويرمي بنفسه في قعر الأودية ، مُجِداً في سيره .

٢٨ لَوَاه : دفعه وامتنع عليه . أمَّهُ : قصده . نُحَّل : ضعيفة من شدة الجوع .

• لما امتنع عليه القوت من حيث طلبه ، صاح ، فأجابته ذئاب تشبهه ، نَحُل جسمُها وضَمُر ، لجوعها .

٢٩ المُهَلْهَلَة : الخفيفة اللحم . شِيبُ الوُجُوه : مبيضة . القِدَاح : جمع القدح ، السهم قبل أن يُراش . اليَاسِر : اللاعب بسهام الميسر . قَلْقَلَها : حركها .

• هذه الذئاب دقيقة الجسم ، مبيضة الوجوه ، تشبه سهام الضارب بالقداح في الميسر ، عندما يحركها بكفَّيه .

٣٠ الخَشْرَمُ : رئيس النَّحل . المَبْعُوث : المنبعث للسَّير . حَثْحَثَ : حضّ . الدَّبْر : جماعة النَّحل . المَحَابيض : ج محبض : عود يكون مع مشتار العسل يثير به النحل . أرْدَاهُنّ : ثَبَّتهنّ ومكَّنهنّ . سامٍ : إسم فاعل من السّمو : المرتفع العالي . المُعَسّل : طالب العسل .

• هذه الذئاب تشبه قداح الميسر في ضمرها ، أو تشبه رئيس نحل انبعث في السَّير ، فحضّت جماعتَه عيدانٌ ، مكَّنها لها رَجُلٌ معسّل ، رقي إلى موضع عال . وذلك أن من شأن النحل أن تعسّل في الموضع الممتنع الصّعب .

٣١ مُهَرّتَة : مشقوقة الفم . فُوه : جمع أفوه ، كبير الفم . الشّدوق : جمع شدق ، طرف الفم . كَالحَات : عابسات . بُسَّل : جمع باسل ، كريه المنظر غاضب .

• هذه الذئاب فاغرة أفواهها ، كأن أطرافها المشقَّقة تشبه شقوق العصيّ ، كالحات الوجوه ، قبيحة .

٣٢	فَضَجَّ ، وَضَجَّتْ ، بِالبَرَاحِ ،كَأَنَّها	وَإِيَّاه ، نُوْحٌ فوق عَلياءَ ، ثُكَّلُ ؛
٣٣	وَأَغْضَى ، وأَغْضَتْ ، وَاتَّسَى ،واتَّسَتْ بِهِ	مَرَامِيلُ عَزَّاها ، وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ ؛
٣٤	شَكَا وَشَكَتْ ،ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وارْعَوتْ .	ولَلصَّبْرُ ، إنْ لَمْ يَنْفَعِ الشَّكْوُ، أَجْمَلُ !
٣٥	وَفَاءَ وَفَاءَتْ بَادِرَاتٍ ، وَكُلُّهـا ،	عَلَى نَكَظٍ مِمَّا يُكَاتِمُ ، مُجْمِلُ .
٣٦	وَتَشْرَبُ أَسْآرِي القَطَا الكُدْرُ ؛ بَعْدَمَا	سَرَتْ قَرَباً ، أَحْنَاؤهـا تتَصَلْصَلُ .
٣٧	هَمَمْتُ وهَمَّتْ ،وابْتَدَرْنا ، وَأَسْدَلَتْ ،	وَشَمَّرَ مِنِّي فَـارِطٌ مُتَمَهِّـلُ ،

---

٣٢ البَرَاح : أرض جرداء . النُّوح : جمع نائحة ، الباكية .

• في الصحراء حيث تنعدم الخضرة ، تُعول الذئاب وتتجمع ، كما تجتمع المعولات من النساء ، على ظهور الروابي ، حين يفقدن أبناءهن .

٣٣ أغْضَى : سكت . إتَّسَى : إمتثل واقتدى . المَرَامِيل : جمع مرملة ، الفاقدة غذاءها .

• يريد أنه لما يئس من الطعام ، امتنع عن الصّياح وتبعته الذئاب الأخرى وتعزّت به عن فقد القوت .

٣٤ إرْعَوَى : سكت .

• حين شكا الذئب شكت معه الذئاب الأخرى ، وحين كفّ عن الشكوى كفّت معه ، وحتى لو نفعت الشكوى فالصبر أفضل منها ، لأنه من صفات النفس الأبيَّة المتجلّدة .

٣٥ فَاءَ : رجع . بَادِرَات : مسرعات . النَّكَظ : الجوع الشديد . المُجْمِل : الصابر على مضض .

• لما يئست الذئاب من الطعام ، عادت متجلّدة ، برغم الجوع الذي لا تظهره .

٣٦ الأسْآر : جمع سُؤر وهو بقية الشراب في قعر الإناء . والقَرَب طلب الماء ليلا ، وليلة القرب هي التي ترد الطير الماء في صبيحتها . الأحْنَاء : ج حنو ، الجانب . تَتَصَلْصَل : تصدر صوتاً . .

• يريد أنه يسبق القطا في عدوته ، حتى أنها تشرب من فضْلته .

٣٧ أسْدَل : أرخى . الفَارِط : متقدم القوم إلى الماء .

• هَمَمْتُ والقطا في التسابق نحو الماء ، لكنني خلَّفتها ورائي ، بالرغم من أنني تمهَّلت في السير ، وعبارة : وشمَّر مني فارط ، تعني : « تقدمت مشمراً لأغرف من الماء » .

٣٨ فَوَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ ، يُبَاشِره مِنْهَــا ذُقُونٌ وَحَوْصَــلُ .

٣٩ كَأَنَّ وَغَاهـا ، حَجْرَتَيْــهِ وَحَوْلَه ، أَضَامِيمُ مِنْ سَفْرِ القَبَائِلِ ، نُزَّلُ ،

٤٠ تَوافيْنَ مِنْ شَتَّى إِلَيْـهِ ، فَضَمَّها كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الأَصَـارِيمِ مَنْهَلُ .

٤١ فَعَبَّتْ غِشَاشاً ، ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَــا ، مَعَ الصُّبْحِ ، رَكْبٌ ، من أُحَاظَةَ مُجْفِلُ

٤٢ وآلَفُ وَجْهَ الأَرْضِ ، عِنْدَ افْتِرَاشِها ، بِأَهْـدَأَ تُنْبِيــهِ سَنَاسِنُ قُحَّـلُ ؛

---

٣٨ تَكْبُو : تتساقط . العَقْر : مكان الساقي من الحوض . أو مؤخر الحوض .

* وردت الماء وابتعدت عن القطا ، وهي لا تزال تتساقط منهكة نحو العَقْر ، وتشرب بنهم لشدة عطشها ، حتى ابتلَّت حناكُها وانغمست حواصلها في الماء ، ويقصد بهذا أنه أقوى وأجلد على تحمّل المشاق من القطا .

٣٩ الوَغَى : الضوضاء . الحَجْرَة : الجانب . الأضاميم : ج اضمامة ، وهي جماعة القوم ينضم بعضهم إلى بعض في السَّفر .

* إن الجلبة والأصوات التي تحدثها القطا ، وهي في طريقها إلى الورد ، تشبه أصوات الأقوام من المسافرين الذين حطّوا رحالهم بعد مشقَّة السفر .

٤٠ شَتَّى : الطرق المختلفة . الأذْوَاد : ج ذود ، وهو ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . الأصَاريم : ج صرم ، جمع من الإبل .

* تواردت جموع القطا من طرق مختلفة ، فجمعها مورد الماء ، كما تجتمع إبل أحياء العرب عند الحوض .

٤١ عَبَّتْ غِشَاشاً : شربت على عجل . أحَاظَة : جد قبيلة من حِمْير .

* يقول : إن هذه القطا شربت على عجل ، وطارت كأنها رهط من بني أحاظة ، يسافر مجفلا في باكورة الصباح .

٤٢ الأهْدَأ : شديد الثبات ، وهو نعت لمنعوت محذوف تقديره منكب أو ظهر . السَّناسن : جمع سنسن مفارز رؤوس الأضلاع . تُنْبيه : ترفعه . قُحَّل : ج قاحل ، يابس .

* إذا افترشتُ الأرض ، أفترشُها شديدَ الثبات ، قوي العزيمة ، أنام على ظهر صلب ترفعه عن الأرض حروف فقار يابسة ليس عليها لحم . يريد أنه نحيل ، ولكن عظامه شديدة .

٤٣ وَأَعْـدِلُ مَنْحُوضاً كَأَنَّ فُصوصَـهُ كِعابٌ دَحَاهَا لَاعِبٌ ، فَهيَ مُثَّـلُ .

٤٤ فَإِنْ تَبْتَئِسْ بالشَّنْفَرَىٰ أُمُّ قَسْطَـلٍ ، لَما اغْتَبَطَتْ بِالشَّنْفَرى قَبْلُ ، أَطْوَلُ !

٤٥ طَرِيدُ جِنَايَاتٍ تَيَاسَرْنَ لَحْمَـهُ ، عَقِيرَتُـهُ في أَيِّهَا حُـمَّ أَوَّلُ ،

٤٦ تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ ، يَقْظَى عُيُونُهـا ، حِثَاثاً إِلَى مَكْرُوهِـهِ تَتَغَلْغَـلُ ؛

٤٧ وَإِلفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُـودُهُ عِيَاداً ، كَحُمَّىٰ الرِّبْـعِ ، أَوْهِيَ أَثْقَلُ

---

٤٣ أعْدِل : أتوسد . مَنْحُوضاً : قليل اللّحم . الفُصوص : فواصل العظام . دَحَاهَا : بَسَطَهَا . المُثَّل : جمع ماثل ، منتصب أو قائم .

* إذا ما انبسطتُ على الأرض ، فانني أتوسَّد ذراعاً قليلة اللحم ، كأن فواصل عظامها كعاب يلعب بها اللاّعب ، فهي منتصبة حادة .

٤٤ تَبْتَئِس : تحزن للفراق . القَسْطَل : غبار الحرب .

* إن بكت الحرب على مفارقة الشنفرى ، الآن ، لها ، فطالما اغْتبطت وسُرّتْ به من قبل ، أي أنه طالما واقعها وأبلى فيها البَلاَء الحسن .

٤٥ الطَّريد : الهارب الملاحق . عَقيرتُه : نفسه . تَيَاسَر : اقتسم . حُمّ : قدر .

* أصبح طريدَ جنايات كثيرة ارتكبها ، تتقاسم لحمَه ، ولا يدري أية جناية أو ثأر سوف تستلّ منه روحه ، قبل غيرها . أي لكثرة ما ارتكب من الجنايات ، فانه لا يدري بأيّها يُطالب بالثأر منه يوماً .

٤٦ * فلقد تنام عيونه ، وأما الثارات التي تُلاحقه ، فانها لا تهدأ ، بل تظل تحثّ الخطى وراءه ، حتى يعثر عليه بعضُ أصحابها ، فتكون نهايته . أي أن هموم جناياته لا تزال تلاحقه ، ولا تنام عنه .

٤٧ تَعُودُه : تزوره ، حمّى الرّبْع : ضرب من البرداء الدورية التي تعاود المريض مرة كل ثلاثة أيام ، فكأنها تظهر في اليوم الرابع .

* يقول : إن الهموم قد ألفته ، فأصبحت تزوره كحمّى الرّبع ، أو لعلها أصعب منها .

٤٨ إِذَا وَرَدَتْ أَصْـدَرْتُها ، ثُمَّ إِنَّهَا تَثُوبُ ، فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتُ وَمِنْ عَلُ .

٤٩ فَإِمَّا تَرَيْنِي كَابْنَـةِ الرَّمْلِ ، ضَاحِيـاً عَلَى رِقَّـةٍ ، أَحْفَى ، وَلَا أَتَنَعَّلُ ،

٥٠ فَإِنِي لَمَولَى الصَّبْرِ، أَجْتَـابُ بَزَّه عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السِّمْعِ ، وَالحَزْمَ أَنعَلُ .

٥١ وَأُعْدِمُ أَحْيَانـاً ، وأُغْنَى ، وَإِنَّمَـا يَنَـالُ الغِنى ذُو البُعْـدَةِ المُتبذِّلُ .

٥٢ فَلَا جَزِعٌ مِنْ خَلَّـةٍ مُتَكَشِّفٌ ، وَلَا مَرِحٌ تَحْتَ الغِنَى ، أَتخيَّـلُ

٥٣ وَلَا تَزْدَهِي الأَجْهَالُ حِلْمِي ، وَلَا أُرَى سَؤُولاً بِأَعقَابِ الأَقَـاوِيـلِ أُنمِلُ

---

٤٨ تُحَيْت : تصغير تحت .

* إذا حضرت هذه الهموم أردّها ، لكنها تعود ثانية ، فتحدق بي من كل جانب . وفي هذا البيت تمثيل للمعنى بالصّورة المستمدّة من البيئة في الإبل التي ترد الماء وتصدر عنه ، وقد قرن بها همومه ، وجعلها كقطيع يُحْدق به .

٤٩ إبْنَةُ الرَّمْل : الأفْعى . الضّاحى : البارز للحرّ والبرد . الرِّقَّة : سوء العيش .

* يشبّه نفسه بالأفعى التي تنسلّ بجلدها عارية ، في الحرّ والبرد .

٥٠ مَوْلَى الصّبْر : وليه . أجْتَاب : ألبس ، وأكتسي . السِّمْع : ولد الذئب .

* يخاطب في البيتين إبنة الحي : فيقول : إن رَأيتني أبرز للأنواء على رقة حال ، حافي الرجلين ، فأنا مع ذلك حليف الصبر ، ألبس ثوبه بقلب الذئب الشجاع ، جاعلا من الحزم نعلا لي .

٥١ أعْدِم : أفتقر . ذُو البُعْدَة : صاحب الهمّة . المُتَبَذِّل : من يجود بنفسه .

* أفتقر أحياناً وأغتني أحياناً أخرى . ولا ينال الغنى ، إلا من كان بعيدَ الهمة مُجازفاً مخاطراً بنفسه .

٥٢ الخَلّة : الحاجة . المُتَكَشِّف : المُظهر فقرَه وحاجته للناس . المُتَخَيِّل : المختال المرح النشيط .

* لا أخاف من الفقر ، ولا أكشف حاجتي للنّاس ، إن كنت فقيراً ، وإن اغتنيت لا يُبطرني الغنى .

٥٣ تَزْدَهي : تستخفّ . الأَجْهَال : جمع جهل وهذا الجمع لا يستعمل . الأعْقَاب : جمع عقب ، المُؤخّر . أنْمل : من أنمل : نمّ غيبة .

* لا يستخفّني الجهلُ أو الاهواء ، ولا أسأل عن عيوب الناس ، ولا أنقل الأقاويل وأنمّ بها من وراء ظهورهم .

٥٤ وَلَيْلَةِ نَحْسٍ، يَصْطَلِي القَوْسَ ربها ، وأَقْطُعــه الـلَّاتي بِهَــا يَتَنَبَّــلُ،

٥٥ دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ ، وصُحْبَتِي سُعَارٌ، وإِرْزِيزٌ، وَوَجْرٌ، وأَفْكَلُ،

٥٦ فَأَيَّمْتُ نِسواناً ، وأَيتَمتُ وِلْـدَةً ، وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ ، وَاللَّيْلُ أَلْيَـلُ .

٥٧ وَأَصبحَ ، عنِّي ، بالغُمَيْصاءِ ، جالِساً فَريقَانِ : مَسْؤول ، وَآخرُ يَسْأَلُ :

٥٨ فَقَالُوا : لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلابُنَا ، فَقُلْنَا : أَذِئْبٌ عَسّ ؟ أَم عَسَّ فُرْعُلُ؟

٥٩ فَلَمْ تَكُ إِلَّا نَبْأَةٌ ، ثُمَّ هَوَّمَتْ ، فَقُلْنَا قَطَاةٌ رِيعَ ، أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ؟

٦٠ فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنٍّ ، لَأَبْرَحَ طَارِقاً ؛ وَإِنْ يَكُ إِنْساً ، مَاكَهَا الإِنْسُ تَفْعَلُ!

---

٥٤ الأَقْطَع : جمع قطع ، نصل قصير عريض السهم . تَنَبَّله : إتخذه نَبْلا .

٥٥ الغَطْش : الظّلمة . البَغْش : المطر الخفيف . السّعَار : حَرّ يجده الإنسانُ في جوفه من شدة الجوع . الإِرْزيز : البَرْد . الوَجْر : الخوف . الأَفْكَل : الرّعدة .

* يقول في البيتين : كم من ليلة شديدة البرد ، يلقي في النّار صاحبُ القوس بقوسه ونبله ، فيستدفيء بها ، سريت أنا داخلا في ظلمة ومطر ، يصحبني جوع شديد وبرد وخوف ورعدة .

٥٦ أَيَّمْتُ نسوانا : تركتهن أيامَى : جمع أَيِّم : الأرملة . اللَّيْلُ الأَلْيَلُ : الشَّديد الظلمة . يمثّل في هذا البيت شدّة بطشه وسرعة عدوه ويقول : إنه يغزو ، فيخلّف إثره الأيامى واليتامى ، وينجو بنفسه ، قبل أن يفاجئه الصّباح .

٥٧ الغُمَيْصَاء : مكان قرب مكة أوقع فيه خالد بن الوليد ببني جزيمة . جَالساً : قد يكون معناه قاصداً بلادَ (الجلس) وهي نجد ، أو بمعنى قاعد في المجلس .

٥٨ هَرّتْ : نبحت . عَسّ : طاف ودار . الفُرْعُل : ولد الضبع .

* بعد أن أغَرْتُ على الغميصاء ليلا ، اجتمع فيها فريقان عند الصباح ، فسألت فئة الأخرى ، قائلة : لقد سمعنا في هذا الليل كلابنا تنبح ، فقلنا هل طاف بالحيّ ذئب أو ضبع ؟

٥٩ النَّبْأة : الصّوت . هَوّمَتْ : نامت . رِيع : أفزع . الأَجْدَل : الصقر .

* لكن لم يصدر إلا صوت ثم هدأ فقلنا : أهذه قَطاة أفزعت ، أوصقر من الصقور التي يربونها ، أخيف ورُوّع .

٦٠ ولما رأوا ، عند الصباح ، ما أوقعتُ فيهم من القتل والنّهب ، قال أهل الغميصاء : إن كان هذا الطارق من الجن ، فانه قد أساء كثيراً . وإن كان إنساً ، لا يستطيع الإِنْسُ أن يفعلوا ما فعله بنا .

٦١ وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى ، يَذُوبُ لُعَابه ، أَفَاعِيهِ ، في رَمْضَائِهِ ، تَتَمَلْمَلُ ،

٦٢ نَصَبْتُ له وَجْهِي ، وَلَا كِنَّ دُونه ، وَلَا سِتَرَ إِلَّا الْأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ ؛

٦٣ وَضَافٍ ، إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ ، طَيَّرَتْ لَبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَجَّلُ

٦٤ بَعِيدٍ بِمَسِّ الدِّهْنِ والفَلْيِ عُهْدُهُ ، لَهُ عَبَسٌ ، عَافٍ مِنَ الغَسْلِ مُحْوَلُ .

٦٥ وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ ، قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ، ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ ،

٦٦ وَأَلْحَقْتُ أُولَاهُ بِأُخْرَاهُ ، مُوفِياً عَلَى قُنَّةٍ ، أُقْعِي مِراراً وأَمْثُلُ ،

---

٦١ الشِّعْرَى : كوكب في الجوزاء يظهر في ليالي الحر . اللُّعاب : ما تراه أمام ناظريك أيام الحر ، وهو يشبه نسيج العنكبوت . الرَّمْضَاء : الأرض الحارّة .

٦٢ الْكِنّ : الستر . الأتْحَميّ : ضرب من البرود . المُرَعْبَل : المتمزّق .

* يقول في البيتين : وربّ يوم من الأيام التي تطلع فيه الشِّعْرَى ، وكان قد اشتد فيه الحر . وسارت على الأرض هبوات النَّار ، حتى الأفاعي لا تكاد تستقر على رمضائه لشدة الحرارة ، كنت أنا في هذا اليوم ، أنصب وجهي لأشعة الشَّمس لا يسترني عنها ستر ، ولا وقاية إلا بُرْد خَلِق .

٦٣ الضَّافي : الشعر المسترسل . اللَّبائد : جمع لبيدة ما تلبّد من شعره . الأعْطَاف : الجوانب . رَجَّلَ الشَّعْر : سرّحه .

* لا يستر وجهي إلا ثوب بال . وشعر رأسي المسترسل ، لا تستطيع الريح أن تفرّقه لأنه غير مسرح ، فلقد تلبَّد واتَّسخ .

٦٤ الفَلْي ، التَّفْلِيَة : تنقيه الرأس من القمل . العَبَس : الوسخ المتأتي من قذر الإبل ، والعالق على أذنابها . مُحْوَل : مَرّت عليه السنة .

* إنه لبُعد عهده بالدّهن والافتلاء ، فقد اجتمع الوسخ بشعره ولبَّده ، حتى أصبح وكأنه العبس في أذناب الإبل .

٦٥ الخَرْق : الأرض الواسعة تتخرّق فيها الرّياح . العَامِلَتَان : يقصد بهما « رجلاه » .

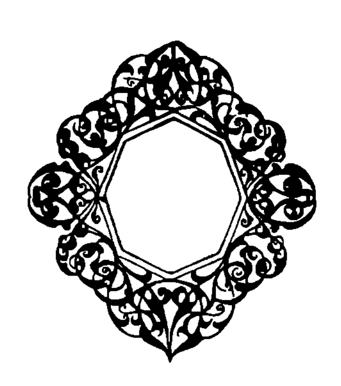
* رب مفازة مقفرة تشبه ظهر التّرس ، قطعتها على قدمي ، ومفازات كثيرة غيرها لم يقطعها أحد قبلي .

٦٦ مُوفياً : مشرفاً . القُنَّةُ : أعلى الجبل . أُقْعي : أقعد كقعدة « الكلب » . أمْثُل : أنتصب .

* قطعت هذه البراري ، وأشرفت على قُمة الجبل ، أقعي حيناً ، وحينا أنتصب .

٦٧ تَرُودُ الأَرَاوِي الصَّحْمُ حولي ، كَأَنَّها عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُـلاءُ المُذَيَّـلُ ،

٦٨ وَيَرْكُدْنَ بِالآصَالِ حَوْلي ، كَأَنَّني مِنَ العُصْمِ ، أَدْفَى يَنْتَحِي الكِيحَ ، أَعقَلُ



٦٧ تَرُود : تذهب وتجيء . أراوي : جمع أروية ، أنثى الوعل ، الصَّحْم : جمع أصحم الذي في سواده صفرة . المُلاء : الثوب . المُذَيَّل : طويل الذيل . .

* تجول حولي الوعول كالعذارى اللابسات ثياباً طويلة الذيل ، وقد اختلطتُ بها ، بعد أن أنستْ بي .

٦٨ رَكَد : ثبت . الآصَال : جمع أصيل ، الوقت من العصر إلى المغرب . العُصْم : جمع أعصم ، الوعل الذي في ذراعيه بياض أو الذي يَعْتصم في رؤوس الجبال فلا يوصل إليه . الأدْفَى : الوعل الذي طال قرنُه . الكِيح : عرض الجبل .الأعْقَل : الممتنع في الجبل العالي

* بعد أن أنست الأراوي إليّ أصبحت لا تنكرني ، فتثبت عند المساء حولي ، كأنني وعل منها ، طويل القرن ، عمد إلى عرض الجبل ، وامتنع فيه .

أَلا أُمَّ عَمْرٍو !

كان الشَّنْفَرَى قد أُخذ أسيرَ فداء في بني سلامان بن مفرج ، وهو غلام صغير . فنشأ فيهم ، فلمَّا أساؤوا إليه ، وعلم بأمره ، غضب وتركهم متوعّداً أن يقتل منهم مائة رجل ، فقتل تسعة وتسعين ، منهم حرام بن جابر ، قاتل أبيه .

وهذه القصيدة هي نفثة ممَّا يحمله في صدره من حقد على بني سلامان ، ومفاخرته عليهم . وقد بدأها بذكر رحيل صاحبته . وأتبع ذلك بالتشبيب ، فوصف محاسنها وأشاد بأخلاقها ، وما هي عليه من العفة والوفاء . ثم أتى إلى ذكر خروجه للغزو مع رفاقه الصّعاليك ، يتقدمهم تأبطَ شراً الذي كان رأسَهم ، ووليّ أمرهم والمُوكل باطعامهم ، فشبَّهه بأمّ العيال لحَدْبه عليهم ، أما بأسُه وإقدامه وبسالتُه في الغزو ، فكأنه كان يقصد منها ما هو عليه كلّ صعلوك من الشجاعة والإقدام ، ثم ذكر تشفيّه ببني سلامان ، وأشار إلى ثأره من قاتل أبيه . وتنتهي القصيدة بأبيات يعبّر فيها عن كِبَر نفسه واعتزازه بصعلكته واستهتاره بالموت ، وما تتحلَّى به أخلاقُه من القسوة والشّدة تجاه من يعاديه ، ولينه مع من يسالُه .

ولعلّ أجملَ ما في هذه القصيدة ، ذلك التقييمُ العالي لخصال زوجته الّتي يكشف فيها عن حسّ رجل عصري بالمرأة ، العفَّة الجميلة ، الحاملة لخصائص سيدة من مدنية متقدمة . وكذلك يتفنَّن الشَّنْفَرَى في هذه القصيدة ، فيعرج على تشبيه صديقه تأبَّطَ شَرّاً أثناء عملية الغزو ، بالأم ، المشرفة على المؤونة . ويتلاعب الشَّاعر بالصور ، ويمزج بين صفات المرأة وصفات الفارس ، في تتابع من النقائض الجميلة ، الّتي تنبيء عن طول باع في فنّ النظم ، وغنىً في أساليب التعبير . والقصيدة في مجملها ، تشبه قصة ، متتابعة الأحداث ، من حين عودته إلى زوْجه الوفية ، إلى حين تنادى الرفاقُ للغزو ، فذكرِه لمهمَّاتهم المتنوّعة ، ووصف المعركة ، والفوز الأخير . وهي دافقة الصّور ، تعين قافيتها التَّائية على الحدّ والحسم . والشاعر لم يوفر إمكانية فنّية إلا واستغلَّها على نحو مجدّد مبدع ، بالنسبة إلى عصره .

أَلاَ أُمَّ عَمْرٍو

١	أَلَا أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ ، فاسْتَقَلَّتِ	وَمَا وَدَّعَتْ جيرانَهـا ، إذْ تَوَلَّتِ
٢	وَقَدْ سَبَقَتْنَا أُمُّ عَمْرٍو بـأَمْرِهَـا	وَكَانَتْ ، بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ ، أَظَلَّتِ
٣	بِعَيْنَيَّ مَا أَمْسَتْ ، فبَاتَتْ فأَصْبَحَتْ	فَقَضَّتْ أُمُوراً ، فَاسْتَقَلَّتْ فوَلَّتِ
٤	فَوَاكَبِدَا عَلَى أُمَيْمَةَ ، بَعْدَ مَا	طَمِعْتُ ، فَهَبْهَا نِعْمَةَ العَيْشِ زَلَّتِ
٥	فَيَا جَارَتِي ، وَأَنْتِ غَيْرُ مُليمَـة	إذَا ذُكِرَتْ ، وَلَا بِذَاتِ تَقَلَّتِ
٦	لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي ، لَا سَقُوطاً قِنَاعُهَا	إِذَا مَا مَشَتْ ، وَلَا بِذَاتِ تَلَفُّتِ
٧	تَبِيتُ بُعَيْدَ النَّوْمِ ، تُهْدِي غَبُوقَهَا	لِجَارَتِهـا ، إِذَا الهَـدِيَّـةُ قَلَّتِ
٨	تَحُلُّ ، بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ ، بَيْتَهَا	إِذَا مَا بُيُوتٌ بالمَذَمَّـةِ حُلَّتِ

---

١ ، ٢ أَجْمَعَتْ : عزمت أمْرهَا . إِسْتَقَلَّتْ : ارتحلت . تَوَلَّتْ : ذهبت . سَبَقَتْنَا بأمْرِهَا : إستبدت واستأثرت به . المطيّ : الإبل .

* يقول إن أم عمرو عزمت أمرها ، ففارقتنا دون أن تودعنا ، فلقد استأثرت بأمرها دون رأي أحد ففاجأتنا بالإبل حتى أظلتنا بها ، أي أنها غادرته على حين غرّة .

٣ قضت أموراً : أي أتمّتها ونفذتها .

* يأسف أن يراها ترحل عنه ، ولا حيلةَ له على منعها .

٤ فواندمي بانت أُمامةُ ـ رواية الأغاني . زَلَّتْ : ذهبت .

* يصرخ متألماً لرحيلها ، بعد أن كانت نفسه قد نزعت وطمعت في الوصول إليها .

٥ مُليمَة : من قولهم ألام : إذا أتى بما يلام عليه . تَقَلَّتْ : تبغَّضت ، والتبغض مقابل التحبّب . وقوله : ولا بذات تقلّت ، أي ليست مما يقال فيها : إنها تقلت ، ويقصد أنها ليست بذات صفة يقال لها من أجلها : إنها مبغوضة . وذات هنا هي ذات الطائية بمعنى التي ، أي المرأة التي

٦ إنها تعجبه لما بها من شدّة الحياء ، فلا قناعها ينزل عن وجهها ولا هي بكثيرة التلفّت . يتغنّى بأنوثتها الحية ، وخفرها الجميل .

٧ الغَبُوق : ما يشرب مساء .

* يصفها بالكرم ، لما تقدّمه لجاراتها من الشراب في العشيّ ، إذا ما نَفَدَ من بيتهن .

٨ يقصد أنها بعيدة عن الشبهات ، فهي تُبعد عن بيتها ما يجلب لها الذم واللوم .

٩ كَأَنَّ لهَا في الأَرْضِ نِسْياً تَقُصُّــه عَـلَى أَمِّها ، وإنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ

١٠ أُمَيْمَةُ لَا يُخْزِي نَثَـاهَـا حَلِيلَهَــا إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ ، وجَلَّــتِ

١١ إِذَا هُوَ أَمْسَى ، آبَ قُرَّةَ عَيْنِــهِ مَآبَ السَّعِيدِ ، لَمْ يَسَلْ أَيْنَ ظَلَّتِ

١٢ فَدَقَّتْ وجَلَّتْ ، واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنَّ إنْسَانٌ مِنَ الحُسْنِ ، جُنَّتِ

١٣ فَبِتْنَا ، كَأَنَّ البَيْتَ ، حُجِّرَ فَوْقَنَـا بِرَيْحَانَــةٍ ، رِيحَتْ عِشَاءً ، وطُلَّتِ

١٤ بِرَيْحَانَةٍ مِن بَطْنِ حَلْيَــةَ ، نَوَّرَتْ لَهَا أَرَجٌ ، مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ

* * *

---

٩ النَّسْي : الشيء المفقود المنسي . تَقُصّه : تتبعه . أمّها : قَصْدَها الذي تريده . تَبْلَتْ : تنقطع في كلامها ، فلا تطيله .

• يصفها بشدة الحياء ، فهي إذا مشت تطرق إلى الأرض ، وكأنها تبحث عن شيء فقدته ، ونسيت ما هو ، وإذا ما تكلّمت ، إقتضبت في حديثها .

١٠،١١ النَّثَا : ما ينقل من الحديث أوالخبر ويشاع . الحَليل : الزوج . آبَ : رجع ، أي الزوج . قُرَّةَ عَيْنه : أي إلى قرّة عينه وهي زوجه ، وقد نصبت بنزع الخافض .

• يصفها بالعفّة وبُعدها عن أقوال السوء ، فهي إذا ما ذكرت في مجلس ، ارتفع ذكرها عمّا يلحق زوجها من عار ، فلا يسألها إذا ما عاد مساء أين كانت ، لأنها لا تبرح البيت ، أو لأنه مطمئن لها فيما تقوم به .

١٢ إسْبَكَرَّتْ : إمتدت وطالت .

• يقصد أنها تامة كاملة في أخلاقها ، وفي حسنها الذي يبلغ حد الروعة . وفي البيت يعبّر الشَّاعر عن شوقه للقائها حين العودة ، يكرّس جمالها ورقتها بأفعال نابضة بالجزم والإيجاز البليغ . فقد ازدادت نحولا ورشاقة ، وشعّ حمالها وتمّت محاسنها ، وكان لقاؤها لحظة زهو وافتتان بالحسن والوله .

١٣ حُجّر : أحيط . ريحَتْ عشَاء : أي فاحت رائحتُها في العشيّ . أطلّت : أصابها الطَّل أي الندى .

• وينعم الفارس العائد بليلة لقائه بزوجه ، وإذا البيت محوط بريحان نديّ عطر . وكما سيأتي في البيت التالي ، فان الشَّاعر يكاد يوحد بين الريحانة الحقيقية ، وبين زوجه واللقاء السعيد .

١٤ حَلْيَة : وادٍ بتُهامة . الأَرَج : نفحة الريح الطيبة . غَيْرُ مُسْنت : غير مجدب .

١٥	وَبَاضِعَةٍ ، حُمْرِ القِسِيِّ ، بَعَثْتُهـا	وَمَنْ يَغْزُ يَغْنَمْ مَرَّةً ، ويُشَمَّـتِ
١٦	خَرَجْنَا مِنَ الوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ	وَبَيْنَ الجَبَا ، هَيْهَاتَ أَنشأْتُ سُرْبَتِي
١٧	أُمَشِّي عَلَى الأَرْضِ التِي لن تَضُرَّنِي	لِأَنكِيَ قوماً ، أَو أُصـادِفَ حُمَّتِي
١٨	أُمَشِّي عَلَى أَيْنَ الغَزَاةِ ، وَبُعْـدها	يُقَرِّبُني مِنْهَـا رَوَاحِي وغُـدْوَتي
١٩	وَأُمِّ عِيَالٍ ، قَدْ شَهِدْتُ تَقُوتُهُمْ	إِذَا أَطْعَمَتْهُـمْ أَوْتَحَتْ ، وأَقَلَّتِ

---

١٥ البَاضعَة : القاطعة ، ويعني بها الغُزاة ، حُمْر القسيّ : أي أن قسيّهم أو أقواسهم محمَّرة بفعل الشمس ، وهي كناية عن كثرة استعمالها ، يُشَمَّت ، من قولهم شمَّته الله : أي خيَّبه ، والشَّمات : الخيبة .

• يقول : إنه خرج للغزو بجماعة له ، وقد يخيب من يغزو ، لكن جماعته قد مارست الغزو واعتادته .

١٦ مشْعَلُ والْجَبَا : موضعان . السُّرْبَة : الجماعة .

• أي أنه ابتعد بجماعته ، وقد خرج بها للغزو .

١٧ أي لا يخيفه شيء ، وهو في خروجه ، إمَّا أن يقهر من يغزوه ، أو يلاقي حتفه .

١٨ عَلَى أيْنِ الغَزَاة : أي على ما يصيبني من تعب الغزوة .

• يقصد أن الغزوة بعيدة وشاقة ، لكنه لا يكلّ عنها ، بل يُقْبل عليها في كل حين . والبيتان (١٧ ، ١٨) يحدّد فيهما الشاعر الغازي موقفه من مشكلة الهزيمة والانتصار والموت ، وكيف أن المغامرة تتطلب مواجهة هذه الأمور كلها .

١٩ أمّ عيَال : يقصد تأبَّطَ شرّاً ، أي كان كالام وقد وكلت باطعام أولادها . والأم أيضاً تعني رأس القوم وولي أمرهم عند الأزد . أوْتَحَتْ : أعطت قليلا .

• يقصد أن تأبّط شرّاً ــ وهو ولي أمرهم في الغزوة ــ كان يُقتّرَ في إطعامهم خوفاً من نفاد الزاد . والشَّنْفَرَى يشبّه صديقه تأبَّط شرّاً بالأم المتصعلكة التي آلت على نفسها العناية بهم ، وهم يُلْحفون عليها بالطلب .

٢٠ تَخَافُ عَلَيْنَا العَيْلَ إِنْ هِيَ أَكْثَرتْ وَنَحْن جِيَـاعٌ ، أَيَّ آلٍ تَأَلَّتِ

٢١ وَمَا إِنْ بها ضِنٌّ بِمَـا في وِعَائِهـا وَلٰكِنَّهـا مِنْ خِيفَةِ الجُوعِ أَبْقَتِ

٢٢ مُصَعْلِكَةٌ لا يَقْصُرُ السِّتْرُ دُونَهـا ، وَلَا تُرْتَجَى للبَيْتِ إِن لَمْ تُبَيِّتِ

٢٣ لَهَا وفْضَةٌ فِيها ثَلاثُونَ سَيْحَفاً ، إِذَا آنسَتْ أُولَى العَدِيِّ اقْشَعَرَّتِ

٢٤ وَتَأْتِي العَدِيَّ ، بَارِزاً نِصْفُ سَاقِها تَجُولُ كَعَيْرِ العَـانَـةِ المُتَلَفِّتِ

٢٥ إِذَا فَزِعُوا ، طَارَتْ بِأَبْيَضَ صارِمٍ وَرَامَتْ بِمَا في جَفْرِهـا ، ثُمَّ سَلَّتِ

٢٠،٢١ العَيْل والعَيْلَة : الفقر . أيَّ آل تَألَّت : أيَّ سياسة ساست . الضِّنّ : البخل .

* ولم يكن تأبَّط شرّاً يبخل عليهم بالطعام ، إنما خوفه من الفاقة دفعه إلى أن ينهج هذا السلوك : مع ما بهم من جوع . والشَّنْفَرَى يعرض لصورة صديقه بشيء من النكتة تحبباً وتلطّفاً .

٢٢ مُصَعْلَكَة : صاحبة صعاليك ، وهم الفقراء . لاَ يَقْصُرُ السِّتْرُ دُونها : لا تغطي أمرها .

* يقول : هي مكشوفة الستر ، وليست قعيدة البيت كأية امرأة أخرى ، وما زال الشَّنْفَرَى يداعب تأبَّط شرّاً بهذه الأوصاف « النسوية » .

٢٣ الوفْضَة : جُعبة السهام . السَّيْحَف : السّهم العريض النصل . آنَسَتْ : أحسَّت العَدِيّ : جماعة القوم يعدون راجلين للقتال ونحوه . إقْشَعَرَّتْ : تهيَّأت للقتال .

* ومع ذلك فهذه الأم المصعلكة « تأبَّط شرّاً » لابسة عُدة الحرب ، متهيئة لها .

٢٤ بَارزاً نصْفُ سَاقها : أي أنه مشمر جاد . العَيْر : الحمار الوحشي . العَانَة : القطيع من حمر الوحش . ويقصد من التشبيه بحمار الوحش لأن هذا شديد الغيرة على أنثاه .

* وتعدو هذه المرأة وقد برز نصف ساقها ، وتجول ، كحمار الوحش في لهفة وخوف على أنثاه ، والوصف لتأبَّط شرّاً .

٢٥ الأبْيَض الصّارم : السيف القاطع . الجَفْر : جعبة السهام .

* ما زال حتى هذا البيت يتابع وصفه للصّعلوك وتأبَّط شرّاً ، بصيغة المؤنث ، ليقول : بأنه بعد استعماله السّهام ، يستلُّ سيفه ليقاتل به ، إذا ما قام أصحابه للحرب .

٢٦ حُسَامٍ ، كَلَوْنِ المِلْحِ ، صَافٍ حَدِيدُهُ   جُرَازٍ ، كَأَقطَاعِ الغَدِيرِ المُنَعَّتِ

٢٧ تَرَاها كَأَذْنَابِ الحَسِيلِ صَوَادِراً   وَقَدْ نَهِلَتْ منها الدِّمَاءَ ، وَعَلَّتِ

٢٨ قَتَلْنَا قَتِيلاً ، مُهْدِياً بِمُلَبِّدٍ   جِمَارَ مِنًى ، وَسْطَ الحَجِيجِ المُصَوِّتِ

٢٩ جَزَيْنَا سَلاَمَانَ بنَ مُفْرِجَ قَرْضَهَا   بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمُ وأَزَلَّتِ

٣٠ وَهُنِّيءَ بِي قَوْمٌ ، وَمَا إِنْ هَنَأْتُهُمْ   وأَصْبَحْتُ في قَوْمٍ ، وَلَيْسُوا بِمُنْيَتِي

٣١ شَفَيْنَا ، بِعَبْدِ اللهِ ، بَعْضَ غَلِيلِنَا ،   وَعَوْفٍ لَدَى المَعْدَى ، أوانَ اسْتَهَلَّتِ

٣٢ إِذَا مَا أَتَتْنِي مِيتَتِي لَمْ أُبَالِهَا   وَلَمْ تُذْرِ خَالاَتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي

* * *

٢٦،٢٧ الحُسَام : السَّيف . الجُرَاز : السَّيف القاطع . أقْطَاع : جمع قطع أي قطعة ، ويريد بأقْطَاع الغَدير : أجزاء الماء وقد تقطَّعت فبدا بريقها . المُنَعَّت : مبالغة من النعت وهو الوصف بالحسن . الحَسيل : جمع حسيلة وهي أولاد البقر . نهلت وعَلَّت : شربت وارتوت ، أي السّيوف .

• يقول : إن السّيوف تبدو في لمعانها كبريق الماء ، ثم يشبّهها في حركتها بأذناب قطيع من البقر ، يَرِدَ الماء لما به من ظمأ ، أمَّا السيوف ، فمتعطّشة للدماء ، ولذلك فهي تعبّ منها وتعلّ .

٢٨ يشير في هذا البيت إلى ثأره من قاتل أبيه بقتله حرام بن جابر في منى وقت رمي الجِمار في الحج .

٢٩ يقول : وفينا بني سلامان دينَهم على ما ارتكبته أيديهم بحقنا .

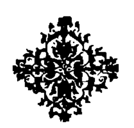
٣٠ يقصد أن بني سلامان لم يهنأوا به يوْمَ أسرُوه فداء ، وهو إنْ خرج عنهم ، فلأنَّهم ليسوا بقومه وعشيرته .

٣١ عَبْد الله وَعَوْف : من بني سلامان بن مفرج . الغَليل : حرارة العطش ، ويريد بها تعطشه للقتل . المَعْدى : موضع العدوّ ، أي ساحة المعركة . اوان اسْتَهَلَّت : أي منذ أن بدأ القتال .

• يتشفّى لقتله ابنيّ مفرج ، منذ اللَّحظة الأولى الّتي بدأ بها القتال .

٣٢ يعبّر عن استهتاره بالموت وقلّة اكتراثه به . يريد أنه يقاتل بقوة وشجاعة ، فهو لا يخشى الموت ، ولا ينتظر أن يبكي عليه أحد من أهله ، ما دام قد استقل بنفسه منذ البدء .

٣٣	وَلَوْ لَمْ أَرِمْ ، في أَهْلِ بَيْتِيَ ، قَاعِداً	إِذَنْ جَاءَني ، بَيْنَ العَمُودَيْنِ ، حُمَّتي
٣٤	أَلَا لَا تَعُدْني ، إِنْ تَشَكَّيْتُ ، خُلَّتي	شَفَاني ، بِأَعْلَى ذِي البُرَيقَيْن غَدْوَتي
٣٥	وإِنِّي لَحُلْوٌ ، إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتي ،	وَمُرٌّ ، إِذا نَفْسُ العَزُوفِ اسْتَمَرَّتِ
٣٦	أَبيٌّ لِمَا آبى ، سَرِيعٌ مَبَاءَتي	إِلى كُلِّ نَفْسٍ تَنْتَحِي فِي مَسَرَّتي



---

٣٣ لَمْ أَرِمْ : لم ألبث . بَيْنَ العَمودَيْن : ربما يعني بهما عمودي الخباء ، أو يُكنّي بهما عن الأسر . الحُمَّة : المنيَّة .

* يقول : إن المنيَّة لا بد أن تأتيه حتى لو ظلّ قاعداً عن القتال ، وهذا تكرار لاعتقاد الشَّاعر بحتمية الموت ، في البيت ، أو في ساح الوغى .

٣٤ تَعُدْني ، من عاد المريض : إذا زاره . إنْ تَشَكَّيْتُ : أي إن تشكيت من ألم أوسقم . الخُلَّة : الصَّديق ، الخليل . ذُو البُرَيْقَيْن : إسم موضع . غَدْوَتي : يعني بها طلبه للغزو صباحاً .

* يعبّر عن كِبَر نفسه ، وحبه للغزو ، بأن يطلب من أصدقائه ، ألاّ يزوروه إذا ما مرض ، وطَلَبُه للغزو كفيل بشفائه ، أي لا شفاء له إلا بمواصلة الغزو .

٣٥ أي أنه طيِّب الخلق مع من يريد منه اللِّين ، قاس مع من يعاديه .

٣٦ أبيّ : أي أبيّ النفس ، أي أنه مترفع عمَّا يأباه خُلُقُه . المَبَاءة : الرّجوع . تَنْتَحي في مَسَرَّتي : أي تقصد إلى ما يسرّني .

* إنه أبيّ النَّفس ، يترفَّع عن كلّ ما يلحق به الذل ، وهو في الآن ذاته دؤوب على فعل ما يعزّ نفسه ويسرّها .

دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ

١ وَنَائِحَةٍ أَوْحَيْتُ في الصُّبْحِ سَمْعَهَا ... فَرِيعَ فُؤَادِي وَاشْمَــأَزَّ وَأَنْكَــرَا

٢ فَخفَّضْتُ جَأْشِي ، ثُمَّ قُلْتُ ، حَمَامَةٌ ... دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ ، فِي حَمَامٍ تَنَفَّرَا

٣ وَمَقْرُونَــةٍ شِيمَالُهَــا بِيَمِينِهَــا ... أُجَنِّبُ بَزِّي ، مَاؤُهَـا قَدْ تَعَصَّرَا

٤ وَنَعْلٍ كَأَشْلَاءِ السُّمَانَى تَرَكْتُهَــا ... عَلَى جَنْبِ مَوْرٍ ، كَالنَّحِيزَةِ ، أَغْبَرَا

٥ فَإِنْ لَا تَزُرْنِي حَتْفَتِي ، أَوْ تُلَاقِنِي ... أُمَشِّي بِدَهْـوٍ ، أَوْ عِـدَافٍ بَنَوَّرَا

٦ أُمَشِّي بِأَطْرَافِ الحَمَاطِ ، وَتَارَةً ... تُنَفِّضُ رِجْلِي بُسْبُطــاً فَعَصَنْصَرَا

٧ أُبَغِّي بَنِي صَعْبِ بنِ مُرٍّ بِـلَادَهُـمْ ... وَسَوْفَ أُلَاقِيهِــمْ إِنِ اللهُ أَخَّـرَا

٨ وَيَوْماً بِذَاتِ الرَّسِّ أَوْ بَطْنِ مِنْجَلٍ ... هُنَالِكَ نَبْغِي القَــاصِيَ المُتَغَوِّرَا

---

١ • وربّ باكية سمعت صوتها عند الصّباح ، فاضطّرب فؤادي له ، فكرهته ، واكتأبت له .

٢ • فتماسكت قليلا ، وقلت : لعلّها حمامة تبكي لفراق أليف لها ، قد ارتحل عنها مع فوج من حمام .

٣ بَزّي : ثيابي . تَعَصَّر : سال الماء منها . مَقْرُونة : قربة ربط رأسها بذيلها ، أوجانب منها بجانب آخر .

• وكنت أحمل قربة محكَّمة السَّد من طرفَيْها ، رحت أجنبها ثيابي ، لئلا تبتلّ بها .

٤ النَّحيزَة : الطَّريق . مَوْر : الطريق المستوي الموطوء لأنّ النَّاس يتردّدُون فيه .

• خلعت نعلي من قدمي عند الفرار تخفّفاً منها ، ورميتها على قارعة الطَّريق ، وكانت مهترئة بالية ، كأشلاء طائر السّمانى ، المقذوف به إلى الأرض المُغْبَرَة .

٥ دَهْو : موضع . عدَاف : موضع . بَنَوّر : موضع .

• فإن لم تعاجلْني منيَّتي ، وأنا أشرد في تلك الفيافي ، فلسوف أظل منطلقاً في تلك الديار .

٦ الحَمَاط : ضرب من النَّبت . البُسْبُط والعَصَنْصَر : من النَّبات .

• أسير بين نبات الحماط ، وأنْفُض بقدمي البُسْبُط والعصنصر من النَّبات .

٧ • وذلك حتى أصل بلاد بني صعب بن مُرّ ، وألاقيهم إن قدّر الله ذلك لي .

٨ ذاتُ الرّسّ : اسم مكان . بَطْنِ منْجَل : موضع .

• ولا بد يوماً من ملاقاة المُبْعد المُوغل في بعاده ، بموضع الرّسّ أو بطن منْجَل .

يبدع الشَّنْفَرَى ، في هذه القصيدة ، لوحة رائعة ، ينقل فيها منظراً حياتيّاً نموذجياً ، عن نَمَط من أنماط السلوك المُتصعْلك . فهو يقتطع لنا جزءاً بارزاً من شريط أحداث الصَعْلَكَة ، ويُجسّم لنا الرؤية ، فكأننا نشارك فرسان الصّعاليك ، تقاليدَ غزوهم ، ونعاني معهم سعْيَهم وراء الغنيمة ، ويعطفُنا عليهم فقرُهم ، واستهتارُهم بالموت ، وإقبالُهم على المغامرة بنفس توّاقة إلى نشوة الظفر ، مهما يكن الثمن غالياً .

وتمتاز هذه القصيدة خاصة ، بأن معاني الفروسيَّة لدى الشَّاعر الصّعلوك ، لا تنثال عبر سلسلة من الكلمات المجرّدة ، ولكنها تحفر لذاتها وجوداً عضوياً ، داخلَ أطُر من تقاليد هذه الفروسية ، وتبرز لنا من خلال أحداث يومية ، أشبه بالفلكلور الشَّعبي ، الخاص بهذه الطائفة من المتشردين المتمردين .

ويحدثنا الشَّنْفَرَى عن بعض وسائل الغزو وخطَطهم ، وأسلحتهم . ويصف لنا الشَّاعر المرْقَبَة ، وهي المكان العالي ، الذي يلجأ إليه الصّعلوك لرَصْد القوافل أو الأحياء ، أو العابرين الذين سينقضّ عليهم . وإذا بالشَّنْفَرَى يصف لنا طريقة رصْده للأعداء ، فوق هذه المرقبة ، وكيف يزحف على بطنه ، ويلتوي على نفسه ، وكأنه الأرقم المتعطّف . ثم يصف فقره ، وما هي عليه حال ثيابه ونعليه ، من البلى والتمزق . ثم يأتي على ذكر سلاحه . فيفخر بمهارته في استخدام سيفه ، وحذْقه في برْي سهامه . ويفصّل وصف هذه السّهام وإعدادها بدقَّة ، يبدو فيها اعتزاز الصّعلوك بأدواته . ونشعر كأن بري السّهم ، وإلصاق الريش به ، فنّ خاص ، يتبارى في مضماره كلّ صعلوك ، ليؤكّد قدرته الفائقة على استخدامه ، وتصويبه إلى صدر أعدائه . فيرسم لنا الشَّاعر حول هذا الموضوع صورة حيَّــة ، ملتصقة بتقاليد الغزو والمغامرة ، تبعث نبرة خاصة ، من إيقاع الحياة اليومية التي يحياها الفارس الصّعلوك .

وينعطف على وصف واد موحش ، قد أمَّه وترصّد فيه أعداءه . ليفخر بأنه وحده من يستطيع دخولَه ، في حين أن الجان قد هجرتْه ، وأن الذئاب والأسود تخشى ارتياده . كل ذلك ليعتزّ بأنه قَدرَ على أعدائه ، ونال منهم ما يبتغيه .

المَرْقَبَةُ

١	وَمَرْقَبَــةٍ عَنْقَــاءَ ، يَقْصُرُ دُونَهَــا	أَخُو الضِّرْوَةِ الرِجْلُ الحَفِيُّ المُخَفَّفُ
٢	نَعَبْتُ إِلَى أَدْنى ذُرَاهَا ، وَقَــدْ دَنَــا	مِنَ اللَّيْلِ ، مُلْتَفُّ الحَدِيقَــةِ أَسْدَفُ
٣	فَبِتُّ عَلَى حَدِّ الذِرَاعَيْنِ مُجْذِيــاً	كَمَــا يَتَطَوَّى الأَرْقَــمُ المُتَعَطِّفُ
٤	وَلَيْسَ جِهَازِي ، غَيْرُ نَعْلَيْنِ أُسْحِقَتْ	صُدُورُهُمَــا مَخْصورَةً لَا تُخَصَّفُ
٥	وضُنَّيَّــةِ جُرْدٍ ، وَأَخْلَاقِ رَيْطَةٍ ،	إِذَا أُنْهِجَتْ مِنْ جَانِبٍ ، لَا تُكَفَّفُ
٦	وَأَبْيَضُ ، مِنْ مَاءِ الحَدِيـدِ ، مُهَنَّدٌ	مُجِذٌّ لِأَطْرَافِ السَّوَاعِدِ ، مِقْطَفُ

---

١ المَرْقَب : الموضع العالي المنيع الذي كان يتَّخذه الصّعلوك لرصد أعدائه والتربص بهم العَنْقَاء : الطويلة العالية . أَخُو الضِّرْوَة : الصَّيَّاد معه كلاب ضراها للصّيد . الحَفِيّ : المُلْحف الملحاح . المُخَفَّف : النَّحيل .

• يقول : إن المرقبة التي كان يتخفَّى بها منيعة عالية ، يعجز عن الوصول إليها صيَّاد ماهر ، خفيف ، خرج بكلابه المُضرّاة ، للصّيد .

٢ نَعَبْتُ : أي رفعت رأسي ، وفي رواية أخرى نميت ، ولعلَّها الأصح . أَسْدف : مُظْلم .

• أي اتخذ منها مكاناً للتَّخفي ، ليلا ، وقد أطبقت حوله الظّلمة .

٣ مُجْذِياً وَجَاذِياً : أي ثابتاً قائماً . الأَرْقم : ذكَر الحيَّات .

• يشبّه نفسه وقد أكبّ على ذراعيه بالأفعوان المتلوي على ذاته .

٤، ٥ أُسْحِقَتْ : بَلِيَتْ . تُخَصَّف : أي تخرّز بالمخصف . المخْصَف : مخرزة الحذاء . ضنيّة جُرْد : يعني بها ثوبه البالي السيء الحال . الخَلَق : البالي المهترىء . الرَّيْطَة : ثوب ليِّن رقيق يشبه الملحفة . نَهَجَ الثَّوب أو أنهج : بَلِي وخَلق . كَفّ الثَّوب : خاط حاشيته .

• يذكر في هذين البيتين ما هي عليه حال نعْليه وثيابه من البلى والتمزّق ، ليقول : إن هذا هو كلّ ما يملك .

٦ المُهَنَّد : السَّيف . جَذَّ : قطع .

• يصف سيفه ، وما هو عليه من البراعة في استخدامه ، فهو يقصّ به أطراف السَّواعد ، فيبترها بتراً ، وكأنَّها فاكهة متدلّية يقطفها .

٧ وَحَمْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ أَبِيٌّ ظَهِيرَةٌ تَرِنُّ كَإِرْنَانِ الشَّجِيِّ وَتَهْتِفُ

٨ إِذَا آلَ فِيهَا النَّزْعُ تَأْبَى بِعَجْزِهَا وَتَرْمِي بِذَرْوَيْهَا بِهِنَّ ، فَتَقْذِفُ

٩ كَأَنَّ حَفِيفَ النَّبْلِ ، مِنْ فَوْقِ عَجْزِهَا غَوَارِبُ نَحْلٍ ، أَخْطَأَ الغَارَ ، مُطْنِفُ

١٠ نَأَتْ أُمُّ قَيْسٍ المَرْبَعَيْنَ كِلَيْهِمَا وَتَحْذَرُ أَنْ يَنْأَى بِهَا المُتَصَيَّفُ

١١ وَإِنَّكِ لَوْ تَدْرِينَ ، أَنْ رُبَّ مَشْرَبٍ مَخُوفٍ كَدَاءِ البَطْنِ ، أَوْ هُوَ أَخْوَفُ

١٢ وَرَدْتُ بِمَأْثُورٍ يَمَانٍ ، وَضَالَّةٍ تَخَيَّرْتُهَا ، مِمَّا أُرِيشُ وَأَرْصُفُ

١٣ أُرَكِّبُهَا فِي كُلِّ أَحْمَرَ غَائِرٍ وَأَنْسِجُ لِلْوِلْدَانِ ، مَا هُوَ مُقْرِفُ

١٤ وَتَابَعْتُ فِيهِ البَرْيَ ، حَتَّى تَرَكْتُهُ يَرِنُّ ، إِذَا أَنْزَفْتُهُ وَيُزَفْزِفُ

---

٧ ظَهِيرَة : قوية الظَّهْر . الحَمْرَاء : القوس تحمّر من حرارة الشَّمس . النَّبْع : شجر تُتَّخذ من عيدانه الأقواس .

• يشبّه صوت السّهام قبل خروجها من القوس بتحيب إنسان أثقله الحزن .

٨ ، ٩ آلَ : رجع . العَجْز : مقبض القوس ، والذرْوَان طرفها . النَّزْع : جذب وتر القوس بالسهم . المُطْنِف : الذي يعلو الطَّنَف ، وهو رأس الجبل .

• يشبّه صوت السّهام ، وقد خرجت عن القوس ، بدويّ نحْل عائد إلى غار ، يبحث عن منفذ للدخول إليه .

١٠ نَأَتْ : بَعُدت .

• يتحوّل إلى مخاطبة أم قيس ، فيقول : إنها ابتعدت عن مربعَيْها ، ويخشى أن تنأى عنه كذلك في المربع الذي تصيّف به .

١٢ ، ١٤ المَأْثور : السَّيف ذو الأثر . الضَّالة : السّهام أو السلاح أجمع . أُرِيشُ : أجعل للسهم ريشاً . الغَائر ، من الغبْرة : غبرة إلى خضرة . المُقْرِف : القريب . أَنْزَفْتُهُ : والصواب أنفذته كما هي في رواية أخرى . الزَّفْزَفَة : صوت القدح حين يُدار على الظّفر ، والقدح هو السّهم قبل أن يُنصل ويُراش ، والظّفر هو ما وراء مَعْقد الوتر إلى طرف القوس .

• يتحدّث في هذه الأبيات عن سهامه ، وكيف يركّب في قداحها الرّيش ومتابعته لبريها كي تصير صالحة للاستعمال ، ليصوبها إلى أعدائه .

١٥ بِكَفِّيَ مِنْهَا لِلْبَغِيضِ عُرَاضَةٌ   إِذَا بِعْتُ خِلاًّ ، مَا لَهُ مَتَعَرَّفُ

١٦ وَوَادٍ بَعِيدِ العُمْقِ ، ضَنْكٍ جُمَاعُهُ   بَوَاطِنُهُ لِلْجِنِّ وَالأُسْدِ مَأْلَفُ

١٧ تَعَسَّفْتُ مِنْهُ ، بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى   غَمَالِيلَ ، يَخْشَى عَيْلَهَا المُتَعَسِّفُ

١٨ وَآبَ إِذَا أَجْرَى الجَبَانُ وَظَنَّهُ   فَلِي حَيْثُ يَخْشَى ، أَنْ يُجَاوِزَ مِخْشَفُ

١٩ وَإِنَّ امْرَأً قَدْ جَارَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ   عَلَيَّ ، وَأَثْوَابِ الأُقَيْصِرِ ، يَعْنُفُ

---

١٥ العُرَاضَة : الهدية وتراد على سبيل التهكم . الخُلّ : الصديق . وفي رواية أخرى : الحل .

* يقول : إن هذه السّهام قد أعدها هدية للصديق الذي خانه فكرهه وأنكره .

١٦ الضّنْك : الضيق . جُمَاعُهُ : في مخطوطة أخرى مجازه ، ولعلّها الصواب .

١٧، ١٨ تَعَسَّفَ : إذا ركب الشيء على غير هداية . الغَمَاليل : الرّوابي . العَيْل : القفر . آبَ : رجع . المخْشَف : الأسد أو الجوّال في اللّيل .

* يقول : إنه أوغل في ذلك المكان الذي تخشع له نفس الجبان ، ويخشى الأسد الجوّال في الليل أن يصعد إليه .

١٩ الأُقَيْصَر : إسم صنم . عَنَّفَ بفُلان : كان شديداً عليه ، لم يرفق به .

* يقسم بالصّنم وما تعلّق عليه من ثياب للنذور ، بأن من يجاور سعد بن مالك ويعرف أخلاقه ، لا بد أن يقسو عليه . والبيت مقطوع عن سياقه ، وقد ورد هكذا . ولعلّ القصيدة تنتهي في البيت السابق .

أَيْنَ السَّهْمُ ؟

١	وَمُسْتَبْسِلٍ ، ضَافي القَمِيص ضَمَمْتُهُ	بِأَزْرَقَ لَا نِكْسٍ ، وَلَا مُتَعَوِّج
٢	عَلَيْهِ نَسَارِيٌّ عَلَى خُوْطِ نَبْعَـــةٍ ،	وَفُوْقٍ كَعُرْقُوبِ القَطَـاةِ مُدَحْرَج
٣	وَقَـارَبْتُ مِنْ كَفَّيَّ ، ثُمَّ نَزَعْتُهَـــا	بِنَزْعٍ ، إِذَا مَا اسْتُكْرِهَ النَزْعُ ، مُخْلِجِ
٤	فَصَاحَتْ بِكَفَّيَّ صَيْحَةً ، ثُمَّ رَاجَعَتْ	أَنِينَ المَرِيضِ ذِي الجِرَاحِ المُشَجَّج

---

١ ضَافي : واسع . نكْس : جمع أنكاس ، السّهم الذي ينكسر فُوقه فيجعل أعلاه أسفله ، أو هو الرّجل الضعيف الدّنيء الذي لا خير فيه . نَصْل أزْرَق : شديد الصّفاء .

* وفارس شجاع صحبته معي ، وفي رفقتي سهمي اللامع الحاد في ضربته ، والذي لا يعوجّ أو يلتوي .

٢ نَسَاري : من ريش النَّسر . خُوْط : جمع خيطان ، الغصن الناعم أوكل قضيب . النَّبْعَة : واحدة شجر النَّبع ، وتستعمل للقوس . فُوْق : مشق رأس السهم ، حيث يقع الوتر .

* يصف قوسه ذات الريش ، والمصنوعة من غصن النبع ، فَيُشبِّهُها بقضيب ، وبأن رأس هذا السّهم ، مثل عرقوب طائر القطا . أما لفظة مُدحْرَج ، فقد وردت أيضاً مُحَدرَج .

٣ مُخْلج : خَلَجَ : فَتَل . نَزَع السَّهم : رمى به ، نَزَع عن القوس : رمى عنها .

* أدنَيْت القوس من يدي ، وشددت وتَرَها المفتول ، ورميت سهمها الرشيق .

٤ المَشْجُوج : محطَّم الرأس .

* وأخرَجت القَوْسُ صوتاً ، حين رميت بها ، كأنه الجريح المحطَّم الرأس .

غَارَةُ الفُرسَانِ الثَّلاثَةِ

خرج الشَّنْفَرَى مع عدد من الصّعاليك ، فيهم تَأَبَّط شرّاً ، والمسيَّب ، وعامر بن الأخنس ، وعمرو بن برّاق يقصدون العوص ، وهم حي من بَجيلةَ ، فتصدّت خَثْعم لهم في الطَّريق ، فدارت بينهم معركة انتهت بانتصار الصّعاليك عليهم ، فقال الشَّنْفَرَى هذه القصيدة .

وهو يبدأ القصيدة بمخاطبة امرأته ، ليعبّر لها عن استهتاره بالموت ، ويبدو في ذلك أنه على عجلة من أمْره ، لشدة تلهّفه للقتال ، إذ سرعان ما ينتقل ابتداء من البيت الثاني إلى ذكر الوقعة التي دارت مع العدو ، فيصف رفاقه وما في نفوسهم من لهفة للمغامرة ، حتى إذا ما تصدّى لهم العدو ، عند الفجر ، صمدوا لقتاله ، وقاموا بالتقتيل والسلب ، وردّوه على أعقابه مندحراً ، ليعودوا هم إلى قومهم ، يزفّون خبر انتصارهم وبطولتهم .

١	دَعِينِي وَقُولِي ، بَعْدُ ، مَاشِئْتِ ، إِنَّنِي	سَيُغْدَى بِنَعْشِي مَرَّةً ، فَأُغَيَّبُ
٢	خَرَجْنَا ، فَلَمْ نَعْهَدْ ، وَقَلَّتْ وَصَاتُنَا	ثَمَانِيَةٌ ، مَا بَعْدَهَا مُتَعَتَّبُ
٣	سَرَاحِينُ فِتْيَانٍ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ ؛	مَصَابِيحُ ، أَوْ لَوْنٌ مِنَ الْمَاءِ مُذْهَبُ
٤	نَمُرُّ بِرَهْوِ الْمَاءِ صَفْحاً ، وَقَدْ طَوَتْ	ثَمَائِلُنَا ، والزَّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ

---

١ دعيني وشأني ، ثم قولي ما تشائين ، فأنا لست لأبالي بالموت ، ما دمت ميتاً يوماً ما .

٢ يذكر أنهم خرجوا للغزو ثمانية بحال من التلهّف والسرعة ، حتى أنهم لم يعهدوا إلى أحد بالقيام على شؤونهم ، ولم يُوصوا أحداً بأهلهم .

٣ سَرَاحين : جمع سرحان وهو الذئب .

* إنَّهم فتيان كالذئاب ، ووجوههم مشرقة ، أي لا يعرفون الخوف ولا التَّعب .

٤ الرَّهو : مستنقع الماء . الثَّمائل : جمع ثميلة وهي سقاء الماء .

* إنهم كانوا مسرعين إلى غايتهم ، فلم يُلْووا على شيء حتّى على الماء ، مع شدّة حاجتهم إليه ، وليس لهم من زاد إلا ما يأملون في الحصول عليه بعد الغارة .

٥ ثَلاثاً عَلَى الأَقْدَامِ حَتّى سَمَا بِنَا — عَلى العَوْصِ، شَعْشَاعٌ من القَوْمِ مِحْرَبُ

٦ فَثَارُوا إِلَيْنَا في السَّوَادِ ، فَهَجْهَجُوا — وَصَوَّتَ فِينَا بِالصَّبَاحِ المُثَوِّبُ

٧ فَشَنَّ عَلَيْهِمْ هَزَّةَ السَّيْفِ ثَابِتٌ — وَصَمَّمَ فِيهِمْ بِالحُسَامِ المُسَيَّبُ

٨ وَظِلْتُ بِفِتْيَانٍ مَعِي ، أَتَّقِيهِمُ — بِهِنَّ قَلِيلاً ، سَاعَةً ثُمَّ خُيِّبُوا

٩ وَقَدْ خَرَّ مِنْهُمْ رَاجِلَانِ وَفَارِسٌ — كَمِيٌّ صَرَعْنَاهُ ، وَخُومٌ مُسَلَّبُ

١٠ يَشُنُّ إِلَيْهِ كُلُّ رِيْعٍ وَقَلْعَةٍ — ثَمَانِيَةً ، وَالْقَوْمُ رِجْلٌ وَمِقْنَبُ

١١ فَلَمَّا رَآنَا قَوْمُنَا ، قِيلَ : أَفْلِحُوا — فَقُلْنَا : اسْأَلُوا عَنْ قَائِلٍ لَا يُكَذَّبُ

---

٥ العَوْص : حي من بَجيلَة . الشَّعْشَاع : الطويل الخفيف . المحْرَب : الشّجاع ، الشَّديد الحرب .

* لقد وصلوا إلى هدفهم بعد مسيرة ثلاثة أيام على أقدامهم ، يتقدّمهم دليل شجاع ، فارع ، خفيف .

٦ هَجْهَجُوا : صاحوا . المُثَوِّبُ : الدّاعي ، المكرّر الدعاء .

* يصف بدْءَ القتال في الهزيع الأخير من اللّيل ، بإغارتهم على الحيّ ، واختلاط الأصوات من قَبل الطرفين .

٧ * فهاجم تأبَّط شرّاً ، واسمه ثابت ، القومَ بسيفه ، وهزّه في وجوههم ، في حين أن زميله المسيَّب ، قد سدّد سيفه إلى نحورهم .

٨ يقول : إنه ظلّ ورفاقه يقومون بالدّفاع ، فلم تمض ساعة حتى كان الفوز لهم واندحر عدوّهم خائباً .

٩ الكَميّ : البطل الشّجاع . الوَخُوم : الثقيل .

١٠ الرَّيْع : المرتفع من الأرض . القوم رِجْل : أي مشاة على أرجلهم . المِقْنَب : الجماعة على الخيل .

* يقول : إنه خيل لأعدائهم إن كلّ مرتفع يصبّ عليهم هؤلاء الصّعاليك الثمانية ، ما بين راجل وراكب .

١١ ينهي القصيدة بذكر عودة الصّعاليك إلى قومهم ليخبروهم باعتزاز عن انتصارهم في تلك الغارة .

تَأَبَّطَ شَــرًّا

تَـأَبَّطَ شَـــرًّا

هو لقب لثابت بن جابر بن سفيان الفهمي . وقد جاءه هذا اللَّقب من أمّه التي رأته ، مرة ، وهو يخرج حاملاً سيفه ، فقالت لمن سألها عنه : « لا أدري ، تأبَّط شرّاً وخرج » .

وقيل : إن أمه كانت لامته ، مرة ، على تقصيره ، وقالت له : كل أخوتك يأتيني إذا راح بشيء غيرك . فقال لها : سآتيك الليلة بشيء ، فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قَدرَ عليه . فلما دنا الرواح ، أتى بهن في جراب متأبطاً به ، فألقاه بين يديها ، ففتحته ، فشاعت الأفاعي في بيتها فوثبت وخرجت ، فقالت لها نساء الحي : ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت أتاني بأفاع في جراب : فقلن : وكيف حملها ؟ فقالت : تأبطها ، فقلن : لقد تأبط شرّاً ، فلزمته .

واشتُهر عن تأبَّط شرّاً ، أنه كان من أشجع فرسان الصّعاليك ، يُغير في اللّيل والنهار وحيداً ، غالباً ، ومترجلاً على قدميه ، دون أن يدركه أحد من شدة كرّه وفرّه وسرعة عدوه ، حتى قيل : إنه « أعدى ذي رجلَيْن ، وذي ساقَيْن ، وذي عينين » . وعرف عنه ، هو وعمرو بن برّاق والشَّنْفَرَى أنهم من العدائين المُغربين ، حتى رويت عنهم الأساطير . فقيل عن تأبّط شرّاً : إنه صديق الوعول ، ورفيق الغزلان .

* * *

تأبّط شرّاً ، شاعر التَحَمَتْ شخصيَّته بالأسطورة . فذهبت أخباره بين العرب مذهب أخبار الفرسان الخياليّين في القرون الوسطى بين الغربيين . ولذلك يصعب على الباحث حقاً أن يميّز بين أخبار هذا الشاعر الحقيقية ، وبين ما نسجه الرواة حول بطولاته الخارقة ، في مقارعة الغول ، ومسابقة الظباء واقتحام الفيافي ، وغزو القبائل والقوافل ، منفرداً ، بدون فرس .

فقد اشتهر « تأبّط شرّاً » ـ أي الذي حمل سيفه تحت إبطه وخرج يطلب حياة الحرية والفروسية والغزو ـ وعرف النَّاس فيه ذاك العَدّاء العجيب الذي سبق الغزلان والذئاب ، وذلك الفارس المغوار المتوحّد ، إلا من بعض رفقة من الصّعاليك ، أمثال الشَّنْفَرَى وعمرو بن برّاق . وهو ذلك الشّاعر الغزّاء الذي وحّد بين الحياة ولذة المغامرة في مواجهة أصعب المواقف للقاء الموت ، وفي رفقة الموت .

في شعر تأبّط شرّاً يتفتح التمرّد الملحمي ، ضمن صور موجزة ، مكثّفة الخيال والحسّ الحار ،

وتتخللها إيقاعات النَّفس اللاهثة وراء نشوة الطعن والضَّرب ، والاستغراق في لحظة المجد الصّاعق ، بدون تهيّب من خطر ، بدون ندم على جرح أو نصَب . ومن فورة الإخلاص للمشاعر الذَروية الباهرة . ومن نظرة امرىء مثقّف بالتجربة المباشرة ، ومن معانقة الألم الوهّاب للحياة ، تكونت قصيدة (تأبط شرّاً) الأولى ، في شخصيته الغريبة ، ثم توالت ألوانها وروائعها ، في أنفاس متقطّعة من الشعر ، لا تجد لحظة فراغ كيما تتّسق ، وتنضج في ظل العقل والرّوية الهادئة ، بل إنها تتدفّق مع لهاث العَدْو ، وتنبلج مع لمعان السيف ، وتزأر من خلال صرخات الهجوم والانتصار .

وهكذا امتاز شعر تأبّط شرّاً ، كما هو شعر الصّعاليك دائماً ، بنبرة الواقعية ، والنزعة التصويرية الطبيعية ، مع رؤيا حيوية للوجود ، فائرة بنزعات الإنسان القويّ المقبل على المجهول إقبالةَ فنّان وطفل وفارس مقدام ، فيه من الفنّان تلوين الخيال ودفق الإحساس بجمال الوقائع الإنسانية ، مبسوطة أمامه ، من دون زيف أو تقيم ضيق . وفيه من الطّفل دهشته العفوية من العالم ، وما تُوحي به هذه الدهشة من حكمة ساذجة ، ولكنها صادقة صائبة . وفيه من الفارس نزعة التحدي ، وجَماحُ القوّة الحيويّة ، الطّافحة من خلال حسّ عامر بانتجاع قمَم المجد ، أينما تبدت ، ودون أية تهلكة ، شخصت وبرزت .

ولقد التبستْ بعض قصائد تأبّط شرّاً بأشعار سواه من الصّعاليك ، وما زال النقاش يدور حول قصيدة لامريء القيس ، تُنسب لتأبّط شرّاً . ولعلّ هذا التقارب ما بين امرىء القيس وتأبّط شرّاً ، يوحي بالمستوى الفني العالي الذي بلغه هذا الشّاعر الصّعلوك . فلقد امتاز تأبّط شرّاً بتلك الموهبة الخصبة في جعل ألفاظ اللّغة نفسها ، أشبه بصور ولوحات ، مشبّعة بالحروف الموسيقية الدّالة على معانيها . وكانت هذه المعاني دائماً مستقاة من الانفعال بالصّحراء والمغامرة ، والطبيعة أو المشاركة الحيويّة المُبْدعة بعنف التجربة الضاربة في أصول الحياة ، خارج كلّ إطار ، وكلّ تصنيف مصطنع .

فلا عجب إذا ما اختلطت بعض قصائده بقصائد امرىء القيس ، ما دام امرؤ القيس واحداً من أكبر أعلام الشّعراء الجاهليين . ذلك أن شعر تأبّط شرّاً ، هو الآخر ، مرجع وثائقي للجاهلية ، كتجربة نفسيَّة اجتماعيَّة فريدة متميّزة .

وتمرّ حياة تأبّط شرّاً كعاصفة من الشعر والمجد والنّشوة بالخطر والتحدي ، إلى أن يقضي مقتولاً ذبيحاً ، في فخ نصبته له القبيلة التي طالما روّعتها غزواتُه وهجماته المتوالية على أحيائها وأنعامها .

يَا عِيدُ مَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ وَإِيرَاقِ

قال تأبّط شرّاً يقيّم شخصيّته ، وفيها يصف الطَّيف ، ويذكر حادث فراره من بَجيلَة ، وتدبيره حيلة هرب بها مع رفيقيه عمرو بن براق والشَّنْفَرَى . ويصوّر قوة جريه وشدة عَدْوه . والرجل الذي يركن إليه . ثم يفخر بتجشمه الأخطار ، ويشيد بكرمه الشخصي ، منددّاً بمن يلومه في إنفاق أمواله .

وجاء فخره بكرمه ، من غير ضجَّة ، ولا ولوع بالشّهرة بين أحياء العرب . كما فعل الطَّائيُ الذي اعتبر الكرم وسيلة لذيوع الصيت واكتساب المجد ، في حين أن تأبّط شرّاً مارس الكرم غاية فروسية خالصة ، مرتبطة بأخلاق السّيادة بين الصّعاليك .

١ يَا عِيدُ مَالَكَ مِنْ شَوْقٍ وَإِيرَاقِ ... وَمَرِّ طَيْفٍ ، عَلَى الأَهْوَالِ طَرَّاقِ

٢ يَسْرِي عَلَى الأَيْنِ والْحَيَّاتِ مُحْتَفِياً ، ... نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ سَارٍ عَلَى سَاقِ !

٣ إِنِّي إِذَا خُلَّــةٌ ضَنَّتْ بِنَائِلِهَـــا ... وَأَمْسَكَتْ بِضَعِيفِ الوَصْلِ أَحْذَاقِ

---

١ العيدُ : ما اعتاد من حزن وشوق . مَالَكَ : مَا أعظمك . الإيرَاق : من آرقَهُ يورقَهُ من الأرق . طرّاق : يقول : يطرقنا ليلاً في موضع البعد والمخافة .

• أيّتها الأفراح والأحزان التي لا تنفكّ تنتابني ، فأستعيد بها ذكرياتي الماضية ، وما بهـا من أحداث تبعث على الفرح أو الحزن ، والتي تجعلني ألمح من جديد طيفي وأنا أجتاز الأهوال وأطرق مكامن الأخطار .

٢ يَسْري الطَّيْف : يسير ليلاً . الأين : الإعياء أو نوع من الحيَّات . محتفياً : حافياً .

• أتذكر نفسي وأنا أسير متعباً منهوك القوى ، حافي القدمين حيث الأفاعي في الطرق المقفرة ، أفديك أيها الإنسان الوحيد السَّائر في البيداء لما تتجشَّمه من أهوال وأخطار .

٣ الخُلَّة : الصَّداقة . وتقال للصّديق ، وتُطلق على المثنى والجمع والمذكر والمؤنَّث . النَّائِل : ما يُنال . بضَعيف الوصْل : بحبل ضعيف . الأحْذاق : المتقطِّع .

• إني إذا تخلى أصدقائي عني ، وبَخَلُوا عليّ بما عندهم ولم يصْدقوا مودتي وإخائي ..

٤ نَجَوْتُ مِنْهَا نَجَائي مِنْ بَجِيلَةَ ، إِذْ أَلْقيْتُ ، ليلةَ خَبْتِ الرَّهْطِ ، أَرْواقِي

٥ لَيْلَةَ صَاحُوا وَأَغْرَوا بِي سِراعَهُمُ بالعَيْكَتَيْن لَدَى مَعْدَى ابنِ بَرَّاقِ

٦ كَأَنَّمَـا حَثْحَثُوا حُصّـاً قَوادِمُـهُ أَو أُمَّ خِشْفٍ ، بِذِي شَثٍّ وطُبَّاقِ

٧ لَا شَيْءَ أَسْرَعُ مِنِّي ، لَيْسَ ذَا عُذَرٍ وَذَا جَنَاحٍ ، بِجَنْبِ الرَّيْدِ خَفَّاقِ

٨ حَتَّى نَجَوْتُ ، وَلَمَّا يَنْزِعُوا سَلَبِي بِوَالِـهٍ مِنْ قَبِيضِ الشَّدِّ غَيْـدَاقِ

٤ بَجِيلَة : القبيلة التي أسرَتْه . الخَبْت : اللَّين من الأرض . الرَّهْط : موضع . ألقيت أرواقي : استفرغت مجهودي في العدو .

* سرعان ما أتخلص من هؤلاء الصّحب وأبتعد عنهم وأجافيهم ، كما استطعت أن أتخلّص من قبيلة بجيلة التي أسرتني ، حين تمكّنت من الفرار واجتياز الأرض الموحلة ، بما بذلت من جهد شاق ، يدل على قوة عزيمتي وصلابتي .

٥ العَيْكَتَان : موضع . مَعْدى : إسم مكان . ابن برّاق : هو عمرو ، وهو والشَّنْفَرى صديقا تأبط شرّاً ، وكانا معه ليلة انفلاته من بَجيلَة .

* وقد حدث هذا حين انطلقوا خلْفي بعد فرار صديقيّ ابن برّاق وأرسلوا عدّائيهم ليلقوا القبض عليّ ، لكني تمكّنت من الفرار ونجوت سالماً .

٦ حَثْحَثُوا : حرّكوا ، من الحثّ . القَوَادم : ما وَلِي الرأسَ من ريش الجناح ، وهي عشر ريشات في مقدم الجناح . الحُصّ : جمع أحص ، وهو ما تناثر ريشه وتكسّر ، يشير بذلك إلى الظَّليم ، وهو ذكر النَّعام . الخِشْف : ولد الظبية . الشَّثّ والطّبّاق : نبتان طيبا المرعى .

* وحين انطلقت أعدو ، كنتُ قوياً سريعاً مثل ذكر النعام الذي تناثر ريشُه ، فسهُل عليه الجري ، أو مثل الغزال السريع الذي رُبي على الشّثّ والطّبّاق . يقصد : كنت أعدو مثل الظليم أو الظبية ، وهما مضربا المثل في سرعة العدو .

٧ العُذَر : جمع عذرة ، وهي ما أقبل من شعر النّاصية على وجه الفرس . الرّيْد : الشمراخ الأعلى من الجبل .

* ولم يكن شيء أسرع مني في العدو والرّكض ، غير الفرس الأصيلة التي غطّى الشّعر المنسدل أعلى جبهتها ، وغيرُ الطير الكاسر الذي يسكن أعالي الجبل .

٨ السَّلَب : ما يسلب في الحرب . الوَاله : الذّاهب العقل ، الشَّدُّ القَبيض : الجريُ السريع . الغَيْداق : الكبير الواسع ، من الغدق ، وهو المطر الكثير .

* وقد نجوت من هذه القبيلة دون أن يسلبوني شيئاً ، وتخلّصت من عدّاء سريع الجري ، كان يُلاحقني بقوة وثبات ، كالمطر المنهمر من السّماء .

٩ وَلَا أَقُولُ ، إِذَا مَا خُلَّـةٌ صَرَمَتْ : يَا وَيْحَ نَفْسِيَ مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقِ
١٠ لٰكِنَّمَا عَوَلِي ، إِنْ كُنْتُ ذَا عِوَلٍ ، عَلَى بَصِيرٍ ، بِكَسْبِ الحَمْدِ سَبَّاقِ
١١ سَبَّاقِ غَايَاتِ مَجْدٍ ، فِي عَشِيرَتِهِ ، مُرَجِّعِ الصَّوْتِ ، هَدًّا بَيْنَ أَرْفَاقِ
١٢ عَارِي الظَّنَابِيبِ ، مُمْتَدٌّ نَوَاشِرُهُ مِدْلَاجِ أَدْهَمَ ، وَاهِي المَاءِ ، غَسَّاقِ
١٣ حَمَّالِ أَلْوِيَةٍ ، شَهَّـادِ أَنْدِيَـةٍ قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ ، جَوَّابِ آفَـاقِ

---

٩ صرمت : قطعت .

* ولن أقول بعد هذا ، إذا جافاني بعض الأصحاب : يا حسرتا عليّ ، لقد أضحيت وحيداً ، لا نصير لي . يعني أنه قوي بنفسه لا حاجة به إلى غيره ليساعده .

١٠ العَوَل : مصدر بمعنى العويل ، وهو رفع الصّوت بالبكاء والإستغاثة . والمعنى هنا : إعتمد واستند .

* ولقد اعتمدت على إنسان سيّد كريم الأخلاق . واعتباراً من هذا البيت ينتقل إلى امتداح نموذج الإنسان الكامل في رأيه ، وكأنّه يُصَوّر نفسه من خلاله .

١١ مُرَجِّع الصَّوْت : يصيح آمراً ناهياً . هدّاً : رافعاً صوته ، وهي مصدر وَقَعَ حالاً . الأَرْفَاق : الرفاق .

* هذا الرجل يسبق غيره في سُبُل المجد ، وهو سيّد عشيرته ، الآمر النَّاهي بين صحبه ورفـاقه .

١٢ الظَّنابيب : جمع ظنبوب ، وهو حرف عظم السَّاق ، جعلها عارية لهزالها ، والعرب تمدح الهزال وتهجو السّمن . النَّواشر : عروق ظاهر الذراع . مدْلاج : كثير السَّفر في اللَّيالي . الأدْهَم : اللَّيل . وَاهي المَاء : مطر شديد . الغَسَّاق : شديد الظلمة ، وهما نعت للأدهم .

* إن هذا الرَّجل نحيف الجسم ، قد برزت عروق يديه ، وظهر عظم ساقيه ، وهو لفرط شجاعته وجرأته يسير في اللَّيل الحالك الممطر وحيداً ، وذلك وصف نموذجي للصّعلوك العدّاء .

١٣ المُحْكَمَة : الكَلمة الفصل . جَوّاب آفاق : صاحب أسفار وغزو مستمر .

* وهو فارس مُحارب يشهد نوادي العرب ، صاحب كلمة فاصلة يقتنع بها الجميع ، وهو رجل أسفار وغزو .

١٤ فَذَاكَ هَمِّي وَغَزْوِي أَسْتَغِيثُ بِـهِ   إِذَا اسْتَغَثْتَ بِضَافِي الرَّأْسِ نَغَّاقِ
١٥ كَالحِقْفِ ، حَدَّأَهُ النَّامُونَ ، قُلْتُ لَهُ :   ذُو ثَلَّتَيْنِ ، وذُو بَهْمٍ وأَرْبَـاقِ

* * * *

١٦ وَقُلَّـةٍ ، كَسِنَـانِ الرُّمْـحِ بَـارِزَةٍ   ضَحْيَانَةٍ في شُهورِ الصَّيْفِ ، مِحْرَاقِ
١٧ بَادَرْتُ قُنَّتَها صَحْبِي ، وَمَا كَسِلُوا   حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَـا ، بَعْدَ إِشْرَاقِ

---

١٤ غَزْوِي : مقصدي ، من الغزو وهو القصد . ضَافِي الرّأس : كثير الشَّعر . نَغَّاق ، ونَعَّاق بمعنى واحد ، وهما روايتان مختلفتان هنا وهو صياح الغراب .

• فذلك الرجل الكامل ، هو ما أصبو له ، وألتجيء إليه ، في حين أن الآخرين قد يلجأون إلى راعي إبل ، كثيف الشَّعر ، يصيح في إبله كالغراب .

١٥ الحِقْف : ما اعوج من الرمل . حَدَّأَهُ النَّامُون : أي صلبوه بدوسهم إيَّاه وصعودهم عليه . الثَّلَّة : قطعة من الغنم . البَهْم : أولاد الشَّاء . الأَرْبَاق : ربق ، حبل يجعل كالحلقة يشدّ به صغار الغنم ، لئلا ترضع .

• يشبّه رأس هذا الراعي بثلَّة تلبَّدت لكثرة ما داستها الأقدام . ثم يقول له : أنت ذو ثلتين ، مالك وللحرب ، يريد تحقيره بذلك . ومعنى البيت بالمقارنة مع سابقه ، هو أن الشَّاعر لا يستغيث إلا بمثل ذلك الرجل الكريم السَّيد الذي أتى على وصفه من قبل ، في حين أن الآخرين لا يستغيثون إلا بمثل هذا الراعي النعَّاق ذي الشَّعر المتلبّد القذر .

١٦ القُلَّة : أعلى الجبل . ضَحْيَانَة : بارزة للشمس . مِحْرَاق : يحرق من فيها .

• ينتقل إلى موضوع آخر فيقول : وكثيراً ما كنت أصعد رأس التّلال المرتفعة الّتي تتعرّض للشَّمس حتى تحرق من فيها ، خلال الصَّيف .

١٧ القُنَّة والقُلَّة بمعنى واحد ، وأراد أعلى جزء منها . نَمَيْت : ارتفعت ، يقصد أنه بالرغم من الجهد الذي بذله صحبه فقد سبقهم .

• صعدتُ إلى المرتفع يتبعني صحبي ، وقد سبقتهم ، مع أنهم كانوا جادين في صعودهم مُسْرعين .

١٨ لَا شَيْءَ فِي رَيْدِهَـا ، إِلَّا نَعَامَتُهَا ، مِنْهَا هَزِيمٌ ، وَمِنْهَـا قَـائِمٌ بَـاقِ

١٩ بِشَرْثَةٍ ، خلَقٍ ، يُوقَى الْبَنَـانُ بها شَدَدْتُ فِيهَا سَرِيحاً ، بَعْدَ إِطْرَاقِ

٢٠ بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ ، خَذَّالَةٍ ، أَشِبٍ حَرَّقَ بِاللَّوْمِ جِلْدِي أَيَّ تَحْرَاقِ

٢١ يَقُولُ : أَهْلَكْتَ مَالاً ، لَوْ قَنِعْتَ بِهِ مِنْ ثَوْبِ صِدْقٍ ، وَمَنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ

٢٢ عَاذِلَتِي ، إِنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ وَهَلْ مَتَاعٌ ، وَإِنْ أَبْقَيْتُهُ ، بَـاقِ

---

١٨ الرَّيْد : أعلى الجبل . النَّعَامَة : خشبات تكون في أعلى الجبل ، يأوي إليها الربيئة وهو الطَّليعة والعين من الجيش في القتال ، منْهَا : من خشبات النعامة . هَزِيم : متكسّر .

* ولم يكن في رأس هذه التَّلة ، إلا عريشة خشبية قد تهدم وتآكل أكثرها ، وبقي قسم آخـر جلسنا تحته .

١٩ بشَرْثَة خَلَق : يقول : صعدت إلى هذه القنَّة بنعل ممزقة . السَّريح : السّيور تشدّ بها النعـل . الإطْرَاق : أن يجعل تحت النَّعل مثلها .

* لقد صعدت إلى أعلى الجبل ، وأنا أنتعل حذاءً بالياً ، أحمي به أصابع قدمي ، وقد ربطت بهذا النعل سيوراً من جلد ، وضعته تحت البالي القديم .

٢٠ بَلْ : للإضراب الانتقالي . العَذّالَة : الكثير العذل . الخَذّالة : الذي يكثر خذلان صاحبـه ، والتَّاء فيها للمبالغة . الأشب : المُخلِّط المعترض ، أي المشتبك غير السهل ، يريد من يعينني على هذا العذّالة .

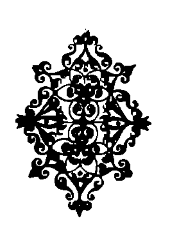
* ينتقل إلى موضوع آخر ، فيقول : ومن يعينني على هذا اللائم الّذي يكثر خُذلاني ولَوْمي ويهرف في كل ما يقول ، حتى لقد حرق لومه جسدي وأثّر بي .

٢١ ثوب صدق : شديد ، كامل، عنى به الجيّد . البَزّ : الثّياب أو السّلاح . الأعلاق : كرائم الأموال . يقول اللائم : لقد بذرت أموالك بدون نفع ، ولولم تفعل ، لكان عليك الآن ثوب لائق ، وسلاح جيّد ، ولكان لك الأنعام الكريمة .

٢٢ مَعْنَفَة : عُنْف .

* يجيبه : إذا زاد اللّوم عن حدّه أصبح تعنيفاً وإهانة ، فكفّ عنه ، ولِمَ احتاجك على إنفاق المَال ، ما دام كل مال سوف يزول .

٢٣ إني زَعِيمٌ ، لَئِنْ لَمْ تَتْرُكُوا عَذَلي | أَنْ يَسْأَلَ الحَيُّ عَنِّي أَهْلَ آفاقِ
٢٤ أَنْ يَسْأَلَ القَوْمُ عَنِّي أَهْلَ مَعْرِفَةٍ ، | فَلَا يُخَبِّرُهُمْ عَنْ ثَابِتٍ لَاقِ
٢٥ سَدِّدْ خِلَالَكَ مِنْ مَالٍ ، تُجَمِّعُهُ | حَتَّى تُلَاقِي الَّذِي كُلُّ امْرِئٍ لَاقِ
٢٦ لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنَّ مِنْ نَدَمٍ ، | إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْماً بَعْضَ أَخْلَاقِي



---

٢٣ زَعيم : كفيل وضمين .
* إنَّك إذا لم تَكُفَّ عن لومي وتعنيفي ، فإني كفيل بأن أترككم وستسألون عنّي روّاد الآفاق ، ولن تجدوني ؛ كناية عن ارتحاله بعيداً عن لائمه .
٢٤ ثابت : هو تأبَّط شرّاً .
* وحتّى من كان ذا خبرة بالمسالك البعيدة المجهولة ، فإنه لن يعرف لي مكاناً .
٢٥ الخلال : جمع خُلَّة ، وهي الحاجة والفقر .
* يخاطب نفسه ، فيقول : ليس لك إلا أن تنفق أموالك في سُبُل الخير الّتي ترتضيها لنفسك ، حتى تلاقي نهايتك .
٢٦ لَتَقْرَعَنّ : هما خطاب للرجل العذّالة .
* يعاقب لائمه ، ويقول : ستندم أشدّ النّدم ، حين يأتي يوم تتذكر فيه أفعالي المجيدة وأعمالي المأثورة .

فِي غَارِ العَسَلِ

في أسطورة أخرى لتأبّط شرّاً ، أقرب إلى واقع حياته وأقرب إلى خيـال المغامرة . نجد الشّاعر يفتخر بطول باعه في الحيلة ، وذلك عندما استطاع أن يَفرَّ من فخّ نصبته له جماعة من قبيلة « هُذَيْل » ، هذه القبيلة التي اعتاد تأبّط شرّاً غَزْوَها من حين إلى آخر . فعلمت أخيراً أن صعلوكها المطارد ، يجيء ، عادة ، إلى غار في أرضها ، ليستخرج منه العسل ، فكمنت له هناك . وكاد أنْ يُسقَطَ في يد الصّعلوك الخبيث . غير أنه ، مع ذلك ، عثر على شِقّ خافٍ ، وقد سكب على أرضه الصّخرية الملساء شيئاً من ذلك العسل ، وانبطح على صدره فوقه ، وجعل ينزلق عليه ، حتى خرج من الشّق وانطلق فارّاً . فقال هذه القصيدة يفخر بحيلته ، ويصف طريقة خروجه من الشّق الضيّق ، ويقدم لنا بذلك لوحة أخرى عن واقعة من حياة الصّعلكة . فإلى جانب الشجاعة وسرعة العدو ، فإن تأبّط شرّاً يعطي للفكر والحيلة قيمة لا تقلّ عن قيمة الشّجاعة والفروسية ذاتهما .

١ إِذَا المَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ ، وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ ، وَهوَ مُدْبِرُ

٢ وَلٰكِنْ أَخُو الحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلاً ... بِهِ الخَطْبُ ، إِلَّا وَهوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ

٣ فَذَاكَ قَرِيعُ الدّهْرِ مَا كَانَ حَوَّلٌ ... إِذَا سُدَّ مِنْهُ مِنْخَرٌ ، جَاشَ مِنْخَرُ

---

١ جَدّ : اجتهد ، وهي ضد هزل .. مُدْبر : متأخر .

• إذا المرء لم يحسن التصرّف في ساعات الشدّة ، فإن أمره سيؤول إلى الضّياع والخسران .

٢ الحَزْم : القوّة . الخَطْب : الأمر المهم .

• أما الرّجل الحازم الحذر ، فيأخذ حيطته وحذر ه، قبل أن تصيبه الأخطار .

٣ فذاك : إشارة إلى « أخي الحزم » . قَرِيعُ الدّهْر : المجرب . الحَوّل : الشّديد الاحتيال .

• هذا الرجل المجرّب الواسع الحيلة ، يعرف كيف يخرج من المآزق سالماً ، دون أن يلحقه ضرر ، ولا يعدم وسيلة يُنقذ بها نفسه .

٤ أَقُولُ لِلِحْيَانٍ ، وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وِطَابِي ، وَيَوْمِي ضَيِّقُ الْجُحْرِ مُعْوِرُ

٥ هُمَا خُطَّتَا : إِمَّا إِسَارٌ وَمِنَّةٌ وإِمَّا دَمٌ ، وَالْقَتْلُ بالحُرِّ أَجْدَرُ

٦ وَأُخْرَى أُصَادِي النَّفْسَ عَنْهَا ، وَإِنَّهَا لَفُرْصَةُ حَزْمٍ ، إِنْ ظَفِرْتُ ، وَمَصْدَرُ

٧ فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي ، فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا بِــهِ جُؤجُؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مُخَصَّرُ

٨ فَخَالَطَ سَهلَ الأَرْضِ، لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةً ، وَالمَوْتُ خَزْيَانَ يَنْظُرُ

٩ فَأُبْتُ إِلى فَهْمٍ ، وَلَـمْ أَكُ آيِبـاً وَكَمْ مِثْلِهَـا ، فَارَقْتُهَا ، وَهيَ تَصْفِرُ

---

٤ لحْيَان : بطن من هُذيْل ، ينتسب إليه أعداؤه . صَفِرَتْ : فَرَغَت . الوطَاب : الوعاء . الجُحْر : منفذ صغير . مُعْوِر : بانت عورته : وهو اسم فاعل من أعور الشيء : أي بدت عورته .

* قلت لأبناء لِحْيان ، وقد أوشكتُ على الهلاك ، في ساعة من ساعات المحنة ، التي مرت بي داخل هذا الغار المُحاصر .

٥ خُطَّتَا : الخطة : الطريق .

* ليس أمامي إلا خطتان : إما أن أخرج إليكم وأصبح أسيراً عندكم ، تمنون عليّ بإبقائي حيّاً ، أو أن يُسفكَ دمي على أيديكم ، وهذا أجدر برجل حرّ ، يأبى الأسر والمنّة .

٦ أصَادي : أداري ، من المُصَاداة : إدارة الرأي في تدبير الأمر .

* ولكن هناك منفذ آخر أفكر فيه ، وقد يكون دليل الحزم والمقدرة ، إن أنا نفّذته وخرجت منه سالماً .

٧ الصّفا : الصخر . الجُؤجُؤ : صدر الطائر ، أو صدر السّفينة . العَبْل : السّمين الضّخم . المُخَصّر : الدقيق الخصر . مَتْن : ظهر .

* لقد صمّمت على تنفيذ خطّتي ، وزلق صدري الممتليء ، وخصري المتين فوق الصّخر ، وهذا دليل قوة جسمه ومتانته .

٨ يَكْدَح : يحفر .

* حتى وصلت أسفل الجبل سليماً ، دون أن تخدش الصّخور صدري ، ومن بعيد كان الموت ينظر إليّ وقد غمره الخزي والعار . قصد بالموت فتيان لحْيان الّذين أرادوا قتله .

٩ أبْتُ : رجعتُ .

* ورجعت إلى قومي سليماً ، في حين ظُنّ أنني لن أعود ، وليست هي المرة الأولى التي أنجو فيها من مثل هذا المأزق .

أَلِيفُ الْوُحُوشِ

وفي القصيدة التالية ، يستعين الشاعر ، مرة أخرى ، بحوار سريع مع زوجه ، يتصوّر فيها حديث منْ يحذر فتاته من الزواج به ، لأنّــه ذلك الفتى المغامر الذي لا يلبث حتَّى يقضي قتيلاً في إحدى مغامراته وغزواته . وينطلق الشاعر ، ليؤكّد فعلاً ، أنّه هو ذلك الفتى ، ولكنه ليس بالمغامر الفاشل ، بل إنَّه مغوار شجاع ، وكريم مفضال ، حتى ليؤثر الجياع على نفسه ، فيرفدهم بماله وطعامه ويبيت هو بارزَ العظام ، ملتصق البطن . ثم يفخر بصداقته للوحش ، في حين يهابه الإنسان الظّالم ، ويتمنّى موتَه أعداؤه . وهو لا يكترث للموت ، لأنّــه يعلم أنّه سيواجه حتفه على حد السَّيْف اللاَّمع في حَومة الضّرب والطَّعن .

١ وَقَالُوا لَهَـا : لَا تُنْكِحِيـــهِ فَإِنَّـــهُ   لِأَوَّلِ نَصْلٍ ، أَنْ يُلَاقِيَ مَجمَعَا

٢ فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيٍ فَتِيلاً ، وَحَاذَرَتْ   تَأَيُّمَهَـا مِنْ لَابِسِ اللَّيْلِ ، أَرْوَعَا

٣ قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ ، أَكْبَرُ هَمِّـــهِ   دَمُ الثَّأْرِ ، أَوْ يَلْقَى كَمِيّاً مُسَفَّعَا

---

١ لا تتزوجي هذا الرجل فإنه مُلاق حتْفَه في أول معركة يخوضها .

٢ التَّأيّم : المكوث زمناً بلا زواج . الأرْوَع : من يعجبك بحسنه وشجاعته . لاَبس اللّيل : الذي يسافر في الظلام .

* لكن هذه المرأة لم تُصْغ إلى هذا الرأي ، بل آثرت أن تتزوج هذا الشّجاع الذي يجوب القفار في اللّيل ، يشير هنا إلى نفسه .

٣ الكَميّ : الشّجاع . الغِرَار : القليل . المُسَفَّع : المتغيّر لون الوجه ، وهو المحمرّ والمسودّ من حرّ الشّمس .

* هذا الرجل – يقصد نفسه – لا ينام كثيراً ، وكل همّه أن يثأر من أعدائه وأن يلاقي الفرسان المسلّحين ليحاربَهم . يعني أنه رجل شجاع فاتك .

٤ يُمَاصِعُهُ كُلٌّ يُشَجِّعُ قَوْمُـــهُ ، وَمَا ضَرْبُهُ هَامَ العِدَا ، لِيُشَجعَـا

٥ قَلِيلُ ادِّخَـارِ الزَّادِ ، إِلَّا تَعِلَّـــةً فَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ ، والْتَصَقَ المِعَا

٦ يَبِيتُ بِمَغْنَى الْوَحْشِ ، حَتَّى أَلِفْنَهُ وَيُصْبِحُ لَا يَحْمِي لَهَا ، الدَّهْرَ ، مَرْتَعَا

٧ عَلَى غِرَّةٍ ، أَوْ نُهْزَةٍ مِنْ مُكَانِسٍ ، أَطَالَ نِزَالَ القَوْمِ ، حَتَّى تَسَعْسَعَا

٨ وَمَنْ يُغْرَ بِالأَعْدَاءِ ، لَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَى بِهِمْ، مِنْ مَصْرَعِ المَوْتِ مَصْرَعَا

٩ رَأَيْنَ فَتًى ، لَا صَيْدَ وَحْشٍ يَهُمُّهُ فَلَوْ صافَحَتْ إِنْساً ، لَصَافَحْنَهُ مَعَا

---

٤ المُماصَعَة : المجالدة والمقاتلة .

* إنه لا يضاربه ولا يراميه ، إلا كلّ رجل معروف عند قومه بالشَّجاعة ، وإنه لا يقصد ، بضربه هامَ العدا ، أن ينسب إلى الشَّجاعة ، لأن ذلك أهون شيء عنده .

٥ تَعِلَّة : ما يسدّ الرّمق . نَشَزَ : ارتفع عن مكانه . الشُّرْسُوف : غضروف معلق بكل ضلع .

* إنه لا يحتفظ بالطَّعام ، بل يهبه للجائعين بالرغم من الجوع الذي يعانيه حتى برزت عظامـه والتصقت معدته بظهره .

٦ المَغْنَى : المنزل .

* يريد أنه قد طالت ملازمته للوحوش حتى ألفته . وهو لا يمنعها من الرّعي ، وهي لا تخـاف منه ، لأن همته مصروفة إلى غيرها ، أي أنه لا يؤذي الحيوان ، ولكنه يوفّر همته لأعدائـه من بني الإنسان .

٧ الغِرّة : الغفلة . النُّهْزَة : الفرصة . المُكَانس : الملازم للكناس . تَسَعْسَع : من قولهم : تسعسع الشَّهر : إذا ولّى . كناية عن شجاعته ، وأنفته من حياة الدعة والسَّلام .

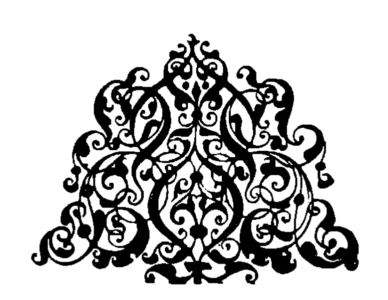
* وهو لا يحمي المرتع على غَفْلَة أو فرصة من أسد ملازم لكناسه ، وقد طال شَغَفُهُ بنزال القـوم حتَّى ولّى أكثره .

٨ * ومن يلهج بمحاربة الأعداء ، لا بدّ أن يلقى بذلك مصرعاً .

٩ * لقد رأت الوحوش الضارية فتى شجاعاً ، مقداماً ، لا يهمّه قط أن يصطاد وحشاً برّيّاً ، ولذا فلو أن هذه الوحوش ، تصافح النَّاس ، لتقدمت منه وصافحته لما بينه وبينها من ألفة .

١٠ وَلكِنَّ أَرْبَابَ المَخَاضِ يَشُفُّهُـمْ إِذَا اقْتَفَرُوهُ وَاحِداً ، أَوْ مُشَيَّعَا

١١ وَإِنِّي ، وَإِنْ عُمِّرْتُ ، أَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَلْقَى سِنَانَ المَوْتِ ، يَبْرُقُ أَصْلَعَا



---

١٠ المَخَاض : النّوق الحوامل . يَشُفّهُم : أي يهزلهم . إذا اقْتَفَرُوه : أي تتبعوه واقتفوا أثـره في القفر .

* وهو لا يريد صيد الوحش ، بل يريد الإغارة على أرباب المال ، فيجهدهم ويهزلهم تتبع أثره مجتمعين أو منفردين .

١١ يَبْرُق : يلمع . الأَصْلَع : المنكشف للمبارزة .

* يقول : وإني على يقين أن الموت لا مهرب منه . وإني لو عمرت دهراً ، لا بدّ أن أطعن بسنانه اللامع المنكشف .

تَأَبّط شَرّاً والْغُولُ

صراع تأبّط شرّاً مع الغول ، وإن أنكره الواقع ، إلا أن تصويره الفني والحركي ، وإبراز معالم المعركة مع معالم هذا الحيوان الخرافي ، قد أثبت واقعيَّة الفنّ ، واتى بنموذج فريد في الشّعر الجاهلي القديم . ومن الغريب أنه لم يتكرّر . ولعل تفسير ذلك يرجع إلى مدى التصاق الخيال البدوي بالبصريات والحسّيات عامة ، على فقرها في الصحراء .

وأطرف ما في هذه القصيدة ، ذلك المدخل الذي يريد أن يؤكّد فيه للغول أنّها زميل له : أخو سفر وترحال . ولكنَّه مع ذلك يدخل في صراع معها ، وذلك لإثبات شجاعته الخارقة .

وحين يأتي على وصف رأسها القبيح ، كرأس الهر ، وساقيها كساقي طفل كسيح ، وقحف رأسها كالكلب ، كأنّما يقدم الشّاعر مثالاً عن تلك المسوخ الحيوانية الإنسانية معاً التي ترد في أساطير الإغريق ، وهي مركّبة من أجزاء من جسد الحيوان والإنسان معاً . ولعل هذا التوارد في الخواطر ، يعود إلى التّعاصر الذهني ، في تقارب مراحل الحضارات ، وهي مراحل فتوّتها وشبابها الحيوي الأول .

١ أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيَانَ فَهْمٍ بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَى بِطَانِ
٢ وَإِنّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَهْوِي بِسُهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ ، صَحْصَحَانِ !

---

١ فَهْم : قوم الشاعر . الرَّحَى : قطعة أرض في بطن الوادي لا يغمرها الماء . بطَان : اسم المكان .

٭ يتمنَّى الشَّاعر لو يرى أحداً ، ليبلغ فتيان قومه عمَّا لاقاه في أرض البطَان ، عندما اعترضته الغول .

٢ السُّهْب : الفلاة . الصَّحْصَحَان : الأرض المنبسطة .

٭ في تلك الأرض المنبسطة كالصَّحيفة الملساء ، لاقى الغول تعدو نحوه .

٣ فَقُلْتُ لَهَا : كِلانَا نِضْوُ أيْنٍ ، أَخُو سَفَرٍ ، فَخَلِّي لِي مَكَانِي

٤ فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي ، فَأَهْوَى لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي

٥ فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ ، فَخَرَّتْ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

٦ فَقَالَتْ : عُدْ . فَقُلْتُ لَهَا : رُوَيْداً مَكَانَكِ : إِنَّنِي ثَبْتُ الجَنَانِ !

٧ فَلَمْ أَنْفَكَّ مُتَّكِئاً عَلَيْهَا لِأَنْظُرَ ، مُصْبِحاً ، مَاذَا أَتَانِي

٨ إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ قَبِيحٍ كَرَأْسِ الْهِرِّ ، مشْقُوقِ اللِّسانِ

٩ وَسَاقَا مُخْدَجٍ ، وَشَوَاةُ كَلْبٍ ، وثَوْبٌ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ . شِنَانِ

---

٣ النِّضْو : الهزيل لكثرة العناء من السفر . الأين : التعب .

فقال يخاطبها : أن تفسح له الطَّريق ولا تعترضه ما دامت تجمعهما صفة الارتحال ، ومعاناة العناء والشَّظف .

٤ يقول : غير أنها لم تأبه لندائي ، واتجهت صوبي تتحداني ، ولكنني عاجلتها بضربة سيف يَمَنِيّ .

٥ الجران : أصلاً معناه مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره ، وهنا مقدم الصّدر .

° وما زلت أضربها حتى أعياها كفي الذي لا يعرف الكلل ، فخرّت صريعة على يديها وصدرها .

٦ فحاوَلَتْ أن تَثْنيني عنها وطلبت مني التراجع . ولكنني تحدّيتها ، إذ أنني رجل شجاع ، ثابت الفؤاد .

٧ مُصْبحاً : اسم فاعل من أصبح . دخل في الصّباح ، وهو حال .

وما زلت فوقها متّكئاً عليها ، منتظراً الصّباح ، حتى أراها بوضوح .

٨ ° وعندما أتى الصباح ، رأيت عينين في رأس قبيح المنظر ، يشبه رأس الهرّ ، ولساناً مشقوقاً .

٩ المُخْدَج : الولد المشوّه .

° بعد أن يصف الشّاعر عيني الغول ورأسها يقول : إنها ضعيفة الساقين ، هزيلتهما ، كأنهما ساقا مولود مشوّه . أما قحف رأسها ، فيشبه قحف رأس الكلب أو كجلد القربة اليابس ، ولها جلد كالثوب الممزّق .

فِي عِرَاكِهِ مَعَ الغُولِ

يفخر تأبَّط شرّاً بنفسه في هذه القصيدة أيضاً ويصف لقاءه بالغول وتغلّبه عليها :

١ تَقُولُ سُلَيْمَى لِجَارَاتِهَا أَرَى ثَابِتاً يَفَناً ، حَوْقَلا

٢ لَهَا الْوَيْلُ ، مَا وَجَدَتْ ثَابِتاً أَلَفَّ اليَدَيْنِ وَلا زُمَّلا

٣ وَلَا رَعِشَ السَّاقِ عِنْدَ الجِرَاءِ إِذَا بَادَرَ الحَمْلَةَ الهَيْضَلا

٤ يَفُوتُ الجِيَادَ بِتَقْرِيبِهِ وَيَكْسُو هَوَادِيَهَا القَسْطَلَا

٥ وَأَدْهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبَابَهُ ، كَمَا اجْتَابَتِ الكَاعِبُ الخَيْعَلا

٦ إِلَى أَنْ حَدَا الصُّبْحُ أَثْنَاءَهُ وَمَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلا

٧ عَلَى شَيْمِ نَارٍ تَنَوَّرْتُهَا فَبِتُّ لَهَا مُدبِراً مُقْبِلا

---

١ اليَفَن : البالي . الحَوْقَل : الّذي عجز عن النّكاح .

• تخبر سلمى جاراتها عنه ، بأنه رجل ضعيف ، عاجز عن النكاح .

٢ ، ٣ الويل : الهلاك . ألَفّ اليَدَيْن : أي ثقيل ، بطيء الحركة . الزُمَّل : الضعيف ، الجبان . الجرَاء : المجاراة ، أي السباق . الهيْضَل : الجيش الكثير .

• يدعو لها بالهلاك ، ويستنكر ما تُعيبه به ، إذ أنه ما عُرف بضعفه وجبنه ، ولا بتقصيره وتخاذله ، إذا ما غزا أو تصدى للأعداء .

٤ التَقْريب : الجري . الهَوادي : الأعناق . القَسْطل : الغبار .

• يقول : إنه يسبق الجياد بخفَّته وسرعته ، ويثير من حولها الغبار ويكسوها به .

٥ ، ٦ الأدهم : الأسود . صفة للفرس . جُبْتُ ، من جاب : قطع . الجلْبَاب : القميص أو الثَّوب الواسع . اجْتَابَتْ : لبِسَتْ . الكاعب : الفتاة النَّامية النَّهدين . الخَيْعَل : قميص ليس له كُمَّان . حَدَا : ساق . لَيْل أَلْيَل : أي طويل شديد السواد .

• يقول : ورب فرس أسود أظل على ظهره ، طوال الليل ، فكأني منه بمثابة الثوب ، إلى أن يأتي الصّبح ويكشف عن سواده .

٧ شَيْم ، من شام : إذا نظر مُتَفَحّصاً . تَنَوَّرْتُها : تبصرتها .

• يقول : إنه إذا ما لمح ناراً من بعيد ، راح يطلبها .

٨ فَأَصْبَحْتُ ، وَالْغُولُ لِي جَـارَةٌ فَيَـا جَـارَتَـا ، أَنْتِ مَـا أَهْوَلَا

٩ وَطَالَبْتُهَـا بُضْعَهَـا ، فَالْتَـوَتْ بِوَجْـهٍ تَهَوَّلَ ، فَـاسْتَغْوَلَا

١٠ فَقُلْتُ لَهَـا : يَـا انْظُرِي كَيْ تَرَيْ ، فَوَلَّتْ ، فَكُنْتُ لَهَـا أَغْوَلَا

١١ فَطَـارَ بِقَحْفِ ابنَـةِ الجِنِّ ذُو سَفَاسِقَ ، قَـد أَخْلَقَ المِحمَـلَا

١٢ إِذَا كَلَّ أَمهيْتُـهُ بِالصَّفَـا ، فَحَـدَّ ، وَلَـمْ أُرِهِ صَيْقَـلَا

١٣ عَظَـاءَةُ قَفْـرٍ لَهَـا حُلَّتَـا نِ ، مِنْ وَرَقِ الطَّلْحِ ، لَـمْ تَغْزِلَا

١٤ فَمَنْ سَالَ : أَيْنَ ثَوَتْ جَـارَتِي فَـإِنَّ لَهَـا بِاللِّـوَى مَنْزِلَا

١٥ وَكُنْتُ ، إِذَا مَـا هَمَمْتُ ، اعْتَزَمْتُ وأَحْرِ ، إِذَا قُلْتُ ، أَنْ أَفْعَلَا

٨، ١٠ أهْوَل ، من الهَوْل : أي الخوف والرّعب . بُضْعَها : نكاحها . تَهَوّل : أي كان هائلاً .

٥ وإذا انطلق في الفلاة وجد نفسه وقد أصبحت الغول جارة له ، فاستفظع خلقها ، وطالبها أن يدخل بها ، ولكنها انكفأت نحوه بوجهها المرعب الذي هو وجه الغول .

١١ القحْف : العظم الذي فوق الدماغ . السَّفَاسق : الخطوط في حدّ السَّيف . أخْلَق : أبلى وأتلف . المِحْمَل : علاقة السَّيف أو حمالته .

٥ أي أنه أطار رأس الغول بضربة من سيفه العتيق .

١٢ كَلّ السّيف : إذا نبا فلم يعد يقطع . الصّفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة الصلبة . الصَّيْقَل : من يجلو السُّيوف ويشحذها .

٥ إذا نبا سيفه ، فلا يعرضه على من يشحذ السّيوف ، بل يسنّه على الصّخر .

١٣ العَظَاءة : دويبة صحراوية ملساء تعدو وتتردد كثيراً . القَفْر : الصّحراء . الحُلّة : الرداء . الطَّلْح : شجر يرعاه الإبل .

١٤ سَالَ : مخفَّفة من سأل . ثَوَتْ : رقدت . اللَّوى : ما التوى أو استرق من الرّمل .

٥ من أراد أن يسأل عن الغول ، فليعلم أنه قد أقام لها قبراً في باطن الرّمل ، أي قتلها .

١٥ هَمَمْت : نويت أو قصدت شيئاً . إعْتَزَمَ على الأمر : أي وطَّن النَّفس على فعله .

٥ إذا قصد أمراً نفَّذه ، لأن من عادته أنه إذا قال شيئاً فعله .

فِي رِثَاءِ الشَّنْفَرَى

كان مصير صديق تصعلكه الأول ، الشَّنْفَرى ، القتل ، كما هو مصير كل صعلوك . فرثاه تأبَّط شرّاً ، يذكر شجاعته وبلاءه في صراعه مع أعدائـه . وهو لا يجد في موت زميله حادثاً مفجعاً يدعْو لليأس والتَّباكي ، ذلك لأنّ الموت زميل للصّعلوك ، ولأن الشَّنْفَرَى مات فارساً ، ولم يمت قعيداً ، ومات بطلاً ، وما كان عانساً بلغ العتيّ من العمر ، فالموت مع الشَّباب ، إذن ، تقييم أساسي في سلوكية الصّعلكة ، وأخلاقيتها :

١ عَلَى الشَّنْفَرَى سَارِي الغَمَامِ وَرَائِحٌ ... غَزِيرُ الكُلَى ، من صَيِّبِ المَاءِ بَاكِرُ

٢ عَلَيْكَ جَزَاءٌ مِثلُ يَوْمِكَ بِالجَبَا ، ... وَقَدْ رُعِفَتْ مِنْكَ السُّيُوفُ البَوَاتِرُ،

٣ وَيَوْمِكَ يوْم العيْكَتَين ، وَعَطْفَـــةٍ ... عَطَفتَ ، وَقَدْ مَسَّ القُلُوبَ الحَنَاجِرُ

٤ تُحَاوِلُ دَفْعَ المَوْتِ فِيهِم ، كَأَنَّهُمْ ... بِشَوْكَتِكَ الحَـذَّا ضَئِينٌ عَوَاثِرُ.

---

١ السَّاري : إسم فاعل من سَرَى : سار ليلاً . الرّائح : اسم فاعل من راح ، رجع مساء . الكُلَى ، : جمع كُلْيَة ، من السَّحاب ، أسفله .

• يستمطر على قبر الشَّنْفَرَى الغمام الكثير الماء ، المُنهمر عند الصباح وعند الرواح .

٢ الجَبَا : الحوض الذي يجمع فيه الماء . ولعلَّه إسم مكان جرت فيه واقعة للشنفرى ، إذ هنـاك أمكنة كثيرة تعرف بالجبا . رُعِفَتْ : قطرت دماً .

• يتمنَّى له فيض الثواب ، كالدم أهرقه غزيراً في يوم واقعة بالجبا ، من صدور أعدائه .

٣ العَيْكَتَانْ : إسم مكان . وقَدْ مَسَّ القُلُوبَ الحَنَاجر : كناية عن الرّعب وشدة القتل .

• ولك في يوم العيكتين موقعة كَرَرْتَ فيها على أعدائك ، فشلَّهم الرّعب قبل القتل .

٤ الحَذّاء : السَّريع . ضَئين : جمع ضائن : الخراف .

• وكانوا يهربون أمامك كأنهم أولاد الماعز والغنم ، ولكنَّها ما تلبث أن تتعثَّر فتسقط .

٥ فَإِنَّكَ لَوْ لاقَيْتَني ، بَعْدَ مَا تَرَى وَهَلْ يُلْقَيَن مَنْ غَيَّبَتْهُ المَقَابِرُ!

٦ لأَلْفَيْتَني في غَارَةٍ أَدَّعِي بِهَا إِلَيْكَ ، وَإِمَّا رَاجِعاً أَنَا ثَائِرُ .

٧ وَإِنْ تكُ مَأْسُوراً ، وَظِلْتَ مُخَيِّماً ، وَأَبْلَيْتَ حَتَّى ما يَكِيدُكَ وَاتِرُ

٨ وَحتَّى رَمَاكَ الشَّيْبُ في الرَّأْسِ ، عَانِساً وَخيْرُكَ مَبْسُوطٌ ، وَزَادُكَ حَاضِرُ

٩ وَأَجْمَلُ مَوْتِ الْمَرْءِ إِذْ كَانَ مَيِّتاً - وَلَا بُدَّ يَوْماً مَوْتُهُ - وَهُوَ صَابِرُ!

١٠ فَلَا يَبْعَدَنَّ الشَّنْفَرَى ، وَسِلَاحُهُ الحَدِيدُ ، وَشَدٌّ خَطْوُهُ مُتَوَاتِرُ!

١١ إِذَا رَاعَ رَوْعَ المَوْتِ رَاعَ ؛ وَإِنْ حَمَى حَمَى مَعَهُ حُرٌّ كَرِيمٌ مُصَابِرُ!

---

٥ ◦ فلو أنَّك لقيتني بعد ما حدث لك ، ولكن كيف تلقاني ، وقد أصبحت قتيلاً .

٦ ◦ لكُنتَ وجدتني أقاتل ثأراً لك ، أو راجعاً من غارة مثلها .

٧ أبْلَيتَ : أظهرت مقدرة في الحرب . الوَاتر : اسم فاعل من وتره ، أصابه بظلم ، قتل نسيباً له .

◦ فلو أنَّك أسرت ، أو عشت قعيد الخيام ، بعد أن أبليت في الغزو والحرب ، حتَّى لم يعد يستطيع أحد أن يطالبك بثأر لكثرة جناياتك .

٨ العَانس : الرجل إذا أسَنّ ولم يتزوّج ، ويقال : أعنس الشَّيب وجهه : خالطه .

◦ وبقيت تقاتل أعداءك ، حتَّى وخَط الشيب رأسك ، غير أنّ خيرك لم ينقطع بل ظلّ بساطه ممدوداً .

◦ الموت حقيقة لا بُدّ منها ، ولقد مُتَّ صابراً كريماً .

١٠ فَلاَ يَبْعَدنّ : دعاء جاهلي ، يدعو به أهل الميت لفقيدهم ، وكأنَّهم يرغبون في ديمومة ذكراه لئلا ينسوه .

١١ راع : أفزع .

◦ يبدي أسفه لأنه لم يكن معه ساعة الشدّة حين قتل ، إذن لوقف إلى جانبه أخاً ناصراً معيناً . لكنه يعزّي نفسه بأنَّه مات حرّاً كريماً مصابراً .

مَصَارِعُ الرِّجَالِ

خرج تأبّط شرّاً في جماعة من الصّعاليك ، بينهم عمرو بن برّاق ، ومُرّة بن خليف ، وعامر بن الأخنس ، والمسيَّب بن كلاب ، وكان هو سيّدهم ، يريدون الغارة على بني نفاثة ، وكان هؤلاء في غزوة لهم ، وإذ لبست النساء لبس الرجال ، وَبَرَزْنَ للقتال ، ظَنّ تأبّط شرّاً أن القَوْم قد بيّتوا لهم ، فنكص عن القتال . وفي طريق عودتهم ، ساقوا إبلاً لبني ليث ، وقتل تأبّط شرّاً غلاماً منْهم كان قد نهاهم عن أخذها .

وقد قال هذه القصيدة في ذلك بعد عودته :

١ أَلَا عَجِبَ الفِتْيَانُ مِنْ أُمِّ مَالِكٍ   تَقُولُ : أَرَاكَ اليَوْمَ أَشْعَثَ أَغْبَرَا

٢ تَبُوعاً لِآثَارِ السَّرِيَّةِ ، بَعْدَ ما   رَأَيْتُكَ بَرَّاقَ المَفَارِقِ أَيْسَرَا

٣ فَقُلْتُ لَهَا : يَوْمَانِ ، يَوْمُ إِقَامَةٍ   أَهُزُّ بِهِ غُصْناً مِنَ البَانِ أَخْضَرَا

٤ وَيَوْمٌ أَهُزُّ السَّيْفَ في جِيدِ أَغْيَدٍ   لَهُ نُسْوَةٌ ، لَمْ تَلْقَ مِثْلِيَ أَنْكَرَا

---

١ عجيب أمر أم مالك حين تقول لي : إنني أشعث ، أغبر ، من كثرة الحروب والأسفار ، وتستغرب ذلك وتستكثره عليّ . أي أنه دأب على هذا الشّأن لمضيه فيه إلى القتال والغزو ، لا يكف عن ذلك أو يميل عنه إلاّ لمجالسة المرأة الطّيبة النّاعمة ، كما يُرْدف فيما بعد .

٢ وتقول لي : أراك الآن تتبع السّرايا من أجل الغزو ، بعد أن كنت هانيء البال ، مستقرّاً ، منعماً .

٣ ، ٤ أغْيَد : غيد الشاب غيداً : مالت عنقه ولانت أعطافه ، والأغيد صفة للشّاب في أول شبابه . وقد استعار الصّفة للموصوف وحذفه . أنْكَر : شديد البأس .

• فأجبتها : أن لي طورين في حياتي ، فطوراً أستقر وأهدأ إلى عشرة حسناء غيداء ، وطوراً أغزو المتكبّر الصّلف ، وأسبي نساءه ، وهنّ لن يجدن أشد مني بأساً .

٥ يَخَفْنَ عَلَيْهِ ، وَهوَ يَنْزَعُ نَفْسَهُ ، لَقَدْ كُنْتُ أَبَّاءَ الظُّلامَةِ ، قَسْوَرا

٦ وَقَدْ صِحْتُ في آثَارِ حَوْمٍ ، كَأَنَّها عَذَارَى عُقَيْلٍ ، أَوْ بِكَارَةُ حِمْيَرَا

٧ أَبَعْـدَ النَّفَاثِيِّينَ آمَلُ طُرْفَـةً وآسَى عَلَى شَيْءٍ ، إِذَا هُوَ أَدْبَرَا

٨ أُكَفْكِفُ عَنْهُمْ صُحْبَتِي ، وَإِخَالُهُم مِنَ الذُّلِّ يَعْراً ، بالتَّـلاعَةِ ، أَعْفَرَا

٩ فَلَوْ نَالَتِ الكَفَّانِ أَصْحَابَ نَوْفَلٍ بِمَهْمَهَةٍ مِنْ بَطْنِ طَرٍّ ، فَعَرْعَرَا

---

٥ قَسْوَر : أسد هصور .

• حتى تخاف نساؤه عليه من سطوتي وبأسي ، إذا تصدى لي ، لأني قاتله لا محالة ، وأنا الأبيّ الشّجاع أرفض الظّلم ، وأصرع عدوي كالأسد الهصور .

٦ الحَوْم : القطيع من الإبل .

• وبعد ذلك ، رحت أسوق الإبل التي غنمت ، وراح القطيع يتدافع أمامي ، كأنه عذارى بني عقيل أو نساء حمير ، وهنا يصف الإبل التي غنمها ويقول : إنها فتيَّة وثمينة ، ومن جهة أخرى ، فهو يصف جمال نساء عقيل ، وإن كان يقدح فيهن في آن واحد .

٧ النَّفَاثيّون : هم قبيلةُ بني نفاثة التي غزاها . طُرْفَة : شيء ثمين . آسَى : أحزن . أَدْبَرَ : تولّى وذهب .

• يشيد هنا بكثرة ما غنم من بني نفاثة ، فيقول : أبعْدَ هذه الغزوة التي غنمت فيها إبلَ بني نفاثة وخيراتهم ، أطمع في نوال شيء ، أو أندم على شيء فاتني ، فلقد نلت من خيراتهم الكثير .

٨ اليَعْر : الجَدْي . التَّلاعَة : ماء لبني كنانة .

• يقول : لقد كنت أمنع رفاقي من الانقضاض عليهم وسلبهم ، لأنهم قد ذلّوا ، حتَّى أصبحوا مثلَ الجديان الصغيرة ، المعفَّرة بالتراب ، قرب ماء التَّلاعة .

٩ نَوْفَل : إسم رجل . مَهْمَهَة : صحراء واسعة . عَرْعَر : إسم مكان . طَرّ : إسم مكان .

• وليتنا وجدنا أصحاب نَوْفل في مكان واسع من بطْن طرّ أو عرعر ، إذن لذاقوا الأمرّين على أيدينا .

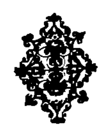
١٠ وَلَمَّــا أَبى اللَّيْثِيُّ إِلَّا تَهكُّماً بِعِرْضِي ، وَكَانَ العِرْضُ عِرْضِيَ أَوْتَرَا

١١ فَقُلْتُ لَهُ : حَقَّ الثَّنَــاءُ ، فَإِنَّنِي سَأَذْهَبُ حَتَّى لَـمْ أَجِـدْ مَتَأَخَّرَا

١٢ وَلَمَّا رَأَيْتُ الجَهْلَ ، زَادَ لُجَاجَةً ، يَقُولُ : فَلَا يَأْلُوكَ أَنْ يَتَشَوَّرا

١٣ دَنَوْتُ لَـهُ ، حَتَّى كَأَنَّ قَمِيصَـهُ تَشَرَّبَ مِنْ نَضْحِ الأَخَادِعِ عُصْفُرَا

١٤ فَمَنْ مُبْلِغٌ لَيْثَ بْنَ بَكْرٍ بِأَنَّنَـا تَرَكْنَا أَخَاهُمْ ، يَوْمَ قَرْنٍ ، مُعَفَّرَا



١٠ اللَّيْثي : إسم رجل .

• وحين ثلبَ اللَّيْثي عرضي ، وشتمني ، ولم يكفّ عن غيِّه ، وبما أني لست من الذين يقبلون أن يُدنَّس عرضُهم أو أن يوتروا به . . .

١١ • فقد أجبته بأنني سأهبّ لحربك دون توان ، حتَّى لا يقال : إنني قد تأخرت وتركتك تنال من عرضي .

١٢ تَشَوّر : خجل .

• وحين رأيته زاد في غيِّه وأمعن في التعرّض لي ، وتحدّاني دون خجل .

١٣ نَضْح الأخَادع : نضح الدم من الأخدع وهو عرق في العنق .

• مضيت إليه وضرّجه سيفي بالدم ، حتى بدا قميصه أصفر كالعُصْفر ، وهو نبات شديد الاصفرار مأثور ذكره في الشّعر الجاهلي للتّدليل على ذلك في التّشبيه وما إليه .

١٤ يَوْم قَرْن : اسم مكان حدثت فيه المعركة .

• يقول : من يبلغ ليث بن بكر ، بأنني قد تركت أخاه صريعاً على الأرض ، وقد عفَّره التراب ولوثه .

عَادَ مُجَرَّحاً

خرج تأبَّط شرّاً ومعه مُرّة بن خليف ، يريدان الغارة على الأزد ، فَضلَّا الطَّريق ، حتَّى إذا وصلا إلى أحد الشّعاب ، خرج إليهما جماعة من بَجيلَة ، فاعترت مُرّةَ رِعْدة ، وَجَبُنَ عن القتال ، فقال تأبّط شرّاً : « خُذْ بظهري ، فإن نَجَوْتُ نَجَوْتَ ، وإن قُتلتُ وَقَيْتُك » ، ثمّ حمل على القوم ، فقتل منهم رجلاً ، وفرّ مع صاحبه بعد أن أصيب بسهم ، فلمَّا عاد ورأت امرأته جراحه وَلْوَلَتْ ، فقال في ذلك :

١ وَبِالشِّعْبِ ، إِذْ سَدَّتْ بَجِيلَةُ فَجَّهُ ... وَمِنْ خَلْفِهِ ، هُضْبٌ صِغَارٌ وَجَامِلُ

٢ شَدَدْتُ لِنَفْسِ المَرْءِ مُرَّةَ ، حَزْمَهُ ... وَقَدْ نُصِبَتْ ، دُونَ النَّجَاءِ ، الحَبَائِلُ

٣ وَقُلْتُ لَهُ : كُنْ خَلْفَ ظَهْرِي ، فَإِنَّنِي ... سَأَفْدِيكَ ، وَانْظُرْ ، بَعْدُ ، مَا أَنْتَ فَاعِلُ

٤ فَعَاذَ بِحَدِّ السَّيْفِ صَاحِبُ أَمْرِهِمْ ... وَخَلَّوا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُحَاوِلُوا

---

١ الشِّعْبُ : الطريق في الجبل . الفَجّ : الطريق الواسع الواضح بين جبلين ، ويريد بها هنا : الفرْجة ، أومدخل الشِّعب . هُضْب : جمع هضبة . الجَامل : جماعة الإبل .

• يعطي الشّاعر صورة للمكان الّذي لجأ اليه : طريق في الجبل ومن خلفه هضاب ، وجماعة من الإبل ، ورجال من بني بجيلَة .

٢ لنَفْس المَرء : وردت في رواية أخرى لصبرالمرء . النَّجَاء : الفرارأوالخلاص . الحَبَائل : جمع حبالة وهي المصيدة أوالشرك .

• يشير إلى شَدِّه من عزيمة صاحبه مُرّة ، بعد أن لاحظ أن الأعداء ، قد نصبوا لهما شركاً .

٤ عَاذَ بحَدّ السّيْف : أي احتمى بسيفه . ويقصد بالشَّطرالثَّاني : أن أعداءه قد تخلوا عن القتال الذي لم يحاولوه أصلا .

٥ وَأَخْطَأَهُمْ قَتْلِي ، وَرَفَّعْتُ صَاحِبِي عَلَى اللَّيْلِ ، لَمْ تُوخَذْ عَلَيَّ المَخَاتِلُ
٦ وأَخْطَأَ غُنْمَ الحَيِّ مَرَّةً بَعْدَ مَا حَوَتْـهُ إِلَيْـهِ كَفُّـهُ وَالأَنَـامِلُ
٧ يَعَضُّ عَلَى أَطْرَافِـهِ : كَيْفَ زَوْلَـهُ وَدُونَ المَلَا سَهْلٌ، مِنَ الأَرْضِ ، مَاثِلُ
٨ فَقُلْتُ لَهُ : هَذِي بِتِلْكَ ، وَقَدْ يَرَى لَهَـا ثَمَناً مِنْ نَفْسِهِ ، ما يُزَاوِلُ
٩ تُوَلْوِلُ سُعْدَىٰ ، انْ أَتَيْتُ مُجَرَّحاً إِلَيْهَا ، وَقَدْ مَنَّت عَلَيَّ المَقَاتِلُ
١٠ وَكَائِنْ أَتَاهَـا هَـارِبـاً قَبْلَ هَـذِهِ وَمِنْ غَـانِمٍ أَوْ أَيْنَ مِنْكَ الوَلَاوِلُ

المَخَاتِل : من المختلة ، أي المراوغة والخداع .

٥ • يقصد فرار أعدائه ، وتخليصه لصاحبه ، دون أن يقعا في أية خدعة .

٦، ٧ الغُنْم : الغنيمة . أطْرَافُه : يريد بها يداه . زَوْلُه : من زال . المَلا : الصحراء ، أو المتّسع من الأرض . الماثل : الذي عفت آثاره .

• يشير إلى رجوع صاحبه دون أيّة غنيمة ، حتّى أنّه أخذ يعض يديه ندماً لعودته دون أن يحصل على أي شيْ .

٨ يقصد أن رجوعه سالماً ، يقابل عدم حصوله على أي مغنم .

٩ وَلْوَلَتْ : دعت بالويل أو رفعت صوتها بالصّراخ والعويل . مَنَّتْ : بمعنى بخلت وهي من مَنّ عليه : أي أنعم عليه من غير تعب ، المَقَاتل : جمع المقتل ، وهي الإصابة القاتلة .

• أي أن امرأته أخذت تولول ، إذ رأت أنه عاد إليها مثخناً بالجراح ، ولكن دون أن يُصاب بمقتل .

١٠ ويعجب لصراخها ، فلكم أتاها ، قبل هذه المرة ، هارباً ناجياً بنفسه ، وغانماً لها الغنائم .

مَطَرُ الدِّماءِ

١ جَزَى اللهُ فِتْيَاناً عَلَى العَوْصِ أَمْطَرَتْ سَمَاؤُهُمُ تَحْتَ العَجَاجَةِ بِالدَّمِ

٢ وَقَدْ لَاحَ ضَوْءُ الفَجْرِ عَرْضاً ، كَأَنَّهُ بِلَمْحَتِهِ أَقْرَابُ أَبْلَقَ أَدْهَمِ

٣ فَإِنَّ شِفَاءَ الدَّاءِ إِدْرَاكُ نُحْلَةٍ ، صَبَاحاً ، عَلَى آثَارِ حَوْمٍ عَرَمْرَمِ

٤ وَضَارَبْتُهُمْ بِالسَّفْحِ ، إِذْ عَارَضَتْهُمُ قَبَائِلُ ، مِنْ أَبْنَاءِ بِشْرٍ وَخَثْعَمِ

٥ ضِرَاباً ، غَدَا مِنْهُ ابْنُ حَاجِزَ هَارِباً ذُرَى الصَّخْرِ في جَدْرِ الرَّجِيلِ المُرَيَّمِ

---

١ • يقول : بورك في هؤلاء الفتية الّذين حاربوا في أرض العَوْص ، وكانت سيوفهم تلمع بالدم وسط غبار المعركة .

٢ الأَبْلَق : الذي يخالط البياض لونه .

• وسط المعركة وقد انعقد الغبار في الجو ، فبدا ضَوء الصّبح كأنه البقع البيضاء في حصان أدهم (أسود) .

٣ • لقد انتصرنا عليهم ، وأخذنا ما نريد ، وغنمنا قطعياً كبيراً من الأبل .

٤ • لقد ضاربناهم بالسّيف في حين أن قبائل خثعم وبشر قد ارتضت بهم .

٥ الجدر : الحائط . الرجيل : البعيد . المُرَيَّم : المهجور .

• وقد تسبّب هذا الضرب في هرب زعيمهم إلى سفح الجبل البعيد المهجور واحتمائه به ، لشَن هجومنا عليهم .

فِرَارُ تَأَبَّطَ شَرّاً

قال تأبّط شرّاً هذه القصيدة ، بعد أن قُتِلَ له صديقان في غارة اشتركا معه فيها . وقد عاد إلى زوجه مدّهناً ، فوبختْه ، على تخلّيه عن صديقيه . وهو يحاول في هذه القصيدة أن يبرّر هربه من ساح المعركة ، معلّلاً ذلك بكثرة القوم الذين جدّوا وراءه ، ويجيد الشّاعر في تصوير فراره ، حتى يجعله أشبه بميزة خاصّة به ، وهو شيطان من شياطين العَدو . فيشبّه نفسه تارة بالظليم الذي رأى سراب ماء ، فراح يعدو بكلّ قواه ليصل إليه ، وتارة يصف نفسه بطائر مدّ جناحيه الكبيرين ، وهو يقطع جوّاً خانقاً من بيداء مُقفرة . ولا ينسى أخيراً أن يقدم صورة مجسَّمة للرعب ، فيتخيَّل أنّ الضّباع قد فتكت بجثث أعدائه ، بعد أن نبشتها من القبور ، ويرسم ملامح وليمة لهذه الضّباع وأولادها . ولربّما أصاب هذه القصيدة ضياع بعض أبياتها ، والتّأخير والتقديم ، إلى جانب اختلاف الرّواية حول الكثير من ألفاظها ، تلك الألفاظ التي تسترعي الإنتباه لغرابتها أحياناً ولتنوّع إيقاعها ، حتى لتوحي بمعانيها من شدة تشخيصها لجوّ المعنى الَّذي تريده ، من خلال جرس حروفها :

١ أَلَا تِلْكُمَا عِرْسِي مَنِيعَـةُ ، ضُمِّنَتْ ... مِنَ اللهِ إِثْمـاً مُسْتَتِرَاً وَعَـالِنَـا

٢ تَقُولُ : تَرَكْتُ صَاحِبِي بِمُضِيعَـةٍ ... وَجِئْتَ إِلَيْنَـا فَـارِقـاً مُتَبَاطِنَـا

٣ إِذَا مَا تَرَكْتُ صَاحِبِي لِثَلَاثَـةٍ ... أَوِ اثْنَيْنِ مِثْلَيْنَـا ، فَلَا بِتُّ آمِنَـا

---

١ عِرْسي : زوجتي . ضُمِّنَتْ : حُمِّلَتْ ، لَحِقَها الذّنْب .

* إن زوجتي قد ظلمتني ، فحقّ عليها الإثم والعذاب سرّاً وعلانية .

٢ فَارِق : خائف .

* تعنّفني وتدّعي بأنني قد تركت صديقي في مكان خطر ، ورجعت خائفاً أخفي نفسي عن الأنظار .

٣ وإني لأستحق اللّوم ، ان كنت قد تخليت عن رفيقي ، وهربت أمام اثنين أو ثلاثة مثلينا .

٤ وَمَا كُنْتُ أَبَّاءً عَلَى الخِلِّ ، إِذْ دَعَـا   وَلَا الْمَرْءِ يَدْعُونِي ، مُمِرًّا مُدَاهِنَا

٥ وَكَرِّي ، إِذَا أُكْرِهْتُ ، رَهْطاً وَأَهْلَهُ   وأَرْضاً ، يَكُونُ العَوْصُ فِيهَا عُجَاهِنَا

٦ وَلَمَّا سَمِعْتُ العَوْصَ تَدْعُو ، تَنَفَّرَتْ   عَصَافِيرُ رَأْسِي ، مِنْ غُوَاةٍ ، فَرَاتِنَا

٧ وَلَمْ أَنْتَظِرْ أَنْ يَدْهَمُونِي نِحَالُهُمْ   وَرَائِي نَحْلاً فِي الخَلِيَّـةِ وَاكِنَـا

٨ وَلَا أَنْ تُصِيبَ النَّافِذَاتُ مقَــاتِلِي   وَلَمْ أَكُ ، بِالشَّدِ الذَّلِيقِ ، مُدَانِيَا

٩ فَأَرْسَلْتُ مُنْبَتّاً مِنَ الشَّرِ وَالِهـاً   وَقُلْتُ : تَزَحْزَحْ لَا تَكُونَنَّ حَائِنَا

---

٤ الخلّ : الصّديق . المُمرّ : ما صارمُرّاً . مُداهن : متملق .

* فلست من الذين يصمّون آذانهم عن طلب نجدة من رفيق عزيز ، وما كنت لأطيق أن يتّهمني أحد بالملق والكذب .

٥ العُجَاهن : صديق الرجل . كَرّي : هجومي .

* وأنا الّذي أجبرت الفرسان على الهرب ، حتى ولّت الأدبار ، وأنا كذلك الذي استباح أرض العَوْص الّتي بها مات رفيقي .

٦ الفَرَاتن : الإماء الزانيات .

* يقول : حين عرفت أن العوص تطلبنا ، جُنّ جنُوني ، وطارت عصافير رأسي مثل مجموعة من الإماء الزانيات يُفاجأن فيهربن . وهنا يصوّر لنا ظروف هربه أمام أعدائه .

٧ الوَكْن : العش . الوَاكن : المستقرّ في العش .

* ولم أنتظر في مكاني حتّى يفاجئوني فيقتلوني ، لقد كانوا مثل النّحل لكثرتهم لأنّ من دوني أطفالا يحتاجون إلى حمايتي .

٨ ولم أنتظر حتى تفاجئني أو تغشاني حراسهم أو سيوفهم فتقضي عليّ ، فإنني أستطيع الجري والهرب .

٩ حائن : أحمق . مُنْبَتّاً من الشّر : مثنيّاً عن الشّر . واله : فزع .

* وقلت لرفيقي المسالم : هيا تحرّك ، لا تقف مكانك جامداً ، ولا تكن أحمق .

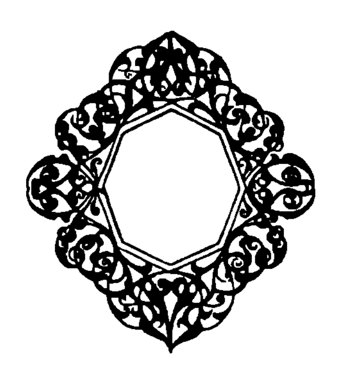
١٠ وَحَثْحَثْتُ مَشْعُوفَ النَّجَاءِ ، كَأَنَّني هِجَفٌّ رَأَى قَصْراً سَمَالا ، وَدَاجِنَا
١١ مِنَ الحُصِّ هَزْرُوفٌ ، كَأَنَّ عِفَاءَهُ إِذَا اسْتَدْرَجَ الفَيْفَاءَ مَـدَّ المَغَابِنَـا
١٢ أَزَجُّ زَلُوجٌ هَذْرُفيٌّ ، زَفَـازِفٌ هِزَفٌّ ، يَبُذُّ النَّاجِيَـاتِ الصَّوَافِنَـا
١٣ فَزَحْزَحْتُ عَنْهُمْ ، أَو تَجِيني مَنِيَّتي بِغَبْرَاءَ ، أَوْ عَرْفَاءَ تَغْدُو الدَّفَائِنَـا
١٤ كَأَنِّي أَرَاهَا المَوْتَ ، لا دَرَّ دَرُّهَا إِذَا أَمْكَنَتْ أَنْيَابَهَـــا وَالْبَرَاثِنَـا

---

١٠ الهجَفّ : الظليم المُسن . المَشْعُوف : المذعورالخائف . السَّمَـال : الظِّـل .
حَثْحَثْت : من حثّ بمعنى أسرع . النَّجَاء : الخلاص . الداجن : الغيم . الداجي : الكثير المطر .
* وحثثت السَّير مذعوراً أطلب النجاة والخلاص مثل الظَّليم المُسنّ الذي يسرع في سيره حين يرى بقية ماء أوظلّا لغيم ممطر .
١١ الحُص : قليل الرّيش . الهزْروف : السَّريع . عفَاؤه : شعره ووبره . المَغَابن : الأرفاع وبواطن الأفخاذ . الفَيْفَـاء : المفازة لا ماء فيها .
* إنطلقت فاراً مثل الطَّير الهزروف الَّذي تساقط ريشه من شدة الطيران ، وقد دخل الفلاة القاحلة ومدّ أجنحته على طولها .
١٢ الأزجّ : البعيد الخطو. الزّلوج : السَّريع . الهَذْرفي : الكثيرالحركة . الهزفُ : الطويل الريش ، زفَـازِف : شديد . الصَّوافن : الخيل .
* واسع الخطو ، سريع ، كثير الحركة ، تطير له أجنحة يسابق بها الخيول ، فيسبقها ، و يتفوّق عليها في الجري .
١٣ زَحْزَحْت : إبتعدت عنهم . العرفاء : الضّبع : الدّفائن : الأموات .
* وجريت مبتعداً عنهم ، ناجياً بحياتي إلى الصحراء المقفرة ، مفضّلا الموت هناك ، حيث تجوب الضّباع وتنبش قبورالأموات .
١٤ تلك الضّباع هي الموت بعينه لكل من يقع بين أنيابها ومخالبها .

١٥ وَقَالَتْ لِأُخْرَى خَلْفَهَا ، وَبَنَاتِهَا حُتُوفٌ ، تُنَقِّي مُخَّ مَنْ كَانَ وَاهِنَا

١٦ أَخَالِيجُ ورّادٍ عَلَى ذِي مَحَافِلٍ إذَا نَزَعُوا ، مَدُّوا الدِّلَاءَ الشَّوَاطِنَا



---

١٥ حُتوف : جمع حتف وهو الموت . واهن : ضعيف . تُنَقي : تخرج المخ من العظام .

* ولقد تركت هذه الضباع لأولادها وراءها عظام الرّجال الذين ضعفوا ، وتهالكوا من الجبن ، لتستخرج مخ عظامهم .

١٦ الأخَاليج : جمع أخلج وهو الحبل . المَحَافل : جمع محفل وهو مجتمع الناس ويراد بذي المحافل البئر أو مورد الماء . الشّوَاطن : الحبال .

* وكانت الضّباع وهي تتبعني كمعشر قوم قد تجمّعوا حول بئر يستقون منه ، لكثرتها . هكذا يبدو المعنى ، ولعلّ البيت مقطوع من سياق آخر ، فيعود بالوصف إلى القوم الذين يطاردون الشّاعر .

وقَالَ يَفْتَخِرُ

كان حاجر بن أبي الأزدي ، قد ردّ على شعر لتأبّط شرّاً ، افتخر فيه بغزوة له على الأزد ، سلب فيها إبلاً لهم ، وقتل رَجُلَيْن منهم ، فأجابه تأبّط شرّاً بهذه القصيدة ، يفخر بشجاعته وانتصاره عليهم ، ويصف امرأته . ويضمّن القصيدة استهتاره بالموت ، وعطفه على القريب :

١	لَقَدْ قَالَ الخَلِيُّ ، وَقَالَ حُلْساً	بِظَهْرِ اللَّيْلِ ، شُدَّ بِهِ العَكُومُ
٢	لِطَيْفٍ مِنْ سُعَادَ عَنَاكَ مِنْهَا	مُرَاعَاةُ النُّجُومِ ، وَمَنْ يَهِيم
٣	وَتِلْكَ ، لَئِنْ عُنِيتَ بِهَا ، رَدَاحٌ	مِنْ النِّسْوَانِ ، مَنْطِقُهَا رَخِيمُ
٤	نِيَافُ القُرْطِ ، غَرَّاءُ الثَّنَايَا	وَرَيْدَاءُ الشَّبَابِ ، ونِعْمُ خِيمُ
٥	وَلٰكِنْ فَاتَ صَاحِبَ بَطْنِ رَهْوٍ	وَصَاحِبَهُ ، فَأَنْتَ بِهِ زَعِيمُ
٦	أُوَاخِذُ خُطَّةً فِيهَا ، سَوَاءٌ	أَبِيتُ ، وَلَيْلُ دَاثِرِهَا نَؤوم

١، ٢ الخَلِيّ : الخالي من الهمّ . الحُلس : الّذي لا يبرح مكانه في القتال ، وقد ورد هنا ، بالضم . العَكوم ، من عكمه : أي شدّهُ بثوب .

* يقول : إنه كان خالياً من الهمّ ، وهومتربص ليلا في مكمنه ، مشدود إليه ، حتّى ليتراءى له طيف من يحبّ ، فتهيم عيناه في مراقبة النّجوم .

٣ رَدَاح : صفة للمرأة الثّقيلة الردفين ، المنطق الرخيم : اللين السهل .

* أي إنها ثقيلة الردفين ، وذات منطق عذب .

٤ نِيَافَ القُرْط : أي طويلة القرط ، وهي كناية عن طول العنق . الغرّاء : البيضاء المشرقة . الثّنايا : أسنان مقدم الفم . رَيْداء : أي ليّنَة . الخَيْم : الطبيعة والسَّجيَّة .

* إنها ذات عنق طويل ، وأسْنان بيضاء ، وشباب غضّ ، وأخلاق حميدة .

٥، ٦ الرّهْو : الجوبة أو المنخفض من الأرض . فَأنْتَ به زَعيم : أي كفيل به ، اواخذ : أي أتّخذ لنفسي حفرة . الخُطَّة : الأرض الّتي يحفرها الرجل لنفسه وينزل فيها . الدّاثِر : الهالك . النّؤوم : الكثير النّوم .

* يشير إلى من قتلهما ويقول : إنه قد تربص لهما في حفرة بينما غفلا عنه بالنوم .

٧ ثَأَرْتُ بِـهِ ، ومَـا افْتَرَقَتْ يَدَاهُ فَظَلَّ لَهَـا بِنَـا ، يَومٌ غَشُومُ

٨ نَحزُّ رِقَـابَهُـمْ حَتَّى نَزَعْنَـا وَأَنْفُ المَوْتِ ، مِنْخَرُهُ رَثِـيمُ

٩ وَإِنْ تَقَعِ النُّسُورُ عَلَيَّ ، يَوْمـاً ، فَلَحْمُ المُعْتَفَى ، لَحْـمٌ كَرِيـمُ

١٠ وَذِي رَحِمٍ أَحَـالَ الـدَّهْرُ عَنْـهُ فَلَيْسَ لَـهُ لِذِي رَحِـمٍ حَرِيـمُ

١١ أَصَابَ الـدَّهْرُ آمِنَ مِرْوَتَيْـهِ ، فَأَلْقَـاهُ المُصَـاحِبُ والحمِـيمُ

١٢ مَدَدْتُ لَـهُ يَمِينَـاً مِنْ جَنَـاحِي لَهَـا وفْرٌ وَكَافِيَـةٌ رَحُومُ

١٣ أُوَاسِيـهِ عَلَى الأَيَّـامِ ، إِنِّي ، إِذَا قَعَدَتْ بِـهِ اللُّؤَمَـا ، أَلُومُ

---

٧ الغَشُوم : الظّالم ، الغاضب .

• أخذت ثأري منه ، قبل أن يبدي أيّة حركة ، واستتبع ذلك يوم شديد البأس .

٨ نَزَعْنَا : بمعنى اكتفينا . رميم ، بال ، ووردت في بعض الروايات : رثيم ، والأنف الرّثيم : هو المكسور ، المتقطّر منه الدم .

٩ المُعْتَفى : الّـذي يؤتى ليطلب منه المعروف .

• أي أن الطيور عندما تقع على جثته ، ستجد فيه لحم إنسان كريم ، وهذا من باب الفخر .

١٠ ، ١٢ أحالَ : أي ابتعد عنه ومال . مِرْوَتَيْه ، من المرو وهي حجارة صلبة توري النار واحدتها مروة ، ويقال : قرع الدّهر مرو فلان : إذا نزل به البلاء . ألقاه : أي نبذه . الوَفْر : السّعة . كافية ، وردت في بعض الروايات خافية ، والخَوَافي : ريشات إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت .

• يعتزّ بعاطفته نحو قريبه ، فيقول : بأن الدّهر ، إذا ما مال عنه وتجهّـم له ، فأوقع به البلاء ، وأبعد عنه الزوجة والصديق ، فإنه يمدّ له يد العون ويحيطه بجناحيه .

١٣ اللّؤما : أي اللّؤماء وهي جمع لئيم . ألوم : أي ألومهم .

• أي أواسيه وأُخفِفُ من حزنه ، وأبعد عنه ما أصابه من اللّؤماء .

نَموذَجٌ منْ مَدِيحٍ خَاصٍّ

قال تأبَّط شرّاً ، يمدح ابن عمّه شمس بن مالك . ويُلاحظ أنَّ الشاعر ، يُبْرز في ممدوحه صفات خاصّة ، ممجَّدة في عالم الصّعْلَكة ، وإنْ لم يكن هو من الصّعاليك ، كالتّرحال ، وطلب المغامْرة ، واعتماده على ذاته ، وشدّة حواسّه ، وسرعة عدوه ، حتى لَكأنَّ هذه الصّفات ، وحدها ، هي التي يؤمن بها الشّاعر ، كخصائص عُليا لنموذج الإنسان في نظره ، وذلك هو الإضفاء الذّاتي على الآخرين والعالم كلّه ، من حوله :

١ وَإنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائي ، فَقَاصِدٌ ... بِـهِ لابن عَمِّ الصّدْقِ شُمْسِ بْنُ مَالِكِ

٢ أَهزُّ بِـهِ ، في نَدْوَةِ الحَيِّ عِطْفَـهُ ، ... كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالهِجَانِ الأَوَارِكِ ؛

٣ قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُلِمِّ يُصِيبـــــه ، ... كَثِيرُ الهوَى ، شَتَّى النَّوى وَالمسَالِكِ

---

١ • هذا الثناء العطر أزجيه لابْن عمي الصّادق شمس بن مالك .

٢ الهِجَان : من الإبل ، البيض الكرام ، يستوي فيه المذكّر والمؤنّث والجمع . الإوراك : سمينة الأوراك . العطْف : الجانب من الرأس إلى الورك .

• حتى أجعله يشعر بالمجد والعزة في مجلس القوم ، ويهتزّ طرباً وسروراً ، مثلما أهتز ، حين أركب ناقتي القويّة وأعدو بها خلف غايتي وهدفي .

٣ المُلِمُّ : إسم فاعل من ألَـمّ : أصاب . النّوَى : البعد . شتَّى : متفرّق . المَسالك : الدروب

• إن ابن عمي امرؤ صبور ، لا يظهر ألمَه لما يصيبه من آلام وكوارث ، بل يخفي ويتجلد ، وهورجل طموح يُكْثِر من الأسفارالبعيدة ، ويجتازالمسالك الوعرة دون خوف .

٤ يَبِيتُ بِمَوْمَاةٍ ، وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا وَحِيداً ، وَيَعْرَوْرِي ظُهورَ المَهالِكِ ؛

٥ يَرَى الْوَحْشَةَ الأُنْسَ الأَنِيسَ وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوابِكِ

٦ وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ ، مِنْ حَيْثُ تَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ المُتَدارِكِ .

٧ إِذَا حَاصَ عَيْنَيْهِ كَرَى النَّوْمِ ، لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيءٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ ؛

٨ وَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ رِبِيئَةَ قَلْبِهِ ، إِلَى سَلَّةٍ ، مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ بَاتِكِ ،

٩ إِذَا هَزَّهُ في عَظْمِ قِرْنٍ ، تَهَلَّلَتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ المَنَايَا الضَّوَاحِكِ .

---

٤ يَبيت : يظل . المَوْماة : الأرض الواسعة . يَعْرَوْري : من اعْرَوْرَى الفرس ، ركبه عرياناً .

* إنه ينام في القفار وحيداً لا يؤنس وحشتَه أحد من النَّاس ، وتراه في اليوم التَّالي قد أمسى في فلاة أخرى موحشة ، وهو دائماً يجتاز الأخطار ويعتليها كأنها فرس مُروض ، وهذا دليل شجاعته وإقدامه .

٥ الأنس : الألفة . أمّ النجوم الشَّوابك : المَجرَّة لاشتباك النجوم فيها .

* إنه يألف الوحشة والعزلة ، ويعرف طريقه في اللَّيل المظلم ، مهتدياً بالنّجوم الَّتي يعرف مواقعها . والعرب تفخر بالرَّجل الَّذي يعرف مواقع النّجم .

٦ وهذا الرجل سريع الجَري ، يسابق الرّيح ، فيسبقها باستمراره وتتابعه وقت الشدة في الكر أو الفرّ .

٧ كَالِئٌ : حارس . الشَّيْحان : اليقظ . حَاصَ . خاط .

* وحين يداهمه النَّوم ويغفو ، يظلّ قلبه يقظاً متنبهاً يحرسه .

٨ الرّبيئَة : مكان عال . سَلّة : ضربة سيف . الأخلَق : النَّاعم . الفَاتك : القاطع .

* ويجعل من عينيه أداة استطلاع لقلبه ، مستعدة لضربة سيف ناعم قاطع ، كما تجعل القبيلة أحد أفرادها في ربيئة حارساً لها .

٩ النَّواجذ : مفردها ناجذ ، أقصى الأضراس .

* فإذا ما أحدق الخطر به فجأة ، إستل سيفه وهزّه في وجه أعدائه ، حتى يفرح الموت بفرائس جديدة له .

قدمَا ظَلِيمٍ

غزا الشّاعر خَثْعَم وبَجيلَة وثُمَالة ، وأرجع الفضل في قوّته وانتصاره إلى قدميه اللّتَيْن أودع الله فيهما شرّاً وعذاباً ، يصبّهما عليهم . بذلك يبدي الشّاعر فتنته الشّخصيه بموهبته الخارقة هذه :

١ أَرَى قَدَمَيَّ وَقْعُهُمَــا خَفِيفٌ كَتَحْلِيلِ الظَّلِــيمِ ، حِذَا رِئَالَـهْ

٢ أَرَى بِهُمَـا عَذَابـاً كُلَّ يَوْمٍ لِخَثْعَمَ ، أَوْ بَجِيلَــةَ أَو ثُمَالَــهْ

٣ وشَرّاً ، كَـانَ صَبَّ عَلَى هُذَيْلٍ إِذَا عَلَقَتْ حِبالُهُمْ حِبالَـهْ

---

١ التّحْليل : العدو . الرّئال : جمع رَأل ، ولد النعام . حذَا : ساق وحثّ على الإسراع .

ه إنّ وقع أقدامي على الأرض ، خفيف هيّن مثل وقع اقدام الظّليم الّذي يتبع صغاره برفق وأناة .

٢ ه ولكن سيري الهاديء الدائب يحمل معه العذاب ، لقبائل خَثْعَم أوبَجيلَة أوثُمَالَة ، لأني أنوي غزوها وسلب أموالها .

٣ ه وحتى هُذيلْ يلحقها أذاه إذا ما قُدر له أن يغزوهم .

عُدُّوا شُهُورَ الحُرْمِ

١ أَبَعْدَ قَتِيلِ العَوْصِ ، آسِي عَلَى فَتىً وَصَاحِبِهِ ، أَوْ يَأْمَلُ الزَّادَ طَارِقُ

٢ أَوِ اطْرِدُ نَهْباً ، آخِرَ اللَّيْلِ ، أَبْتَغِي عُلالَةَ يَوْمٍ ، إِنْ تَعُوقِ العَوَائِقُ

٣ لَعَمْرُو فَتىً نِلْتُمْ ، كَأَنَّ رِدَاءَهُ عَلَى سَرْحَةٍ ، مِنْ سَرْحِ دَوْمَة ، شَانِقُ

٤ لأَطْرِدُ نَهْباً ، أَوْ نَرُودُ بِفِتْيَةٍ بِأَيْمَانِهِمْ ، سُمْرُ القَنَى وَالفَتَائِقُ

٥ مَسَاعِرَةٌ شُعْثٌ ، كَأَنَّ عُيُونَهُمْ حَرِيقُ الغَضَا ، تُلْفَى عَلَيْهَا شَقَائِقُ

٦ فَعُدُّوا شُهُورَ الحُرْمِ ، ثُمَّ تَعَرَّفُوا قَتِيلَ أُنَاسٍ ، أَوْ فَتَاةً تُعَانِقُ

---

١ ، ٢ النَّهْب : ضرب من الرَّكض . العُلالة : الجري ، أو بقية الحليب .

٥ أبعد وفاة صديقي بأرض العَوْص ، أحزن على أحد حين يموت ، أو يستريح طارق غريب ويأمل في طعام وشراب ، وكيف لي أن أغزو بدونه آخر الليل ، وأنتصر على العقبات .

٣ لقد قتلتم فتى من خيرة الفتيان ، طويل القامة ، كأنّه شجرة باسقة من شجرات موضع دومة .

٤ الفَتَائق : جمع فتيق ، ويوصف به النَّصل ، فيقال : نصل فتيق ، أي حاد .

٥ إنّي سأغزوكم بفتية أقوياء ، يحملون بأيديهم السّيوف والرّماح القويَّة .

٥ مساعرة : شجعان .

٥ يقول : سوف أغزو بفتية أقوياء تلمع عيونهم ، كأنها جمر من حطب الغضا .

٦ سوف أمهلكم حتى تنتهي الأشهر الحرم ، ثم أغزوكم حتى لن يمكنكم أن تتبينوا ما جرى لكم ، وتميِّزو بين قتلاكم ، وتتعرّفوا إلى نسائكم ، وقد قُتلن وهنّ في فراش أزواجهن .

الأسْمُ والقَلْبُ

إلتقى تأبَّط شرّاً برجل جبان أهوج من بني ثقيف ، يُدْعى أبا وهب ، فرأى هذا عليه حُلَّة جيدة ، فأرادها لنفسه.فسأله أبو وَهْب : بمَ تغلب الرّجال يا ثابت ، وأنت كما أرى ، دميم ، ضئيل . قال : باسمي ، إنَّما أقول ساعة ألقى الرّجل : أنا تأبّط شرّاً ، فينخلع قلبُه ، حتى أنالَ منه ما أردت . فصدقه أبو وَهْب ، وطلب منه أن يخلع عليه اسمه ولقبه هذا ، لقاء إعطائه الحُلَّة الجيدة ، ففعل . وقال تأبّط شرّاً يخاطب زوجة الثقفي هذا :

١	أَلَا هَلْ أَتَى الحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَـا	تَأَبَّطَ شَرًّا ، وَاكْتَنَيْتُ أَبَـا وَهْبِ
٢	فَهَبْـهُ تَسَمَّى اسْمِي ، وَسَمَّانِيَ اسْمَهُ	فَأَيْنَ لَـهُ صَبْرِي ، عَلَى عِظَمِ الخَطْبِ
٣	وَأَيْنَ لَهُ بَأْسٌ كَبَأْسِي ، وَسَوْرَتِي	وَأَيْنَ لَـهُ في كُلِّ فَادِحَةٍ ، قَلْبِي

---

١ الحَليل : الزّوج .

• هل تعرف زوجةُ أبي وهب الجميلة أن زوجها قد أصبح تأبّط شرّاً ، وأنني قد صرت أُدعى أبا وهب .

٢ هَبْ : أفرض .

• فماذا يجديه إن تسمَّى باسمي ، ولم تكن له مجالدتي وشجاعتي .

٣ سَوْرَة : الغضب الشديد . فادحة : مصيبة ، نازلة .

الشِّعْبُ الوَعْرُ

١ وَشِعْبٍ كَشَلِّ الثَّوْبِ ، شَكْس طَرِيقُـهُ   مَجَامِعُ صُوْحَيْهِ ، نِطَـافٌ مَخَاصِرُ

٢ بِـهِ مِنْ سُيُولِ الصَّيْفِ بِيضٌ ، أَقَرَّها   جُبَـارٌ ، لِصُمِّ الصَّخْرِ ، فِيـهِ قَرَاقِرُ

٣ تَبَطَّنْتُـه بِالقَوْمِ ، لَمْ يَهدِنِي لَـهُ   دَلِيلٌ ، وَلَمْ يُثْبِتْ لِيَ النَّعْتَ خَابِرُ

٤ بِـهِ سَمَلَاتٌ ، مِنْ مِيَـاهٍ قَدِيمَـةٍ   مَوَارِدُهَـا مَـا إِنْ لَهُنَّ مَصَادِرُ

---

١ الشِّعْب : الطريق في الجبل . شَلَّ الثَّوْب : الطريق الذي يصعب اجتيازه . الصَّوْحان : جانبا الوادي . نِطَاف : جمع نطفة . وهو ما يجتمع من ماء المطر في موضع ، مَخاصر : باردة .

• لقد اجتزت طريقاً وعراً وسط الجبل ، لا يمكن اجتيازه ولا العبور منه ، وعلى جانبي هذه الدرب الجبلية حفر صغيرة ، قد تجمّع فيها ماء المطر البارد . يقصد أن هذه الطريق لا يسلكها أحد أو يستطيع عبورها .

٢ بيض : غدران . أقرّها : تركها . جُبَار : سيل . قَرَاقر : أصوات .

• وفي هذه الدرب الوعرة الّتي اجتزتها غدران في الوادي خلفتها سيول الصيف القوية ، تلك السّيول الّتي كانت تقتلع الحجارة الكبيرة وتجرفها حتى تسمع أصواتها وهي تسقط مع السّيل في الوادي .

٣ تَبَطَّنته : دخلت في بطنه ، سرتُ فيه . خَابِر : المختبر المجرّب .

• وقد اجتزت هذه الطريق الوعرة ، الصّعبة المسالك ، دون أن يقودني دليل ، كي لا أضل ، ولم يصف لي هذه الطريق أحد من النّاس سبق له أن مرّ وعرف مسالكها وتشعباتها .

٤ سَمَلات : جمع سملة وهي بقيَّة الماء في الحوض .

• وكانت هذه الطريق طويلة وممتدة عبر الجبل ، وحين كنت أسير فيها وأجتازها وحيداً ، شاهدت بعض البرك المائية الصغيرة ، وحين نظرت لم أعرف من أين تجمّعت هذه المياه ، يقصد أنه قد اجتاز الغدران في الوادي ، حتى وصل منطقة بعيدة ، ورأى فيها ماء ، ولم يعرف كيف تجمَّع .

قُبَيْلَ المَوْتِ

وممّا قاله تأبّط شرّاً قبل موته : هذه الأبيات ، الّتي يعبّر فيها عن خوفه وتحسّره ، من أن يلقى حتفه ، قبل أن يحقق ما يرغب فيه من الغزو :

١ لَعَلّي مَيِّتٌ كَمَــداً ، وَلَمَّــا أُطَـالِعْ أَهْــلَ ضَيْـمٍ فَالْكِرَابِ

٢ وَإِنْ لَمْ آتِ جَمْعَ بَنِي خُثَيْــمٍ وَكَاهِلَهَــا ، بِرَجْـلٍ كَالضَّبَــابِ

٣ إِذَا وَقَعَتْ بِكَعْبٍ ، أَوْ قُرَيْــمٍ وَسَيَّــارٍ ، فَيَــا سَوْغَ الشَّرَابِ

---

١ يُطَالع : أي يطلع عليهم وياتيهم .

٢، ٣ كَاهل القَوْم : عهْدنهم وسيّدهم . رَجْل : جمع راجل وهو الماشي على رجليه . سَوْغَ الشَّراب : أي الهنيء الشّرب .

* أي أنه سيموت كمداً ، إذا لم يغْز بجماعة من الصّعاليك المُشاة ، أولئك الذين يذكرهم ، أما إذا فعل ، فسيهنأ ويلتذّ بشرابه .

تَأَبَّطَ شَرَّاً يُرْثِي نَفْسَهُ

قال تأبّط شرّاً هذه القصيدة ، يرثي بها نفسه قبل موته ، لمّا أيقن بالقتل ، يطلب فيها من ابن أخته ، أن يثأر له ، لئلا يذهب دمُه هدراً ، ثم ينتقل إلى تعداد صفاته ، وما عُرفت به طباعُه ، فيفخر بإبائه وحميَّته وكرمه وفقره وشجاعته وإقدامه ، ويشمت بإيقاعه ببني هذيل .

والقصيدة تزخر بكثير من الصّفات الّتي يعتز بها الصّعلوك ، كما أنها تبرز دقَّة الوصف الّتي امتاز بها شعر تأبّط شرّاً .

إلا أن الأقدمين شكّوا في نسبتها إليه ، قالوا : إنّها مولّدة ، مستدلّين على ذلك بقوله : «جَلّ حتّى دقّ فيه الأجلّ» إذ لا يكاد الأعرابي يتغلغل إلى هذا المعنى . ومنهم من استدلّ على نحلتها بذكره لسَلْع وهو مكان في المدينة ، فيما قتل تأبّط شرّاً في بلاد هذيل ورُمي به في غار يقال له رخمان . وقيل : أنّ قائل هذا الشّعر هو ابن أخت تأبّط شرّاً يرثي بها خاله .

ومهما يكن فإننا اثبتناها استكمالا للتّمثيل ، مع علمنا بأنها لا تستقيم فيما يُدّعى من أن الشّاعر رثى بها نفسه للقرائن الّتي تطالعنا في البيت الثّاني إذ يقول : « خلّف العبء عليّ وولّى » فكأنها تجري على لسان سواه . ومعظم شعر الصّعاليك يجري هذا المجرى في اختلاط نسبته ووقوع الشبهة فيها .

إنَّ بِالشِّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلاً ، دَمُهُ مَا يُطَلُّ

خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أَنَا بالعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ

الشِّعْب : الطريق في الجبل . سَلْع : إسم موضع . طُلّ دُمه : أي ذهب هدراً ، دون أن يُثأر له .

أي لن يذهب دمُه هدراً ، ذلك الّذي وقع قتيلا في الشِّعب ، قرب موضع سلع .

العَبْء : الثّقل . مستقل بالثّقل : أي بحمله وحدي .

أي أنّه ذهب ، وترك ثقل الثأر عَليّ ، غير أني قادر على حمْله ، غير عاجز عن إدراكه .

٣ وَوَراءَ الثَّأْرِ مِنِّي ابنُ أُخْتٍ مَصِعٌ ، عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ

٤ مُطْرِقٌ ، يَرْشَحُ سُمّاً ، كَمَا أَطْرَقَ أَفْعَى ، يَنْفِثُ السُّمَّ ، صِلُّ

٥ خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَئِلٌّ جَلَّ ، حَتَّى دَقَّ فِيهِ الأَجَلُّ

٦ بَزَّنِي الدَّهْرُ ، وَكَانَ غَشُوماً بِأَبِيٍّ ، جَارُهُ مَا يُذَلُّ

٧ شَامِسٌ فِي القُرِّ ، حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشِّعْرَى ، فَبَرْدٌ وَظِلُّ

٨ يَابِسُ الجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ وَنَدِيُّ الكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

٩ ظَاعِنٌ بِالحَزْمِ ، حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ ، حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحُلُّ

---

٣ المَصِع : الشَّديد ، الثَّابت على القتال . عقْدتُه مَا تُحَل : كناية عن قوة العزيمة .

• إن لي ابنَ أختٍ ، جديراً أن يأخذ بثأري لما هو عليه من البأس وقوة العزيمة .

٥ نَابَنَا : أصابنا . المُصْمئِلّ : الشَّديد ، العظيم . جَلَّ : عَظُمَ . دقّ : صغر . الأَجَلّ : الجليل .

• أيْ إنّ ما أصابنا بخبر موته لأمر عظيم ، يصغر حياله كل أمر فظيع .

٦ بَزّني : سَلَبَني ، ويريد : فجعني . الغَشُوم : الظلوم . الأبيّ : الذي لا يحتمل الضّيم .

• لقد كان الدهر ظالماً ، إذ فجعني بإنسان ذي إباء وأنفَة ، يحمي جارَه فيعزّه ، ويبعد عنه الضّيم .

٧ الشَّامس : الكائن في الشَّمس . القُرّ : البرد . ذكَتْ : ارتفعت وعلت . الشِّعْرَى : إسم واحد من كوكبين وهما الشعرى العبور والشعرى الغميصاء .

• يقصد أنه ذوكرم وسخاء ، فهوكالشَّمس التي تُدفيء المقرور إذا ما قصده أحد في الشّتاء ، لما يجد عنده من اللّباس والطّعام ، وإذا ما وفد إليه أحد في الصيف ، يجد عنده الظّل الظّليل ، والماء البارد الذي يطفيء حرارة الجوف .

٨ يَابِسُ الجَنْبَيْن : أي هزيل من أثر الفقر ، وهي صفة يفتخر بها الصّعاليك . نَديّ الكَفَّيْن : أي أنّه كريم . الشَّهْم : الذكي القلب . المُدلّ : الواثق بنفسه وبعُدّته .

• يصفه بالهزال لقلّة ما يملك من طعام ، لكنه كريم لا يبخل على أضيافه ، بل يقدمهم على نفسه ، وهو واثق من ذاته ، معتدّ بها .

٩ ظَاعنٌ بالحَزْم : مرتحل به ، ويريد : متَّصف به .

• يتَّصف بالحزم في جميع أموره وأحواله ، وأينما حلّ أو رحل .

١٠ غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ ، حَيْثُ يُجْدِي   وَإِذَا يَسْطُو ، فَلَيْثٌ أَبَــلُّ

١١ مُسْبِلٌ في الحَيِّ ، أَحْوَى ، رِفَلٌّ   وإِذَا يَغْزُو فَسِمْـــعٌ أَزَلُّ

١٢ وَلَــهُ طَعْمَــانِ : أَرْيٌ وَشَرْيٌ   وَكِلا الطَّعْمَيْنِ قَـدْ ذَاقَ كُـلُّ

١٣ يَرْكَبُ الهَوْلَ وَحِيـداً ، وَلَا يَصْـحَبُهُ   إِلَّا اليَمَــانِيُّ الأَفَـلُّ

١٤ وَفُتُوٌّ هَجَّرُوا ، ثُـمَّ أَسْرَوْا   لَيْلَهُـمْ ، حَتَّى إِذَا انْجَـابَ حَلُّوا

---

١٠ الغَيْث : المطر . المُزْن : جمع مزنة وهي السَّحابة البيضاء ، ويريد بها هنا السَّحابة التي فيها ماء ، لأنَّ السَّحاب الأبيض لا يمطر . يُجْدي : يعطي الجدوى : أي العطيَّة . يَسْطُو : يقهر ويصول ، أي في الإغارة والغزو . اللَّيْث : الأسد . الأَبَلّ : المصمّم الذي لا يبالي بشيء .

* إنه جواد كريم إذا أعطى ، وأسد هصور إذا أقبل على أعدائه .

١١ مُسْبل في الحَيّ يقصد : مسبل إزاره في الحي ، وهي صفة لذي النعمة . الأَحْوَى : من في شفتيه سواد ، وهي صفة محمودة . الرِفَلُّ : الكثير اللَّحم . السِمْع : ولد الذئب . الأَزَلّ : الممسوح العَجُز السَّريع المشي .

* يتنعَّم في معيشته أيام السِّلم ، إذ يجرّ ذيل ردائه ، ويأكل ما يشتهيه ، فاذا ما كانت الحرب ، أقدم مشمّراً ، وكأنه ذئب ضار .

١٢ الأَرْيّ : العسل . الشَّرْي : الحنظل .

* أي أنه سهل الجانب ، حلو المذاق لمحبّيه ، شديد الوقع ، مرّ على أعدائه ، وكل من محبيه وأعدائه قد ذاق كلا الطَّعمين .

١٣ الهَوْل : الشّدة ، الأمر المخيف . اليَمَاني : أي السيف اليماني . الأَفَلّ : المتثلم .

* انه شجاع مقدام ، يقتحم المخاطر دون أن يصحبه إلا سيفه الذي تَثَلَّم من كثرة الضَّرب به .

١٤ فُتُوّ : جمع فتى . هَجَّرُوا : ساروا وقت الهجيرة ، وهي حرّ الظَّهيرة . أسْرَوا : من السُّرى : السَّير ليلا . إنْجَاب : إنكشف . حَلّوا : أقاموا .

* ربّ فتيان واصلوا سيرهم من وقت الظَّهيرة إلى آخر الليل ، حتى إذا انكشف الضّوء ، نزلوا وأقاموا .

١٥ كلُّ مَـاضٍ قَـدْ تَردَّىَ بِمَـاضٍ كَسَنا البَرْقِ ، إذَا مَـا يُسَـلُّ

١٦ فَأَدْرَكْنَا الثَّـأْرَ مِنهُـمْ ، وَلَمَّـا يَنْجُ مِلْحَيَّينِ إلَّا الأَقَـلُّ

١٧ فَاحْتَسَوا أَنْفَاسَ نَوْمٍ : فَلَمَّـا هَوَّمُوا ، رُعْتُهُـم ، فَاشْمَعَلُّوا

١٨ فَلَئِنْ فَلَّتْ هُـذَيْـلٌ شَبَـاهُ لَبِمَـا كَـانَ هُـذَيْلاً يَفُـلُّ

١٩ وَبِمَـا أَبْرَكَهَـا فِي مُنَـاخٍ جَعْجَعٍ يَنْقَبُ فِيـهِ الأَظَـلُّ

٢٠ وَبِمَـا صَبَّحَهَـا فِي ذُرَاهَـا مِنْـهُ ، بَعْدَ القَتْلِ نَهْبٌ وَشَلُّ

٢١ صَلِيَتْ مِنِّي هُـذَيْـلٌ بِخِرْقٍ لَا يَمَـلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

---

١٥ المَاضي : الجادّ في أمره ، والماضي أيضاً : السيف . تَرَدّى أو ارتدى بالسَّيف : تقلَّده . سَنَا البَرْق : لمعانه .

* كل ماض منهم تقلد بسيفه القاطع الّذي يحكي لمعانه سَنَا البرق عند إظهاره من غمده .

١٦ أدركنا : أخذنا . مِلْحيّين ، لغة لبعض العرب في قولهم : من الحيّين .

* أي أخذنا ثأرنا ، ولم ينج منهم إلا القليل .

١٧ احتسى الشراب : تناوله شيئاً فشيئاً ، وقد استعاره هنا للنَّوم . أنْفَاس : أي جرعات . هَوَّمُوا : هزّوا رؤوسهم من النّعاس . رُعْتُهُم : أفزعتهم . إشْمَعَلّوا : أسرعوا في السَّير .

* كان النّعاس قد راود عيونهم ، عندما أفزعتهم ، وعندئذ جدّوا في السَّير .

١٨، ١٩ فَلَّتْ : ثلمت أو كسرت . الشَّبَا : الحدّ . لَبِمَا كَانَ : فكثيراً ما كان . أبرك النَّاقة : أناخها . الجَعْجَع : الأرض الغليظة . نَقَبَت النَّاقة : حَفيَ خُفّاها . الأظَلّ : باطن خفّها .

* إن كان قد نال ضعفاً من هُذيل ، فلا فخارلهم بذلك ، فطالما نالهم منه الضّعف والانهزام ، وطالما حمّلهم المشاق ، وأركبهم الصّعاب ، كما لو أنّ إبلا تنزل أرضاً غليظة ، فتحفو خفافها .

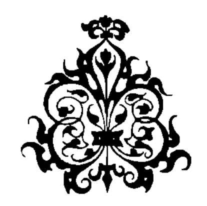
٢٠ ذرا البيت : ساحته . الشَلّ : الطرد .

* أي كثيراً ما أغار عليهم صباحاً في عُقْر ديارهم ، وقتلهم ثم نهب أموالهم واستاق إبلهم .

٢١ صَليَ بالشّيء : قاسى شدته . الخرْق : الشّجاع .

* أي أن هُذيلا قاست الشَّدائد من شجاع ذي صبر وثبات على القتال . يملّون الحرب ، ولا يملّها ، يعني نفسه .

٢٢ يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ ، حَتَّى إِذَا مَا نَهِلَتْ ، كَانَ لَهَا مِنْه عَلُّ
٢٣ حَلَّتِ الخَمْرُ ، وَكَانَتْ حَرَاماً وَبِلَأْيٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ
٢٤ فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي ، بَعْدَ خَالي ، لَخَلُّ
٢٥ تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ
٢٦ وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَغْدُو بِطَاناً تَتَخَطَّاهُمُ ، فَمَا تَسْتَقِلُّ



---

٢٢ النَّهْل : الشُّرب الأول . العَلّ : الشُّرب الثاني . الصَّعْدة : القناة .
* لا يكتفي بطعن أعدائه ، بل يكرر طعنه ، حتى ترتوي قناته بدمائهم .
٢٣ اللَّأْي : البطء . أَلَمّت : من الإلمام : وهي الزيارة الخفيفة ، وهي هنا كناية عن حصول الخمر عنده بالفعل .
* لقد فاز بأخذ الثأر بعد بطء ومضت مدة ، فصارت الخمر حلالا له بعد أن حرّمها على نفسه ، وذلك جرياً على عادتهم من تحريم الخمر ، وغسل الرأس قبل الأخذ بالثّأر .
٢٤ سَواد : مرّخَّم سوادة . الخَل : المهزول .
* يطلب شرب الخمر لأن جسمه قد هُزِل بعد خاله .
٢٥ تضحك الضَّبع ويستهل الذئب : كلاهما استعارة عن سرورهما .
* أي أن الضَّبع والذئاب مسرورة بقتلى هُذيل ، لحصولهما على الغداء من لحومها .
٢٦ عتَاق الطَّيْر : جوارحها . بطَاناً : أي مليئة البطون . تَسْتَقل : تطير .
* أي أنّ جوارح الطَّير تنزل على قتلى هُذيل ، فتملأ بطونها من لحومهم ، حتَّى لتغدو عاجزة عن الطيران من ثقلها .

وقال تأبّط شرّاً هذه الأبيات وهو يموت :

١ وَلَقَــدْ عَلِمْتُ لَتَغْــدُوَنَّ عَـلَيَّ شِــيمٌ كَـالْحَسَـايِــلْ

٢ يَأْكُلْنَ أَوْصَــــالاً وَلَحْمــاً كَالشُّكَـاعِي غَيْـــرَ جَــاذِلْ

٣ يَــا طَيْـــرُ كُلْنَ فَــإِنَّني سُمٌّ لَكُنَّ وَذُو دَغَـــاوِلْ

---

١ الشّيم : السّود . الحَسَايل : الرذال من كل شيء ، وهو يريد بالشيم الّتي هي كالحسايل ، الطّيورَ والوحوشَ الّتي تنهش لحمه بعد قتله .

* إنني أعرف أنّ جسدي سيكون طعاماً للوحش والطّير ، بعد أن ألاقي مصرعي .

٢ الأوصال : الأعضاء إذا كانت متفرّقة . الشُكاعي : شجر صغير ذو شوك وعيدان . الجَاذل : المنتصب في مكان لا يبرحه .

* أي أنّه وإن كان جثّة هامدة ، مفكّك الأوصال ، فإن لحمه سيكون كالشّوك والعيدان لمن ينهش فيه .

٣ دغَاول : من الدغل وهو الشرّ والفساد .

* يعبّر عن استهتاره بالموت ، وعمّا في نفسه من قوّة وعُنفوان ، يريد معهما أن يكون لحمه سمّاً لمن يتلقّفه ، حتّى بعد مماته .

السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَةِ

السُّلَيْكُ بنُ السُّلَكَة

هو السُّلَيْك بن عُمَيْر بن يَثْربيّ بن سنان السَّعْدي التميمي . والسُّلَكَة أمّهُ ، وهي أمة سوداء . وهو أحد صعاليك العرب العدّائين ، الّذين كانوا لا يُلْحَقون ولا تَعْلق بهم الخيلُ إذا عدوا . ومن زملائه الشَّنْفَرَى ، وتأبّط شرّاً ، وعمرو بن برّاق . ولعلّه كان أسود اللّون أو قريباً من السَّواد ، لكون أمّه أمة كما تقول بعض الروايات . وإذا صحّ ذلك توفَّر سبب مباشر لتصعلك هذا الشَّاعر وخروجه على المجتمع .

كان السُّليك من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم ، وكانت العرب تدعوه سليك المَقَانب ، وكان أدل النَّاس بالأرض وأعلمهم بمعالمها ، وأشدهم عدواً على رجليه ، وقد لُقِّب بالرِّئْبَال ، وكان لا يُغير على مُضر ، وإنَّما يُغير على اليمن ، فاذا لم يمْكنه ذلك ، أغار على ربيعة .

لم يعرف تاريخ ولادته ، وكانت وفاته قتلا على يد أسد بن مدرك الخثعميّ نحو ١٧ ق . هـ ـ ٦٠٥ م .

لم يصلنا إلا القليل من شعره ، على الرّغم من أن بعض النُّقَّاد القُدامى يعتبرونه من أشعر شعراء الصّعاليك . والقليل الّذي وصلنا لا يؤدي فكرة واضحة عن ميّزات السّليك ، إن لم تجعلنا مقطوعاتُه الصّغيرة هذه ، نُصنّفه في عداد الشّعراء المُقلّين العاديّين . وإذا كان ، ثمة ، في الغزو والعدو ، وسرعة المبادرة ما يميّز هذا الشَّاعر عن زملائه ، فهو اعتزازُه بتفوّقه الشَّخصي ، حتَّى ليظهر ذلك جليّاً في كلّ ما قاله . ولقد يحلو له أن يقصّ علينا مآثره الخاصة ، في سرعة جَرْيه ، وفي دفاعه عن زملائه ، واقتناصه للمغامرة من دُونهم . ولكنَّه قليلا ما يَعي المعاني الاجتماعية المُنْطوية عليها ثورة الصّعاليك . فلقد كان السّليك معتزّاً بتمرّده الفردي ، لا يهتم بسواه من الصّعاليك إلا نادراً . وهو لا يُفصح عن أريحية فيَّاضة ، تماثل مالَدى عروةَ مثلا ، من شعور الحدب على الزّملاء ورعاية شئُون الفقراء منهم . فكلّ ما يسعى إليه هو الغَنيمة ، وتأكيد تفوّقه الذاتي في سرعة الجري والفرار والمبادرة وتجشّمه المهالك والأخطار وانتصاره على أعدائه بأية وسيلة . فالسّليك ، كان أقرب في صعلكته ، إلى نموذج الفاتك ، مقتنص اللّذائذ والغنائم ، منه إلى نموذج الثَّائر ، صاحب الفكرة والمبدأ .

وجاءت المقطوعات القليلة الّتي وصلتنا ، لتُسجّلَ لنا هذا الجانب الحياتيّ الواقعي من شخصيَّته ، بصورة مباشرة ، أقرب إلى النّثر الفصيح ، منه إلى الشّعر المبدع ، كما هو عند الشّنْفرَى أو تأبّط شرّاً .

لا تُبْكِ عَيْنَكَ

خرج السُّليك مع جماعة للغزو ، فتركه بعضُهم وظلّ معه فتيان من بني مُقاعِس ، ولمّا دَنَوا من بلاد خَثْعم ، ضلَّت ناقة لرجل يقال له : صُرْد ، ما أن خرج يطلبها حتى أسروه ، واشتبكوا في قتال السّليك ، فكانت له الغَلَبة ، بعد أن أنقذ صاحبه من الأسر ، ونكَّلَ بالقوم ، وساق إبلَهم . وقد صوّر السّليك ذلك في قصيدته ، فذكر حُبّه للحرب وولعه بالمغامرة وقتاله لأعدائه الّذين جعلهم يفرّون من أمامه .

ويلاحظ القاريء أن مطلع القصيدة قريب من قصيدة امريء القيس التي يقول فيها :

بَكَى صَاحبي لَمَّا رَأى الدرْب دُونَهُ وأيْقَنَ أنَّا لاحِقَـانِ بقَيْـصَرا

ووجه الشّبه يتجاوز الموضوع إلى بعض الألفاظ ، وأسلوب الصّياغة . ومن المحتمل أن يكون التَّشابه يرجع إلى اختلاط شعر امريء القيس بشعر الصّعاليك عامة ، كما هو معروف ، ومنهم تأبّط شرّاً خاصّة . ولربما سبق السّليك امرأ القيس ، فاقتبس هذا الأخير عنه المطلع والأسلوب في قصيدته .

١ بَكَى صُرْدٌ ، لَمَّا رَأَى الحَيَّ أَعْرَضَتْ مَهَامِهُ رَمْلٍ ، دُونَهُـمْ ، وَسُهُوبُ

٢ وَخَـوَّفَـهُ رَيْبُ الزَّمَـان وَفَقْـرُهُ بِلادَ عَدُوٍّ حَاضِرٍ ، وَجَـدُوبُ

٣ وَنَأْيٌ بَعِيـدٌ عَنْ بِلَادِ مُقَاعِسٍ وَإِنَّ مَخَـارِيقَ الأُمُـورِ تُرِيبُ

٤ فَقُلْتُ لَـهُ : لَا تُبْكِ عَيْنَكَ ، إِنَّهَا قَضِيَّـةُ مَـا يُقْضَى لَهَـا ، فَتَنُوبُ

---

١ ، ٣ يقول : لقد بكى صُرد ، واستبدّ به الخوف ، وخشي من صروف الدهر وأحداثه بعد أن كنّا قد طوينا كلّ تلك البيد والقفار ، مبتعدين عن ديارنا ، مشرفين على العدو .

٤ فَتَنُوب ، وفي الأصول فَتَؤوب .

٥ سَيَكْفِيكَ فَقْدَ الحَيِّ ، لَحْمٌ مَغرَّضٌ وَمَاءُ قُدُورٍ ، في الجِفَانِ مَشُوبُ

٦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهرَ لَوْنَانِ لَوْنُــهُ وَطَوْرَانِ ، بِشْرٌ مَرَّةً وَكَـذُوبُ

٧ فَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَرْتَجِي خَيْرَ أَوْبَةٍ وَيَخْشَى عليْـهِ مِرْيَـةٌ وَحُرُوبُ

٨ رَدَدْتُ عَلَيْـهِ نَفْسَه ، فَكَأَنَّمَـا تَلاقى عَلَيْـهِ مِنْسَرٌ وَسُرُوبُ

٩ فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ ، حَتَّى أَرَيْتُـهُ قِصَارَ المَنَايَـا ، وَالفُؤادُ يَـذُوبُ

١٠ وَضَارَبْتُ عنْـهُ القَوْمَ ، حَتَّى كَأَنَّـهُ يُصَعِّدُ في آثَـارِهِـمْ ، وَيَصُوبُ

١١ وَقُلْتُ لَـهُ : خُذْ هَجْمَـةً حِمْيَرِيَّـةً وَأَهْلاً ، وَلَا يَبْعُـدْ عَلَيْكَ شَرُوبُ

١٢ وَلَيْلَـةَ جَابـانٍ كَرَرْتُ عَلَيْهِمُ عَلَى سَاعَـةٍ ، فِيهَـا الإِيَابُ حَبِيبُ

١٣ عَشِيَّةَ ضَلَّتْ لِلْحَرامِيِّ نَـاقَـةٌ بِحَيَّهَلا ، يَـدْعُو بِهَـا فَتُجِيبُ

١٤ فَضَارَبْتُ أُوْلَى الخَيْلِ ، حَتَّى كَأَنَّمَا أُمِيلَ عَلَيْهَـا ، أَيْـدَعٌ وَصَبِيبُ

---

٥ لَحْم مُغرَّض : أي طري . الجِفَان : جمع جفنة ، القصعة الكبيرة ، أوالوعاء .

* يمنّيه بالحصول على الطّعام والشراب ، مما ينسيه ابْتعاده عن الديار .

٦ يقصد أنّ الدهر لا يدوم على حال .

٧ أي لا خير فيمن يخشى من إغارة أوحرب ، أويعود من مغامرة دون غُنْم .

٨ المِنْسَر : القطعة من الجَيْش . السّروب : الجماعات من الخيل أو الظّباء .

* يشبّه نفسه ، وقد أقبل على خصمه بجيش كامل بعسكره وخيله .

٩، ١١ الشَّرُوب : يعني به رمحه المُتَعَطّش للدماء .

* يقول : ما أن بزغ الصّباح ، حتّى كان قد أراه الموت بأمّ عَيْنَيْه ، وقلبه يذوب خوفاً ، فيصيح به ، أن يتجلّد ، ويهجم هجمة حمْيَرِيَّة على أعدائه ، ورمحه مصوب إلى صدورهم .

١٢، ١٤ الحَرَامي : يقصد به صُرْد ، وهومن بني حرام . حَيَّهَلا : دعوة لمناداة الخيل . الأَيْدَع : شجر له حَبّ أحمر يستعمل لصبغ الثّياب . الصّبيب : الحنّاء .

* يقول : إنه أقبل عليهم ، بعد أن تاهت ناقة صُرْد ، فأعمل فيهم التقتيل حتى أنه كان يصبغ الخيل بدمائهم .

خَالَاتُهُ الإِمَاءُ

في هذا المقطع يميز السُّليك نفسه كصعلوك عن الرّجال الآخرين الأسوياء ، ويقول : إنه يفضُلهم ، جميعاً ، لما يملك من إمكانات خاصّة ، ثم يعرض السّليك إلى تمييز آخر يطالب حبيبته بإدراكه ، فلا تغْتَرَّ بصعلوك مزيَّف لجأ إلى حياة الصّعلكة ، عن كَسَل وبلادة ، وهو أشبه بالعيال في البيت . ويطلب منها أن تُعجب بالصّعلوك الحقيقي الّذي تقوم حياتُه على الطَّعن والضّرب . ثم ينتقل إلى ذكر همومه ، فيقول : إن ما يحزّ في نفسه أنه يرى النّساء الإماء متعة للرّجال ، يقاسين من حياة الذل ، ولا يستطيع هو أن يحرّرهنّ ، وقد رمز لهذه الإماء بكلمة خالة ، وهو يعني بها كل امرأة سوداء ، ويعتبرها أختاً لأمّه ، لسواد أمّه كما تقول الرّوايات :

١ أَلَا عَتَبَتْ عَلَيَّ ، فَصَارَمَتْنِي وَأَعْجَبَهَا ذَوو اللِّمَمِ الطِّوَالِ

٢ فَإِنِّي يَا ابْنَةَ الأَقْوَامِ ، أُرْبِي عَلَى فِعْلِ الوَضِيِّ مِنَ الرِّجَالِ

٣ فَلَا تَصِلِي بِصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ إِذَا أَمْسَى ، يُعَدُّ مِنَ العِيَالِ

٤ وَلٰكِنْ كُلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ السَّيْفِ ، هَامَاتِ الرِّجَالِ

---

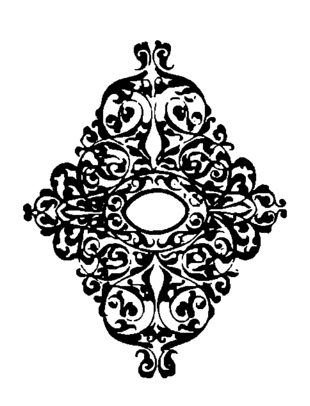
١ ، ٢ صَارَمَتْني : أي أعرضت عني وصدت . اللِّمم : جمع لِمَّة ، وهي الجمَّة أي الشعر إذا تجاوز شحمة الأذن ، وبلغ المَنْكبين . واللِّمم الطوال كناية عن الإنسان الّذي يعيش حياة التنعّم ، بعيداً عن الفقر والشقاوة والهمّ . أرْبى : زاد . الوَضيّ : الجميل ، أو الحسن النظيف .

• يهتزّ الشاعر أنفةً وكبراً ، وقد عتبت عليه صاحبته لتَصَعلكه ، وابتعاده عن حياة المُنَعَّمين المُتْرفين ، فيخاطبها معتدّاً بنفسه ، بأنه وإن لم يكن منهم ، فهو يفوقهم بأعماله .

٣ ، ٤ • يُحذر صاحبته من الاتّصال بمن يتذرّع بالصّعلكة في حين أنّه بعيد عنها لا يعرف إلا البلادة والكسل ، بينما الصّعلوك الحقّ هو من اعتاد الضّربَ والطَّعنَ .

٥ أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي ، كُلَّ يَوْمٍ ، أَرَى لِي خَالَــةً ، وَسْطَ الرِّجَالِ

٦ يَشُقُّ عَــلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمــاً وَيَعْجِزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مَالِي



---

٥ ، ٦ الخالة هنا ليست شقيقة أمّه بالذات ، إنما يعني بخالاته كافة الإماء من الجنس الأسود الذي تنتمي إليه أمّه .

٥ يصدر الشّاعر هنا عن عاطفة إنسانية عميقة ، إذ يحزّ في نفسه الألم ، حتّى ليشيب منه الرّأس لما تلقاه خالاته الإماء السّود من المذلّة والهوان ، وهو الّذي يعجز عن فعل أي شيء من أجلهن .

رِثَاءُ فَرَسِهِ

قال السليك في رثاء فرسه ، وكان يقال له النَّحام :

١ كَأَنَّ قَوَائِمَ النَحَّامِ ، لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبَتِي ، أُصُلاً ، مَحَارُ

٢ عَلَى قَرْمَاءَ ، عَالِيَةٌ شَوَاهُ كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارُ

٣ وَمَا يُدْرِيكَ مَا فَقْرِي إِلَيْهِ ، إِذَا مَا القَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا

٤ وَيُحْضِرُ فَوْقَ جُهْدِ الحُضْرِ نصًّا يَصِيدُكَ قَافِلاً ، وَالمُخُّ رَارُ

---

١ الأُصُل : جمع أصيل وهو العشيّ . المَحَار : الصّدفة ، ويريد بها الملاسة .

* يشبّه قوائم فرسه بالمَحَار ، لملاستها ، وهي تقع على الأرض ، كناية عن رشاقته وخفَّته .

٢ قَرْمَاء : اسم موضع . شَوَاه : قوائمه . الغُرَّة : من الشَّيء أوّله ومعظمه ، جبين الفرس . الخِمَار : ستار الوجه .

* عَلَى قَرْمَاء : أي كأنّ وقع قوائم النحّام على أرض قَرْمَاء ، والبيت متصل معناه بالأول . ثم يشبّه غرّته البَيْضاء بالخمار الأبيض على وجه حسناء .

٣ وَلَّوا أو أغَاروا : طلبوا أو هربوا .

* يشعر بافتقاره إلى فرسه في الغارات والغزو ، إذ لولاه لما استطاع إلى ذلك سبيلا ، أي أنه سبب انتصاراته وبلائه .

٤ أحضر الفرس : إذا عدا بشدة . النَّص : منتهى كل شيء . يصيد ، من صاد جعله أصيد : أي مائلَ العنق . رَارُ أو رير : صار رقيقاً ، أو هو الذائب من المخ ، أو من الشحم في العظام .

* يقول : إنّ فرسه في غاية السّرعة إذا عدا حتّى أن جلده قد يبس على رأسه المائل ، وذاب منه المخّ ، وهو يشقّ الفضاء أمامه .

فَكِيهَةُ

ترصّد بنو عوارة للسُّليك يريدون قتله ، فخاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم ، حتّى ولج على امرأة تدعى فَكيهَة ، فاستجار بها ، فدافعت عنه بالسَّيف ، وحين اشتدّ عليها الطِّعان ، كشفت خمارها ، فكَانَ أن نجا السّليك ، وقال في ذلك :

١ لَعَمْرُ أَبِيكَ ، وَالأَنْبَاءُ تُنْمَى ... لَنِعْمَ الجَارُ ، أُخْتُ بَنِي عُوَارَا

٢ مِنَ الخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَبَاهَا ... وَلَمْ تَرْفَعْ لإِخْوَتِهَا شَنَارَا

٣ كَأَنَّ مَجَامِعَ الأَرْدَافِ مِنْهَا ... نَقىً ، دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارَا

٤ يَعَافُ وِصَالَ ذَاتِ البَذْلِ قَلْبِي ، ... وَيَتَّبِعُ المُمَنَّعَةَ النُّوَارَا

٥ وَمَا عَجِزَتْ فَكِيهَةُ ، يَوْمَ قَامَتْ ... بِنَصْلِ السَّيْفِ ، واسْتَلَبُوا الخِمَارَا

---

١ ٭ ينوّه بذكر من أجارته ، ويقول : بأن الأخبار هي التي ستأتي بالحقيقة .

٢ ٭ يشيد بعفّتها ويقول : إنها لم تُلحق العار بأهلها .

٣ الأَرْداف : جمع ردف وهو الكفَل وعجيزة المرأة . النَّقَى : القطعة المحدودبة من الأرض .
هَار : أي تثنّى وتكسّر .

٤ النُّوار : النفور .

٭ يقول : إنه لا يهوى الرّخيصة المبتذلة من النّساء ، وإنما يطمح في الوصول إلى النَّفُور ، الصّعبة المنال ، منهن .

٥ يشير إلى ما قامت به فَكيهةَ من رفعها السَّيف ، في وجه من كانوا يريدون قتله ، وكشف الخمار عن رأسها لتتّخذ من حرمته وسيلة لدفعهم عنها .

غَارَةٌ مَعَ الصِّحَابِ

١ وَعَاشِيَةٍ رَاحَتْ ، بِطَـاناً ذَعَرْتُهَا بِسَوْطِ قَتِيلٍ ، وَسْطُهَـا يَتَسَيَّفُ

٢ كَأَنَّ عَلَيْـــهِ لَوْنَ بُرْدٍ مُحَبَّــرٍ إِذَا مَــا أَتَــاهُ صَـارِمٌ يَتَلَهَّفُ

٣ فَبَـاتَ لَـهُ أَهْلٌ ، خَـلاءٌ فِنَـاؤُهُـمْ ، وَمَـرَّتْ بِهِـمْ طَيْـرٌ ، فَلَـمْ يَتَعَيَّفُوا

٤ وَبَـاتُوا يَظُنُّونَ الظُّنُونَ ، وصُحْبَتِي إِذَا مَـا عَلَوا نَشْزاً ، أَهَلُّوا وأَوْجَفُوا

٥ وَمَـا نِلْتُهَـا حَتَّى تَصَعْلَكْتُ حِقْبَـةً وَكِدْتُ لِأَسْبَـابِ المنِيَّـــةِ أُعْرَفُ

٦ وَحَتَّى رَأَيْتُ الجُوعَ ، بِالصَيفِ ضَرَّنِي إِذَا قُمْتُ تَغْشَانِي ظِلَالٌ ، فَأُسْدِفُ

---

١ ، ٢ العَاشِيَة : أي الإبل في العشي . يَتَسَيَّف ، من تسيف : إذا ضرب بالسَّيف . .

* يقول : إنَّه بتسديد تلك الطعنة القاتلة منه ، كان صاحب الإبل قد وقع صارخاً متخبِّطاً بدمائه ، مما جعل الإبل تذعر ، وتفرّ من حوله .

٢ * لقد ألبست القتيل ثوباً من الدماء ، بتلك الضربة الصّائبة من سَيْفي المتلهّف .

٣ * لقد بات ذلك المكان خالياً ، حتَّى إن الطَّير لم تتردد في النّزول إليه .

٤ النَّشْز : المرتفع من الأرض . أَهَلّ : صاح ورفع صوته . أوجفوا : حملوا الإبل على الوجيف ، وهو ضرب من السَّيْر .

* وباتوا يظنّون الظنون المختلفة ، بينما كان رفاقي إذا ما عَلوا مرتفعاً هلّلوا لنجاتهم وحثّوا مطيّهم في السير .

٥ * أي ان براعته بالغزو هي نتيجة ممارسته لحياة التَصَعْلُك حتَّى أصبح خبيراً في شأنها

٦ أَسْدَف : دخل في الظّلمة .

* وخلال تشرّده في الفيافي عانى الجوع في الصّيف ، أيام القحط ، فكان إذا ما أراد القيام تغشَّتْ بَصَرَه الظّلالُ ، أي أصابه الدوار ، فلا يقوى على الوقـوف ، لشـدة الجـــوع

عَمْرُو بْنُ بَرَّاق

تَقُولُ سُلَيْمَى ... ١٥٣

عَمْرُو بْنُ بَرَّاق

عمرو بن الحارث بن عمرو بن منبه النهميّ من همدان ، ويعرف بعمرو بن براق ، وهي أمه . وورد (ابن براقة) في بعض المصادر . كان شاعر همدان قُبيل الإسلام ، وله أخبار في الجاهلية . عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب ووفد عليه . قال الكلبي : « أذن عُمَر للنّاس ، فدخل عمرو بن برّاق ، وكان شيخاً كبيراً ، يعرج » .

ليس لدينا لهذا الشّاعر إلا قصيدته الميمية المشهورة وبعض أبيات متناثرة في كتب الأدب القديمة . وواضح من هذه القصيدة ، أن برّاق كان شاعراً موهوباً ، قوي السَّبك ، يبحث عن المعاني الجديدة ، ويعمد إلى صياغة فنّية ، تتّحد فيها العاطفة بالحكمة في النظر إلى شؤون الحرب والسّلم والسّعي وراء المجد والغنى . ولقد اختلطت أخبارُ هذا الشّاعر ببقية أخبار الصّعاليك الجاهليين . والظّاهر أنه قد اكتسب شهرته ، في الصّعلكة والغزو والعدو ، منذ أيام الجاهلية ، حتى انطفأ ذكره في الإسلام .

وقد اشتهرت بعض أبيات من قصيدته هذه ، وأصبحت مضرب المثل ، إذا ما دار الحوار حول الشخصية النموذجية للفارس العربي . منها :

مَتَى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِيَّ ، وَصَارِماً   وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

والشّاعر في هذه القصيدة أعطى لحماسته موضوعا أخلاقيّاً اجتماعيّاً ، ما زال من أهمّ موضوعات الحضارة الإنسانية ، وهو البحث عن الحقّ ، أيكون بالقوّة أم بالمسالمة . ولقد أورد لنا الشّاعر قصّة نموذجيّة ، عندما عرض لعلاقته مع حيّ من الأحياء العربية ، حاولوا الغدر به أثناء فترة سلْم بينهما ، ثم محاولة استرضائه لكفّ أذاه عنهم ، بعد أن انقلب عليهم .

فالشّاعر يعرض لقضيَّته هذه بأسلوب متنوّع الصيغ ما بين التعجّب والتساؤل الإنكاري ، وإطلاق صيغ الحكمة العامة ، ثم ربطها بأخلاقه الخاصّة . فتراه يخلص أخيراً إلى تثبيت تلك القاعدة ، وهو أن حميّة الرّجل لكرامته وشجاعته وسيفه الضّارب ، إذا ما اجتمعت لدى فارس دفعت عنه الظّلم ، وأوصلته إلى مجده وحرّيته .

تَقُولَ سُلَيمَى

كان رجل من مراد يدعى (حَريم) ، قد أخذ إبلاً وخيلاً لعمرو ابن برّاق ، فأراد عمرو أن يُغير عليه ليُرجعَها منه ، فأشارت عليه امْرأة اسمُها سلمى ، كان يتحدّث إليها ويزورها ، أن يقلع عن ذلك ، لأنها تخاف عليه منه . لكنه لم يأخذ برأيها ، إذ أغار عليه ، واستاق كل شيء كان له ، فأتاه حريم بعد ذلك ، يطلب أن يرد عليه ما أخذه منه . فأبى عليه وصرفه وقال في ذلك :

١ تَقُولُ سُلَيْمَى : لَا تَعَرَّضْ لِتَلْفَـةٍ   وَلَيْلُكَ عَنْ لَيلِ الصَّعَالِيكِ ، نَـائِمُ

٢ وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ ، مَنْ جُلُّ مَالِهِ   حُسَامٌ كَلَونِ المِلْحِ ، أَبْيَضُ صَارِمُ

٣ غَمُوضٌ إِذَا عَضَّ الكَرِيهَةَ ، لَمْ يَدَعْ   لَهُ طَمَعاً طَوْعَ اليَمِينِ ، مُلَازِمُ

٤ أَلَمْ تَعْلَمي ، أَنَّ الصَّعَالِيكَ ، نَوْمُهُمْ   قَلِيلٌ ، إِذَا نَامَ الخَلِيُّ المُسَالِمُ

٥ إِذَا اللَّيْلُ أَدْجَى ، واكْفَهَرَّ ظَلَامُـهُ   وَصَاحَ مِنَ الإِفْرَاطِ بُومٌ جَوَاثِـمُ

٦ وَمَالَ بِأَصحَابِ الكَرَى ، غَـالِبَـاتُهُ   فَإِنِّي عَلَى أَمْرِ الغَوَايَـــةِ ، حَـازِمُ

---

١ ، ٢ التَّلْفَة : المَهْلَكة . جُلّ : كل ما يملك . الحُسام : السَّيْف . الصّارم : القـاطع .

• إن سُلَيْمى تحذره من تعريض نفسه للهلاك والابتعاد عن حياة الصّعاليك ، فيجيبها : أن من كان يملك سيْفاً صارماً ، لا ينام اللَّيـل ، وإنما ينطلق به للغزو والحرب .

٣ غَـمُـوض : من غمض السَّيف في اللَّـحم ، غَـابَ . الكَـريهَة : الشّدّة ، الحرب .

• يصف السَّيف بأنه حاد ، قاطع ، يحقق في الضرب أقصى ما يمكن ، وهو طوع اليد الّتي تحمله ، أي سريع الطَّعن والضرب .

• فإذا ما نام المسالم ، المتدثّر بغطائه ، قام الصّعاليك يبحثون عن غنائمهم خلال اللّيـل .

٥ ، ٦ أدْجَـى : أظلم . اكفهرّ : بمعنى بهت وأعْتَم . الإفراط : الآكام ، واحدها فرط . الغَواية : الجهل . الكَـرى : النعاس .

• يقول : إنه إذا ما جاء اللّيـل ، وأطبقت الظّـلمة ، ومال النّـاس للنّـوم ، فإنّـه يجدّ في طلب الغواية ، ويقصد بها لذّة الغزو والطعن .

٧ كَذَبْتُمْ ، وَبَيْتِ اللهِ ، لَا تَأْخُذُونَهَا　　مُرَاغَمَةً ، مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمُ

٨ تَحَالَفَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ لِيَسْلَمُوا　　وَجَرُّوا عَلَيَّ الحَرْبَ ، إِذْ أَنَا سَالِمُ

٩ أَفَالْيَوْمَ أُدْعَى لِلْهَوَادةِ ، بَعْدَمَا　　أُجِيلَ عَلَى الحَيِّ ، المَذَاكِي الصَّلَادِمُ

١٠ فَإِنَّ حَرِيماً ، إِذْ رجَا أَنْ أَضُمَّهَا　　وَيَذْهَبَ مالي يَا ابْنَةَ القَوْمِ حَالِمُ

١١ مَتَى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِيَّ ، وَصَارِماً　　وَأَنْفاً حَمِيًّا ، تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

١٢ مَتَى تَطْلُبِ المَالَ المُمَنَّعَ بِالقَنَا　　تَعِشْ مَاجِداً ، أَوْ تَخْتَرِمْكَ المَخَارِمُ

١٣ وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي ، غَزَوْتُهُمْ　　فَهَلْ أَنَا في ذَا ، يالَ هَمْدَانَ ظَالِمُ

١٤ فَلَا صُلْحَ حَتَّى تُقْدَعَ الخَيْلُ بِالقَنَا　　وَتُضْرَبَ بالبيضِ الْخِفَافِ الْجَمَاجِمُ

---

٧ يقسم بأنّهم لن يستطيعوا سبْيَ ماله عنوة ، ما دام سيفه بيده .

٨ * يقول : إن القوم قد اجتمعوا عليه للخلاص منه ، وهاجموه وكان هو مسالماً لهم .

٩ الهَوَادة : اللّين . المَذاكي : الخيل التي تمّ سنُّها . الصلادم : الصّلب الشديد .

* ويتساءل باستنكار ، فيقول : كيف يطلبون منه اللّينَ والحلم الآن ، بعد ما كان من أمر تلك الغارة ، وما بذله من جُهد وشجاعة ، لأخضاع ذلك الحيّ ، بغزو الخيل الشديدة لهم .

١٠ الحالم : الذي يحلم في نومه . يا ابنة القوم : وردت في الأمالي ، يا ابنة القَيْل ، والقيل : السَّيد .

١١ *يقول : إن الإنسان ، إذا كان لديه السَّيف والبأس وعزة النفس فإن أحدا لن يجرؤ على ظلمه والاعتداء عليه . وقد ذهب البيت مثلا .

١٢ القَنا : الرّمح . اختَرَمَتْه المَنيَّة :أهلكته .

* وليس للفارس طالب الغنى ، إلا أن يسعى وراءه بشجاعته وبأسه ، فإما أن يفلحَ فيعيش ماجداً أو يموت .

١٣ *ينفي عنه الظّلم ، لأنه لا يغير إلا على من يغزوه .

١٤ تُقْدَع : تضرب . ويروي الشّطر الأول : إذا اللّيل أدجى واسْجَهَرّت نجومه

* أي لا صلح ، حتّى يأخذ بثأره ، فَيعْمل الطَّعْن في الخيل والسّيوف في رؤوس الرجال

عُـــرْوَة بْنُ الــوَرْد

« أبو الصّعاليك »

عَـــرْوَة بْنُ الـــوَرْد
« أبو الصّعاليك »

ينتهي نسَب عُـرْوةَ إلى قبيلة عبْس ، فهو عروة بن الورْد بن زيد بن عبدالله بن ناشب بـن هريم .. بن قطيعةَ بن عبْس . كان أبوه سبباً في حرب وقعت بين قبيلته (عبس) وبين فزّارة ، فأصبح ذلك مصدركراهية له بين أبناء قومه . وأما أم عروة ، فتنتهي إلى نهد من قضاعة ، وهي أقلّ منزلة من أبيه . وكان عروة ناقماً على خؤولته ، وكثيراً ما هجاهم . ويعزو بعـض المؤرخـين السَّبب في خروجه على قبيلته وانتهاجه منْهجَ الصّعلكة في حياته ، إلى عقدة اضطهاد أبيه لـه ، وتفضيل أخيه الأكبر عليه ، وإلى احتقار قومه له ، لدُنوِّ منزلة أمه في نسبها ، عن منزلة أبيه وبني قومه .

عروة بن الورد ، شخصية فريدة ، قائمة بذاتها في التّـاريخ الجاهلي . فهو أكثر من شاعر ، وأكثر من فارس ، إنه أبو الصّعاليك ، وداعية أوّل لمذهب الصّعلكة ، كسبيل لإقامة نوع من العدالة الإجتماعية بين فئـات الخُلعاء والفقراء والمضطَّهدين من أبناء العرب . فلم يكن إقبـالـه على حياة الغَـزْو غاية في ذاته ، بقدر ما كان وعياً شعوريّـاً واضحاً ، ولّـده إحساس بالغبن الاجتماعي الّـذي تلقاه فئة من النّـاس ، قُـدّر لها أن تعيش خارج المجتمع لأسباب كثيرة .

إن عروة بن الورد الّـذي دعاه معاوية فيما بعد باسم « ابن مانع الضّيم » والّـذي قال عنه ، عبد الملك بن مروان : « من زعم أن حاتماً ـ أي حاتم الطائي ـ أسمح النّـاس ، فقد ظلم عروة ابن الورد » . إن عروة هذا الّـذي ينحدر من قبيلة عبس ، والّـذي عانى نوعاً من الاضطهاد منذ صغره ، على يد أبيه ، نشأ وهو ناقم على توزيع الحقّ والعدالة في مجتمعه ، فآلى على نفسه أن يكون زعيم الصّعاليك ، وراح يغزو بأعداد منهم البخلاء وأصحاب الثّروات ، ويقسّم الغنائم على جماعته . وقد كان الصّعاليك الفقراء ، يوافونه من أقاصي البلاد ، كلّـما أصابتهم سنة جدب ، فيقعدون على باب بيته وينادونه إذا خرج : « يا أبا الصّعاليك » !

وعُرف عن عروة ، أنه إذا ما غزا فأصاب ، قسّم الغنيمة بين جماعته بالتساوي ، ونال مثل حصّة الفَرْد منهم ، دون تفضيل للذّات . كما عُرف عنه ، أنه زعيم وقائد أريب ، قادر على ضبط تبعيّة أفراده له مُخططاً لهم بذكاء وحنْكة ، في الحرب والغزو ، كما أنه تحلّى بأخلاق التّسامح والتّغاضي عن الإساءة ، كلّـما خرج عليه من أتباعه من اغْتَنى فجأة ، أو خان وغدر . ذلك أن عروة كان مقدّراً لميول النّـاس ، وطبائعهم المتناقضة . وهكذا انعكست هذه الحياة

الحافلة بمعاني النّضال الاجتماعي والتحدي الفرديّ والبطولات الأخلاقية ، على شعره ، فجاء صريحاً ، قوي التأثير ، ذا لهجة شعبية ، تتوجه إلى الجماعات ، لا الى الأفراد ، مليئة بالدروس والعبر المشتقة من تجارب الغزو والعلاقات الإنسانية ، في مثل هذا السبيل من السّلوك الغريب .

وجاءت مواقف افتخاره بشجاعته ، مرتبطة دائماً بالغاية المذهبية الّتي وعاها في ضميره ، وأخلص لها في سلوكه . وهنا افترق عن زميلَيْه ، من مشاهير الصّعاليك ، الشَّنْفَرَى ، الّذي كان أقلّ شعوراً منه بالغاية العامة من الصّعلكة ، وأقرب إلى تمرّد الإنسان الفرد القاسي الناقم ، وكذلك أختلف عن « تأبَّط شرّاً » الّذي كان همّه إثبات تفوّقه بالسَّيف والعدو ، بالخفَّة والرّشاقة في الكرّ والفرّ . وإن عروة كذلك الّذي حرص دائماً على افتتاح قصائده بذلك النوع من الغزل الفروسي ، ليبدو أقلّ حسيَّة من أصحابه الصّعاليك ، وأكثر احتفالا بمقومات المرأة الذاتيَّة ، وخصالها الإنسانيَّة والأخلاقيَّة . وقد قيل عنه : إنه لم يمس المرأة في حياته ، وإن كان شبَّب بها كثيراً ، وجاء تشبيبه شبه عذري ، سامياً متعففاً .

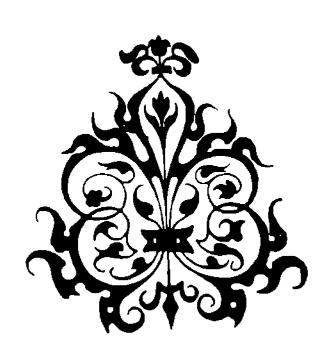
ومن ناحية ثانية ، فإن شعر عروة ، لأنه كان ذا نزعة شعبية ، مباشر الغاية ، فلقد ابتعد عن الصّنعة ، وظلّ أقرب إلى البديهة الحاضرة ، والوحي السَّريع . وهذا بالطبع قد جرّد شعره من التأملات الذاتيَّة العميقة ، وأطلق شعارانه بلغة سهلة واضحة . وتراجعت الصّور والمبتكرات الفنية إلى المرتبة الثانية من اهتماماته . ومع ذلك بقيت لشعره تلك النكهة الوحشيَّة الحارة الّتي تفيض من شعر الصّعاليك عامة .

إلا أن عروة قد استعاض عن التشبيهات والصّور الخياليَّة ، بدقَّة الألفاظ ، وما تحمله حروفها من موسيقى صوتيَّة ، توحي بأجواء المعاني التي تجيش في نفس الشَّاعر . وسيلاحظ القاريء أن عروة ، يمتاز بحاسَّة لغوية رائعة ، تجعله واحداً من شعراء الجاهلية الّذين وحدوا بين اللّفظ والتجربة الحيوية ، عَبْرَ منعطفات الطَّبيعة ومواقع الإنسان المتشرّد في أرضها ، وخلال فيافيها المُوحشة المُخيفة . ولقد برع في استخدام الحوار والنقاش بالأمثلة ، ليدلّل على آرائه . واستخدم اللّوحات المتناقضة ، ليبرز الموقف أو المعنى العام الّذي يريده من القصيدة ، مبتعداً عن التجريد بالفكرة ، ومستخدماً الألفاظ ، كصور حسيّة وموسيقيَّة ومعنويَّة ، في الوقت ذاته .

وإذا كان عروة قد دار حول الموضوعات المحدودة ، المتكرّرة في قصائد الصّعاليك ، إلا أن اهتمامه كان متّجهاً إلى التّعبير عن ظاهرة الصّعلكة كمشكلة اجتماعية ، وتجربة إنسانية ، وقضيَّة مثاليَّة ،

في حين كان الشَّنفَرَى وتأبّط شرّاً وسواهما ، يجعلون من فرديَّتهم ، وخصائلهم الذاتيَّة ، محوراً دائماً للفخر والمُفاضلة ، فقد ظهر اتجاه عروة الجماعي ، في كلّ ما قاله ، حتَّى إنه إذا ما افتخر بالكرم والشَّجاعة ، فإنما ليجعل من مزاياه أداة لتحقيق سعادة الآخرين ، والدفاع عن لقمتهم وكرامتهم .

وهكذا فإن شعر عروة هو بمثابة شهادة تاريخيَّة واجتماعيَّة ، عن تلك الظَّاهرة الفريدة التي هي الصّعلكة ، كحركة احتجاج جماعيَّة على نمط من الحياة الاقتصاديَّة في سبيل نمط آخر ، لم يستطع أن يتبيَّن عروة حدوده الإيجابيَّة ، إلاَّ من خلال أخلاق الفروسيَّة العربيَّة ، وقد وضعت لخدمة أغراض عادلة للجماعة المضطهدة ، بعيداً عن هدف الغزو لغرض التَّفوق وزيادة الثروة والمال .



أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ

في القصيدة التّالية ، يعرض عروة لأحد الموضوعات الأساسية ، المتكرّرة في شعر الصّعاليك ، وهو موضوع الحوار مع الزّوج والحبيبة ، حول طلب المغامرة والاستهانة بالموت ، وتقريع الصّديق الّذي يقعد عن الأخذ بثأر الزّميل القتيل . وبالمقابل فإن هذه الزوجة تلجأ إلى تخويفه من المهالك ، بينما هو يلحّ على مقارعتها ، وطلبها في كلّ مكان من الأرض . وهو في ذلك ، يرفض حياة الصّعلوك العاجز قعيد البيت ، وزميل النّساء ، المتسلّل ، ليلاً ، إلى حيث بقايا النّوق المسلوخة ، يقتات بها .

والشّاعر ، يخشى الجوع ، وينفر منه ، لأنّه طريق للذل ومَثْلَبَة للفتى الفارس . ولهذا فقد ندب نفسه للغزو ، كيما يوفّر على نفسه وعلى عائلته ، معاناة المذلّة والهوان . ولقد سلك عروة بن الورد سبيلَ السّهولة مع الجزالة ، في وصف صور هذه القصيدة . وانطلق في حديثه ، كمن ينافح عن قضيّته ، ببرهان الفكرة المُتحدة بالصّور الواقعيّة ، مقارناً بين حالَيْ الصّعلوك الفارس المغامر ، وبين الصّعلوك القاعد عن الكفاح . وأبدع عروة بالأمثولة الحيّة ، وهو يصور ذلّ الصّعلوك الخامل ، كيف هو أسير للأكل والنّوم ، قعيد الخيام ، تستخدمه النّسوة لقضاء حاجاتهن ، ومن الواضح أنّ الشّاعر قد أدرك بفطرته قيمة هذه المقارنة فكريّاً وفنيّاً ، حتى بنى عليها موضوع القصيدة ،وفجّر التعارض بين كلّ من لوحَتَيْ الصّعلوك الخامل ، والصّعلوك الفارس ، بألوان وتفاصيل واضحة متوازنة فيما بين النقيضين :

١	أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا بِنْتَ مُنْذِرٍ ،	وَنَامي ، وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّومَ ، فَاسْهَري
٢	ذَرِيني وَنَفْسِي ، أُمَّ حَسَّانَ ، إِنَّنِي	بِهَا ، قَبْلَ أَنْ لا أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَري

---

١ ابنة منذر امرأته ، وهي سلمى التي سباها من كنانة وأعتقها وأولدها أولاده .

٢ أمّ حَسَّان : كنية امرأته سلمى . البَيْع ههنا : بمعنى الشّراء .

• يقول : ذريني أَشْتَرِ وابْتَنِ بمالي مجداً وذكْراً في حياتي ، واتْركيني أبادرها ، قبل أن يحول الموت بيني وبينها ، فلا أملك اكتساب هذا المجد المُرجَّى .

٣	أَحَادِيثَ تَبْقَى ، وَالفتى غَيْرُ خَالِدٍ ،	إِذَا هُوَ أَمْسَى هَـامَـةً فَوْقَ صُيَّرِ
٤	تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الكِنَاسِ ، وَتَشْتَكِي	إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ رَأَتْــهُ ، وَمُنْكَرِ
٥	ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ ، لَعَلَّنِي	أُخَلِّيك، أَوْ أُغْنِيكِ عَنْ سُوءِ مَحْضَرِي
٦	فَإِنْ فَـازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَّــةِ لَـمْ أَكُنْ	جَزُوعاً ، وَهَلْ، عَنْ ذَاكَ، مِنْ مُتَأَخَّرِ؟
٧	وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَـنْ مَقَاعِدٍ	لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ البُيُوتِ ، وَمَنْظَرِ
٨	تَقُولُ : لَكَ الوَيْلَاتُ ، هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ	ضُبُوًّا بِرَجْلٍ ، تَارَةً ، وَبِمِنْسَرِ

---

٣ الهَامَة : كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لم يدرك ثأره تصير هامة ، فتصيح عند قبره : اسقوني اسقوني ، حتّى يُدرَك ثأره فتمضي . الصُّيَّر : القبر .

* يدرك الشّاعر هنا أن ما يبقى من الإنسان هو ذكر مروءته فحسب .

٤ الكِنَاس : موضع .

* هذه الهامة ، إذا ما صَوّتَتْ ، أجابتها أحجار الكناس بالصّدى ، فهي تصوّت دائماً ، إذا رأت من تعرف ومن تنكر ، مطالبة بالثّأر .

٥ أخلّيك : أي أُقتل عنك ، فأفارقك وتجدين بعلاً غيري ، وأغنيك : أو أصيب حاجتي فأغنيك عن سؤال النّاس .

٦ * يقول : إن الموت حقيقة لا مفرّ منها ، وإن فاز سهم الموت لن يعتريني الخوف . والموت بالرغم من حضوره المستمرّ في وعي الشّاعر الصّعلوك ، إلا أن انطلاقة الحياة ذاتها تقضي علـى كل خَوْف منه .

٧ * يقول : إنني إذا ما أصبت حاجتي ، وانتصرت على الموت ، أكون قد غنمت وأغنيتكم عن السّؤال ، وعن الجلوس في مؤخّرات البيوت طلباً للضيافة . والصّورة ، بعْدُ ، حافلة برفض الذّل في الحياة وفي الممات ، ذلك لأن المال ما زال أماناً من الذل ، وهو ما يأباه الشّاعر لنفسه ولأهله .

٨ الضّبُوّ : مصدر : ضبأ يضبأ : لصقَ بالأرض واستتر للصّيد يختلسه . الرَّجْل : جمع راجل : أي المشاة . المِنْسَر : ما بين الثلاثين والأربعين من الخيل .

* أي هلا تخلّيت عن التربّص للغزو ، تارة بقوم مترجّلين ، وعن امتطاء الخيل للغارة تارة أخرى .

٩ وَمُسْتَنْبِتٌ في مَالِكَ ، العَامَ ، إنَّني ... أَرَاكَ عَلَى أَقْتَادِ صَرْمَاءَ ، مُذْكِرِ

١٠ فَجُوعٍ لأَهْلِ الصَّالِحِينَ ، مَزَلَّةٍ ، ... مَخُوفٍ رَدَاهَا أَنْ تُصِيبَكَ ، فَاحْذَرِ !

١١ أَبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ ... وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءِ المَعَاصِمِ تَعْتَرِي

١٢ وَمُسْتَهْنِيءٍ زَيْدٌ أَبُوه ، فَلاَ أَرَى ... لَهُ مَدْفَعاً ، فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ ، واصْبِرِي

١٣ لَحَى اللهُ صُعْلُوكاً ، إذَا جَنَّ لَيْلُهُ ، ... مُصَافِي المُشَاشِ ، آلِفاً كُلَّ مَجْزِرِ ،

---

٩ والمُسْتَنْبِت : القاعد عن الغارات . الأَقْتاد : جمع قتد ، وهو خشب الرحل . الصَّرْمَاء القليلة اللبن . المُذْكِر : التي تلد الذكور ، وهو نتاج بغيض عند العرب .

• ألا ليتك تقعد عن الغزو قليلاً ، وتقيم بين بني مالك هذا العام ، ولكنني أراك مُزْمعاً على الغزو فوق ناقتك الصّرماء الشديدة .

١٠ فَجُوع : تأتي القوم بفجيعة . مَزَلَّة : تزلّ بأَهْلها . مَخُوف رَداهَا : يخاف الهلاك من قبَلها . تحذره من الصَّرْماء .

• يصف هذه النَّاقة الصّرماء ، فيقول على لسان امرأته : حذار من هذه النَّاقة الصّرماء التي تُنْزِلُ الفجيعةَ بمن يمتطيها ، كناية عن ركوبه للأخطار ومواجهته للمهالك .

١١ خَفْض العَيْش : الدعة والرّخاء . مَنْ يَغْشَاكَ : من يطرقك من الضّيوف وذوي القرابة . سَوْداء المَعَاصم : سوداء اليدين من شدة الجوع والهزال واصطلاء النَّار .

• وإذا ما جاءك أحد من قرابتك أَوْ أَتَتْكَ امرأة فقيرة طلباً لقراك ، لم ترفضي حاجة لهما ، ولم يجداك فقيرة مُعْدمة .

١٢ المُسْتَهْنِيء : المستعطي ، طالب الهنء وهو العطاء . زَيْد أبوه : يعني رجلا من قومه ، يجمعه وإياه زيْد وهو جدّ عروة . أقْني حَيَاءك : احفظيه وأمسكيه عليك .

• وما أخشاه هو أن يطرق بابي ، يوماً ، أحدُ بني قومي ، طالباً القرى ، فلا أستطيع ضيافته ، فالزمي حياءك ، ولا تمنعيني من حياة الغزو وطلب المجد .

١٣ لَحَاهُ الله : قبّحه ولعنه . الصّعلوك : الفقير . المُشَاش : رؤوس العظام اللّيِّنَة . المَجْزِر : موضع الذبح .

• أخزى الله صعلوكاً ، ذليل النَّفس ، ينتظر حتى يجنّ الليل ، فيمضي ذليلا ليقتات بقايا العظام من المجزر ، وكأن الشَّاعر يقول : إنه يخشى أن يؤول مصيره إلى مصير مثل هـذا الصّعلوك الذليل القاعد عن المغامرة .

١٤ يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا ، مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ ،

١٥ قَلِيلُ الْتِمَاسِ الزَّادِ إلا لِنَفْسِهِ ، إِذَا هُوَ أَمْسَى كَالْعَرِيشِ المُجَوَّرِ

١٦ يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِساً ، يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ

١٧ يُعِينُ نِساءَ الحَيِّ ، ما يَسْتَعِنَّهُ ، وَيُمْسِي طَلِيحاً ، كَالْبَعِيرِ المُحَسَّرِ

١٨ وَلٰكِنَّ صُعْلُوكاً ، صَفِيحَةُ وَجْهِهِ كَضَوءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ

١٩ مُطِلاًّ عَلَى أَعْدائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ ، زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

٢٠ إِذَا بَعُدوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ، تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ

---

١٤ المُيَسَّر : من سهلت ولادة إبله ، فكثر خيره .

* حتّى إذا ملأ هذا الصّعلوك بطنه ، عدّ ذلك غنى ، ولم يبال بمن وراءه من عياله وقرابته .

١٥ الْعَرِيش : خيمة من خشب . المُجَوَّر : السَّاقط .

* إذا شبع هذا الصّعلوك فملأ بطنه ألقى بنفسه كأنه عريش قد انهار ، ويجسد الشّاعر في هذه الصّورة كثافةَ الشّبع ، إذا ما اقترن بالخمول والكسل .

١٦ يَحُتّ الحَصَى : كناية عن قعوده وعدم مُبارحته للحيّ . حَتّ الشّيء : قشره وأسقطه .

* إن هذا الصّعلوك الدّنيْ ليس بصاحب إدلاج ، ولا غزو ، فليس له إلا الأكل والنّوم ، ولزوم الحيّ .

١٧ يمْسي طَليحاً : عاجزاً . المُحَسَّر : البعير المذلَّل الخاضع .

* ويُمسي هذا الصّعلوك أداة لنساء الحيّ ، يستخدمنه كالبعير المذلَّل .

١٨ صَفيحَة الوَجْه : بشرة جلده . القَابس : الذي يقبس النَّار ، أي يأخذها . المُتَنَوِّر المضيْ .

* يمدح الصّعلوك القوي ، وينتقل إلى وصف ذلك النَّموذج من الصّعاليك ، المعارض لنموذج الخامل القعيد .

١٩ مُطلاّ عَلَى أعْدائه : مُشْرفاً عليهم . يَزْجُرُونه : يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب ، المَنيح ههنا : قدح مستعار سريع الخروج والفَوْز. المُشَهَّر : المشهور.

* يهدد أعداءه دائماً ، إذ هو كالقدح المقترن به الفوزُ والنَّصر . والقدح هو أداة ضرب المَيْسر عند العرب .

٢٠ * يفرّ أعداؤه مُبْتَعدين عنه ، ومع ذلك ، فهم لا يأمنون له ، فيظلّون يتخوّفون من أن يعثر عليهم ، كأهل الغائب الّذين يتوقّعون مجيئه من يوم إلى آخر.

٢١ فَذَلِكَ إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيداً ، وَإنْ يَسْتَغْنِ يَوْماً ، فَأَجْدِرِ

٢٢ أَيَهْلِكُ مُعْتَمٌّ وَزَيْدٌ ، وَلَمْ أَقُمْ عَلَى نُدَبٍ يَوْماً ، وَلِي نَفْسُ مُخْطِرِ

٢٣ سَتُفْزِعُ ، بَعْدَ اليَأْسِ ، مَنْ لا يَخَافُنَا ، كَوَاسِعُ في أُخْرَى، السَّوَام المُنَفَّرِ

٢٤ يُطَاعِنِ عَنْهَا أَوَّلَ القَوْمِ بالْقَنَا ، وَبِيضٍ خِفَافٍ ، ذَاتِ لَوْنٍ مُشَهَّرِ

٢٥ فَيَوْماً عَلَى نَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَا ، وَيَوْماً بِأَرْضٍ ذَاتِ شَتٍّ وَعَرْعَرِ

---

٢١ • فتلك هي سيرة مثل ذلك الفتى الصّعلوك ؛ فان لاقى منيَّته ، يوماً ، ترك وراءه الذكْر الحَسن ، أو يغتني بشجاعته ، فيكون جديراً بذلك الغنى .

٢٢ مُعْتَم وَزَيْد : بطنان من عَبْس وهما جدّاه . النَّدب : مفرده ندبة ، البكاء على الميّت ، المُخْطر : الداخل في الخطر .

• ومثلما قضى قبلي من أجدادي معْتم وزيد ، في ساح الوغى ، فانني لا أحفل بمن سيندبني إذا ما قضيتُ ، ما دام لي هذه النَّفس المتعشّقة لركوب المخاطر والمهالك .

٢٣ كَوَاسع : خيل تطرد إبلا تدفعها من خلفها . السَّوام : الإبل السَّائمة . أخراها : آخرها . المُنَفَّر : المذعور .

• ستُفزع خيلنا من يَئِسَ من غزونا وأمننا كما تطرد الخيل الكواسع الإبل . والشّاعر في هذا البيت يدرّج انفعال القوم المنهزم ، من اليأس من إمكانية الغزو ، إلى الخوف والاستسلام للهزيمة .

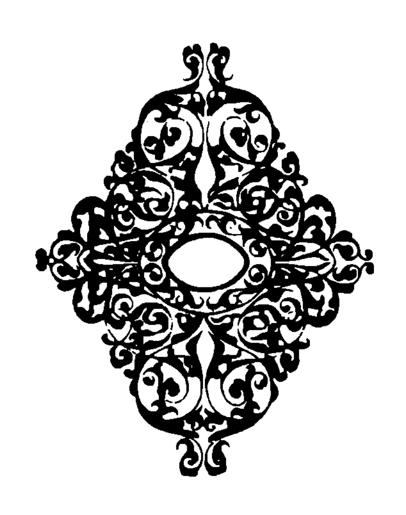
٢٤ البيض : السيوف . المُشَهّر : الواضح .

٢٥ الشَّتّ وَالعَرْعَر : نوعان من أشجار الجبال . الغارات : الخيل المغيرة .

• يقول : فيوماً يغير على نجد ، ويوماً يردّ غارات أهلها ، ويوماً على منطقة الجبال التي تكسوها أشجار الشتّ والعَرْعَر . فكأن حياة الفارس الصّعلوك إذن سلسلة من الغزو والاحتراب .

٢٦ يُنَاقِلْنَ بِالشُّمْطِ الكِرَام ، أُولي القُوى ، نِقَابَ الحِجَازِ في السَّرِيحِ المُسَيَّرِ

٢٧ يُرِيحُ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَضْيَافَ مَاجِدٍ كَرِيمٍ ، وَمَالي ، سَارِحاً ، مَالُ مُقْتِرِ



---

٢٦ المُنَاقَلَة : حسن نقل القوائم في سرعة السَّير . الشّمْط : جمع أشمط وهوالّذي خالط سواد شعره بياض . النّقَاب : جمع نقب ، الطَّريق الضّيق في الجبل . السَّريح : السّيور تشدّ بها النّعال . المُسَيَّر : الذي جعل له سيورا . عنى بالسريح المسيَّر ، نعال الخيل .

٢٧ يُريح : يرد . مَال مُقْتِر : مال فقير .

• يأتي اللَّيْلُ عليّ بضيوف كرام ، فأكرم مثواهم ، وأنحر لهم الإبل ، فان جاء الصّباح تسرح إبلي قليلة ، كأنها إبلُ فقير ، لكثرة ما نُحر منها في اللَّيل .

عَيَّرني قَوْمِي

الجديد في موضوع هذه القصيدة ، هي مسألة الانتماء لدى الصّعلوك . ذلك أنّ عروة يطرح أعمق جذر من جذور الوجود العربي ، وهو الانتساب . فإنّ عروة يشكو من أن قومه يرفضونه . وهم يرفضونه في كلّ حال من أحواله ، أكان فقيراً أم غنيّاً ، شاباً أم شيخاً . وكأن الشّاعر يعترض على هذا النّوع من التقييم ، ويتّهم قومه ، بأنّ المقياس الوحيد لتقدير الفرد عندهم هو نسبته الدموية ، وأما صفاته وخصائله الشخصية ، فلا وزن لها .

ثم يعطي رأيه في نوع الأخلاق التي ارتضاها لنفسه ، وهي سلوكه القائم على الكرم والنّجدة ورعاية الجار :

١	عَفَتْ بَعْدَنَا مِنْ أُمِّ حَسَّانَ غَضْوَرُ،	وَفي الرَّحْلِ ، مِنْهَا ، آيَةٌ لا تَغَيَّرُ
٢	وبِالغُرِّ والغَرَّاء ، مِنْهَا مَنَازِلٌ،	وَحَوْلَ الصَّفَا ، مِنْ أَهْلِهَا ، مُتَدَوَّرُ
٣	لَيَالِينا ، إذْ جيبُها لَكَ نَاصِحٌ،	وَإذْ رِيحُها مِسْكٌ زَكِيٌّ ، وَعَنْبَرُ
٤	أَلَمْ تَعْلَمِي ، يَا أُمَّ حَسَّانَ ، أنَّنا	خَلِيطا زِيالٍ ، لَيْسَ عَنْ ذَاكَ مَقْصَرُ
٥	وَأَنَّ المَنَايَا ثَغْرُ كُلِّ ثَنِيَّةٍ،	فَهَلْ ذَاكَ عَمَّا يَبْتَغِي القَوْمُ مُحْصِرُ ؟

---

١ غَضْوَر : ثنية فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة والكنانة .

٢ مُتَدَوَّر : على وزن متفعل أي مكان دوار ، والدوار منسك كانوا يطوفون به في الجاهلية .

٣ إذ جيبُها الخ .. : قصد بها صدرها وفؤادها ، إذ أن جيب الرّداء هو فتحته في أعلى الصّدر

٤ خَليطا زيال : خليطا مُفارقة .

• يخاطب امرأته أم حسّان ، فيؤكّد لها بأنهما لا بد أن يفترق الواحد عن الآخر ، فحياته لقاء وفراق ، ولن تمنع أية قوة هذا الفراق .

٥ • وأن الموت يطلّ من وراء كل ثنية في دربه ، فهل يمنعُ المرْء ذاك عن الحلّ والتّرحال وراء طلب المعالي

٦ وَغَبْراءَ مَخْشيّ رَدَاهــا ، مَخُوفَةٍ ، أَخُوها ، بِأَسْبابِ المَنَايَا ، مُغَرَّرُ

٧ قَطَعْتُ بِهَا شَكَّ الخِلاَجِ ، وَلَمْ أَقُلْ لِخَيَّابَةٍ ، هَيَّابَةٍ : كَيْفَ تَأْمُرُ ؟

٨ تَدَارَكَ ، عَوْذاً ، بَعْدَ مَا ساءَ ظَنُّهَا ، بِمَاوَانَ ، عِرْقٌ ، مِنْ أُسَامَةَ ، أَزْهَرُ

٩ هُمُ عَيَّرُونِي أَنَّ أُمِّي غَرِيبَةٌ ؛ وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَاجِدٍ مَا يُعَيَّرُ؟

١٠ وَقَدْ عَيَّرُونِي المَالَ ، حِينَ جَمَعْتُهُ ؛ وَقَدْ عَيَّرُونِي الفَقْرَ ، إِذْ أَنَا مُقْتِرُ

١١ وَعَيَّرَنِي قَوْمِي شَبَابِي وَلِمَّتِي ، مَتَى مَا يَشَا رَهْطُ امْرِيءٍ يَتَعَيَّرُ

١٢ حَوَى حَيٌّ أَحْيَاءِ ، شُتَيرَ بْنَ خَالِدٍ ، وَقَدْ طَمِعَتْ فِي غُنْمٍ آخَرَ جَعْفَرُ

١٣ وَلا أَنْتَمِي ، إِلاَّ لِجَارٍ مُجَاوِرٍ ، فَمَا آخِرُ العَيْشِ الَّذِي أَتَنَظَّرُ؟

---

٦ غَبْراء : مظلمة ، لا دروب فيها .

• وَلَكَمْ من أرض غبراء مخيفة ، يتخلّلها الهول والرّعب ، قد شقّ فيها الشّاعر دروبه ساعياً وراء منيَّته ، بلا وجل أو توان .

٧ شكّ الخِلاج : ما خالجني وشكّكني . الهَيَّابَة : الكثير الخوف .

• لم أشاور موطن الخوف والتقدير في نفسي ، بل تقدمتُ دون أن تختلج شكوكي غير مبال بالموت .

٨ عَوْذ وأسَامَة : قبيلتان من عبس . عَوْذ : عرق من أسامة من أمّه ، وأمهُ نهدية . أزْهَر : نقيّ أصيل .

٩ إنّ قومه عيَّروه بأن أمّه ليست من عشيرتهم ، وهي غريبة ، فقال : هل في كريم النسب الماجد الأصل ما يعيّر به ، ولولم يكن النَّسب يرجع إلى عشيرة واحدة .

١٠ المُقْتر : الفقير .

• يتّهم قومه ببغضه والحقدِ عليه ، فهم يعيرونه سواء اغْتنى أوافتقر .

١١ وكذلك يعيّرونه شبابه وشيخوخته ، فليست صفاته هي موضع التعيير ، ولكن هي إرادة قومه وميلهم إلى النَّيل منه .

١٢، ١٣ لعلَّه يريد أنه في حين أن بعض الأحياء من العرب تطمع في أموال بعضها الآخر ، فانه هو ، لا ينتمي لأحد من هذه الأحياء ، وكل من يرتبط به هو جار صديق ، ثم يتساءل متفجّعاً : وما هو مآل مثل هذا العيش في النهاية .

يعود عروة بن الورد في هذه القصيدة ، إلى رفض حياة القعود عن الغزو ، والتمرّد على أسلوب المعيشة العادية مع العائلة في البيت . فتراه ينعي على قومه عجزهم عن الصّراع من أجل كرامة لقمتهم ، فيحثّهم على ذلك ، ويحتقرهم في الوقت ذاتهِ . ثم يفتخر أنه يتجشّم الطّريقَ الوعرَ ، ويبتعد عن السَّبيل السَّهل ، لينال الغنيمة الأعلى والأغلى . فهو ما دام شاباً موفور الحيويَّة ، لن يتوانى عن الكفاح ، وغزو أموال البخلاء ، وتوزيعها على الصّعاليك والفقراء . ولن ينتظر حتى تدهمه الشيخوخة ، ويستسلم للعجز ، فيدبّ على عصا ، ويسأمُه أهلُه وقومه . ويلاحظ في هذه القصيدة كذلك ، أسلوب الجدل بالصّور والعبارات الحماسيَّة ، لتأكيد طريقته في الحياة ، وعقيدته في إقرار نوع من العدالة ، خارج شرائع المجتمع الجاهليّ .

ويدعم جدلَه هذا بمنظر غزوة على بخيل ، يملك الإبل الكثيرة ، ويمنعها عن الفقراء والأضياف ، وكيف يفوز عروة بهذه الإبل مع أصحابه ، وينطلق بها إلى مورد ماء ، ليأكلوا منها ، ولا ينسوا أن ينتدبوا منهم حارساً يقف على نتوء من الأرض . وبهذه اللوحة ، يؤكّد عروة نزعته الطبيعية والواقعية ، ويقدم لنا نموذجاً آخر عن وقائع حياة الصّعاليك ، بأسلوب فنّيّ يتدفّق حماسة ، وتأثيراً حسياً جميلاً .

١ أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أَدِبَّ عَلَى العَصَا ، فَيَشْمتَ أَعْدائِي ، وَيَسْأَمَنِي أَهْلِي

---

١ وَرَائي : استعملها على سبيل التضاد « المعنى : أليس أمامي » .

• إن أقصى ما أصل إليه ، إن سلمتُ من القتل ، أن أشيخ وأهرم فيأمن أعدائي غزواتي ، إذ يروني أتوكأ على العصا . ولا بد أن يسأمني أهلي ، ولذلك فإن الموت قتلا في الغزو ، هو ، المثل الأعلى لشجاعة الصّعلوك ، وذلك في ريعان الشباب .

٢ رَهِينَةُ قَعْرِ البَيْتِ ، كُلَّ عَشِيَّةٍ يُطِيفُ بِيَ الوِلْدَانُ أَهْدَجُ كَالرَّأْلِ

٣ أَقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدُورَ رِكَابِكُمْ ، فَكُلُّ مَنَايَا النَّفْسِ خَيْرٌ مِنَ الهَزْلِ

٤ فَإِنَّكُمُ لَنْ تَبْلُغُوا كُـلَّ هِمَّـتِي ، وَلا إِرْبَتِي ، حَتَّى تَرَوا مَنْبِتَ الأَثْلِ

٥ فَلَوْ كُنْتُ مَثْلُوجَ الفُؤَادِ ، إِذَا بَدَتْ بِلادُ الأَعَادِي ، لا أُمِرُّ وَلا أُحْلِي

٦ رَجَعْتُ عَلى حِرْسَيْنِ ، إِذْ قَالَ مَالِكٌ : هَلَكْتَ ، وَهَلْ يُلْحَى ، عَلى بُغْيَةٍ ، مِثْلِي

---

٢ يُطيفُ بي : يلاعبني . أهْدج : من هدج ، مشى بخصوات قصيرة متداركة . الرَّأل : فرخ النَّعام .

• أظل رهن البيت كل مساء يطوف بي الأطفال كفرخ النعام ، وهذا ما يأباه الشاعر لنفسه إذا ما قعد عن التَّرحال والغزو .

٣ أقيموا : أي توجَّهوا إلى الغزو ، وتربَّصوا له . الهَزْل : هنا الجوع .

• وها هو يشحذ عزيمة قومه : أن ينطلقوا إلى الغزو بعد أن أصابهم الجوع ، فالغزو ، وإن كان الموت فيه ، خير من القعود مع الجوع .

٤ الإربة : الحاجة . الأثْل : شجر ينبت في الجبال ، وأراد بمنبت الأثل ديار بني القين التي غزاها .

• هيا أسرجوا خيولكم ، إن كانت لكم همّة مثل همّتي ، وعزيمة مثل عزيمتي ، فلن تكونوا مثلي ، حتى تصلوا أرض بني القين التي غزوتها .

٥ مَثْلوج الفُؤاد : يقال : بارد القلب ، لا شيء يثير حرارته . لاَ أمرّ ولاَ أحْلِي : وهو مثـل معناه : لا خير عنده ولا شرّ ، ولا نفع ولا ضرّ .

• فلو كنت قليل الهمَّة لما أثارت عندي رؤية بلاد الأعداء شيئاً من حماسة ، ولما كان مني ما يضرّ أو ينفع .

٦ حِرْسَيْن : اسم جبل في بني عبس . مَالك : هو مالك بن حمَّار الفزاري . يُلْحى : يلام .

• يبدو أن عروة كان في ديار مالك ولمَّا عاد قال له مالك : إذهب في طريق جبل حِرْسَيْن ، فخالفه ومشى نحو بلاد القين ، حيث غنم إبلا كثيرة ، فلذلك فهو يقول هنا : لو كنتُ ذلك الرَّجلَ الجبانَ ، لَسمعتُ من مالك خوف الهلاك ، لكن : أيلامُ رجل قويّ الهمَّة ، إذا أراد أن يحقق أمانيه ؟

٧ لَعَلَّ انْطِلاقِي في البِلاَدِ وَبُغْيَتِي ، وَشَدِّي حَيَازِيمَ المَطِيَّةِ بالرَّحْـلِ

٨ سَيَدْفَعُنِي ، يَوْماً ، إلى رَبِّ هَجْمَةٍ ، يُدَافِعُ عَنْهَـا بِالعُقُوقِ وَبِالبُخْلِ

٩ قَلِيلٌ تَوَالِيهَا ، وَطَالِبُ وِتْرِها ، إِذَا صِحْتُ فِيها بِالفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ

١٠ إِذَا مَا هَبَطْنَا مَنْهَلاً في مَخُوفَةٍ ، بَعَثْنَا رَبِيئاً ، في المَرَابِيءِ ، كَالجِذْلِ

١١ يُقَلِّبُ ، في الأَرْضِ الفَضَاءِ ، بِطَرْفِهِ ، وَهُنَّ مُنَاخَاتٌ ، وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي

---

٧ الحَيَازِيم : جمع حيزوم ، الصّدر. الرِّحْلة : الاندفاع في البلاد .

٨ الهَجْمَة : قطعة من الإبل قريبة من المائة .

• ولعل انطلاقي في البلاد ، يبلغني ، ذات يوم ، صاحبَ إبل كثيرة ، غني ، حريص عليها بالعقوق والبخل ، فلا يُفرِّط في واحدة منها ، لفقير أو قريب أو ضيف ، فأستولي عليها منه ، وأبيحها لمُستحقّيها .

٩ تَوَاليها : من يتلوها ليخلّصها . الوِتْر : الثّأر. الرَّجْل : جمع راجل : الماشي .

• وليس هناك من يحرس هذه الإبل ، ويعدو وراءها ليخلّصها ، أو من يثأر من مُغْتصبيها ، إذا ما غزوتها بالفوارس ، والمُترجّلين من أصحابي ، أي لن يجرؤ أحد على منعي من سلب هذه الإبل .

١٠ المَنْهَل : المورد . مَخوفَة : الأرض التي يخاف فيها . الرَبيئَة : الحارس . المرابئ : موضع الرّصد . الجِذْل : أصل الشجرة .

• وإذا ما حَلَلْنا في أرض غير آمنة ، وذات ماء ، نرسل أحدنا ليكون حارساً في أعلى الرّابية ، صامداً ، ثابتاً كجذع الشجرة .

١١ الفَضَاء : نعت الأرض الواسعة . المِرْجَل : القدر الضّخمة من المعدن .

• يُقلّب هذا الحارس الشّجاع طَرْفه في الأرض الواسعة ، بينما تكون المراجل تغلي ، والإبل مناخة ويصف في البيتين الأخيرين نهاية الغارة ، حين يفوز عروة وأصحابه بالغنيمة ، ويَرِدُون الماء ، ويطبخون من لحم الإبل التي فازوا بها ، والحارس الّذي يقف في أعلى الرابية ، يرصد الفضاء الواسع أمامه .

وفيما يلي نورد لعروة بن الورد ، مقطعين يتعلقان بموضوع زعامة الشاعرلطائفة الصّعاليك . ويدعوالشاعرأصحابه هؤلاء بأهل الكنيف. ولعل هذه اللَّفظة (الكنيف) امتدت دلالتها اللّغوية من معنى المكان المظلّل الذي يأوي إليه الأنسان أو الحيوان ، إلى معنى الالتجاء والرعاية ، والارتباط بالزّعيم والقائد .

ويكشف عروة عن همومه في زعامته تلك ، ففي المقطع الأول تراه يحثّ جماعته على الغزو والاحتراب ، بدل القعود والخمول ، والتقاط بقايا الجزور.

وفي المقطع الثّاني ، يجأر الشّاعرُ بالشكوى من فئة من أصحابه هؤلاء الّـذين ما أن تبدّل حالهم من الفقر والإدقاع ، إلى شيْ من الغنى ، بعد الغزو والحرب ، حتَّى أخذوا يتمرّدون على زعيمهم الذي رعاهم ، وأطعمهم ، وقادهم إلى حياة الفروسية ، وجلب المغانم . ولا يجد من مثل ينطبق على حاله هذه ، إلاّ مثل الأمّ الّتي رعت طفلها حتى شبّ ، ثم جاءت زوجُه تحاول أن تبعد عنه أمّه . فهل ترضى الأم لنفسها أن تتمنى موت ولدها ، أم أنها تلجأ إلى الصّبر ، ومجالدة النكران بالصمت والصّفح .

الشّاعر يعرض هنا لأزمة وجدان ، يعانيها القائد المفجوع بأتباعه وأصدقائه ، وهم يتنكّرون له بعد طاعة ، ويكيدون له بعد إخلاص ، ما أن تتطور أحوالهم إلى ما يشجعهم على الاستقلال . ولقد وصف هذه الأزمة بطريقته المعهودة ، فاستعان بالألفاظ ذات الحروف والجرس المطابقة لجو المعنى الذي يريده . واستخدم الحوار بالصّور ، والأمثال المركّزة . ثم لجأ إلى تعميم حاله ، من خلال المثل المألوف ، عن تنكر الابن لأمّه ، والتحاقه بزوجته ، وأنهى الشّاعر القصيدة بأربعة أبيات يؤكد فيها أن ليس له سوى فرسه ، الّتي يلجأ إليها لتقوده إلى الفيافي المخيفة . وهو يرمز بذلك إلى أنّه ليس للفارس إلا الاعتماد على النّفس ، في مثل هذه الأحوال من تنكّر الأتباع والأصدقاء .

وإذا به في النهاية يطوف في الصحارى ، وقد رأى معالم الأرض قد تغيّرت من حوله . ويلمح الشاعر ، من خلال ذلك الموقف المؤثر ، إلى تبدل العالم ، وتنكّره للفارس المتوحّد .

أَهْلُ الكَنِيفِ

١ وقُلْتُ لِقَوْمٍ، في الكَنِيفِ، تَرَوَّحُوا، عَشِيَّةَ بِتنا عِنْدَ مَاوان، رُزَّحِ

٢ تَنَالُوا الغِنَى ، أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ إلى مُسْتَرَاحٍ ، مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ

٣ وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ ، وَمُقْتِراً مِنَ المالِ ، يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

٤ لِيَبْلُغَ عُذْراً ، أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً ، وَمَبْلَغُ نَفْسٍ ، عُذْرَهَا مِثْلُ مُنجِحِ

٥ لَعَلَّكُمُ أَنْ تَصْلُحُوا بَعْدَ مَا أَرَى نَباتَ العِضَاهِ الثَّائِبِ ، المُتَرَوِّحِ

٦ يَنُوؤُونَ بِالأَيْدِي ، وَأَفْضَلُ زَادِهِم بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمَلَّحِ

---

١ الكَنيف : الحظيرة والمأوى . تَرَوَّحوا : ساروا بالرّواح ، العَشيّ . مَاوَان : واد فيه ماء فيما بين النقرة والربذة . رُزَّح : قد سقطوا من الإعياء وهونعت قوم ، وكانت منازل بني عبس فيما بين أبانين والنَّقرة وماوان والربذة .

٢ المُسْتَراح : الاستراحة . الحِمَام المُبَرِّح : الموت الشَّديد .

• يقول : تزوّدوا من هذا المكان ، لعلّكم تنالون الغنى ، فتستريحوا من هذا الجوع والعناء .

٣ ، ٤ مُقْتِر : مقلّ .

• إنّ من كان مثله فقيراً عليه أن يطلب رزقه في كلّ مكان ، ولذلك لا بدّ له ولزملائه الصّعاليك من أن يسعوا ، سواء نجحوا أوفَشلوا ، فعذرهم أنّهم لم يقعدوا عن المحاولة والسَّعي .

٥ نَبَاتُ العضَاه الثَّائب : أي كما يَؤوب العضاه ، ويثوب ورقُه بعد الورق الذي سقط . والعضاه : كل ما كان من شجر البرِّ له شوك من طلح أوما إليه . المُتَرَوِّح : الذي استقبل البرد فوجد مسّه يقطر ورقه من غير مطر .

• مثَّل أصحاب الكنيف بهذا ، فقال لهم : لعلكم تصلحون ، بعد ما أرى بكم من الجهد والهزال ، وتنبت لحومكم كما صلحت هذه العضاه بعد اليُبْس .

٦ مُمَلَّح : به أدنى شيء من شحم ، والمِلْح : الشَّحم .

• يقول : هؤلاء أصحاب الكنيف مُجْهدون ، فلا يقدرون من جهدهم ، أن يستقلّوا حتى يعتمدوا على أيديهم ، لقد أخرجتهم من ماوان ، وأفضل زادهم لحم بعير نحيل ، غير سمين .

جُحُودٌ وَصُمُودٌ

١	أَلا إنَّ أَصْحَابَ الكَنِيفِ وَجَدْتُهُمْ	كَمَا النَّاسِ ، لَمَّا أَخْصَبوا وَتَموَّلوا
٢	وَإِنِّي لَمَدْفُوعٌ إِليَّ وَلاؤهُمْ ،	بِمَاوَانَ ، إِذْ نَمْشِي ، وَإِذْ نَتَمَلْمَلُ
٣	وَإِذْ مَا يُرِيحُ الحَيَّ صَرْمَاءُ جَوْنَةٌ ،	يَنُوسُ عَلَيْهَا رَحْلُهَا مَا يُحَلَّلُ
٤	مُوَقَّعَةُ الصَّفْقَيْنِ ، حَدْبَاءُ ، شَارِفٌ ،	تُقَيَّدُ أَحْيَاناً ، لَدَيْهِمْ ، وَتُرْحَلُ
٥	عَلَيْهَا مِنَ الوِلْدَانِ ما قَدْ رَأَيْتُمُ ،	وَتَمْشِي ، بِجَنْبَيْهَا ، أَرَامِلُ عُيَّلُ

---

١ الكَنيف : الحظيرة من الشَّجر ، تحظر على النَّاس كما تحظر على الإبل ، فتقيهم من الرِّيح والبرد . كَمَا النَّاس : وجدتهم كالنَّاس ، ما : زائدة .

• يقول عروة : إنه وجد أصحابه من أهل الكنيف ـ أي الذين آواهم وأطعمهم ـ قد تبدلوا منه ، كما يتبدل بقية النَّاس ، عندما يغتنون بعد فقر ، أي أنكروا فضله عليهم .

٢ ولاؤهم : محبّتهم وصداقتهم .

• يقول : أدركتُهم بماوان ، وهم هزلى من شدة الجهد ، فاستنقذتهم ، فولاؤهم إليّ ، أي يُنسبون إليّ ، فيقولون : موالي عروة ، وذلك قبل أن يخصبوا ويتموّلوا ، فلمَّا قوَوْا ، خاصموني ، فاذا هم كالنَّاس الأباعد ، ليس لهم شكْر .

٣ الصَّرْمَاء : الناقة المقطوعة الأخلاف ، ليذهب لَبَنُها وتشتدّ قوتها . الجَوْنَة : السَّوداء ، وهي الأم للإبل . يَنُوس : يَتحرّك . وصف القدر فشبَّهها بالنَّاقة ، وشبَّه الرّحل بالأثافي التي توضع عليها القدر . وأراد بقوله ، ما يُحَلَّلُ : أي ما يحوّل عن مكانه .

• يقول : الأحياء تروح عليهم بالعشيَّات إبلُهم وغنمهم ، والَّتي تروح علينا ، قدرٌ سوداء يُطبخ فيها اللَّحم كلّ عشية .

٤ الصَّفْقَان : الجانبان . الشَّارف : الكبيرة .

• يواصل وصف القدر وتشبيهها بالنَّاقة .

٥ الأرامل العُيَّل : ذوات العيال .

• يقول : ينزل على هذه القدر ، ويُطيف بها ، من قد علمتم ، من النّساء والصّبيان والأرامل والأيتام .

٦ وَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّ بَيْضَاءَ ، فِتْيَةٌ ، — طَعَامُهُمُ ، رَهْنَ القُدُورِ ، المُعَجَّلُ

٧ مَضِيغٌ مِنَ النِّيبِ المَسَانِ وَمُسْخَنٌ — مِنَ المَاءِ ، نَعْلوه بـآخَرَ مِنْ عَلُ

٨ فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ ، كَذِي الأُمِّ أَرْهَنَتْ — لَهُ مَاءَ عَيْنَيْهَا ، تفَدِّي وَتَحْمِـلُ

٩ فَلَمَّـا تَـرَجَّـتْ نَفعَهُ وَشَبَــابَـهُ ، — أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى حَدِيداً تُكَحَّلُ

١٠ فَبَاتَتْ لِحَدِّ المِرْفَقَيـنِ كلَيْـهِمَا ، — تُوَحْوِحُ مِمَّا نَابَهَا ، وتُوَلْـوِلُ

١١ تُخَيَّرَ مِنْ أَمْرَيْنِ لَيْسا بِغِبْطَـةٍ ، — هُوَ الشَّكَلُ ، إلاَّ أَنَّهَا قَدْ تُجَمَّلُ

---

٦ يخاطب القدر ، وهي سوداء ، وكناها فقال : يا أمّ بيضاء . فتْيَة : أي هؤلاء فتية .

٧ المَضيغ : اللحم . النِّيب : جمع ناب ، النَّاقة المسنَّة . المَسَان : الكبيرة . المُسْخَن : المرق .

ه يقول : كلَّما نَفَد اللحْمُ والمرق أمددناه بآخر من فوقه .

٨ ه يخاطب أصحاب الكنيف ، فيقول لهم : إنّي وإيَّاكم كامرأة لها ولد صغير ، أرْهَنت له ماء عيْنَيْها ، فهي تفديه مرّة ، ومرّة تحمله .

٩ وأراد بالحديد : الزّوجة .

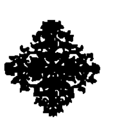
ه يقول : فلمَّا تمّ شبابه ، وأدرك نفعه ، تزوّج فغلبت الزوجةُ الأمَ على الابن ، فترك أمّه من أجلها .

١٠ حَدّ المِرْفَقَيْن : ضربهما . والمِرْفَق : الموصل بين السَّاعد والعضد . تُوَحْوِح : تصوّت بصوت فيه بحة . تُوَلْوِل : تعول وتدعو بالويل .

ه ضرب هذه المرأة مثلا لأصحاب الكنيف حين قالوا له : أعطنا المرأة أو اجعلها نصيباً واحداً .

١١ تخير منْ أمْرَيْن : أي من أمرين ليسا بخير . إمّا أن يموت ابنها ، فتشتفي من امرأته ، فتثكله ، أو تصبر على أن تكون امرأته آثر عنده منها . تجمَّل : أصلها تتجمَّل ، أي تتصبَّر .

١٢	كَلَيْلَةِ شَيْبَاءَ الَّتِي لَسْتَ نَاسِيـاً ،	وَلَيْلَتِنَا ، إِذْ مَنَّ ، مَا مَنَّ ، قِرْمِلُ
١٣	أَقُولُ لَهُ : يا مَالِ ! أُمُّكَ هَابِلٌ ،	مَتَى حُبِسَتْ فَعَلَى الأَفَيِّحِ تُعْقَلُ
١٤	بِدَيْمُومَةٍ ، مَا إِنْ تَكَادُ تَرَى بِهَا ،	مِنَ الظَّمَإِ ، الكُومَ الجِلاَدَ تُنَوِّلُ
١٥	تُنَكَّـرُ آيَـاتُ البِـلاَدِ لِمَـالِـكٍ ،	وَأَيْقَنَ أَن لاَ شَيْءَ فِيهَا يُقَـوَّلُ



---

١٢ أَرادَ بلَيْلَة شَيْبَاء : الدّاهية ، كأنّه وقع فيها ، فمنّ عليه فرسه « قِرْمل » بالنّجاة منها .

١٣ يَا مَال : مرخّم يا مالك . الهَابل : الثّاكل . الأفَيِّح : موضع . تُعْقَل : تحبس .

١٤ الدّيْمُومَة : الفلاة الواسعة . الكُوم : جمع كوماء ، النّاقة الضّخمة . الجلاد : جمع جليد ، ذو قوّة وصبر . تُنَوّل : تعطي نوالا ، أي لا تدرّ بلبنها .

١٥ آيَاتُ البلاد : معالمها . يُقَوّل : يدعي .

* ومعنى الأبيات الأربعة الأخيرة : مَثَلُ تلك الأم التي فُجعت بحنان ولدها ، مثلي يوْمَ عصاني أهلُ الكنيف ، وليلةَ نجّاني فرسي قِرْمل ؛ في تلك اللّيلة السّوداء ، قلت لصاحبي : سِرْبنا يا مالك ، فلوظللنا في هذه الفلاة ، لهلكنا ، فهي فلاة تعجز عن قطعها الكُوْمُ ، الجلاد ، فلا تكاد من الجهد تدرّ لَبنا . لقد تغيرت معالم هذه الأرض في عين مالك ، وعلم أن كلّ ما يقال عنها وعن مهالكها ، صحيح .

لَبُوس ثِيابَ المَوْتِ

١ تَقُولُ : أَلا أَقْصِرْ مِنَ الغَزْوِ وَاشْتَكى ... لَهَا القَوْلَ طَرْفٌ أَحْوَرُ العَيْنِ دَامِعُ

٢ سَأُغْنِيكِ عَنْ رَجْعِ المَلاَمِ بِمُزْمِعٍ ... مِنَ الأَمْرِ ، لا يَعْشُو عَلَيْهِ المُطَاوِعُ

٣ لَبُوسٌ ثِيَابَ المَوْتِ ، حَتَّى إِلَى الَّذِي ... يُوَائِمُ إِمَّا سَائِمٌ ، أَوْ مُصَارِعُ

٤ إِذَا أَرْهَنَتْهُ المَيْنَ شِدَّةُ مَـاجِـدٍ ، ... فَوَرَّعَهَا القَوْمُ الأُلى ، ثُمَّ مَاصَعُوا

٥ وَيَدْعُونَنِي كَهْلاً ، وَقَدْ عِشْتُ حِقْبَةً ... وَهُنَّ ، عَنِ الأَزْوَاجِ نَحْوِي ، نَوَازِعُ

٦ كَأَنِّي حِصَانٌ مَالَ عَنْهُ جِلاَلُهُ ، ... أَغَرُّ ، كَرِيمٌ ، حَوْلَهُ العُوذُ ، رَاتِعُ

٧ فَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ ، تَتَابَعَتْ ... طِوَالٍ ، وَلَكِنْ شَيَّبَتْهُ الوَقَـائِعُ

---

١ ● تخاطبه امرأته ، طالبة منه أن يترك حياة الغزو التي تجعله يعيش المخاطر ويبتعد عنها ، حتّى أنّ عيونها فاضت بالدموع .

٢ المُزْمِع : من أزمع الأمر : ثبت عليه وأظهر فيه حزماً . يَعْشُو عليه : يقصده . المُطَاوِع : الموافق على الشيء .

● أي سيكون جوابي على لومك أنني أحسم موقفي وأمضي دون أن أتردد وأخضع لإرادتك .

٣ السَّائم : الذاهب على وجهه حيث شاء .

● يشير إلى استعداده الدائم للقتال ، والصّورة « لَبُوسٌ ثيابَ المَوْت » جميلة واقعيَّة .

٤ المَيْن : الكذب . وَرّعَها : ردّها . مَاصَعُوا : قاتلوا .

٥ ● يدعون أنه أصبح شيخاً لا يصلح للنّساء ، بينما ما زال بعضهن يملن عن أزواجهن إليه . وذلك طبعاً لخصائصه في الرّجولة والشَّجاعة ، رغم السّن .

٦ العُوذُ : جمع عائذ ، الحديثة النّتاج من الخَيْل والإبل والظّباء .

٧ ● لم يشب شعره لطول حياته ، ولكن شيَّبتْه المعاركُ وصروف الزّمان .

إذَا قِيلَ يا ابْنَ الوَرْدِ

١	أَتجْعَلُ إقْدَامي ، إذَا الخَيْلُ أَحْجَمَتْ	وَكَرِّي ، إذَا لَمْ يَمْنَعِ الدَّبْرَ مَانِعُ
٢	سَواءً ، وَمَنْ لا يُقْدِمُ المُهْرَ في الوَغَى ،	وَمَنْ دبْرُهُ ، عِنْدَ الهَزَاهِزِ ، ضَائِعُ
٣	إذَا قِيلَ يَا ابن الوَرْدِ : أَقْدِمْ إلى الوَغَى !	أَجَبْتُ ، فَلاَقَانِي كَمِيٌّ مُقَارِعُ
٤	بِكَفِّي مِنَ المَأْثُورِ ، كَالمِلْحِ لَوْنُهُ ،	حَدِيثٌ بِإخْلاصِ الذُّكُورَةِ ، قَاطِعُ
٥	فَأَتْرُكُه بِالقَاعِ ، رَهْناً بِبَلْدَةٍ ،	تَعاوَرُه فِيهَا الضِّبَاعُ الخَوَامِعُ
٦	مُحَالِف قَاعٍ ، كَانَ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ ،	وَلٰكِنَّ حَيْنَ المَرْءِ لا بُدَّ وَاقِعُ
٧	فَلاَ أَنَا مِمَّا جَرَّتِ الحَرْبُ مُشْتَكٍ ،	وَلا أَنَا مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ جَازِعُ
٨	وَلا بَصَرِي ، عِنْدَ الهِيَاجِ ، بِطَامحٍ ،	كَأَنِّي بَعِيرٌ فَارَقَ الشَّوْلَ ، نَازِعُ

---

١ ، ٢ الدَّبْر : المال الكثير . سَوَاء : مفعول ثان لتجعل في البيت السَّابق . الهَزَاهز : الشَّدائد .

• أتجعلني ، وأنا الشّجاع الّذي يقدم ويكرّ ، حين يحجم الفرسان ، ويمنع عرضه ، في منزلة الجبان الّذي يتأخّر في الحرب ، ويضيع في الشّدائد .

٣ • إذا ما نُوديَ باسمي نزلت إلى المعركة لألاقي فارساً ، مدجَّجاً بالسّلاح ، مجرّباً لأنواع القتال .

٤ المأْثور : أراد به السَّيْف القديم المتوارث . إخْلاص الذُّكُورَة : سَيْف ذَكَر : أي شفرتـه حديد .

• لألاقيه بالسَّيف القاطع الّذي توارثناه أباً عن جدّ ، أبيض كالملح ، شفرته من الحديد ، لا تقف أمامه قوّة .

٥ الخَوَامع : من خمع ، كأن به عرجاً .

• ما أن ضربه بسَيْفه ، حتى رماه على الأرض ، لتنهش جُثّته الضّباعُ العُرْج .

٦ • ولقد أمسى نزيل القاع ، أي القبر ، وكان بمنجاة من الموت ، ولكن الهلاك أدركه .

٧ • مهما كانت الحرب عنيفة ومهما اشتدّ سعيرها ، فلا أشتكي منها ، ولا أخاف من صروف الدّهر . والبيت بليغ مؤثر .

٨ الشَّوْل : الإبل . نَازِع : مشتاق .

• ولا أمدّ بصري إلى خارج المعركة أبغي الفرار والنَّجاة منها ، كما يشتاق البعير قطيعه .

حَقُّ الجَارِ

١ أَفِي نَابٍ مَنَحْنَاهَا فَقِيراً، لَهُ بِطِنَابِنَا طُنُبٌ مُصِيتُ
٢ وَفَضْلَةِ سَمْنَةٍ ، ذَهَبَتْ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ حَقِّهِ ، مَا لَا يَفُوتُ
٣ تَبِيتُ ، عَلَى المَرَافِقِ ، أُمُّ وَهْبٍ، وَقَدْ نَامَ العُيُونُ ، لَهَا كَتِيتُ
٤ فَإِنَّ حَمِيتَنَا ، أَبَداً ، حَرَامٌ، وَلَيْسَ لِجَارِ مَنْزِلِنَا حَمِيتُ
٥ وَرُبَّتَ شُبْعَةٍ ، آثَرْتُ فِيهَا يداً ، جَاءَتْ تُغِيرُ ، لها هَتِيتُ
٦ يَقُولُ : الحَقُّ مَطْلَبُهُ جَمِيلٌ، وَقَدْ طَلَبُوا إِلَيْكَ ، فَلَمْ يُقِيتُوا

١، ٢ النَّاب : النَّاقة المسنَّة . أطْنَابنَا : جمع طُنُب ، وهو حبل طويل يشدّ به السرادق ، أي الخيمة أو يشدّ به الوتد . المُصيت : أي يسمع صوته . السَّمْنَة : السمن

• يتساءل الشّاعر : أيكون في منْحه ناقة مربوطة ببيته إلى فقير ، أو إعطائه بعض السَّمن ، ما يستحق الشكر عليه ، في حين أن ما يجب له علينا هو أكثر ممّا منحناه إياه ، وكأنّه يردّ بذلك على استنكار زوجته لسعة كرمه .

٣ المَرَافق : جمع مرفق : الموصل بين السَّاعد والعضد . أراد أنها تنام مسندة رأسها على ذراعَيْها . الكَتيت : صوت غليان القدر ، استعارة لشخيرها . أمّ وَهْب : زوجته .

• ثم يصف زوجته فيقول : إنها تنام مسندة رأسها على ذراعَيْها ، ويملأ شخيرها البيت كصوت القدر على النَّار .

٤ الحَميت : هو السّقاء يربّ بالرّبّ ، فاذا فُعل ذلك به ، فهو حَميت ، يطيّب بالرّب ثم يصيرّ السَّمن فيه ، وهو نوع من الطعام .

• يقول : هذا الطعام حرام علينا ، لا نذوقه ، ما دام ليس لجارنا مثله ، أي عليه أن يتقاسم معه قوته .

٥ الشُّبْعَة : مقدار ما يُشبْع مرّة . آثَرْتُ : فضلت . هَتيتُ : من هتَّ ، أكثر في الكلام .

• ولكم فَضلْتُ أن أعطي لسائل ثرثار ما يكاد يسدّ جوعي من الطَّعام .

٦ يُقيتُوا ، من أقاته : أعطاه قُوته .

٧ فَقُلْتُ لهُ : أَلا أحيَ ، وأَنْتَ حُرٌّ ، سَتَشْبَعُ في حيَاتِـكَ ، أَوْ تَمُوتُ
٨ إذَا مَا فَاتَني لَمْ أَسْتَقِلْـهُ حَيَاتي ، والمَلائمُ لا تَفُوتُ
٩ وَقَدْ عِلِمَتْ سُلَيمَى أَنَّ رَأْيـي وَرَأْيَ البُخْـلِ مُخْتَلِـفٌ شَتِيتُ
١٠ وَأَني لا يُريني البُخْـلَ رَأْيٌ ، سَوَاءٌ إِنْ عَطِشْتُ ، وَإن رويتُ
١١ وأَني ، حينَ تَشْتَجِرُ العوالي حَوَالي اللُّبّ ، ذو رَأْيٍ ، زَمِيتُ
١٢ وأُكفى ، مَا علمتُ ، بِفَضْل عِلْمٍ ، وَأَسْأَلُ ذَا البَيَـانِ ، إِذَا عَمِيتُ

مِيرَاثُ عُرْوَةَ

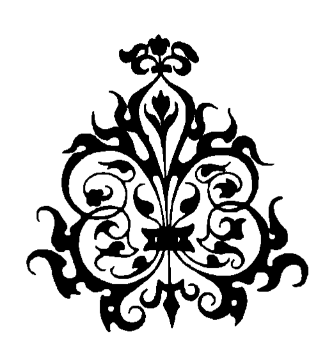
١ وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تُرَاثِي ، وَإِنَّ مَا يَصِيـرُ لَـهُ مِنْهُ غَـداً لَقَلِيـلُ
٢ وَمَا لِيَ مَالٌ ، غَيْرُ دِرْعٍ ، وَمِغْفَرٌ وَأَبْيضُ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ صَقِيلُ
٣ وَأَسْمَرُ خِطِّـيٌّ القَنَـاةِ مُثَقَّـفٌ وَأَجْرَدُ عَرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

---

٧ ، ٨ إذا مَا فَاتَني : أي فاتني الحقّ . لَمْ أَسْتَقِلْهُ : أي لا أقدر أن أردّه . المَلائم : يريد الملامة .
• يقول : إذا لم أقم بما يجب عليّ من الحقّ ، ندمت طول حياتي ، ولم أعدم من يلومني على تركه .
٩ ، ١٢ تَشْتَجر العَوالي : هو اختلاطُ بعضها ببعض في الحرب . حَوَالي : بالتشديد فخفف . يقال للمحتال من الرّجال : أنه حوالي . اللّبّ : العَقْل . الزّميت : الجليل الوقور .
• يقول : لقد علمت سُلَيْمى أنّي لا أتّفق والبخل في رأي ، سواء في ذلك أن كنت عطشان أم كنت ريّان ، وأني وقور في المعركة ذو تجربة ، ورأي سديد ، ومع علمي وسعة معرفتي ، إذا ما تهت عن الحقيقة ، أسألُ ذوي النّصح وأهل الرّشاد ، يقصد أنه متواضع .
١ كان السّلاح الدفاعي والهجومي أمراً ضروريّاً بالنّسبة إلى الصّعاليك ، وها هو عروة ينكر أنه لن يخلّف بعد موته سوى درع ومغفر ، (أي حلق تحت الخوذة) ، وسيف ورمح وجواد .

الفَقْرُ شَرٌّ

١	دَعِيني للْغِنَى أَسْعى ، فَإنِّي	رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُم الفَقِيرُ
٢	وَأَبْعَدُهُمْ وأَهْوَنُهم عليهم ،	وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وخِيرُ
٣	وَيُقْصِيهِ النَّدِيُّ ، وتَزْدرِيهِ	حَلِيلَتُهُ ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
٤	وَيُلْفَى ذُو الغِنَى ، وَلَهُ جَلالٌ ،	يَكَادُ فؤادُ صَاحِبه يَطِيرُ
٥	قَلِيلٌ ذَنبُهُ ، والذَّنْبُ جمٌّ ،	ولٰكِنْ للغِنى رَبٌّ غَفُورُ



---

١ ، ٤ الخِير : الشَّرف . حليلته : زوجته . جمّ : كثير .

٥ يصف في هذه الأبيات حالة الفقير ، وما يلقى من ظلم وتعسّف وازدراء ، وحالة الغني وما يلقى من إجلال وتعظيم وعفو عن ذنوبه ، مهما كَثُرَتْ .

تَمَنَّى غُرْبَتِي

١ تَمَنَّى غُرْبَتِي قَيْسٌ ، وَإِنِّي ... لَأَخْشَى ، إِنْ طَحَا بِكَ ، مَا تَقُولُ

٢ وَصَارَتْ دَارُنَا شَحْطاً عَلَيْكُمْ ، ... وَجُفُّ السَّيْفِ كُنْتَ بِهِ تَصُولُ

٣ عَلَيْكَ السِّلْمُ ، فَاسْلَمْهَا ، إِذَا مَا ... أَوَاكَ لَهُ مَبِيتٌ ، أَوْ مَقِيلُ

٤ بِأَنْ يَعيَا القَلِيلُ عَلَيْكَ ، حَتَّى ... تَصِيرَ لَهُ ، وَيأْكُلك الذَّلِيلُ

٥ فَإِنَّ الحَرْبَ ، لَوْ دَارَتْ رحاها ، ... وفَاضَ العِزُّ ، وَاتُّبعَ القَلِيلُ

٦ أَخَذْتَ ، وَرَاءَنا ، بِذُنَابِ عَيْشٍ ، ... إِذَا مَا الشَّمْسُ قَامَتْ لَا تَزُولُ

---

١ ، ٢ طَحَا بكَ : ذهب بك . جُفّ السَّيف : غمْده .

* يقول : تريد أن أرحل عنك ، وأنا أخشى أن يتحقّق ذلك ، فأنأى عنك ، وتزول حمايتي لك .

٣ ، ٤ السِّلْم : أي الصّلح .

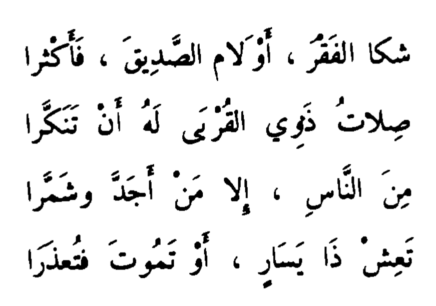
* يقول دعنا نَبْقَ صديقَيْن متصالحَيْن ، فلو تركتك كما تتمنى ، لأصبح القليل كثيراً عليك ، ولأكلك الأذلاء من النَّاس ، فكيف بالأعزّاء منهم ؟ .

٥ فَاضَ العزّ : انتشر . اتُّبع القَليل : أي أكل الضعيف .

٦ ذُنَاب العَيْش : طرفه . لا تَزُول : أي لم تمل الشمس نحو المغيب ، أي إذا طال اليوم عليك .

* معنى البيتين : فحين نغزو ونصيب الغنائم ، ونطعم الضعفاء ، فإنَّك تبقى بعيداً عن هذه الأمجاد ، تفضّل أسهل العيش ، لخوفك من الموت .

سِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ

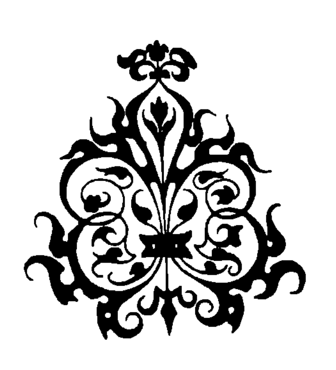


١ إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ معَاشاً لِنَفْسِهِ ، شكا الفَقْرَ ، أَوْلام الصَّدِيقَ ، فَأَكْثرا

٢ وَصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنَ كَلاًّ ، وَأَوْشَكَتْ صِلاتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنَكَّرا

٣ ومَا طَالِبُ الحَاجَاتِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ، مِنَ النَّاسِ ، إلا مَنْ أَجَدَّ وشَمَّرا

٤ فَسِرْ في بلاَدِ الله ، والتَمِسِ الغِنى ، تَعِشْ ذَا يَسَارٍ ، أَوْ تَمُوتَ فتُعذَرَا



---

١ ، ٤ الأدنَيْن : جمع الأدنى ، وهو القريب . الكَلّ : الحمل الثقيل .

* يقول : يتخاذل المرء عن تحصيل قوت يومه ، ثم يشكو فقره ، ويلوم صديقه ، ويصبح عالة على الأقربين إليه ، وتوشك صلاته مع ذوي قرباه أن تنفصم عراها ، فَاسْعَ في بلاد الله ، وابْتَغ الغنى ، تَعِش ميسوراً ، وإنْ مُتَّ في سبيل ذلك ، فالنَّاس حتماً سيعذرونك ويحمدون مسعاك .

جُزُورُ العِيَالِ

١ هَلاَّ سَأَلْتَ بني عَيْلانَ كُلَّهُمُ ، عِنْدَ السِّنِينَ ، إِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ

٢ قَدْ حَانَ قِدْحُ عِيالِ الحَيِّ إذْ شَبِعُوا وَآخَرٌ لِذَوِي الجِيرَانِ مَمْنُوحُ

قَلْبٌ مُبْصِرٌ

١ بُنيتُ عَلَى خُلْقِ الرِّجَالِ بِأَعظُمٍ خِفَافٍ ، تَثَنَّى تَحْتَهُنَّ المَفَاصِلُ

٢ وقَلْبٍ جَلا عَنْهُ الشُّكُوكَ ، فَإِنْ تَشَأْ يُخبِّرْكَ ، ظَهْرَ الغَيْبِ ، مَا أَنْتَ فاعِلُ

الْعَيْشُ عَلَى مَوَائِدِ النَّاسِ

١ إِذَا آذَاكَ مَالُكَ ، فَامْتَهِنْهُ لِجَادِيهِ ، وإِنْ قَرِعَ المَرَاحُ

٢ وَإِنْ أَخْنَى عَلَيْكَ ، فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَنَبْتُ الأَرْض وَالماءُ القَرَاحُ

٣ فرغمُ العيشِ إلفُ فِناء قومٍ ، وَإِنْ آسوكَ ، والموتُ الرَّواحُ

---

١ عَيْلان : قبيلة . السّنون : أيام القحط .

٢ حَان : قرب ، أو هلك . القِدْح : سهم الميسر .

* لعلَّه أراد أنّ عيال الحي حينما شبعوا هلك ما أصابهم من الجزور الذي تياسروا عليه ، أي جزّأوه واقتسموه سهاماً ، ومُنح سهم آخر إلى ذوي الجيران .

١ ، ٢ خُلْق الرِّجَال : طبيعتهم .

* يقول : خلقني الله ولي عظام خفيفة ، مفاصلها كثيرة الحركة تحتها ، ولي قلب مبصر ، يراك فيخبرك عمَّا تنوي أن تفعل بالمستقبل .

١ ، ٣ الجَادي : طالب الجدوى ، المعروف . قَرِعَ : فرغ . المُرَاح : الموضع تبيت فيه الإبل والغنم . أَخْنَى عَلَيْك : ضَنّ واشتد . القَرَاح : العذب البارد . الرّواح : من راح القوم وإليهم وعندهم ، ذهب إليهم .

* يقول : إذا كثر مالك فوزّعه على طالبي المعروف ، وإن فرغ المراح من الماشية ، وإذا قلّ مالك ، فلا تُذلّ نفسك لأحد ، واكتَفِ بشيء من نبات الأرض ، وجرعة من الماء البارد . ذلك أن من نَكَد العَيْش ، أن تعيش على موائد النَّاس ، وإن آسوك وعزّوك ، وَرَواحُك لتأكل من زادهم هو المَوْت الزّؤام .

حِوَارٌ

روي عن الاصمعي أنه قال : قال قيس بن زهير لعروة بن الورد :

١ أَذَنْبٌ عَلَيْنَا شَتْمُ عروةَ خَـالَه ... بِغُرَّةِ أَحْسَاء وَيَوْماً بِبَدْبَـدِ

٢ رَأَيْتُـك أَلاّفاً بُيُـوتَ مَعَاشِرٍ ... تَزَال يدٌ في فَضْلِ قَعْبٍ وَمَرْفِدِ

وقال عروة بن الورد:

الْوَاحِدُ وَالْكُثْرُ

١ إِنِّي امْرُؤٌ عَافي إِنائيَ شِرْكـةٌ ، ... وَأَنْتَ امرُؤٌ عَافي إِنائِكَ وَاحِدُ

٢ أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنتَ ، وَأَنْ تَرَى ... بِوَجْهِي شحُوبَ الحَقِّ ، والحَقُّ جَاهِدُ

٣ أُقَسِّمُ جِسمي في جسُوم كَثِيرَةٍ ، ... وَأَحْسُو قَراحَ الماءِ ، وَالماءُ بَارِدُ

---

١ غُرَة أَحْسَاء وبَدْبَد : مكانان .

٢ أَلاَّفاً : من الإلف . المِرْفِد : القدح العظيم .

• يقول : ألفت بيوت أقوام ، فَيَدك أبداً تأكل ما عندهم .

١ عَافي إِنَائيَ شِرْكَة : أي يأتيني من يُشْركني فيه .

• يقول : أملأ إنائي لَبَناً ، حتَّى يفيض ويكثر ، فإن طرقني إنسان وجد ذلك مُهيَّاً له ، وكان شريكاً فيه ، قلّ أوكثُر عندي ، وأنت امرؤ عافي إنائك واحد ، أي تستأثر به لنفسك وحدك دون أضيافك فتشبع ، وهم يجوعون ، وأنا أهزل ، وأضيافي يسمنون .

٢ الحَقُّ جَاهد : أي يجهد النَّاس ، ويريد بالحق صلة الرَّحم ، وإعطاء السَّائل ، وذوي القربى فمن فعل ذلك أجهد .

٣ أقسّم جسمي : جسمه ههنا أي قوت جسمه ، طعامه . أحْسُو قَراحَ المَاء : الَّذي لا يخالطه لبن ولا غيره . والمَاء بَارد : أي في الشّتاء فذاك أشدّ .

• يقول : أقسّم ما لديّ في محاويج قومي ومن يلزمني حقّه والضيفان . أي يقسم طعامه بينه وبين أصدقائه والمحتاجين والأضياف .

الشعراء الفرسان

المهلهل (٠٠٠ ـ ٩٢ ق ه)
امرؤ القيس (١٣٠ ـ ٨٠ ق ه)
السموأل (٠٠٠ ـ ٦٥ ق ه)
المرقش الأصغر (٠٠٠ ـ ٥٠ ق ه)
الحرث بن حلزة (٠٠٠ ـ ٥٠ ق ه)
الأفوه الأودى (٠٠٠ ـ ٥٠ ق ه)
قيس بن الخطيم (٠٠٠ ـ ٤٦ ق ه)
عمرو بن كلثوم (٠٠٠ ـ ٤٠ ق ه)
بشر بن أبي خازم (٠٠٠ ـ ٣٢ ق ه)
سلامة بن جندل (٠٠٠ ـ ٢٣ ق ه)
حاتم الطائي (٠٠٠ ـ ١٥ ق ه)
عنترة بن شداد (٠٠٠ ـ ٢٢ ق ه)
عامر بن الطفيل (٠٠٠ ـ ١١ ق ه)
دريد بن الصمة (٠٠٠ ـ ٠٠٠)
المتنخل الهذلي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)
عبدالله بن سلمة الغامدي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)
أبو كبير الهذلي (٠٠٠ ـ ١٠ ق ه)
الحصين بن الحمام (٠٠٠ ـ ٠٠٠)

المُهَلْهِل

المُهَلْهِل

أبو ليلى عديّ بن ربيعة ، خال امرىء القَيْس ، وُلد ونشأ في قبيلة تغلب . لُقِّب بالمُهَلْهِل لأنه أول من هَلْهَل الشّعر ، أي رقّق ألفاظه ، وأضفى عليها العذوبة والبساطة .

وكان المُهلهل قد درج على التَهتّك والمجون ، يعاقر الخمرة ، ويعاشر النّسوة ، حتى لقّبه أخوه كُلَيْب « زيرا » أي الّذي يُكْثر من زيارة النّساء . وهو ، وإن نشأ نشأة امرىء القيس في اللّهو ، لم ينصرف انصرافه إلى تسجيل تجاربه في شعر يُؤثر عنه في مطلع حياته . فلا ذكر لمجالس الغناء واللّهو ، ولا أثر للطّبيعة بذاتها كموضوع وصفيّ مستقلّ ، يعبّر عن إحساس الشاعر بحركاتها وَتَنَفّساتها ، بل إن الشعر لم يتفجّر في نفسه ، إلا تحت وطأة الألم والثأر ، اثر مقتل أخيه ، وبعد أن آل إليه مآلُ الانتقام من قاتليه ، يُمْعن فيه بالبكاء والعويل منادياً بالويل والثّبور ، زاجراً مُتَهدداً ، في أحيان كثيرة ، تهدأ ثورتُه ، ويكفّ عن غضبه ، فتنهمر من شعره دموع الذكرى والحزن الّذي ينشج نشيجاً سوداويا ، مُوحشاً .

كان للمهلهل شقيق يدعى كُلَيْب ، يكميه ويعضده ، ولا يحرج من أن يدعَه متفرّغاً للّهو ، إذ كان يقوم مقامه في الدفاع عن القبيلة . وبالإضافة إلى وثاق الأخوة الذي يؤلف بينهما ، كان المهلهل يكنّ لأخيه إعجاباً فائقاً ، ويجده خير مَنْ في القبيلة ، وأفضل من يتولّى الحرب والشورى ، ويقوم مقام البطولة والحكْمة والحكم . لهـذا أتت فجيعتُه به مُتَعَدّدة الجوانب ، تتعدى واقعه الخاص إلى واقع القبيلة كلها ، فكأن الطعنة التي أصابته أصابت كرامة القبيلة وكبرياءها ومقامها . وليس شعره الباكي المُنْتحب ، سوى وسيلة من وسائل الإثارة على أخذ الثأر . وهو إذ يُقيم لأخيه مناحة دائمة في شعره ، إنها يحاول أن يُبْقي الفجيعة به ، حيَّة ، نابضة ، يشعر بها سائر أفراد القبيلة ، كما يشعر بها هو نفسه .

ومعظم القصائد التي رثا بها أخاه ، ذات مطلع مأتميّ ، يصف فيها دموعه ، وعيونه المُتقَرّحة ، والذكرى التي تُثير لواعج قلبه ، مُحرّكاً الطبيعة بحركة نفسه ، مُثيراً فيها الشجون والأحزان ، يبدو ليلها وكأنه ليل سرمديّ ، وتظهر نجومها طالعة ، أبداً . أما الشاعر ذاته ، فقد تولاّه الأرق ، وكأنّ القذى قد غشي عينيه ، ومنعهما من أن تُطْبقا أجفانهما . وتتكرّر النداءات المتلهّفة لأخيه ، يبعثها عميقة ، حارة ، فلا يسمع لها مجيباً ، كأنه يُنادي في مكان قفر . ومن ثم يميل إلى تعداد مآثره ، ذاكراً له فضائل الكرم والشجاعة والحلم والبطولة والحكمة ، وما إلى ذلك ممّا كان يَدأبُ عليه ويُعْجب به الجاهليون ، ويتمثّلون به الرجل المتفوّق بينهم . ويعبر الشّاعر في لحظات من اليأس القاتل ، فيرى الدنيا بأسرها ، وقد غشيها السواد ، وانعدم فيها الخير والفرح ، وتساوى اللّيل والنهار ، وغدت كوْقر ثقيل.

وإنك إذا ما أنعمت النَّظر في موقف المهلهل من الحياة والموت ، وسائر القيم والفضائل والمعاني ، يخيَّل إليك أنه لبث في حيرة مُضْنية إزاءها ، تراه يثور ويتحدى ويَتَهَدّد ويتوعَّد ، إلا أن مرارة الموت تترسَّب في قاع نفسه ، فيشعر بالخذلان والانكسار ، وأنه يقف من ذلك كلّه أمام جدار المستحيل . لذلك ترى البكاء واليأس يجانبان الثورة والغضب في نفسه . وإيمانه بالعزم والقوّة والثأر يتلازم مع الشعور بالضعف والقصور واللاجدوى ، ومن قاع تلك الحيرة المُدلهمَّة تصدر معانيه وتجاربه ، وكأنها شبح احتضار ، أو صياح قتال وثورة ، أو عويل إنسان مسيَّر في الحياة بقدر مشؤوم وراء غاية يوفي بها إلى درك التخاذل ، فيما هو يدرك ذروة القوّة والنِّقمة . فالمهلهل شاعر موقف ، إلا أنه موقف الموتور المتفجع الَّذي استحالت الحياة بالنسبة إليه إلى ركام من الدماء والأشلاء .

أما طبائع أسلوبه الفني ، فأهمّها خاصة التكرار ، يردد به القول في أبيات عديدة للتدليل على الالحاح والشدّة ، وهي خاصة من خصائص الأدب الشفهي . وقد طبع أيضاً على أسلوب السّرد والتقرير ، يعرض فيه للمعانى الّتي تحمل الغلوّ بطبيعتها ودلالتها الخاصة ، دون أن يَتَفَنَّق الشاعر لها بأساليب خاصة . فالبساطة والهلهلة ، لم تقتصرا على ألفاظه وحسب ، بل ظهرتا أيضاً في أسلوبه الشّعري . فهو يعبّر عن الأشياء كما فهمها ، أو كما شعر بها ، مباشرة ، في حدود العقل والحسّ . لا يوغل ، ولا يقدم أو يؤخّر ولا يَسْتَنْبط ، لأن غايته ليست فنيَّة ، بل تكاد تقتصر على غاية انفعالية شديدة الوطأة لا تَتَّئد للأساليب الدقيقة الّتي تقتضي ثقافة ودربة . وإذا كان التشبيه الوسيلة التعبيرية الأولى عند الجاهليين ، به يمثّل الأشياء ويُظْهر إطارها ، ويمنحها الغلوّ الذي قد يدرك ، أحياناً ، المستحيل ، فان المهلهل قلَّما يشبّه ، وإذا عمد إلى هذه الوسيلة ، فان التشبيه يرد في شعره كفلذة عابرة لا تقوم عليها فضيلة الأيحاء والغلوّ . وقد ألمّ سائر الجاهليين بالتجسيد الحسّي ، أي بتمثيل الأفكار عبر صور حسيَّة مادية ، تؤديها في إطار من الواقعيَّة الّتي يتعاظم تأثيرها في النفس البدائية ، إلا أن المهلهل قلَّما ألفَ هذا الأسلوب ، وربما خطر به في بعض المطالع وبعض الأبيات القليلة المتكرّرة إذ ليس في شعره هذا التقابل العميق الحيّ بين عالم النفس والطبيعة .

وهو لا ينقل مما يعانيه في الداخل إلى ما يُبْصره أو يَقَعُ تحت حواسه في الخارج . فشعره هو شعر الفجيعة العمياء الّتي تضجّ وَتُعْول ، مانعة الشاعر من التأمل الدائم ، لتبدو له الأفكار والعواطف في مفهوم جديد ، تستمده من ذاتها ، ومن علاقتها بالأشياء الأخرى ، كما نعهد في شعر النابغة ، وطرفة ، وزهير ، فضلا عن امرىء القيس .

ومهما يكن ، فإن شعر المهلهل هو الشعر الّذي لا يعوزه الصّدق وشدة المعاناة ، بقدر ما يعوزه التثقيف والتصحيح والتمهّل ، والأسلوب الداخلي الذي تتكاثف فيه الرموز والحالات النفسية وتتوالد منه الاستعارات والصور لتَنْأى بالمعنى إلى أقصى من بعده الظّاهر .

زَفْرَةٌ

يَظْهر في هذه القصيدة المطلع الرّثائي والإنعطاف إلى تعداد فضائل الميت ، كالحزم والعزم وإكرام الضّيف ، والشّجاعة في الحرب ، مع إفاضة بوصف الخيل الّتي يقودها في القتال والأسلحة وما إليها . ونكاد لا نقع فيها على تشبيه أوصورة مُكَثَّفة ، وقلّما نستشفُ ، عبرها ، تَقَصّياً في المعنى والأداء ، بالرّغم من اعتماده بعض الأحداث الحربيَّة الواقعيَّة ، يغشى بها المعاني ، ويكسوها بالمظاهر الحسيَّة . وهي تتّصف ، عامَّة ، بالمعنى التقريري المباشر الّذي يغلب على شعر المهلهل ، والإنفعال الحماسي المفجوع الفاقد الرؤيا ، الذي يتمثَّل بمعان تُكَرَّرُ في معظم قصائده ، وقصائد الرّثاء والفخر ، عند الجاهليين .

١ كُلَيْبُ ، لا خيرَ في الدُّنْيَا ، وَمَنْ فِيهَا ، … إنْ أَنْتَ خَلَّيْتَهَا في مَنْ يُخَلِيهَا !

٢ كُلَيْبُ ، أيُّ فَتى عِزٍّ وَمَكْـرُمَـةٍ … تَحْتَ الصَّفَاةِ الّتي يَعْلُوكَ سَافِيهَا !

٣ نَعَى النُّعَاةُ كُلَيْباً لي ، فَقُلْتُ لَهُمْ : … مَالَتْ بِنَا الأَرْضُ أَوزَالَتْ رَوَاسِيَها !

٤ لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعتْ ، … وَحَالَتِ الأَرْضُ فَانْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا !

---

١ • يخاطب أخاه (كليبا) ويقول : إنه لم يَعُدْ ، ثمَّة ، خير في هذه الدنيا بعد موته ، ولن يُرْجى الخير من أحد ، بعد مفارقته لهم .

٢ الصَّفَاة : الصّخرة . السَّافي : التراب الذي تسفيه الريح ، أي تثيره .

• يا لك من فتى عزّ ، كريم الأصل ، تُواري جسَدَك الصّفاة ، ويعلوك ما تَسْفيه الرّياح من التراب . وهو إنما يعجب بذلك أن تَحولَ فضائلُه وتزول معه في القبر .

٣ مَادتْ : مالت . رَوَاسيها : جبالها .

• عندما نعاك لي النّعاة ، ذهلْتُ ، وقلت : هل مالت بنا الأرض ، أم انهارت جبالها ؟ والمهلهل يصف بذلك هول المصاب الذي ألمّ به وعظم تأثيره في نفسه بحيث خيل إليه أن موته زَلْزَل الأرض وجبالها .

٤ انْجَابتْ : انشقّت وتمزّقت .

• ليت السماء هوت على من تحتها ، وانشقّت الأرض ، واندثرت بسكانها . أي أنه كان يُؤثر أخاه على الأرض وسكانها والسماء ، ويتمنّى أن يعمّ الخراب العالم ، إثر موت أخيه .

٥ أَضْحَتْ مَنَازِلُ بِالسُّلَّانِ قَدْ دَرَسَتْ تَبْكي كُلَيْباً ، وَلَمْ تَفْزَعْ أَقَاصِيهَا.

٦ الحَزْمُ والعَزْمُ كَانَا مِنْ طَبَائِعِهِ ؛ مَا كُلُّ آلائهِ ، يا قومُ ، أُحْصِيهَا.

٧ النَّاحِرُ الكُوْمَ مَا يَنْفَكُّ يُطْعِمُهَا وَالوَاهِبُ المَائَةَ الحَمْرا بِرَاعِيهَا ؛

٨ القَائِدُ الخَيْلَ تَرْدِي في أَعِنَّتِها رَهْواً ، إِذَا الخَيْلُ بُحَّتْ في تَعَادِيها ،

٩ مِنْ خَيْلِ تَغْلِبَ ، مَا تُلْقي أَسِنَّتَها إلاَّ وَقَدْ خَضَّبَتْهَا مِنْ أَعَادِيها.

١٠ قَدْ كَانَ يُصْبِحُهَا شَعْوَاءَ مُشْعَلَةً تَحْتَ العَجَاجَةِ ، مَعْقُوداً نَوَاصِيها

١١ تَكُونُ أَوَّلَهَا في حِينِ كَرَّتِها وَأَنْتَ بِالكَرِّ ، يَوْمَ الكَرِّ ، حَامِيهَا ،

---

٥ السّلاّن : من منازل تغلب ، حصلت فيه الوقعة الشهيرة .

● يقول : إن المنازل التي يُقيم فيها التغلبيّون ، جعلت تبكيه دون أن يهرع أهلها إلى الثأر من واتريه .

٦ آلاؤه : فضائله ومزاياه .

● كان حازم الرأي ، صادق العزيمة ، أمَّا فضائله ومزاياه ، فلا تُعَدّ ولا تُحصى ، أي أن ما كان يتحلَّى به أخوه يفوق الوصف .

٧ الكُوم : جمع أكوام وكوماء ، البعير الضخم السنام .

● يصف الكرم الَّذي كان يتحلَّى به أخوه ، ويقول : إنه كان يتعهَّد الناقة حتى تسمن ، ويذبحَها للضّيوف ، كما أنه كان يهب النّياق الكثيرة مع الرّاعي الَّذي يتولى أمرها .

٨ ● يشير هنا إلى شجاعة أخيه وقوّته ، ويقول : إنَّه كان يقود الخيل في المقدمة ، تسير سيراً حثيثاً ، عندما ترى الخيل ، وقد أنهكها الجري ، أي أنه كان يتقدم فيما كان يتخلَّف الآخرون .

٩ ● وهي من خيل تغلب ، لا تعود من ساحة القتال ، إلا وقد خضّبتها دماء الأعداء . ولقد نسب الخيل إلى تغلب لأن تلك النسبة تضْفي عليها معنى الشجاعة والقوّة .

١٠ غَارَة شَعْواء : لا تُبقي ولا تذرَ.

● قد كان يصبحها غارة لاهبة ، لا تبقي ولا تذرّ.

١١ تكون : الضمير للمخاطب أي كليب .

● (يخاطب كليباً) ويقول : تكون أنت ، دائماً ، في مقدمة الكتيبة ، وأنت الخبير بأمور الكرّ ، يوم القتال ، وأنت الذي يحمي القوم من الأعداء .

١٢ حَتَّى تُكَسَّرَ شَزْراً في نُحُورِهِمِ زُرْقَ الأَسِنَّة ، إِذْ تُرْوَى صَوَادِيها .

١٣ أَمْسَتْ ، وَقَدْ أَوْحَشَتْ ، جُرْدٌ بِبَلْقَعَةٍ لِلْوَحْشِ مِنْهَا مَقِيلٌ في مَرَاعِيهَا ،

١٤ يَنْفُرْنَ عَنْ أُمِّ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِهَا ، والحَرْبُ يَفْتَرِسُ الأَقْرَانَ صَالِيهَا .

١٥ يُهَزْهِزُونَ مِنَ الخَطِّيِّ مُدْمَجَةً ، صُمّاً أَنَابِيبُهَا ، شُهْباً عَوَالِيهَا ،

١٦ نَرْمِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا ، فَنُورِدُهَا بِيضاً ، وَنُصْدِرُهَا حُمراً أَعَالِيهَا .

١٧ يَا رُبَّ يَوْمٍ ، يَكُونُ النَّاسُ في رَهَجٍ ، بِهِ تَرَاني عَلَى نَفْسِي مُكَاوِيهَا ،

١٨ مُسْتَقْدِماً غُصَصاً لِلْحَرْبِ ، مُقْتَحِماً نَاراً أُهيِّجُهَا حِيناً وَأُطْفِيهَا .

١٩ لا أَصْلَحَ اللهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لاحَتِ الشَّمْسُ في أَعْلَى مَجَارِيهَا !

---

١٢ صواديهَا : عطَاشَها .

• يستكمل معنى البيت السابق ، ويقول : إنَّك لا تكفّ عن القتال حتى تتكسَّر الرماح في نحور الأعداء وتَروي عطشها من دمائها .

١٣ البَلْقَعَة : سواد وبياض كالبلق . الوَحْش مُقيل في مَرَاعيهَا : يأكل من أشلاء القتلى .

• وقد أمست ساحة القتال موحشة ، وأشلاء القتلى تَلْتهمُها الوحوش .

١٤ • يستكمل وصف الوحوش ، ويذكر أنها تُرَوَّع من عظم هامة الأبطال ، ثم يردف بالقول إن مستثير الحرب ، لا بدّ له من أن يصرع الذين يتصدون له في ساحتها .

١٥ • يعني أنَّهم كانوا يُشْهرون السّيوف الحادة ، ذات الرّؤوس البرّاقة التي تشبه الشّهب ببرقها ، والَّتي تُصمّ الآذان عند احتكاكها بالسّيوف الأخرى عند القتال .

١٦ • نضرب بالرّماح رؤوس الأعداء وخُوَذهم ، ولا نعود إلاّ ورماحُنا تقطر دماً من الضّرْب والطّعْن .

١٧ الرّهَج : غبار الحرب ، حينما يرتفع فوق رؤوس المقاتلين .

• يقول : إنَّه يوم يشتدّ القتال ، ويرتفع الغُبار من قوة التَّلاحم سيكون هو على أتمّ الاستعداد لهذا اليوم .

١٨ غُصَص : جمع غَصّة ، الشَّجا أو ما اعترض الحلْق فغصّ .

• سأجعل المعركة حامية الوطيس ، وسأصلي الأعداء ناراً حامية أثيرها تارة ، وأخمدها أخرى .

١٩ • يقصد أنَّه لن يكون هناك صلح بين تغلب وبكر ، ما دامت الشّمس تنير الكائنات .

قال المُهَلْهِل هذه الأبيات ، يذكر سهاده بذي حُسُم ، بعد أن أخذ بثأره لمَقْتل أخيه كُلَيْب ، مُفْتخرا بشجاعته ، وما كان بينه وبين أعدائه ، خاصاً بالذكر مقتل الشَّعْثَمَيْن ، وبجير بن الحرث ، وهمَّام بن مرّة بَوارَات ، وهم من سادات بني بكر .

وقد أفرط في المبالغة في وصف المعركة ، حتَّى أنه جعل صليل السّيوف يُسْمع باليمامة ، لولا الرّيح ، وقد كانت حربهم بالجزيرة ، وبين الموضعين عشرة أيام .

ويقول أبو العبَّاس الأحول : أن هذا أول كذب سُمع في الشّعر .

ويختم أبياتَه مُتَحسّراً على أن هذه الحروب لم تكن ، لولا مقتل كُلَيْب ، مُشيراً إلى أن بني بكر ، كانوا أبناء عم بني تغلب :

١ أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُسُمٍ ، أَنِيـرِي ! إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ ، فَلاَ تَحُورِي

٢ فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي ، فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ القَصِيـرِ !

٣ وَأَنْقَذَنِي بَيَاضُ الصُّبْحِ منهَـا ، لَقَدْ أُنْقِذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِيـرِ

---

١ ذُوحُسُم : واد في نجد . لا تَحُوري : لا ترجعي .

• أيا ليلة قضَيْتُها بذي حُسُم ، أسفري عن صبحك ، ولا تعودي ثانية .

٢ الذنَائب : إسم الموضع الَّذي قُتلَ فيه كُلَيْب .

• إن يكن بالذنائب طال سهادي ، فاني أبكي على ليالي الأُنْس لأنّها قصيرة .

٣ • إنْبلاج الصّبح ، أنقذني من هذه اللَّيلة العسيرة . والمعنى تقرّيري ، قريب المتناول . ركد فيه الشعور الخالق ، وتَحوّلَ إلى فكرة ذهنيَّة تُعْرَض عَرْضاً دون تَوَتُّرٍ ، ودون قُدْرة على تقمّص المظاهر الطبيعيَّة الَّتي تمنحُها إطاراً حسّيّاً .

٤ كَأَنَّ كَوَاكِبَ الجَوْزَاءِ عَـوْدٌ، مُعَطَّفَةٌ عَلَى رُبَعٍ كَسِيـــرِ

٥ كَـأَنَّ الفَرْقَـدَيْنِ يَـدَا بَغِيـضٍ، أَلَحَّ عَلَى إِفَاضَتِهِ، قَمِيرِ

٦ أَرِقْتُ وَصَاحِبِي، بِجَنُوبِ شِعْبٍ لِبَرْقٍ، في تِهَامَةَ، مُسْتَطِيرِ

٧ وَلَوْ نُبِشَ المَقَابِرُ عَنْ كُلَيْـبٍ، فَيَعْلَمَ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيـرِ!

٨ وَيَوْمَ الشَّعْثَمَيْنِ، لَقَرَّ عَيْناً. وَكَيْفَ لِقَاءُ مَنْ تَحْتَ القُبُـورِ؟

٩ عَلَى أَنِّي تَرَكْتُ، بِوَارِدَاتٍ، بُجَيْراً في دَمٍ مِثْلِ العَبِيـرِ،

١٠ هَتَكْتُ بِهِ بُيُوتَ بَنِي عُبَـادٍ، وَبَعْضُ القَتْلِ أَشْفَـى للصُّدُورِ!

---

٤ عَوْد : طريق . رُبَع كَسير : ديار خالية .

* يصوّر الكواكب ، وكأنّها طريق تحيط بأرض خالية . وفي هذه الصّورة سما الشّاعر عن التقرير ونزع منزعاً خياليّاً بتأثير حزنه ، فبدت له السّماء كأنّها فلاة موحشة . وهذه الصورة نادرة في شعر المهلهل .

٥ القَمير : المقامر. الفَرْقَدان : نجمان قريبان من القُطب الشمالي ، يُهْتدى بهما .

* يشبّه الفرقدين بيدي شخص خالي الوفاض ، بسبب القمار .

٦ * جفاني النَّوم وصاحبي ، بجنوب شعْب ، وبتّ على سهاد طَوال اللَّيل ، أذكر فداحةَ المصاب بأخي كُلَيْب .

٧ فيعلم : وفي رواية : فيخبر ، وفي رواية ثالثة ، لأخبر . وكلها جواب « لو » الشرطيَّة . أي زير : مبتدأ محذوف الخبر وتقديره : « أي زير أنا » . يلمح إلى لقب « الزير » الَّذي لَقَّبه به كُلَيْب .

٨ الشَّعْثَمان : رجلان هما شَعْثم وعبد شمس ، ابنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة ، قُتلا في يوم وَاردات ، فنُسب إليهما .

* أي ولو نبش قبر كليب ، يوم ذاك ، لقرّ كليبَ عَيْناً بانتصار قومه على الأعداء .

٩ بُجَير : هو ابن الحرث بن عباد . واردات : موضع .

* وقد تركت بُجَيْراً بواردات ، مضرّجاً بالدم .

١٠ * يذكر فتكه ببني عباد ، وارواء غلّه من دمائهم .

١١ وَهَمَّامَ بنَ مُـرَّةَ قَـدْ تَرَكْنَـا عَلَيْهِ القُشْعُمَـانِ مِنَ النُّسُورِ
١٢ يَنُوءُ بِصَدْرِه ، والرُّمْحُ فِيـهِ ، ويَخْلِجُـهُ خِـدَبٌّ كَـالْبَعِيرِ
١٣ قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ المَـرْءِ عَمْـرٍو ، وَجَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ ذُو ضَرِيـرِ
١٤ عَلَى أَن لَيْسَ عَدْلاً من كُلَيْـبٍ ، إذا خَافَ المُغَارُ مِنَ المُغِيرِ
١٥ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إذا طُرِدَ اليَتِيمُ عن الجَزُورِ
١٦ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا مَا ضِيمَ جارُ المُسْتَجِيرِ
١٧ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا ضَاقَتْ رَحِيباتُ الصُدُورِ
١٨ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا خَافَ المَخُوفُ من الثُّغُورِ
١٩ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا طَالَتْ مُقَاسَاةُ الأُمُـورِ
٢٠ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا هَبَّتْ رِيَـاحُ الزَّمْهَرِيـرِ

---

١١ همَّام : أخو جسَّاس . القُشْعُمان ، والقَشْعَمَان ، والقِشْعَام : النسر الذكر العظيم .
* وهمام بن مرّة تركناه أشلاء ، تنقض عليه النّسور الهرمة .
١٢ الخدبّ : الضّخم . يَنُوءُ : ينهض . يَخْلِجُه : يجذبه وينزعه .
* يقول : إنه يحاول النّهوض ، والرّمح في صدره ، يشلّه عن الحركة .
١٣ ذُو ضَرير : يقال عن الرجل : إنه ضرير ، وذو ضرير على الشيء ، إذا كان ذا صبر عليه ومقاساة له .
١٤ العَدْل : المثل والنظير .
* أي إن الذين قتلوا ليسوا من مقام كليب . قال أبو هلال العسكري : إن المهلهل ، يكرر هذا الشطر في أكثر من عشرين بيتاً .
١٥ - ٢٣ * في هذه الأبيات يعدد مآثر أخيه ، ذاكراً عطفه على اليتم وحفاظه على الجار ، واعتصامه بالحلم والشَّجاعة والصّبر ، وشدته على البرد ، ونجدته عند قيام الفتن . وتشيع عبر هذه الأبيات أجواء النّواح والنّدب ، تَصيح به النّساء ، وتكرر بإيقاع فاجع مثير . وقد غلبت السّهولة على عبارته ومعانيه ، إذ عرض فيها للفضائل الشّائعة في عصره .

٢١ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا وَثَبَ المُثَارُ عَلَى المُثِيرِ
٢٢ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا بَرَزَتْ مُخَبَّـأَةُ الخُـــدُورِ
٢٣ عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلاً مِنْ كُلَيْـبٍ ، إِذَا هَتَفَ المُثَوِّبُ بِالْعَشِيـرِ
٢٤ تُسَائِلُنِي أُمَيْمَةُ عَنْ أَبِيهَـا ، وَمَا تَدْرِي أُمَيْمَةُ عَنْ ضَمِيرِ!
٢٥ فَلاَ ، وَأَبِي أُمَيْمَـةَ ، مَا أَبُوها مِنَ النَّعَمِ المُؤَثَّلِ والجَزُورِ،
٢٦ وَلٰـكِنَّا طَعَنَّا القَوْمَ طَعْناً عَلَى الأَثْبَـاجِ مِنْهُـمْ والنُّحُورِ
٢٧ نَكُبُّ القَوْمَ للأَذْقَـانِ صَرْعَى وَنَأْخُذُ بِالتَّرَائِبِ وَالـصُّـدُورِ
٢٨ فِدًى لِبَنِي شَقِيقَةَ حِينَ جَـاؤوا كَأُسْدِ الغَابِ تَجْلُبُ بِالزَّئِيـرِ،
٢٩ كَـأَنَّ رِمَـاحَهُـمْ أَشْطَـانُ بِئْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْهَا ، جَرُورِ
٣٠ غَدَاةَ كَأَنَّنَا ، وَبَنِي أَبِينَـا ، بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ ، رَحَيَا مُـدِيرِ

---

٢٤ أُمَيْمَة : إبنة كُلَيْب .

٢٥ النَّعَم : الإبل . المُؤَثَّل من المال : الكثير .

• أي أن كُلَيْباً ، ليس كالإبل الّتي تُذبَح فيذهب دمها هدراً ، لعلَّه يقول : إن أخاه لا تؤدَّى ديته إبلاً ومالاً .

٢٦ الأَثْبَاج : جمع ثَبَج : ما بين الكَاهل إلى الظَّهر .

• وقد طعنَّا الأعداء طعنات قاتلة في ظهورهم وفي النَّحور .

٢٧ التَّرَائب : جمع تَرِيبة : ما ولي التَّرْقُوَتَيْن من عظام الصَّدر . نَكُبّ القوم : نقلبهم .

• يعني أَنَّهم كانوا يَقْلبون الأعداء على وجوههم وهم صَرعى ، ويعملون بهم طعناً وتقتيلاً للتَّشفِّي .

٢٨ • يذكر بأس بني شقيقة حين جاؤوا للحرب يصيحون ويزأرون .

٢٩ جَالَيْهَا : مثنى جال ، والجال : ناحية البئر . أَشْطان : جمع شَطَن : حبل ، وقيل : حبل طويل .

• يقول : إنّ رماح بني شقيقة طويلة كحبال البئر العميقة المياه .

٣٠ رَحَيَا مُدير : طاحونتان تقابل الواحدة منهما الأخرى .

• يقول : غداةَ التقينا قُرْبَ عنيزة ، كان القتال سجالاً بَيْنَنَا ، وبَيْن بَني أبينا ، ومع أنّنا من أصل واحد ، فإننا نتقاتل ، وَيُفْني بعضُنا بعضاً .

٣١ كَأَنَّ الجَدْيَ ، جَدْيَ بناتِ نَعشٍ ، يَكُبُّ عَلَى اليَدَيْنِ ، بِمُسْتَدِيرِ
٣٢ وَتَحْبُو الشَّعْرَيَانِ إِلَى سُهَيْلٍ يَلُوحُ كَقِمَّةِ الجَبَلِ الكَبِيرِ
٣٣ فَلَوْلا الرِّيحُ ، أُسْمِعَ مِنْ بِحَجْرٍ صَلِيلَ البِيضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ
٣٤ وَكَانُوا قَوْمَنَا فَبَغَوْا عَلَيْنَا ، فَقَدْ لاقَاهُمُ لَفْحُ السَّعِيرِ
٣٥ تَظَلُّ الخَيْلُ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ ، كَأَنَّ الخَيْلَ تُرْحَضُ في غَدِيرِ

---

٣١ بَنَاتُ نَعْش : نجوم سبع في الأفق الشمالي . والجدي هو نجمة القطب التي تبدو ثابتة في الشمال .

٣٢ الشَّعْريان : الشِّعرى اليمانية والشِّعرى الشَّامية ، الأولى في الجوزاء ، والثَّانية في الذراع . ومن أساطير العرب أنّ سُهَيْلاً أقبل من ناحية اليَمَن ، وأقبلت الشّعريان من ناحية الشام ، حتى انتهى المَسير إلى المجرّة وهي نهر في الفلك ، فوقَفَ كُلّ من الفريقين على شاطىء المجرّة . وخطبهما سهيل ، فأجابتاه إلى الزواج ، وعبرت إليه اليمانية منهما ، فقيل لها الشّعرى العبور . أما الشَّامية فلم تقدر أن تعبر ، فوقفت تبكي حتى عجزت عن فتح عينيها ، من شدّة البكاء ، فقيل لها : الشّعرى الغُمَيْصَاء . وجرى ذلك لَقَباً لهما .

٣٣ حَجْر : قرية في اليمامة . الصّليل : الصّوت . البيض : الخُوذ . القَرْع : الضّرْب . الذكُور : السّيوف .

• هو يبالغ هنا فيقول : لولا الرّيح لسمع من في قرية حَجْر قرقعة المعركة ، وضربات السّيوف وهي تقرع خوذ المقاتلين .

٣٤ • يشير إلى أنّ بني بكر ، كانوا أبناء عمّ بني تغلب إلى أنْ قتلوا كُلَيْباً .

٣٥ تُرْحَض : تغسل . وفي رواية : تنضح بالعبير . عَاكِفَة : مقيمة .

• تظلّ الخيل مقيمة بين القتلى والجرحى من الأعداء ، ولكثرة الدماء الّتي نَزَفَتْ في المعركة ، كانت الخيل وكأنّها تغتسل في غدير .

بُكَاءٌ وَتَفَجُّعٌ

يستهل هذه القصيدة بالحديث عن ذكرى أخيه ، والبكاء عليه ، ويمثّل ذلك بصورة اللَّيل الَّذي لا يعقبه نهار ، ومراقبته لنجوم الجوزاء . ثم ينصرف إلى تعداد مآثرأخيه والتفجّع عليه والاستسقاء لقبره ، ويلبث مترجّحاً بين هذه المعاني ، يصف حيناً دموعه المنهمرة ، ويلمّ ، حيناً آخر ، بالفضائل الهاوية في قبر أخيه ، ويميل كذلك إلى نوع من التأمّل العابر بحتمية الموت الَّذي يستلب من الإنسان حياته المعارة ، ويعود ، من ثمة ، إلى ذكر هول الفاجعة التي ألَمَّت به في مصرع أخيه مصوراً ذلك باعشاء عينيه ، ومضيِّه الحثيث لزيارة قبره . وينهي القصيدة بعهود يقطعها على نفسه ، مُقْسِماً بألا يقرب امرأة أو يحسوَ خمرة ، وألاّ يخلع ثيابه وسيفه وترسه قبل أن ينال ثأره من واتريه بأخيه .

والقصيدة تحفل بالمعاني العامة التي يتداولها المهلهل في رثائه ، ينزع منها بعضاً إلى البعض الآخر ، وفقاً لما سنح له من خواطر ، مترجّحاً بين اليأس الذي يفصح عنه بالعويل والبكاء ، والثَّورة المتمثّلة في التهديد والوعيد والتروّع بفداحة الخطب الَّذي يوحي به من خلال الفضائل المثالية التي ينسبها لأخيه .

أما أسلوبه فلا يعدو الخصائص المتمثّلة في الأسلوب العام الَّذي تصدر عنه قصائد المهلهل ، حيث تكثر الألفاظ الانفعالية المباشرة ، الدانية المتناول ، الخالية من أيّ تقعّر أو معاظلة . وهو ينزع فيه من التساؤل إلى التعجّب ، وإلى السَّرد ، وفقاً لتموجات الانفعال في نفسه ، غامراً ذلك كلّه بنوع من الشَّجو العميق ، والغنائية القاتمة الموحشة التي تنثال انثيالاً من وجدانه ، دون تثقيف وتوقيع بخلاف ما دأب عليه النابغة وزهير والأعشى .

بُكَاءٌ وَتفَجُّعٌ

١ أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي الاذِّكَارُ، هُدُوءًا ، فَالدُّمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ

٢ وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلاً عَلَيْنَا ، كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ!

٣ وَبِتُّ أُرَاقِبُ الجَوْزَاءَ ، حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْحِدَارُ؛

٤ أُصَرِّفُ مُقْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَتِ البِلَادُ بِهِمْ ، فَغَارُوا

٥ وَأَبْكِي ، وَالنُّجُومُ مُطَلِّعَاتٌ كَأَنْ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي البِحَارُ،

٦ عَلَى مَنْ ، لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيّاً ، لَقَادَ الخَيْلَ يَحْجُبُهَا الغُبَارُ!

أهاجَ : المعروف في كتب اللّغة ، هاج الشّيء : ثار وتحرك ، وهاج الرّجل الشّيء : أثاره . القَذَاء : ممدود القذى : ما يقع في العين ويؤلمها . الهُدُوء والهَدْأ : الهزيع من الليل ، يهدأ فيه النَّاس أي ينامون .

• أثارت قذاء عيني ذكرى أخي في هدأة من اللّيل ، فانهمرت الدموع من مآقي لوعة وحسرة .

٢ • إن همومه وأحزانه أطالت عليه ليله ، حتى كأنه لا نهار يعقبه .

٣ الجَوْزَاء : من نجوم السّماء ، وانحدارها لا يكون إلا في أواخر اللّيل .

• وسهرت طوال اللّيل ، أراقب الجوزاء ، حتّى انحدرت قبل انبلاج الصّباح . وهو إنما يشير بذلك إلى أرقه بحيث استحال عليه النّوم ، فلم يَرَ سبيلاً إلا مراقبةَ النّجوم حتى غيابها . ولقد أمعن الشّعراء في الرّبط بين الهموم في النفس واللّيل في الطبيعة . فالمعنى مستَنْفد ، مطروق .

٤ غَاروا : غربوا عن العين ، اختفوا . تَبَايَنَتْ : اختلفت .

• أذرف دمعي في أثر قوم ، تباعدت البلاد بهم ، فغربوا عن العين ، وغابوا . وهو يشير بذلك إلى أخيه الّذي غيَّبه عنه الموت ، فهو لا يفتأ يبحث عنه ، دون جدوى .

٥ البحَار : كانوا قديماً يظنون أن بين السماء والأرض بحراً .

• وأبكي والنجوم باديات ، كأن لم يحجبها عني البحر ، (الّذي بين الأرض والسماء ، كما كان اعتقادهم) . وذلك إشارة إلى تعذر النّوم عليه ، وشدة عذابه ، بحيث بات يذرف دمعه .

٦ • أبكي حزناً على فقد أخي كليب الّذي لو متّ من دونه ، ولبث حيّاً ، لثأر لقَتلي ، وأثار المعارك الدامية في سبيلي .

٧ دَعَوْتُكَ ، يَا كُلَيْبُ ، فَلَمْ تُجِبْنِي ، وَكَيْفَ يُجِيبُنِي البَلَـدُ القِفَـارُ؟

٨ أَجِبْنِي ، يَا كُلَيْبُ ، خَلاكَ ذَمٌّ ، ضَنِينَـاتُ النُّفُوسِ لَهَا مَـزَارُ

٩ أَجِبْنِي ، يَا كُلَيْبُ ، خَلاكَ ذَمٌّ ، لَقَدْ فُجِعَت بِفَارِسِها نِـزَارُ!

١٠ سَقَاكَ الغَيْثُ ، إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً وَيُسْراً ، حِينَ يُلْتَمَسُ اليَسَارُ

١١ أَبَتْ عَيْنَايَ ، بَعْدَكَ ، أَنْ تَكُفَّا كَأَنَّ غَضَا القَتَادِ لَهَا شِفَـارُ

١٢ وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُـمُ عَـنْ رِجَالٍ وَتَعْفُو عَنْهُـمُ ، وَلَكَ اقْتِدَارُ،

---

٧ * دعوتك يا كليب فلم تجبني ، وكيف يجيبني البلد المقفر . وهو إنَّما يظهر بذلك يأسه من لقائه ، ويخيَّل إليه أن العالم مقفر إثره .

٨ الضّنينَات : التي يُضنّ بها ، أي يبخل لقيمتها ونفاستها . لَهَا مَزَار : أي تجب زيارتها . خَلاكَ ذم : أي برئت مما تُذمّ عليه من قول أو فعل .

* أجبني يا كليب ، برئت عن كلّ ملامة ، إن النّفوس الأبية يجب أن تزار ، أي ينبغي أن يعزّز ذكرها .

٩ نزار : اسم جدهم الأعلى .

* أجبني يا كليب ، برئت ممَّا تُذمّ عليه ، إنّ قبيلة نزار ، قد فجعت بك وأنت فارسها المغوار . والشاعر يظهر في هذا البيت أنّ الفجيعة بموت أخيه تتعداه إلى القبيلة ، وهو الوجه القبلي في رثائه .

١٠ الغَيْث : المطر . ولفظة « الغيث » الثَّانية كناية عن الجود . اليَسَار : سعة العيش .

* يدعو لأخيه أن يسقَي المطرُ جدَثه ، لأنه كان كريماً ، جواداً حتَّى في أوقات الضنك والشّدة . واستسقاء الغيث لقبر الميت معنى مكرر في الرّثاء الجاهلي ، وهو مستفاد من واقع البيئة .

١١ الغَضَا : شجر صلب الخشب ، يبقى جمره زمناً طويلاً . وفي رواية : قذى . القَتَاد : شجر صلب طويل الشّوك . الشّفَار : أصول منبت شعر الأجفان .

* شبَّه أشفار عينيه بالقتاد ، لأنه لا يستطيع إطباقها حتَّى ينام . وهو يشير هنا إلى عذابه وسهده .

١٢ * وقد كنت حليماً مع رجال الأعداء ، والحلم عند المقدرة من أجمل صفات القادرين . والعرب يشترطون المقدرة مع العفو للحلم ، حتَّى يصدر صاحبه عن تسامح فعليّ ، حرّ .

١٣ وتَمْنَعُ أَنْ يَمَسَّهُمُ لِسَانٌ ، مَخَافَةَ مَنْ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ!

١٤ وَكُنْتُ أَعُدُّ قُرِبي مِنْكَ رِبْحاً ، إِذَا مَا عَدَّتِ الرِّبحَ التِجَارُ ،

١٥ فَلاَ تَبْعَدْ ، فَكُلٌّ سَوْفَ يَلْقَى شَعوباً يَسْتَدِيرُ بِهَا المَدَارُ

١٦ يَعِيشُ المَرْءُ عِنْدَ بَنِي أَبِيهِ ، ويُوشِكُ أَن يَصِيرَ بِحَيْثُ صاروا

١٧ أُرى طُولَ الحَيَاةِ ، وَقَدْ تولَّى ، كَمَا قَدْ يُسْلَبُ الشيءُ المُعَارُ!

١٨ كَأَنِّي ، إِذْ نَعَى النَّاعي كُلَيْباً ، تَطَايَرَ بَيْنَ جَنْبَيَّ الشَّرَارُ!

١٩ فَدُرْتُ ، وقَدْ عَشِي بَصَري عَلَيْهِ ، كَمَا دَارَتْ بِشَارِبِها العُقَارُ

---

١٣ * وكنت لا تدع أحداً يدنّس الأعداء ، مخافة القول : إنهم استجاروا بك ولم تُجرْهم .

١٤ * وكان دنوي منك يعود إليّ بالخير والنفع ، إذا ما اقتصرت في نظري إليك على الربح والخسارة .

١٥ لاَ تَبْعَدْ : دعاء يخاطب به الميت ، عند الجاهليين . الشَّعُوب : المنيَّة . مَدار الأمْر : ما يجري عليه .

* لا تبعد ، فكل امرىء سيلقى منيَّته ، حين يأتي أجله .

١٦ * يعيش المرء كما عاش أجداده ، وآجلاً سيلقى نفس المصير .

١٧ * يشبّه الحياة هنا كأنها إعارة لنا ، وسيأتي اليوم الَّذي تسترد به هذه الأمانة .

١٨ * يصف ما حلّ به إثر نعي أخيه ، ويقول : إنه شعر كأن الشَّرر يتطاير من بين جنبيه ، وذلك للتَّدليل على الغضب والعذاب والثورة .

١٩ العُقَار : الخمرة .

* يقول : إنّ الدوار أصابه عندما سمع نعي أخيه ، وأن بصره غشيه الظَّلام ، فلم يعد يبصر كأنه خمران ، فاقد الوعي .

٢٠ سأَلتُ الحَيَّ : « أَيْنَ دَفَنْتُمُـوهُ ؟ » فقالوا لي : « بِسَفْحِ الحيِّ دارُ ! »

٢١ فَسِرْتُ إِلَيْهِ مِنْ بَلَدِي ، حَثِيثاً وَطَارَ النَّومُ ، وامْتَنَعَ القَـرَارُ،

٢٢ وَحَادت نَاقَتِي عَن ظِلِّ قَبْـرٍ ثَوى فِيهِ المَكَارِمُ والفَخَـارُ!

٢٣ لَدَى أَوْطَانِ أَرْوَعَ لَمْ يَشِنْـهُ وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ في النَّاسِ عَارُ

٢٤ أَتَغْدُو يَا كُلَيْب مَعِي ، إِذَا مَا جَبَانُ القَوْمِ أَنْجَاهُ الفِـرَارُ؟

٢٥ أَتَغْدُو يَا كُلَيْب معي ، إِذَا مَا حُلُوقُ القَوْمِ يَشْحَذُها الشِفَارُ؟

٢٦ أَقُول لتغلِب ، والعِـزُّ فيها ، أَثِيرُوهَـا ! لِذَلِكُمُ انْتِصَـارُ

---

٢٠ سألت أهل الحي : أين دفنتم كليباً فقالوا : بسفح الجبل قبره .

* أي ان الشَّاعر أراد أن يزور قبر أخيه ، تلهّفاً عليه وحسرة لموته .

٢١ * يقول : إنه اتَّجه إلى قبر أخيه بسير عاجل حثيث لا ينام ، ولا يقرّ له قرار من دونه ، وذلك تمثيلاً لعظم المصاب .

٢٢ * يقول : إن النَّاقة جفلت عن القبر حيث ووري صاحب المكارم والفخار ، ولقد توسَّل المهلهل بناقته ليفصح من خلالها عن نفسه .

٢٣ الأَرْوَع : الشَّديد الذكاء والشَّجاعة .

* سرت إلى مثوى امرىء شُجاع ، لم تشبه شائبة ، عاش ومات شريفاً لم يلحقه عار .

٢٤ إذا ما ... أي في الحرب .

* أتكون معي يا كليب ، إذا ما جبان القوم ، قد فرّ من المعركة .

٢٥ الشِّفار : جمع شفرة ، السّكين والنصل .

* أتكون يا كليب معي يوم القتال ، إذا ما ذبحت رقاب الأعداء بحدّ السّيوف . والشَّاعر يحاول في هذين البيتين أن يشير إلى افتقاده لأخيه ، فيما يُلمّ بقومه من الرّوع والكريهة .

٢٦ أثيرُوها : الضَّمير عائد للحرب .

* أنادي بني تغلب للقتال ، وأثير فيهم الحميَّة ، بأن يجعلوها حرباً شعواء ، فهذا يوم انتصارنا .

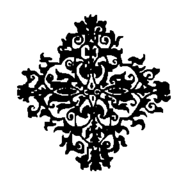
٢٧ تَتَابَعَ إخوتي وَمَضَوْا لأَمرٍ عَلَيْهِ تَتَابَعَ القَوْمُ الحِسَارُ

٢٨ خُذِ العَهْدَ الأَكِيدَ عَليَّ ، عُمْري ، بِتَرْكي كُلَّ مَا حَوَتِ الدِّيَارُ،

٢٩ وَهَجْري الغَانِياتِ ، وَشُرْبَ كأْسٍ ، وَلُبسي جُبَّةً لا تُستَعَارُ،

٣٠ ولَسْتُ بِخَالِعٍ دِرْعي وَسَيْفي إلى أَن يَخْلَعَ اللَّيْلَ النَّهارُ،

٣١ وإلا أَن تَبِيدَ سَراةُ بَكْرٍ، فَلا يَبْقى لَهَا أَبداً أَثَارُ.



---

٢٧ الحَاسر : من لا مغفرله، ولا درع ، ولا جنَّة .

* سبقني جميع إخوتي إلى الموت ، وها أنا الآن في انتظار ما سيكون . وفي هذا البيت يبدو الشَّاعر متّعظاً ، مُتَحسِّراً ، شاعراً بوطأة القدر عليه وعلى ذويه ، وحتمية الموت الَّذي لا مفرّ من لقائه .

٢٨ * يشرع المهلهل في هذا البيت بذكر العهود التي يقطعها على نفسه ، تحرّماً لذكرى أخيه وتعهَّداً بالثأر له ، ويقول : إنه سيتخلَّى عن كل أمر كان يطرب له ، حتى ينال ثأره من قاتلي أخيه .

٢٩ * سأهجر حياة اللّهو والغواني ، وشرب الخمر ، ولن أنزع عني جبَّتي ، حتى آخذ بالثأر لك .

٣٠ * ولن أخلع سيفي ، ولا درعي ، إلى أن تحين السَّاعة . وجميع الأمور الَّتي تعهد بها تشير إلى عزمه الدائم على القتال وقيامه على أهبة له . فهو لا يتحول عنه ، حتَّى وهو نائم إذ أنه يغفو وهو منتطق درعه وسيفه .

٣١ * يقول : إنه لن يتخلَّى عمَّا عزم عليه ، حتى يفتك ببني بكر ويجهز عليهم جميعاً .

الدَّاهِيَةُ

هذه القصيدة ، هي إحدى القصائد السَّبع المعروفة (بالمنتقيَات) ، والعرب تسمّيها الداهية .

وقد استهلّها بكلمات عابرة في ظلم بني بكر ، ثم خاطب جسَّاساً ، صاحب تلك الجناية المروّعة ، مُندداً به قائلاً بأنّه الجَاني على قومه في عمل طائش ، أدى إلى وقوع حرب البسوس ، ثم انتقل إلى وصف كليب بالشَّجاعة والسّيادة على قومه ، وحُسْن القيادة متحدثاً عن النَّصر المطلق الَّذي أحرزه في خزازَى حيث نصب سيّداً على معد .

ويعود إلى وصف المعركة ، فيشبّه الجُموع المُحتشدة من قبائل مذحج ، وَحِمْيَر وحمدان ، يوم أقْبَلَت على المعركة ، بجناح ليل مُظْلم في سماء ذات بروق .

ويختم أبيات القصيدة ، مهدداً قاتلي أخيه ، بحرب دامية ، لا هوادة فيها :

١	جارَتْ بَنُو بَكْرٍ ، ولَمْ يَعْدِلوا ؛	وَالْمرْءُ قَدْ يعْرِفُ قَصْدَ الطَّرِيقْ !
٢	حَلَّتْ رِكَابُ البغْيِ في وَائِلٍ ،	في رَهْطِ جسَّاسٍ ، ثِقَالَ الوُسُوقْ .
٣	يَا أَيُّهَا الجانِي عَلَى قَومِهِ	جِنايَةً ، لَيْسَ لَهَا بِالمُطِيقْ ،
٤	جِنَايَةً لَمْ يَدْرِ مَا كُنْهُهَا	جَانٍ ، وَلَمْ يُصبِحْ لَهَا بالخَلِيقْ

---

١ قَصْدَ الطَّريق : الطَّريق المستقيمة .

* جار بنو بكر علينا ، ولم ينصفونا ، والمرء قد يعرف طريق الصَّواب . أي أن المرء قد يفيد من تجاربه ومن تفكيره ، فيدرك أنه على ضلال وغواية .

٢ ثقَال الوُسُوق : أي ثقيلة الأحمال . جَسَّاس : قاتل كليب .ركَّابُ البَغْي : الَّذي يظلم ويستبد .

* حلّ الظّلم والاستبداد من قبل بعض من بني وائل ، أمثال جسَّاس .

٣ * يا من كنت الجاني على قومك ، بما فعلت من عمل لا طاقة لك على حمل عبثه .

٤ * يقول مخاطباً جسَّاس : إنَّك ارتكبت جناية لم يعرفها قطّ جان من قبل ، ولم يبلغ فداحتها أيّ من دونك .

٥ كَقَاذِفٍ يَوْمـــاً بِأَجْـــرَامِـهِ في هُوَّةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ طَرِيقْ ،

٦ مَنْ شَاءَ وَلَّى النَّفْسَ في مَهْمَـهٍ ضَنْكٍ ، وَلٰكِنْ مَنْ لَهُ بِالمَضِيق ،

٧ إِنَّ رُكُوبَ البَحْرِ ، مَا لَم يَكُنْ ذَا مَصْدَرٍ ، مِنْ تَهْلِكَاتِ الغَرِيقْ ،

٨ لَيْسَ امْرُؤٌ ، لَم يَعْدُ في بَغْيِـهِ عِدايَةً تَخْرِيقَ رِيحٍ خَرِيـقْ ؛

٩ كَمَنْ تَعَـــدَّى بَغْيُــهُ قَوْمَـــهُ ، طَارَ إِلى رَبِّ اللِـواءِ الخَفُـوقْ ،

١٠ إِلى رئِيسِ النَّاسِ ، والمُرْتَجى لِعُقْدَةِ الشَدِّ ، وَرَتْـقِ الفُتُـوقْ ،

١١ مَنْ عَرِفَت ، يَوم خُـزارى ، لَهُ عُليا مَعدٍّ ، عِنْدَ أَخْـذِ الحُقُوقْ.

---

٥ بأجْرَامه : بجسمه . هُوَّة : حفرة عميقة .

• يمثل جسَّاساً في جنايته بامرىء رمى نفسه في حفرة لا سبيل له إلى الخلاص منها ، أي أنَّه تردَّى فيها ولقي الهلاك .

٦ المَهْمَهُ : المَفَازَةُ البعيدة ، الفلاة . الضَّنْك : الضيِّق .

• يقول : إنّ جسَّاساً شبيه بامرىء تعرّض لمهمه ضنك ، لا يقوى على النفاذ منه . وهو إنما يصف بذلك عظم الخطب الَّذي ساق نفسه إليه .

٧ تهلكات : جمع تهلكة ، ما يدفع إلى الهلاك ، وفي رواية : مهلكات .

• إنّ ركوب البحر ليس بهين على المرء ، لأنه لا يخلو من خطر الغرق .

٨ ، ٩ الخَرِيق : كثيرة الاختراق ، وهو الهبوب بشدة .

• ليس المرء الَّذي لا يستثير العداوات في بغيه ، ويثور ثورة هوجاء كالرّيح ، شبيهاً بامرىء تعدى بغيه قومه ، وأدرك السّيد ، ربّ اللّواء . وفي ذلك إشارة إلى أخيه وعدله وبُعْده عن الغي ، وإلى قاتله وظلمه ورعونته وطيشه .

١٠ الفُتُوق : جمع الفتق ، الخرق في الثوب ، ورتق الفتوق كناية عن تلافي الشرّ وإصلاح الشّيء الفاسد . عُقْدة الشّدّ : الأمر العسير الحل .

• إلى سيّد القوم ، الَّذي يتلافى الشّر ، ويصلح ما فَسَد ، ويُحَلّ عنده كل أمْر عسير .

١١ خُزَازَى : جبل كانت عنده وقعة بين نزار واليمن ، انتصر فيها كليب ، فعرفت له السّيادة على معَدّ .

• يوم كان النصر حليفه ، في خُزَازَى حيث عاد الحق إلى نصابه ، ونصب كليب سيّداً على مَعدّ .

١٢ إذ أَقْبَلَت حِمْيَـرُ ، في جَمعها ، وَمَذْحِجٌ ، كَالعَـارِضِ المُسْتَحِيقْ ،

١٣ وَجَمْعُ همْدانَ ، لَهُ لَجبَةٌ ، وَرَايَةٌ تَهْوِي هُويَّ الأَنُـــوقْ ؛

١٤ تَلْمَعُ لَمْعَ الطَّيـرِ رَايَـاتُـــهُ عَلَى أَواذِي لُجٍّ بَحْرٍ عَمِيقْ

١٥ فـاحْتَـــلَّ أَوْزَارَهُـــمُ أَزْرُهُ بِرَأْيِ مَحْمُـودٍ عَلَيْهِـم شَفِيقْ

١٦ وَقَد عَلَتهُـمْ لِلِّقَا ، هَبْـوَةٌ ذَاتُ هِيَاجٍ ، كَلَهِيبِ الحرِيقْ

١٧ فَقَلَّـدَ الأَمـرَ بَنُـــو هَاجِـــرٍ مِنْهُمْ رئِيساً كَـالحُسَـامِ البَـرِيقْ

١٨ مُضْطَلِعاً بِالأَمْرِ ، يَسْمُـو لَهُ في يَوْمِ لَا يَنْسَاغُ حَلْـقٌ بِريقْ

١٩ ذَاكَ ، وقَدْ عَنَّ لَهُـمْ عَارِضٌ كَجُنْحِ لَيْلٍ في سَمَاءِ بَـرُوقْ

٢٠ فَانفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِـهِ مُسْفِـراً مُنْبَلِجـاً مِثْلَ انبِلاجِ الشُّـرُوقْ

---

١٢ ٭ يوم أقبلت قبيلة حمْيَر في جموعها ، ومعها قبيلة مذْحج كالسَّيْل العرم .

١٣ الأَنوق : العقاب أو ذكر الرَّخم . لَجَبَة : أصوات وجلبة .

٭ وجموع همدان يوم أقبلت بضجيجها وجلبتها ، ورايتها تخفقُ خَفْقَ الأنوق .

١٤ أَواذي : جمع آذي ، الموج .

٭ يشبّه رايات القبائل وأعلامها ، والحُشود الزّاحفة من المقاتلين بأمواج بحر عميق القرار . وفي هذا التشبيه بُعْدُ خيال ، وعمق انفعال .

١٥ الأَوْزَار : جمع وزر ، أي الأثقال .

٭ حَمَل أوزارهم على كاهله ، برأيه المحمود وحدبه عليهم .

١٦ هَبْوة : غُبَار .

٭ وقد علا الحُشود الزّاحفة للمعركة ، غبار أسْود كلهيب النَّار .

١٧ وفي رواية : كَالحُسَام العَتيق .

٭ وقد استلم زمام الأمر في بني هاجر رئيس حازم صنديد كالسيف .

١٨ يَوْم لاَ يَنْسَاغ حَلْق بريق : يوم ينشف فيه ريق المقاتلين من هول المعركة .

٭ يعني أنّ من سلمته بنو هاجر أمر قيادتها ، هو ضليع في القيادة ، خبير في الحروب ، يوم ينشف فيه ريق المقاتل من هول الموقعة .

١٩ ٭ يشبّه الجموع المحتشدة من المقاتلين ، بجناح ليل مظلم في سماء ذات برق ورعد .

٢١ فَذَاكَ لا يُوفِي بِهِ غَيْرُهُ ، وَلَيْسَ يُلْقَى مِثْلُهُ في فَرِيقْ

٢٢ قُلْ لِبَنِي ذُهْلٍ يَرُدُّونَهُ ، أَوْ يَصْبِرُوا للصَّيْلَمِ الخَنْفَقِيقْ

٢٣ فَقَدْ تَرَوَّوْا مِنْ دَمٍ مُحْرِمٍ ، وانْتَهَكُوا حُرْمَتَهُ من عُقُوقْ

٢٤ وَاسْتَشْعَرُوا مِنْ حَرْبِنَا مأْتَماً أَثَابَهُمْ نِيرَانَ حَرْبٍ عَقُوقْ

٢٥ لا يَرْقَأُ الدَّهْرَ لَهَا عَاتِكٌ إِلاَّ عَلَى أَنْفَاسِ نَجلا تَفُوقْ

٢٦ تُحمِّلُ الرَّاكِبَ مِنْهَا عَلَى سِيْسَاءِ جِذْبِيرٍ مِن الشَّرِّ نُوقْ

٢٧ إِنَّ امْرأً ضَرَّجتُمُ ثَوْبَهُ ، بِعَاتِكٍ مِنْ دَمِهِ كَالخُلُوقْ

٢٨ سَيِّدُ سَادَاتٍ ، إِذَا ضَمَّهُمْ مُعْظَمُ أَمْرٍ يَوْمَ بُؤْسٍ وضِيقْ

٢٩ لَمْ يَكُ كَالسَّيِّدِ في قَوْمِهِ ، بَلْ مَلِكٌ ، دِينَ لَهُ بالحُقُوقْ

---

٢١ * يعني أنَّ أخاه كليباً لا يحلّ أحَدٌ محلَّه ، ولا يوجد مثيله في أي فريق من المقاتلين .

٢٢ الصَّيْلَم : السَّيف . الخَنْفَقيق : الداهية .

* يخاطب بني ذهل ، ويتوعَّدهم أما أن يردوا له أخاه وهم قد قتلوه أو يعمل السَّيف برقابهم قطعاً وجزاً .

٢٣ تَرَوَّوا : شبعوا شرباً . المُحْرِم : صاحب الحرمة .

٢٤ * إنّ حربنا صلتهم بنار ، وأثابتهم بحرب منكرة ، وجعلتهم يذوقون طعم الموت .

٢٥ رَقَأَ الدّم : جف وانقطع . العَاتك : الدم . نَجلا : أصلها نجلاء أي واسعة ، صفة للطعنة المحذوفة . تَفُوق : تفور بالدم .

* لا ينقطع الدم طول الدهر ولا يجف ، من موضع ضربات رمحنا النَّجلاء الواسعة ، حيث يفور الدم بغزارة .

٢٦ السِّيْسَاء : منتظم فقار الظَّهر ، أعلى الكاهل . الجِذْبِير : المهزولة ، صفة للنَّاقة .

* إن هذه الحرب تحمّل الرّاكب على أسوأ مركب .

٢٧ العاتك : شديد الحمرة ، الخلوق : طيب جيد النوع .

* أي امرىء عظيم ، لطختم ثوبه بدمائه الصافية الذكيَّة .

٢٨ * هو سيد سادات القوم ، إذا احتاجوا الأمر عظيم ، وهو ملاذهم في يوم البؤس والضّيق .

٢٩ * لم يكن كالسَّيد في قومه ، بل كان ملكاً ، له عليهم دين وحقوق .

٣٠ تَنْفَرِجُ الظَّلْمـاءُ عَـنْ وَجْهِهِ كَاللَّيْلِ ، ولَّى عَنْ صَدِيعٍ أَنِيقْ
٣١ إِنْ نَحْنُ لَمْ نَثْأَر بِهِ ، فَاشْحَـذوا شِفَارَكُمْ ، مِنَّا ، لِحَزِّ الحُلُوقْ
٣٢ ذَبْحاً كَذَبْحِ الشَّاةِ لا تَتَّقِي ذَابِحَهَا ، إلاَّ بِشَخْبِ العُرُوقْ
٣٣ أَصْبَحَ مَا بَيْنَ بَنِيْ وَائِـلٍ ، مُنْقَطِعَ الحَبْلِ بَعِيدَ الصَّدِيقْ
٣٤ غَداً نُسَاقِي ، فَاعْلَمُوا ، بَيْنَنا ، رِمَاحَنَا مِنْ قَانِيءٍ كَالرَّحِيقْ
٣٥ بِكُلِّ مِغْـوَارِ الضُّحَـى ، فَاتِكٍ شَمَرْدَلٍ مِنْ فَوقِ طِرْفٍ عَتِيقْ
٣٦ سَعالِيَ يحْمِلْـنَ مِنْ تَغْلِـبٍ فِتْيَانَ صِدْقٍ ، كَلُيُـوثِ الطَّرِيقْ
٣٧ لَيْسَ أَخُوكُمْ تَارِكاً وِتْـرَهُ ، وَلَيْسَ عن تَطْلاَبِكُمْ بالمُفِيقْ

---

٣٠ الصّديع : الصّبح .
* تنجلي الظّلماء عن وجهه انجلاء اللّيل بالصّبح .
٣١ لحَزّ الحُلُوق : للذبح .
* إن نحن لم نثأر ، فاشحذوا شفاركم واذبحونا .
٣٢ شَخْب العُرُوق : ما تحدثه العروق من صوت عند الذبح .
* كشاة لا تستطيع اتقاء ذابحها ، إلاّ بصوت تحدثه عروقها عند الذبح .
٣٤ الرّحيق : الخمرة .
* غداً أي يوم المعركة اعلموا أنّ رماحنا لا تسقى إلاّ من دم أحمر قان .
٣٥ الشَّمَرْدل : الطَّويل . الطِّرْف : الفرس الكريم .
* سنذهب إلى القتال ، بأبطال مغاوير ، طويلي القامة ، شجعان ، تحملهم أفراس مطهّمة ، كريمة الأصل .
٣٦ السَّعَالي : جمع سعلاة : أنثى الغول ، شبّه بها الخيل .
* وخيل كالسّعالي ، يحملن شبّاناً مقاتلين من بني تغلب ، ذوي عزيمة ، وهم في القتال كالأسود .
٣٧ الوتْر : الثأر .
* ليس منا من يترك الثّأر ، وليس عن لقائنا معكم بدّ . أي لست تاركاً ثأري ولا نائماً عن طلبي فأفيق بعد النّوم .

بَاتَ لَيْلِي بِالْأَنْعَمِيْنَ طَوِيلاً

وقال يبكي أخاه كليباً ويتوجع عليه ، ويذكر شأنه مع بكر :

١ بَاتَ لَيْلِي بِالأَنْعَمَيْنِ طَـوِيلاً أَرْقُبُ النَّجْمَ ، سَاهِراً ، لَنْ يَزُولاَ

٢ كَيْفَ أُمدي ، ومَا يَزَالُ قَتِيلٌ مِنْ بَنِي وَائِلٍ ، يُنادي قَتِيلاَ

٣ أَزْجُرُ العيْنَ أَنْ تُبَكِّي الطُّلُـوَلا إنَّ في الصَّدْرِ مِنْ كُلَيْبٍ فَلِيلاَ

٤ إِنَّ فِي الصَّدْرِ ، حاجَةً لَنْ تُقَضَّى مَا دَعَا فِي الغُصُونِ . دَاعٍ هَدِيلاَ

٥ كَيْفَ أَنْساكَ ، يَا كُلَيْبُ ، وَلَمَّا أَقْضِ حُزْناً ، يَنُوبُنِي ، وغَلِيلا

٦ أَيُّهَا القَلْبُ أَنْجِزِ ، اليوْمَ ، نَحْباً مِن بنِي الحِصْنِ ، إِذْ غَدَوا ، وَذُحُولا

٧ كَيْفَ يَبْكِي الطُّلولَ ، منْ هُوَ رَهْنٌ بِطِعان الأَنَامِ جِيـلاً فَجِيـلا

٨ إِنْتَضوا مُعْجِسَ القِسِيِّ وَأَبْـرَقْنَـا كَمَا تُوعِدُ الفُحُولُ الفُحُولا

٩ وَصَبَرْنَا تحْتَ البَوارِقِ ، حَتَّى دكدكَتْ فِيهِمُ السُّيُوفُ طَوِيـلا

١٠ لَمْ يَطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُـوا وَنَـزَلْنَـا وَأَخُو الحرْبِ مَنْ أَطَاقَ النُّـزُولا

---

١ قضيتُ ليلي بالأنعمين ، أراقب النَّجم ساهماً ، محزُوناً ، وقد خُيِّل إليّ أنّه لن يزول

٢ أمدي : أتبيَّنُ الأمد الَّذي انتهى من هذه الحروب .

• كيف أنهي هذه الحروب ، وما يزال قتيل من بني وائل يطلب قتيلاً آخر ، أي إن الثّارات ما زالت تتوالى ، ويطلب بعضها البعض الآخر .

٣ أمنع عينيّ عن بكاء الأطلال ، لأن مصابنا بأخينا كليب أبقى لنا في الصّدر جُروحاً لا تندمل

٤ إنّ نداء طلب الثأر ، يختلج في صُدورنا ، ولن نسكت عن الضّيْم ، مهما طال الأمد .

٥-٦ كيف أنسى مقتلك يا كليب ، والحزن يفعم القلب ، ويحفزني دائماً للثأر لك .

٧ إنّ مَنْ كان مُعرّضاً للقتال والطّعان ، في ساحات الحرب ، لا يقضي الوقت بالنحيب.

٨ انْتَضوا : أمسكوا . مَعْجسُ القسيّ : مقبضها . والقَسيّ ، جمع القوس .

٩ هم تسلحوا بالقسيّ ، ونَحْنُ انتضينا السّيوف الَّتي كانت تبرق تحت أشعَّة الشمس.

١٠ • لم يستطيعوا أن يتحمَّلوا شدّة بطشنا في القتال ، فولّوا الأدبار.

السُّيوفُ الشَّواهِرُ

ومما قاله في وصف حروبه مع بكر قوله :

١ أَثْبَتُّ مُرَّةَ ، والسُّيوفُ شَواهِرٌ ... وَصَرَفْتُ مُقْدَمَهَا إلى هَمَّامِ

٢ وَبَني لُجَيمٍ ، قد وَطِئْنَا وَطأَةً ... بِالخَيلِ خَارِجَةً عَنِ الأَوهامِ

٣ وَرَجَعنا نَجْتَنِيءُ القَنَا في ضُمَّرٍ ... مِثْلَ الذِئَابِ ، سَرِيعَةِ الإقْدامِ

٤ وَسَقَيْتُ تَيْمَ اللاَّتِ كَأْساً مُرَّةً ... كالنَّارِ شُبَّ وَقُودُهَا بِضِرامِ

٥ وَبُيُوتَ قيسٍ قد وَطِئْنا وطأَةً ... فَتَركْنا قَيْساً غيرَ ذاتِ مَقامِ

٦ وَلَقَد قَتَلْتُ الشَّعْثَمَينِ ومَالِكاً ... وابنَ المُسَوَّرِ وابن ذَاتِ دَوَامِ

٧ لَيسَتْ بِرَاجِعَةٍ لَهُم أَيَّامُهُمْ ... حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الأَعلامِ

---

١ أَثْبَتّ مُرّةَ : أصبته بجروح قاتلة . مُرّة : هو أبو جسَّاس . هَمَّام : ابن مرّة .

• أصبتُ مرّة بجروح قاتلة ، وطعنتُ هَمَّاماً بمقدم سيفي .

٢ بَنُو لُجَيْم : من أحياء ربيعة . وَطِئَهُ : داس عليه .

• وقد داست خيلنا بني لُجَيْم ، وتركناهم بحالة سيِّئة ، لا يتصوّرها وَهْمُ مُتَوَهِم .

٣ نَجْتَنِيء القَنَا : نتناول الرّماح طعناً . في ضُمَّر : على خيل مُضْمَرة .

• يريد أنّهم كانوا يحاربون برماحهم وهم على الخيل ، ويشبّه سرعة خُيولهم ، بالذّئاب السَّريعة الإندفاع .

٤ تَيْم اللات : قبيلة من ربيعة ، ويقال لها : تَيْم الله . ضِرَام : حطب سريع الإشتعال .

• وألقينا على قبيلة تَيْم اللات درساً لا ينسى ، وضربناهم ضربة ، هي أشدّ من سعير النار .

٥ بُيُوت قَيْس : أحياء قيس بن عيلان .

• ودمَّرنا أحياء قيس بن عيلان ، وجعلناها قاعاً صفصفاً ، وتركناهم بدون مأوى .

٦ الشَّعْثَمَان : هما شَعْثَم وعَبْد شَمْس ، إبنا معاوية .

٧ شَوَامخُ الأعلام : عوالي الجبال .

• لقد أذلَلْناهم ونكّلْنا بهم ، وليس لهم بعد اليوم مكانة ولا مقام .

٨ قَتَلُوا كُلَيباً ، ثُمَّ قَالُوا أَرْتِعُوا كَذِبُوا ، وربِّ الحِلِّ والإِحْرَامِ

٩ حَتَّى تُلَفَّ كَتِيبَةٌ بِكَتِيبَةٍ وَيَحُلَّ إِصْرَامٌ عَلَى إِصْرَامِ

١٠ وَتَجُولَ رَبَّاتُ الخدورِ ، حواسِراً يَمْسحنَ عَرْضَ ذَوائبِ الأَيتامِ

١١ حَتَّى نَرَى غُرَراً تُجَرُّ ، وجُمَّةً وَعِظَامَ رُؤُوسٍ ، هُشِّمَتْ بِعِظَامِ

١٢ حَتَّى يَعضَّ الشيخُ ، بعد حميةٍ مِمَّا يَرَى ، جَزَعاً ، عَلَى الأَبهَامِ

١٣ وَلَقَدْ تَرَكْنَا الخَيلَ ، في عَرَصَاتِهَا كالطَّيرِ فَوقَ مَعَالِمِ الإِجْرَامِ

١٤ فَقَضَيْنَ دَيناً ، كُنَّ قَدْ ضُمِّنَّهُ بِعَزَائمِ غُلْبِ الرِّقَابِ ، سَوَامِ

١٥ منْ خَيلِ تَغْلبَ ، عِزَّةً وتَكَرُّماً مِثْلَ اللُّيوثِ ، بِسَاحَةِ الآنَامِ

---

٨ ارْتَعوا : سَرِّحُوا خيولكم ترتع في مراعيها .

* قتلوا أخي كليباً وقالوا : سَرِّحوا خيولكم ، فلستم أهلا للقتال ، ولكن خسئوا وربِّ الحقّ لن يهدأ لنا بال حتَّى نأخذ بثأرنا .

٩ إصْرَام : جماعات .

* سنحاربهم حرباً شعواء ، تختلط فيها الكَتَائب ، والجَماعات ، بعضها مع بعض ، لشدّة التَّلاحم والقتال .

١٠ حَوَاسر : عاريات الرأس .

* ومن هول المعركة ، ستجول النّساء ، عاريات الرأس ، محزونات ، يكفكفن دموع الأطفال الّذين قتل آباؤهم ، في ساحة القتال .

١١ الغُرَر : جمع غرّة ، سيّد القوم .

* يقول : إن شدة القتال ، وتلاحم المحاربين ، سيجعل ساحة القتال ، مليئة بالجثث المهشَّمة الرؤوس ، وترى أسياد القوم يجرون جرّاً ، وهم مضرّجون بالدماء .

١٢ * حتَّى الشَّيخ تراه يعض إبهامه ، جَزَعاً وخَوْفاً ممَّا يرى .

١٣ * وقد تركنا الخَيْلَ تجولُ في الديار ، بعد أن قتل أصحابها ، كالطَّير تحوم فوق أشلاء القتلى .

١٤ غُلْب الرِّقَاب : غلاظ الأعناق . سَوَام : مرتفعات الرؤوس .

* وقد أخذنا بثأرنا ووفينا ديناً لنا ، بعد أن قاتلنا الأعداء بعزيمة صادقة ، وبسالة فذة .

١٥ اللُّيوث : جمع ليث ، وهو الأسد . الآنَامَ : القوم .

امْــرُؤُ القَــيْسْ

امرؤ القيس

نحو ١٣٠ ـ ٨٠ ق . هـ

هو امرؤ القيس بن حُجر الكنديّ (١) ، ولد في أوائل القرن السادس في نجد ونشأ في قبيلة كِنْده ، وهي أسرة ملوك ، كأسرتي الغساسنة والمناذرة ، تولّت الحكم على بني وائل . وكان حُجر والد الشاعر ملِكاً على بني أسد ، يجمع الأتاوى منهم ، ويَتَعَسَّف بهم ، ويُغْلظ فيهم ، وهم يتربَّصون به ، حتّى تصدع ملْك أبيه الحارث ، إثر خلع أنو شروان له ، فثاروا عليه وغدروا به .

وكان حجر قد خلع ابنه امرأ القيس لمجونه وتهتّكه وتشبيبه بنساء القبيلة وتصديه لهنّ ، فهام على وجهه مع جماعة من الخُلعاء والصّعاليك ، فإذا وقعوا على ماء ، أقاموا عليه ، يصطادون أو يَنْحرون وَيَشْتَوون ويحتسون الخمرة ، ولا يُلْوون على شيء .

ولم يكن الشاعر في مطلع حياته ، يؤخذ بأبَّهة الملك ، بل يشغف شغفاً شديداً بالحياة ، ينتهب لذائذها ، ويعانق حيّها وجمادها ، ويترنّح بفرحه وتفاؤله بها . ولمّا وافاه نعي أبيه ، لم يلبث أن تملّكه الجزع ، وفدحه الخطب ، وجعل يضرب بين القبائل ، مؤلّباً الأحلاف ، للثأر من بني أسد ، وهو يشعر أن أباه « ضيَّعه ، وهو صغير ، وحمَّله دمه ، وهو كبير » ، وأنّه قد آل إليه مُلك، متداع مخضَّب بالدم ، مشحون بالثارات .

واقَعَ امرؤ القيس بني أسد في مواقع ، ونال منهم ودفعهم إلى الترحال الدائم ، إلا أنّه لم يروّغله ، بل عزم أن يُبيدهم ويُقيم ملكه من جديد . إلاّ أن المنذر بن ماء السماء ، ألحّ في طلبه ، زاجراً، عنه القبائل ، مهدداً أحلافه وأتباعه ، فألفى الشاعر نفسه دون عضد يعضده ، مشرّداً ، فأودع سلاحه ودروعه عند السموأل ، وشَطر إلى يوستينانيوس قيصر الروم ، يستعديه ويستنصره . وقيل : إن القيصر أكرم وفادته وأمده بجيش . وقيل أيضاً : إنه أهداه حلّة مسمومة قرّحت جسده وأودت به . إلاّ أن الثابت أنّ شاعرنا قد لاقى حتفه في طريق عودته من بلاد الروم ، بعد أن عانى من آلام النفس والجسد ، أمرّها وأشدها .

---

١ يلقب امرؤ القيس بالملك الضليل ، وهو لقب لحقه بعد أن تخلى عنه أتباعه ، وجعل يهيم على وجهه بين القبائل التي أبت أن تجيره أو تنجده ، خشية النعمان ، وعرف أيضاً ، بذي القروح أثر الداء الذي ألم به بعد زيارته لبلاد الروم

بدأ امرؤ القيس حياته لاهياً ، مستهتراً ، ثم تصرّفت به الأحداث وساقته من النَّقيض إلى النَّقيض ، فإذا هو يحمل على كَتفَيْه وقر الهموم والثأر ، وَيَلِجُ إلى السياسة من بابها الملحميّ ، يقود الجحافل ، بعد أن أنفق شبابه في مقارعة كؤوس اللَّهو والمُنادمة . ومعظم شعر ديوانه يمثّل الشطر الأول من حياته ، فيما عدا قصائد قليلة ، يصف فيها نقمته وغيظه وتشرّده ، ويأسه من نفسه ومن الحيـــاة والناس .

يقول الجاحظ : إن امرأ القيس ، هو أوّلُ من نظم الشعر عند العرب ، وقد أجمَع سائر النقّاد القدمــاء ، على أنّه أول من « وَقفَ واستَوْقَفَ وَبكَى واستَبْكَى وقيّد الأوابد » ، وَعَدّوه في رأس الطبقة الأولى من الشعراء . ومع أنّ النقد الداخلي لقصائده ، يظهر أنّ الشعر الجاهلي أوفى إليه وقد استقرّ على سنّة ، وجرى على عمود معروف فإن امرأ القيس ارتقى بتلك التجارب إلى ذروتها ، مصوّراً أقصى مـا أدركته النفس الجاهلية ، في موقفها من الحياة والعالم ، وفي دهشتها وغبطتها ، أمـام مظاهر الكون ، تكتشف ألوانه وتفكك أجزاءه ، وتؤلّفها بعضاً مع بعض من جديد ، وتعكسها على حدقة حسيَّة ، تؤخذ بما ظهر من معاني الأشياء غافلة ، إلاّ لماماً ، عما استَتَر وتبطَّن منها . فالطبيعة تبدو في شعره ، وقد استكملت غايتها ، وأدركت أقصى حدودها ، انتشر الجمال بأرضها وسمائها ، وتجسَّد في عناصرها ، لا يعروه أمامها قلق أو حيرة ، ولا ينبعث فيه قنوطٌ أمام تكرارها ورتابتها . بل إنَّها تنداح أمام ناظره كشريط ضاحك ، خلاب ، تبهر ألوانه وأشكاله ومعانيه ، وكبساط من السعة والمرح ، مدّته أمامه الحياة ، ليُقيم عليه أفراحه ، أو كخوان مكتظّ بما لذّ وطاب ، تتحلّب له شهوتـــه وحواسه .

أما المرأة ، وهي صنو الطبيعة وكمالها في شعره ، فيتولاها ، حيناً ، بالحسّ والغريزة ، وحينـاً بالبراح والحنين ، وموقفه منها يرمز إلى موقفه من الحياة جميعاً . يصف نعيمها وجمالها وعافيتهـا ودلّها وإغواءها ، متمثلاً بذلك على نعيم الحياة وتفاؤلها وسعادتها . فإذا هاجرت المرأة ورحلت ، بكاها ورثا بعادها وحنّ إليها ، شاعراً أنّ الحياة ، إثرها ، ليست سوى طلل مهجور ، وآثار عافية ، وعالم تعصف فيه ريح الوحشة والسويداء . وفي معظم شعره ، ينظر إلى الأشياء ، ويصوّرها بحاسَّة واحدة ، تعظّمها وتضخّم حجمها ، وفيما يتولى الحديث عن المرأة ، تَتَفَتَّحُ كوى حواسه ، وتتداخل وتمتزج بعضاً ببعض ، فيبصر ألق الجمال ويتحسس طراوته وريّاه ، ويشمّ عبيره في لحظة فنيَّة واحدة وصورة كثيفة ، قاطبة . فشعره الغزلي هو أعمق شعره حدساً ، تتراكم فيه طبقات الحس ، ويستبطن بعضهـا البعض الآخر ، وتنصهر الحقائق العاطفية عارية ، مباشرة ، لا تخضع لمنطق التصريح والتوضيح ، ولا تتقيد بأساليب العبارة الجلية ذات البعد الواحد . ومما لا ريب فيه ، أنّ وصف المرأة في شعره يتخطّى الحدود التي أدركها في وصفه للطبيعة ، لعنف انفعاله بها ، واعتدال تحسّسه بما هو دونها . فشعوره بها مدلهمّ ، مُحْلَوْلك ، ترفده الغريزة بصور الفتنة والألفاظ الّتي تتقطّر منها الشهوة ، ويسيل لعاب الجنس .

ويخيل إليك وأنت تقرأ شعره ، أن المرأة قائمة بين يديه ، مرتدية ثوب الإغواء ، متطيّبة بطيب الشهوة ، عارية عري الغريزة والنشوة ، تشتفّ الحياة وتعانقها ، وتصهرها صُهراً ، واجفة مرتعدة ، بعد أن دخلت إلى نفسها فكرة الخطيئة ، وحدود الخير والشّر ، وجعلتها تترجح وتتمزّق بين الحلال والحرام ، واستئثار المجتمع وانفلات البداهة والعفوية .

وإذا كانت المرأة ، تمثّل حوّاء الواعية لعريها ، الخجلة به ، تستره وتتّقي به ، فإن الشاعر يبدو ، وكأنّه رسول الغريزة والحسّ والفطرة ، ينضح ويضجّ بها شعره ، غير متورّع ولا حَرِج ، لا تقف دونه حدود ، لا يُحلّ حلالاً ولا يحرّم حراماً . وهو وإن تسلّل ، ليلاً ، إلى مخدع حبيبته ، فبدافع الأمان والاطمئنان . ونكاد لا نشهد في شعره أيّ قلق وارتباك أمام قوى الخير والشّر ، بل إنه يُذْعن وينقاد لحسّه . فالحس والضمير هما صنوان بالنسبة إليه .

أما سائر أوصافه ، فهي انعكاس مترنّح للعالم الخارجيّ ، بأصواته وظلاله وليله ونهاره ، وما زحف فيه وطار ومشى ، وما جمد واستقر ، يقف مشدوهاً أمام جبروت العناصر وعتّوها ، يشاهدها في إطار إيحائي ، يتألب فيه اللفظ والحسّ والخيال ، وحيناً آخر في إطار واقعي ، ينحني فيه للجزئيات ، فيبدو مدقّقاً ، ناسخاً ، غير مُميّز بين المظهر والجوهر ، أو متطور بوحدة عضوية عميقة ، تمنع عنه الخاطرة الاستطراديّة ، والأفكار التي تلتقي في موضوع واحد ، دون أن تتوالد ، بعضاً من بعض .

أما طابع شعره الفنّيّة ، فأهمّها التشبيه ، يقتضب به ، أحياناً ، في فلذة يسيرة ، تضني الغلو وتوضح بالإيحاء ، وحيناً تؤدي إلى النقل ، فتتساوى لديه معادلته ، قارنة الأشياء بما ينسخها نسخاً دون حذف أو إضافة ، ودون أية سورة من سور الانفعال . وقد تختلّ موازنة التشبيه ، فيَضْمُر ويتضاءل طرفه الآخر ، فَتَرِدُ الصورة كإشارة عابرة ، تلتقط شيئاً مما يودّ التقاطه ، ولكنّها تسفّ إلى ما دون المظهر الأول في حدودها ودلالتها .

وقد يتردّد ، أحياناً ، على التشبيه الاستطرادي ، وهو وسيلة من وسائل الغلوّ البدائي ، حيث ينصرف إلى تعظيم المشبّه به في أبيات قليلة أو كثيرة ، بالأعراض والجزئيات ، معتمداً التوسّع في نقل الأشياء ، ليوهم بالتعمق في فهمها والإحساس بها .

ومع أنّ الموضوعات تتعدّد في قصائده ، وتتجاور دون أن تلتحم ، ظاهراً ، فإنّ ثمّة وثاقاً وجدانيّاً وحياتياً ، يوثق بينها ، وكأنّ الشاعر يتلو عبرها ، نبذة من سيرته أو فلذة من تجاربه المتعددة .

هي أشهر المعلّقات الجاهلية ، وأكملها دربة فنيَّة ، وأقصاها بُعْداً نفسيّاً ، يقصّ فيها قصّة نفسه ، في عواطفه وخواطره وتأمّلاته ، باكياً طلل الحبيبة ، ذاكراً أيّام لهوه ومجونه مع صواحبه ، مترجّحاً بين الذكرى الوجدانية ، والشّهوة الساديَّة والإباحية . ويتدرج ، من ذلك ، إلى وصف تسلّله إلى مخدع حبيبته ، ولهوه بها لهواً غير مُعْجل ، مستحضراً لها صورة جماليَّة مستمدة من معالم الطبيعة في جمادها ونباتها وحيوانها ، خالعاً عليها صفة الكمال والمثال . ومن مُناجاة الحبيبة ووصفها ، يعرض للّيل ، فإذا هو دليل حسّي نفسي ، يمتزج فيه العالم الداخلي بالعالم الخارجي ، ويتّحدُ سواد الدجى بسواد الهموم ، بعد أن يتمثّله على حدقة الخيال النائية . ويصف الفرس ، أيضاً ، بأوصاف مُمْعِنة في [illegible]رنية . وفرسه ، هو أبداً ، مطيَّة للصيد واللهو . وفي هذه القصيدة [illegible] الطبيعة وَتَنَفّسَاتها ، وثورة عناصرها ، ينظر إلى البرق والمطر الذي سرعان ما يتحول إلى سيل يبعث الخراب والدمار ، مُقْتلعاً الأشجار ، هادماً البيوت مخلّفاً أثره ما يخلّف الطوفان .

* * *

ويبدو امرؤ القيس في ذكره للطلل معبّراً عن مأساة التغيّر الّتي تصيب الأشياء وتصيب من خلالها العواطف المرتبطة بها والناتجة عنها . وهو يُفْصح عن ذلك بتمثيل بكائه الغزير الّذي أدرك محمل سيفه ، مشيراً بذلك الغلو الساذج إلى عمق انفعاله بمرأى الطلل ، تعروه من دونه الذكرى ، ذكرى حبيبته ظاهراً وذكرى أيّام ترمز ، ضمناً ، إلى السّعادة المولّيَّة كالطّيف . وهو يعبّر من خلالها عن مأساة الزمن ، ذلك الرّحم العجيب الذي يحتضن الحياة والموت والشباب والهرم ، واللقاء والبعد ، والإقامة والرّحيل ، مُنيخاً على الإنسان بحتميّته القاهرة ، يسوقه أمامه ببطء مُخَادع ، ويثير في نفسه حسّ النَّدم والمستحيل والنزوح .

أمَّا تساؤله القانط بقوله : « وهل عند رسم دار من مُعَوّل » ، فيرمز إلى يأسه من الخلاص ، وشعوره بلا جدوى العَواطف الإنسانية المقهورة أمام دوّامة الحياة . وفيه إذعان للقدر ، واستسلام عن طلب الحريَّة الّتي يستجيب بها

الإنسان لعواطفه وينال مناها . بذلك يغدو وصف الطلل ، تمثيلا لشعور الإنسان بالهزيمة والانحدار واللاإرادة أمام الحياة والكون ، يعانق بؤسه ، وينقاد له ، ولا سبيل له إلاّ البكاء يسكب به دموعه ، كما يسيل دمه من جرحه الصامت الفاجع .

وفي المقطع الثاني ، يذكر ما كان من أمره مع النّساء في دارة جلجل ، إذ عقر لهن مطيَّته . وفيه يعبّر عن لحظة نفسيَّة متباينة عن الأولى ، أو هي مرتبطة بها ، بوثاق الذكرى . إلاّ أنَّها ترمز مع ذلك إلى موقف من مواقفه إزاء الحياة من خلال المرأة . ولسنا نُغالي إذا قلنا إنّ معانقة اللَّذة ، ترتبط في ضمير امرئ القيس بشعوره بتولّي الأشياء وهروبها ، وهو يود أن يتلقَّفها تلقّفاً ، وأن يختطفَها اختطافاً ،فيما هي تعدو بسيرها المُسْرع . وهذا ما يفسّر لنا توارد ذكرى يوم جلجل في خاطره ، إثر الطلل المتعفّي . الأول يشير إلى إحساسه الموحش بهروب الأشياء ، والثَّاني يشير اختلاس هنيهاتها اختلاساً مَهّوساً ، يصحبه فيه نوع من الشعور الغامض بالذنب ، لخروجه عن العُرْف والنشاز نُشُوزاً وجدانيّاً مُثيراً .

أمّا افتخاره بطروق الحبلى وإلهائها عن وليدها ، فله بُعْدُ نفسيّ آخر وهو ضرب من التعوّض عن نقص كان يعانيه بالنسبة إلى النساء . وقد أجمعت الكتب ، أنّه كان مَفَرّكاً ، مكروها منهن ، وقد سعى ، في ذلك ، إلى التبجّح وردّ التّهمة بنقيضها . ونشهد فيه ، إلى ذلك ، إقبالا على اللَّذة كيفما تيسَّرت ، دون شرط أو ظرف خاص ، حسبه أنَّها اللَّذة التي يشعر معها أنه يراود جسد المرأة ، ويعبث بمفاتنه ، وينال منه مناله ، دون أن يكتفي بأن يهدر أيامه في التحديق الحائر ، المتردد بنعيمه المرصود .

وفي المقطع الثالث ، يَشْخَص الشّاعر شخوصاً حسيّاً أمام المرأة ، مجسِّداً إحساسه العميق بمواضع الجمال والرّونق في جسدها ، وقد غشيه ، جميعاً ، بغلالة من الشّهوة المُضْمرة التي تَمْتقع امتقاعاً إزاءه وتلوب به ، وتستشعر خفاياه وتتنصّت إلى كلّ رعشة من رعشاته . وقد اجتمعت حواسّ الشّاعر كلّها عليه وتمادت فيه ، فلامسته ملامسة نَهمة ، تطوّفت به تطويفاً ، ولم تدع منه موضعاً ، إلا عانقته معانقة حميمة جارحة . ولا شكّ أن حاسَّة البصر ، كانت أغلب على سائر الحواس ، إذا بدا لنا الشّاعر يتخطَّفها بعينيه ، مشاهدا لونها ، وألقَ جسدها ، محدقاً بعينيها وجيدها وخصرها وكشحها

وساقها وبنانها . إلا أنّه كان يُضْمرحسّاً بحسّ ، أويمزجهما بعضاً ببعض ، ويحول من أحدهما إلى الآخر ، يُبْصر الشَّيْء ويُلْمسه في الآن ذاته . فهوإذ يقول :

كَبِكْرِ المُقَانَـاةِ البَيَـاضِ بصُفْرَة غَذاهَا نميْرُ الماء ، غَيْرُ المُحَلَّـلِ

لا يصف بياضها وحسب ، بل يلامسه ، فيشعر أنّه ريَّان ، مجسّداً ذلك تجسيداً واضحاً ، غامضاً من خلال الماء النَّمير . والماء هنا وسيلة وجدانيَّة حدسيَّة فاضت فيضاً ، فيما اختلطت حواسّ الشَّاعر بنفسه ، فأحسّ لين بياضها وطراوته ، أوبالأحرى إذ أحسّ بماء ذلك الجسد عبر لونه . وآية هذه الصّورة أنّ الحسّ فيها تخطَّى حدوده ، وذُهل ذهولا لطيفاً ، بحيث انفتحت في نفس الشَّاعركوى الحواسّ واختلط بعضها ببعضها ، فعانق الشاعر في اللَّون طراوته ، وأحسّ بروح الماء والجسد واللَّون جميعاً .

المُعَلَّقَةُ

١ قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوى ، بينَ الدَّخول فحَوْملِ

٢ فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ ، لم يَعفُ رَسْمُها ... لما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْـأَلِ

٣ تَرَى بَعَـرَ الأرآمِ ، في عَرَصَاتِها ... وَقِيعَـانِهَا ، كَـأنَّـهُ حَبُّ فُلْفُلِ

٤ كَـأنّي غَدَاةَ البَيْنِ ، يَومَ تَحمَّلوا ، ... لدى سَمُرَاتِ الحَيِّ ، ناقِفُ حَنْظَلِ

---

١ قِفَا : يخاطب الشاعر صاحبيه على عادة العرب في المخاطبة بالمثنى . السقط : منقطع الرّمل حيث يستدقّ من طَرَفِهِ . اللِّوَى : الرّمل الذي يعوج ويرق ، فتبدو من دونه الأرض الصلبة الصالحة لغرس الأوتاد . الدَّخُول وَحَوْمَل : موضعان .

يدعو الشاعر صاحبيه أن يقفا عند الدخول وحومل ، بسقط اللِّوى ، ليذرف دمع الذكرى على حبيب يفتقده ومنزل مهجور يثير لوعته . وفي قوله : « حبيب ومنزل » استذكار للحيّ والجامد . وفي الشطر الثاني تدقيق في تعيين موضع الطلل ، وهي سمَة من سمات الواقعية في شعره .

٢ تُوضِح والمِقْرَاة : موضعان يحيطان بسقط اللِّوى . لم يَعْفُ : لم يزل ، لم يندرس . رَسْمُهَا : أثرها . الجَنُوب : ريح الجنوب . الشَّمْأل : الريح الجوفية ، نسبة إلى بلدة الجوف في شمال مكّة .

ه تغيّر ذلك الطلل لتقادم العهد عليه ، وبقيت منه آثار قليلة ، أبْقى عليها تلاعب الرّيح بها ، تغشاها من جهة وتكْشفُ عنها من جهة أخرى . وفي توسل الشاعر بالفاء دلالة على التدرّج في تعيين الأمكنة ، واستمرار في الدقة والواقعية بضبط معالم الأشياء .

٣ الأرآم : جمع رئم ، الظّباء الخالصة البياض . عَرَصَاتِهَا : جمع عرصة ، ساحة الدار . قيعَانها : جمع قاعة .

ه أقفرت الدار وصارت ملعباً للظباء ، تنثر فيها بعرها كحبّ الفلفل ، وتشبيه البعر المتناثر بحب الفلفل ينمّ عن ميل الشاعر إلى إعتماد التشابيه التي تمنح المشبه دقَّة بدلا من الغلوّ .

٤ غَدَاة : الضّحوة ، أوّل النهار . البَيْن : الفراق . تَحَمَّلوا : أي حملوا أمتعتهم وارتحلوا . سَمُرات : جمع سَمُرة : شجرة الطَّلح . نَقَفَ الحَنْظَل : شقّه .

ه يقول : كأني ، إثر رحيلهم ، ناقف حنظل عند شجرات الحيّ ، مَتَكَنّياً بنقف الحنظل ، عن انهمار الدموع ، معتمداً الصورة الحسيَّة للدلالة على الحالة النفسية .

٥ وُقُوفاً بها صَحْبي عَلَيّ مَطِيَّهُمْ ، يَقُولُونَ : لَا تهلِكْ أَسىً ، وَتَجمَّلِ

٦ وإِنَّ شِفَائي عَبْرَةٌ مُهراقَةٌ فَهَل عِنْدَ رَسَمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

٧ كَدأْبِكَ مِن أُمّ الحُوَيْرِثِ ، قَبْلَهَا ، وَجَارَتِها أُمّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

٨ إِذا قامَتَا تَضَوَّعَ المِسكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا ، جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

٩ فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَينِ منّي صَبَابَةً عَلَى النَّحرِ ، حَتَّى بلّ دَمعيَ مِحْمَلي

---

٥ مَطِيَّهم : ما يركب مطاها أي ظهرها .

* لقد أوقف صحي مطيّهم من أجلي ، وأخذوا يأمرونني بالصّبر ، وينهونني عن الجزع .

٦ المُهَرَاق : المصبوب . الرّسْم الدارس : أي الأثر الزائل إلاّ بقايا قليلة منه . المُعَوّل : المبكي ، من أعول أي بكى رافعاً صوته .

* إنّ شفائي من داء الوجد الذي أصابني يكون بدمع أسكبه ، ثم يستدرك مظهراً ألا جدوى من البكاء والعويل عند رسم صامت مندثر ، لا يجيب . وفي هذا البيت ، تعبير عن عبث العاطفة ، ولا جدوى التفجع أمام مظاهر الطبيعة الجامدة التي لا تحركها ولا توقظها معاناة الإنسان لها وحنينه إليها .

٧ الدأب : العادة . مَأسَل : موضع ماء . أم الحُوَيْرث وأمّ الرّباب : اسما امرأتين .

* يلوم نفسه على شغفه وتهيّمه ، وما يصيبهُ منهما من عذاب ووجد ، فبعد حبه لأم الحويرث وأم الرّباب ، لم يرعو عن الحبّ ، بل دأب عليه ، معانياً بُؤسه وخيبته .

٨ تَضَوَّع : من ضاع الطيب : أي انتشرت رائحته . الرَّيَّا : الرائحة الطّيّبة .

* يستطرد من ذكر الطلل إلى وصف حبيبتيه اللّتين يتضوّع منهما ، إثر قيامهما ، طيب كطيب المسك ، أوكالطيب الذي تحمله ريح الصبا المَضَمَّخة برائحة القرنفل . وفي هذا البيت تصوير حسّي رقيق لطيب المرأة ، واستطراد عن موضوع الطلل الذي باشره في مطلع القصيدة .

٩ الصّبَابة : رقة الشوق والحنين . المِحْمَل : حمَّالة السيف .

* يصوّر عذابه من حلال انهمار دموعه ، معتمدا الغلوّ في إظهار تدفقه وغزارته ليغالي بشدة عذابه وتتيّمه . والتصوير الفني في هذا البيت يعتمد على المشهد الواقعي ، وفيه يعود إلى الموضوع الذي تحوّل عنه ، إثر وصفه لحبيبتيه .

١٠ أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ ، مِنْهُنَّ ، صَالِحٍ وَلا سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ
١١ وَيَومَ عَقَرتُ للعَذَارى مَطِيَّتي ، فَيَا عَجَباً من كُورِها المُتَحَمَّلِ
١٢ فَظَلَّ العَذَارى يَرتَمِينَ بِلَحمِهَا وَشَحمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفتَّلِ
١٣ ويومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ ، خِدْرَ عُنَيزَةٍ فقالتْ : لكَ الوَيلاتُ ، إنَّكَ مُرجِلي
١٤ تقولُ ، وَقَدْ مَالَ الغَبيطُ بنا ، معاً عَقَرتَ بعيري ، يا امرأَ القيس ، فانزِلِ

---

١٠ رُبَّ : من الألفاظ التي يتوسل بها العرب للتقليل أو التكثير . دارَة جُلْجُل : موضع ماء التقى فيه الشاعر بعض صواحبه ، ونحر لهن ناقته وعابثهن .
* يتذكر الشاعر أيَّام لهوه مع صواحبه في دارة جلجل ، يوم نعم معهنّ وسعد بهن . وفي هذا البيت يتحوّل عن ذكر عذابه في الحب إلى ذكر لهوه ومجونه ، مستهلاً موضوع التفاخر والإعجاب بالنفس من خلال الغزل .
١١ عَقَرْتُ : ذبحت .
* يتذكر يوم نحر للعذارى مطيَّته ، ويَعْجب من نفسه لذلك ، إذ قضى على راكبيها أن يتحمَّلوا على مطيَّة أخرى . والتعجب وسيلة من وسائل الغلّو في إظهار غرابة فعله وشدة مجونه
١٢ يَرْتَمين بلحمها : أي ترمي إحداهن قطعاً منـه إلى الأخرى . هُدَّاب : لفظ يطلق على كلّ ما تدلى واسترسل . الدِمقْس : الحرير الأبيض .
* أخذت العذارى يترامين بلحم المطيَّة وشحمها المسترسل الشديد البياض كالدمقس ، وتشبيه اللحم بالدمقس من التشابيه البعيدة المتناول التي تمنح المشبّه دقةً وتعييناً وفي الآن ذاته ، مغالاة قليلة الإسراف .
١٣ الخِدْر : الهودج . عُنَيْزَة : اسم محبوبته . مُرْجلي : أي تدفعني إلى السير على رجلي .
* ويوم دخلت على عنيزة ، وهي مُقيمة في هودجها ، صاحت بي واستهولت مني ، وقالت : إنك إذا لم تبرح الخدر ، دفعتني إلى مبارحته والسير على قدميّ . والأسلوب في هذا البيت وفيما قبله ، وما إليه ، يقوم على السَّرد والحوار لإظهار جرأته في اقتحام خدور النساء .
١٤ الغَبِيط : ضرب من الهوادج . عَقَرْت بعيري : أدميته .
* يتابع كلام المرأة التي ألحت عليه بالنزول عن بعيرها ، لأنها خشيت أن يعقرَه بعد أن مال بها الهودج ، وترجَّح .

١٥ فَقُلْتُ لها سيري ، وأرخي زِمامَهُ ، ولا تُبعديني منْ جَنَاكِ المُعَلَّـلِ

١٦ فمِثْلِكِ حُبْلى ، قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ، فألْهَيتُهَا عَنْ ذي تَمَائِمَ مُحْـوِلِ

١٧ أَفاطِمَ ، مَهلاً بَعْضَ هذا التَّدَلُّلِ ، وإن كُنْتِ قدْ أَزْمَعْتِ صَرْمي ، فَأَجمِلِي

١٨ أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلــي ، وَأَنَّكِ ، مَهمَا تَأْمُري القَلْبَ ، يَفْعَلِ

١٩ وَبَيْضَةِ خِدْرٍ ، لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا ، تَمَتَّعتُ منْ لَهوٍ بها ، غَيرَ مُعْجَلِ

---

١٥ زِمَامه : رَسَنه . الجَنَا : ما تعطيه الشجرة . المُعَلَّل : المكرر .

• يجيب حبيبته بقوله : أرخي زمام البعير ، ولا تحفلي به ، ودعيني أقطف جناك . مشبها المرأة بالشجرة ، وما يناله الحبيب منها ـ شمًّا وضمّاً وتقبيلا ـ بثمار طيِّبة تجنى منها .

١٦ طرقت : أتيت ليلا . تمائم : تعاويذ تعلق بأذن الطفل وعنقه . محول : ابن سنة .

• لقد دخلت خدر كثيرات مثلك ، وكن حبالى ، فأغويت الواحدة عن طفلها وألهيتها . وقد أراد بذلك أن يظهر شدة تيم النساء به وإقبالهن عليه .

١٧ أَزْمَعْت : قرّرت . صَرْمي : قطع علاقتك بي .

• يقول : لحبيبته فاطمة أن تدع جزءاً من دلالها ، وتمتنع عن قطع صلتها به .

١٨ • هذا البيت مرتبط بسابقه . فيقول : هل أثار غرورَك أن حبّك قد أخذ عليّ مجامع قلبي ، وإني أصبحت طوع يديك ، أفعل ما تشاءئين . والشاعر ينزع في هذين البيتين نزعة وجدانية ، يعبّر فيها عن واقع حاله وعواطفه ، متحوّلا عن الوصف الحسي الخارجي .

١٩ وبَيْضَة الخدر : أي رب امرأة لزمت خدرها وقد شبهها بالبيضة لبياض لونها وملازمتها البيت ، وتحجبّها عن الشمس . وللتشبيه وجه آخر في الدلالة على التصوّن والعفاف . فضلا عن الطهارة والنظافة . يُرَام : يطلب ، فيدرك . الخِبَاء : البيت المستور .

• يقول : وكم من امرأة حصان ، محجبة في خدرها ، أدركتها رغم الخطر والمشقّة ، ونعمت معها بلهو كثير . وفي هذا البيت تبدو نزعة التفاخر جليَّة ، إذ لا يقتحم على امرأة هينة ، يسيرة ، بل على المرأة العصيرة ، المحصنّة ، الصعبة المنال .

٢٠ تَجَاوَزتُ أَحرَاساً إِليهَا وَمَعْشَــراً عَلَيَّ حِرَاصاً ، لَو يُسِرُّونَ مَقْتَلي

٢١ إِذَا مَا الثُّرَيَّا في السَّمَاءِ تَعَــرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّـــلِ

٢٢ فَجِئْتُ ، وقد نَضَّتْ لنَومٍ ثيابَها لدى السِّترِ ، إلا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ

٢٣ فقالتْ : يَمِينَ اللهِ ، مَالكَ حيلَةٌ ، وَمَا إنْ أَرى عَنْكَ الغَوايَةَ تَنْجَلي

٢٠ أَحْرَاس : جمع حارس . مَعْشر : قوم . حِرَاص : جمع حريص ، شديد الرّغبة . يَسِرّون : يبقون عملهم مكتوماً .

* يستطرد في وصف الأهوال ، الَّتي يلقاها من دون حبيبته ، فإذا هو يجتاز في سعيه إليها ، حرّاساً وأقواماً ، يحرصون على قتله ، لوقُدّرلهم أن يغدروا به سرّاً . وفي ذلك إشارة إلى مكانته في بني قومه الَّذ ين كانوا يكاتمون غيظهم من اعتدائه على أعراضهم ، ولا قبَلَلهم بالثأرمنه ، خشية من بطش أبيه . وقدكان طيش الشاعر وتهتّكه من الأسباب التي أدت ببني أسد إلى الثورة على أبيه ، وخلع أبيه له ، ممَّا دفعه إلى أن يهيم على وجهه في الصحارى ، وبين القبائل ، طلباً للهو والمتعة .

٢١ التَعَرّض : إبداء العرض . الأثناء : النواحي . المُفَصّل : الَّذي فصل بين خر زه بالذهب أوغيره .

* يقول : أتيتها ليلا ، بعد أن خرجت الثريـــا إلى عرض السماء ، وبدت كواكبها كالذهب المتلّمع فيما بين خرز الثّوب . وفي التشبيه إحساس رهيف بمعالم الطبيعة ، وإشارة من الإشارات الواقعية التي تكثر في شعره من خلال تعيينه لمكان الحادثة التي يصفها . أمَّا من الناحية الفنيَّة ، فإنه ينمّ عن نزعة التدقيق التي تطغى على شعره ، فيُدني مظاهر الأشياء ويؤدي لها معادلة تشبهها بوجه من وجوه الشبه ، بالرغم من أن المشبه به ، قد يكون اشد ضآلة وأقل تعريفاً ، كما نرى في المقابلة والجمع بين تألق النجوم وشذرات الذهب في الوشاح .

٢٢ نَضّتْ الثياب : خلعتها . اللِّبْسَة : حالة اللابس . المُتَفَضِّل : المرتدي ثوباً واحداً .

* يقول : أتيتها ، وقد خلعت ثيابها إلاّ غلالة النوم . وقد أقامت تنتظرني عند الستر ، مُوهمة أهلها أنَّها مُزْمعة أن تنام .

٢٣ اليَمين : القسم . الغِوَاية : الضلالة . تَنْجَلي : تنكشف .

* هتفت الحبيبة ، إذ شاهدتني مقبلا ، وأقسمت أن لا حيلة لها لدفعي ، وتبديد الضلالة والجهل عني . وهذا التمنع ينطوي على رغبة في التدلل وإظهار الممانعة ، فيما هي تضمر القبول . وتطغى على الأسلوب نزعة الحوار ، مما يثير الحيوية والحركة في سياق القصيدة ، بالرغم من أنّه يميل بها إلى السَّرد الذي تعافه التجربة الشعرية الصافية .

٢٤ خَرَجتُ بها أمشي ، تَجُرُّ وراءَنا ، على أَثَرَيْنَا ، ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

٢٥ فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ ، وانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذي حِقَافٍ ، عَقَنْقَلِ

٢٦ هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا ، فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ ، رَيَّا المُخَلخَلِ

٢٧ مُهَفْهَفَةٌ ، بَيضَاءُ ، غَيرُ مُفَاضَةٍ ، تَرَائِبُهَا مَصقُولَـةٌ كالسَّجَنْجَـلِ

٢٨ كَبِكْـرِ المُقانـاةِ البَيَاضِ بصُفْرَةٍ ، غَذَاهَا نَمِيرُ الماءِ ، غَيرُ المُحَلَّلِ

---

٢٤ مِرْط : كساء من خزّ .

• يقول : أخرجتها من خدرها ، وهي تجرّ وراءها ذيل ثوبها ، لتُعفي به آثار أقدامنا ، ومنهم من يرى في سعيه بها إلى الفلاة ، إستكمالا للإطار العاطفي بين أحضان الطبيعة ، وتحت أحداق النجوم .

٢٥ أجَزْنَا : قطعنا . انتَحَى : نزل من ناحية . بَطْن المكان : منخفضه . الخَبْت : الأرض المطمئنة . حِقْف : رمل مشرف . العَقَنقَل : الرمل المتلبّد .

• لما اجتزنا ساحة الحيّ إلى مكان مطمئن يخفيه الرمل المتلبّد .

٢٦ هَصَرتُ : جذبت . الفَوْدان : جنبا الرأس . هَضِيم الكَشْح : ضامرة البطن ، والكشْح منقطع الأضلاع . المُخَلْخَل : موقع الخلخال من الساق .

• جذبتُها إليَّ بذؤابتَيْها ، فانساقت متمايلة بخصر أهيف وساق ريا . وفي هذا البيت يكفّ الشاعر عن السَّرد ، ليشرع بالوصف الحسي ، ملمحاً ، وعضواً عضواً .

٢٧ المُهَفْهَفَة : اللَّطيفة الخصر . مُفاضَة : المرأة العظيمة البطن . التَّرائِب : جمع التّريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر . السَّجَنْجَل : المرآة ، شبه بها التّريبة بعلاقة الالتماع والألق .

٢٨ المُقاناة : الخلط والمزج . النَّمِير : الماء المفيد ، المغذي . غَيْرَ مُحَلَّل : غير موطوء .

• شبه بياض المرأة المشوب بالأصفر ارببيض النعام ، واستطرد إلى ذكر لين جسدها وطراوته ، فنماه إلى الأغتذاء من الماء النمير . وفي هذا الوصف تختلط حاستّا البصر واللمس ، بذكر اللّون والطراوة ، وهي خاصة لا تندر في شعر امرئ القيس ، حيث يقوى لديه التصوير البصري ، حتى يعانق به حاسة أخرى ، تجانبه أو تنطوي فيه .

٢٩ تصُدّ وَتُبدي عن أَسِيلٍ ، وَتَتَّقي بنَاظرَةٍ من وَحش وَجْرَةَ مُطفِلِ

٣٠ وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئمِ ، ليسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هيَ نَصَّتْـهُ ، وَلا بِمُعَطَّلِ

٣١ وَفَرعٍ يَزِينَ المَتْنَ ، أَسوَدَ ، فَاحِمٍ ، أَثيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَـةِ المُتَعَثْكِـلِ

٣٢ وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كالجَديلِ ، مُخَصَّرٍ ، وَسَاقٍ ، كأُنْبوبِ السَّقيِّ المُذَلَّلِ

---

٢٩ تَصُدّ : تعرض . تُبْدي : تظهر . أسِيل : الخد المستطيل . النَّـاظِـرة : العين . وجْـرَة : مكان تكثر فيه الظّباء . مُطفل : له أطفال .

• أراد بالصدّ والإبداء أن يصف دلَّها وترددها ، بين الإقبال والإحجام . وأما حدقتها ، فقد شبهَّها بحدقة الظبي لاتساعها ونقاء بياضها ، ثم خصص التشبيه إمعاناً في الغلوّ ، فنسب الظبي إلى بلاد وجرة ، وجعلها مطفلة ليمنحها صفة الحنو والدعة . والشّاعر يعتمد على التفصيل والأكثار من النعوت ، لاستكمال الصورة ، والتدقيق بها ليجسد الأشياء كما شعر بها في غلوائه ، بدلا من أن يحددها تحديداً واقعياً صرفاً ، كما شهدنا في تشابيه سابقة .

٣٠ الجيد : العُنُق . الرِّئم : الظَّبي الأبيض . الفَـاحش : ماتجاوز القدر المألوف . نَصّته : رفعته . مَعَطَّل : غير مزدان بالحلي .

• يصف عنقها وصفاً تعادليّاً بالحذف والإضافة . شبَّهه بعنق الظبي غير الفاحش الطول وأضاف إليه بعض الحليّ . فهو يتصرّف بالمشبَّه به ، يعدل من حدوده ، ليستقيم وجه الشبه في معادلة بصرية واضحة المعالم .

٣١ الفَرع : الشعر التام . المَتْن : ما عن يمين الصلب وشماله ، أي الظهر . أثيث : كثير . القِنْو : هو بالنسبة للنخلة ما يقابل العنقود بالنسبة للكرمة . المُتَعَثْكل : المتداخل بعضه ببعض .

• إن شعرها الأسود يتـدلّى على كتفيها ، كما يتدلّى العثكول من النخيل ، والملاحظ أن التشابيه التي يصف بها المرأة مستمدة جميعاً من الطبيعة .

٣٢ الكَشْح : الخصر . الجَـديل : زمام ليّن . الأنبوب : ما بين العقدتين من القصب . السَّقي : النخل المرويّ : المُذلَّـل ، أي الذي كثر ماؤه ، فغدا ليّنا ، يطاوع كلّ من يتناوله .

• إن خصرها ليّن ، منقطع كالزمام اللّين ، وساقها متألق ، طري ، ريّـان كالنبات الّذي كثر ماؤه ، فتطيّع ولان . وفي ذكر أنبوب السقي المذلّـل ، جمع بين حاسّتي البصر واللّمس في تشبيه مُكثّف ، تخطى به الشاعر حدود الحاسة الواحدة ، كما هو شائع في شعر سائر الجاهليين.

٣٣ وَتُضْحي فتيتُ المسْكِ فَوقَ فِراشِهَا نَؤُومُ الضُّحى ، لم تَنْتَطِقْ عن تفضُّلِ

٣٤ وَتَعطُو برَخْصٍ ، غيرِ شَثْنٍ ، كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أومَسَاوِيك إسْحِلِ

٣٥ تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشَاء ، كأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

٣٦ تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبا ، وَلَيسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بمُنسَلِ

٣٧ وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ ، أَرْخَى سُدُولَهُ ، عَلَيَّ ، بأَنْوَاعِ الهُمُومِ ، لِيَبْتَلي

---

٣٣ فَتِيت : الشيْ الدقيق ، الحاصل بالفتّ . تَنْتَطِق : تشد النطاق ، أي المئزر على وسطها . التَفَضُّل : لبس الفضيلة ، وهي ثوب واحد يلبس للخفَّة في العمل .

* يصف هذه المرأة بالرفاه والدعة ، فهي لا تنهض باكراً للعمل ، بل تنام إلى الضحى في فراش تتضوّع فيه رائحة المسك . والشاعر لا يمنحها هذه الصفات ، إلا تفاخراً بأنه لا يُقبل إلا على المرأة السريَّة الغنيَّة ، من دون المبتذلة الهيِّنة .

٣٤ تَعْطو : تتناول . الرَّخْص : اللَّين ، صفة البنان . الشَّثْن : الغليظ . ظَبْي : هنا اسم موضع . الأسْروع : نوع من الدود أملس . المَسَاويك : جمع مسواك ، ما تُخَلَّل به الأسنان . الإسْحِل : شجر له أغصان ناعمة .

* تتناول الأشياء ببنان رخص ، ليّن غير غليظ وغير كزّ ، كأنه أسروع ناعم أومسواك دقيق

٣٥ مُمْسى : بمعنى الإمساء . المُتَبَتِّل : المنقطع عن النَّاس لعبادة الله .

* يصف وجهها بالألق والإشعاع حتى إنه يبدد الظلام ، ويبدوكمنارة راهب منقطع عن الناس . والتشبيه يقوم على فضيلة الغلوّ بألق الجمال في الوجه ، إلا أنَّه استطرد في الشطر الثاني إلى وصف تبتّل الراهب ، فإما أن تكون القافية ساقته إلى ذكر التبتّل ، وإما أن يكون قد أراد بلحظة من لحظات الحدس الغامض ، أن يشير إلى صفة الطهارة والنقاوة الضافية على وجهها .

٣٦ تَسَلّى : نسي . عَمَايَة : جهالة . مُنْسَل : وزن منفعل من السلوّ أي النسيان .

٣٧ وَلَيْل : الواو واو رب . سُدُول : أستار . لَيَبْتلي : ليختبر أمري وشدة احتمالي .

* شبه الليل بموج البحر طوله ولا تناهيه ، وأضمر تشبيهه بخيمة هائلة ، إذ تحدث عن السّدول . ثم مزج بين سدول الظّلام ، وسدول الهموم في الداخل ، موحّداً بين ما تراه عيناه ، وما تشعر به نفسه ، وهو من أصدق الشعر وأعمقه وأقصاه بعداً فنيّاً ونفسياً .

٣٨ فَقُلْتُ لَهُ ، لمَّا تَمطَّى بِصُلْبِـهِ ، وَأَردفَ أَعجَازاً ، وَنَاءَ بكَلْكَلِ :

٣٩ أَلا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّويلُ ، أَلا انْجَلِ بِصُبْحٍ ، وما الإِصبَاحُ مِنْكَ بأَمْثَلِ

٤٠ فَيَا لَكَ من لَيْلٍ ، كأَنَّ نُجُـومَهُ بأَمْرَاسِ كَتَّـانٍ إِلى صُمِّ جَنْـدَلِ

٤١ وَقَد أَغْتَدي ، وَالطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا بمُنْجَرِدٍ ، قَيدِ الأَوابدِ ، هَيكلِ

---

٣٨ تَمَطَّى : تمدد . الصُّلْب : عظام الظهر . أَرْدَف : أتبع . أَعْجَاز : جمع عجز : مؤخر. نَاء : مقلوب نأى ، أي بَعُد . الكَلْكَل : الصدر .

* يستعير صورة الجمل الذي يُنَاخ لليل المترامي على الأرض ، وقد ذكر الصلب والتمطّي والكلكل ، مفيداً هذه الاستعارة من واقع بيئته ، متمثلا لها على حدقة خياله البعيد الذي ينقل مظاهر الواقع الحسي إلى عالم نفسي ، يستمدّ منها ويمدها بمعان ودلالات جديدة . وفي هذا الوصف تبدو وظيفة الخلق في شعره ، إذ يكُفّ عن النقل والتقرير ، ويعبر عمَّا يتراءى له على شاشة الرؤيا الداخلية المتأثرة بالرؤية الخارجية .

٣٩ الأمْثل : الأفضل .

* قلت للّيل : تكشف عن صبح ، ولكن الصبح ليس بأفضل من الظلام . وتشاؤم الشاعر من الليل والصباح ، جميعاً ، يدلّ على يأسه من الحياة بكل وجوهها وشتّى مظاهرها .

٤٠ المَرَس : الحبل . الجَنْدل : الصخرة الكبيرة .

* يخاطب اللَّيل ويعجب من تطاوله ، حتى ليخيّل إليه أن نجومه أوثقت بحبال إلى الصّخور الصلبة . وصورة الحبال المُوثقة مستمدة من حبال الخيمة ، أو من حبال الأرسنة . أمَّا توهم الشاعر بأنَّه لا انقضاء لليل ، فتعبير عن حالة شعرية ، تقوى وتجتاح النفس ، فَيَطْغى الانفعال العاطفي على اليقين العقلي ، ويسوق الشاعر إلى رؤية الأشياء بما يخالف واقعها الشائع .

٤١ أغتَدي : أذهب باكراً . وَكْنَة الطير : عشه . الأَوَابِد : الوحوش . المُنْجَرِد : الفرس القصير الشَّعر . الهَيْكَل : الضّخم .

* وقد أباكر الصيد ، قبل نهوض الطير من أعشاشها ، بفرس قصير الشعر ، سريع العدو ، حتى أنّه يدرك الأوابد ، ويلتفّ عليها ، ويقيّدها عن العدو . والوصف ينطوي على صفة التفاخر ، تفاخره بمباكرة الصيد ، وسرعة عدو حصانه ، وفيه أيضاً دلالة على كثرة ترسل الشاعر بالنعوت وهي من خصائص الشعر الجاهلي .

٤٢ مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبِلٍ ، مُدبِرٍ معاً ، كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ منْ عَلِ
٤٣ كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ، كَمَا زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَـــزَّلِ
٤٤ عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ ، كَأَنَّ اهتِزَامَهُ ، إِذَا جَاشَ فيه حَمْيُه ، غَلْيُ مِرْجَلِ
٤٥ مِسَحٍّ ، إِذَا مَا السَّابحاتُ عَلَى الوَنى أَثَرْنَ الغُبَـارَ بـالكَـدِيدِ المُرَكَّلَ

---

٤٢ مِكَرّ : اسم مبالغة من الكر . مِفرّ : اسم مبالغة من الفر . الجُلْمود : الحجر العظيم . من عَلِ : من فوق .

* يصور في الشطر الأول قوّته وإندفاعه وسرعته معاً ، بحيث يجمع الحركات المتضادة في لحظة واحدة ، يستحيل عليك التمييز بينها . وفي الصورة غلو وواقعية معاً . وفي الشطر الثاني ، تمثيل حسّي لسرعته ، مقارناً بينها وبين سرعة الصخر المتحدر من عل في قلب السيل . وفضيلة الوصف ، هنا ، تقوم على تفوّقه في أسْر الحركة والتعبير عنها بألفاظ قليلة وافية .

٤٣ كُمَيْت : الفرس ذو سواد وحمرة . اللِّبْد : ما يوضع تحت السرج . الحَال : مقعد الفارس من ظهر الفرس . المُتَنَزّل : النازل ، صفة لاسم محذوف هو المطر .

* هذا الفرس ذو لون أسود ضارب إلى الحُمرة ، مكتنز صقيل الجلد ، يزل اللبد عن ظهره ، كما ينزل الماء عن الصخرة الملساء . وفي انتقال الشاعر من لون الفرس إلى اكتنازمتنه وانصقاله ، ظاهرة من ظواهر الفوضى العفوية ، والتفكك اللذين يسيطران على أسلوبه الوصفي .

٤٤ الذَّبْل : الضمور . جَيَّاش : يغلي غلياناً . الاهتزام : صوت جرْي الفرس . حَمْي : الحرارة . المِرْجَل : القدر .

* إن هذا الفرس بالرغم من ضموره تغلي عزيمتُه غليان القدر . ووجه الشبه لا يقوم على صورة واقعية منظورة ، إذ لا شبه ظاهراً بين غليان العزم وغليان القدر ، وإنما الشبه يقوم على وجه إيحائي .

٤٥ مِسَحّ : إسم مبالغة من السّح : الصّب والدفع . السَّابح : الفرس الذي يمد يديه في العدو ، كأنّه يسبح . الوَنَى : الفتور . الكَدِيد : الأرض الصلبة . المُركَّل : الّذي يركل بالأرجل .

* يجري هذا الفرس بلين ويسر ، كما يسح السحاب . وهوإذا فَتَرَتْ الخيل ، وَوَنَتْ وأثارت الغبار من دون أرجلها ، يلبث في عدوه المريح . فلا يصاب بكلل أو استرخاء . وفي هذا البيت صورة أُخرى لقوته وثباته .

٤٦ يُزِلُّ الغُلَامَ الخِفَّ عَن صَهَوَاتِهِ ، وَيُلْوِي بأَثْوَابِ العَنِيفِ المُثَقَّـلِ

٤٧ دَرِيرٍ كَخُذْروفِ الوَلِيـدِ أَمَـرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْـهِ بِخَيـطٍ مُـوَصَّـلِ

٤٨ لَهُ أَيْطَلا ظَبيٍ ، وَسَاقـا نَعَامَةٍ ، وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقرِيبُ تَتْفُـلِ

٤٩ ضَليعٍ ، إِذَا استَدبَرْتَهُ ، سَدّ فَرْجَهُ بِضَافٍ ، فُوَيْقَ الأَرْض ، لَيْسَ بأَعزَلِ

---

٤٦ الخِفّ : الخفيف . الصَّهْوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . أَلْوَى : رمى . العنيف : الثقيل الركوب .

* إنّ هذا الفرس يسقط الفارس الغرّ عن صهوته ، وينزع ثوب الفارس الماهر .

٤٧ الدّرير : السَّريع . الخُذْرُوف : لعبة يلهو بها الصبية ، يجذبونها بخيط ، فتدور على ذاتها . أمرّه : أحكم فتله .

* يكرر وصفه لسرعة الفرس ، فيشبّهها بسرعة دوران خذروف الوليد ، كما كان قد شبهها بانهمار الصخر في السيل .

٤٨ أَيْطَل : خاصرة . إرْخَاء : شدة عدو الذئب . تَقْريب : رفع الرجلين معاً ووضعهما موضع اليدين . التَّتْفُل : ولد الثعلب .

* ينتقل في هذا البيت من وصف خاصرتَيْه وساقيه إلى وصف طريقة عدوه . ففيه من الظبي خاصرته ، ومن النعامة ساقها ، أمَّا عدوه فيشبه الذئب في إرخائه ، ووليد الثعلب في تقريبه .

٤٩ الضّليع : العظيم الأضلاع . الاسْتِدْبار : النظر إلى الشيء من مؤخرته . الفَرْج : الفضاء بين اليَديْن والرجلين . ضَافٍ : طويل ، نعت للذنب . الأَعْزَل : الَّذي يميل عظم ذنبه ويعوج .

* إذا نظرت إلى هذا الفرس من مؤخرته ، وَجَدتَه عظيم الأضلاع ، يسدّ ما بين ساقيه بذنب مستقيم . وتخصيصه لمدى تدلّي الذنب بلفظة « فُوَيْق » . وهي تصغير « فوق » يدل على عنايته بالدقائق والجزئيَّات والمُحَاكاة بين الواقع الشعري والواقع الحسي .

٥٠ كَأَنَّ عَلَى المَتْنَيْنِ منهُ ، إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عَرُوسٍ ، أَوْ صَلايَةَ حَنْظَلِ

٥١ كَأَنَّ دِمَاءَ الهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ عُصَارَةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّلِ

٥٢ فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ ، كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

٥٣ فَأَدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بجيدِ مُعَمٍّ في العَشِيرَةِ ، مُخْوَلِ

---

٥٠ المَتْنَان : ما عن يمين الفقار وشماله . الانْتِحَاء : الاعتماد . مِداك : الحجر الذي يسحق عليه الطيب ، أو الحجر الّذي يكسر عليه الحنظل ويستخرج حبه . الصّلاية : الحجر الأملس الذي يسحق عليه .

• شبه انملاس ظهره واكتنازه باللّحم بالحجر الذي تسحق العروس عليه الطيب ، أو الحجر الّذي يكسر عليه الحنظل ، ويستخرج حبّه .

٥١ الهَاديَات : الطرائد التّي تكون في المقدمة . المُرَجَّل : الشعر المسرّح .

• لقد تلطّخ شعر نحره بدماء الهاديات ، كأنه شعر مسرّح أشيب صبغ بعصارة الحنّاء . والمعنى يفيد الغلوّ بسرعة عدوه ، إذ يدرك مقدمة الطرائد الهاربة ويقيّدها ، فاذا طعن راكبُه إحداها ، صبغ نحره بدمائها ، تدليلا على سرعته واقترابه من الطرائد .

٥٢ عَنّ : ظهَر ، وعرض . السِّرب : القطيع وهنا من البقر الوحشي . نِعَاجه : إناثه . الدَّوار : حجر كان الجاهليون يطوفون به ، كما يطاف اليوم بالكعبة . مُلاَء : جمع ملاءة ، الملحفة . المُذيّل : الطويل الذيل .

• خرجنا إلى الصيد ، فظهر علينا قطيع من البقر الوحشي ، تشبه إناثه ، بطول أذنابها وتدلي شعرها ، عذارى يطفن حول دوار بثياب متهدلة . والتشبيه ينطوي على بعد في التقاط الشبه بين القطيع والعذارى . وهو لا يقوم على الدقة البصريَّة بل على المشاركة الوجدانية .

٥٣ الجزْع : الخرز اليماني . الجيد : العنق . المُعمّ والمُخْول : الكريم الأعمام والأخوال .

• وقد بدت تلك النعاج ، باختلاف ألوانها وتعددها ، كقلادة من الخرز اليماني في عنق سريّ ، شريف . وهذا التشبيه ، ينطوي ، أيضاً ، على تفصيل في خصائص المشبّه لغاية التدقيق ، إلا أن المشبَّه به يتضاءل عن المشبَّه في الدلالة والتعريف ، بخلاف التشبيه السَّابق .

٥٤ فأَلحَقنَا بالهَادِيَاتِ ، وَدُونَــهُ جَوَاحِرُهَا في صَرَّةٍ ، لم تُزَيَّلِ

٥٥ فَعَـادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَــةٍ دِراكاً ، ولم يَنْضَحْ بماءٍ فَيُغسَلِ

٥٦ فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ من بينِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ ، أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

٥٧ وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يقصُرُ دُونَهُ ، مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَفَّــلِ

٥٨ أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً ، أُرِيكَ وَمِيضَهُ كَلَمْعِ اليدَينِ في حَبِيٍّ مكلَّــلِ

---

٥٤ الجَوَاحِر : المُتَخلّفة . الصّرة : الجماعة . التَزَيُّل : التفوق .

* يعود الشاعر لوصف سرعة عدو الفرس ، يصورها من خلال المشاهد الواقعية ، فهو قد أدرك طلائع القطيع السريعة العدو ، وأبقى من دونه الأبقار المتخلّفة ، مجتمعة في صَرّة ، وقبل أن تتفرق .

٥٥ عَادى : والى الرّكض . الدِرَاك : المتابعة . النّضُوح بالماء : أي التَفرّز بالعرق .

* يجمع الشاعر للفرس شدة الثبات والقوة الفائقة ، فقد توالى على العدو من بقرة إلى أخرى ، دون أن يتصبَّب عرقُه ، أي دون أن تظهر عليه إمارات التعب والانهاك . والمعنى تكرار لمعان سابقة وشرح وتفصيل لها .

٥٦ الصَفِيف : اللحم المُصَفَّف ، المعد للشواء . القَدير : المطبوخ في القدر . المُعَجّل : المطبوخ على عجلة .

* يصف الشاعر طهيهم وشيهم للحم الطريدة ، مثيراً جوّاً من الغلو والحركة بتعداد أنواع اللحم الّذي أكلوه .

٥٧ تَرَقَّ وَتَسْفُل : وضعا موضع ترقى وتسفل ، أي ترتفع وتنخفض .

* يقول : عدنا من صيدنا ، ونحن نرنو إلى ذلك الفرس إعجاباً ، نكاد لا نحدق بأعلاه ، حتى ننظر إلى أسفله ، فكان جماله يروع أبصارنا .

٥٨ صَاحِ : ترخيم صاحب . لمعَ اليَديْن : تحركهما . الحَبِيّ : الغمام المتراكم . المُكَلّل : المستدير بالإكليل .

* يخاطب صاحبه مخاطبة وهميَّة ، ويدعوه أن ينظر إلى البرق المتلمّع بين ركام الغيوم كتحرك اليدين . والمشبه به أي لمع اليدين ، يجري على أسلوب واحد مع تشبيه ألوان البقر الوحشية بالخرز ، فهو دون المشبه ، لا يفيده تعريفاً بالغلوّ بل بالشبه الحسي الدقيق .

٥٩ يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصابِيحُ رَاهِبٍ أَمَالَ السَّلِيطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ
٦٠ قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ العُذَيْبِ ، بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِي
٦١ على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ ، وَأَيْسَرُهُ عَلَى السِّتَارِ ، فَيَذْبُلِ
٦٢ فَأَضْحَى يَسُحُّ الماءَ ، حَوْلَ كُتَيْفَةٍ ، يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ
٦٣ وَمَرَّ عَلَى القَنَّانِ ، مِنْ نَفَيَانِهِ فَأَنْزَلَ منه العُصْمَ ، من كُلِّ منزِلِ

---

٥٩ السَّنَاء : الضوء . السَّليط : الزّيت . الذُّبَال : جمع ذبالة أي الفتيلة .

* إن تلألؤ هذا البرق وتضوُّأه ، يشبهان قنديل راهب أمال فتيلة قنديله فالتمع . والمشبه به هنا أيضاً ضامر عن المشبّه . إلا أنّ ذكره لقنديل الراهب يوحي بجو الظلمة والوحشة .

٦٠ صُحْبَتِي : أصحابي . العُذَيْب وَضَارِج : أسما موضعين .

* قصدت وصحبي نتأمل البرق بين ضارج والعُذيب ، وذكر اسمي المكان « ضارج وعذيب » دلالة على التصاق تجربة الشاعر بأديم الواقع الحسي وإظهار نزعة التدقيق الشبيه بالتدقيق العلمي لمعالم الأشياء . وهذه الخاصة توحي بصدق القول وصحته ، وإن كانت تضعف الانفعال الشعري ، وتدنو بالمعنى إلى التقرير والسَّرد .

٦١ قَطَن والسِّتَار ويَذبُل : أسماء جبال متباعدة . الشَّيْم : من شام البرق أي نظر إليه ، يترقَّب مطره .

* إن هذا البرق متَّسع ، قصيّ ، حتى إن أمطاره تغشي جبل القطن في بني أسد وجبلي الستار ويذبل فيما يلي البحرين . وأسماء العلم هنا وسيلة من وسائل التصوير والغلو المرتكز ، على حقيقة واقعيَّة .

٦٢ كُتَيْفَة : موضع في اليمن . يَكُبّها : يقلبها على رؤوسها . الأذقَان : جمع ذقن ، ما دون الفم من الوجه ، استعارة لأعالي الأشجار . الدوْح : جمع دوحة ، كل شجرة كبيرة . الكَنَهْبَل : شجر عظيم .

* يصف انهمار السيل ، وتدفقه على بلدة كتيفة واقتلاعه الأشجار الكبيرة ، وقلبه لها على رؤوسها من شدة عزمه واندفاعه . وألفاظ هذا البيت تواكب المعنى وتمثّله ، وبخاصّة في تكرار الكاف والقاف ، فكأن فيها ما يشبه انهمار السيل وتدافعه وقعقعته .

٦٣ القَنَّان : جبل لبني أسد . نَفَيَان : ما يتطاير من الماء . العصم : الوعول المعتصمة في الجبال .

* أدرك هذا السيل جبل قنّان ، فأثار الوعول ، وبثّ فيها الذعر ، ودفعها إلى الهرب ، تطلب النجاة كلّ مطلب . والوعول المذعورة الهاربة ، كالشجر المنكب على ذقنه ، وسيلة توسَّلَ بها الشاعر لتمثيل عظم السيل .

٦٤ وَتَيْمَاءَ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ   وَلا أُطُماً ، إلا مَشيداً بجَنْدَلِ

٦٥ كَأَنَّ ثَبيراً ، في عَرَانِينِ وَبْلِـهِ   كَبِيرُ أنَاسٍ في بِجَـادٍ مُزَمَّـلِ

٦٦ كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ ، غُدوَةً   مِنَ السَّيْلِ وَالأَغْثاءِ ، فَلْكَةُ مِغْزَلِ

٦٧ وَأَلْقى بِصَحْرَاءِ الغَبِيـطِ بَعَاعَـهُ   نُزُولَ اليماني ، ذي العُيابِ المحمَّلِ

٦٨ كَأَنَّ مَكَاكِيَّ الجِـوَاءِ ، غُدَيَّةً ،   صُبحْنَ سُلافاً مِن رَحِيقٍ مُفَلْفَلِ

٦٩ كَأَنَّ السِّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى ، عَشِيَّةً ،   بِأَرْجَائِهِ القُصْوى ، أنابيشُ عُنْصُلِ

---

٦٤ تَيْمَاء : قرية في شمالي بلاد العرب . الأُطُم : البيت المسقوف .

- يتابع وصف السيل من خلال مشاهد الخراب والطوفان الّتي أنزلها إثر عبوره . فقد اقتلع نخيل تيماء ، وهدّم بيوتها ، إلا تلك الّتي شيدت بالصخور القوية الصّلبة .

٦٥ ثَبير : إسم جبل . عَرَانين : جمع عرنين ، الأنف ، أومطلع الشيء . الوَبْل : جمع وابل ، المطر العظيم . بِجَاد : كساء مخطط . مُزَمَّل : ملتف .

- كأن ثبيراً في أوائل هذا المطر ، سيّد أناس ، فقد تلفف بكساء مخطط ، والكساء إشارة إلى زبد المطر .

٦٦ الذرَوة : أعلى الشيْ . المُجَيْمَر : أكمة . الغَثَاء : ما جاء به السيل من زبل ونبات وما إليهما .

- يقول : إن هذه الأكمة غدت ، مما أحاط بها من غثاء السيل ، فلكة مغزل .

٦٧ الغَبِيط : أكمة انخفض وسطها . البَعَاع : الثقل . العُياب : جمع عيبة ، الصندوق الذي توضع فيه الثياب أو غيرها .

- إن نزول المطر في ذلك الغبيط ، كنزول التاجر اليماني الذي يعرض ألواناً شتى من الثياب مشيراً بذلك إلى ضروب الأزهار الّتي ينبتها السيل .

٦٨ المَكَاكِي : جمع مكّاء ، ضرب من الطير . الجِوَاء : الوادي . الصّبوح : خمرة الصباح . السّلاف : أجود الخمر . المُفَلْفَل : الذي ألقي فيه الفلفل .

٦٩ أنَـابيش : أصول النبت . العُنْصُل : البصل البرّي .

- إن السباع الغرقى في سيول هذا المطر ، تشبه أصول البصل البرّي . وقد وصف غرق السباع وهي الحيوانات المفترسة من دون سواه ، تعظيماً لقوّة السيل ، والمشبه به أي أصول البصل البرّي يظهر تضاؤل التشبيه وضمور أحد طرفيه ، وقصوره عن الإحاطة بالمشبه إحاطة وافية

تعتبر القصيدة التالية من أفضل شعر امرئ القيس واشهره ، بعد المعلقة . وهي ذات طابع وجد انيّ ، يعبّر الشاعر فيها عن تصابيه ومجونه ومواقعته للنّساء ، وخروجه إلى الصيد ، وسعيه إلى المجد ، ، متوسلا ، حيناً ، بالوصف الحسي الّذي يدأب عليه في معظم قصائده ، وحيناً آخر بالسرد والحوار ، ذاكراً ما جرى من أحداث بقليل أوكثير من الدقة والتفصيل . تَتَخلل ذلك كله ، نزعة التفاخر اللّصيقة بشعره وشعر سائر الجاهليين ، جامعاً المعاني والأحداث حول ذاته ، مظهراً قدرته في التغرير بالنساء ، وسلبهن عقولهن ، والسعي بهن في سُبُل الخلاعة .

يستّهلها بوصف الطلل ، نازعاً إلى ذكر حبيبته سلمى ، متخلّصاً إلى وصف طروقه إلى إحدى النساء ، وخروجه بها من مخدعها إلى أحضان الطبيعة ، وتمتعه باللهو معها ، مزهوّاً بمغافلته لبعلها وسلبها منه ، متوعداً بالدفاع عن نفسه بالسيف والنبال المسنونة الزرقاء كأنياب الأغوال . وفي نهاية القصيدة يختّم ببيتين من الفخر والتأمل .

ونقع في هذه القصيدة على موقف من المرأة شبيه بموقفه في المعلقة ، وإن كان أكثر عمقاً وأشد امتعاضاً . فهو يستّهل بذكر الديار الّتي كانت تقطنها ، خالعاً عليها من سويداثه وقنوطه ، وشعوره بتصرم الأشياء ، ونعي الزمن . ويخيل إليه أن السعادة موليّة ، هاربة كالطيف، إنها وهم ، إذ لا بقاء لها ولا خلود معها . فما نحيا فيه ، هو زائل ، لأنّه سيزول .

وقد أفصح الشاعر عن ذلك من خلال قوله : «وهل يَعِمَنْ إلاّ سعيد مخلد » . مشيراً إلى أن الشعور بالزوال والنزوح والتغيّر ينغّص على الحيّ حياته . وقلما نعثر في سائر الشعر الجاهليّ ، على مثل هذا الوعي لمأساة الزمن والشعور بالرحيل والبراح ، إذ كان ينصرف معظم شعرائه إلى وصف معالم الطلل ، ومظاهر التغير الرانية عليه ، يعانون إزاء مأساة قاتمة ، أما امرؤ القيس ، فقد تجلّى له ذلك تجلياً ، إذ شعر بانخذال السعادة في نفسه أمام تيار التغير والزوال وعرته منها الهموم ، فبدا وَجِلا ، قانطاً .

إلا أن شهوة الحياة لا تنعدم في نفس الشاعر ، إذ تعبر به لحظة سويداء وتأمل ، يعزف عنها بعد حين ، ويعود إلى ممارسته العيش بنهم ولذة من

خلال جسد المرأة الّذي لا يبرح يفتن الشاعر فتوناً حاداً ، فتراه يمثل ميلانه ولينه وانكساره وطراوة مسّه ، شاخصاً أمام روعته وتألقه . ولعل حسرة الشاعر وشدة قنوطه ، تتولدان من بين ذينك التيارين المتناقضين في نفسه ، شهوة الحياة ، والشعور بعدميّتها وانقضائها ؛ بين جسد المرأة من جهة ، وطللها ونزوحها وهروبها كالحلم من بين يديه من جهة أخرى . وهو إذ يَفْخر بما ناله منها ، يُفْصح ، في الآن ذاته ، عن حسرة عميقة إزاءها ، ومهما تواقع معها ، يظلّ يخيّل إليه ، أن في نفسه منها أكثر ممَّا منحته . لذلك لازم تشبيبه بها النّدم واليأس والشعور بالخذلان أمام قدر الأشياء . وإنك لترى الذكرى ، وكأنها تَنْبجس من أعماق الظّلمة المُدلَهمَّة في نفسه ، وتشاهده متفاخراً على انقاض العزاء وحطام السعادة .

ونقع في هذه القصيدة على رموز نفسيَّة واجتماعية أخرى . فهناك الزوج ، وهو رمز الحياة الأليفة ، الداجنة ، المُغْتبطة في حدود الحلال والحرام ، المتصرمَّة برتابة وملل ، بعد أن افتقد نزوة الفروسية وكبرياءها .

وهناك المرأة المشبوبة بغرام الحبّ والغريزة ، والّتي ولج إلى خلدها الوعي الاجتماعي ، يُقيم جسدها في مخدع زوجها ، فيما يميل قلبها إلى سواه ، تقبل عليه ، وتشعر معه بنشوة الحياة . ويكاد الشاعر أن يوحي بذلك إلى أن الحبّ ، هو الأقوى والأعمق ، وأن منطقه هو منطق النَّشوة واللَّذة من دون منطق الحلال والحرام الذي يسفحه ويُضْنيه ويكبته ، ويَقْسره على الخداع ويفسد عليه طمأنينته . لا شك أن افتخار الشاعر بالتغرير بتلك المرأة يعبّر عن اعتزازه برجولته ، إلا أنه يفصح ، في الآن ذاته ، عن إيمانه بأولويَّة الحب وعصمته واكتفائه بذاته ، وكأن الشعور بالذنب أو الحرج ، أضيف إليه وحال بينه وبين النَّشوة الكاملة . لذلك ترى الشاعر لا يقيم وزناً للزّوج ولا يحرج من أمره ، بل يهزأ به ويمعن في ذلك ، مسرفاً بالتحدي ، مُعْلناً حرية العاطفة وعصيانها لكل ما هو دونها .

وينهي الشاعر قصيدته بالحديث عن نوع آخر من الحب ، الحب المتهتك ، الزاني في مخدع من مخادع بنات الهوى ، ولجه في يوم من أيام القنوط والسّأم ، وقد عرف ، ثمة الحب المضني المؤدي إلى الرّدى ، والحبّ الذي يسير على سبيل الهلاك ، متغرراً باللّذة والنعيم .

إلا أن حسّ السويداء والقنوط ، يعود فيطغى على القصيدة ، فترى

الشاعر متندما على ما فات من حياته ، ناعياً عليها باطلها ، باطل اللّـذة في امتطاء الخيل واللّـهو ، وباطلها في مواقعة المرأة وتبطّنها ، وباطل البطولة والفروسية ، وباطل الخَـدر الذي تؤديه له الخمرة ، يعروه من دون ذلك كلّه ، الشّعور بالهزيمة والفشل ويتمنّى لو أنه طلب المجد ، ليهب حياته معنى أعمق ، إلا أن ذلك كله لا يجديه ، بل أن شعور السّراب يغلب عليه ، فينعي على الإنسان أمانيه وجهده وكفاحه ، خالعاً على ذلك كلّه معاناته الحادّة للاندحار أمام قدر الحياة ودوّامة العواطف اللّامجدية .

وهكذا حفلت هذه القصيدة بأنواع من التجارب الصادقة الّتي يتنازع فيها الشاعر بين الأمل واليأس ،، والذكرى والسّلو ، والإقبال على الحياة والاحجام عنها ، بين الإيمان باللّـذة والشعور بتفاهتها وعمقها ، مؤدياً حساب عمره ، شاعراً ، مع عظم ما ناله فيه ، بالخيبة والهلاك وبنوع من الحزن الذي يغمر العالم بمثل ستار من الظلام . وعبر ذلك كلّه نُبْصر الشاعر ، وهو يعاني الحب الذي طهّره الوجد والندم ، والحب الطامع إلى امتلاك الحبيبة بشغف قويّ حتى الموت ، والحب اللاهي المتهتّـك ، البائع نفسه ، والذي ترسب في قاعه اللّـذة معفّرة ، خاوية ، يَردُ ذلك كله من خلال تمرّس الشاعر باللّذة والألم والبطولة والمجد ، دون أن يعثرُ في ذلك كله على ما يُنْـجيه من هاوية نفسه وشعورها بالهلاك والزوال .

الطَّلَل البَالي

١ أَلا عِمْ صَبَاحاً ، أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالي — وَهَلْ يَعِمنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي

٢ وَهَلْ يَعِمَنْ إِلا سَعِيدٌ مُخَلَّـدٌ ، — قَلِيلُ الهُمُومِ ، ما يَبِيتُ بأَوْجَالِ

٣ دِيَارٌ لِسَلْمَى ، عَافِياتٌ بِذِي خَالِ ، — أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّـالِ

٤ وَتَحْسَبُ سَلْمَى ، لا تَزَالُ تَرَى طَلاً — من الوَحْشِ أَوْ بَيضاً بمَيْثَاء مِحْلالِ

٥ وَتَحْسَبُ سَلْمَى ، لا تَزَالُ كَعَهْدِنَا — بِوَادِي الخُزَامى ، أَوْعَلَى رَسّ أَوْعَالِ

٦ لَيَالِيَ سَلْمَى ، إِذْ تُرِيكَ مُنَصَّباً ، — وَجِيداً كَجِيدِ الرِّئمِ ، لَيْسَ بِمعْطَالِ

---

١ عِمْ صَبَاحاً : أنعم صباحاً .

* يخاطب الطلل ، كأنه بَشَرسوي ، ثم يستدرك يائساً ، لأن النَّعيم لا يكون حليف البلى ، وما مرّ عليه الزّمن ، وأتَتْ عليه صروف الدهر .

٢ الأَوْجَال : جمع وجل ، الخوف .

* إن النَّعيم لا يتأتّى ، إلاّ للّذي نصيبُه الخُلود ، والذي لا تعروه الهموم والخوف . وفي هذا البيت تصوير ، غير مباشر من خلال الطلل ، لتجربة الزوال ، وتعاسة الإنسان ، من شعوره بها ووعيه لها . فتغير الأشياء الدائم وَتَصَرُّمها ، يُورِيَان الحسرة في النفس ، ويبعثان أشجانها وقنوطها .

٣ ذُو خَال : اسم موضع . الأَسْحَم : السّحاب الأسود .

* ديار كانت تقطن فيها سلمى بموضع ذي خال ، ألحَّت عليها الأمطار ذات السحاب الأسود ، أي أنّ المطر قد غيَّر معالمها ونَقَضَ آثارها الماضية .

٤ الطَّلاَ : ولد الظّبية . المَيْثاء : الأرض السهلة . المِحْلال : التي يكثر النزول فيها .

* وأنت إذ ترى سلمى لا يزال يخيل إليك ، إنَّك ترى ولد الظّبية ، أو بيض النعام بأرض سهلة ، يكثر ارتيادها .

٥ وَادي الخُزَامى ، وَرَسّ الأَوْعَال : موضعان . الخُزَامى : نبت معروف ، طيّب الرائحة الرّس : البئر القديمة ، أَوْعَال جمع وعل ، تَيْس الجبل .

* تظن سلمى ما زالت على العهد الذي عهدتها به في ذينك الموضعين .

٦ * أيَّام كانت سلمى تريك ثغرا متّسقاً ، وعنقاً كعنق الظبي الأبيض ، مزيَّناً بالحليّ .

٧ أَلا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ ، اليَوْمَ ، أَنَّني كَبِرْتُ وَأَنْلا يُحسِنُ اللَّهْوَ أَمثالي

٨ كَذَبتِ ، لقد أُصبِي عَلَى المَرْءِ عِرْسَهُ ، وَأَمْنَعُ عِرسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالي

٩ وَيَا رُبَّ يَوْمٍ ، قَدْ لهَوْتُ وَلَيْلَةٍ بآنِسَةٍ ، كَأَنَّهـا خَطُّ تِمْثَـــالِ

١٠ يُضِيءُ الفِرَاشَ وَجْهُهَا لِضَجِيعها ، كمِصْباحِ زَيْتٍ في قَنَادِيلِ ذُبَّالِ

١١ كَأَنَّ على لَبَّاتها جَمْرَ مُصْطَـلٍ ، أَصَابَ غَضَاً جَزْلاً ، وكُفَّ بأَجزَالِ

---

٧ * ينتقل إلى مُخاطبة امرأة أخرى عيَّرته بالكبر ، وأنَّه غدا عاجزاً عن اللَّهو ومعابثة النساء . وهذا التحوّل من المناجاة الوجدانية في مطلع القصيدة ومن الوصف الحسي في البيت الأخير ، هو استهلال للقصص الشعري ، والمغامرات على غرار ما شهدنا في المعلَّقة .

٨ أصبي : أُميل ، أدفع إلى الضلال . يُزَنّ : يُتَّهم . الخالي : اللاَّهي . المتفرّغ : للمجون .

* ينعت تلك المرأة بالكذب ، ويزعم أنه ما زال قادراً على استمالة المرأة والتغرير بها ، فيما هو يمنع زوجه من أن يدركها ذو المجون المتفرغ للهو . وفي ذلك تفاخر ظاهر برجولته ودلالة ظاهرة على فرديته ولا أخلاقيته . (قابل بين موقفه وموقف عنترة من جارته في موضعه من المنتخبات الخاصّة به) .

٩ خَطّ تمثَال : أي نقش تمثال .

* يمضي في مفاخرته بمجونه ، فيذكر لهوه طيلة الليل والنَّهار بأمرأة جميلة ، شبيهة بتمثال منحوت في روعة جمالها . والإشارة إلى عظم جمالها ، ضرب آخر من ضروب المفاخرة ، إذ أنّ المرأة الجميلة أعسر منالا .

١٠ الذبَّال : جمع ذبالة . وهي الفتيلة .

* إن وجه تلك المرأة يتألّق ، ويشعّ إشعاعاً ، فيضيء فراشَها ، كأنه مصباح زيت ، في قناديل ذات فتائل . وتوسّل الشاعر بصيغة الجمع في اللَّفْظَتَين الأخيرتين ، هو وسيلة من وسائل الغلوّ في تعظيم ألَق وجهها من خلال وصفه لتألّق المصباح .

١١ لَبَّاتُهَا : جمع لَبَّة ، أعلى الصدر . الغَضَا : شجر جمره طويل اللَّبث . الجَزْل : الغليظ . كُفّ : أحيط .

* يتابع الشاعر وصف جمالها المتألق ، فيعرض له على صدرها ، فينعته بالتوهّج كجمر الغضا الذي لا ينطفيء بسرعة . والصورة حسية ، تميل إلى المبالغة في تخصيص الجمر بشجر الغضا من دون سواه ، وهو أشد أنواع الجمر تألقاً . والشطر الثاني تفصيل للتشبيه الَّذي عرض في البيت الأول ، وإمعان في تأكيده والغلوّ به .

١٢ وَهَبَّتْ لَهُ ريحٌ بِمُخْتَلَفِ الصُّوَا : صَباً وَشَمَالٌ في مَنَازِلِ قُفَّالِ .

١٣ وَمِثْلِكِ بَيْضَاءِ العَوَارِضِ ، طَفْلَةٍ ، لعوبٍ تُنَسِّيني ، إذا قُمْتُ سِرْبالي ،

١٤ إِذَا مَا الضَّجيعُ ابْتَزَّهَا من ثِيَابِهَا ، تَميلُ عَلَيْهِ ، هُونَةً ، غَيْرَ مِجْبالِ

١٥ كَحِقْفِ النَّقَا ، يَمْشي الوَلِيدَانِ فَوْقَهُ بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لِينِ مَسٍّ وَتِسْهَالِ

١٦ لَطِيفَةُ طَيِّ الكَشْحِ ، غَيْرُ مُفَاضَةٍ ، إِذَا انْفَتَلَتْ مُرْتَجَّةً ، غَيرَ مِثْقَالِ

١٧ تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتَ ، وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ أَدْنى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِ

---

١٢ الصُّوَا : جمع صوة ، حجر يوضع كعلامة في الطريق . القُفَّال : الراجعون من السَّفر .

• يستكمل في هذا البيت وصف توهّج الجمر ، فاذا الرّيح قد عصفت به من كل جهة ، فازداد تسَعّراً . وهنا ورد الغلوّ من خلال الاستطراد ، وهذه الخاصة شائعة في شعر امرىء القيس .

١٣ العَوَارض : جمع عارضة : صفحة الخدّ . الطَّفْلَة : الرخصة ، الناعمة . السِّرْبَال : ما يُرْتَدى من الثّياب .

١٤ الهُونَة : اللّينة . المِجْبَال : الغليظة الخلق .

• في هذا البيت نوع من الأباحيَّة السَّافرة ، إذ يصف المرأة التي يبتزّها الرجل من ثيابها ، فاذا هي تتمايل بلين ورقة . والحسّ الجنسيّ شائع في القصيدة كلّها .

١٥ الحِقْف : ما اعوجّ واستطال من الرمل . النَّقَا : القطعة من الرمل . تسهال : السهولة .

• يشبّه ردفها بكثيب الرمل مستطرداً إلى وصفه ، ذاكراً مشي الوليدين عليه ، للينه وسهولته . وهذه الخاصة مشتركة بين كثيب الرمل وجسد المرأة . وهي من مظاهر الحسية والمادية في وصفه .

١٦ الكَشْح : منقطع الأضلاع أوالخصر . مُفَاضَة : المسترخية البطن . المُرْتَجَّة : المهتزّة لنعمتها . غَيْرُ مِثْقَال : غير مترهّلة .

• إن تلك المرأة ، لطيفةَ الخصرَ ، منقطعتُه ، لم ينتفخ بطنُها ، وإذا دارت على نفسها ، تدور بخفَّة ولين .

١٧ تَنَوَّرْتُهَا : نظرت إلى نارها واستطلعتها . اذرِعَات : موضع في حوران من بلاد الشام .

• تطلعت إلى بيتها من مكان سحيق ، فبدت لي نائية قصيَّة .

١٨ نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَـا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ، تُشَبُّ لِقُفَّـالِ
١٩ سَمَوْتُ إِلَيْهَا ، بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا ، سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ ، حَالاً عَلَى حَالِ
٢٠ فَقَالَتْ : سَبَاكَ اللهُ ، إِنَّكَ فَاضِحِي ، أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
٢١ فَقُلْتُ : يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قاعِداً ، وَلَوْ قطَّعُوا رَأْسِي لدَيْكِ وأَوْصَالِي
٢٢ حَلفْتُ لهَا بِاللهِ حِلْفَةَ فَاجِـرٍ ، لنَامُوا ، فما إنْ من حديثٍ وَلاصَالِ
٢٣ فَلَمَّا تَنازَعْنا الحَدِيثَ ، وَأَسْمَحَتْ هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ، ذي شمَارِيخَ ، مَيَّالِ

---

١٨ القُفَّال : المسافرون العائدون .

* نظرت إليها في الليل ، والنجوم طالعة يستضيء بها السارون ليلا . وقد خصّ حنينه إليها باللَّيل ، لأن اللَّيل ادعى للشوق والحنين . وأما وصفه للطبيعة فهو من طبائع شعره العامَّة في تعيين الأمكنة ، وذكر المعالم المادية للحالة النفسية .

١٩ حَبَاب الماء : معظمه .

* في قوله : سموت إليها ، دلالة على بطء الحركة والحذر في نهوضه . وقد مثل ذلك بتصاعد حُبَيْبَات الماء بعضاً على بعض ، وهو تشبيه يجمع الدقة إلى الطرافة والجدة ، فكأنّ الشاعر يتأمل المظاهر الماديَّة ، تأملا دقيقاً ليُعيد تسجيلها وخلقها في شعره .

٢٠ سَبَاك الله : أي باعدك الله . السَّمَّار : الساهرون المتحادثون .

* قالت إذ شاهدته : لقد سقْتَ إليَّ الفضيحة . أما ترى الساهرين والقوم حولي . ولفظة أحوال وهي جمع حول ، تفيد هنا شدة الإحاطة فتغالي بالمعنى ، وتُقوّيه .

٢١ * أجاب الشاعر بقوله : لن أبرح مكاني ، ولو أدركوني وقطعوا أوصالي ، واجتثوا رأسي من دونك . وهذا القول يفيد شدة الهيام وقوة الجرأة ، وفقاً لخطّ التفاخر الذي تتطور القصيدة من قلبه .

٢٢ الفَاجِر : الَّذي يكذب في سبيل ما يبتغيه من لذة ، وما يبتغي أن يُشْبعه من شهوة ، الصّالي : الذي يصطلي النار ، أي يتدفأ ويأنس بها .

* يحاول في هذا البيت أن يهديء من روعها ، زاعما أنّ السَّمَّار والمُصْطَلين قد ناموا جميعاً ، وأن المنيهة سانحة لهم للتعابث ومواقعة الغرام .

٢٣ * بدأ مغامرته بالحديث ، ثم انتقل إلى الضّم والشمّ ، بعد أن اسهلت وظهر عليها القبول وقد شبَّه جسمها في لينه ودقَّته بالغصن ، وشعرها بعنقود النخيل لتجعّده ، وهي صفة مستحبَّة في جمال المرأة عند العرب .

٢٤ وَصِرْنا إلى الحُسْنَى ، وَرَقَّ كَلامُنا ، وَرُضْتُ ، فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إذْلالِ

٢٥ فأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً ، وَأَصْبحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ القَتَامُ ، سَيِّءَ الظنّ وَالبَالِ

٢٦ يَغِطُّ غطِيطَ البَكْرِ شُدّ خِنَاقُـهُ ، لِيَقْتُلَني ، وَالمرْءُ لَيْسَ بِقتّـالِ

٢٧ أَيَقْتُلُني ، وَالمَشْرَفيُّ مُضَاجِعِي ، وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ ، كأَنْيَابِ أَغْوَالِ

٢٨ وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فيطْعَنَني بِـهِ ، وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ ، وَلَيْسَ بِنَبَّالِ

---

٢٤ وَصِرْنا إِلَى الحُسْنى : أي تحسنت علاقتنا بعضاً مع بعض ، وشاع بيننا حديث الود .

* بعد تمنّعها وصدوفها ، ذلت لي وأقبلت عليّ ، ونلت منها كل مأرب بيسر . والشاعر لم يُظْهر تمنّعَها في البدء ، إلاّ ليفتخر بترويضها وإخضاعها بيسر ، وهو في الآن ذاته ، يمثل طبعاً من طبائع المرأة في التدلّل والممانعة .

٢٥ القَتَام : الغبار .

* سلبت لبّها ، وجعلتها تنبذ بعلها الّذي بدا عليه الانكساف والغيرة وتعاورته الظنون وساءت حاله ، كأنّه يكتسي الغبار . وقد خص الشاعر المرأة المتزوجة ليضاعف من شدة الصعوبات الّتي تعترضه من دونها ، وهو يصف زوجها وغمّه وترديه في الوساوس ، ليُظْهر النقيض بالنقيض .

٢٦ يَغِطّ : ينام رافعاً صوته بالشَّخير . البَكْر : الفتّي من الجمال .

* ينام زوجها متكدراً ، فيصعّد شخيراً كالفتّي من الإبل الذي أحكم وثاقه ، وقد تهدده بالقتل ، ولكنه يعجز عن ذلك . فهو جبان لا يستطيع أن يُنْجز ما يتوعّد به .

٢٧ المَشْرفيّ : السَّيف . المَسْنُونَة الزرْق : النبّال .

* وأنّى لزوجها أن يقتلني ، وأنا أضطجع على السَّيف والنبّال ، وقد أعددتُها وسَنَنْتُهَا ، حتى غدت حادة كأنياب الغول . وبذلك ينزع من التفاخر بقوة الرجولة والقدرة على إغواء المرأة إلى التفاخر بقوة الساعد والبطش ، جارياً في ذلك مجرى الجاهليين .

٢٨ * وزوجها لا يحمل رمحاً أوسيفاً ، ولا يحسن رمي النبال ، وقد أناط به هذه النعوت ليظهر ضآلة قدره ، وعدم تمرّسه بطباع الفروسية وأعمالها .

٢٩ أَيَقْتُلُني ! أَنِّي شَغَفْتُ فُؤَادَهَا ، كَمَا شَغَفَ المَهْنوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالي

٣٠ وَقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى ، وَإِنْ كانَ بَعْلَهَا بِأَنَّ الفَتى يَهْذِي ، وَلَيْسَ بِفَعَّالِ

٣١ وَمَاذا عَلَيْهِ أَنْ ذَكَـرْتُ أَوَانِساً كغِزْلانِ رَمْلٍ ، في مَحَـارِيبِ أَقْيَالِ

٣٢ وَبَيْتِ عَذارَى يَوْمَ دَجْنٍ ، وَلجْتُهُ ، يَطُفْنَ بِجَبَّاءِ المَـرَافِـقِ مِكْسَـالِ

٣٣ سِبَاطِ البَنانِ وَالعَرَانِينِ وَالقَنَـا ، لِطَافِ الخُصُورِ في تَمَامٍ وَإِكْمَالِ

٣٤ نَواعِمَ ، يُتْبِعْنَ الهَوَى سُبُلَ الرَّدى ، يَقُلْنَ لأَهلِ الحِلمِ ، ضَلٌّ بِتَضْلالِ

---

٢٩ شَغَفْتُ : أصبت شغاف قلبها ، أي غلافه ، مشيراً بذلك إلى عظم حبها له . المهْنوءة : الناقة المطليَّة بالقطران .

* لقد أصبت شغاف قلبها بالحب ولَّهتها ، حتى أحاط حبي بقلبها كما يحيط القطران بالنَّاقة المطليَّة به . والصورة مستفادة من واقع البيئة الجاهلية .

٣٠ * وإن تلك المرأة لتدرك بأن ذاك الرجل ـ وإن كان بعلَها ـ يهذي بما يقوله ، ولن يفعل به . والمعنى تكرار لمعنى بيت سابق .

٣١ مَحَاريب : الغرف . أقْيَال : جمع قيل ، الملك .

* يعرِّض بذلك الرجل ، ويعجب من تكدره لذكر نسائه ، وقد شبههن بالغزلان الناعمة في منازل الملوك . وذلك تخصيصاً لهن بالنعيم والجمال والشَّبع والري .

٣٢ الدَّجْن : ظلمة الغيم ، وَلَجْتُه : دخلت إليه . جَبَّاء المرافق : الكثير اللحم في ساعديها .

* ولكم ولجت إلى بيت تقطنه النسوة الفتيات ، يقعن بجنب امرأة تكاثر لحم مرفقيها ، وبدا عليها الكسل . والشاعر يذكر أنَّه ولج ذلك البيت في يوم دجْن ، أي يوم مكفهر ، وفي ذلك تعيين لزمن الحادثة ، وفي الآن ذاته تعبير عن حالته النفسية ، فهو قد أَلَمّ به معانياً الوحشة والسأم واليأس ، وكأن المرأة وسيلة من وسائل الهرب من الذات وهمومها .

٣٣ * سِبَاط البَنَان : ليِّنات الأصابع ، طويلاتها ، وكذلك أنوفهن فهي ملساء لينة ، أمَّا قاماتهن ، فهي فارعة تامة وخصورهن لطيفة . وفي قوله : « تمام واكمال » خفوت في التصوير والتشبيه والاعتماد على الوصف اللَّفظي التقريبي .

٣٤ * فهنَّ يسْلكْن بمن يتواقع معهن بالحبِّ سبل الموت ويستنزفنه وينضبنه ، ويقضين عليه هياماً وتشهيّاً وعذاباً ، وفي الشطر الثاني يصوّر تغريرهن بذوي العقول الراجحة وسوقهم إلى الضّلالة والغواية .

٣٥ صَرَفْتُ الهَوَى عنهنَّ ، من خَشيةِ الرَّدى ، وَلَسْتُ بِمَقْلِيّ الخِلالِ ، وَلا قَالِ

٣٦ كأنّيَ لَمْ أَرْكَبْ ، جَوَاداً لِلَذَّةٍ ، وَلمْ أَتبطَّنْ كاعِباً ، ذاتَ خَلْخالِ

٣٧ وَلمْ أَسْبإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ، ولمْ أَقُلْ لخَيْليَ : كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إجْفَالِ

٣٨ وَلمْ أَشْهَدِ الخَيْلَ المُغِيرَةَ بالضُّحى ، عَلَى هَيْكَلٍ ، عَبْلِ الجَزَارَةِ جَوَّالِ

٣٩ فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لأَدْنى مَعِيشَةٍ كفَاني ، وَلمْ أَطْلُبْ ، قَلِيلٌ مِنَ المَالِ

٤٠ وَلٰكِنَّمَا أَسْعَى ، لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُؤَثَّلَ أَمْثَالي

٤١ وَمَا المَرْءُ مَا دَامَتْ حُشاشةُ نَفْسِهِ بِمُدْرِكِ أَطْرَافِ الخُطُوبِ وَلا آلي

---

٣٥ المَقْلي : المُبْغَض . الخِلال : الصفات . القَالي : المبغِض .

• صرفت الهوى ، أي لم أدع حبهن يتملّكني خشية الهلاك . والهلاك في هذا البيت ليس هلاكاً بالسَّيف ، أومن الحراس ، والأهل ، بل من الشَّهوة والضنى والتتيم . فهؤلاء يقضين على حبيبهنّ بالحب . وفي الشَّطر الثاني يشير إلى أنَّه لا ينصرف عنهن لسوء في طباعهن أو لسوء في طبعه بل نجاة من التهلكة . والأبيات الأربعة الأخيرة تنمّ عن تجربة خاصة من تجارب الحب ، يكفّ فيها الشاعر عن الزّهو والاعتداد بنفسه ، ليظهر حقيقته سافرة جليَّة .

٣٦ أتَبَطَّن : ألامس من جهة البطن .

٣٧ أسْبَأ : اشتري الخمر لأشربها . الزّق : وعاء الخمر .

• في هذين البيتين يذكر ملذاته ومفاخره السابقة من تبطنه للفتاة البكر وامتطائه الخيل للهو ، وشرائه الخمر للمتعة وإسراعه للنجدة .

٣٨ العَبْل : الضَخم . الجُزَارَة : القوائم .

• يمضي الشاعر في تَحَسّره على ما فات من حياته ، ذاكراً حضوره في الغارة الّتي تشن في الصباح ، تدليلا على بسالته ، وقد أدرك من خلال هذا البيت ذروة الغنائية والوجدانية منقطعاً عن الوصف الّذي يعبر عما رآه من الأشياء أكثر مما عاناه منها .

٣٩، ٤٠، ٤١ • في الأبيات الثلاثة الأخيرة يصف طموحه ويُلْقي بعض نظراته في الحياة والموت ، قائلا : إن المال القليل يكفيه ، لو أنّه يكتفي من الحياة بتحصيل العيش وإنما غايته أبعد من ذلك ، وهي تحصيل المجد العريق الذي ورثه ، إلا أنّ الإنسان ما دام حيّاً ، يظل يسعى وراء غاية لا يدركها ، ولا قبل له بالتخلي عنها .

ألا أنعم صباحاً

ينهج امرؤ القيْس في هذه القصيدة نهجَه في المعلّقة بتعدد الموضوعات الّتي تمثّل جوانب متباينة من حياته وتجاربه وهمومه . استهلّها بالحديث عن الطلل والظعائن ، كمطلع تقليدي ، مشبّها الراحلات بالنَّخيل النابت في أرض الحجاز . ثم يعرض إلى وصف أولئك النّسوة ، ذاكراً تضمخهن بالطيب وتزينهن بالزّنبق . ومن ، ثمَّة ، يعدل إلى التروّح بالناقة ، مُنْعماً بأوصافها ، في أوضاعها المتباينة ، ويشبهها بالظَّليم السَّريع العَدو الذي يهرع إلى مأواه ليتفقَّد فراخه .

وفي هذه القصيدة مقطع تغلب عليه الوجدانيَّة ، إذ يعرض فيه لمجونه ولهوه بالمرأة الليّنة البضّة ، تحت أحداق النجوم ، وغدوّه للصّيد بفرس قويّ ، متماسك ، يصفه ويصف صيده والشواء الذي أشتووه بما تبقى من أبيات .

وتمتاز هذه القصيدة بالإسهاب في وصف الصّيد ، وتتبّع حركات الفرس والظلايم والطريدة ، بحيث تغلب عليها النَّزعة السَّردية الحيَّة ، والأحداث المُنْتقاة انتقاء غلوّ ، لتؤدي إلى المثال الوصفي الذي يدأب الشَّاعر عليه . وتخطر فيها فلذات من الوصف الغزلي الذي يرمز فيه بالمرأة حيناً ، إلى حالة من أحوال السَّعادة والطمأنينة والنعيم في الحياة ، وحيناً آخر ، إلى نوع من اللَّذة الحسيَّة العنيفة الحَذرة . والقصيدة تمثّل ، في مضمونها العام ، موقف الشاعر من الحياة ومعانيها ، وما يُقْبل عليه منها ، وما يثيره من عطاياها ، وهي ، في ذلك ، قلَّما تختلف عن سائر قصائده :

ألا أنْعِم صَباحاً

١ أَلا أَنْعَم صَبَاحاً ، أَيُّهَا الرَّبْعُ وَانْطِقِ وَحَدِّثْ حَدِيثَ الرَّكْبِ إن شئتَ واصْدُقِ

٢ وحَدِّثْ بِأَنْ زَالَتْ بِلَيْلٍ حُمُولُهُمْ ، كَنَخْلٍ مِنَ الأَعْرَاضِ ، غَيْرِ مُنَبَّقِ

٣ جَعَلْنَ حَوَايَا ، واقْتَعَدنَ قَعَائِداً ، وحَفَّفْنَ مِنْ حَوْكِ العِرَاقِ المُنَمَّقِ

٤ وَفوْقَ الْحَــوَايَا غِـزْلَـةٌ وَجَـآذِرٌ ، تَضَمَّخْنَ مِنْ مِسْكٍ ذَكيٍّ وَزَنبَقِ

٥ فَأَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي ، وَقَدْ جَالَ دُونَهُمْ غَوَارِبُ رَمْلٍ ، ذِي أَلاءٍ وشِبْرِقِ

---

١ أَنعَمْ صباحاً : تحيَّة أهل الجاهليَّة . الركب : جمع راكب ويطلق على القوم راكبي الإبل والخيل . الربع : الدار أو الحي .

• يخاطب الرَّبع فيقول : نعمت صباحاً ، فانطق ، وأصدقني الحديث ، عَمَّا حلّ بالركب .

٢ الحُمُول : الإبل التي يحتمل عليها . الأعْرَاض : جمع العرض ، أودية . غَيْر مُنَبَّق : يعني غير مستو ، ولا مهذّب .

• وقلْ : إنهم قد ترحَّلوا ليلا ، وساروا متفرّقين ، كنخل نابت في أرض الحجاز .

٣ الحوَايا : جمع حويَّة ، وهو مركب النّساء . منْ حَوْك العرَاق : يعني مِمَّا يُحَاك بالعراق . المُنَمَّق : المزّين أو الموشَى .

• اتخذن الحوَايا مجلساً ، وهن يلبسن ثياباً من نسيج العراق ، موشّاة ، ومزخرفة .

٤ غِزْلَة : جمع غزال . الجآذر : جمع جؤذر ، وهو صغير الغزال والمها . تَضَمَّخْنَ : تطيَّبن .

• شبَّه النّساء في الهوادج ، بغزلان وجآذر . وقد تَطَيَّبْنَ بالمسك والزّنبق .

٥ طَرْفي : عيني . غَوَارب رَمل : أعاليه . الألاء : شجر . الشبْرق : شجر أيضاً ، وأكثر ما يكون في الرّمل .

• نظرت إليهم طويلا ـ أي إلى الركب ـ وقد حالت دونهم ، أعالي الهضاب ، وفيها شجر من الألاء والشبْرق .

٦ عَلَى إثْرِ حَيٍّ ، عَامِدِينَ لِنِيَّةٍ ، فَحلُّوا العَقِيقَ أَوثَنِيَّةَ مُطْرِقِ

٧ فَعَزَّيْتُ نَفْسِي ، حِينَ بَانُوا بِجَسْرَةٍ أَمُونٍ ، كَبُنْيَانِ اليَهُودِيِّ ، خَيْفَقِ

٨ إِذَا زُجِرَتْ ، أَلْفَيْتَهَا مُشْمَعِلَّةً ، تُنِيفُ بِعِذْقٍ من غِرَاسِ ابنِ مُعْنِقِ

٩ تَرُوحُ ، إذا رَاحَتْ رَوَاحَ جَهَامَةٍ ، بِإِثْرِ جَهَامٍ رَائِحٍ ، مُتَفَرِّقِ

١٠ كأَنَّ بِهَا هِراً جَنِيباً ، تَجُرُّهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ ، صَادَفَتْهُ وَمَأْزِقِ

١١ كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالقِرَابَ وَنُمْرُقِي عَلَى يَرْفَئِيٍّ ذِي زَوَائِدَ ، نَقْنِقِ

---

٦ عَامدين لنيَّة : قاصدين الوجه الَّذي يريدونه . حَلّوا : نزلوا . مُطْرق : واد . ثَنِيَّة : عقبة منه فيها فرجة . العَقيق : مكان ، ومنها في الجزيرة عدد عرف بهذا الإسم أهمها عقيق المدينة المنورة .

• قاصدين سبيلا يريدونه ، فنزلوا في العقيق ، وفي ثنيَّة من الوادي المُحيط به .

٧ حينَ بَانُوا : حين انقطعوا . الجَسْرَة : النَّاقة الطويلة . الأمون : النَّاقة الموثَّقة الخلق ، ويقال : هي الَّتي يؤمن عثارها . الخيفق : الطويلة .

• فعزَّيْتُ نفسي ، حين بعدوا عن عيني ، بناقة طويلة ، تَتَحمَّل مشاق السفر ، متينة كحصن اليهودي .

٨ أَلْفَيْتَهَا : وجدتها . مُشْمعِلَّة : سريعة خفيفة في السَّير . عِذْق : عُنُق . ابْنُ مُعْنق : رجل كان يجيد غرس النَّخيل .

• إذا زُجِرَتْ وجدْتها ، سريعة ، خفيفة ، ماضية ، تشرف بعنق ، كأنَّه نخلة ابن مُعْنق .

٩ الجَهَامَة : السَّحابة ، والجمع الجهام ، وهي الَّتي قد أراقت ماءها . لذلك فهي خفيفة سريعة ، حين تطردها الرياح .

• تسير كأنَّما تدفعها ريح قويَّة ، كما تمرّ السَّحابة البيضاء الَّتي قد أراقت ماءها .

١٠ جَنيب : أي مَجْنوب . صَادفَتْه : مرّت به . المَأزِق : الطَّريق الضيّق .

• يقول : كأنَّها لسرعتها ونشاطها ، قد جُنِب بها هرّ ، فهو لا يزال يُخَدشُها ، فهي لا تستقرّ ، بل تمضي مُسْرعة .

١١ القِرَاب : وعاء يتَّخذ من أديم ، وأصله الغلاف . النُّمْرق : السَّرج . عَلَى يَرْفَئي : يعني على ظَليم ، وهو الذكر من النَّعام . النَّقْنق : اسم من أسماء الظليم .

• فكأنّي ورحلي على ظهر ظليم ، ذي عدو سريع .

١٢ تُرَوِّحُ مِنْ أَرْضٍ لِأَرْضٍ نَطِيَّـةٍ   لِذِكْرَةِ قَيْضٍ ، حَوْلَ بَيْضٍ مُفَلَّقِ

١٣ يَجُولُ بِآفاقِ البِـلادِ مُغَـرِّباً ،   وَتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلَّ مَسْحَقِ

١٤ وَبَيْتٍ يَفُوحُ المِسْكُ في حَجَرَاتِهِ ،   بَعِيدٍ مِنَ الآفاتِ ، غَيْرِ مُرَوَّقِ

١٥ دَخَلْتُ عَلَى بَيْضَاءَ جُمٍّ عِظَامُهَا ،   تَعَفَّى بِذَيْلِ الدِّرعِ ، إِذْ جِئْتُ مَوْدِقِي

١٦ وَقَدْ رَكَدَتْ وَسْطَ السَّمَاءِ نُجُومُهَا ،   رُكُودَ نَـوَادِي الرَّبْرَبِ المتـورِّقِ

١٧ وَقَدْ أَغتدي ، قبلَ العُطَاسِ بِهَيْكَلٍ   شَدِيدِ مَشَكِّ الجَنْبِ ، فَعْمِ المُنَطَّقِ

---

١٢ لأَرْض : أي إلى أرض . النَّطِيَّة : البعيدة . القَيْض : فلق البيض وقشوره .

* يريد أن هذا الظَّلِيم ، حينما يمشي ، يرجع إلى بيضه مسرعاً ، قاطعاً أرضاً إلى أرض ، لتَذَكُّره فلق البيض ، وقشوره ، أي لتذكره فراخه الصغيرة .

١٣ يَجُول : من الجَوَلان ، وهو الدَوران والذهاب والمجيء . آفاق البَلاد والسَّماء : نواحيها ، وأقطارها . مُغَرِّبا : يعني مُبعداً ذاهباً . تَسْحَقُه : تبعده وتذهب به .

* يجوب آفاق البلاد وأقطارها ، وتأخذ به ريح الصَّبا ، فتبعده إلى أقاصي الأرض .

١٤ يفُوح : يضوع . حَجَرَاته : نواحيه . غَيْرَ مُرَوَّق : ليس له رواق .

* وبيت يفوح أريج المِسْك في أرجائه ، بعيدٌ عن الرزايا والمصائب ، خال من الأروقة .

١٥ جُمّ عظَامُهَا : أي لا نتوء لعظامها . تَعَفَّى : تنمحي . مَوْدِقي : أثر قدمي . الدرع : قميص المرأة الحدثة .

* يصفها باللِّين والبضاضة ، فكأن السِّمن أخفى عظامها ، فهي جَمَّاء ، وهذا دليل النعمة والرفاهية ، ثم يقول : دخلت عليها . فَسَحَبَتْ ذيل قميصها خلفي ، فَمَحَتْ آثار أقدامي .

١٦ رَكَدَتْ : سكنت ، يعني النجوم . النَّوَادي : أوائل الوحش ها هنا . الرَّبْرَب : القطيع من البقر الوحشيّ . المُتَوَرِّق : آكل الورق .

* وقد ركَدت النجوم ، في كبد السماء ، وكأنّها لا تسير ، كركود قطيع الظباء ، بعد تناولها ورق الشَّجر .

١٧ أغْتدي : أخرج غدوة . قَبْل العُطَاس : قبل إنبلاج الصباح . الهَيْكَل : الفرس الضَّخم المُرتفع . شديد مشكّ الجنب : يعني شديد مغرز الجنب في الصّلب . فَعْم المُنَطَّق : ممتلىء الجوف .

* وقد أخرج ، قبل انبلاج الصباح ، على فرس ضخم ، مرتفع ، كأنه الهيكل المَبْني ، لاستحكام خلقه ، قويّ ، مُغْرز الجنب ، ممتلىء الجوف .

١٨ بَعَثْنَا رَبيئاً ، قبْلَ ذَلكَ مُخْمِلاً كَذِئبِ الغَضَا ، يَمْشِي الضَّرَاءَ وَيتَّقي

١٩ فَظَلَّ كمِثْلِ الخشْفِ ، يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ ، مِثْلُ التُّرابِ المُدَقَّقِ

٢٠ وَجَاءَ خَفِيّاً ، يَسْفِنُ الأَرْضَ بطنُه ترَى التُّرْبَ ، منهُ لاصِقاً كلَّ مَلْصَقِ

٢١ فَقَالَ : أَلَا هَذَا ، صُوَارٌ وَعَانَةٌ وَخَيْطُ نَعَامٍ ، يَرْتَعي مُتَفـرِقِ

٢٢ فَقُمْنَا بِأَشْلاءِ اللِّجَامِ ، ولم نَقُدْ إلى غُصْنِ بَانٍ نَاضِرٍ ، لم يُحَرَّقِ

٢٣ نُزَاوِلُهُ حَتَّى حَمَلْنَـا غُـلامَنَـا ، عَلَى ظَهْرِ سَاطٍ ، كالصَّلِيفِ المعَرَّقِ

---

١٨ الرّبيء والرّبيئة : الّذي يربأ للقَوْم ، أي يرقب الصّيْد من مكان مرتفع . مُخْملا : يخمل نفسه أي يسترها ويُخْفيها . كَذِئْب الغَضَا : الغضا شجر ، وأخبث الذئاب ما كان منشؤه ومأواه الغضا . يَمْشي الضَّرَاء : مشية فيها اختيال وتَبَخْتُر ، وذلك استتاراً من الصّيد .

* بعثنا الرّقيب ، قبل ذلك ، مُتَستّراً بأوراق الشَّجر ، كذئب الغضا ، لئلا يراه الصَّيد ، فينفر .

١٩ الخَشْف : ولد الظَّبية . وَسَائرُه مثْلُ التُّراب : أي قد لصق بالأرض .

* فكأنّ هذا الرقيب الذي بعثناه ، يزحف على بطنه ، كولد الظبي ، يرفع رأسه تارة ، ويخفضه أخرى ، لصق التراب ، حتى لا يراه الصيد .

٢٠ يَسْفِنُ : يمسح الأرض ببطنه ، يعني يزحف زحفاً .

* فجاء يمسح الأرض ببطنه زحفاً ، وقد لصق به التّراب ، فهو لا يكاد يبين .

٢١ الصّوَار : القطيع من المها أوبقر الوحش . العَانَة : قطيع من حمر الوحش . الخَيْط : جماعة النعام .

* فقال : هذا قطيع من المها ، وعانة من حُمُر الوحش ، وسرب من النعام . ترتعي متفرّقة .

٢٢ أشْلاء اللّجَام : حدائده .

* يريد : قمنا نحمل سيور اللّجام إلى الفرس ، وألجمناه ، ولم نقده إلى اللّجام لشدة العَجَلة والحرص على الصّيْد . وكنى بغصن البان عن الفرس ، أوعنقه ، أي كأنّه في حسنه وتثنيه وصفاء لونه ، غصنُ بان .

٣٣ نُزَاولُه : أي نعالجه . السَّاطي : الفرس البعيد الخطو . الصّليف : عود من أعواد الرّحل . المُعَرّق : الذي بُريَ ورُقّق .

* قمنا نعالجه ، محاولين إركان الغلام عليه ، ولم يركبه إلاّ بعد معالجة ، لنشاطه . (وشبَّه ضمور الفرس ، بعود الرحل الذي قد بري) .

٢٤ كَأَنَّ غُلاَمِي ، إِذْ عَلا حَالَ مَتْنِهِ ، عَلَى ظَهْرِ بَازٍ في السَّمَاء مُحَلِّقِ

٢٥ رَأَى أَرْنَباً ، فانْقَضَّ يَهْوِي أَمَامَهُ إِلَيْهَا ، وَجلاَّهَا بِطَرْفٍ مُلَقْلِقِ

٢٦ فقُلْتُ لَهُ : صَوِّبْ وَلا تَجْهَدَنَّهُ ، فَيُذرِك من أَعْلَى القَطَاةِ ، فَتَزْلَقِ

٢٧ وَأَدبَرْنَ كالجَزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ ، بِجِيدِ الغُلامِ ذِي القَمِيصِ المُطَوَّقِ

٢٨ وَأَدرَكَهُنَّ ثانِياً مِنْ عِنَانِهِ ، كَغَيْثِ العَشيّ ، الأَقْهَبِ ، المُتَوَدِّقِ

٢٩ فَصَادَ لَنا عَيْراً وَثَوْراً وَخاضِباً ، عِدَاءً ، وَلمْ يَنْضَحْ بماءٍ ، فَيَعْرَقِ

٣٠ وَظَلَّ غُلامي يُضْجِعُ الرُّمْحَ حَوْله ، لِكُلِّ مَهَاةٍ ، أَوْ لأَحْقَبَ سَهْوَقِ

٢٤ الحَال : موضع ركوب الفارس من ظهر الفرس . مَتْنُه : ظهره .

• كأنّ غلامي ، إذا ركب فرسي ، فمرّ مسرعاً ، جاداً في عدوه ، على ظهر باز ، قد حلّق في السماء . والشاعر يشير هنا إلى علو متن الحصان ، وسرعة عدوه .

٢٥ جَلاّها : نظر إليها . الطَّرْف المُلَقْلق : الّذي لا يقرّ بمكانه .

• كأنه على ظهر باز رأى أرنباً ، فانقضّ عليها ، ونظر إليها بطرف لا يفتر .

٢٦ صَوِّبْ وَلاَ تُجْهِدنَّه : أي خذ عفوه ولا تحمله على العدو الشديد . يُذرك ، من أَذْرَاه : صَرَعه . القَطَاة : عجز الدابة . فَتَزْلَق : فلا تثبت في مكانك .

• فقلت له : سُسْه باللّين ، وخُذْ عَفْوه عند اندفاعه ، ولا تجهده على العدو الشَّديد ، فيُلْقيك عن ظهره صريعاً .

٢٧ أدْبَرْنَ : ولَّيْنَ . الجزْع : الخَرَز اليماني . المُطَوَّق : أي اللابس الطوق .

• فولّت جماعة الوحش والنعام ، كأنّها الخَرَز المتفرّق في عنق الغلام اللاّبس الطّوق ، وهو لباس أبناء الملوك .

٢٨ أدركهن ثانياً من عنانه : أي أدرك الفرس الوحوش ، ولم يُخْرِج كلّ ما عنده من الجري ولم يتعب . الاقهب : الابيضن الكدر . المُتودق : اللامع برقه .

• وأدركَ الفرسُ الوحوش في حال عفوه ، لا في حال جهده ، كالمطرجاء بالسحاب الأبيض ، وقت العشاء .

٢٩ الخَاطب : ذكر النَّعام . العير : حمار الوحش .

• فصاد لنا عيرا وثوراً وظليماً ، موالاة ، واحدة بعد واحد ، دون أن يَعْرق .

٣٠ الأَحْقَب : حمار الوحش ، سُمّي كذلك لبياض حقَويه . السَّهْوق : الطويل الساقين .

• وظل غلامي يطعن بالرّمح ، كيف شاء ، كل بقرة وحشيَّة ، أو حمار وحشي طويل .

٣١ وَقَامَ طُوَالَ الشَّخْصِ ، إِذْ يَخْضِبُونَه ، قِيَامَ العَزِيزِ الفَارِسِيِّ ، المُنَطَّقِ
٣٢ فَقُلْنَا : أَلا قَدْ كَانَ صَيْدٌ لِقَانِصٍ ، فَخَبُّوا عَلَيْنَا كُلَّ ثَوْبٍ مُرَوَّقِ
٣٣ وَظَلَّ صِحَابِي يَشْتَوُون بِنَعْمَةٍ ، يَصُفُّون غَاراً بِاللَّكِيكِ المُوَشَّقِ
٣٤ وَرُحْنَا بِكَابْنِ المَاءِ ، يُجْنَبُ وَسْطَنَا تُصَوَّبُ فِيهِ العَيْنُ ، طَوْراً ، وَتَرْتَقِي
٣٥ وَأَصْبَحَ زُهْلُولاً ، يُزِلُّ غُلامَنَا كَقِدْحِ النَّضِيِّ ، بِاليَدَيْنِ المُفَوَّقِ

---

٣١ قَام طُوَال الشَّخْص : أي الفرس . يَخْضِبُونه : أي بالدم العزيز المنطق : والمنطق ذو المنطقة والتاج .

* يريد أن الفرس لمَّا قام ، كان طويل الظِّل ، لارتفاع شخصه ، وأخذوا يخضبونه بالدم ، لأنهم كانوا إذا ما صادوا على الفرس ، خضَبُوا ناحيته ، أوعنقه من دم الصيد ، ليُعْلم أنَّهم قد صادوا عليه . وقد شبَّه الفرس بالملك ، لجلال منظره ، وجمال خلقه .

٣٢ خبُّوا علينا : أي جعلوا . مُرَوَّق : ذو رواق .

* يقول : يا له من صيد عظيم ، ظفر به قانص خبير . ثم أظلونا بثوب ذي رواق ، وجعلوه كالخباء ، ليسترنَا من حرّ الشمس .

٣٢ اللَّكيك : اللَّحم المكتنز . المُوَشَّق : الذي يطبخ بماء وملح ، ثم يجفف ويحمله القوم معهم . وقوله : يَصُفّونَ غاراً : أي يملأن الغار من اللَّحم الذي يصفون .

* وظل أصحابي يَشْوون اللَّحم ، وهم في نعيم وسرور ، ويملأن الغار من اللحم المكتنز الذي يصفّون .

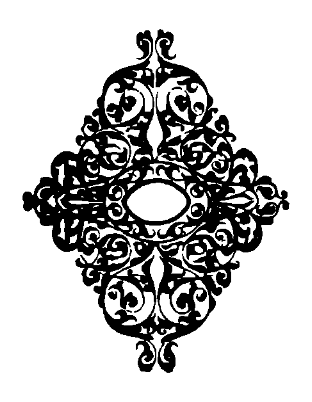
٣٤ ابْنُ المَاء : طائر طويل العنق ، شبَّه به الفرس في خفَّته وطول عنقه . وقوله : تُصَوَّب فيه العَيْن : أي تنظر العين إلى أعلاه وأسفله إعجاباً به .

* ورحنا بفرس كأنَّه ابن الماء في خفَّته وسرعة عدوه بيننا ، تنظر العين إلى أعلاه وأسفله إعجاباً به .

٣٥ الزّهْلُول : أملس الظهر . النَّضي : السهم الذي لا نصل له ولا ريش . المُفَوّق : الذي له فوق وهو موضع الوتر .

* وأصبح الفرس أملس الظَّهر ، لا يكاد غلامنا يستقرّ فوق ظهره ، لنشاطه ومرحه ، كأنَّه السَّهم المجرد عن النَّصل والريش .

٣٦ كأَنَّ دِمَاءَ الهَـادِيَـاتِ بِنَحْـرِهِ، عُصَارَةُ حِنَّـاءٍ ، بِشَيْـبٍ مُفـرَّقِ



٣٦ الهَادِيَات : السَّابقات من الوحوش . وقوله : عصارة حنَّاء بَشْيب مُفَرَّق : لأن عصارة الحنَّاء تتغلغل في الشَّعر المفرّق ، فتصبغه كلّه ، أكثر من تغَلغلها بالشعر المتلبّد . تصبغ الشعر الأبيض المتفرّق في الرأس فيبدو الاحمرار بُقَعاً وكذلك الدم بنَحْر الجواد .

* يريد أنّ هذا الفرس يدرك السابقات من الوحوش فيطعنها الفارس ويصبغ دمها نحره بقعاً كصبغ الحنَّاء للشَّيْب المفرق بالرأس .

في الطّريقِ إلى بيزَنْطِيَةَ

نظم الشاعر هذه القصيدة في طريقه إلى بلاد الرّوم ، بصحبة الشاعر عمرو بن قُمِيئَة ، على ما ذكَر الرّواة . استهلّها بوصف الطّلل والظّعائن ، فشبَّههنّ بالسفن المبْحرة والنَّخيل السَّامق الرويّ الّذي يَحْميه أصْحابُه بأسْيافهم ، ليجنوا ثمره الكثير ، ويجمعوه في السَّاجوم ، وهو بيانر التَّمرِ ، حيث يبدو كدُمًى موضوعة على مَرْمر . ومن ثمة ، يَكفّ عن الإستطراد في وصف النَّخيل ، ليُعاود وصف الظّاعنات النّاعمات ، المتطيّبات بأعرق الطّيوب في أبيات ومقاطع متفرّقة .

وعبر القصيدة ، يُشير إلى القُرى والأماكن الّتي اجتازها ، مُمْتَطِياً ناقة سريعة ، صلبة القوائم ، شاعرا بالحنين والغُرْبة ، يَتَعزّى ويعزّي صاحبه عن الحزن والبكاء ، بأنّه يطلب مُلْكاً ، إمّا أن يناله وإمّا أن يموتَ من دونه . وإذ يغتلي حماسه ويثار خيالُه ، يرسم صورة للجَيْش الذي سيجري على رأسه ، جامعاً فيه العرب فضلا عن الرّوم والأفراس التي ألفَتْ العدو والسّرى ، ويختتم القصيدة بأبيات تشاؤمية ، يظهر فيها يأسه من النّاس وسوء ظنّه بهم :

١ سَمَا لَكَ شوْقٌ ، بَعْدَ مَا كان أَقْصَرَا ، وَحلّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فعَرْعَرَا

٢ كِنَانِيَّةٌ ، بَانَتْ وَفي الصَّدْرِ وُدُّهَا ، مُجَاوِرَةٌ غسَّانَ وَالحَيَّ يَعْمَرَا

٣ بِعَيْنِيَّ ظَعْنُ الحَيِّ ، لمَّا تَحمَّلُوا ، لدى جانبِ الأَفلاجِ ، منجنبِ تيمُرَا

---

١ سَمَا : ارتفع وهنا بمعنى اشتدّ . أقْصَرَ : أقْلع . قَوٌ وعَرْعَر : موضعان .

• اشتد بك الشّوق ، بعد ركوده ، منذ رحلت سُلَيْمى ، وحلَّت في بطن قَوٍ وعَرْعَر .

٢ كنَانيَّة : نسبة إلى قبيلة كنانة . بَانَتْ : بَعُدت .

٣ بعَيْنِي : أي أفدي بعيني . الظّعْن : الرّحيل . الأفْلاج وَتَيْمَر : موضعان .

• أفدي بعيني النّساء اللّواتي تَحمّلن ، وسِرْنَ بجانب الأفلاج وتَيْمُر .

٤ فشبّهتُهُمْ في الآلِ ، لمَّا تَكمَّشُوا ، حَدَائِقَ دَوْمٍ ، أَوْ سفيناً مُقَيَّرَا

٥ أَوِ المُكْرَعاتِ ، من نَخِيلِ ابنِ يامِنٍ ، دُوَيْنَ الصَّفَا اللائي يَلِينَ المُشقَّرَا

٦ سَوَامِقَ جَبَّـارٍ ، أَثِيثٍ فُرُوعُــهُ ، وَعَالَيْنَ قِنْوَانـاً ، منَ البُسْرِ أَحْمَرَا

٧ حَمَتْهُ بَنُو الرَّبْدَاءِ ، مِنْ آلِ يَامِنٍ بأَسْيَافِهِمْ ، حَتَّىٰ أَقَـرَّ وَأَوْقَـرَا

٨ أَطَافَتْ بِهِ جَيْلانُ ، عِنْدَ قِطَاعِهِ ، تَرَدَّدُ فِيهِ العَيْـنُ ، حَتى تَحَيَّرَا

---

٤ تَكَمَّشُوا : تجمَّعوا . الدَّوْم : شجر يشبه النَّخيل . المقَيَّر : المُطْلي بالقار .

• يصف مشهد الرَّاحلات ، ويشبِّههن بحدائق النَّخيل والسَّفينة السَّوداء المطليَّة بالقار . والتشبيه يفيد الدقَّة البصرية والنَّقل الواقعي .

٥ المكْرَعات : جمع مكرعة وهي النخلة المغروسة في الماء . ابْن يَامن : نوتي مشهور وصاحب بساتين من النَّخيل . الصّفا والمُشَقَّر : موضعان .

• يكرر تشبيههنّ بالنَّخيل ، ويخصّه بالمكرعات ، وهي أنعم النَّخيل وأطولها لارتواء جذورها بالماء ، وفي الشطر الثاني يعيّن موضع النَّخيل ، فإذا هو دُوَيْنَ الصّفا ، فيما يلي المُشَقَّر . ولفظة « دُوَيْن » بصيغة التصغير ، تنمّ عن شغفه بالدقَّة شبه العلمية في تعيين معالم الأشياء : ومثل ذلك تكرار ألفاظ العلم ، وأسماء الأمكنة .

٦ سَوَامق : مرتفعات . جبَّار : الَّذي لا تطاله اليد لطوله . أثيث : كثيف . قنْوَان : جمع قنو ، وهو من النَّخلة كالعنقود من الكَرْمة . البُسْر : التمر .

• يستطرد عن وصف النّساء إلى وصف النَّخيل ، ذاكراً طوله ، وقصور الأيدي عن إدراكه وتناوله ، وكثافة عناقيده ، وعلوها ، مشيراً بذلك إلى استحالة إدراك تلك النّسوة من خلال وصف علو النَّخيل وسمقه .

٧ أقَرّ : ثَبُت . أوْقَرَ : كَثُر حمله .

• وصف النخيل كغاية بذاته ، ذاكراً حماته وأسيافهم ، ونضجه وكثرة ثمره . وهذا التشبيه هو نموذج للتشبيه الاستطرادي في شعره .

٨ جَيْلان : عمال كان كسرى يرسلهم إلى البحرين . القطَاع : قطاف النَّخيل .

• يمضي الشَّاعر بالحديث عن النَّخيل ، واصفاً قطافه على أيدي بني جيلان ، وهم عمَّال كسرى ، وقد بدا منظره رائعاً ، حتَّى أنه يبعث الحيرة في العين الّتي تنظر إليه .

٩ كأَنَّ دُمَى شَفْعٍ على ظَهْرِ مَرْمَرٍ، كسَا مِرْبَدَ السَّاجوم وَشْياً مُصَوَّرا

١٠ غَرَائِرُ في كِـنٍّ وَصَوْنٍ وَنِعْمَـةٍ، يُحَلَّينَ يَـاقُـوتاً وَشَذْراً مُفَقَّـرَا

---

٩ الدمُّى : جمع دميَّة ، وهي صورة مزيَّنة فيها حمرة كالدم . شَفْع : إسم مكان . المِرْبَد : للتَّمر هو كالبَيْدَر للقمح . السَّاجُوم : إسم واد .

* يصف التمر الذي يكسو مربد السَّاجوم بنَقْش ملوّن . فيشبهه بالدمى الموضوعة على مرمر .

وعند هذا البيت ينتهي التشبيه الاستطرادي الَّذي بدأ ، منذ أن شبَّه رحيل النّسوة بالنَّخل ، وقد أخذ بمشهد النَّخيل ، وانطلق في أثره مُهْملا وصف النسوة ، وهو موضوعه الأصيل . وهذه . الظاهرة تتكرر في شعره ، وشعر سائر الجاهليين ، مظهرة ضعف الحسّ الهندسي البنائي في شعرهم ، ووهن الوحدة العضوية . فشعرهم هو شعر الخاطرة ، أكثر مما هو شعر النمّو والتطور .

١٠ غَرَائر : جمع غريرة ، وهي المرأة التي لا تجربة لها . الكِّن : السّتْر . الشَّذر : اللّؤلؤ الصغير . مُفَقَّر : مثقوب للنظم في السلك .

* يعود في هذا البيت إلى ذكر النّسوة ، فاذا هنّ غرائر ، مطمئنات ، لا خبرة لهن بمحَن الحياة وتقلّباتها ، ولا توجّس لديهن مما سيأتي به ، وفرحهن بارتدائهن حلي الياقوت واللؤلؤ وتحليهن به دلالة على فرحهن بما يبهج الناظر دون التفات إلى المعنى البعيد للأشياء .

١١ وَرِيحَ سَناً في حُقَّةٍ حِمْيَرِيَّـةٍ ، تُخَصّ بمَفْروكٍ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرَا

١٢ وَبَاناً وأُلْوِيّاً مِنَ الهِنْدِ ذاكِيـاً ، وَرَنْـداً وَلُبْنـى وَالكِبَاءَ المُقَتَّـرَا

---

١١ السَّنَا : نبت يُتَداوى به . حُقَّة : وعاء للطِّيب . الأذفَر : الذي انتشرت رائحته الطيبة .

• ينتقل من وصف حليهنّ إلى وصف طيبهن ، جامعاً له الأسماء العريقة في تمثيله والإيحاء به ، كالحُقَّة الحميرية ، والمسلك المفروك الأذفر الشديد الرائحة . وهذا الوصف تجسيد غامض في وجدانه لحالة الشوق التي يعانيها اليهن . وبه ارتفع عن الوصف النقليّ الصِّرف إلى الوصف الايحائي ، معتمداً اللَّفظ والمعنى ، جميعاً ، كوسيلة للإيحاء .

١٢ البَان : شجر يُوخذ من حبّه دهن للتطيّب . الأَلْويّ : العود يُتَبَخَّر به . الرَّنْد : نبات طيّب الرائحة .

• يتابع وصف طيبهنّ ، فكأنه يحنّ إليهن برائحة الطِّيب المتضوّعة منهن ، وهي رمز نعيمهنّ وجمالهن ، ذاكراً البان والألويّ المنسوب إلى الهند . وهذه النسبة تضاعف من قدرته على الايحاء ، وتضفي عليه هالة من الطِّيب الأسطوريّ . ومثل ذلك ألفاظ رند ولبنى والكباء الذي يحمل معنى البخور ، وقد أدرك بذلك ذروة هذا الوصف الايحائي المُشْبع بروح القدم .

١٣ غَلِقْنَ برَهْنٍ من حَبِيبٍ بهِ ادَّعَتْ   سُلَيْمَى ، فأَمْسَى حَبْلُهَا قد تَبَتَّرَا
١٤ وَكَانَ لهَا في سَالِفِ الدَّهْرِ خُلَّةٌ ،   يُسَارِقُ بالطَّرْفِ الخِبَاءَ المُسَتَّرَا
١٥ إذا نَالَ مِنْهَا نَظْرَةً رِيعَ قَلْبُهُ ،   كمَا ذَعَرَتْ كأْسُ الصَّبوح المُخمَّرَا
١٦ نَزِيفٌ ، إذا قامَتْ لوَجْهٍ تَمَايَلتْ ،   تُرَاشِي الفُؤادَ الرَّخْصَ ألاَّ تَخَتَّرَا
١٧ أأَسْمَاءُ ، أمْسى وُدُّهَا قَدْ تَغيَّرَا ،   سَنُبدِلُ إنْ أَبْدَلتِ بالوُدِّ آخَرَا
١٨ تَذكَّرْتُ أَهْلي الصَّالِحينَ ، وَقد أَتَتْ   على خَمَلي خُوصُ الركابِ وَأَوْجَرَا

---

١٣ غَلقْنَ بَرهْن : من غلق الرهن بيد المرتهن أي أصبح ملكه . تَبَتَّر : انقطع .
* يصف حب هؤلاء النسوة ، فإذا هن مُرْتَهَنَات لحبهنّ ، يُسيَّرْنَ به تسييراً ، لا فكاكَ لهنّ عنه .
١٤ خُلَّة : الخليل . المُستَّر : الكثير الأستار .
* كان ذلك الحبيب خليلاً لسلمى ، يختلس إليها النَّظر من خلال الخباء الكثير الأستار . وهو يصف بذلك حرمانه منها وتشوّقه إليها .
١٥ رِيعَ : خاف واضطرب . الصَّبُوح : الخمرة الَّتي تشرب صباحاً . المُخَمَّر : الذي أكثر من شرب الخمر .
* كان ذلك الحبيب ، إذا وقعت عينا حبيبته على عينيه ، إضطرب قلبه وخفق ، كما يضطرب الخمران ، إذ يحتسي كأس الشراب ، صباحاً . وفي هذا البيت وصف وجْداني جميل لحالة العاشق والخمران ، معاً .
١٦ نَزيف : أي متمايلة ، تَخَتُّر : تراخي .
* يصف في هذا البيت مشْيَتَها ، فإذا هي ذات دلّ ، تسير ببطء ، كأنّها سكرى ، وكأن قلبها أصابه الأعياء ، فهي تشددُ من عزيمته ليقوى على السَّير ، والصورة ، بمجملها ، وسيلة لتجسيد إغوائها في السَّيْر ، وهي صفة للجمال مُحبَّبة عند العرب .
١٧ يهتف الشاعر بأن وُدّ أسماء قد تغيَّر ، وأنّه أوشك أن يستبدل حبها بحب آخر من دونه ، ليقابلَها بالمثل .
١٨ خملي وأوْجر : موضعان .
يقول : لما صرت إلى هذين الموضعين ، تذكرت أهلي واشتقْتُ إلى لقياهم . وهو ينتقل هنا إلى وصف غربته في طريقه إلى بلاد الروم .

١٩ فَلمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ في الآلِ دُونها ، نَظَرْتَ ، فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِك مَنْظَرَا

٢٠ تَقَطَّعَ أَسْبَابُ اللُّبَانَةِ وَالهَـوَى ، عَشيَّةَ جَـاوَزْنَـا حَمَـاةً وَشَيْـزَرَا

٢١ بِسَيْرٍ يَضُجُّ العَـوْدُ مِنْهُ يَمُنُّـهُ أَخُو الجَهدِ ، لا يَلْوِي عَلَى مَنْ تعَذَّرَا

٢٢ وَلم يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَـائِناً ، وَخملاً لَهَا كالْقَهْرِ ، يَوْماً مُخَدَّرَا

٢٣ كأَثْلٍ من الأَعْرَاض من دُون بَيْشَةٍ ، وَدُونِ الغُمَيرِ عَامِدَاتٍ لِغَضْـوَرَا

٢٤ فدَعْ ذا ، وسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بجَسْرَةٍ ذَمُولٍ ، إذا صَامَ النَّهارُ وَهَجَّرَا

---

١٩ آلآل : السَّراب .

* لما ظهرت حوران ، وقد غشيهَا السَّراب ، نَظَرت فلم تقع على منظر يؤنس ، وهذا البيت استكمال لمعنى الوحشة الَّذي بدأه في البيت السابق .

٢٠ حَمَاة وَشَيْزَر : إسما بلدين شمال حمص في الطريق إلى حلب .

* لما جاوزت حَمَاة وشَيْزر ، تقطعت أسباب الحاجة إلى من أحببت ، وذلك لانشغالنا بالشَّدائد الَّتي تحيطُ بنا .

٢١ العَوْد : المُسنّ من الإبل . يَمُنّه : يهزله من شدة السير . تَعَذَرَ : أي صعب عليه متابعة السير ، فهم لا يلوون عليه ، بل يدعونه وشأنه ، وذلك مغالاة بشدة السَّير ، وتمثيلاً لبُعد الغاية وجدهم من دونها .

٢٢ الخَمْل : الطنفسة . القَهْر : الهَوْدج . المُخَدر : المستور .

* لم يُنْسني ما قد لقيت من عناء السَّفر ، نساء يسرعن في الهوادج ، وخَمْلاً حُفَّتْ به حُمولتهن ، فبدا كهودج مستور . وفي هذا البيت مناقضة لمعنى بيت سابق .

٢٣ الأَثْل : الشجر . الأعْرَاض : الأودية . بَيْشَة والغَمير وغَضْوَر : أسماء أمكنة .

* يشبه هوادج النِّساء الظَّاعنات بالأثل ، وهو نبات طويل أخضر ، أمَّا أسماء الأمكنة ، فهي تدقيق بالمَعَابر الَّتي إجتازتها القافلة .

٢٤ الجَسْرَة : النَّاقة القوية . الذمُول : السريعة . صَامَ النَّهار : إذا بلغ أشده ، أي عند إشتداد الحرّ في الظهيرة .

* دع ذكر الظعائن ، والانشغال بهن ، وسَلّ نفسك بالسفر على هذه الناقة الشديدة ، السَّريعة التي لا يُثْنيها الحرّ عن السير ، مهما كان شديداً . وفي قوله : « صَامَ النَّهار » ، صورة وجدانية تنسب الصوم إلى ما لا ينسب إليه .

٢٥ تُقَطِّعُ غِيطَاناً ، كَأَنَّ مُتُونَهَا ، إِذا أُظْهِرَتْ تُكسَى مُلاءً مُنشَّرَا

٢٦ بَعِيدَةُ بَيْنَ المَنْكِبِيْنِ ، كَأَنَّمَا تَرَى عند مجْرَى الضَّفرِ هِرًّا مُشجَّرَا

٢٧ تُطايِرُ ظِرَّانَ الحَصَى بمَنَاسِمٍ صِلاَبِ العُجَى ، مَلْثومُهَا غيرُ أَمعَرَا

٢٨ كَأَنَّ صَلِيلَ المَرْوِ حِينَ تُشِذُّهُ ، صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بعبقَرَا

٢٩ عَلَيْهَا فَتىً لم تحمِلِ الأَرْضُ مِثْلَهُ أَبَرَّ بِمِيثَاقٍ ، وَأَوْفَى وَأَصْبَرَا

---

٢٥ الغيطَان : جمع غائط ، ما انخفض من الأرض واطمأن . مُتُونُها : جمع متن : أي ما ارتفع من الأرض . المُلاء : المَلاحف البيض .

• إن تلك الناقة ، تقطع تلك الأودية ومتونَها ، فيما يكون الآل قد انتشر ، وبدا كالملاحف البيضاء . والصورة مستمدة من واقع الصحراء ، اقتبسها الشاعر للتدليل على قوّة الناقة ، وشدّتها على المصاعب .

٢٦ الضّفْر : الحزام . المُشَجَّر : المربوط .

• يصف ناقته بالنّشاط كأن هرّاً رُبط عند مجرى حزامها ، فهو يخدشها بأظافره ويجعلُها تَنْفر . والصورة بدائية تعبر عن توسل الشاعر بالوسائل الخارجية للتعبير عن المعنى الداخلي .

٢٧ ظرّان : حجارة لها حدّ . العُجَى : جمع عجاية ، وهي قدر مضغة توصل بعصبة تنحدر من ركبة البعير . الأمْعَر : الذي ذهب شعره .

• تسير سيراً حثيثاً ، فتتطاير الحجارةُ من دون أخفافها . ويداها ورجلان صلبتان ، إذا ضَرَبَت الحجارَةُ شعْرَ عُجَاها ، لم تُؤثّر فيه . وكلها للتدليل على قوّتها وصلابتها .

٢٨ المَرْو : الحجارة التي تَقْدح ناراً . تُشذه : تُنَحّيه . الزّيُوف : الدراهم الزائفة . يُنْتَقَدن : يجربن بالأصابع . عَبْقَر : موضع في اليمن .

• شبه صوت الحجارة ، إذا دفعتها ، ووقوعها ، بعضاً على بعض ، بصوت الدراهم الزائفة التي ينتقدها الصيرفي . وللتشبيه دلالة على جانب من جوانب الحياة الاقتصادية ، عصرئذ .

٢٩ الفَتَى : إشارة إلى نفسه ، وهو الّذي يسعى لتحقيق غاية ، أقسم ألا يتخلى عنهـا ، فعمله وفاء لها ، وتصبّر من أجلها .

٣٠ هَوَ المُنْزِلُ الآلافَ من جَوِّ نـاعِطٍ بَني أَسَدٍ حَزْناً من الأَرْضِ أَوْعَرَا

٣١ وَلَوْ شاءَ كانَ الغزْوُ من أَرْضِ حِميرٍ، وَلٰكِنَّهُ عمْداً إلى الرّومِ أَنْفَـرَا

٣٢ بَكى صَاحِبِي لمَّا رَأَى الدَّرْبُ دُونه ، وَأَيْقَنَ أَنَّـا لاحِقَانِ بِقَيْصَـــــرَا

٣٣ فقُلْتُ لَهُ : لا تَبْكِ عَيْنُكَ ، إِنَّمَا نُحَاوِلُ مُلْكاً ، أَوْ نمُوتَ ، فنُعْذَرَا

٣٤ وَإِنِّي زَعِيمٌ ، إنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً ، بسَيْـرٍ تَـرَى مِنْهُ الفُـرَانِـقَ أَزْوَرَا

٣٥ عَلَى لاحِبٍ ، لا يَهْتَدِي بِمَنَـارِهِ إذا سَافَهُ العَـوْدُ النُّبَاطيُّ ، جَرْجَرَا

---

٣٠ نَاعط : حصن بأرض هَمَذان . جَوّ : أرض في اليمامة .

يتابع وصف قوته وصموده ، ذاكراً أنه يجيِّش الآلاف وينحدر بها من ناعط ، ثم يهدد بني أسد ويدعوهم أن ينزلوا في الأرض الخشنة ، والتحصن في الجبال ، تحسّباً لغاراته ، وإدراء لها .

٣١ * لو شئت لغزوتهم من حمْير بقومي وأصحابي ، ولكنّني لجأت إلى الروم عن عمد ، لأظهر مجدي وإن أحلافي هم الروم أنفسهم وليس بنو قومي وحسب .

٣٢ صَاحِبُه : هو عمرو بن قَمِيْئَة اليَشْكري .

* لما جاوزنا بلاد العرب ، وبلغنا بلاد الروم ، وأدرك صاحبي أنّ بلاده غدت نائية عنه ، تفصله عنها درب طويل ، بكى حنيناً ووَجداً .

٣٣ * أجابه الشاعر بقوله : لا تَدعْ دموعَك تَنْهمر ، فنحن نسعى إلى استعادة ملك ، فإمَّا أن نستعيده ، وإما أن نموت من دونه ، فنعتذر عن فشلنا في بلوغه . وفي ذلك تأكيد أنَّه لا يحول بينه وبين استرجاع ملكه وثأره من بني أسد ، إلا الموت . وما سعيه إلى القيصر إلا إمعان في طلب الثأر .

٣٤ الفُرَانق : الأسد . الأزْوَر : المائل ، الذي يسير مجانباً لشدة السير .

* يقول لصاحبه : انني كفيل بأن أعودَ من لدن قيصر ، مملَّكاً يعدو إلى بلاده بالجيش عدواً مُضْنياً ، تميلُ له جوانب الأسود وتعيا عنه . وفي ذلك تصوير لشدة تحفّزه للثأر .

٣٥ اللاّحب : الطريق . سَافَهُ العَوْد : إذا شامه المسنّ من الإبل صوّت ورغا لبعده ومشقّته . النَبَاطيّ : هو الجمل الضّخم . جَرْجَرَ : رغا وضج .

* سأسير على طريق لا عَلَم فيه ، ولا منارة يُهْتَدى بها ، تَعجز عن إرتياده الإبل القوية ، فترْغي وتعول ، تمنّعاً وتعسّراً . واللاّحب هنا بمعنى الطريق الخفيّ .

٣٦ عَلَى كُلِّ مَقْصُوصِ الذُّنابى . مُعَاوِدٍ بَرِيدِ السُّرَى باللَّيْلِ من خيلِ بَرْبَرَا

٣٧ أَقَبَّ كسِرْحــان الغَضَــا ، مُتَمَطِّرٍ، تَرَى الماءَ من أَعْطَافِهِ . قد تحدَّرَا

٣٨ إذا زُعتَهُ من جانِبيْــهِ كِلَيْهِمَـا ، مَشَى الهَيْدَبى في دَفِّـهِ ، ثمّ فَرْفَرَا

٣٩ إذا قُلْتُ رَوِّحْنَا ، أَرَنَّ فُــرَانِقٌ على جَلْعَدٍ ، وَاهي الأَباجِلِ أَبْتَرَا

---

٣٦ الذنَابى : المُعَاود : المواظب . البَريد : الرّسول . السّرَى : السير ليلاً . بَرْبَر : أمة من قيس عيلان بين الحبش والزنج .

* يصف الفرس الّذي يسير به ، فإذا هو مقصوص الذنب ، ألف السَّير في الليل ، دون كَلَل ، من خَيْل بَرْبر ، وهي أعظم الخيل وأقواها . ونسبة البريد إلى السرَى ، هي نسبة فنيَّة جميلة ، إذ نسب السرّى إلى البريد ، أو البريد إلى السرى ، مُضيفاً على الفرس خاصة وجدانية .

٣٧ أقبّ : الضّامر . السّرْحَان : الذئب ، وخصّه بالغَضا لأن ذئب الغضا أخبث الذئاب . المُتَمَطّر : الذي يعدو على وجهه .

* إنّ ذلك الفرس نحيل ضامر ، كذئب الغضا ، يعدو عدواً سريعاً ، هائماً على وجهه ، لا يلوي على شيء ، ينهمر العرق من أعطافه انهماراً . والصورة الحسيَّة ، استعملت هنا ، للغلو بقوّة العدو والاحتمال .

٣٨ زُعْتُهُ : جذبتُه باللّجام ، من الفعل وزَع اللجام في فيه . الهَيْدَبى : مَشيٌ فيه تَبَخْتُر الدّفّ : الجنب . فَرْفَر : نفض .

* يوالي الشاعر وصف الفرس ، وهو وصف استطراديّ ، يلمّ فيه بالجزئيات للإنعام بالغلوّ ، على ما شهدنا في أبيات سابقة . يقول : إذا عطفته بالركض تبختَر بالمشي ، ومال في أحــــد جانبيه .

٣٩ رَوّحْنَا : أرحنا . أرَنّ : صَوّت . فُرانق : دليل . جَلْعَد : فرس قوي . وَاهي الأبَاجل : ليّن العروق . الأبْتَر : المنقطع الذنب .

* إذا شق علينا السَّير ، ومال بنا الضّجر ، قلت للدليل خفّف عنا ، فيمضي بالغنــاء فيرنّ صوته .

٤٠ لقَـدْ أنْكَـرَتْـنِي بَعْلَبَكُّ وَأَهْلُهَـا ، وَلابنُ جُرَيجٍ في قرَى حِمصَ أنكَرَا

٤١ نَشِيمُ بُـرُوقَ المُزْنِ ، أَيْنَ مَصَابُهُ ، وَلا شَيءَ يَشْفِي منكِ يا بنَةَ عَفْزَرا

٤٢ منَ القاصِرَاتِ الطَّرْفِ ، لوْدَبَّ مُحْوِلٌ من الذرِّ فَوْقَ الإتْبِ منها لأثَّرَا

٤٣ لَهُ الوَيْلُ إنْ أمْسَى ، وَلا أُمُّ هَاشِمٍ ، قَرِيبٌ وَلا البَسْبَاسَةُ ابنةُ يَشْكُرَا

٤٤ أرَى أُمَّ عَمْرٍو ، دَمْعُهَا قـدْ تحَدَّرَا بُكاءً على عَمْرٍو وَمَا كان أصْبَرَا.

---

٤٠ بَعْلَبَكّ : مدينة لبنانية .

* لقد بعدت عن أهلي ، وشطَّت بي الدار ، حتى غدوت في مكان لا يعرفني فيه أحد . وذكر بعلبك هنا للتدليل على غربة المكان بالنسبة إلى الشاعر . وأما ذكره لابن جريج ، فللتدليل على غربة الأصحاب .

٤١ نَشيمُ : ننظر . المُزْن : السّحب الممطرة . أيْنَ مَصَابُهُ : أين تساقطه .

* هذا البيت يجسّد حنين الشاعر إلى من يحبّ ، ويمثل اللّوعة أصدق تمثيل . فهو يترقَّب المطر وينظر إلى موضع سقوطه ، لعلَّه يسقط في بلد حبيبته ، ثم يُرْدف بأن لا شيء يشْفي منك يا ابنة عفزرا : أي أن لوعة الحب لا تبارحه ، مهما شطَّت به الدار ، وتناءت عنه . فكل شيء يذكره بها ، وهو يحبّها بكل شيء ، حتى ليتمنى أن يسقط المطر في أرضها من دون سواها .

٤٢ القَاصِرَات الطَّرْف : أي اللّواتي يقصرن طرفهن على النظر إلى أزواجهن . المُحْول : ابْنَ سَنَة . الذرّ : النّمل الصغير . الإتب : ثوب غير مخيَّط على الجانبين .

٤٣ أمّ هَاشم والبَسْبَاسَة ابنة يَشْكُر : امرأتان .

* له الويل : يعني لنفسه الويل ، إن أمسى وقد بعدت عنه أم هاشم والبسباسة ابنة يشكر ، لما يصيبه من الوجد إليهما .

٤٤ أمّ عَمْرو : يقال : إنّها أمّ عمرو بن قميئة ، الّذي صحبه في سفره .

* لقد بكت أم عمرو على فراقه ، كما بكى هو لمّا رأى الدرب دونه ، فليس أحدهما أكثر صبْراً من الآخر .

٤٥ إذا نحْنُ سِرْنا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَرَاءَ الحِسَاءِ من مَدافِعِ قَيْصَرَا

٤٦ إذا قُلْتُ هذا صَاحِبٌ ، قد رَضِيتُهُ ، وَقَرَّتْ بِهِ العَيْنَانِ بُدِّلتُ آخَرَا

٤٧ كذٰلِكَ جَدّي ، ما أُصَاحِبُ صَاحِباً ، من النَّاسِ ، إلا خَانَني وَتَغَيَّرَا

٤٨ وَكُنَّا أُنَاساً ، قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ ، وَرِثْنا الغِنى وَالمَجْدَ أَكْبَرَ أَكْبَرَا

٤٩ وَمَا جَبُنَتْ خَيْلي ، وَلٰكِنْ تَذَكَّرَتْ مَرَابِطَهَا في بَرْبَعِيصَ وَمَيْسَرَا



---

٤٥ الحسَاء : جمع حسي . الموضع السَّهل الذي يستنقع به الماء . المَدافع : الأماكن المحميَّة .

* هذا البيت مرتبط بالَّذي سبقه ، إذ أنَّ أم عمرو بكت ، بعد أن غذيا وراء الحساء من أرض قيصر المحميَّة ، إثر سير دام خمس عشرة ليلة .

٤٦ ، ٤٧ جَدّي : حظّي .

* إنه يكاد لا يثق بصاحب من النَّاس ، حتى يلقاه قد تغيَّر . وفي هذا البيت يشرع بالتعبير عن آرائه في الحياة والناس ، فيبدو متشائماً ، يُسيء الظنّ بهم .

٤٨ قَرْمَل : ملك من ملوك اليمن ، انتصر على قوم امرىء القيس .

* يقول : إن شرفه متوارث ، قديم لم يقْدح به ، إلا انتصار قرمل عليهم .

٤٩ بَرْبَعيصٌ وَمَيْسَر : موضعان . معنى هذا البيت تكملة لمعنى البيت السابق . فقومه كما يزعم ، لم ينهزموا . لكنهم حنّوا إلى ربوعهم فعادوا إليها .

صَائِدةُ قُلوبِ الرجالِ

هذه الأبيات مجزوءة من قصيدة ذات معان سياسيّة ، استطرد فيها إلى وصف هرٍّ ، وهي امرأة اختلف النسَّابون في نسبها . فمنهم من قال : إنها امرأة عامرية ، وابنة سلامة بن عبد . ومنهم من يَرْون أنها كانت إحدى جواري أبيه حجر ، وقد وقعت في نفس الشاعر ، فَشبَّب بها ، مُتَوَاقعاً مع أبيه في سبيلها . ومهما يكن ، فإن الشاعر يصفها بِمثل ما وصف به النساء الأخريات ، في مشيتها المتهالكة ، الشَّديدة الإعياء في الدلّ والإغواء ، وفي طراوة عودها ورقة ملمسها وطيب ثغرها . والقصيدة ذات إيقاع رتيب في صيغ العبارة ، وتقابلها بمقاطع متشابهة ، إلا أن القافية أدخلت على رتابتها بعض الشَّجْو والتَّناغُمِ :

١ وَفِيمَنْ أَقَامَ مِنَ الحَيِّ هِرْ ... أَمِ الظَّاعِنُونَ بِهَا فِي الشُّطُرْ

٢ وَهِرٌّ تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، ... وَأَفْلَتَ مِنْهَا ابنُ عَمْرٍو حُجُرْ

٣ رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الفُؤادَ ، ... غَدَاةَ الرَّحِيلِ ، فَلَمْ أَنْتَصِرْ

٤ فَأَسْبَلَ دَمعِي ، كَفَضِّ الجُمَانِ ، ... أَوِ الدُّرِّ رَقْرَاقُهُ المُنْحَدِرْ

---

١ هر : هي ابنة سلامة بن عبد العامرية كما قيل . الشّطُر : جمع شَطير : الغريب . الظّاعنُون : السائرون . ظَعَنَ : سار .

* أهرّ بين المتخلّفين في الحيّ ، أم هي بين الظّاعنين .

٢ * وهر تَفْتِنُ وتَسْبي عقول الرّجال ، وأفلت منها ، أي من شباكها حجر بن عمرو .

٣ رَمَتْني بسَهْم : نظرت إليّ . الفُؤاد : القلب .

٤ فأسْبَلَ دمْعي : سال . كفضّ الجُمان : كحَبّ اللؤلؤ .

* فسال دمعي كحب اللؤلؤ والدر . وانحدر من مآقي رقراقاً ، وامرؤ القيس يكثر من ذكر الدموع في شعره ، كتمثيل حسي للعذاب .

٥ وَإِذْ هِيَ تَمْشِي كَمَشْيِ النَّـزِيـفِ ، يَصْرَعُهُ بِالكَثِيبِ البُهُـــرْ

٦ بَرَهْرَهَةٌ ، رُودَةٌ ، رَخْصَةٌ ، كَخُرْعُوبَةِ البَانَةِ المُنفَطِــرْ

٧ فَتُورُ القِيَامِ ، قَطِيعُ الكَلَامِ ، تفْتَرُّ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرْ

٨ كَأَنَّ المُدَامَ ، وَصَوْبَ الغَمَامِ ، وَرِيحَ الخُزَامَى ، وَنشْرَ القُطُرْ

٩ يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَـــابِهَا ، إِذا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِـرْ

١٠ فَبِتُّ أُكَابِدُ لَيْـلَ التَّمَـامِ ، وَالقَلْبُ ، من خَشْيَةٍ ، مُقْشَعِرْ

النَّزيف : المنزوف دمُه . البَهَر : انقطاع النَّفس . كثيب : تلّ رملي .

* وهي تمشي إغراء كمشي النزيف الذي يصرعه انقطاع النفس . يصف بذلك دلالها في مشيتها وإغواءها . والصورة إيحائيَّة ، وليست واقعية .

٦ بَرَهْرَهَة : رقيقة الجلد . الرُّودة : النَّاعمة . الخُرْعُوبَة : القضيب الغض . المُنْفَطر : الطريّ العود .

* هي رقيقة الجلد ، ناعمة المَلْمس ، بضَّة كعود غضّ طريّ . ونعت المرأة بالنعمة والرفاه والرقة ، يتردد في شعره ، ممثلاً به المرأة تمثيلاً وجدانيّاً ، يترادف به نعيم الجمال والسعادة .

٧ فَتُور القيام : متراخية . قَطيعُ الكلام : قليلتُه . تَفْتَرّ : تبسم . الغُرُوب : بياض الأسنان . الخَصر : البارد .

* متراخية الجسم ، قليلة الكلام ، تبسم عن أسنان بيض كاللؤلؤ . والمعنى ينطوي على فلذات متفرّقة من طبائع هذه المرأة وصفاتها ، مما يؤكد أن الشَّاعر يعتمد الخاطرة العابرة التي تعرض له عبر الموضوع الواحد ، وأنّ معانيه تراكميَّة ، لا نمّو فيها .

٨ ، ٩ المُدام : الخمْر . ريحُ الخُزَامَى : رائحة طيبة . نَشْر : ريح . القُطُر : عود للتبخير . يُعَلّ : يُسْقى مرة بعد مرة . طَرّبَ : شدا . المستحرّ : المغرّد بالسَّحر .

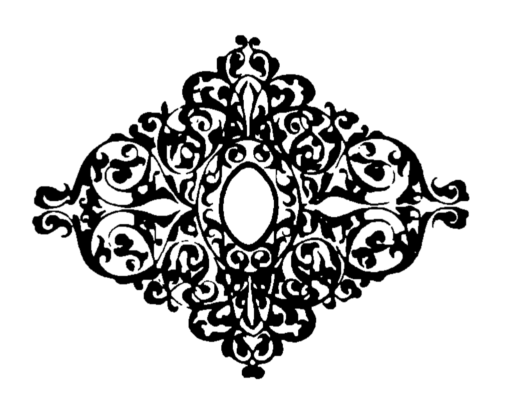
* يقول : إن فمها ذكيّ ، طيّب الرائحة ، حتى أنك تلقاها في الصَّباح الباكر ، دون أن يكون نفسها قد فسد ، بل إنك لتقع فيه على طعم الخمرة والمطر الرقيق ، وعلى طيب الخزامى والبخور .

١٠ لَيْلُ التَّمَام : أطول أيَّام السَّنة ، ذكَرَه للتدليل على سهره وعذابه من دونها .

١١ فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا . فَثَوْباً نَسِيتُ ، وَثَوْباً أَجُرّْ

١٢ وَلَمْ يَرَنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ . ولَمْ يُفْشِ مِنَّا لَدى البَيْتِ سِرّْ

١٣ وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا : يَا هَنَاهُ ! وَيْحَكَ ، أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرّْ



---

١١ تَسَدَّيْتُها : علوتُها . ثَوْباً أَجُرّ : جرّ الثوب وراءه لتغطية الأثر .

١٢ كَالِئٌ : مُراقب . كَاشح : غير ودود . يُفْشي : يُدلي بسرّ .

* لم يشاهدنا مراقب غير ودود . ولم يفش سرّنا لأحد .

١٣ رَابَني : خوّفني . يَا هَنَاه : يا هذا .

وقد رابني قولها : يا هذا ، لقد ألحقت بنا شرّاً مضاعفاً .

بَرْقٌ وَمَطَرٌ

١ أَعِنِّي عَلَى بَـرْقٍ أَراهُ وَمِيـضِ ... يُضيءُ حَبِيّاً في شَمارِيخَ بِيـضِ

٢ وَيَهْـدأُ تَاراتٍ سَنَـاهُ ، وَتَارَةً ... يَنُوءُ ، كَتَعْتَاب الكَسِيرِ المَهِيضِ

٣ وَتَخْـرُجُ مِنْهُ لامِعَـاتٌ ، كَأَنَّهَا ... أَكُفٌّ تلَقَّى الفَـوْزَ عند المُفِيـضِ

٤ قَعدْتُ لَهُ وَصُحْبَتي بَيْنَ ضَارجٍ ، ... وَبَيْنَ تِـلاعِ يَثْلَثٍ ، فالعَرِيضِ

---

١ وَميض : لامع . الحَبِيّ : سحاب أبيض . الشَّمَاريخ : الجبال المرتفعة .

* أعنّي على برق لامع ، يضيء السَّحاب المشرق فوق الجبال المرتفعة . وخص الجبال بالبياض إشارة إلى الغيوم ، والنّعت ورد لاستكمال واقعيَّة المشهد .

٢ سَنَاهُ : ضياؤه . يَنُوءُ : يحمل ثقلاً شديداً . التَعْتَابُ : مشي البعير على ثلاث قوائم . نَاقَــة كسير : مكسورة أحد القوائم . المَهيض : بمعنى الكسير .

* يسكن البرق ، حيناً ، ويختفي ، وأحياناً يتحرّك ببطء ، كأنه بعير كسرت قدمه ، وجعل يمشي على قوائم ثلاث ، بتثاقل وضيم . والصورة ماديَّة مستفادة من البيئة الجاهلية ، وهي تدني المشهد إلى البصر ، دون أن تمنحه غلوّاً وإيحاء . وفيها يطغى الخيال الحسي .

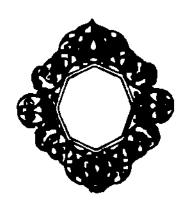
٣ الفَوْز : يعني هنا القَمْر . المُفيض : ما يضرب بقداح المَيْسر .

* كأن هذا البرق في السَّحاب لسرعته وانتشاره ، أكفّ تتسابق طمعاً في القَمْر والفوز بأفضل القداح . وتشبيه البرق بحركة اليد لا يقوم على فضيلة الإلتماع ، بل على تشابه الشكل البصري ، إذ أنّ البرق ، إذ يخطف على السحب يؤدي أشكالاً تشبه أشكال اليد المتحركة بسرعة .

٤ ضَارج : مكان . التِّلاع : جمع تلعة ، مجرى الماء . يَثْلَث والعَريض : مواضع .

* جلست مع صحبتي أراقبه ، بين ضارج وينابيع يَثْلَث والعريض . وهذا البيت يمتاز بالدقـة في تعيين الأمكنة ، ويشير إلى التصاق تجربة الشاعر . بحياته في البيئة التي يعايشها .

٥ أَصابَ قَطَاتَيْنِ ، فَسَالَ لِوَاهُمَا ، فَوَادِي البَدِيِّ ، فانْتَحَى للأَرِيضِ
٦ بِلادٌ عَرِيضَةٌ ، وَأَرْضٌ أَرِيضَةٌ ، مدَافِعُ غَيْثٍ في فضَاءٍ عَرِيضِ
٧ فَأَضْحَى يسُحُّ المَاءَ ، من كل فِيقَةٍ ، يَحُوزُ الضِّبَابَ في صَفَاصِفَ بِيضِ
٨ فَأُسْقِي بهِ أُخْتِي ضَعِيفَةَ ، إذْ نَأَتْ وَإذْ بَعُدَ المَزَارُ غَيْرَ القَرِيضِ



---

٥ قَطَاتَان وَأريض : أمكنة معروفة . وَادي البَديّ : لبني عامر في نجد . انْتَحَى للأَريض : أي مال إليها . وكثرة الأسماء هنا تفيد الواقعيّة ، وفي الآن ذاته ، الغلوّ إذ تظهر مدى انتشار البرق .
٦ أرْض أريضَة : ليِّنة . غَيْث : مطر .
* بلاد واسعة وأرض طيبة ومطر مدرار في فضاء واسع .
٧ الفِيقَةُ : المَطْرة الخفيفة . يَحُوزُ الضِّبَاب : يجمعها . الضّباب : جمع ضبّ ، حيوان بريّ من الزحافات كالتمساح الصغير تحترسه الأعراب في البادية وتأكل لحمه ، وذنبه كله عقد ، ومنه المثل : أعقد من ذنب الضبّ .
* يصف كثرة المطر وإسالته بطون الأرض بحيث خرجت الضباب من جحورها .
٨ القَريض : الشعر .
أدعو لأختي بالسقيا إذا بَعُدَ المزار ، وأنظم الشعر لها وأهديه إليها .

دِيمة هطلاء

كان الأصمعي ، يُحدث عن أبي عمرو بن العلاء ، أنه سأل ذا الرّمة فقال : أي الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ قال : امرؤ القيس في قوله : « ديمة هطلاء فيها وطف ... » . إلا أنّ الناظر في المقطوعات الشعرية ، الّتي وصف بها شاعرنا المطر ، يجد أنّ هذه المقطوعة أضعفها خيالاً ، وقدرة على التصوير . فالمعاني لا تنمو بانسجام ، بعضاً مع بعض ، كما أنّ الشاعر يفتقد خلالها إحساسه الهائل برعب العناصر وقوّتها . فهي دون ما وصف به المطر في معلقته ، وبعض الأبيات والمقطوعات المبثوثة في سائر قصائده .

١ دِيمَةٌ هَطْلاءُ ، فِيهَا وَطَفٌ ، طَبَّقَ الأَرْضَ ، تحَرَّى وَتَدِرْ

٢ تَخْرِجُ الوُدَّ ، إذَا مَا أَشْجَذَتْ ، وَتُوَارِيهِ ، إذَا ما تَشْتَكِرْ

٣ وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفاً ، مَاهِراً ، ثَانِياً بُرْثُنَهُ ، مَا يَنْعَفِرْ

---

١ الديمَة : المطر المتواصل . هَطْلاء : نازلة بقوة . وَطَف : كثرة أهداب العينين ومنه وطفاء ، وهو اسم مألوف للفتاة عند البدو . والوطفاء من السحاب تلك التي تدلّت ذيولها . طَبَّقَ الأرض : عمَّها . تَحَرّى : تغني . تَدرّ : تثبت في المكان .

وديمة كثيرة الأمطار . متدليَّة الذيول . لا ينقطع لها سحاب ولا يبين فيضها .

٢ الوُدّ : الوتد . أشجَذت : توقَّفت . تُوَاريه : تغطيه . تَشْتكر : تحتفل .

* عند سكون هذه الديمة ، يبدو وتد الخباء ، وعند هطولها يختفي . ومعنى هذا البيت يناقض معنى البيت السابق ، حيث وصف المطر بالانهمار المُلحّ الدائم ، فإذا هو ينحسر حيناً ، ويفيض حيناً آخر . والمشهد صادق في الواقع الحسي ، مشفّ في الواقع الفني .

٣ المَاهر : الحاذق . بُرْثُنَهُ : مخلب أو أصبع . الضَّبّ : من الزحافات .

* ترى الضَّبّ سريعاً في العدو ، ثانياً بُرْثنَه في الأرض ، فلا ينعفر بالتراب . ذكر الشاعر الضَّبّ في القصيدة السابقة ، وهو يعيد ذكره في هذا البيت ، كأداة من أدوات النقل والتقرير الوصفيّين ، وبذلك يتعفى أثر الخيال والانفعال معاً .

٤ وتَرَى الشَّجْرَاءَ ، في رَيِّقِــهِ ، كَـرُؤوسٍ ، قُطِعَتْ فِيهَا الخُمُرْ

٥ سَاعَةً ، ثُمَّ انْتَحَــاهَــا وَابِـلٌ ، سَاقِطُ الأَكْنَافِ ، وَاهٍ ، مُنْهَمِرْ

٦ رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَـا ، ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُــوبٍ مُنْفَجِــرْ

٧ ثَجَّ ، حَتى ضَـاقَ عَـنْ آذِيِّهِ عَرْضُ خيمٍ ، فَخُفَاءٍ ، فَيُسُرْ

٨ قَدْ غَـدَا يَحْمِلُني في أَنْفِـهِ ، لاحِـقُ الإطِلَيْنِ ، مَحْبُوكٌ مُمِرْ

---

٤ الشَّجْرَاء : الأشجار . الخُمُر : جمع خمار ، حجاب الرأس في ريّقه : في أوّله ، أو في مسيله .

* ترى الأرض المشْجرة ، وقد غمرها المطر ، حتّى رؤوسها ، فبانت كرؤوس قطعت ، وعليها الخمر .

٥ انتحَاهَا : ذهب ناحيتها . الوابل : المطر الشديد . الأكْنَاف : الجوانب . الوَاهي : المتداعي . المُنهَمر : المنصب .

* تخلل ذلك المطر وابل دان من الأرض لغزارته ، ينهمر انهماراً في تساقطه .

٦ رَاحَ : يعني السَّحاب ، أي عاد بالمطر في آخر النهار . تُمرية : تحركه . الصَّبَا : الرّياح الشماليَّة . شُؤبُوب : دفعة المطر وزخته .

٧ ثجّ : صبّ . آذيّه : مَوْجُه . عَرْض : سعة . خَيْم : مكان . خُفَاء : مكان . يُسُر : مكان .

* في هذا البيت تظهر قدرة الشّاعر على الإيحاء بقوة العناصر وهولها ، نازعاً ممّا شهده في بصره ، إلى ما عاناه في نفسه .

٨ اللاّحق : الضّامر . الأطلان : الخَنْصران . مَحْبُوك : مجدول . مُمَرّ : معتدل الخلق .

* قد غدا يحملني في أول هذه المطرة ، فرس ضامر الكشحين شديد ، محتبك الفرائص .

الفَرَسُ والعُقابُ والذِّئبُ

هذا المقطع مجزوء من إحدى قصائده البائيَّة ، يصف فيها العقاب والذئب ، استطراداً من تشبيه الفرس بالعقاب التي تنقضّ على فريستها ، بعد أن تشاهدها وهي مقيمة في إحدى المرتفعات . والشَّاعر يصف عراك العقاب وفريستها ، ممثِّلاً فيها مشهداً من مشاهد الصّراع في الحياة بين الحيّ والقدر الَّذي كُتبَ له . وفيها تعبير عن تجربة تنازع البقاء ، ومصيرُ الشَّقاء الذي يصيب المرء ، دون إرادته ، فيجتهد للخلاص منه ، ولا تُقَدّر له النَّجاة ، إلا إذا كانت قد كُتبَتْ له . وفي هذه القصيدة تكثر الأفكار التجريدية الَّتي تستقريءُ الأحداث ، والمظاهر استقراء حكَمِيَّاً :

١ كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الماءُ ، وَاحْتَفَلَتْ ، صَقْعَاءُ ، لاحَ لَهَا في المَرْقَبِ الذِّيبُ

٢ فَأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِن فَوْقِ مَرْقَبَةٍ ، ودُونَ مَوْقِعِهَا مِنْهُ شَنَاخِيبُ

٣ فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ في الجَوِّ ، كَاسِرَةً يَحُثُّها مِنْ هُويِّ الرِّيحِ تَصْوِيبُ

---

١ احْتَفَلَتْ : أسرعت جرياً . صَقْعَاء : بيضاء وهي صفة للعقاب ، وإنما سميت كذلك لبياض في أعلى رأسها . وقوله : فاض الماء : يريد بذلك العرق .

* يشبه فرسه ، بعد أن أسرعت في العدو ، ونَضَح منها الماء ، بعُقاب لاح لها الذئب .

٢ مَرْقَبَة : مكان عال . شَنَاخِيب : جمع شُنْخوب ، رؤوس الجبال .

* أبْصَرَتْه من بعيد ، وبينها وبينه رؤوس الجبال .

٣ هَويّ الرّيح : هبوبها . كاسرة : أي ضامَّة جناحَيْها . تَصْوِيب : إنحدار .

* أقبلت عليه مسرعة ، يدفعها هبوب الرّيح انحداراً .

٤ صُبَّتْ عَلَيْهِ ، ومَا تَنْصَبُّ مِنْ أَمَمٍ ، إنَّ الشَّقَاءَ على الأَشْقَيْنِ مَصْبُوبُ

٥ كالدَّلْوِ بتَّتَ عُرَاهَا ، وَهْيَ مُثْقَلَةٌ ، إذْ خَانَهَا ، وَذَمٌ مِنْها وَتَكْرِيبُ

٦ لا كالَّتِي في هَواءِ الجَـوِّ طَالِبَةً ، وَلا كَهَذَا الَّذي في الأَرْضِ مَطلُوبُ

٧ كالْبَرْقِ والرِّيحِ في مَرْآهُمَا عَجَبٌ ، مَا في اجتِهَادٍ عَلَى الإِصْرَارِ تَعْيِيبُ

٨ فَأَدْرَكَتْهُ ، فَنَالَتْـهُ مَخَالِبُهَـــا ، فَانْسَلَّ مِنْ تَحْتِهَا ، والدَّفُّ مَعْقُوبُ

٩ يَلُوذُ بِالصَّخْرِ مِنْهَا بَعْدَ مَا فَتَرَتْ ، مِنْهَا ومِنْهُ ، عَلَى الصَّخْرِ الشَّآبِيبُ

---

٤ صُبَّتْ عليه : نزلت عليه . الأَشْقَيْن : مثنى أشقى . أفعل من الشقاء .

• انحدرت إليه ، وكأنَّها انصبَّت انصباباً من عل ، كما يَنْصَبُّ الشَّقاء على من كُتبَ لهم . وهذه الصورة تُظْهِر وجهاً من وجوه التجريد الذي يندر في شعر امرىء القيس . وقد دأب على عرض الظاهرة ، دون أن يخلص منها إلى حكمة تُؤثَر .

٥ الوَذَم : السّيور في آذان الدلو . التَكْريب : جعل عليها الكرب . الكَرَب : حبل صغير يصل رشا الدلو بخشبته .

• إن انقضاض تلك العقاب على الذئب ، شبيه بسرعة سقوط الدلو الذي قطعت سيوره وهو ممتلىء ماء . والتشبيه يفيد الدقة الحسيَّة والغلوّ معاً .

٦ الطَّالِبَة : العقاب .

• لم أر كنجائه منها وهربه ، وهو مطلوب .

٧ الإِصْرَار : العزم .

• شبَّه سرعتهما بالبرق والريح . وليس ثمة عيب في أن يجتهد المرء ، ويصرّ على النَّجاة أو اللّحاق بمطلبه .

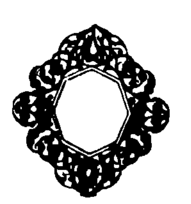
٨ الدّف : الجَنْب . مَعْقُوب : مصاب في عَقَبه .

• فأدركته وأنشبت فيه مخالبَها ، فهرب منها وجنبه معقوب .

٩ فَتَرَ : سكن . يَلُوذُ : يحتمي . الشآبيب : جمع شُؤبوب ، دفعة من المطر أو الماء . هذا في الأصل ، وقد جعلها للعدو والطيران .

• يحتمي بالصّخر ، بعد أن ضَعُفَتْ منها ومنه القدرة على العَدْو والطَّيران .

١٠	ثُمَّ اسْتَغَاثَتْ بِمَتْنِ الأَرْضِ تَعْفِرُهُ ،	وَباللِّسَانِ وبِالشِّدْقَيْنِ تَتْرِيبُ
١١	فَأَخْطَأَتْهُ المَنَايَا قِيس أُنْمُلَةٍ ،	ولَا تَحَرَّزَ ، إلا وَهْوَ مَكْتُوبُ
١٢	يَظَلُّ مُنْحَجِراً مِنْهَا يُرَاقِبُهَا ،	ويَرْقبُ اللَّيْلَ ، إنَّ اللَّيْلَ مَحْجُوبُ
١٣	والخَيْرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا غَرَبَتْ ،	مُطَلَّبٌ بِنَوَاصي الخَيْلِ ، مَعْصُوبُ



---

١٠ مَتْن الأرْض : سطحها . تَعْفره : تُمرّغه بالتراب . تَتْريب : ملطّخ بالرمل .

ه ثم لجأت إلى متن الأرض ، تعْفره به ، وقد غشي لسانه وشدقَيْه التراب .

١١ المَنَايَا : جمع منيَّة ، موت ، أجل . المَكْتُوب : المقضيّ به . قِيْس : قيد . لا تَحَرّز : لا نصيب .

ه فأخطأته المنايا قيد أنملة . ولا يصيب الإنسان إلاّ ما كُتبَ له .

١٢ مُنْحَجراً : مستتراً بشيء . اللَّيْل مَحْجُوب : لا ضياء فيه .

ه يظل مُسْتَتراً منها يراقبها ، ويرقب اللَّيل وهو في ظلام .

١٣ نَوَاصي الخَيْل : جباهها . مَعْصُوب : مربوط .

ه الخير معقود ، دائماً ، بنواصي الخيل ، ما طلعت شمس وما غربت .

فَرسٌ وصَيْد

١ وَمَرْقَبَةٍ ، كالزُّجِّ أشْرَفْتُ فَوْقَهَا ، أُقَلِّبُ طَرْفي في فَضَاءٍ عَرِيضِ

٢ فَظَلْتُ وَظَل الجَوْنُ عِنْدِي بِلِبْدِهِ ، كَأَنِّي أُعدِّي عَنْ جناحٍ مَهِيضِ

٣ فَلَمَّا أَجنّ الشَّمْسَ عني غؤورُهَا ، نَزَلْتُ إِلَيْهِ ، قَائِما بالحضِيضِ

٤ يُبارِي شَبَاةَ الرُّمْحِ ، خَدٌّ مُذَلَّقٌ كَصفحِ السِّنانِ الصُّلَّبِيِّ النَّحِيضِ

---

١ أقلب طَرْفي : أجول بنظري . المَرْقَبَة : مكان يراقب منه . كالزّجّ : كالحديدة التي تركَّب في أسفل الرّمح ، وهي دقيقة ومحددة .

* ومرقبة محددة أقمت فوقها ، أنظر الأفق البعيد .

٢ الجَوْن : الأدهم الشَّديد السَّواد . اللّبْد : ما يوضع تحت سرج الفرس . أعَدي : اتّقي المَهيض المكسور .

* إنّ حدة فرسي ونشاطَه ، جعلاني أتّقيه وأداريه ، كما أداري الجناح الكسير .

٣ أجَنّ : ستر . غُؤورُهَا : غيابها . الحَضيض : الأسفل .

* كنت فوق هذه المرقبة ، أرقب أصحابي ، نهاري كلّه ، فلمّا غابت الشمس وستَرَها عني مغيبُها ، نزلت إلى فرسي ، وهوقائم في الحضيض ، فركبْته ، وعدت إلى أهلي . والمعنى تقريري سردي .

٤ الشَّبَاة : الحدّ . المُذلق : رقيق وحاد . السّنَان الصّلّبيّ : مسنّ الحديد . النّحيض الرقيق

* إنّ خدّ هذا الفرس يباري سنان الرّمح في لمعانه ورقّته وقلّة لحمه . وفي المعنى غلو وإيحاء عبر الظاهرة الحسية ، لأن الشّبه بين سنان الرمح والفرس ، لا يستقيم على معادلة بصرية تامة ، بل على ومضة من ومضات الشّعور .

٥ أُخَفِّضُهُ بالنَّقْـرِ ، لمَّا عَلَوْتُـهُ ، وَيَرْفعُ طَرْفاً غَيْرَ جافٍ ، غَضِيضِ

* * *

٦ وَقَدْ أَغْتَدِي ، وَالطَّيْرُ في وُكُناتِها ، بِمُنْجَرِدٍ ، عَبْلِ اليَدَيْنِ ، قَبِيضِ

٧ لَهُ قُصْرَيَا عَيْرٍ ، وَسَاقَا نَعامةٍ ، كَفَحْلِ الهِجانِ ، يَنْتَحي للعَضِيضِ

٨ يَجُمُّ عَلَى السَّاقَيْنِ ، بَعْدَ كَلاَلِهِ ، جُمُومَ عُيُونِ الحِسْيِ ، بَعْدَ المَخِيضِ

٩ ذَعَرْتُ بها سِرْباً نَقِيًّا جُلُودُهُ ، كمَا ذَعَرَ السِّرْحانُ جَنْبَ الرَّبِيضِ

١٠ وَوالَى ثَلاَثاً ، وَاثْنَتَيْنِ ، وأَرْبَعاً ، وَغَادَرَ أُخْرَى في قَنَاةِ الرَّفِيـضِ

---

٥ أخَفّضُه : أُسَكِّته . النَّقْر : التمْتَمَة . الغَضيض : المسترخي الأجفان .

٭ أهدئ من روعه بالنّقر ، وإذ أمتطيه ، ينظر إليّ بطرف ناعس .

٦ العَبْل : الضّخم . القَبِيض : السَّريع والمعنى : الغدو مطلع تقليدي لوصف الفرس .

٧ القُصْرَيان : ضلعان . الهجَان : الإبل الكريمة . العَضِيض : النّهش .

٭ له ضلعا حمار وحشيّ ، وساقا نعامة ، وهو عظيم الهَيْكل ، كفحل من الإبل الكريمة ، ينتحي للعضيض .

٨ يَجُمّ الفَرَس : يترك دون ركوب ليذهب إعياؤه . الكَلال : التّعب . المَخْض : استخراج الماء بواسطة الدلو .

٭ إذا حُرّكَ بالسَّاقين واستُحثّ بهما ، كَثُر جريُه بعد إعيائه ، فكيف به قبل ذلك ؟ وقوله : « جُمُوم عُيُون الحِسْي » فانَّما هو تشبيه للفرس ، بعد كلاله بنبع ، يكاد لا يستخرج ماؤه حتى ينبعث منه من جديد .

٩ الرَّبيض : الغنم في مرابضها .

٭ ذعرتُ بهذا الفرس قطيع بَقَر من المها ، بيض الجُلُود ، كما ذعَر الذئب الغنم الرابضة .

١٠ الرَّفيض : المَكْسور .

٭ والى هذا الفرس ، وصاد من السِّرب ثلاثاً واثنتَيْن وأربعاً ، وغادر أخرى والرّمح متكسّر فيها . وفي الشطر الأول تمثيل واف ، ومقتضب لحركة الفرس في عدوه إثر الطَّريدة ، ومظهر من مظاهر القدرة على اقتناص التعبير الَّذي لا يقصّر عن غايته ، ولا يعدي عليها ، بل يدركها في حدود اللَّفظ المجرّد عن النّعوت والشّروح .

١١ فآبَ إيَاباً غيْرَ نكْدٍ ، مُوَاكِـلٍ وَأَخْلَفَ مَاءً ، بَعْدَ مَاءٍ فَضِيضِ

١٢ وَسِنٌّ كَسُنَّيْقٍ ، سَنَاءً وَسُنَّمـاً ، ذَعَرْتُ بِمِدْلاجِ الهَجيرِ ، نَهُوضِ

١٣ أَرَى المَرْءَ ذَا الأَذْوَادِ ، يُصْبحُ مُحْرِضاً كإحراضِ بَكْرٍ في الدِّيارِ مَـرِيضِ

١٤ كَأَنَّ الفَتى لم يَغْنَ في النَّاسِ ساعةً ، إذا اختلَفَ اللَّحيانِ عند الجَرِيضِ



---

١١ آب : رجع. المواكل : البطيءُ السَّير . الفَضيض : المَصْبوب .

* وعاد من طراده ، غير وهن ولا نكد ، وقد فاض منه العرق ، مرة إثر مرة ، لكثرة عدوه .

١٢ السِّنّ : الثَّور الوحشي . السُّنَّيْق : الصَّخرة . السَّناء : العلو . السَّنَم : الارتفاع . الدلَج : السَّير في اللَّيْل . الهجير : الحرّ .

وثور كالصَّخرة الصلبة ، ذعرته بفرس قد أَلفَ السَّير في الهجير . وقد استعار الدلج للسَّير في الحرّ لشدّته وقسوته .

١٣ المُحْرِض : الذي أسقمه المرض . البَكْر : الفَتِيّ من الإبل .

* إن المرء يصير إلى الكبر والمرض بعد أن كان ذا مال ، كأنَّه فَتِيّ من الإبل ، رخص ، واهن القوة .

١٤ اللَّحْيان : العظمان ينبت عليهما شعر اللّحية . الجَريض : الغصّ بالريق .

كأنّ الفتى ما كان بين النَّاس ، ولم يُقم فيهم بخير ، إذا جرض بريقه ، وانطفأ سراج حياته . وفي البيتين الأخيرين تطالعنا نزعة داخليَّة للتأمل إثر المشهد الخارجي ، ويبدو الشاعر كأنما يعاني وطأة شعوره باللاجدوى واليأس ، حتى من اللهو والعدو وراء اللَّذة ، لأن أحوال النَّاس متغيّرة ، والموت يترصّد الجميع ويبيدهم ويعفّي عليهم ، كأنهم لم يكونوا من قبل أحياء .

٧ أَرَنَّ عَلَى حُقْبٍ ، حِيَالٍ طَرُوقَةٍ كَذَوْدِ الأَجِيرِ الأَربَعِ الأَشِـرَاتِ

٨ عَنِيفٍ بِتَجْمِيعِ الضَّرَائِـرِ فَاحِشٍ ، شَتِيمٍ ، كَذَلْقِ الزُّجِّ ، ذِي ذَمَرَاتِ

٩ وَيـأْكُلْـنَ بُهْمَى جَعْـدَةً حَبَشِيَّةً ، وَيَشْرَبْنَ بـرْدَ الماء في السَّبَـرَاتِ

١٠ فَـأَوْرَدَهَـا مَـاءً قَلِيـلاً أَنِيسُـهُ ، يُحَاذِرْنَ عَمْـراً صَاحِبَ القُتُـرَاتِ

---

٧ أرنّ : نعَقَ ، يعني حمار الوحش . الحقْب : الأتُن الوحشية ، البيض الأعْجاز. حيَـال : جمع حائل ، وهي التي لم تحمل . الطَّروقَة : المستعدة للضِّراب . ذوْدُ الأجير : الذّود من الإبل بين الثَّلاث والعشر ، وقد حددها بالأربع . الأجير : الرّاعي المُستأجر . الأشرَات : القويات النشطات ، من الأشر وهو الشَّبع والريّ .

يريد أنّ هذا العَيْر صوّت على أتْنه ، وصاح بها ، لنشاطه وهياجه ، وشبَّه الأتْن ومرحهـا وتصريف الفحل لها ، وتحكمه بها ، شبَّهه بالذود من الإبل ، وتصريف الأجير لهنّ وقيامه عليهن ، وإنَّما خصّ الأربع ، لأنه عدد قليل ، وذلك أصحّ لهنّ ، وأكمل لخصبهن .

٨ عَنيف : يعني حمار الوحش ، شديد ، غير رقيق ، فَاحش : متجاوز الحدّ في عنفه . شتيم : كريه المَنْظر . كَذلْق الزّجّ : كحدّ أسْفل الرّمح . ذو ذمَرَات : صاحب زجر ودفع بشدة وعنف .

* يقول : هذا الفحل يَخْرق على هذه الأتن ويعنف بها ، عند تجميعه لها ، وجعل الأتْن كالضَّرائر من النساء ، لأنّ الحمار يملك أمرهنّ ، ويضربهنّ على إرادته ، كما يفعل الرجل بأزواجه .

٩ البُهْمَى : نبت . جَعْدة : ندية . حَبَشيَّة : شديدة الخضرة . وهي لشدة خضرتها تضرب إلى السَّواد . السَّبَرَات : الغَدوات الباردة .

* يصف الأتْن والفحل وخصبهن وكيف أنهنّ لقوتهن ، وجلدهن ، يشربن بارد الماء في الغدوات الباردة .

١٠ عَمْرو : هو ابن الشيخ الثعلبيّ ، وكان من أرْمى العرب . القُتَرات : جمع القترة ، حفرة يسيّجها الصائد بسياج من الحجارة أو اللّبن ، يرتفع نحو قدم فوق سطح الأرض ، يختبىء فيه مترقّباً ، لئلا يراه الوحش ، فينفرمنه .

* أوردها ماء لا أنيس فيه ، حذراً من عمرو القنَّاص الشّهير .

١١ تَلُتُّ الحصَى لَتًّـا بِسُمْـرٍ رَزِينَة ، مَوَارِنَ ، لا كُزْمٍ ، ولَا مَعِرَاتِ
١٢ ويَرْخِينَ أَذْنَـاباً ، كَأَنَّ فُرُوعَهَا عُرَى خِلَلٍ مَشْهُورَةٍ ، ضَفِـراتِ
١٣ وَعَنْسٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ ، نَسَأْتُهَـا عَلَى لَاحِبٍ كَالبُردِ ذِي الحِبَرَاتِ
١٤ فَغَادَرْتُهَا ، من بَعْد بُدْنٍ رَذِيَّةً ، تَغَالَى عَلَى عُوجٍ لَهَا كَـدِنَـاتِ
١٥ وَأَبْيَضَ كالمِخْرَاقِ ، بلَيتُ حَـدَّهُ وهبَّتُهُ في السَّـاقِ والقَصِـــرَاتِ

---

١١ تَلُتّ الحَصَى لَتّاً : تسحقه سحقاً ، وتخلطه خلطاً . السّمْر : يريد بها الحوافر . رَزِينَة : ثقيلة . مَوَارن : صلاب لا تعمل فيها الحجارة . لا كُزْم : غير قصار . ولا مَعِرَات : ولا ممروط شعورهن . تسحق بحوافرها الحصى لصلابتها وشدتها ، ووصفها بالسّمرة لأن دلك أصلب دا .
١٢ يُرْخين : يسبلن . عُرَى خَلَل : عرى جفون السّيوف . مَشْهورة : كل جلد منقوش . ضَفرَات : مجدولات .
* يقول : كأن أعالي أذناب هذه الحمير ، وما يتفرّع من شعرها ، حمائل جفون السَّيف .
١٣ وعَنْس : ورب عنس أي ناقة قوية شديدة الأسر . الإِرَان : خشب صلب كانت تتّخذ منه توابيت المَوْتى . نَسَأْتُهَا : زجرتها ، وضربتها بالمِنْسَأة ، وهي العصا . الّلاحب : الطَّريق الواضح . البُرْدُ ذوالحِبَرَات : الثّياب اليمنية الموشاة .
* وناقة طيبة ، شديدة كخشب الإران ، زجرتها في طريق واضح المعالم . (وشبَّه الطريق بالبُرْد الموشّى ، لاختلاف لونه بما يتفرع منه ويتشعب من ثنيات الطرق ، واعتراض الخضرة وغيرها بينها)
١٤ غَادرْتُهَا : تركتها . البُدن : البدانة والسّمن . رَذيَّة : هزيلة . تَغَالَى : تغلو جادة في السَّيْر . العُوج : يريد بها قوائمها المَفْتولات مع الصلابة . كَدنَات : غلاظ مع شدة وصلابة .
* يريد أنّه ترك هذه النّاقة ، بعد السّمن والقوّة ، معيية لشدة ما عانته من السَّير والسَّفر البعيد . تمشي في جدّ رغم الإعياء .
١٥ المخْرَاق : هومنديل ، يُلْوى ويضرب به ، وهومن لعب الصّبيان . السَّاق والقَصرات : أي السوق والأعناق .
* يشبّه سيفه بالمخراق تلويه وتثنيه ، لخفّته وسرعة استعماله في الضرب ، أيفي ضربه رقاب الإبل .

النَّاقةُ والحِمارُ الوَحْشيُّ

١ أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى . أَنْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتَقْصُرُ عَنْهَا خُطْوَةً أَوْ تَبُوصُ

٢ وَكَمْ دُونَهَا مِنْ مَهْمَهٍ وَمَفَازَةٍ ، وَكَمْ أَرْضِ جَدْبٍ دُونَهَا ولُصُوصُ

٣ تَرَاءَتْ لَنَا ، يَوْماً ، بِجَنْبِ عُنَيْزَةٍ وَقَدْ حَانَ مِنْهَا رِحْلَةٌ فَقَلُوصُ

٤ بِأَسْوَدَ مُلْتَفٍّ الغَدَائِرِ ، واردٍ وَذِي أُشُرٍ تَشُوفُهُ وَتَشُوصُ

٥ مَنَابِتُهُ مِثْلُ السُّدُوسِ . وَلَوْنُهُ كَشَوْكِ السيالِ . فَهْوَ عَذْبٌ يَفِيصُ

---

١ نأتْ عَنْك : أي بعدت عنك . تَنُوص : أي تحوّل . فتَقْصُرعنها : يعني تحتبس عنها خطوة . تَبُوصُ : تسبق .

٭ يقول : ما لك تتردد بين الرّيث والعجلة .

٢ المهْمَه : الأرضْ البعيدة الّتي لا أنيس بها . المَفَازَة : الأرض المُهْلكة .

٭ وكم من أرض بعيدة مهلكة ، تبعد عنها ، وكم من أرض قفرموحشة ، لا تخلومن اللّصوص . ولعلّ ذكره للأرض المجدبة واللّصوص هو تمثيل لما يعانيه من هول لفراقها وشعور باستحالة لقائها .

٣ تَرَاءتْ : ظهرت ظهوراً خَفيّاً . عُنَيْزَة : إسم مكان . الرّحلة : الارتحال . القَلُوص : الذهاب والبعد .

٭ تراءت لنا ، يوماً ، بجنب موضع عُنَيْزَة ، وقد عزمت على الارتحال إلى مكان بعيد .

٤ الأسْوَد : يعني به الشّعر . الغَدائر : الذوَائب . الوَارد : الطويل . ذي أُشُر : يعني به الثّغر . التأشير : تحديد في أطراف الأسنان من رقّتها . تَشُوفُه : أي تجلوه . تَشُوصُ : أي تستاك .

٭ بشعر أسود ، ملتفّ الضّفائر ، طويل ، وثغر مُحَزّز الأسنان ، تجلوه وتدلكه بالمسواك .

٥ مَنَابتُه : أي منابت الثّغر . السّدوس : الطيلسان ، شبّه اللّثات به . السَّيال : شجر ، يقال : نبت له شوك أبيض أشبه شيء بالأسنان ، واحدته سيالة . فهو عذب : يعني ماء الثّغر . يُفيص : يبرق

٭ لها ثغر يكشف عن لثّة كالطّيْلسان ، وريق عذب شهيّ .

٦ فَهَلْ يُسْلِيَنَّ الهَمَّ عَنْـكَ شِمِلَّةٌ ، مُدَاخَلَةٌ ، صُمُّ العِظَامِ ، أَصُوصُ

٧ تَظَاهَرَ فِيهَا النَيُّ ، لا هِيَ بَكْرَةٌ ، وَلَا ذَاتُ ضِغْنٍ في الزِّمَامِ قَمُوصُ

٨ أَؤُوبٌ ، نَعُوبٌ ، لا يُواكِلُ نَهْزُهَا ، إِذَا قِيلَ سَيْرُ المُدْلِجِين نَصِيصُ

٩ كَأَنِّي وَرَحْلِي والقِرابَ ونُمْرُقِي ، إِذَا شُبَّ لِلْمَرْوِ الصِّغَـارِ وَبِيصُ

١٠ على نِقْنِقٍ هَيْقٍ لَهُ ولِعـــرسِهِ ، بمنعَرجِ الوَعْسَاءِ ، بَيْضٌ رَصِيصُ

---

٦ سَل الهَمّ : أي أخْرجْه وأذهبْهُ عنك . الشّملَّة : الخفيفة السريعة . المُداخَلَة : أي مداخلة الخلق . الأصَوص : النَّاقة الحائل التي لم تُلْقح ، ولم تَحْمل ، فهوأشد لها .

* فهل يرّوح الهمّ عنك ناقة سريعة ، مُدمَجة الخلق ، متينة العظام ، شديدة اللّحم .

٧ النَّيّ : الشَّحْم . البَكْرَة : الفتيَّة من النوق . ولاَ ذاتَ ضغْن : لا تضغن إلى وطنها وموضعها ، أي تَنْزع إليه . قَمُوص : الجامحة ، الرّامحة برجلَيْها .

* تراكَبَ شحمُها بعضه ببعض ، فسمنت سمناً جيداً ، فلا هي فتيَّة ، تنزع إلى وطنها وموضعها ولا هي جامحة .

٨ أؤوُبٌ نَعُوبٌ : رجوع إلى الوراء صيَّاحة . لا يُواكلُ نَهْزُها : النَّهْز : الجذب . المُواكَلة : التي لا تعطي ما عندها من السَّير إلا بعد عسر . المُدلجُون : السائرون ليلا . النَّصيص والنَّص : أرفع السَّير .

* ليست هي بصيَّاحة ، ترجع إلى الوراء ، ولا هي بمُواكلة ، ولا تَتَعَسَّرإذا جُذبَتْ ، وتسير سيراً حسناً في اللَّيْل .

٩ القِرَاب : قراب السَّيف وهو غمده . النَّمْرُق : الوسادة ، يريد السّرج . إذا شَبّ : يعني أوْقَد . المَرْو : الحجارة ، والواحدة مروة . الوَبيص : البريق .

* يقول : كأنّي ورحلي في هذه الحالة ، وفي وقت الظَّهيرة ، حيث الحجارة مُحَمَّاة من وهج الشَّمس ، كأني على نقنق .

١٠ النّقْنق : الذكر من النَّعام . الهيق : فرخ النَّعام . عرْسه : أنثاه . الوَعْسَاء : أرض ذات رمل مُنْعرجة : منقطعة . بَيْض رَصيص : أي مرصوص بعضه إلى بعض .

* يشبّه فرسه في حالته هذه ، بالظَّليم ، وهوذكر النَّعام ، يعدوبشدة ، ليدرك هذا البيض ، ويحتضنه .

١١ إِذَا رَاحَ لِـلأُدحِـيِّ أَوْبـاً يَفُنُّها تُحَاذِرُ مِنْ إدْرَاكِـهِ ، وتحِيصُ

١٢ أَذَلِكَ ، أَمْ جَوْنٌ يُطَارِدُ آتُنـاً حَمَلْنَ ، فَأَدْنَى حَمْلِهِنَّ دُرُوصُ؟

١٣ طَوَاهُ اضْطِمَارُ الشَّدِّ ، فَالبَطْنُ شَازِبٌ مُعَالَى إلى المَتْنَيْنِ ، فَهْوَ خَمِيصُ

١٤ بِحَاجِبِهِ كَدْحٌ مِنَ الضَّرْبِ جَالِبٌ ، وَحَارِكُهُ مِنَ الكِـدَامِ حَصِيـصُ

١٥ وكَأَنَ سُرَّتَهُ وَجُـدَّةَ ظَهْـرِهِ ، كَنَـائِنُ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ دَلِيْـصُ

١٦ وَيَـأْكُلْنَ مِنْ قَـوٍّ لُعَاعـاً وَرِبَّـةً ، تَجَبَّرَ بَعْدَ الأَكْلِ ، فَهُوَ نَمِيصُ

---

١١ الأدحي : الموضع الذي تضع فيه النعامة بيضها . أوْباً : رجوعاً في آخر النّهار . يفنّها : يعودها . تَحيصُ : تميل وتضطرب .

* إذا ما آب النقنقُ إلى عشه ، في آخر النّهار ، تميل عنه عرسه وتضطرب

١٢ الجَوْن : يريد به حمار الوحش . الآتن : وهي من الحُمر الوحشية ، من الثّلاث إلى العشرة . أدْنَى حملهنّ : أكثر حملهن . الدرُوص : الصغار .

* أهو نقنق : أم حمار وحشي ، يطارد آتناً ، حَمَلْنَ ، فأكثرن من الصّغار .

١٣ الاضْمَار : الضّمور . الشّد : العَدو . شَارب : ضامر . معالى إلى المَتْنَيْن : مرتفع الظّهر . الخَميص : الضّامر البطن .

* يريد أنّ هذا الحمار قد ضَمَّره الجري ، وطوى لحمه ، فهو مُكْتنز ، غير رهل ، مع خموص البطن ، فهو لذلك قويّ ، شديد .

١٤ الكَدح : أثَر الضَّرْب من لبط الأُتن له . جالب : لم يبرأ بَعْد . الحَارك : أعلى الكاهل . الكدام : العضّ . حَصيص : منحول الشّعر .

* بحاجبه أثر ضرب لم يبرأ ، وأعلى كاهله منحول الشّعر من العضّ .

١٥ سَرَاتُه : أعلى ظهره . جُدةُ ظَهْره : الخط الذي في وسط ظهره . كَنَائن : جمع كنانة ، وهي الجعبة . دليص : ذهب له بريق .

* شبَّه الخطوط الّتي على ظهره ، والّتي يخالف لونها لون جلْده ، بجعاب مذهَّبة .

١٦ قَوّ : اسم موضع . اللعاع : القليل الرقيق من النبات . الربَّة : نبات . تجبّر : كثر نباته بعد أن كان قد أكل . نميص : منتوف ، أو نبت بعد النتف .

* ويأكلن من موضع قوّ نباتاً وبقلاً . كثر نباته بعد أن كان قد أكل .

١٧ يُطِيرُ عِفَـاءً مِنْ نَسيلٍ ، كَـأَنَّهُ سُدُوسٌ أَطَارَتْـه الرِّيَـاحُ وَخُوصُ

١٨ تَصَيَّفَها ، حَتَّى إذَا لَمْ يَسُغْ لَهَا ، حَلِيٌّ بِأَعَلَى حَـائِـلٍ وقَصِيـصُ

١٩ تَغالَبْن فِيهِ الجَزْءَ ، لَوْلا هَوَاجِرٌ جَنادِبُها صَرْعَى ، لَهُنَّ فَصِيصُ

٢٠ أَرَنَّ عَلَيْهَا قَارِبـاً ، وانْتَحَتْ لَهُ طُوَالَةُ أَرْسَاغِ اليَدَيْنِ ، نَحُوصُ

٢١ فَأَوْرَدَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْرَبـاً ، بَلاَئِقَ ، خُضْراً ، مَاؤُهُنَّ قَلِيصُ

٢٢ فَيَشْرَبْنَ أَنْفَاساً ، وَهُنَّ خَـوَائِفٌ وَتَرْعَدُ مِنْهُنَّ الْكُلَى وَفَـرِيـصُ

---

١٧ العفَاء : صغار الرِّيش . النَّسيل : ما سقط من شعره . السُّدوس : ثوب حرير أخضر . الخوص : ورق النَّخيل .

* شبه الرِّيش المُتطاير منه ، بثوب من حرير أخضر ، لما بهذا العفاء من لون يميل إلى الخُضْرة والغبرة .

١٨ تَصَيَّفَهَا : نزل بها في الصَّيف . حَلِيّ : نبت . أعْلَى حَائل : اسم موضع فيه هذا النَّبت . القَصيص : شجر .

* يريد أن هذا الحمار نزل بأتنه صيفاً ، في موضع أعلى حائل ، فما ساغ لهما نبتُه .

١٩ تَغَالَبْنَ : من المغالبة . الجَزْء : أن تأكل الرطب من النَّبات ، فتستغني به عن الماء . الهَوَاجر : جمع هاجرة ، وهي شدة الحر في وقت الظَّهيرة . الجَنَادب : ذكور الجراد . فَصيص : صوْت .

* تجزأن بهذا الرَّطب عن غيره ، لولا شدة حرّ الظَّهيرة الَّتي تجعل ذكور الجراد هَلْكى من شدة الحرّ ، فتُحْدث صوتاً ، كصوت الشّواء على النار .

٢٠ أرنّ الحمَار : نَهَق قَارِبـاً : طالباً الماء . الطّوَالَة : الأتان الطَّويلة الأرساغ . النَّحُوص مـن الأتن : الَّتي لم تحمل .

أرنّ هذا الحمار طالباً الماء ، فانتحت له ناقة طويلة الرّسغين ، حال سمنها بينها وبين الحمل .

٢١ البَلائق : المواضع فيها المياه ، ويقال : هي المياه الكثيرة . قَليص : كثير .

* فقادها في آخر الليل إلى مشرب فيه مياه كثيرة ، خضراء اللَّون لصفائها .

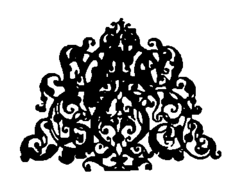
٢٢ أنْفَاس : جمع نفس . الفَريص : جمع فريصة ، هي لحمة بين الثدي والكتف ترعد عنـد الخوف .

* يشربن نفساً بعد نفس ، أي مرة بعد مرة ، لشدة خوفهن منه واضطراب فرائصهن ، لقوّة دفعه وزجره .

٢٣ فَأَصْدَرَهَا تَعْلُو النِّجَـادَ ، عَشِيَّةً ، أَقَبُّ كَمِقْـلاءِ الوَلِيدِ ، شَخِيصُ

٢٤ فَجَحْشٌ عَلَى أَدْبَارِهِـنَّ مُخَلَّفٌ ، وَجَحْشٌ لَدَى مِكَرِّهِـنَّ وَقِيـصُ

٢٥ وَأَصْدَرَهَا بَادِي النَّوَاجِـذ ، قَـارِحٌ أَقَبُّ ، كَكَرِّ الأَنْدَرِيِّ ، مَحِيصُ



---

٢٣ النِّجاد : المرتفعات من الأرض عَشِيَّة : وقت العشاء أَقَبّ : ضامر البطن . المِقْلاء : العُود الَّذي يضرب به الغلام القلة . (وهي لعبة لصبية العرب) . شَخِيص : مرتفع .
فأوردها المرتفعات العالية . وقت العشاء . ثم أصدرها عنها . دون أن يكلّ أو يملّ . وشبه ضموره بالمقلاء في خفَّتها .

٢٤ الجَحْشُ المُخَلَّف : الَّذي لم يَقْوَ على متابعتهن في الجَرْي والشَّد . الجَحْشُ الوَقيص : المُصاب بجروح لم تمكّنه من اللّحاق بهن . الوَقيص : الذي سقط ، فاندقَّت عنقُه .

٢٥ بَادي النَّواجذ : مفتوح الفم . القَارح : مُسْتحكم السّن . الأَقَبّ : الضّامر . الكَرّ : الحَبْل . الأَنْدريّ : المنسوب إلى الأَنْدر ، والأندر بالشام . المَحِيص : الشَّديد .
يريد أنّ هذا الحمار ظاهر النَّواجذ ، مستحكم السنّ ، ضامر ، مفتول الحلق شديد كحبل الأندريّ .

النَّاقةُ وحِمارُ الوَحْشِ

١ وَإِنَّكَ لمْ تَقْطَعْ لُبَانَـةَ عَاشِـقٍ ، بِمِثْلِ غُـدُوٍّ ، أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبِ

٢ بِأَدْمَاءَ حُرْجُـوجٍ ، كَأَنَّ قُتُودَهَا ، على أَبْلَقِ الكَشْحَيْنِ ، لَيْسَ بمُغْرِبِ

٣ يُغَرِّدُ بالأَسْحَارِ في كَلِّ سُدْفَـةٍ ، تَغَرُّدَ مَيَّـاحِ النَّدامـى المُطَـرَّبِ

٤ أَقَبَّ رَبَاعٍ مِنْ حَمِيرِ عَمَـايَـةٍ ، يَمُجّ لُعَاعَ البَقْلِ في كُلّ مَشْرَبِ

٥ بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّـالَ نَبْتُهَـا ، مَجَرَّ جُيُـوشٍ ، غَـانِمِينَ وخُيَّبِ

---

١ لُبانة : غاية . لُبانة عاشق : مُراده . إياب : عودة .

٢ الأدماء : النَّاقة البَيْضاء . حُرْجُوج : ناقة طويلة . القَتُود : خشب الرَّحل . الأبْلَق : ذو سواد وبياض . الكَشْحان : الخاصرتان . المُغْرِب : الحمار الوحشيّ إذا ابيَضّت منه المحاجر .

* يشبه النَّاقة في نشاطها بالحمار الوحشي .

٣ السَّحَر : قُبَيْل الصّبح . السّدفة : الظّلام . المَيَّاح : المتمايل من النَّشوة . النَّدامى : رفاق الأنس .

٤ الأقَبّ : الخميص البَطْن . الرَّباع : ذو الرَّابعة من عمره . عَمَايَة : جبل في نجد . يمجّ : يبصق . لُعاع البَقْل : خضرته .

يعني انّ الحمار الوحشيّ ، إذا شرب ، يُخْرِج من فمه بقيَّة ما أكَل من العشب .

٥ المَحْنِيَّة : منحدر خصب . آزَرَ : ساوى . الضّال : ضَرْب من الشَّجر . مَجَرّ جُيُوش : ممرّ

يعني أن هذا المنحدر الخصب ، وهو في محنية إزدهر نبتُها ، لأنه ممرّ للجيوش ، إما خاسرين وإما غانمين ، لذلك بقي خصبها ، لأنه لم يرعَها أحد خوفاً من الجيوش .

١ كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ ، قَارِحٍ . بِشُرْبَةَ أَوْطَافٍ بِعِرْنَانَ مُوجِسِ

٢ تَعَشَّى قَلِيلاً ، ثُمَّ أَنْحَى ظُلُوفَهُ ، يُثِيرُ التُّرَابَ عن مَبِيتٍ ومَكْنِسِ

٣ يَهِيلُ وَيَذْرِي تُرْبَهَا ، وَيُثِيرُهُ إِثَارَةَ نَبَّاثِ الهَوَاجِرِ مُخمِسِ

٤ فَبَاتَ عَلَى خَدٍّ أَحَمَّ ، وَمَنْكِبٍ وَضِجعَتُهُ مثلُ الأَسيرِ المُكَرْدَسِ

٥ وَبَاتَ إلى أَرْطَاةِ حِقْفٍ ، كَأَنَّهَا إذا أَلْثَقَتْهَا غَبْيَةٌ بَيْتُ مُعْرِسِ

---

١ الأحْقَب : حمار الوحش . قَارح : مُسنّ . شُرْبة : موضع . عرنان : مكان . مُوجس : تنتابه الأفكار السُّود .

* كأني ورحلي فوق حمار وحشيّ ، مسنّ ، أو فوق ثور موجس خيفة .

٢ الظّلُوف : جمع ظلف وهو للثور كالحافر للفرس . يُثير : ينشر على الأرض . مَكْنِس : حيث تلجأ الظباء والبقر ، لتستكن من الحرارة .

* إذ أمسى ، قليلاً ، عمد إلى كثيب ، يحفر كناساً يبيت فيه ، ووكناً يستكن به من الحرّ والبرد .

٣ يَهِيلُ : يثير . يَذري : ينشر التراب . نَبّاث : مزيل التراب . مُخْمس : الذي تَردُ إبله الخُمس ، أي أن ترعى إبله ثلاثة أيام ، وترد الماء في اليوم الرابع . نَبّاث الهَواجر : الرجل الذي يستخرج الرّمل .

* أخذ يثير التراب ويذروه ، كما يفعل الرجل الذي اشتدت عليه الهاجرة ، فجعل يحفر الرمل ليصل إلى برد الثّرى ، فيباشره . وقد قال الأقدمون : إنّ هذا الوصف هو أحسن وصف وصف به الثّور .

٤ الأحَمّ : الأسود . المَنْكِب : الكَتْف . ضِجْعَتُه : طريقة نومه . المُكَرْدس : الموثق بالقيود .

* فبات وخده وكتفه ملاصقان للأرض ، ينام كالأسير الموثق بالقيود .

٥ أرْطَاة : شجرة . الحقْف : الرّمل . الثَقْتها : بلّلْتها . الغَبْيَة : زخَّة المطر . المُعْرِس : الباني بأهله .

* لما أصاب المطر الأرطاة الّتي فيها مقامه ، انتشرت رائحة بعره ، كرائحة بيت الرجل الذي أعرس بأهله . وإنما توصف أبعارها بهذا ، لأنها تأكل أشياء من النّبات طيبة ، فتطيب رائحة بعرها بذلك .

٦	فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ ، غُدَيَّـةً	كِلابُ ابنِ مُرٍّ أَوْ كِلابُ ابنِ سِنْبِسِ
٧	مُغَرَّثَةً زُرْقـاً ، كَأَنَّ عُيُونَهـا ،	من الذَّمْرِ وَالإِيحاء ، نَوَّارُ عَضْرَسِ
٨	فَأَدْبَرَ يَكْسُوهَا الرَّغَـامَ ، كَـأَنَّـهُ	عَلَى الصَّمْدِ وَالآكامِ جِذْوَةُ مُقْبِسِ
٩	وَأَيْقَنَ ، إِنْ لاقَيْنَهُ أَنَّ يَوْمَــهُ	بِذِي الرِّمثِ ، إِنْ ماوَتْنَهُ يَوْمُ أَنفُسِ
١٠	فَأَدرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بـالسَّاقِ ، وَالنَّسَا	كَمَا شبرَقَ الوِلدانُ ثَوْبَ المُقَدِّسِ
١١	وَغَوَّرْنَ فِي ظِلِّ الغَضَـا ، وَتَرَكْنَهُ	كَقَرْمِ الهِجَانِ ، الفادِرِ ، المُتَشَمِّسِ

---

٦ ابْنُ مُرّ وابْنُ سنْبس : صيادان معروفان من طيّ .

٧ مُغَرَّثَة : مجوّعة . الذمرْ : التسليط . الايحاء : الإيعَاز . يُوحي لهُ : يوعز له . العَضْرَس : بقلة حمراء الزّهرة .

* كلاب زرقاء مُجَوَّعة ، وكأنّ عيونها من التسليط والإيحاء محمَّرة كالعضرس ، وإنما تجوع لتحرّض وتضرى على الصيد . وقوله : « كأن عيونها من الذمر » ، لم يرد أن عينيه تحمران من الإغراء بالصّيد ، وإنما يريد أنّها إذا أغْريت به ، فتحت عيونها وقلبتها ، فبانت ، عندئذ حمرتها .

٨ الرّغَام : التراب . الصّمْد : الأرض الصّلبة . الآكام : جمع أكمة ، مرتفع من الأرض . جذْوَة : شعلة . المُقْبس : الذي عنده نار للقبس .

* فأدبر هارباً من الكلاب ، يثير عليها التراب ، وبدا على الأرض الصّلبة ، كأنه نار شعلة ، لبياضه وخفّته .

٩ الرِّمْث : مكان يكثر فيه الرِّمثْ وهو نوع من النبات . يَوْمُ أنْفُس : يوم موت أنفس كثيرة .

* أي أنه تأكّد أن يومه بذي الرّمث ، ان طلبت الكلاب موته ، وطلب هو موتها ، سيؤدي إلى موت أنفس كثيرة .

١٠ النّسَا : عرق في السّاق . شَبْرَقَ : مَزّقَ . الولْدان : الغُلْمان . ثَوْبُ المُقدس : ثوب الراهب الذي يأتي إلى بيت المقدس .

١١ غَوَّرْنَ : دخلن الغور . الغَضَا : نوع من الشَّجر . القَرْم : الفحل . فدر الفحل : فتر عن الضّراب . المُتَشَمّس : المعرّض للشمس .

* دخلن الغور في ظل شجر الغضا ، وتركنه كفحل الهجان الفادر المعرّض للشَّمس .

امرؤُ القَيْسِ وسُبَيْعُ بنُ عَوْفٍ

كان بين امرئ القيس ، وسبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة قرابة ، فأتى امرأَ القيس ، يسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال سبيع أبياتاً يعرّض به فيها ويذمّه ، فقال امرؤ القيس مُجيباً له على ذلك :

١ لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِسُحَامِ ، فَعَمَايَتَيْنِ ، فَهَضْبِ ذِي أَقْدَامِ

٢ فَصَفَا الأَطِيطِ ، فَصَاحَتَيْنِ ، فَغَاضِرٍ تَمْشِي النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الآرَامِ

٣ دَارٌ لِهِنْدٍ ، وَالرَّبَابِ ، وَفَرْتَنَى وَلَمِيسَ ، قَبْلَ حَوَادِثِ الأَيَّامِ

٤ عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ ، لأَنَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ ، كما بكى ابنُ خذَامِ

---

١ سُحَام : ماء لبني كلاب باليمامة . عَمَايَتَان ، مُثَنَّى عَمَايَة : اسم جبَلَيْن ، عماية العليا ، وعماية القصوى . ذو أقْدام : موضع . الهَضْب : قطعة من الجبل .

* يتساءل لمن هذه الديار التي بين هذه المواضع .

٢ صَفَا الأطيط ، وصَاحَتَان ، وَغَاضر : أمكنة . الآرَام ، جمع رئْم : الغزال الأبيض .

* يقول : إنّ هذه الديار قديمة العهد بالأنيس ، فالنعاج تمشي فيها مع الغزلان .

٣ هنْد وما بعدها : أسماء نساء .

* يقول : هذه الديار لهند وَصَواحبها ، إذ نحن جيرة ، قبل أن تُحدث الأيام الفراق .

٤ عوجا : أعطفا . المُحيل : المُتغيِّر . لأنّنا : لغة في لعلنا . ابْنُ خذام : رجل بكى الديار قبل امرئ القيس .

* أعطفا رواحلكما ، وعوجا على الطلل الّذي أتت عليه حوادث الدهر فغيَّرته ، لعلنا نبكي الديار ، كما بكى ابن خذام .

٥ أَوَمَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ ، بَوَاكِـراً ، كالنَّخْلِ من شَوْكَانَ ، حينَ صِرَامِ

٦ حُوراً ، تُعَلَّلُ بِالعَبِيرِ جُـلُودُهَا ، بِيضَ الوُجُوهِ ، نَوَاعِـمَ الأَجْسَامِ

٧ فَظَلِلْتُ في دِمَـنِ الدِّيَـارِ ، كَأَنَّنِي نَشْوَانُ ، بَاكَـرَهُ صَبُـوحُ مُدَامِ

٨ أُنُفٍ ، كَلَوْنِ دَمِ الغَزَالِ ، مُعَتَّقٍ ، من خَمْرِ عَانَةَ ، أَوْ كُرُومِ شَبَامِ

٩ وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَـابَ لِسَـانَـهُ مُـومٌ ، يُخَـالِطُ جِسْمَـهُ بِسَقَامِ

١٠ وَمُجِدَّةٍ نَسَّأْتُهَـا ، فَتَكَمَّشَتْ ، رَتْكَ النَّعَـامَـةِ في طَرِيـقٍ حَامِ

---

٥ الأظْعَان : الإبل عليها الهَوادج . شَوْكان : موضع في اليمن كثير النَّخل . صِرَام النَّخل : قطافه .

شبَّه الأظعان في ارتفاع هوادجها ، واختلاف ألوانها بالنخل الذي حان قطافه .

٦ الحُور : جمع حوراء ، والحَوَر : شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها . تُعَلَّلُ : تطيَّب ، مرّة بعد أخرى .

* يتطيَّبن بالزّعفران ، مرة بعد أخرى ، ووجوههن بيضاء ، وأجسامهن ناعمة ، لينة .

٧ الدمَن : آثار الديار من بعر ونحوه .

* يقول : إنَّه قد أقام في تلك الديارحيران ، آسفاً لما رأى من تغيّرها ، فشبَّه نفسه بالنَّشوان لذلك

٨ كَأس أُنف : لم يخرج من دنِّها شيْ قبلها . عَانَة وشَبام : موضعان مشهوران بالخمر .

* وقد شرب من خمرمُعَتَّقة ، لم تُحْسَ من قبل ، حمراء كدم الغزال .

٩ المُوم : البِرْسام . البرسام : التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب .

* يريد أنّ شارب هذه الخمرة ، يذهب عقله حتى يهذي ، ويخلط في كلامه ، تخليط المُبَرْسم .

١٠ المجدة : النَّاقة السَّريعة التي لها جد في السَّير . نَسَأْتُها : زجرتها . تَكَمَّشَتْ : أسرعت . رَتْك : سرعة . حَام : حار من الشمس .

* وربّ ناقة لها جدّ في السَّيروسرعة ، زجرتها ، فجدت مندفعة في سيرها ، تهتّز اهتزاز النعامة في طريق حار ، من قيظ الشَّمس .

١١ تَخْدِي عَلَى العِلاَّتِ سَامٍ رَأْسُهَا ، رَوْعَـاءَ ، مَنْسِمُهَـا رَثِيـمٌ دَامِ

١٢ جَالتْ لتَصرَعَنِي فَقُلْتُ لها : اقْصِرِي ! إنِّي امْـرُؤ صرْعَـي عَلَيْكِ حَرَامُ

١٣ فَجُزِيتِ خَيْرَ جَـزَاء نَاقَـةِ وَاحِدٍ ، وَرَجَعْتِ سَالِمَةَ القَـرَا بِسَـلامِ

١٤ وَكَأَنَّمَا بَـدْرٌ وَصِيـلُ كُتَيْفَـةٍ ، وَكَأنَّمَا مِـنْ عَـاقِـلٍ أَرْمَـامُ

١٥ أَبْلِغْ سُبَيْعاً ، إنْ عَرَضْتَ رِسَالَةً إنِّي كَهَمِّكَ ، إنْ عَشَوْتُ أَمَامِي

١٦ أَقْصِرْ إلَيْكَ مِنَ الوَعِيـدِ ، فَإِنَّنِي مِمَّا أُلاقِي ، لا أَشُـدُّ حِزَامِـي

---

١١ تَخْدِي : تُسْرِع . العلات : جمع علَّة ، المَشَاق . سام : مرتفع . رَوْعَاء : نشيطة . المَنْسِم : طرف الخفّ . رَثِيم : مجروح .

* تسرع ، على ما بها من مشقَّة وكلل ، ورأسها مرتفع نشاطاً ، حديدية الفؤاد ، قويَّة الرّوع . طَرَفُ خفها مشقوق ، وقد حكَّته الحجارة ، فأدمَتْه .

١٢ جَالَتْ : نهضت نَشيطة ، قلقة . لتَصْرَعني : لتلقي بي عن ظهرها .

* نهضت نشطة ، قلقة ، لتُلْقي بي عن ظهرها ، إلى وجه الأرض ، فقلت لها : كفي عن ذلك ، فأنا حاذق بالرّكوب ، فلن تستطيعي صَرْعي . وفي البيت اقواء .

١٣ القَرَا : الظهر

* يدعولها بحسن الجزاء ، على شدة سيرها ، وبعودتها سالمة من أيّ أذى .

١٤ بَدروَكتيفَة : موضعان متباعد ما بينهما وكذا عَاقل وَأَرْمَام . وقوله : وَصيل ، أي وَصَل بكتيفة . وفي البيت إقواء كذلك .

* يقول : كأن هذه المواضع متَّصلة ، على تباعد ما بينها ، لسُرعة سير ناقته .

١٥ سُبَيْع : هوسبيع بن عوف . كهمّك : أي كما همَمْت . عَشَوْت : نظرت . عَرَضْتَ : أتيتَ العروض .

* أبلغ سُبَيْع بن عوف أني كحاله ، فما همّ به ، وحَسبَه .

١٦ أقْصر : أي أمسك وأحبس . الوّعيد : التهديد .

* يخاطب سُبَيْعاً ، ويقول له : أن يكفّ عن توعّده وتهديده ، فهوليس في حاجة لأن يتهيَّأ ويستعدّ لمنازلته .

١٧	وَأَنَا المُنَبِّهُ ، بَعْدَ مَا قَدْ نَوَّمُوا	وَأَنَا المُعَالي صَفْحَــةَ النُّــوَّامِ
١٨	وَأَنَا الَّذِي عَرَفَتْ مَعَــدٌّ فَضْلَهُ ،	وَنُشِدتُ عن حُجرِ ابنِ أُم قطَامِ
١٩	وَأُنَازِلُ البَطَلَ الكَرِيــهَ نِزَالُــهُ ،	وَإِذَا أُنَاضِلُ ، لَا تَطِيشُ سِهَامي
٢٠	خالي ابنُ كَبْشَةَ ، قد عَلِمْتَ مَكَانَهُ	وَأَبُو يَزِيــدَ ، وَرَهْطُــهُ أَعْمَــامي
٢١	وَإِذَا أُذِيتُ بِبَلْــدَةٍ ، وَدَّعْتُهَــا	وَلا أُقِــيمُ بِغَيْــرِ دَارِ مُقَــامِ

---

١٧ المَنبّه : الَّذي نبّه من نام واستَثْقَلَ في النَّوم . المُعَالي : الرّافع خدودهم من الأرض ان استثقلوا من النَّوم . أراد بصفحة النُّوام : وجوههم .

* يريد أنه شديد الجفن ، لا ينام ، فاذا نام أصحابُه نبَّههم ، وهو باعث المنية لأعدائه ، إذا ما وافاهم في الصّباح ، وهم في لذيذ نومهم .

١٨ نُشدتُ : طلبت . وإنما ذكر أن معداً عرفت فضله . لأنه من اليمن وليست معدّ منهم ، فاذا عرفت معد فضلَه ، وأقرت به ، فسائر العرب أقرب إلى ذلك ، وأولى به .

* وأنا الذي رفعت معدّ ذكره ، وفخرت به وشهرته ، وبينت عن مجده وشرفه

١٩ ابْنُ كَبْشَةَ وأبو يَزِيْد : من أشراف كندة .

* أقاتل الشجاع الذي تخشى لقاءه الأبطال ، وإذ أرامي بالنبال ، لا تتجاوز الغرض الذي أرميه ، أي أنَّه يصيب من خصمه مقتلا .

٢٠ * يفخر بأن خاله ابن كبشة ، وله مكانة مرموقة بين قومه ، وأن أبا يزيد ورهطه ، هم أعمامُه .

٢١ أذيت : أصابني أذى .

* وإذا أصابني أذى أومكروه في بلدة ، رحلت عنها ، وودعْت أهلها ، وحرّمْتُ على نفسي الإقامة فيها .

لَذّاتُ الشّاعِرِ

١	جَزعتُ ، وَلَمْ أَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعا	وَعَزَّيْتُ قَلْباً بالْكَواعِبِ مُولَعَــا
٢	وَأَصْبَحْتُ وَدّعْتُ الصِّبا ، غَيْرَ أَنَّني	أُرَاقِبُ خَلاَّتٍ مِنَ العَيْشِ أَرْبَعَا
٣	فَمِنْهُنَّ قَوْلِي للنَّدامَى تَرَفَّعُــوا ،	يُدَاجُونَ نَشَّاحاً مِنَ الخَمْرِ مُتْرَعَا
٤	وَمِنْهُنَّ رَكْضُ الْخَيْلِ تَرْجُمُ بِالقَنَا ،	يُبَادِرْنَ سِرْباً آمِناً أَنْ يُفَزَّعَــا
٥	وَمِنْهُنَّ نَصُّ الْعِيسِ ، واللَّيْلُ شَامِلٌ ،	تَيَمَّمُ مَجْهُولاً مِنَ الأَرْضِ بَلْقَعَا

---

١ جزَعْتُ : حزنت وتملَّكني الجزع . البَيْن : الفراق والبعاد . الكَوَاعب : الجواري النَّواهد . مُولع : لهج بذكرهنّ .

* صبّرت قلبي ، بعد أن كان مولعاً بهن .

٢ الخلاّت : الخصَال .

* تَصرّم شَبَابي ، وكبرت عن التصابي ، إلا أنني ما زلت أطلب لذائذ أربع .

٣ النَّدامَى : صُحبة الشَّراب . يُداجُون : يخادعون . النَّشَّاح : الَّذي يجيد الشَّرب .

* أولّهن ، قولي للنَّدامى : لا تخادعوا شخصاً يجيد شرب الخمر ، ويشير هنا إلى أن لذّته الأولى هي لذة شرب الخمرة .

٤ تَرْجُمُ بالقَنَا : تعدو عدواً شديداً . السّرْب : هنا القطيع من البقر .

* ثانيها ، ركوب الخيل ، والعدو بها سريعاً ، لمطاردة وحش الصيد ، وقطيع الظباء ، الذي كان آمناً مُطمئناً .

٥ نَصّ : ركوب . العيس : الإبل البيض . لَيلْ شَامل : مُظْلم . تَيَمَّمَ : تقصد البَلْقَع : الخالي .

* ثالثها ، ركوب الإبل البيض ، وسوقها في ظلام اللَّيل ، لبلوغ الغايات ، والاماكن الّتي تعنّ لي ، أي التروّح بالسفر .

٦ خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحوَ قَرْيَـــةٍ، يُجَدِّدْنَ وَصْلاً أَوْ يُقَرِّبْنَ مَطْعَمَا

٧ وَمِنْهُنَّ سَوْفِي الخَوْدَ، قَدْ بَلَّهَا النَّدَى تُرَاقِبُ مَنْظُومَ التَّمَائِـمِ مُرْضَعَـا

٨ يَعِزُّ عَلَيْهَا رِيْبَتِي، وَيَسُــوءُهَـــا بُكَاهُ، فَتَثْنِي الجِيدَ أَنْ يَتَضَوَّعَا

٩ بَعَثْتُ إِلَيْهَا، والنُّجُومُ طَوَالِعٌ، حِذَاراً عَلَيْهَا، أَنْ تَقُومَ فَتَسْمَعَا

١٠ فَجَاءَتْ قَطُوفَ المَشْيِ، هائِبَةَ السُّرَى يُدَافِعُ رُكْنَاهَـــا كَوَاعِبَ أَرْبَعَـــا

---

٦ خَوَارج: يعني العيس.

* يريد أنَّه يخرج على هذه الإبل، من القفر إلى الحضر، لوصل حبيب، أو لطلب مغنم.

٧ سَوْفي: من ساف أي شمّ. الخَوْد: المرأة الخَفرة الحيِّية. تُرَاقب: تحرس. التَّمَائم: جمع تميمة، وهي العوذ.

* رابعها، مواقعة المرأة الخفرة الحيِّية، وقد نديت في اللَّيل بالعراء، وقد كانت تُعْنى بمنظوم التَّمائم، أي تعنى بشأن رضيعها الَّذي نظِّمت له هذه التمائم.

٨ فَتَثْني: فتعطف. الجيد: العنق. يَتَضَوَّع: يبكي بصوت عال.

* يَعزّ عليها، أن يسوئني أمرمنها، فتلتفت نحو طفلها الرّضيع، الَّذي اشتدّ بكاؤه، فأوشك أن يفضح أمرها، وتحاول أن تسكنه لتنصرف إليَّ.

٩ بَعَثْتُ: يريد ذهبت.

* يريد أنَّه ذهب إليها، والنّجوم في كبد السماء، حذاراً عليها، أن تنهض من مرقدها، فتوقظ غيرها.

١٠ قَطُوف المَشْي: أي تقطف في مشيها، وهذا من محاسن مشي النساء. هَائبة السّرَى: خائفة من مشي اللَّيْل. رُكْنَاها. الكَوَاعب: جمع كاعب، الفتاة التي نهد ثدياها.

* جاءت، وهي تمشي مُسَارَقَة على أطراف قدمَيْها، خائفة من السَير ليلا، يدافع جانباها، أربع فتيات حسان.

١١ يُزَجِّينَهَا مَشْيَ النَّزِيفِ ، وَقَدْ جَرَى صُبَابُ الكَرَى في مُخِّها فتقطَّعَا

١٢ تَقُولُ ، وَقَدْ جَرَّدْتُها مِنْ ثِيَابِهَا ، كَمَا رُعْتُ مَكْحُول الْمَدَامِعِ أَتْلَعَا

١٣ أَجِدَّكَ لَوْ شَيْءٌ ، أَتَـانَـا رَسُولُهُ سِوَاكَ ، وَلٰكِنْ لمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

١٤ فَبِتْنَا تَصُدُّ الوحْشُ عَنَّا ، كَأَنَّنَـا قَتِيلانِ ، لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعَا

١٥ تَجافَى عَنِ المأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَـا ، وتدْني عَلَيْهَا السَّابِـرِيَّ المُضَلَّعَا

١٦ إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرَّوْعِ ، أَمْسَكَتْ بِمِنْكَبِ مِقْدَامٍ عَلَى الهَوْلِ أَرْوَعَا

---

١١ يُزَجّينَهَا : يَدفَعْنَهَا دفعاً خفيفاً . النَّزيف : هنا السّكران . صُبَاب الكَرَى : بقيَّة النّعاس .

* يدفَعْنَهَا برفق ، فتمشي كشارب خمرحتَّى الثّمالة ، يداعبِ جفْنَيها بقيَّة من نعاس .

١٢ رُعْتُ : أفْزَعْت . مَكْحُول المَدامع : ولد الظّبية . الأتْلَع : الطَّويل العنق .

* تقول : وقد جرّدتها من ثيابها ، فبدت كولد الظّبية الطَّويل العنق .

١٣ لَوْ شَيْء : يريد لوأحد .

* يريد أنها تقول : وجدك لو جاءنا رسول سواك ، لما أجبناه إلى سؤاله ، ولكننا لا نستطيع ردّ طلبك .

١٤ تَصُدّ الوَحْش عنَّا : تتركنا الوحوش ذاهبة عنا .

* يريد أن الوحش حين تراهما على حالتهما تظنّهما قتيلين ، فتصدّ عنهما ، لأن بعض الوحش ، لا تأكل الميتة .

١٥ السَّابري : الثّوب . المضلَّع : المخطط .

* تُعْرض عن الحديث في وصف الحب ، ولوعة الغرام ، وتغطّي جسمها بثوبها الرّقيـق المخطَّط .

١٦ هزّة الرّوْع : نشوة الحال التي هما فيها . أرْوَع : شجاع ، قوي الأسر .

* إذا ما تَمَلَّكَتْهَا نشوة الحال الّتي نحن فيها ، تمسك بمنكب رجل شجاع ، قوي . (يريـد نفسه) .

سِلْمٌ وحَرْبٌ

١	تَطَاولَ لَيْلُكَ بِالإثْمِدِ ،	وَنَامَ الخَليُّ ، ولَمْ تَرْقُدِ
٢	وَبَاتَ ، وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ ،	كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ ، الأَرْمَدِ
٣	وَذٰلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَني ،	وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أَبي الأَسْوَدِ
٤	وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِه جَاءَني ،	وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ اليَدِ ،
٥	لَقُلْتُ ، مِنَ القَوْلِ ، ما لا يَزَا	لُ يُوثَرُ عَنِّي ، يَدَ المُسْنَدِ

---

١ الخَليّ : الخالي من الهموم . الإثْمد : موضع . وفي البيت تجريد في قوله : تطاول ليلك ولم ترقد . والمراد : تطاول ليلي .

• طال ليلي بموضع الإثمد ، ونام الخالي من الهموم ، وبقيت دون رقاد .

٢ قوله : وباتت له ليلة ، أراد وبات في ليلة ، فنسب الفعل إلى الليل ، على المجاز العقلي . العَائر هنا : الوجع في العَيْن . الأرْمَد : الّذي في عينه رمد . وفي البيت التفات من المخاطب ، إلى الغائب في قوله :

• وبتّ في ليلة ، وبي سهاد ، كليل الّذي في عينه رَمَد .

٣ أبو الأسْوَد : رجل من كنانة هجا أمرأ القَيْس . وفي البيت التفات من الغائب : وبات له ، إلى المتكلم : جاءني .

• وسبب أرقي ، هو نبأ جاءني ، عن أبي الأسود .

٤ النَّثَا : ما خبرت به عن الرّجل من حسن أو سيْ .

• أراد أنه قد يبلغ باللّسان والقول ، من هجاء أوذم ، ما يُبْلَغَ بالسَّيف ، إذا ضَربَ به ، من شدة ذلك على المقول فيه .

٥ يؤثرعني : يحفظ ويتحدث به . يد المسند : آخر الدهر ، والمسند : الدهر .

• لقلت من القول ، ما يُحْفَظَ وَيُتَحَدث به ، أبَدَ الدهر .

٦ بِـأَيٍّ عَـلاقَتِنَـا تَـرْغَبُـونَ ، أَعَـنْ دَمِ عَمْـرٍو عَـلَى مَرْثِدِ؟

٧ فَـإِنْ تدْفِنُـوا الدَّاءَ لا نُخْفِـهِ وَإِنْ تَبْعَثُـوا الحَـرْبَ لا نَقْعُـدِ

٨ وإِنْ تَقْتُلُـونَا نُقَتِّلْـكُمُ ، وَإِنْ تَقْصِـدُوا لِـدَمٍ نَقْصِـدِ

٩ مَتى عَهْـدُنَـا بِطِعَـانِ الكُمَا ةِ ، وَالحَمْدِ وَالمَجْدِ وَالسُّـودُدِ

١٠ وَبَنْيِ القِبَابِ ، وَمَـلْءِ الجِفَـا نِ ، وَالنَّارِ وَالحَطَـبِ المُفْـأَدِ

١١ وَأَعْـدَدْتُ ، لِلْحَـرْبِ ، وَثَّابَةً ، جَـوَادَ المَحَثَّـةِ وَالمُـرْوَدِ

---

٦ العَلاقَة : ما تعلَّقوا به من طلب الوتر والدم .

• يقول : أي شيء تكرهون وترغبون به ، أَتَرْغبون عن دم عمرو بدم مرثد ، وكلا الرجلين أسديان .

٧ لا نُخْفِه : لا نضمره .

• إن تتركوا ما بيننا وبينكم ، فانَّنا لا نضمره ، وإن هجْتُم الحرب لا نقعد لها ، بل نخوض غمراتها .

٨ تَقْصدوا : تقتصدوا ، ولا تفرطوا .

• وإن تقاتلونا ، نقاتلكم ، وإن أردتم حقن الدماء ، فيما بيننا ، فلا نخالفكم في ذلك ، بل نقصد إليه ، ونؤثرُه على غيره .

٩ الكُمَاة : جمع كَميّ ، وهو الشّجاع ، التام السلاح .

• لم نزل نستطيع مقارعة الأبطال المدجَّجين بالسّلاح ، في سبيل المجد والشرف والرئاسة .

١٠ المُفْأد : الذي يحرّك بالمفأد ، وهو المحراك .

• ونبني القباب العالية ، ونطعم اللَّحم للضِّيفان ، ونوقد النَّار بالحطب . ونؤجّجها بالمحراك .

١١ فَرسٌ جَوَادُ المَحَثَّة : أي اذا حثّ جاءه جري بعد جري . المُرْوَد : الاتئاد ، أي جواد في سرعته ووئيده .

• وأعددت للقتال ، فرساً نشيطاً ، جيّد الوَثْب ، إذا حثثته جاد في سيره برفق وتؤدة .

١٢ سَبُوحاً ، جَمُوحاً ، وَإحْضَارُهَا كَمعْمَعَةِ السَّعَفِ المُوقَدِ

١٣ ومَشْدُودَةَ السَّكِّ ، مَوْضُونَةً تَضَاءَلُ في الطَّيِّ ، كالمِبْرَدِ

١٤ تَفِيضُ عَلَى المَرْءِ أَرْدَانُهَا ، كَفَيْضِ الأَتِيِّ على الجَدْجَدِ

١٥ وَمَطَّرِداً كَرِشَاءِ الجَرُورِ ، مِنْ خُلُبِ النَّخْلَةِ الأَجْرَدِ

١٦ وَذَا شُطَبٍ ، غَامِضاً كَلْمُهُ ، إِذَا صَابَ بِالعَظْمِ لَمْ يَنْأَدِ

---

١٢ السَّبُوح : التي تمد يديها كأنها تسبح في الماء . الجَمُوح : له معنيان : أحدهما ذم ، وهو الذي يركب رأسه لا يُثْنيه شيء ، والثاني : أن يكون نشيطاً سريعاً وليس بعيب . إحْضَارُهَا : عَدْوُهَا . مَعْمَعَة : صوت النَّار . السَّعَف : جريد النَّخل .

* فرسها يعدو وكأنه يسْبح في سيره ، نشيط ، مرح في عدوه ، كصوت الحريق ، في سعف النَّخيل الموقدة .

١٣ مَشْدودة السَّكّ : هيَ الدرع . سَكُّهَا : سردها ونظمها . المَوْضُونَة : الدرع المَنْسوجة . تَضَاءل : تصغر . الطَّيّ : أي إذا طويت تصير كالمبرد .

* ودرع مسرودة منظومة ، محكمة النَّسْج ، إذا ما طويت تصير كالمبرد .

١٤ الأرْدان : أصول الأكمام . الأتِيّ : السَّيْل . الجَدجَد : الأرض الصَّلْبَة المُسْتوية .

* تفيض على المرء أكمامها ، كما يغمر السَّيل الجارف الأرض الصّلبة القويَّة .

١٥ المُطَّرِد : الرّمح الَّذي إذا هززْتَه تَبع بعضه بعضاً . الرِّشَاء : الحبل . الجَرُور : البئر البعيدة القَعْر . خُلُب النَّخْلة : ليفُها ولبّها . الأجْرد : الأملس .

* ورمحاً مطرد الكعوب ، كحبل البئر البعيدة القعر ، المصنوع من لبّ النخل الأملس .

١٦ ذا شُطُب : أي سيف مشطَّب . كَلْمُه : جُرْحه . صَابَ : وقع . لم يَنْأد : لم ينْثَن .

* وسيفاً مشطباً ، عميقاً جرحه ، إذا ما أصاب العظم ، لا ينثني ولا يعوج . وفي الأبيات الخمسة الأخيرة عدَّد الأسلحة التي أعدها للقتال ، لذلك أوردناها في حالة النَّصب ، منعاً للتكرار .

مُفاخَرَةٌ وَكَآبَةٌ

١ لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَاني ، كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يَمَانِ

٢ دِيَارٌ لِهِنْدٍ والرَّبَابِ وَفَرْتَنَى ، لَيَالِينا بِالنَّعْفِ مِنْ بَدَلانِ

٣ لَيَالِيَ يَدْعُونِي الهَوَى ، فَأُجِيبُهُ وَأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ رَوَانِي

٤ فَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوباً ، فَيَا رُبَّ قَيْنَةٍ مُنَعَّمَةٍ أَعْمَلْتُهَا بِكِرَانِ

٥ لَهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الخَمِيسَ بِصَوْتِهِ ، أَجَشُّ ، إِذَا مَا حَرَّكَتْهُ يَدَانِ

---

١ الطَّلَل : ما شخص من أعلام الدار . شَجَاني : أحزنني . الزَّبُور : الكتاب . العَسيب : سُعف النَّخل . وقوله : في عسيب يمان : ذاك لأن أهل اليمن كانوا يكتبون في عسيب النَّخلة عهودهم وصكاكهم .

* يقول : نظرت إلى هذا الطلل ، فهاج بي الحزن ، وقد درَسَتْ وَخَفِيَتْ آثاره ، فلا يرى منه إلاّ مثل الكتاب في الخفاء .

٢ هنْد والرَّبَاب وَفَرْتَنى : نساء . النَّعْف : المكان المرتفع . بَدلان : بلد باليمن .

* يذكر أن هذا الطلل ، كان سكناً لهند وصواحبها ، وقد اجتمع بهن أياماً وليالي .

٣ رَوَاني : جمع رانية ، المُديمة النَّظر .

* ليالي جميلة ، يدعوني الصِّبا إليها ، وقد كنَّ كلفات بي ، مائلات إليّ ، لا يرمين أبصارهن إلى غيري .

٤ القَيْنَة : الأمة المُغَنِّية . الكرَان : العود .

* فان كان بي كربة ، فيارب أمة مغنية ، أمرتها بأن تعزف على العود ، أي طالما نعمت باللَّهو .

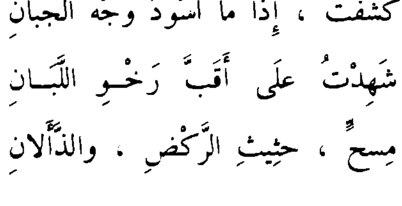
٥ المزْهَر : العُود . الخَميس : الجَيْش . الأجَشّ : الذي فيه بحَّة .

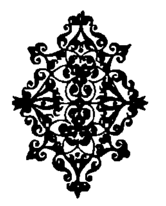
* لها عُود رفيع الصَّوت ، يغلب عزفه على جيش ، كثر عدده وضجيجه . إذا ما لعبت بأوتاره يدان .

٦ وَإِنْ أُمْسِ مكْرُوبــاً ، فَيا رُبَّ بُهمةٍ ؛ كشَفتُ ، إِذا ما اسْودّ وجْهُ الجبانِ

٧ وَإِنْ أُمْسِ مَكْرُوباً ، فَيَارُبَّ غَارةٍ شَهِدْتُ عَلَى أَقَبَّ رَخْــوِ اللّبَــانِ

٨ علَى رَبِذٍ يَزْدادُ . عَفْــوا ، إِذَا جَرى مِسحٌ ، حثِيثِ الرَّكْضِ ، والذّألانِ





---

٦ البُهْمَة : الأمر المبهم الذي لا يدري كيف يحتال له . والرجل الشجاع لا يدري من أيــن يُؤتى إليه .

* يقول : إن أصابني الدهر ، فأمسيت مكروباً ، فكم من أمر لا يُهْتدى إليه ، كشفت حقيقته ، وبيّنت صوابه .

٧ ألاقَبّ : الضّامر البطن من الخَيْل . اللّبَان : الصّدر . وَرَخْواللّبَان : أي ليّن المعطف ، وهــو مستحبّ في الخيل .

* وأن أمس مكروباً ، فيا ربّ غارة ، قمت بها على ظهر فرس ضامر ، ليّن المعطف ، يعزّي نفسه عن حاضره بماضيه .

٨ الرّبذ : السّريع الوقع والموسع لقوائمه . العَفْو : الجري على غير مشقة وتكلّف . الذّألان : المر الخفيف .

* على فرس ، سريع الجري ، موسع الخطوات . يجري على غير مشقّة وتكلف .

تَأَمُّلٌ وحُزْنٌ

١	أَرَانَـا مُوضِعِينَ لأَمْـرِ غَيْـبٍ ،	وَنُسحَرُ بالطَّعَامِ ، وبـالشَّـرابِ
٢	عَصافِيرٌ ، وذُبَّـانٌ ، وَدودٌ ،	وأَجْرَأُ مِنْ مُجَلَّحَـةِ الذِّئـابِ
٣	وكُلُّ مَكارِمِ الأَخْـلاقِ صَارَتْ	إِلَيْهِ هِمَّتي ، وَبِـهِ اكتِسـابي
٤	فَبَعْضَ اللَّوْمِ عـاذِلَتي ، فـإِنِّي	سَتَكْفِيني التَّجَـارِبُ ، وانتسـابي
٥	إلى عِرْقِ الثَّـرى وَشَجَتْ عُرُوقي ،	وهذا المَـوتَ يَسْلُبُني شَبـابي
٦	ونفْسي ، سوف يَسْلُبُهَا ، وجِرمي ،	فَيُلْحِقُني . وَشيكاً . بالتُّـرَابِ

---

١ مُوضعِين : مُسْرعين . لأمْرغَيْب : أي المَوْت . نسْحَر : نُغَذى ، أونلهو .

* أرانا سائرين مَسْرعين لأمر محتوم علينا ، نلهو ، ونُخْدع ، ونقطع أيامنا في التلذذ بما طاب من الطَّعام أوالشَّراب .

٢ المُجَلَّحَة : الأكول ، والمقدمة على الأمر إقداماً شديداً ، الهاجمة على النَّاس .

* ونحن بالضَّعف كأمثال العصافير والذبَّان والدود ، وعند ركوب الآثام ، أجرأ من الذئاب ، وهي مُصَمِّمة على الشيء ، فلا ترجع عمَّا تريد .

٣ اكْتسَابُه : ما كسبه من مكارم الأخلاق .

* مكارم الأخلاق هي كلّ ما اتَّجَهَتْ إليها همَّتي ، وسعدت لاكتسابها والتحلّي بها .

٤ بَعْض اللَّوْم : أي لومي بعض اللَّوْم .

* يريد : كأنها عذلته على طلبه الطَّرب واللَّهو ، فسألها أن تكفّ عن بعض لومها ، لأنّ التجارب التي جرب بها أدبته ، وأنَّه أنى انتسب لا يجد إلا ميِّتاً ، فيعلم أنه لا حق بهم ، وهذا أيضاً ممَّا يؤدبُه .

٥ عِرْق الثَّرى : آدم لأنه أصل البشر . وَشَجَتْ : اتَّصَلَتْ .

* يريد أن أصله ثابت ، فهومن آدم أصل البشر ، وقد فني كلّ ما بينه وبين آدم من نسب ، فلا شكَّ أنَّه لاحق بهم .

٦ جِرْمي : جسمي .

* فالمَوْت سوف يسلب روحي ، وجسمي يفنى فيعود تراباً .

٧ أَلَمْ أُنْضِ المَطِيَّ بِكُلِّ خَرْقٍ أَمَقِّ الطُّولِ . لَمَّاعِ السَّراب

٨ وَأَرْكَبْ في اللُّهامِ المَجْرِ ، حَتى أَنالَ مَآكِلَ القُحَمِ الرِّغاب

٩ وقد طَوَّفْتُ في الآفاقِ ، حتى رَضِيتُ ، مِن الغَنِيمةِ ، بالإياب

١٠ أَبَعْدَ الحارِثِ ، المَلِكِ ، بنِ عَمرٍو ، وَبَعْدَ الخَيْرِ حُجْرٍ ، ذي القِباب

١١ أُرَجّي ، مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ، ليناً ، ولم تغْفُل عَنِ الصُّمِّ الهِضاب؟

---

٧ أَنْضي : أهْزِل . الخَرْق : المَفَازة . أمَقّ الطَّول : شديده .

* ألم أهْزِل المطيّ بطول السَّفر ، والسير الدؤوب بكل فلاة طويلة ، تخترقها الرّياح ويلمع السَّراب فيها ويضطرب .

٨ اللّهَام : الجيش الكبير يلتهم كل ما يمّر به . المَجْر : العظيم . القحم : قحمة جمع . الدفعة الكبيرة من المال . الرّغاب : الواسعة .

* وأسير بالجيش الوافر العدد ، الثَّقيل ، المتئد في سيره ، وأغزو الأعداء فأنال وفراً من الأموال والغنائم .

٩ طَوَّفْتُ : أكثرت من الطواف .

* وقد أكثرت من الطَّواف في نواحي الأرض ، فلم أرَخيراً من الرجوع إلى أهلي ، من غير ظفر ، ولا فائدة ولا غنيمة ، فديارأهلي هي غنيمتي التي تَسْقط في جانبها كلّ غنيمة .

١٠ الحَارث بن عَمْرو : جده . ذي القباب : يريد أنّه مَلك القباب .

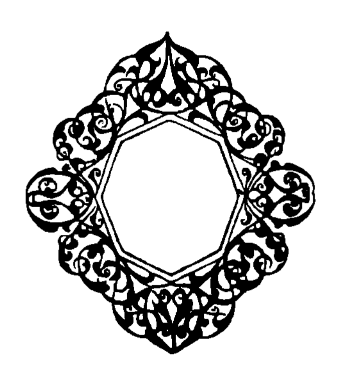
* وصف امرؤ القيس آباءه بأصحاب القباب ، لأنّهم كانُوا مُلوكاً ، ولم تكن القباب معروفة في الجاهليَّة ، إلا للملوك .

١١ يعني بالصّمّ الهضَاب : آباءه وأجداده على التشبيه بالجبال .

* يريد أنّ صروف الدهر ، لم تغفل عن هذه الصّخور ، بل أذابَتْها وأزالتها ، فكيفَ يرجّى منها ليناً ، وهذا هوعملها في هذه الكائنات القوية المتينة .

١٢ وأَعلَمُ أَنَّني ، عَمَّا قَرِيبٍ ، سأَنْشَبُ في شَبا ظُفُرٍ ونابِ

١٣ كَمَا لاقى أَبي حُجْرٌ ، وجَدِّي ، وَلا أَنْسَى قَتِيلاً بالكُلابِ



١٢ سأنْشَب : سأعلق . الشَّبا : الحدّ ومن السَّيْف قدر ما يقطع به . ظفر وناب : أي ظفر المنيَّة ونابها . والكلام على الإستعارة .

* وأنا على علم اليقين ، أن المنيَّة لا بدّ ستنشب فيّ أظفارها وأنيابها .

١٣ الكلاَب : واد كانت فيه وقعة عظيمة ، قتل فيها شَرْحبيل بن عمرو ، عمّ الشاعر .

* ولا بدّ أنّي ملاق حتفي ، كما مات أبي وجدي ، وعمي شرحبيل في وقعة كلاب .

قُبَيْلَ المَوْتِ

١	أَلا أَبْلِغْ بَنِي حُجْرِ بنِ عَمْرٍو،	وَأَبْلِغْ ذَلِكَ الحَيَّ الحَدِيدَا
٢	بِأَنِّي قَد هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ،	سَحِيقاً ، مِنْ دِيَارِكُمُ بَعِيدَا
٣	وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بِأَرْضِ قَوْمي ،	لَقُلْتُ المَوْتُ حَقٌّ ، لا خُلُودَا
٤	أُعَالِجُ مُلْكَ قَيْصَرَ كُلَّ يَوْمٍ ،	وَأَجْدِرْ بالمَنِيَّةِ ، أَنْ تَقُودَا
٥	بِأَرْضِ الشَّامِ ، لا نَسَبٌ قَرِيبٌ ،	وَلا شَافٍ فَيُسنِدَ ، أَوْ يَعُودَا

---

١ حُجْربن عَمْرو : والد امرئ القَيْس . الحَديد : ذوالحدة في الفهم أوالغضب .

* يخاطب أحدهم ، أن يبلغ بني قومه ، وأن يبلغ أصحاب الحيّ ، ذوي الحدة في الغضب والقتال .

٢ سحيقاً : بعيداً .

* بلّغهم أنّي أوشكت على الهلاك ، في أرض بعيدة بعداً سحيقاً عن ديارهم .

٣ لا خُلُود : لا : نافية للجنس ، خلود : اسمها ، أي لا خلود لأحد .

* فلوكان هلاكي حدث بين عشيرتي وأهلي ، لقلت أنّ الموت حقّ ، وأن لا خلود في هذه الحياة ، أي لبدا لي الموت هيّناً .

٤ أعَالج : أزاول ، أمارس . أجْدْربه : أي شيء جعل المنيَّة جديرة . أهلا أن تقود : لعلّه أراد أن تقود إليها الخلق .

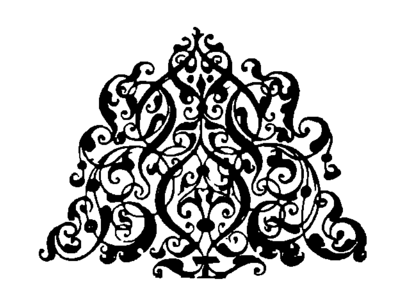
* أطالب قيصر بالملك كلّ يوم ، وأجدر بالمنيَّة أن تذهب بي ، إلى حيث المصير الّذي صار إليه ، آبائي وأجدادي .

٥ يُسْنِد ، أراد يسندني : يجعل لي متكأ أتكئ عليه . يَعُود : يزور في المرض .

* بأرض الشَّام ، حيث لا قريب يَعُولُني في حالي ، ويساعدني على شأني ، ولا طبيب يعودني في مرضي ، ويشفيني ممَّا ألمّ بي .

٦ وَلَــوْ وَافَقْتُهُــنَّ عَلَــى أُسَيْــسٍ ، وحَاقَةَ ، إذْ وَرَدْنَ بِنَــا وُرُودَا

٧ عَلَــى قُلُصٍ تظَــلُّ مقلَّــدَاتٍ أَزِمَّتَهُــنَّ مــا يَعــدِفْــنَ عُــودَا



---

٦ أسيس وحاقة : موضعان .

* يريد : لوأنّ المنايا والأحداث ، حلَلْنَ به في هذه المواضع .

٧ القُلُص : قلوص النّياق ، جمع . يَعْدفْنَ : يأكلن .

* على نياق شابةٍ ، سبَّاقة في العدو في أعناقهن أزمَّة ، ما يأكلْنَ شيئاً .

الحِلّةُ المَسْمُومَةُ

١ أَلِمَّا عَلَى الـرَّبعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا ، كَأَنّي أُنـادي ، أَوْ أُكَلِّمُ أَخْرَسَا

٢ فَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الـدَّارِ فيهـا كَعَهْدِنَا ، وجدْتُ مَقِيـلاً عِنْدهـمْ وَمُعَرَّسا

٣ فَلاَ تُنْكِرُوني ، إِنَّني أَنَا ذَاكُمُ لَيَاليَ حَـلَّ الحـيُّ غَوْلاً فَأَلْعَسَا

٤ فَإِمَّـا تَرَيْني لا أُغَمِّضُ سَـاعَـةً ، من اللَّيْلِ ، إلا أَنْ أَكبَّ ، فَأَنْعَسَا

٥ تَأَوَّبَني دَائـي القَدِيـمُ ، فَغَلَّسَا أُحَـاذِرُ أَنْ يَرتَـدَّ دائـي ، فَأُنْكَسَا

٦ فَيَا رُبَّ مَكْرُوبٍ ، كَرَرْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ ، حَتى تَنَفَّسَا

---

١ أَلَمَّ بالقَوْم ، أوبالمكان : أتاه في زيارة غيرطويلة . عَسْعَس : جبل طويل لبني عامر .

* يقول لصاحبَيْه : ميلا على الرَّبْع وانزلا ، حتى أسأله عن أهله ، ثم أخبَره أنّه ناداه فلم يجبْه ، فقال : كأني أنادي أوأكلّم أخرس .

٢ المَقيل : موضع القيلولة أي النَّوم أوالاستراحة في الظَّهيرة . المُعَرّس : مكان النزول ليلا .

* فلوأن أهل الدارما زالوا يقطنون في هذا الرّبع ، لوجدنا مكاناً للقيلولة وللتعريس .

٣ غَوْل وألْعَس : موضعان .

* كأنه يخاطب أهل الدارلَمّا أتاها ، فلم يجد بها أحداً فيقول : أنا ذاك الّذي عرفتم ، وصحبتم في موضَعيْ الغول وألعس .

٤ أكَبّ عَلَى الشَّيْء : انحنى عليه ومال .

* أما تريني ، ما أن يأخذني شبه نوم ، حتى أحني رأسي ، فأنعس وذلك لشدة تعبه وإعيائه من الداء الذي أصابه .

٥ تأَوّبني : جاء مع اللّيل . غَلَس : جاء بغلس ، أي في ظلمة آخرالليل .

* جاءني دائي القديم مع اللّيل ، وأني لأخشى من نكس هذا الداء ، ومعاودته لي .

٦ كَرَرْتُ وراءه : عطفت ورجعت إليه .

* فيا رُبّ امرئ حاقت به أخطارحرب ، فضاق مجاله فيها ، حتَى كادَ أن يقتل أويُؤخذ أسيراً ، حملت بفرسي وقاتلت عليه أعداءه ، حتى تنفَّس ، وانفرج المضيق أمامه ، فنجا .

٧ وَيَا رُبَّ يَـوْمٍ ، قَدْ أَرُوحُ مُرَجَّلاً ، حَبِيباً إلى البِيضِ الكَوَاعبِ ، أَمْلَسا

٨ يَرُعْنَ إلى صَوْتي ، إذَا مَـا سَمِعنَهُ ، كَمَا تَرْعَوِي عِيطٌ إلى صَوْتِ أَعيَسَا

٩ أَرَاهُنَّ لا يُحْبِبنَ مَنْ قَـلَّ مَـالُهُ ، وَلا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ ، وَقَوَّسَا

١٠ وَمَا خِفْتُ تَبرِيحَ الحَيَاةِ ، كما أَرَى تَضِيقُ ذِرَاعي ، أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا

١١ فلَـوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعةً ، ولَكِنَّهَـا نَفْسٌ تسَـاقَطُ أَنْفُسَـا

١٢ وَبُدِّلْتُ قَرْحا دامِيـاً ، بَعْدَ صِحَّةٍ . فَيَا لكِ من نُعمى تحَوَّلْـنَ أَبْؤُسا

---

٧ المُرجَّل : المسرّح الشَّعر .

* ويا رُبَّ يوم ذهبت ، وأنا في ميعة الشباب ، مسرّح الشعر ، متجمّلا ، فأعجبت بي الفتيات الكواعب اللواتي هنَّ في غاية الجمال والرشاقة .

٨ يرعْنَ : يرجعن . تَرْعَوي : ترجع . العيط : جمع عيطاء : خيار الإبل وأفتاؤها . الأعْيَس : الفحل .

* تلتفتُ الكواعب من النساء إلى صوتي ، إذا ما سمعْنه ، ويملن إليّ حباً وكلفاً ، كما ترجع الإبل الكريمة الفتية الحائل ، إلى فحلها .

٩ قَوّس الرّجل : انحنى ظهره .

* يؤكد الشَّاعر أنّ النّساء لا يحببن من شحّ مالُه ، ولا من غزا الشَّيب رأسه ، وانحنى منه الظهر لكبره

١٠ التبريح : شدة البلاء .

* يقول : لم أخف أن تبرح بي الحياة هذا التبريح ، حتَّى تضيق ذراعي أن أقوم ، فألبس ثيابي ، أي فأضعف وأعجز عن تناول ذلك لشدة ما بي من مرض .

١١ تَمُوت جميعَة : يعني مرة واحدة .

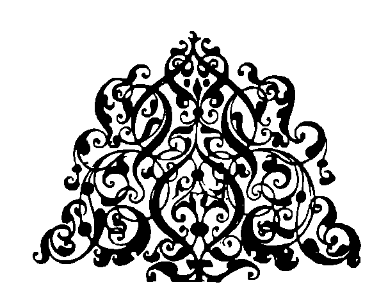
* فلو أنّ نفسي تموت مرّة واحدة ، لهان الامر ، ولكن المرض يأخذ منها شيئاً فشيئاً .

١٢ بُدلْتُ قروحاً : يريد ما نال جسمه من الأمراض نتيجة لبسه الحلة المسمومة .

* يريد أنّ الحلَّة المسمومة التي أهداها إليه ملك الروم ، قد أصابت جسمه بقروح ، بعد أنْ كان في غاية الصحة .

١٣ لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ من بُعد أَرْضِهِ ، لِيُلْبِسَني مِنْ دَائِهِ مَـا تَلَبَّسَـــا

١٤ أَلا إِنَّ بَعْد العُدْمِ للمَــرْءِ قِنْــوَةً ، وَبَعْدَ المَشِيب طولَ عُمْــرٍ ، ومَلْبسَا



---

١٣ الطَّمَّاح : رجل من بني أسد ، كاد لامرئ القيس عند قيصر .

* يريد انّ الطَّمَّاح قد سبب له البلاء والعدوى من بعد ، فانتقلت العدوى من الطَّمَّاح إليه ، إثر لبسه الحلة المسمومة .

١٤ قوله : (بَعْد العُدْم للمَرْء قنْوَة الخ ...) ، أي بعد الشدة رجاء ، وبعد الشيب عمر مستمتع ، وليس بعد الموت شيء من ذلك . القِنْوَة : ما اقْتَنَيْتَ من شيْ ، فاتخذته أصل مال .

* ألا إن بعد الفقر والشدة ، غنى ويساراً ونعمة ، وبعد الشيب عمراً ومستمتعاً ، وليس بعد المَوْت شيء

القُرُوحُ

قال يذكر داءه بأنقرة :

١ لِمَنْ طَلَلٌ دَاثِرٌ آيُهُ ، تَقَادَمَ في سَالِفِ الأَحْرُسِ

٢ فَإِمَّا تَرَيْنِي بي عُرَّةٌ ، كَأَنِّي نَكِيبٌ مِنَ النِّقْرِسِ

٣ وَصَيَّرَني القَرْحُ في جُبَّةٍ ، تُخَالُ لَبِيساً ، وَلَمْ تُلْبَسِ

٤ تَرَى أَثَرَ القَرْحِ في جِلْدِهِ ، كَنَقْشِ الخَوَاتِمِ في الجِرْجِسِ

---

١ دائر : مَمْحُو. آيُه : جمع آية ، العَلامة . الأحرس : جمع حرس ، وقت من الدهر.

* لمن هذا الطَّلل الَّذي قد مُحيت آثاره ، أيَّام الدهر الطويلة .

٢ العُرَّة : الجَرَب . نَكيب : منكوب . النِّقْرِسْ ؛ داء معروف يأخذ في القدم .

* فاما تريني ، وبي جرب ، كأني مبتل بداء النِّقرس .

٣ اللَّبيس : الثَّوب .

* وقد تفشَّت بثور الجرب في جسمي ، فكأنها قد ألبستني ثوباً .

٤ الجِرْجس : هنا يريد به الصّحيفة .

* ترى أثر القروح في جلدي ، تشبه نقش الأختام في الصّحيفة .

السَّمَوأل

السَّـــمَوْأَل
. . . ـ نحو ٦٥ ق.هـ

عاش في النّصف الثاني من القرن السادس ، واسمه صموئيل (السموأل عربيا) بن عاديا ، يهودي . كان أبوه أوجده قد نزل أرض تَيْماء بين الحجاز والشام . وأشاد هناك قصراً من الحجر الأسود والأبيض ، فدعي القصر بالأبلق . وأصبح القصر محطاً للقبائل ، وملجأ للمُسافرين من غاراتها ، تقام حوله الأسواق في المواسم . وحول هذا القصر حدثت القصة المشهورة التي ضحّى فيها السموأل بدم ابنه ، ورفض أن يعطي دروع امرئ القيس ، المودوعة عنده ، حين رَحَلَ هذا الشاعر إلى أرض الروم . ولقد رفض السموأل أن يعطي الدروع لغير صاحبها ، حتى ولو كان ملك الغساسنة (الحارث بن أبي شُمَّر الغسَّاني) .

* * *

أهم ما عند السموأل ، ليس الشّعر ، ولكن الموقف الأخلاقي ، والقصيدة الوحيدة التي ترتفع إلى مستوى الشّعر ، هي التي أفصحت ، بشكل نشيد حماسي ، عن ذلك الموقف . فتصاعدت قمم المرؤة العربية فيها ، إلى أعلى آفاقها ، رفعة وشمماً قلّ نظيرُهما . والسموأل ، وهو نموذج أخلاق الوفاء ،كما كان الطَّائيّ ، نموذج أخلاق العطاء ، كما كان عنترة ، نموذج أخلاق الشَّجاعة ، فانه يؤلف هكذا أحد أركان الوجود القيمي العربي الأربعة أو الخمسة .

ولذلك ، فان تقييم شعر السموأل من الوجهة الفنية والبلاغية ، سوف يظل أقل بكثير من تقييم النموذج البطولي الحياتي الذي تنبثق منه شخصية السَّموأل الواقعية . هذه الشخصية التي دخلت ركناً أساسياً في الميثولوجيا العربية الجاهلية ، لما روي عنها من قصص وأساطير ، كان أهمها ، ولا شك ، قصة دروع امرئ القيس .

على أن أبرز ما في نشيد السيادة ، وهي القصيدة اللامية ، أن السموأل استطاع حقاً ، أن يؤكد أرستقراطية الشهامة ، فوق أرستقراطية المال والمحتد ، بالرغم من غناه وأصالة نسبه .

بقي أن انتماء السموأل إلى اليهوديَّة ، كان في الواقع أضعف التزام في تركيب شخصيَّته ، إذ ظلت القيم الجاهلية الفروسية ، هي أعلى انتماء له في سلوكه ، وفي علاقته مع الآخرين .

وأما بقيَّة شعره ، ما عدا اللاّمية ، فأكثره منحول ، مشكوك فيه ، لما فيه من أساليب بلاغية ونصوص دينية ، ترجع إلى عهود اسلاميةمتأخرة . ونحن أثبتنا بعضها هنا للاطّلاع .

نَشِيدُ السِّيَادَةِ

تعتبر القصيدة التالية أفضل ما قاله السموأل في شعر الافتخار، والاعتداد بالنسب والحسب، وطول الباع، ومجد الأهل وعزتهم. وقد ذهب كثير من أبياتها، مثلا في الحماسة وتأصيل الذات، وشرف المحتد. وتسير القصيدة حسب إيقاع مُتَمَاوج القوّة واللّين، متماسك البنيان. وجاءت ألفاظها سهلة إجمالا. وكأنها شبه نشيد جَمَاعي، ينشده القوم في ساح المفاضلة، وهم مشرفون على قتال واحتراب.

ويتبدى السموأل، في قصيدته الضاجة الصاخبة هذه، واعياً كل الوعي لأصول سيادته، مؤمناً إلى درجة الاعتقاد الصوفي، بتفوقه وتفوّق سلالته. يدعو إلى التسليم بأفضليته وشرف محتده. فتراه يكرّر ويلح على تأكيد هذه السيادة وعناصرها الأولى: النَّسب، والغنى، والمنعة. ويعتز بعاصمة هذه السيادة التي تتجلى في قصره الأبلق الشهير، الذي كان معصماً له ولآبائه من قبل، عند الشدائد، وموئلا للضيوف والفقراء، ومغنى للأصدقاء والندامى.

ويصح أن يقال عن هذه القصيدة: إنها في الحق نشيد الفروسية المتعالية التي لا تشبهها، من حيث أنفتها وتعاليها، إلا قصيدة عمرو بن كلثوم، مع فارق الحماس الشعبي، وحركة التحريض التي تمتاز بها قصيدة عمرو، بينما يبدو نشيد السموأل، وكأنه افتتاحية السيادة الواعية لذاتها، بصورة مضخَّمة لا تخلو من المبالغة والعنجهيَّة الفردية.

١ إِذَا المَرْءُ، لَمْ يَدْنَس مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فَكَلُّ رِدَاءٍ، يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

٢ وإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ، إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ، سَبِيلُ

---

١ اللّؤم: الخصال المذمومة.

* إذا المرء لم يلحق شَرَفه الدنس، فكلّ مظاهره وخصاله الأخرى سوف تبدو جميلة مستحسنة فكأن رأس الرذائل إذن هو ضياع الشَّرف.

٢ الضّيم: الظّلم، وهنا بمعنى المكروه.

* وإذا لم يصبر الإنسان على المكاره عابه النَّاس واحتقروه.

٣ تُعَيِّرُنا أَنَّا قَلِيـــلٌ عَـدِيـدُنَـا ، فَقُلْتُ لَهَـا : إِنَّ الكِرَامَ قَلِيلُ !

٤ وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا : شَبَابٌ تَسَامَى للعُلَى ، وَكُهُــولُ ،

٥ وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيــلٌ ، وَجَارُنَا عَزِيزٌ ، وَجَارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيــلُ

٦ لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّــهُ مَنْ نُجِيــرُهُ ، مَنِيعٌ ، يَرُدُّ الطَّرْفَ ، وَهْوَ كَلِيلُ

٧ رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَىٰ ، وَسَمَا بِهِ إلى النَّجْمِ فَرْع ، لَا يُنَالُ ، طَوِيلُ

٨ هُوَ الأَبْلَقُ الفَرْدُ ، الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَــهُ ، وَيَطُولُ

٩ وَإِنَّا لَقَوْمٌ ، لَا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً إِذا مَا رَأَتْهُ عَامِــرٌ ، وَسَلُولُ

---

٣ تُعيّرنا : تندد بنا .

* ان ابنة الحيّ ، قد أنكرت علينا قلّة عددنا ، واعتبرته عاراً ، فأجبتها إن الكرام قليلون . والقلة لا تنفي القوّة ، خاصة إن كانت في القَوْم الأصلاء .

٤ البيت تفصيل لما سبقه .

٥ وَمَا ضَرّنَا : واي شيْ ضرنا .

* ولكن جارنا عزيز الحمى ، في حين أن الأقوام الأخرى ، وإن كثر عددهم ، فان جارهم لا تُرعى حرمتُه . وهنا يفخر الشاعر بقومه ، أنهم أصحاب نجدة ، ورعاية للجار والمستضعف وإن كان عددهم قليلا .

٦ جبَل : أراد به حصنه الأبلق . الطَّرْف : هنا بمعنى النظر .

* لنا حصن حصين ، منيع على الأعداء ، فسيح إلى أبعد حدود النظر . والإشارة إلى حصن الأبلق .

٧ رَسَا أصْلُه : عَمُق أساسه .

* لنا جبل صامد ، ثابت ، وكأنه أعلى طود على الأرض ، والبيان كناية عن مناعة في حماهم وترفعهم .

٨ هو حصن الأبلق الفريد من نوعه ، والّذي عَمَّتْ شهرته الآفاق ، وهو صعب المنال على كلّ من أراد أن يطالَه .

٩ السُّبَّة : الشَّتْم ، هنا بمعنى العار . عَـامر : بنو عامر بن صَعْصَعَة . سَلُول : بنو مرة بن صعصعة بن بكر بن هوازن .

* إذا حسبت عامر وسلول أن القتل عار ، فعشيرتي تعده فخراً وسؤدداً ، أي لا تَفْرق من الحرب . ويستطرد الشاعر في هذا البيت ، من مدح قومه إلى هجو عامر وسلول .

١٠ يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ، وتَــكْرَهُهُ آجَالُهُمْ ، فَتَطُــولُ

١١ وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ ، حَتْفَ أَنْفِهِ ، وَلا طُلَّ يَوْماً ، حَيْثُ كَانَ ، قَتِيلُ

١٢ تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَــاتِ نُفُوسُنا ، وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ

١٣ صَفَوْنا وَلَمْ نَكْدُرْ ، وَأَخْلَصَ سِرَّنا إِناثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا ، وَفُحُولُ

١٤ عَلَوْنا إلى خَيْرِ الظُّهُورِ ، وَحَطَّنا ، لِوَقْتٍ ، إلى خَيْرِ البُطُون ، نُزُولُ

١٥ فَنَحْنُ كَمَاءِ المُزْنِ ، مَا في نِصَابِنَا كَهَامٌ ، وَلا فِينَــا يُعَدُّ بَخِيلُ

١٦ وَنُنْكِرُ ، إنْ شِئْنا ، عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُم ، وَلا يُنْكِرُونَ القَوْلَ ، حِينَ نَقُولُ

---

١٠ * نغتبط باقتحامنا المنايا ، ونرتاح للموت ، أمَّا بنو عامر وسلول ، فيطول عمرهم ، لمجانبتهم القتال ، حُبّاً بالحياة ، وكرها للموت ، ويقصد أنهم جبناء .

١١ مَاتَ حَتْفَ أَنْفه : مات في فراشه دون قتال ، وهو موت القاعد عن طلب المجد في الوغى .

* لم يمت منَّا سيد في فراشه ، بل قتيلا ، ودم القتيل منا لا يذهب هدراً . والبيت من أشهر الشعر في الحماسة وأبلغه تأثيراً .

١٢ الظُّبَاء : جمع ظبة ، مضرب السَّيف أو شفرته . النُّفُوس : هنا بمعنى الدماء .

* وكأن أحداً من قومه لا يموت إلا وهو في ساح الوغى . وبذلك لا يرضى أحدهم لنفسه سوى هذه النهاية ، لأنها وحدها النهاية الَّتي تليق بالفارس السَّيد .

١٣ صَفَوْنَا : صفَتْ أنسابُنَا . السِّرّ : الأصل الجيد كالعرض .

* أي أننا شرفاء الأصل ، وقد صَفَتْ أنسابُنا ، فلم يشبْها كدر لأن نساءنا أمينات لاتخن رجالهن . وجاءت أصالتنا من آبائنا وأمهاتنا معاً .

١٤ * نسبنا صريح لم تَشُبه شائبة ، فعلونا إلى خير الظهور ، وانحدرنا إلى خير البطون ، أي جاء نسلهم من أفضل الرجال والنساء معاً .

١٥ المُزْن : السَّحاب الأبيض . النِّصَاب : الأصْل . الكَهَام : الضَّعيف المُسنّ وهما استعارة من النصاب بمعنى المدية والكهام بمعنى غير القاطع .

* يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم ، بصفاء ماء المطر ، فهم كماء المزن ، وكلّ منهم نافذ ماض ، وليس فيهم بخيل

١٦ * إننا لشدة بأسنا ، نستطيع أن نفرض آراءنا على غيرنا ، بينما لا يستطيع الآخرون ذلك . وهكذا فان القوّة هنا هي الّتي تقود الحقيقة في مجتمع الفروسية .

١٧ إذا سَيِّدٌ مِنَّا خَــلا ، قَــامَ سَيِّدٌ   قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الــكِرَامُ ، فَعُولُ

١٨ وَمَا أُخْمِدَتْ نارٌ لَنا ، دُونَ طَارِقٍ ،   وَلا ذَمَّنا ، في النَّازِلِينَ ، نَزِيلُ

١٩ وَأَيَّامُنَا مَشْهُـورَةٌ في عَدُوِّنَــــا ،   لَهَــا غُرَرٌ مَعْلُومَــةٌ ، وَحُجُـولُ

٢٠ وَأَسْيَافُنَا ، في كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ،   بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ ، فُلُولُ

٢١ مُعَــوَّدَةٌ أَن لا تُسَلَّ نِصَــالُهَــا   فَتُغْمَدَ ، حَتَّى يُسْتَبَــاحَ قَبِيلُ

٢٢ سَلي ، إِن جَهِلْتِ النَّاس ، عَنَّا وَعَنْهُمُ   فَلَيْسَ سَــوَاءً ، عَالِمٌ وَجَهُولُ !

٢٣ فَإِنَّ بَنِي الرَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ ،   تَدُورُ رَحَاهُــمْ حَوْلَهُــمْ ، وَتَجُولُ

---

١٧ * إن السيادة مستقرّة فينا ، حتى إذا مات منا سيّد ، خلفه سيّد ، يقول ما تقوله الكرام ، ويفعل ما تفعله . فكأن السّلالة كلها إذن ، سلسلة الأسياد العظماء .

١٨ * يشير بذلك إلى أنهم لكثرة كرمهم ، يديمون إيقاد نار الضّيافة ، ولا يطفئونها دون طارق ليل ، ويثني عليهم كلّ نزيل .

١٩ أيّامُنَا : معاركنا . غُرَر : جمع غرّة ، البياض في جبين الفرس . حُجُول : جمع الحجل ، البياض في رسغ الفرس ، موضع الخلخال .

* معاركنا مشهورة عند أعدائنا ، فهي بين الأيام كالأفراس الغرّ المحجلة بين الخَيْل .

٢٠ قِراع والمُقَارَعَة : المضاربة . فُلُول : جمع فلّ وهو الكسر .

* أسيافنا تفلّلَتْ ، أي تكسَّرت من كثرة ضرب الأعداء بها .

٢١ القَبِيل : الفرق بين القبيل والقبيلة ، أن القبيل من آباء شتى ، وأن القبيلة من أب واحد .

* وقد عودت أسيافُنا أن لا تجرّد من أغمادها وتردّ فيها ، إلا بعد أن يستباح القبيل ، أي القوم العدو ، المطعون في نسبه وأصالته .

٢٢ * يخاطب إحداهن ويقول : إن كنت جاهلة بنا ، فسلي الناس تُخبري بحالنا ، فلا يستوي العالم والجاهل .

٢٣ القُطْب : الحديد الذي في وسط الطبق الأسفل من الرّحى ، يدور عليه الطبق الأعلى .
بَنُو الرّيان : بنو يزيد بن قطن بن زياد الحارث .

* يريد أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم ، مثل الرحى ، لا يتم أمرها إلا بالقطب الذي في وسطها .

وَفَاءُ السَّمَوْأَلِ

في القصيدة التالية ، يلجأ السموأل إلى الحكمة ، فتراه يُبْدي تعفّفاً عن الغواني ، ويؤكد كرمه حتى في الشَّرب . ثم يعرج على حديث الموت والبعث ، فاذا بأفكار دينية تتردد على لسانه ، وهو يعترف أنه أخذها عن دين داوود . ولكن الشك يتطرق إلى الأفكار ، خاصة عندما تكون قريبة جداً ممَّا سيتنزل به الإسلام . ولذلك يرى النقاد أن عصر هذه القصيدة ، لا بد أن يكون بعد البعثة المحمدية وليس قبلها :

١	أَعَـاذِلَتِي ، أَلا لَا تَعْـذِلِيـنِي ،	فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عـاذلـةٍ ، عَصَيتُ
٢	دَعِينِي ، وَارشُدِي ، إنْ كُنْتُ أَغْوَى	وَلا تَغْوَىْ ، زَعَمْتِ ، كمَا غَوَيْتُ
٣	أَعاذِلَ ، قـد أَطَلتِ اللوْمَ . حتى	لو انِّي مُنْتَـهٍ ، لقـدِ انتَهَيْتُ
٤	وَصَفْرَاءِ المَعَـاصِمِ ، قَـدْ دَعَتْني	إلى وَصْلٍ ، فَقُلْتُ لَهَا ، أَبَيْتُ

---

١ العَاذلة : الّلائمة التي تلوم رجلها أو شخصاً آخر على شيء ما .

* ألائمتي ، لا تلومي ، فكم عصيت من لامني .

٢ غَوَي : ضلّ .

* يطلب من عاذلته أن تدعه وشأنه ، وأن ترشده إلى الصّواب ، وأن لا تضل هي معه ، بزعمها أنه ضلّ عن جادة الصواب .

٣ * يَا مَنْ تَلوميني ، لا تطيلي اللَّوم عليّ ، فلو أن أحداً نهاني عن فعل شيء ، لانتهيت .

٤ صَفْرَاءُ المَعَاصم : كناية عن المرأة الغاوية في زينتها . أبَيْتُ : رفضت .

* وقد دعتني غانية إلى وصالها ، فرفضت بشمم وشرف . والسَّموأل يتعفَّف عن وصال المرأة الضَّالة .

٥ وزِقٌّ ، قد جَرَرْتُ إلى النَّدَامَى وزِقٌّ ، قَدْ شرِبْتُ ، وقد سَقَيتُ

٦ وحتى لو يَكُونُ فتى أُنَاسٍ ، بكَى مِنْ عَذْلِ عَاذِلَةٍ ، بَكَيْتُ

٧ أَلا ، يا بَيْتُ بالعلياءِ ، بَيْتُ وَلَوْلا حُبُّ أَهْلِكَ ، مَا أَتَيْتُ

٨ أَلا يا بَيْتُ ، أَهْلُكَ أَوعَدوني كأَنّي كُلَّ ذَنْبِهِمِ ، جَنَيْتُ

٩ إذا مَا فَاتَني لَحْمٌ غَرِيضٌ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْري ، فاشْتَوَيْتُ

١٠ لَيْتَ شِعْرِي ، وَأَشْعُرَنَّ إذا مَا قِيلَ إقْرَأْ عُنْوَانَهَا ، وقَرَيْتُ

١١ أَلِيَ الفَضْلُ ، أَمْ عَلَيَّ إذا حُو سِبْتُ . إنّي على الحسابِ مُقِيتُ

١٢ مَيْتَ دَهْرٍ ، قد كنتُ ، ثم حَيِيْتُ وَحَيَاتي رَهْنٌ بِأَنْ سَأَمُوتُ

---

٥ الزِقّ : وعاء الخمر .

* ووعاء خمر دار بيني وبين النَّدامى ، ومنه شربت ، ومنه سقيت الآخرين معي ، فلا يشرب هو إلا ويشرب الجميع معه .

٦ * وأكره الملامة ، ولو رأيت فتى يبكي من لَوْم عاذلته ، لبَكَيْتُ معه .

٧ * ألا يا بيتُ في العلياء ، لولا حبّي لمن يسكنك ، لما جئت إليك .

٨ * توعدني أهلك كأني أنا الذي جنيت كلّ ذنوبهم التي جنوها هم بحقّي .

٩ اللَّحْم الغَريض : اللَّحم المكتنز الطريّ . ضربت ذراع بكري : ذبحتها .

* وإني إذا لم أجد لحماً طريئاً ، عمدت إلى ناقتي فعقرتها وذبحتها ، واشتويت لحمها ، لأكرمَ به ضُيُوفي .

١٠ لَيْتَ شعري : يا ليتني أشعر .

١١ المُقيت : المُقْتدر .

* يريد أنه لا يخشى من الحساب في اليوم الآخر ، لأنه يعرف ما كان قدم من أعماله الخيّرة في الدنيا .

١٢ * أي أنه كان قبل أن ولدته أمه ، ميتاً في الأزل ، ثم عاش . وحياته الحاضرة ، رهن الموت المحتوم .

١٣ وأَتَتْني الأَنْبَاءُ ، أَنّي إذا مَـا مُتُّ ، أَوْ رَمَّ أَعْظُمي مَبْعُـوتُ

١٤ هل أَقُولنْ إِذا تَـدَارَكَ حِلْمِـي وَتَداكَى عَـلَيَّ إِنِّي دُهِيتُ

١٥ أَبِفَضْلٍ مِنَ المَلِيـكِ ونُعْمَـى أَمْ بِذَنْبٍ قَدَّمْتُـه ، فَجُزِيـتُ

١٦ يَنْفَـعُ الطَّيِّـبُ القَلِيـلُ من الرِّزْ قِ ، ولا يَنْفَعُ الكَثِيرُ الخَبِيـتُ

١٧ وأَتَتْني الأَنْبَـاءُ ، عن مُلْكِ دَاوُ دَ ، فَقَرَّتْ عَيْنِي به ورَضِيتُ

١٨ ليس يُعْطَى القَوِيُّ فضْلاً من الرِّزْ قِ ، ولا يُحْرَمُ الضَّعِيفُ الخَتِيتُ

١٩ بَلْ لِكُلٍّ مِنْ رِزْقِهِ مَـا قَضَىٰ اللّـهُ ، وإِنْ حَـكَّ أَنْفَـهُ المُسْتَمِيتُ

---

١٣ رَمَّ عَظْمي : بليت عظامي ، فصارت رمَّة . مَبْعُوت : قام من موته .

* وأتاني اليقين أني عندما أموت وتُبلى عظامي ، سأبعث من جديد .

١٤ تَدَارَكَ : تتابع . تَـداكىٰ : تدافع وزاحم .

* يخشى أن تكون أفكاره هذه التي تتابع على وعيه ، أشبه بداهية .

١٥ أهذا (أي اليقين الذي يتمتع به) كان بفضل الله ونعمائه ، أم بذنب اقترفته ، فعوقبت عليه .

١٦ * يقيني أن القليل من الرزق الحلال ، هو خير من الكثير من الرزق الحرام .

١٧ قَرَّتْ عَيني : إرتاحت لمشهد جميل ، أو عمل حسن .

١٨ فَضْلا : زيادة . الخَتِيت : الخسيس في كل شيء .

* لا يعطي الله رزْقاً للقويّ أكثر من الخسيس ، فلكل رزقه .

١٩ إن الله يرزق كلّ حيّ حسب ما يراه ، فلا ينال فوق رزقه ، ولو استمات في سبيل طلبه .

أُعِدُّ لِلْحَرْبِ

وقال السموأل في معرض افتخاره بنفسه وقومه في الحرب :

١ لم يَقْضِ ، منْ حَاجَةِ الصِّبا ، أَرَبَا ، وَقَدْ شَآكَ الشَّبَابُ ، إِذ ذَهَبَا

٢ وَعَاوَدَ القَلْبَ ، بَعْدَ صِحَّتِهِ ، سُقْمٌ ، فَلاَقَى مِنَ الهَوَى تَعَبا

٣ إِنَّ لَنَا فَخْمَةً ، مُلَمْلَمَةً تَقْري العَدُوَّ السِّمَامَ واللَّهبا

٤ رَجْرَاجَةً ، عَضَّلَ الفَضَاءُ بِهَا خَيْلاً وَرَجْلاً ، ومنصباً عَجَبَا

٥ أَكْنَافُهَا كُلُّ فَارِسٍ بَطَلٍ أَغْلَبَ كالليْثِ ، عَادِياً حَرِبا

٦ في كَفِّهِ مُرْهَفُ الغِرَارِ ، إِذَا أَهْوَى بِهِ ، مِنْ كَرِيهةٍ ، رَسَبَا

---

١ الأرب : الحاجة . شآكَ : فاتك .

* وَلَّى الشَّباب ولم أمتّع به وشارفْتُ على الكهولة .

٢ * ورجع الهوى إلى القلب وابتلاه بالسقم ، بعد أن كان شُفيَ منه .

٣ الفَخْمَة : الكتيبة العظيمة . كَتيبَة مُلَمْلَمة : متكتّلة ومجتمعة .

* لنا كتيبة مكتّلة بفرسانها ، تسقي العدوّ سموم العذاب ، وتصليه ناراً كالجحيم . واختيار لفظتي فخمة ململمة ، أوقع بالنفس من ذكر الاسم مباشرة . ولهذا جاء البيت يفيض بالحماسة الدافقة .

٤ رَجْرَاجَة : كثيرة الحركة . عَضّل : ضاق . المَنْصب : الأصل .

* كتيبة تتحرّك دوْماً للقتال ، يضيق الفضاء بها من كثرة الخيل المدججة ، والفرسان ذوي الأصالة والنَّسب العريق .

٥ الأكْنَاف : جمع كنف . أغْلَب : شجاع لا يُغْلب . الحَرب : المُهَيّج .

* وتضمّ الكتيبة كلّ مقاتل بطل ، شجاع كالأسد ، هائج في القتال لا يُغْلب .

٦ مُرْهَفُ الغِرار : السَّيْف المُحَدد . رَسَبَ : لم يخطيء الضَّرْبة .

* في يده سيف محدد ، إذا أهوى به على الأعداء ، لم يُخْطيء ، وتأتي الضربة في الصميم . وحركة السَّيْف هذه جميلة حاسمة .

٧ أُعِدَّ للحَرْب كُلَّ سَابِغَةٍ فَضْفَاضَةٍ كَالْغَدِيرِ ، وَاليَلَبا

٨ وَالسُّمْرَ ، مطرورَةً مُثَقَّفَةً وَالبِيضَ تُزْهي ، تَخالُهَا شُهُبا

٩ يا قيسُ ، إنَّ الأَحسابَ ، أَحرزَهَا مَنْ كَانَ يَغْشَى الذَوَائِبَ القُضُبا

١٠ مَنْ غَادَرَ السَّيِّدَ السِّبَطْرَ لَدى المعركِ ، عَمراً مُخَضَّباً ، تَرِبا

١١ جَاشَ مِنَ الكَاهِنَيْنِ ، إِذْ بَرَزُوا أَمْوَاجَ بَحْرٍ ، تُقَمِّصُ الحَدَبَا

١٢ لِنَصْرِكُمْ ، والسُّيُوفُ تَطْلُبُهم حَتَّى تَوَلَّوْا ، وأَمْعَنُوا هَرَبَا

١٣ وَأَنْتَ في البَيْتَ ، إِذْ يُحَمُّ لكَ الماءُ ، وَتَدْعُو قِتَالَنَا لَعِبَا

---

٧ السَّابغة : الدرع الطويلة . اليَلَب : جلد يُعمل به شيء يلبس تحت الدرع .

* لقد استعدّ للحرب ، بدرع طويلة ، واسعة ، متموجة كالغدير ، فضفاضة كاليلب .

٨ السّمْر : الرّماح . مُثَقَّفَة : مقوّمة . البيض : السّيوف . الشّهُب : الكواكب . .

* والرماح محدّدة ، مقوّمة ، والسّيوف تبرق كالشّهب المُنيرة .

٩ الأَحْسَاب : جمع حسب ، المحتد والشَّرف . الذوَائب القُضُب : السّيوف .

* لا يُحرز المجدَ إلا من صارع بالسَّيف وغشيَ الحرب .

١٠ غَادر : ترك . السِّبَطْر : العظيم . المعرك : موضع القتال .

* ومن خلَّف في الحرب كلّ شجاع عظيم مخضّباً بدمه .

١١ الكَاهنَان : من بني قُرَيْظَة . بَرَزَ : ظهر . الحَدب : أمواج الماء . تُقَمّص : تحرك السّفينة ، وكأنها بعير يركض .

١٢ * وقد لاحقناهم بالسّيوف ، حتى أدبروا . وهربوا .

١٣ * يخاطب أحدهم ويقول : أنت ، في البيت . تجلس الهوينا ، وتسمي قتالنا هذا لعباً .

الأَبْلَقُ

١ بـالأَبْلَـقِ الفَـرْدِ بَيْـتي بِهِ   وَبَيْتُ المَصِيرِ سِوَى الأَبْلَـقِ

٢ بِبَلْقَعَـةٍ أَثْبَتَـتْ حُفْـرَةً   ذِرَاعَيْـنِ في أَرْبَـعٍ خيسَـقِ

٣ فَلا أَدْفَعُ الضَّيْفَ عَـنْ رِزْقِـهِ   لَـدَيَّ إِذَا قِيـلَ لَـمْ يُـرْزَقِ

٤ وَفِي البَيْتِ ضَخْمَـاءُ مَمْلُـوءَةٌ   وَجَفْـنٌ عَلَـى هَمِـعٍ مُـدْهَقِ

٥ أُبيتُ الَّـذي قَـدْ أَتَـى عَـادِياً   وَحَيـاً مِـنَ الحَلَـقِ الأَرْوَقِ

---

١ سوى الأَبْلَق : غير الحصن الأبلق .

* يريد أن حصن الأبلق هو بيته ، وأما ملاذه الأخير . في غير هذا القصر .

٢ بَلْقَعَة : صحراء خالية ، وهي كناية عن القبر . خَيْسَق : مقدار ما يوافق المدفون .

* مصيره إلى قبر في الصحراء لا يتّسع لغير جسده . يقارن بين قصره الكبير ، والقبر الذي سيكون مقرّه الأخير .

٣ أي أنه لا يرد ضيفاً إذا نزل به .

٤ الضَّخماء : القدر الكبير . الجَفْن : القَصْعة الكبيرة . الهَمِع : الزّق الذي يرشح ماء . مُدْهَق : مملوء .

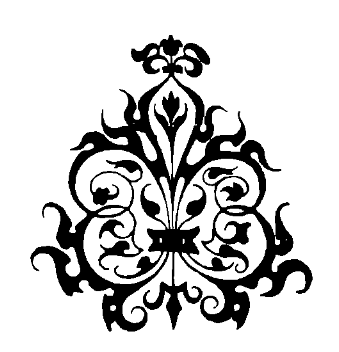
* إن في البيت قدراً سوداء مملوءة طعاماً .

٥ الحَلَقُ الأَرْوَق : العالي .

* يريد أنه يؤوي من يأتي عنده ، وينزله على الرّحب والسّعة ، سواء كان الضيف يضمر عداوة له أوكان من النّاس الاشراف .

المَوْتَان

١	إسْلَمْ سَلِمْتَ ، وَلا سَليمَ على البِلى	فَنيَ الرِّجَالُ ، ذَوُو القُوى ، فَفَنِيتُ
٢	كَيْفَ السَّلاَمَةُ ، إنْ أَرَدتُ سَلاَمَةً ،	وَالمَوْتُ يَطْلُبُني ، وَلَسْتُ أَفوتُ
٣	وَأَقِيلُ حَيْثُ أُرى ، فَلاَ أَخْفَى لَهُ ،	وَيُرَى فَلاَ يَعْيا ، بِحَيْثُ أَبِيتُ
٤	مَيْتاً خُلِقْتُ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا	شَيْئاً يموتُ ، فَمُتُّ حَيْثُ حَيِيتُ
٥	وَأَمُوتُ أُخْرى ، بَعْدَها ، ولأَعْلَمَنْ	إنْ كَانَ يَنْفَعُ أَنَّني سَأَمُوتُ



---

١ ، ٥ اسلم : دعاء . أقيل : أنام نصف النهار للرّاحة .

* المراد في هذه الأبيات كلها أنه سيموت لأنه حيّ ، ولو حاول الفرار إلى أي ملجأ ، فهو لا يسلم من الموت . ولذلك يقول : أنه لا سلامة للرّجال ، ما دام كل الأقوياء والضعفاء منهم قد فنيوا ، والموت لا يوفر أحداً من النّاس ، ولا يخفى عليه امرؤ ، إن أراده ناله . فلقد حُكم على الإنسان بالموت ، منذ أن حيا الحياة ، ولم يكن قبل مولده موجوداً ، وما أن ابْتُلي بالحياة حتى ابْتُلي بالموت كذلك . والبيت الأخير غامض . ولعله يريد من الميتة الأخرى نهاية الحياة ، وتكون الميتة الأولى هي ما قبل المولد ، أي أن الإنسان لحظة حياة بين موتين ، المولد والنهاية .

المُرَقِّش الأصْغَر

المُـرَقِّش الأصْغَــر

... ـ نحو ٥٠ ق.ه

« المُرقِّش » لقبه ، واسمه ربيعة بن سفيان ، بن سعد ، بن مالك بن ضبيعة . وهو ابن أخي المرقِّش الأكبر وعمّ طَرَفة بن العَبْد . وهو أشعر المرقشين ، وأطولهم عمراً ، وأحد عشَّاق العرب المشهوريـن وفرسانهم المعدودين . كانت له مواقع في بكر بن وائل وحروبها مع تغلب . وقد كان من أجمل النَّاس وجْهاً . عَلقَتْه هند بنت عجلان ، جارية فاطمة بنت المنذر ، فاتَّصَلَتْ به . وَعَلقَتْه ، أيضاً ، سَيِّدتُها فاطمة ، وواصَلَتْه حيناً ، إلاَّ أنه كان أميل إلى جاريتها . فتواقع مع صاحبه عمرو بن مالك ـ وقد كان شديد الشَّبه به ، لا يفترق عنه إلا بغزارة شعر جسده ، كما يزعم الرّواة ـ تواقع معه أن يدخله على فاطمة ، فيما يختلي شاعرنا بحبيبته هند . إلا أن أمرهما افتضح ، فندم على فعلته ، وعضّ على إبهامه حتى قطعها أسفاً ، ومضى يهيم على وجهه حياء .

والمرقِّش شاعرُ وَجْد ، أكثر منه شاعر فروسيَّة ، تراه وقد غشي الشَّوق عالَمه ، وأتى على كلّ مظهر من مظاهره ، كأنّه يحيا في عالم الذكرى والنَّدم ، يتحسَّر على ما فات من زمن المودة ، ويبكي على سعادة الحبّ المتصرّمة الضائعة . ولقد أمعن في وصف الطَّلل المُتهدّم ، الخالي ، الموحش كنفسه ، مُتَمثّلا فيه على الزّوال ، وانقراض الأشياء ، وأسى النَّفس التي تعبر الأحداث فيها ، مثيرة عواطفَها وانفعالاتها ، مُظْهرة عجزَها أمام القدر الَّذي يُحيل كلّ نعيم تنعم به ، وترجو بقاءه .

وتصحب تجربة الطَّلل في شعره ، تجربة الطَّيْف . وهو تجسيد لشَوْقه ووجده في إطار حسيّ ، تتراءى له به الحبيبة ، مُقْبلة عليه ، مُواصلَة له ، حتَّى إذا انقشع وهمُه ، عاد إلى واقع الخيبة والمرارة ، شاعراً بالوحشة والمَنْفى وفراغ الأشياء والعالم . وقلَّما نقع له على قصيدة لا يُلمّ فيها بذكر الطَّيْف ، مفصحاً بذلك عن نوع من السّويداء والقنوط من الواقع ، والتعوّض عنه بعالم الحلم الَّذي تفقد به الأشياء واقعيَّتها ، وتبدو أكثر طواعيَّة واستجابة له . وهو يدنو بذلك إلى واقع الشّعراء العُذْريّين الَّذين يبنون لأنفسهم عالماً من العواطف والذكريات ، تنطفيء به أحداقهم عن الحاضر ، ويحَيون حول عاطفة ثابتة متآكله ، كالداء . ولقد جاءت مفاخره ، من جرّاء ذلك ، باهتة عَيِّية ، ضَعيفـة الانفعال ، فاقدة العزم ، إذ أن فروسيَّة المرقِّش هي فروسية العاطفة النقيَّة ، شبه البتول ، المعزولة عن كلّ ما دونها في إطار رثائي ، تكثر فيه المَناحات والدموع .

والمرقِّش إذ يصف حبيبته ، يخلع عليها صفة الكمال والنَّعيم ، ويضفر لها أجواء الطِّيب الشّعري العميق الوجد والشّفافية ، رامزاً بها إلى عهد من السَّعادة المَغْصوبة والنَّعيم البعيد الزّائل . ويكاد

لا يذكرها إلاّ راحلة ، ظاعنة ، مُورِيَة في نفسه الألم وحسّ البراح والافتقاد . ومعظم الأمكنة التي يشير إليها ، هي أسماء وحشة وخلوّ وذكرى ، فكأنها خلَّفت فيها شيئاً من ذاتها ، ومن طيبها الَّذي لا ينقطع عبيره .

وتحت وطأة التشاؤم والشّعور بالخيبة ، نرى الشاعر يتصدى للحياة ذاتها ، مُسيئاً الظَّنّ بها ، ناعياً عليها تقلّباتها وغدرها بأبنائها . فهي لا تُبْقي على صاحب مال ، أو جاه أو نعمة ، بل تغتال كل خير وتُخَلّف كلّ شرّ .

فالمرقِّش شاعر ذو موقف يَقفهُ من الأشياء ومعانيها ، يُلَوّنها بالوان نفسه القانطة ، ويُضْفي عليها من سويدائه ، فيبدو العالم معها ، وكأنَّه مقام شقاء وبؤس ، عاطل عن كلّ مظهر يجذب الحسّ والنَّفس ، ويجعل الحياة جديره بالعَيْش والكفاح .

بِنْتُ عَجْلاَنَ

هي إحدى القصائد التي يُنَاجي بها حبيبتَه هند بنت عجلان ، استهلّها بذكر الطَّلل ، ثم مال إلى النَّجوى والوصف ، مُشبّهاً طعم فمها بطعم الخمرة ، ذاكراً تأرّقه ، وطيفها الذي يلمّ به ويخادعه ، مُختَتماً بوصف فرسه الذي بتخايل به ، ويشهد الغارة ، مصوّراً جريه وإيقاعه بالعدو .

والقصيدة ليّنة ، سهلة العبارة ، تنثال انثيالا ، يطغى عليها الألم وصدق الانفعال ، دون ميل إلى التثقيف ، والتدقيق ، وتكثيف الصّور والمعاني .

وأجمل أبياتها تلك التي يصف فيها الطّيف ، معبّراً بذلك عن وجده الذي لا يهدأ ولا يَسْتَكِنّ ، حتّى في النَّوم ، حيث يتراءى له رسم الحبيبة ، قريباً منه ، فاذا استيقظ ، لم يَرَ سوى مطيّته ، ومعالم الطَّبيعة الخاوية كنفسه :

١ أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ ، ماءُ عَيْنَيْكَ يَسْفَحُ   غَدَا من مُقَامٍ أَهْلُهُ ، وتَرَوَّحُوا

٢ تُزَجِّي بها خُنْسُ الظِّبَاءِ سِخَالَهَا ،   جآذِرُها بالجَوِّ وَرْدٌ وأَصبَحُ

٣ أَمِنْ بِنْتِ عَجْلاَنَ ، الخَيَالُ المُطَرَّحُ ،   أَلَمَّ ، وَرَحْلِي سَاقِطٌ مُتَزَحْزِحُ

---

١ تَرَوَّحُوا : ساروا في الرّواح ، وهو من لدن زوال الشّمْس إلى اللّيْل .

• يقول : هل أنت باك من رؤيتك بقايا الديار التي نزح أهلها وارتحلوا عنها ؟ .

٢ تُزَجّي : تسوق سوقاً ضعيفاً . الخُنُسُ : جمع خنساء ، من الخنس ، وهو قصَر الأنف ولزوقه بالوجه . سخَالُهَا : أوْلادها . الجآذر : جمع جُؤذر ، وهو ولد البقر ، أي جآذر الدار . الوَرْد : الذي تعلوه حمرة . الأَصْبَح : أشدّ حمرة منه شيئاً .

• تسوق فيها الظّباءُ أولادها ، والأبقارُ الوحشية جآذَرَها الحمراء ، وهو يتكنى بذلك عن خلوّها ووحشتها ، إذ غدت تقيم فيها الحيوانات البرّيَّة بدلا من النَّاس .

٣ بنْتُ عَجْلان : هي هند بنت عجلان ، جارية فاطمة بنت المُنْذر . المُطَرّح : الذي يطرح نفسه من مكان بعيد ، أي يلقبها . مُتَزحزح : متباعد .

• يصف خيال حبيبته الّذي يلقاه ويخطر له ، فما تنحدر مطيّته وتبعد .

٤ فَلَمَّا انْتَبهْتُ بالخَيَالِ ، وراعَني إِذَا هُوَ رَحْلي ، والبِلاَدُ تَوَضَّحُ

٥ وَلٰكِنَّهُ زَوْرٌ يُيَقِّظُ نَائِماً ، وَيُحْدِثُ أَشْجَاناً بِقَلْبِكَ تَجْرَحُ

٦ بِكُلِّ مَبيتٍ يَعْتَرِينا ومَنْزِلٍ ، فَلَوْ أَنَّهَا ، إِذْ تُدْلِجُ اللَّيْلَ ، تُصْبِحُ

٧ فَوَلَّتْ ، وَقَدْ بَثَّتْ تَبَاريحَ مَا تَرَى ، وَوَجْدِي بها ، إِذْ تَحْدُرُ الدَّمْعَ ، أَبْرَحُ

٨ وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ ، كالمِسْكِ رِيحُهَا تُعَلَّى على النَّاجُودِ ، طَوْراً ، وتُقْدَحُ

٩ ثَوَتْ في سِبَاءِ الدَّنِّ عِشْرِين حِجَّةً ، يُطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وتُرَوَّحُ

---

٤ إذا هَوَرَحْلي : يريد أنّه رأى الخيال في نومه . فلمّا انتبه لم يجد إلاّ رحله تَوَضَّحُ : تتوضح ، أي تظهر ، يريد أنّها خيالية

* يقول : إنّه استيقظ ، فتبدّد الخيال ، ولم يُلْف من دونه إلاّ مطيّته والبلاد الخالية .

٥ الزَّوْر : الزّائر .

* إنه لطيف زائر . يوقظ النّائم ، ويثير جراح الأحزان في قلبك .

٦ يعترينا : يصير إلينا ، يعني الخيال . تُدلجُ : تسير ليلا .

* ليتها إذا زارنا خيالها ليلا ، بقي إلى الصّباح .

٧ بَثَّتْ : فرّقت . التّاريح : الشدة ، أبْرَحُ : من البرح ، وهو الشّدة .

* لقد نأتْ ، بعدما أثارت بي عذاب الحبّ والوجد . ومهما بكيت لفراقها لا يزول العذاب ، بل يزيد ويتضاعف .

٨ القَهْوَة : الخمر . الصّهْبَاء : الشّقراء أو الحمراء . تُعَلَّى : ترفع . النَّاجُود : المصفاة . تُقْدَح : تعرف بالقدح .

* ما خمرة شقراء اللّوْن ، طيّبة الرّيح كالمسك ، تُرْفع ، حيناً ، على المصفاة . ويغرف منها ، حيناً آخر ، بالقداح . .

٩ ثَوَتْ : أقامت . في سبإ الدّن : في أسره وحصاره . احتواها كأنّما هي سَبي . يُطَان : يجعل عليها الطّين . القَرْمَد : طين يَطْلى على رأس الدن . تُرَوَّحُ : تخرج إلى الرّيح وتبرد .

* يستكمل وصف الخمرة ، ويقول : إنّها أقامت في الدّنّ عشرين عاماً . مطيّنة بالقرميد ، حيناً ، وحيناً آخر تخرج إلى الهواء وتبرّد .

١٠ سَبَاها رِجَالٌ مِنْ يَهُـودَ تَبَاعَدُوا ، لِجِيلاَنَ يُدْنِيهَا مِنَ السُّوقِ مُرْبِحُ

١١ بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا ، إِذَا جِئْتُ طَارِقاً مِنَ اللَّيْلِ ، بَلْ فُوهَا أَلَذُّ . وأَنْصَحُ

١٢ غَدَوْنا بِصَافٍ كالعَسِيبِ ، مُجَلَّلٍ طويناهُ ، حِيناً ، فَهْوَ شِزْبٌ ، مُلَوَّحُ

١٣ أَسِيلٍ ، نَبِيلٍ ، لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ كُمَيْتٌ ، كَلَوْنِ الصِّرْفِ ، أَرْجَلُ أَقْرَحُ

١٤ على مِثْلِهِ آتي النَّـدِيَّ مُخَـايِـلاً وأَغْمِزُ سِرًّا أَيُّ أَمْـرَيَّ أَرْبَحُ

---

١٠ السِّبَاء : إشتراء الخمر . جِيَلان : بلد من بلاد العجم .

* اشتراها قوم من اليهود ، وسعوا بها إلى جيلان ، ورفعوها إلى السّوق ، كي يجلبوا من بيعها الأرباح .

١١ أي ما هذه القهوة بأطيب من فيها . أنصح : أخلص وأطيب .

* إنّ تلك القَهْوة ، ليست بألذّ من فيها باللَّيْل ، بل إنَّه أطيب . وقد خصّ الأشارة إلى فمها باللَّيْل ، لأن الأفواه عندئذ ، تفسد رائحتُها .

١٢ غَدَوْنَا : أي غَدونا للصّيد بفرس صافي اللّون . العَسِيب : طرف السّعفة ، شبهه به في ضمره وجدله . مُجَلَّل : عليه الجلال ، وهي جمع جل ، وهوما تلبسه الدابَّة لتُصَانَ به . طَوَيْناه : ضمرناه . الشِّزْب : الضّامر . المُلَوّح : الشَّديد الضمر .

* يشرع في وصف الصَّيد ، منذ هذا البيتِ ، ويقول : إنهم غَدوا إليه بفرس ، ضامر ، خُلعَ عليه جلّه ، فبدا كعسيب النخل ، في ضموره وهزاله .

١٣ الأسيل : الأمْلَس المُسْتوي . الصِّرْف : صبغ أحمر تصْبغ به الجلود : أرْجَل : محجّل بثلاث قوائم ، مُطْلق بواحدة . أقْرَحُ : ذو قرحة ، وهي بياض في الوجه مثل الدرْهم ، فاذا كبرت ، فهي غرَّة .

١٤ النَّديّ والنَّادي : المَجْلس . المُخَايل : المُفَاعل من الخُيلاء . أي أمْريّ : يريد النجاء أو الطَلَب .

* يرتاد أندية السّباق ، وهو يمتطي هذا الفرس أوما يشبهه ، مختالا به . وقد يتردد فيما بينه وبين نفسه في الطلب أوالنَّجاء ، إذ سوف يربح في كل منهما .

١٥ وَيَسْبِقُ مَطْـرُوداً ، ويلْحَـقُ طَارِداً ، وَيَخْرُجُ من غَمٍّ المَضِيقِ ، ويَجْرَحُ
١٦ تَرَاهُ بِشِكَّـاتِ المُدَجَّـجِ بَعْدَ مَا تَقَطَّعَ أَقْـرَانُ المُغِيـرَةِ ، يَجْمَحُ
١٧ شَهِدْتُ بِهِ فِي غَـارَةٍ مُسْبَطِـرَّةٍ يُطَاعِنُ أُولاهـا فِئَـامٌ مُصَبَّـحُ
١٨ كما انْتَفَجَتْ مثل الظَّبَـاءِ جِـدَايَةٌ أَشَمُّ ، إِذَا ذَكَّـرْتَهُ الشَّدَّ أَفْيَحُ
١٩ يَجُمُّ جُمُوم الحِسْيِ ، جَاشَ مَضِيقُهُ وَحرَّدَهُ من تَحتُ غَيْلٌ وأَبْطَـحُ

---

١٥ من غَمّ المضيق : إذا ضاق عليه الأمر في السَّبق خرج منه . يَجْرَح : يكسب ويصيد .
* إذا طُورد لم يُلْحق ، وإذا طارد لحق بالطَّريدة ، وإذا ضاقت عليه منافذ السّباق خرج رابحاً وهو يصيد ويدرك الطَّريدة .
١٦ الشّكّات : جمع شكَّة ، وهي السّلاح . المُدجَّج : اللاّبس السّلاح كُلَّه .
* يقول : تَرَى هذا الفرس ، بعد ما يُغيرون عليه ، وبعد ما تتصرّم حبال المقاتلين وتهي عزائمهم ــ تراه ممعناً في الكرّ والفرّ والجموح ، لتفوّقه في العزم والشّدة .
١٧ المُسْبَطِرّة : الممتدة الطويلة . الفئام : الجماعة ، لا أحد له من لفظه . المُصَبَّح : المغار عليه في الصّبح .
* يقول : شهدت على تلك الفرس غارة ضخمة ، كانت طلائعها منهوكة بقتال القوم المغار عليهم في الصّباح الباكر . وكان العرب يغيرون ، غدوة ليأخذوا القوم على حين غرّة .
١٨ انْتَفَجَت : خرجت ثائرة . الجَداية : الشّاب من الظّباء . نشاط هذا الفرس وحدته كحدة جداية . أشَمّ : طويل . أفْيَح : بعيد ما بين الخطوتين .
* يريد أنه واسع الجَرْي ، إذا ذكّر به عند وقته وعند الحاجة إليه ، وأنه ينطلق انطلاقة الظّبية في حدتها .
١٩ يَجُمّ : يجتمع شده ، وكذلك جموم الماء . الحسْي : رمل على صلد ، يستنقع الماء في أسفله ، فاذا حُفرَ نبع فيه الماء بعد الماء . جَاشَ : غَلى . فاذا كان الحسْيُ ضَيّقاً كان الماء أشَدّ جيشاً وارتفاعاً . الغَيْل : الماء الكثير . الأبطح : الوادي الكثير الحصى أو الذي أرضه حَصْباء . جَرّده : كشفه وعرّاه من الشَّجر . يريد : وجرّده غيل وأبطح من تحت .
* يتدافع الفرس في قفزاته كما يتدافع الحسْي ، أي نبع الماء من فتحته الضّيقة ، وقد كشفه من تحت ماء غزير وبطحاء حَصبَة .

أَرَقُ اللَّيْلِ

يستهل هذه القصيدة أيضاً ، بوصف الطَّلل ، ثم يميل إلى وصف الحبيبة ، قارناً طعم فمها بالخمر ، ذاكراً أرقه ، والخيال الذي يطرقه ، مختتماً بأفكار تأملية ، يتعظ فيها بعظة الدهر والحياة . ولا تخلو القصيدة من بعض نفحات النفس المتألمة ، والتفجع من تقلبات الأيام ، حتى جاءت الحكمة في نهايتها ، أشبه بتعميات مجرّدة لعناصر التجربة المتأسية . ولقد يبدو بعض الاضطراب في ترتيب الأبيات ، حسب الروايات المُخْتلفة ، ممَّا يدخل شيئاً من التقطُّع والتَّضَادّ ، على مسيرة المعاني وتسلسلها الأصلي :

١ لاِبْنَةِ عَجْلانَ بالجَوِّ رُسُومْ ... لم يَتَعَفَّيْنَ ، والعَهْدُ قَدِيمْ

٢ لاِبْنَةِ عَجْلانَ إِذْ نَحْنُ مَعاً ... وَأَيُّ حَالٍ مِنَ الدَّهْرِ تَدُومْ

٣ أَمِنْ دِيَارٍ تَعَفَّى رَسْمُهَا ... عَيْنُكَ مِنْ رَسْمِهَا بِسَجُومْ

٤ أَضْحَتْ قِفَاراً ، وقَدْ كَانَ بها ... فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ، أَرْبَابُ الهُجُومْ

٥ بَادُوا ، وأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمِ ... أَحْسَبُنِي خَالِداً ، وَلا أَرِيمْ

---

١ الجَوّ : مكان بعينه . لَمْ يَتَعَفَّيْنَ : لم يدرسن .

٥ لم تزل للمواضع الّتي كانت تقيم فيها ابنة عجلان رسوم ظاهرة ، بالرّغم من تقادم العهد .

٢ تلك المواضع كانت تقيم فيها ، إذ كنا معاً ، والدهر لا يُبْقِي على حال من الأحوال .

٣ سَجُوم : كثيرة إرسال الدمع ، وعجزه مضطرب الوزن .

٤ الهُجُوم : جمع هجمة ، وهي القطعة من الإبل .

٥ أصبحت مُقْفِرة ، وقد كان يقطنها قبلا ، أصحاب قطعان الإبل ، أي أنّها كانت أنيسة لأن الإبل هي الحيوانات الأليفة .

٥ لا أريم : لا أبرح . يقال : قد رام يريم ، إذا زال موضعه ، وأكثر ما يستعمل هذا الفعل مع النفي .

٦ يَا ابْنَةَ عَجْــلانَ ، ما أَصْبَرَنِي على خُطُــوبٍ ، كَنَحْتٍ بالقَدُومْ

٧ كَأَنَّ فِيهــا عُقَــاراً قَــرْقَفــا نَشَّ مِنَ الدَّنِّ ، فالكَـأْسُ رَذُومْ

٨ شَــنَّ عَلَيْهَــا بمــاءٍ بــارِدٍ شَنٌّ مُنُــوطٌ بِـأَخْـرَابِ هَزِيمْ

٩ في كلِّ مُمْسىً لَهَــا مِقْطَــرَةٌ ، فيها كِبَـاءٌ مُعَـدٌّ ، وَحَمِيــمْ

١٠ لاَ تَصْطَلِي النَّـارَ باللَّيْــلِ ، وَلا تُـوقَظُ لِلزَّادِ ، بَلْهَـاءُ نَـؤُومْ

١١ أَرَّقَنِي اللَّيْــلَ بَــرْقٌ نَـاصِبُ وَلَمْ يُعِنِّي عَــلَى ذَاكَ حَمِيــمْ

---

٦ يخاطب حبيبته ، ويقول : ما أشدّ صبري على مصائب تُصيبني ، وتأخذ مني . كأنها ضربات القدوم .

٧ كَأَنَّ فيها : أي في فمها . العُقار : الخمرة . القَرْقَف : التي يصيب صاحبها من شربها رعدة . نَشّ : صَوّتَ عند الرّذوم : السّائل .

* كأنّ في فمها خمرة تُصيب شاربها بالرّعدة ، غَلَتْ في الدن ، وسالت من الكأس ، لشدة فورانها .

٨ شَنّ : صب ، أراد مزجها بالماء . بماء : الباء زائدة . الشَّنّ : القُرْبة الخَلقة . مَنُوط : معلّق . الأخْرَاب : جمع خربة ، وهي عروة القربة . الهَزِيم : القربة المُتشقّقة .

* مزجها بماء بارد من قربة متشققة ، معلّقة بعراها .

٩ المِقْطَرَة : المجمرة . الكبَاء : العود . حَميم : ماء حارّ تُحَمّ به .

* يقول : إنها تعدّ كل مساء ماء ساخناً لتغتسل به ، كناية عن نظافتها . وهذا المعنى مأثور في الشعر الغزلي ، عند الجاهليين ، إذ ينمون إلى صواحبهم كلّ نعيم للتدليل على ترفهن .

١٠ لاَ تُوقَظُ للزّاد : يقول : ليست شرهة للأكل ، هي منعّمة مكيّفة ، تنام متى شاءت . بَلْهَاءُ : أي عن الفواحش والخنا ، لأنها لا تعرفه .

* يقول : إنّها سَخنة المشْتى ، وَلَيْسَت شَرهة ، وَهي نَؤوم الضّحى ولا تعرف الخنا . وقد استكمل في هذا البيت معنى البيت السّابق .

١١ نَاصِبُ : من النَّصَب ، وهو التّعب . وهو بمعنى مُنْصب ، أي يتعبني حين أنظر . الحَميم : القريب الّذي توده ويودك .

* أرقت في اللّيل لبرق مُرْهق ، مثير ، ولم يسعفني على ذلك خلّ أو صديق ، أي أنه كان وحيداً بَيْن أحضان الظّلمة .

١٢ مَنْ لِخَيَـــالٍ تَسَـدَّىٰ مَـوْهِنــاً ، أَشْعَرَني الهَـمَّ ، فَالْقَلْبُ سَقِيمْ

١٣ وَلَيْلَةٍ بِتُّهَـــا ، مُسْهِـــرَةٍ ، قد كَرَّرَتْهـا عَلَى عَيْني الهُمُـومْ

١٤ لم أَغْتَمِضْ طُولَهَا ، حتَّى انْقَضَتْ ، أَكْلأُها بَعْدَ مَا نَـامَ السَّلِيــمْ

١٥ تَبْكِي على الدَّهْرِ ، والدَّهْرُ الَّـذِي أَبْكَاك ، فالدَّمْـعُ كالشَّنِّ الهَزِيمْ

١٦ فَعمْرَكَ الله ، هَـلْ تَـدْرِي إِذَا مَا لُمْتَ في حُبِّهَـا ، فِيمَ تَلُومْ

١٧ تُؤْذِي صَدِيقاً ، وتُبْـدِي ظِنَّةً ، تُحْرِزُ سَهْمـاً ، وسَهْماً مَا تَشِيمْ

١٨ كم مِنْ أَخِي ثَرْوَةٍ ، رَأَيْتُــهُ حَلَّ عَلَى مَالِهِ دَهْـــرٌ غَشُـومْ

١٩ ومن عزِيز الحِمَى ، ذِي مَنْعَة ، أَضْحَى ، وقد أَثَّرتْ فِيهِ الكُلُومْ

---

١٢ تَسَدَّى : تَخَطَّى إليه . مُوهَناً : أي بعد ساعة اللَّيْل .
يشكو من خيال حبيبته الَّذي يطرقه بعد منتصف اللَّيل ، فيؤرقه ويثير همومه ، ويُسْقِم قلبه

١٣ كَرَّرَتْها : أحالتها حتى خيّل إليه تكرارها .
* لشدة همّه شعر بطول ليلته ، حتى اعتقد أنها تتكرر ولا تنتهي ، والتعبير مبتكر .

١٤ أكلأها : أرعى نجومها . السَّليم : اللَّديغ .
* يصف في هذا البيت همّه ، ويقول : إنَّه أنفق ليله ، دون أن يغتمض له جفن ، وإنه ظلَّ يرعى النّجوم ، فما نام سواه ، حتى السَّقيم الذي لدغتْه الحيَّة وأوشكت أن تهلكه .

١٥ * يخاطب نفسه قائلا : إنَّك تبكين على الأيام ، وهي التي أثارت بكاءك ، إذ جرّت عليك القطيعة والهموم ، فانهمر دمعك كالقِرْبة المُتشقّقة ، المُنْهزم منها الماء .

١٦ * فهلاً دريت إذا لمت بحبها أي لوم تلوم ؟ وما الذي دعاك إلى ذلك .

١٧ الظنَّة : التهمة . تَشيم : تدخل ، وما قبله زائدة .
* يقول : إنك فارغ ، بَطل ، لا تصنع شيئاً ، تؤذي صديقاً وتبدي تهمة ، فأنت كرجل لديك سهم تسّله من كنانته وتدخله عبثاً ولهواً .

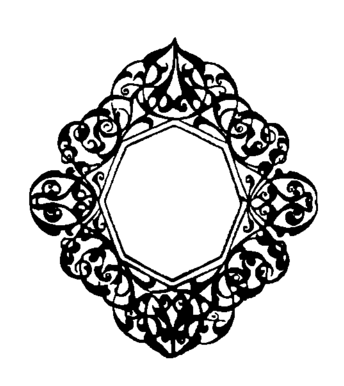
١٨ * كم من ثريّ أصابه الدهر الغاشم وذهب بماله .

١٩ الحمَى : ما مُنع وحُفظ . ذي مَنْعة : أي معه من يحفظه ويمنعه . الكُلُوم : الجراحات .
* وكم من رجل قويّ ، منيع ، غدا ضعيفاً انتهكت منعته ، وأدركته الجراح .

٢٠ بَيْنَا أَخُو نِعْمَةٍ ، إِذْ ذَهَبَتْ ، وَحُوِّلَتْ شِقْوَةٌ إِلى نَعِيمْ

٢١ وَبَيْنَا ظَاعِنٌ ذُو شُقَّةٍ ، إِذْ حَلَّ رَحْلاً ، وإِذْ خَفَّ المُقِيم

٢٢ ولِلْفَتَى غَائِلٌ يَغُولُهُ يا ابْنَةَ عَجْلاَنَ ، مِنْ وَقْعِ الحُتُومْ



---

٢٠ إذ : هنا بمعنى إذا الفجائية ، وقد أراد القول : بينا ترى رجلا في نعمة إذ تراه وقد ذهبت نعمته ، وبينا ترى آخر ذا شقوة ، إذا به يدرك ، فجأة ، النّعيم .

٢١ الشّقّة : السّفر البعيد .

* بينما الرّجل مسافر ، إذ حلّ رحله وأقام ، وبينما الرّجل مقيم إذ سافر ، أي لا يقيم النّاس على حالة واحدة .

٢٢ يَغُولُه : يذهب به . الحُتُوم : جمع حتم ، وهو القضاء .

المُرَقِّشُ وَفاطِمَةُ

لقد أبدعت قصّة المرقِّش مع حبيبته الَّتي خدعها . عمقاً جديداً للقصيدة الجاهلية ، فقرّب الغزل وقائع الحياة ، وحطَّم قوالب الصيغ المجرّدة ، وأغنى المواقف بالمزيد من الانفعالات الإنسانية . وجاءت هذه القصيدة ، فطوّرت الحبّ عند المرقِّش إلى ذلك الشَّغف المجنَّح بالحنين الضَّائع . وأضفت عليه من خشعة الاستيحاء ، فأعطى لفن الاعتذار دفء اللَّوعة ، ومعاناة الضمير المفجوع بصاحبه ، والقلب المضيِّع لهنائه ، النَّادب للحظات المتعة .

فالمَرَقِّش يستصرخ حبيبته الصفح ، وهو لا يكاد يصفح عن نفسه . ويتمنى لو تعاود صلته ثانية ، وهو يُبْعد عن ذاته لحظة اللّقاء ، لكي لا يرفع إليها وجهاً أذلَّه الخجل ، وعيناً غلب الذنب على صفاء البراءة فيها . فالشوق للقاء يكبله الحياء ، ونداء الغفران مثقل بمعاقبة الذات ، مثل لَوْم الحبيب . وهكذا ترددت أنفاس هذه القصيدة ، بين إيقاع اللَّهْفة والشَّغف وتقريع النفس ، وبين لمحات الفراق الأخير ، وذكريات العشق المدحور . حتى إذا ما أطلق الشَّاعر بعض أفكاره الحكيمة في النهاية . لمحنا الصلة بين مأساته ، وبين مأساة العلاقات المتقطعة بين كل اثنين من البشر ، الصديقين ، والحبيبين .

١ أَلايَااسْلَمي ،لا صُرْمَ لي ، اليوم ،فَاطِمَا وَلا أَبداً ، مَا دَامَ وَصْلُكِ دَائِما

٢ رَمَتْكَ ابْنَةُ البَكْرِيِّ عَنْ فَرْعِ ضَالَةٍ وَهُنَّ بِنَا خُـوصٌ ، يُخَلْنَ نَعائِمَا

---

١ الصّرْم : بضم الصّاد وفتحها : القَطْع . لا أبداً : لا صَرْم أبداً .

* يقول : إنَّك ما دمت تَصلينَني ، فلن يقعَ الفراق بَيْننا ، لا اليوم ولا غداً .

٢ الضَّالْ : سدّ الجبل الذي لا يشرب الماء . وَفَرْعُ الضَّالَة : أراد به القوس ، كأنَّها رمته عنه . الخُوصُ : الإبل الغائرة العيون من جهد السَّفر . نَعَائم : جمع نعامة .

* يريد : أنهنّ في ضُمُورهنّ وجهدهنّ ، أو في سرعتهنّ ، يُحسبنَ نعاماً .

٣ تَرَاءَتْ لَنَا ، يَوْمَ الرَّحِيل ، بِوَارِدٍ وَعَذْبِ الثَّنَايَـا ، لم يكُنْ مُتَرَاكِمَا

٤ سَقَاهُ حَبِيُّ المُـزْنِ في مُتَهَلِّـلٍ مِنَ الشَّمْسِ ، رَوَّاهُ رَبَـابـاً سَوَاجِمَا

٥ أَرَتْكَ بِذَاتِ الضَّالِ منها مَعَاصِماً ، وَخَدًّا أَسِيـلاً ، كالوَذِيلَـةِ ناعِمَا

٦ صَحَا قَلْبُهُ عنهـا عَلَى أَنَّ ذِكْرَةً إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الأَرْضُ قائمَا

٧ تَبَصَّرْ خَلِيلِي ، هل تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ خَرَجْنَ سِرَاعاً ، واقْتَعَدْنَ المَفَائِمَا

٨ تَحَمَّلْنَ مِنْ جَوِّ الوَرِيعَةِ ، بَعْدَ مَا تَعَالَى النَّهَارُ . وَاجْتَزَعْنَ الصَّرَائِمَا

---

٣ الوارد : الطَّويل ، عنى شعرها . مُتَراكِم : مُتَراكِب .

* يقول : إنها تبدت لنا يوم الفراق بشعرها الطَّويل ، وثغرها الضَّاحك المُبْتَسم .

٤ حَبِيّ المُزْن : ما اقترب من السَّحاب . في مُتهَلِّل : أي في روض متهلّل . الرَّبَاب : سحاب دون السَّحاب الأعظم . سَوَاجِم : تسكب الماء .

* يريد تشبيه ريقها بماء المُزْن .

٥ ذاتُ الضَّال : الأرض التي ينبت فيها شجر الضَّال . المِعْصم : موضع السّوار . الوذيلة : مرآة الفضَّة .

* ورأينا منها ، إذ كانت مقيمة في أرض الضَّال ، معاصم وخداً طويلا صقيلا كالمرآة .

٦ * يقول : إنّ قلبه قد كفّ عنها ، إلاّ إن ذكراها تعروه ، حيناً ، فيصيبه الدوار وتنهار الأرض من دونه ، وهو قائم . والذكرى الَّتي يشير إليها هي ذكرى افتضاح خدعته مع صاحبته .

٧ أراد بالظَّعائن النّساء . اقْتَعَدْنَ : ركبْنَ . المَفَائم : الإبل العظام ، أو المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مُفْأم ، بضمّ الميم وسكون الفاء .

* يقول ، مخاطباً صاحبه : هل تبصر النّساء الظَّاعنات اللواتي عدوْنَ مُسْرعات ، واقتعدن على مطاياهن الواسعة المتون ، التي يطمئن الجالس عليها .

٨ تَحَمَّلْنَ : رحلن . الوَريعَة : مكان . اجْتَزَعْنَ : قَطَعْنَ . الصَّرَائم : قطَع الرَّمل .

* يشير إلى الأمكنة التي اجتزنها ، ويقول : إنَّهن عبرن موضع الوريعة وقَطَع الرَّمل ، بعد أن ارتفع النَّهار .

٩ تَحَلَّيْنَ يَاقُوتـاً وَشَذْراً وَصِيغَـةً : وَجَزْعاً ظَفَـارِيًّـا . ودُرًّا تَوائِمَا

١٠ سَلَكْنَ القُرَى ، والجَزْعَ تُحْدَى جِمَالُهُمْ ووَرَّكْنَ قَـوًّا ، واجْتَزَعْنَ المَخَارِمَا

١١ أَلاَ حَبَّذَا وَجْهٌ ، تُرِينَا بَيَاضَهُ وَمُنْسَدِلاَتٍ كـالمَثَـانِي فَوَاحِمَا

١٢ وإِنِّي لأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جَـائِعـاً خَمِيصاً ، وأَسْتَحِيي فُطَيْمَـةَ طَاعِمَا

١٣ وإِنِّي لأَسْتَحْيِيكِ ، والخَرْقُ بَيْنَنَا مخَافَةَ أَنْ تَلْقَيْ أَخاً لِيَ صَارِمَا

١٤ وإِنِّي . وإِنْ كَلَّتْ قَلُوصِي ، لَرَاجِمٌ بها وبنَفْسِي . يافُطَيْمَ ، المَرَاجِمَا

١٥ أَفَاطِمَ إِنَّ الحُبَّ يَعْفُو عن الْقِلَى ويُجْشِمُ ذَا العِرْضِ الكَرِيمَ المَجَاشِمَا

---

٩ تَحَلَّيْن : لبسْنَ الحليّ . الشَّذر : اللّؤلُؤ ، أو قطع صغار من الذهب . الجَزْع : الخَرَز اليَمَاني ، وهو من أنفس الجواهر . ظفَار : بلد بين اليَمن وعُمان . تَوَائم : اثنتين اثنتين . .

* يقول : انهن صنعْنَ زينتهنّ وحليهنّ باللؤلؤ والخرز اليماني والدرّ المزْدوج .

١٠ الجَزْع : منعطف الوادي . قَوّ : موضع . ووَرَّكْنَهُ : خَلَّفْنَه وَعَدلْنَ عنه . المَخَارم : أطراف الطرق في الجبال .

* يذكر المواضع التي اجتزنها .

١١ المُنْسَدلات : الذَّوائب المُسْتَرْخية . المَثاني : الحبال ، شبَّه شعرها بها . الفَوَاحم : السّود .

* يتغنى بوجهها وبياضه . وضفائرها السّود الشّبيهة بالحبال لطولها .

١٢ الخَميص : الضَّامر من الجوع ههنا .

* يذكر مدى حيائه من فاطمة ، إثْر تلك الخدعة ، فالحياء لا يبرح نفسه . سواء كَانَ جائعاً أم طاعماً .

١٣ الخَرْقُ : ما اتَّسع من الأرض .

* أي : أستحييك أنْ تَلْقَيْ مُصارماً لي ، يسبقني عندك وَيَتَنَقَّصُني .

١٤ الرَّجْم : الرَّمْي . الرَّاجم : الرَّامي .

* يريد أنه يدفع بناقته وبنفسه في سرعة السَّير . كناية عن استمراره في الرجاء وطلب العفو منها ، كما سيتَّضح في البيت التالي .

١٥ يَعفُو : يُكْثِر . القلَى : البغض . يُجْشِم : يكلّف على مَشَقَّة ، أي يحمله على ركوب الهول .

١٦	أَلاَ يَاسْلَمي بالكَوْكَبِ الطَّلْقِ فاطِما	وإنْ لم يَكُنْ صَرْفُ النَّوَىٰ مُتَلائِمَا
١٧	أَلا يا اسْلَمي ، ثُمَّ اعْلَمي أَنَّ حاجَتِي	إلَيكِ ، فَرُدِّي مِنْ نَوَالِكِ ، فاطِمَا
١٨	أَفَاطِمَ ، لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ بِبَلْدَةٍ ،	وأَنْتِ بِأُخْرَىٰ ، لَاتَّبَعْتُكِ هَائِمَا
١٩	متَىٰ مَا يشَأْ ذُو الوُدِّ ، يصْرِمْ خَلِيلَهُ	ويَعْبَدْ عَلَيْهِ ، لا مَحَالَةَ ، ظَالِمَا
٢٠	وآلَىٰ جَنَابٌ حِلْفَــةً ، فـأَطَعْتَهُ	فَنَفْسَكَ وَلِّ اللَّوْمَ ، إن كُنْتَ لائِمَا
٢١	كَأَنَّ عَلَيْهِ تَاجَ آلِ مُحَـــرِّقٍ ،	بِأَنْ ضَرّ مَوْلاهُ ، وأَصْبَحَ سالِمَا
٢٢	فمن يَلْقَ خَيْراً ، يحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ،	وَمَنْ يَغْوِ ، لا يعْدَمْ على الغَيِّ لائِمَا

---

* يقول : إنّ الحبّ يصفح عن البغض ويكلف الرّجل الشريف تحمّل المشاق والأهوال .

١٦ الطَّلْق : الذي لا حرّ فيه ولا قرّ ، ولا شيء يؤذي . مُتَلائم : متلاحم موصول .

* يتمنى لها إقامة سعيدة ، حيثما أقامت وحلّت ، وإن كان بعدها عنه مستمراً ، متواصلا .

١٧ * يخاطب حبيبته ويدعو لها بالسَّلامة ، ويخبرها بحاجته إليها ويطلب وصالها .

١٨ * يُظْهر لها شدة حبّه ، ويقول : لو إنّ النّساء جميعهن ، كُنّ في بلدة أقيم فيها ، وأنت في بلدة أخرى ، لسعيت إليك هائماً على وجهي . كناية عن تفضيله إياها على النساء جميعاً .

١٩ يَعْبَدُ : يغضبُ .

* يذكّرها بأن للمُحبّ أن يصرم خليله متى أراد ، ولكن فعله هذا ينطوي على ظلم وقسوة .

٢٠ آلَى : حَلف . جَنَاب : أراد عمرو بن جناب ، سمّاه باسم أبيه .

* لقد أطعتَ ابن جناب ، وقبلْتَ أن تخدع حبيبتك ، فانظر ما آلت إليه حالتُك ، وليس لك إلا نفسك تلومها .

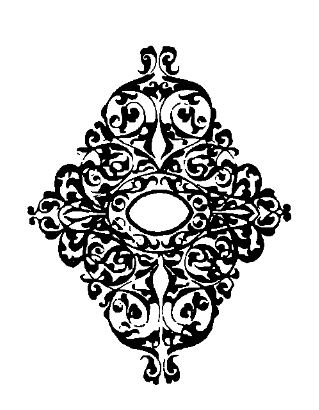
٢١ عليه : أي على عمرو بن جناب ، رفيقه الذي خانه .

* يقول : هذا الجاني عليه كأنّه يحمل على رأسه تاج عمرو بن هند وذويه ، فيما أضَرّ به ، ونجا هو بنفسه ، سالماً .

٢٢ غوي : من الغي . وهو الضلال والخيبة .

٢٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ يَجْذِمُ كَفَّــهُ ، ويَجْشَمُ ، مِن لَوْمِ الصَّدِيقِ ، المجَاشِمَا

٢٤ أَمِنْ حُلُمٍ أَصْبَحْتَ تَنْكُتُ واجِمَا وَقَدْ تَعْتَرِي الأَحْلاَمُ مَنْ كَانَ نَائِمَا



---

٢٣ يَجْذِم : يَقْطَع . من لوم الصَديق : خشية لومه وطلباً لرضاه .

* إن المرء يكاد يقطع يده إرضاء لصديقه وتجنّباً للوْمه ، ويتجشّم صعاب الأمور للفوز بُوده .

٢٤ تَنْكُتُ : يقال : « نكت في الأرض » إذا جعل يخطّط فيها . الوَاجم : الحزين .

* وكذلك يفعل المُغْتَمّ ، ينكت في الأرض بعُود من الهَمّ والفكر .

المُرَقِّشُ وَالمَالُ

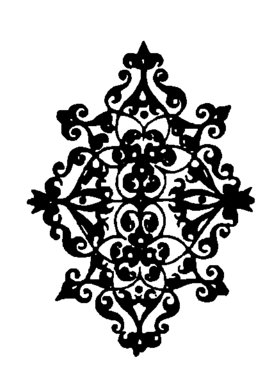
١ آذَنَتْ جَارَتي بِوَشْكِ رَحِيلِ بَاكِراً ، جاهَرَتْ بِخَطْبٍ جَلِيلِ
٢ أَزْمَعَتْ بِالفِرَاقِ ، لَمَّا رَأَتْني أُتْلِفُ المَالَ ، لا يذُمُّ دَخِيلي
٣ إرْبعي ، إنَّما يَريبُكِ مِنِّي إرْثُ مجْدٍ ، وَجَدٌّ لُبٍّ أَصِيلِ
٤ عَجَباً ما عَجِبْتُ لِلْعَاقِدِ المَا لَ ، وَرَيْبُ الزَّمَانِ جَمُّ الخُبُولِ
٥ وَيَضِيعُ الَّذِي يصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ شَقَاءٍ ، أَوْ مُلْكِ خُلْدٍ بَجِيلِ
٦ أَجْمِلِ العيْشَ إنَّ رِزْقَكَ آتٍ لا يَرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرْوى فَتِيلِ

---

١ آذنَتْ : أعلمت . الوَشْك : السّرعة .
* أوشكت جارتي أن ترحل ، باكراً ، وقد صرّحت لي بذلك الخطب العظيم .
٢ أزْمَعَتْ : عزمت . دخيلي : من يدخل إليّ .
* يريد أنَّه يُتْلف المال ، لئلاّ يذمَّه الضَّيْف ونحوه .
٣ اِرْبَعي : أمسكي واسكني . الإرْث : الأصل . الجَدّ : الحظّ والعظمة . وبكسرها . الاجتهاد في الأمور ، أو المحقّق المبالغ فيه .
٤ مَا عَجِبَتْ : ما زائدة . العاقد المال : الذي يجمع المال ويعتقده . الخُبُول : جمع خبل ، وهو الفساد .
* لشدّ ما أعجب من الّذي يجمع ماله ويقترّ به ، والدهر لا يُبْقي على شيء .
٥ بَجيل : عظيم .
* إن الدهر يزيل كلّ شيء ، فلا يُبْقي الشَّقاء الذي يشقى به ، ولا الملك العظيم الذي تنعّم فيه .
٦ أجمل العَيْش : أجمل في طلبه ، أي اطلبه بتؤده واعتدال وبعد عن الإفراط . التَّرْقيح : إصلاح المال والقيام عليه . الشَّرْوَى : المثل . الفَتيل : الخيط الذي في شقّ النَّواة .
* اطلب المال باعتدال ، فرزقك يأتي ويرده إليك ، ومهما حرصت عليه ، فلن يُجْديَك .

المُرَقِّشُ وَالْخَمْرَةُ

١	الزِّقُّ مُلْـكٌ لِمـنْ كَـانَ لَـهُ	والمُلْكُ مِنْهُ طَـويلٌ ، وقَصِيرْ
٢	مِنْهَـا الصَّبُـوحُ الَّـذي يَتْرُكُني	لَيْثَ عِفِـرِّينَ ، والمالُ كَثِيـرْ
٣	فَـأَوَّلَ اللَّيْـلِ لَيْـثٌ خَـادِرٌ،	وآخرَ اللَّيْـلِ ، ضِبْعـانٌ عَثُورْ
٤	قاتَلَكِ اللهُ مِـنْ مَشْـرُوبَـةٍ	لَوْ أَنَّ ذَا مِرَّةٍ عَنْـكِ صَبُـورْ



---

١ * يريد أنّ الخمر لشاربها ، بمثابة المُلْك الذي تتفاوت آماده ، أي أنّها توهمه بذلك .

٢ عفرّين : اسم بقعة من الأرض

* أشربها في الصّباح ، فتبعث بي الكبرَ والخيلاء والقوّة ، فأتوهَّم أنني غدوت قويّاً كأسد عفرّين ، ميسوراً ، كثير المال .

٣ الخَادر : الّذي لزم خدره ، وهو العرين . الضّبْعَان : ذكر الضباع . عَثُور : يريد أنّه في آخر اللّيل ، يكثر عثاره في سيره فيمشي كالضبع مما فَعَلَتْ به الخمر ، والضّباع تعرج كلّها .

٤ المرّة : القوّة وشدة العقل .

* يلعن الخمر وشربها ، ويرجو أن تكون له القدرة على تركها والصّبْر عليها .

الحَارِثُ بْنُ حِلِّزَة

الحَارِثُ بْنُ حِلِّزَة

٠٠٠٠ ـ نحو ٥٠ ق . هـ.

هو ابن ظليم ، الحارث بن حلِّزة بن مكروه بن عبد الله بن مالك بن يَشْكُر بن بكر بن وائل . وقد كان إماماً في قَوْمه ، يقول قولَهم ، وينطق بصوتهم في المُلمَّات ، فيمثّل الرّجل الّذي خبر طباع البشر . وأسرار الحياة ، وتدرّب على السّياسة ، يأخذ فيها بالحلم والرويّة ، والرأي السّديد والبيّنة الدامغة ، العميقة الدلالة . مثّل بني بكر أمام عَمْرو بن هند ، عندما احتكموا إليه مع التغلبيّين ، وناظر عمرو بن كلثوم وَظَهَرَ عليه ، لبُعْد نظره ، وهدوء طبعه ، وتوسّله بالعقل والحجة .

يمتاز شعره بالشّجو والإيقاع وخفوت الجرس ، فكأنه يعبّر عن اعتدال نفسه ، وبعدها عن الصّخب والضّوضاء اللّذين غلبا على طباع عَمْرو بن كلثوم . أما معانيه ، فهي معاني الفخر الهادىء الرّزين . قلّما تظهر فيها الصور القانية الّتي تتكاثر في شعر خصمه ، بل تتردد عبرها أسماء المواقع والقبائل . وتكثر الأحاجيج والبيّنات ، كأنها مرافعة منطقيّة هادئة ، أعدها محام ، يطلب الإنصاف والحقّ في دعوى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصير قبيلته ، في حياتها وكرامتها .

ولعل رويّته وتمهّله ساقاه إلى العناية بالموضوعات التقليديّة المقّررة ، في الشّعر الجاهلي ، إذ نراه يصف الناقة بأوصافها ، ويستهلّ بمقدمة غزليّة ، قبل أن يتخلّص إلى الرد على أعدائه . إلا أن الأسلوب السَّردي غلب على شعره ، فكثُر فيه التعداد الّذي قد يفي بغرض الدفاع . دون أن يفي بالغاية الفنّية الّتي لا تدرك أوجها إلا في التأمل الذي تتقلّص فيه أسباب الواقع الغثّ . لتظهر معالم الواقع الروحي . المتصل بالحقيقة الإنسانية الدائمة . ومع أنّه يُظْهر دهاء وحكمة . فإن فضيلة شعره الأولى هي فضيلة العبارة الدقيقة المنمَّقة ، واللّفظة المغمورة بجرس مهموس خافت . من دون الصورة البعيدة الإيحاء . وقد نقع له على قصائد أشد جرساً ، وأعنف وقعاً ، كما أنها قد تكتسي بحلل الصور الحسّيَّة المستمدة من واقع البيئة والعصر ؛ إلا أنه لا يسمو بها سمّوه في معلّقته ، ولا ينفث من تجربته العميقة ، ونَفَسه الطَّويل .

إلا أن الحارث ، بالرغم من ذلك كله ، ليس شاعر البطولة المتفجّرة ، وإن عرض لها ، حيناً ، ووصفها وقرّر مظاهرها ، كمن يشاهدها ولا يعانيها ، بل إن في نفسه رقَّة الشاعر المتنصّت لأقدام الموت التي تخبّ على أديم الحياة . تراه يبكي لنزوح العمر به ، ولمن فقد من وُلْده وصحبه الأقدمين ، ويعجب من صموده للخطوب التي لا قبل لجبل ثهلان بالصّمود لها . فالحارث يمثّل نوعاً من الفروسيَّة المتأنيَّة ، الكثيرة التأمل ، العميقة السّوْداء . واليأس من الكفاح ، والشعور بباطل القوّة

والبطولة والجهد الإنساني ، ويكاد يؤثر حياة الجهل والغفلة ، على حياة الكدح والوعي . لكثرة ما تعاقب عليه من الشدائد . وما عانى ، في نفسه ، معاناة الموت .

وقد تكون للحارث صورة أعمق وأشمل من التي عُرِفَ بها ، إلا أن ما أدركنا من شعره . يقف عند تلك . وإن كنّا نستشفّ من خلاله تجربة امرىء شقيّ ، في الوجود بشقاء الإنسان الذي تترسب في نفسه مرارة الأيام المخضَّبة بدم القتلى ، المتردية بأكفان الموتى . إلا أنه عبْر ذلك كله ، لا يقنط قنوطاً فاجعاً ، ولا يستسلم ، بل ينبري متفاخراً ، في لحظات ، متوزّعاً بين قطبَي الحياة : الجد والكفاح . والهزيمة والفشل .

التي الحارث هذه المعلَّقة ، كما ذكرنا ، في مجلس عَمْرو بن هند ، مدافعاً عن قبيلته إزاء بني تغلب . استهلّها بالغزل ، ووصف الطَّلل والنَّاقة والنَّعامة ، متخلّصاً إلى الترافع أمام الملك ، مفنّدا حججَ الخصم وتخرّصه ، متفاخراً برفعة بني قومه ، وتحصّنهم على الأعداء . ثم يمضي في تعداد وقائعهم وأيامهم ، وأخذهم بني تغلب ، بعد تحذير وإنذار ، ويدعوهم إلى أن يَدعوا التكبّر ، ويوفوا بالعهود والمواثيق ، فلا يُلْزموهم ذنب غيرهم ، كبني عتيق ، وبني تميم ، وبني حنيفة وقضاعة .

وهذه المعلقة تمثّل الشعر الملتزم لقضيَّة ، المدافع عن وجهة نظر ، وهو ربيب الفروسيَّة . يُكمّل مُهمَّة السَّيف ، يجري إلى جنبه ، يَحْفزُه ، ويقتفي أثَره ، ويتغنَى بانتصاراته :

١ آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ، رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ!

٢ بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ ، فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصَاءُ ،

٣ فالمحيَّاةُ ، فالصِّفَاحُ ، فأَعْلى ذِي فِتَاقٍ ، فَعَاذِبٌ ، فالوفَاءُ ،

٤ فَرِيَاضُ القَطَا ، فأَوْدِيَةُ الشُّر بُبِ ، فالشُّعْبَتَانِ ، فالأَبْلاءُ .

---

١ آذنَتنا : أعلمتنا . البَيْن : الفراق . أسْماء : اسم صاحبة الشَّاعر . الثَّواء : الإقامة .

* يقول : إنّ صاحبته أسماء عَزَمتْ على فراقه ، ثم يردف بالقول : إنّ من يُطيل الإقامة ، قد يُمَلّ بقاؤه ، وهو يشير بذلك إلى أن صاحبته مهما طال مكثها ، فهو لا يملّها .

٢ البُرْقَة : الأرض المرتفعة ، أو الرَّابية فيها رمل وطين وحجارة . شَمَّاء : هضبة معروفة . الخَلْصَاء : اسم موضع .

* أي أن أسماء عزمت على فراقه ، بعد أن أقامت بجيرته ، زمناً طويلا ، في موضع بُرْقة ، أو فيما هو أدنى إليه من ذلك ، في موضع خَلْصَاء .

٣ ، ٤ أعْلَى ذي فتَاق : والمُحيَّاة ، والصِّفَاح : أسماء هضاب مجتمعة . فتَاق : جبل . عَاذب : اسم واد . الوَفَاء : أرض . الأبْلاء : اسم بئر ، وسائر الأعلام أسماء أمكنة .

* يعدد في هذين البيْتَيْن أسماء الأمْكنة ، حيث كانت تقيم حبيبته .

٥ لَا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فيهـا ، فَأَبْـكِي اليَوْمَ دَلْهـاً . وَمَا يَرُدُّ البُكَاءُ ؟

٦ وَبِعيْنَيْكَ أَوْقَـدَتْ هِنْـدُ النَّا رَ ، أَصيلاً . تُلـوي بهـا العَلْيَاءُ ؛

٧ أَوْقَـدَتْهَـا بَيْـنَ العَقِيـقِ فَشَخصيْـنِ بعُـودٍ ، كَمَـا يَلُوحُ الضِّيَاءُ ؛

٨ فَتَنَوَّرْتَ نَـارَهَـا مِـنْ بعِيـدٍ بِخَـزَازَى . هيْهَـاتِ مِنْكَ الصِّلاءُ

٩ غَيْرَ أَني قَـدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الهَمِّ . إِذَا خَـفَّ بـالثَّـوِيِّ النَّجاءُ ،

١٠ بِزَفُـوفٍ كَـأَنَّهَـا هِقْلَـةٌ أُمُّ رِئَال ، دَوِيَّـةٌ ، سَـقْفَاءُ .

---

٥ دلْهاً : باطلا . يَرُدّ البكاء : أي ليس يغني البكاء شيئاً .

* إنه لا يجد أيًّا من صحبه فيها ، فيبكي ، إلا أن بكاءه يلبث دون جدوى .

٦ بعَيْنَيْك : أي برؤية عينيك . تُلْوي : تُشير . العَلْيَاء : المكان المرتفع من الأرض .

* يصف النَّار التي أوقدتها حبيبتُه ، في المساء ، أمام ناظره ، على مرتفع جعل الرِّيح تعبث بها وتُلْويها

٧ العَقيق : موضع . شَخْصان : أكمة لها شُعْبتان . بعُود : أراد بعود من الطِّيب ، يتَبَخَّر به .

* يقول : إن حبيبته أوقدت نارها ، في تلك المواقع ، بعود من طيب ، فبدا شعاعها كما يبدو شعاع الضِّياء . وقد ذكر الشاعر إيقاد صاحبته للنار ، بعود الطيب ، للتدليل على نعيمها وثرائها .

٨ تَنَوّرَ النَّار : نظر إليها باللَّيْل ، ليعلم أقريبة هي أم بعيدة . خَزَازَى : اسم جبل مشهور. الصِّلاء : مصدر صَلِيَ بالنَّار ، استدفأ بها

* يقول : إنَّه نظر إلى نار حبيبته من مكان بعيد ، وتمنَّى أن يُقيم إلى جنبها ، ولكن أنى له ، وهو ناء عنها نأياً سحيقاً .

٩ الثَّوِيّ : المقيم . النَّجَاء : السُّرعة .

* ينتقل إلى وصف رحيله على النَّاقة ، مترَوحاً بها عن همومه .

١٠ الزَّفُوف : صفة النَّعامة المُسْرعة ، نَعَتَ به النَّاقة . الهِقْلَة : النَّعامة . الرِّئَال : جمع الرَّأل ، ولد النَّعامة . دويَّة : منسوبة إلى الدو ، الأرض البعيدة الأطراف . سَقْفَاء : مرتفعة ، من السقف .

* يشبِّه ناقته بالنَّعامة ذات الولد التي تقطن الأمكنة المقفرة .

١١ آنَسَتْ نبأَةً ، وأَفْزَعَهـا القُنَّاصُ عَصْراً ، وقـد دنَـا الإِمْسَاءُ ،

١٢ فَتَرى خَلْفَهَا ، مِن الرَّجْعِ والوَقْعِ ، مَنِينًـا كَـأَنَّـهُ أَهْبَـاءُ ،

١٣ وطِراقاً من خَلْفِهِـنَّ طِـراقٌ ، سَاقِطَاتٌ تُلْـوي بها الصَّحْـراءُ ،

١٤ أَتَلَّهى بِهَـا الهَواجِـرَ ، إِذْ كُـلُّ ابـنِ همٍّ بَلِيَّـةٌ عَمْيَـاءُ ،

١٥ وأَتـانـا مِنَ الحَـوَادِثِ والأَنْـبَاءِ خَطْـبٌ نُعْنَى بِـهِ ونُسَـاءُ ،

١٦ أَنَّ إِخـوانَنَـا الأَرَاقِـمَ يَغْلُـو نَ عَلَيْنَا ؛ في قِيلِهِـم إِحْفاءُ ،

---

١١ آنَسَتْ : أحسَّتْ . نَبْأة : صوت خفي . القُنَّاص : جمع القانص ، الصيَّاد .

* سمعت تلك النَّعامة صوتاً ، عند المساء ، فارتاعت له .

١٢ الرَّجْع : رجع قوائمها . الوَقْع : وقع خفافها . المَنين : الغُبار الرقيق . الأَهْبَاء : جمع الهباء ، الغبار المتفرّق .

* أي أنها هربت ، وجعلت تعدو بسرعة ، مثيرة الغُبار الرقيق المتفرّق .

١٣ الطِرَاق : مطارقة نعال الإبل . منْ خَلْفهنّ طِرَاق : أي طُورقت مرة بعد مرة . سَاقطَات : سقطت من أرجلها . تُلْوي بهَا الصَّحرَاء : تذهب بها وتفرقها .

* يصف تتابع وقع أقدامها في عَدوها . والصَّوت الذي تحدثه . فيَسير في الصحراء . ويضيع فيها .

١٤ الهَوَاجر : جمع الهاجرة . وقت أشدّ الحرّ في وَسطَ النَّهار . ابْنُ هَمّ : صاحب همّ . البَلِيَّة : ناقة الرَّجل ، إذا مات . عُقِلَتْ عند قبره ممَّا يلي رأسه . وَعُكِسَ رأسُها إلى ذنبها . فَتُتْرَك لا تأكل ولا تشرب حتى تموت ، فهي عَمْيَاء لا تتجه لأمرها . كانوا يفعلون ذلك حتى إذا قام من قبره للبعث ، ركبها .

* إن صاحب الهمّ ، إذا تحَيَّر ، نجوت أنا من الهمّ على هذه النَّاقة .

١٥ الخَطْب : الأمر العظيم . نُعْنى به : نهتمّ به ، نحزن له ، ويثقل علينا .

* وقد بلغ إلينا من الأنباء ما أثار اهتمامنا ، لأنه ينطوي على خطب يؤذينا ، ويسيء إلينا .

١٦ في هذا البيت تفصيل الخطب . الأرَاقم : بطون من تَغْلب ، وهويدعوهم إخوانه لأن بكراً وتغلَبَ أبناء وائل . يَغْلُون : إما أن يكون معناها : يتجاوزون الحد في تشكّيهم منَّا ، فتكون من الغلوّ . وإما أن يكون معناها : تَغْلي صدورهُم علينا غيظاً وحنقاً . القيل : بمعنى القَوْل . الإحْفَاء : التعدي والظّلم .

* أي إن إخوانَنَا يتَّهموننا ظلماً بما يقولونه .

١٧ يخلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بِذي الذَّنْبِ ، ولا يَنْفَعُ الخَلِيَّ الخَلاءُ !

١٨ زَعموا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْرَ مُوالٍ لَنَا ، وأَنَّا الوَلاءُ

١٩ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً ؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا ، أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوضاءُ

٢٠ مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مُجِيْبٍ ، ومِن تَصْهالِ خَيْلٍ ، خِلالَ ذَاكَ رُغَاءُ !

٢١ أَيُّهَا النَّاطِقُ المُرَقِّش عَنَّا ، عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ !

٢٢ لا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِك ! إنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاءُ ؛

---

١٧ الخَلاءُ : البراءة .

* أي أنّهم يتعسَّفون بنا ، ولا يميّزون بين الظالم المذنب ، والبريء .

١٨ اختلف الأئمة في شرحهم لهذا البَيْت لاختلافهم في لفظة « العَيْر » حتى قال أبو عمرو بن العلاء : « قد ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت . » وخلاصة الآراء المشهورة أن العَيْر : السيّد ، وأراد به كُلَيْب وائل . وأنا الولاء : أي أصحاب الولاء .

* زعم بنو تغلب أن كل من رضي بموت كليب هو من حلفائنا . أو أن العير : الوتد ، والمعنى : زعموا أن كل من ضرب وَتَدَ خَيْمة ، هو من موالينا .

١٩ اجْمَعُوا أمْرَهُم : الضمير لبني تغلب ، أي صمَّموا على قتالنا . عشَاء : بليل . الضَّوْضَاء : الجَلَبة والصّياح .

* يذكر عزم بني تغلب على قتالهم ، في المساء ، وهجومهم عليهم بجلبة وضوضاء ، في الصّباح

٢٠ في هذا البيت ، تفصيل الضّوضاء . الرّغَاء : أصوات الإبل .

يقول واصفاً تأهّب القوم للرّحيل : إن منهم من يصيح مناديا ، ومنهم من يجيب النّداء ، كما أن صهيل الخَيْل يرتفع من كلّ جهة ، فضلا عن أصوات الإبل . وفي هذا البيت ، تتمثّل قدرة الشاعر على الإلمام بالمعاني والحركات الكثيرة ، في أقل ما يمكن من اللّفظ .

٢١ المُرقّش : مُمَوّه الكلام وَمُزَخْرِفُه . وهل . . . استفهام انكاري بمعنى لا بقاء لتمويهك ، لأن الملك يعرف أنه باطل ، ولا بقاء للباطل .

* يخاطب من اتّهمهم وزوّر عَلَيْهم الكلام ، ويقول : هل ترى أن كلامك سيبلغ غايته عند الملك .

٢٢ لا تَخَلْنَا : لا تَظُنّنا . الغَرَاة : بمعنى الإغراء والوشاية . قبل ما : ويُروى مكانها ، طال ما .

* لا تظننا متذلّلين أو هالكين بسبب إغرائك المَلك بنا ، فكثيراً ما وشى بنا الأعداء قبلك . ولقد ألفنا هذا الأمر ، ولم نَعُد نُفْجع به .

٢٣ فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ ، تَنْمِينا حُصُونٌ . وعِزَّةٌ قَعْسَاءُ ،

٢٤ قَبْلَ مَا اليَوْمِ ، بَيَّضَت بِعُيونِ النَّاسِ ، فيها تَعَيُّطٌ وإباءُ ؛

٢٥ فَكَأَنَّ المَنُونَ تُرْدِي بِنا أَرْ عَنَ ، جَوْناً ، يَنْجَابُ عنهُ العَمَاءُ

٢٦ مُكْفَهِراً عَلَى الحَوادِثِ ، لا تَرْ تُوه ، لِلدَّهْرِ ، مُؤيدٌ صَمَّاءُ

٢٧ أَيَّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُم فأدُّو هَا إِلَيْنَا تَسْعَى بها الأَمْلاءُ

---

٢٣ الشَّنَاءة والشَّنْآن : البُغض . تَنميِنَا : ترفعنا . قَعْسَاء : ثابتة منيعة .

* فبقينا على بغض الناس إيَّانا ، وإغرائهم الملوك بنا ، ترفع شأنَنا وتُعْلي قَدْرَنَا حصون منيعة ، وعزّة ثابتة . أي أن وشاية الأعداء بنا ، لا تصيبنا بأيّ أذى . لأننا قادرون على حمَاية أنفسنا بقوّتنا .

٢٤ قَبْلَ مَا اليَوْم : ما زائدة . بعُيُون : الباء زائدة . وَبَيَّضَتْ عُيُونَ النَّاس : أعْمتْها ، والضمير للعزّة ، في البيت السابق . التَعَيّط : الإرتفاع والإمتناع .

* أي أن عزّتنا ارتفعت وامتنعت ، قبل يومنا هذا ، حتى أعمت أبصار النَّاس لحسدهم إيَّانا ، وكأنه يمثل عزتهم ، في هذا البيت ، بحصن عال ، منيع لا تناله حتى الأبصار ، بل تُحْسر من دونه .

٢٥ تُردي : ترمي . الأرْعَن : الجبل الذي له مقدمة ، تخرج منه كالرّعْن . وهو الأنف . الجَوْن : الأسود . يَنْجَابُ : ينشقّ . العَمَاء : السَّحاب .

أي كأن الدهر ، برميه إيَّانا بمصائبه وبلاياه ، يَرْمي جبلا ضخماً صلباً ، أسود ، عالياً ، حتى أن السَّحاب ينشقّ عنه ، فلا يبلغ أعلاه والجبل هنا كناية عن عزّتهم ومنعتهم .

٢٦ المُكْفَهِر : من الجبال ، المتراكم بعضه على بعض ، الصّلب . لا تَرْتُوه : لا ترخيه ، ولا تضعفه . المُؤيَد : الداهية . صَمَّاء : قويَّة شديدة .

* هذا البيت تتمَّة وصف الجبل ، والمراد تشبيه عزّتهم وصبرهم على نوائب الدّهر بهذا الجبل الشَّامخ ، الَّذي لا يؤثر فيه شيء .

٢٧ الخُطَّة : الأمر الذي يُستشار فيه القوم . أدّوَها إليْنا : ابعثوا بها إلينا ، مع السّفراء . الأمْلاَء : جمع ملأ ، الجماعة .

أيّ أمر عظيم أردتم . ارسلوا لنا بياناً عنه ، فان عرفته الجماعات وشهدت به كان ذلك لكم . وإن ادعيتم ما لا يعرفونه ، فليس بشيء .

٢٨ إنْ نَبشْتُمْ ما بَيْنَ مِلْحةَ فالصَّا قِبِ ، فيه الأَمْوَاتُ والأَحْياءُ ؛

٢٩ أَوْ نَقَشْتُم ، فالنقشُ يَجْشَمُهُ النَّا سُ ، وفِيهِ الإسْقَامُ والإِبْرَاءُ ؛

٣٠ أَو سكَتُّمْ عنَّا ، فكُنَّا كمن أَغمَضَ عَيْناً في جَفْنِهَا الأَقذاءُ ؛

٣١ أَو مَنَعتُمْ ما تُسأَلُون ، فَمَنْ حُدِّ ثْتُموه لَه عَلَيْنَا العَلاءُ ؟

٣٢ هَلْ عَلِمْتُمْ ، أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَاراً ، لِكُلِّ حيٍّ عُواءُ ،

٣٣ إذْ رَفعْنَا الجِمَالَ مِن سَعَفِ البَحرَيْنِ سَيْراً ، حتى نَهاها الحِساءُ ،

٣٤ ثُمَّ مِلْنَا عَلَى تميمٍ ، فَأَحْرَمْ نا ، وَفينا بَناتُ قَوْمٍ إماءُ !

٢٨ مِلْحَة والصّاقب : جبلان متوازيان ، في ديار جُهَيْنَة ، وراء المدينة . الأموات : أراد القتلى الذين لم يؤخذ ثأرهم . الأحْياء : أراد بهم القتلى الذين أخذ بثأرهم .

* إن أثرتم ما كان بيننا وبَيْنكم ، بين هذين الموضعين من المعارك ، وجدتم أمواتاً أخذ بثأرهم ، وهم قتلانا ، وأمواتاً لم يؤخذ بثأرهم ، وهم قَتْلاكم .

٢٩ نَقَشْتُم : استَقْصَيْتم وبحثتم . يَجْشَمُه : يتكلّفه ويتحمّله .

* إذا استقصيتم في البحث عمّا جرى بيننا ، فذلك شيء يتكلّفه النّاس ، وفيه ما يبيّن سقمكم وبراءتنا .

٣٠ * وإن أعرضتم عن البحث والتّنْقيب ، أعرضنا نحن أيضاً عنكم . على أننا نكون كمن أغمض الجفون على القذى ، بسبب ما تقدّم من إساءاتكم لنا .

٣١ * وإن منعتمونا ما سألناكم من أمر الصّلح ، فلأي سبب يكون هذا المنع ، وأنتم تعرفون عزّنا ، فهل حدثتم أن أحداً علانا وفضلنا ، حتى تطمعوا بمثل ذلك ؟ .

٣٢ الغَوار : المغاورة ، أي أن يُغير القوم بعضهم على بعض . العُواء : صوت الذئب ، استعاره للضّجيج والصياح وقت الغزو .

* يذكرّهم بما كان بينهم من أيّام قتال وغارات ، إذ كان يعلو الصّياح والضّجيج .

٣٣ رَفَعْنا الجمَال : سرنا بها سيراً حثيثاً . السَّعَف : جمع سعفة ، غصن النَّخلة .

* حين سرنا بجمالنا من نخل بلاد البحرين ، مُغيرين ، نغزو وننهب ، حتى وصلنا إلى الحساء ، ـ وهو موضع في ديار بني أسد ، أو ماء لبني فزارة ـ لا يصدنا أحد .

٣٤ أحْرَمْنَا : دخلنا في الأشهر الحرم . إمَاء : جمع أمَة ، عبدة .

* ثم أغرنا على بني تميم ، وكان ذلك موافقاً لدخولنا في الأشهر الحرم ، وعندنا سبايا القبائل نستخدمهنّ .

٣٥ لا يُقيمُ العَزيزُ بالبَلَدِ السَّهْـلِ ، وَلا يَنْفَعُ الذَّليـلَ النَّجاءُ !

٣٦ لَيْسَ يُنْجي الَّذي يُوائِلُ مِنَّـا رَأْسُ طَـوْدٍ ، أَوْ حَـرَّةٌ رَجْـلاءُ !

٣٧ فَمَلَكْنـا بـذلكَ النَّاس ، حَتَّى مَلَكَ المُنْـذِرُ بـنُ ماءِ السَّـماءِ

٣٨ وَهُوَ الرَّبُّ ، والشَّهِيـدُ على يو مِ الحِيارَيْنِ ، والبَـلاءُ بَـلاءُ ؛

٣٩ مَلِكٌ أَضْرَعَ البَـرِيَّـةَ لا يـو جَدُ فيهـا ، لِمَا لَدَيه ، كِفَاءُ !

---

٣٥ النَّجَاء : سرعة السَّيْر ، الهرب .

* أي ، كان ذلك في وقت لم يكن فيه العزيز يقدر على الإقامة في البلد السَّهل ، لما فيه من الغارات ، ولا الذليل ينفعه الهرب ، يريد أن الشرّ كان شاملا .

٣٦ يُوَائل : يهرب . طَوْد : جبل . حَرَّة : الأرض فيها حجارة سود . رَجْلاء : صلبة ، شديدة .

* أي لا معقل ولا مأوى يُنجي الَّذي يهرب منَّا .

٣٧ المُنْذِرُ بن مَاء السَّمَاء : والد عَمْرو بن هند . وهو المعروف بالمنذر الثالث أيضاً . انتهى ملكه نحو السنة ٥٥٤ م ، وفي البيت سناد الإقواء .

* يقول : إنَّهم ظلّوا أسياداً للناس ، حتى قام مُلك المنذر بن ماء السماء .

٣٨ الرّبّ : السيّد ، المالك ، أراد به المُنْذر . الحيَارَان : موضع ، وقيل موضعان . في ذاك اليوم ، قاتل بنو بكر مع المنذر ، فشهد بلاءهم . والبلاء بلاء : المعنى أن البلاء كان شديداً في تلك المعركة .

* يصف مكانة المنذر ، ويقول : إنه شهد انتصارهم في يوم الحيارين ، إذ اشتد القتال ، وعمّ البلاء .

٣٩ أضْرَعَ البَرِيَّة : أخضعها وأذلّها ، حتى لا يوجد فيها من يساويه في المعالي .

* يعظّم من قدر المنذر استدراراً لعطف الملك ، ويقول : إنه لا طاقة للناس بمعارضته ، والتَّصدي له .

٤٠ فاتْرُكُوا الطَّيْخَ والتَعـدّي ، وإمَّا تَتَعاشَوا ، ففي التَّعَاشي الـدَّاءُ ،

٤١ واذْكُرُوا حِلْفَ ذي المَجَازِ ، وماقُـدِّمَ فِيـهِ العُهُـودُ والكُفَـلاءُ ،

٤٢ حَذَرَ الجَوْرِ والتَعدِّي ، وهل يَنْـقُضُ ما في المَهارِق الأَهْـوَاءُ؟

٤٣ واعْلَمُوا أَنَّنـا وإيَّاكُمُ فِيـما اشْتَرَطْنَـا ، يوم اخْتَلَفْنَا ، سَواءُ !

٤٤ أَعَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْـدَةَ أَن يَغْـنَـمَ غَـازِيْهِم ، وَمِنَّـا الجَـزَاءُ؟

---

٤٠ الطَّيْخ : الكلام القبيح . التَعَاشي : هنا التعالي عن الحقّ . فَفي التَّعَاشي الداءُ : أي الشَّر ، لأنكم إذا تعالَيْتم اجبرتمونا على التصريح بأخبارِكم ، فلحقكم العار .

يحذر التغلبيّين ، ويدعوهم إلى التَّخَلّي عن الكلام المُنْكر والأذى ، وينذرهم بقوله : إذا لم تعودوا عن ضلالكم ، وتهتدوا إلى الحقّ ، فاننا سنُذيع أخبار مساوئكم ، ونسوق إليكم الخزي والهوان .

٤١ الحلْف : العهد . ذُوالمَجَاز : موضع ، وهوالذي جمع فيه المنذربين بكر وتغلب ، فأصلح بينهما ، وأخذ منهما المواثيق . والرهائن من كلّ حَي ، وعددهم سبعون أوثمانون أومائة ، وهو معنى قوله : « العهود والكُفَلاء » .

٤٢ المَهَارق : جمع مهرق ، الصّحيفة (فارسي) .

* اصطلحنا في ذي المجاز ، وأخذتْ العهود والكُفَلاء حذَرا من الظّلم والتعدي ، وكُتب ذلك في الصّحف ، فكيف تنقضه أهواؤكم ؟ .

٤٣ * يقول : اشترطنا أن تكون الجنايات علينا وعليكم ، فَلمْ تُلْزمونا وحدنا ذلك ؟ .

٤٤ جُنَاح : إثم .

* يقول : إنكم لم تقدروا على دفع كندة عنكم ، وكيف تريدون أن تُحمّلونا ذنبهم ، فيكون لهم الغنم ، وعلينا الجَزَاء ؟ يشرع الحارث في هذه الأبيات بايراد المخازي التي حلّت بالتغلبيّين ، ذاكراً القبائل التي انتصرت عليهم ، وأوقعت بهم ، مدعياً أنهم لا يتحمّلون أوزار تلك الإنكسارات . ولقد حاول بذلك أن ينال مأرَبين من خلال إيرادها ، وذلك باذلال التغلبيين ، فيما هويورد أيام القبائل عليهم ، وفضلاً عن ذلك ، يَدعم موقف بني قومه وحُجّتهم ، وقد أدرك بذلك غاية الفن والدهاء .

٤٥ أَمْ عَلَيْنَا جـرَّى العِبَادِ ، كمـا نِيــطَ بِجـوزِ المُحَمَّـلِ الأَعْبَـاءُ؟

٤٦ أَمْ عَلَيْنَا جَـرَّى حَنِيفَـةَ ، أَو ما جمعَتْ مِـنْ مُحَـارِب غَبْـراءُ؟

٤٧ أَمْ جَنَايَا بني عَتِيقٍ ؟ فمـن يَغْــدِرْ ، فَإِنَّـا منْ غَـدرِهم بُـرءَاءُ؟

٤٨ أَمْ عَلَيْنَا جَرَّى قُضَاعَةَ ؟ أَمْ لَيـسَ علينـا فيما جَنَـوا أَنْـداءُ؟

٤٩ أَمْ عَلَيْنَا جرَّى إِيادٍ ؟ كما قِيـلَ لطَسْمٍ أَخُـوكُـم الأَبَّـاءُ؟

٥٠ عَنَناً باطِلاً وظُلْمـاً ! كما تُعْـتَرُ عـن حجْرةِ الرَّبِيضِ الظِبَـاءُ !

---

٤٥ الجَرَّى ، والجَرَّاء : الجناية . العِبَادِ : قوم من النَّصارى ، كانوا ينزلون جهة الحيرة ، غزَوْا بني تغلب ، فلم يدرك هؤلاء ثأرهم . نيطَ : عَلق . الجَوْز : الوسط .

* أتريدون أن تُحمّلونا جناية العباد ، كما تعلّق الاحمال على وسط البعير ، دون أن يكون له شأن فيها ، أو جدوى منها .

٤٦ الغَبرَاء : الصعاليك .

* أم علينا جناية بني حنيفة ، أو جنايات ما جمعت عليكم من المحاربين الغبراء .

٤٧ * يقول أيضاً : إنهم يتبرأون مما جنى بنو عتيق ، وما أنزلوا من خسارة وإذلال ، في بني تغلب .

٤٨ أنْداء : جمع ندى ، يراد به ما يلحق الإنسان من ذنب .

* يقول : ليس علينا ذنب في ما جنتْ عليكم قُضاعة . وكانت قد غَزَتْ بني تغلب في دارهم فنالت منهم ، ولم يأخذوا بثأرهم .

٤٩ إِيَاد : قبيلة . طَسْم : أخو جديس . ألاَبَّاءُ : مبالغة من أبي ، ويروى عن جديس أنه أخذ خراج الملك ، وهرب رافضاً أن يؤدي ما عليه . فأخذ الملك بذنبه أخاه طَسْما .

* أتريدون أن تحمّلونا ذنوب النَّاس ، كما قيل لطَسْم : أخوك أخذ الخراج ، فنحن نأخذك بذنبه .

٥٠ الْعَنَن : الإعتراض . تُعْتَر : تذبح ، والعتر : الذبح . العَتِيرَة : الضَّحيَّة كان يذبحها الجاهليّون في رجب . الحَجْرَة : الحظيرة . الرَّبيض : الغنم .

* يقول : إن اعتراضكم علينا باطل ، ونسْبتكم إلينا ذنوب غيرنا ظلم ، فأنتم في ذلك كبعض العرب . وهنا يشير إلى عادة كانت مشهورة عند الجاهليين ، وهي أن الرجل كان ينذر للآلهة بأن يضحّي من غنمه ، إذا نال ما يريد . فاذا ناله ، بخلت نفسه بما قد نذر ، فيصيد الظّباء ، ويذبحها بدلا من شياهه . فأنتم تأخذوننا بذنوب غيرنا ، كما تؤخذ الظّباء بدل الشياه .

٥١ لَيْسَ مِنَّا المُضَرَّبونَ ، ولا قَيْسٌ ، ولا جَنْدَلٌ ، ولا الحَدَّاءُ!

٥٢ وثَمَانُونَ من تَميمٍ ، بأَيْديهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ القَضَاءُ ،

٥٣ لَمْ يُخَلُّوا بني رِزَاحٍ بِبَرْقَاءِ نِطَاعٍ ، لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ ،

٥٤ تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ ، وآبُوا بِنِهابٍ يُصَمُّ مِنْهُ الحُدَاءُ ؛

٥٥ ثُمَّ جاؤوا يَسْتَرْجِعُونَ ، فلم تَرْجِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلا زَهْرَاءُ ؛

٥٦ ثُمَّ فَاؤُوا مِنهم بقاصِمَةِ الظَهْرِ ؛ وَلا يَبْرُدُ الغَلِيلَ الماءُ!

---

٥١ المُضَرَّبون : الَّذين ضربوا بالسّيوف . وهم من بني تغلب ، قَيْس وجنْدل والحَدَّاء : سادة من بني تغلب أيضاً ، أثاروا الفتَن ، فقُتلوا بأمر المُنْذر الثالث .

٥٢ * يتابع تعيير بني تغلب بانكساراتهم ، فيقول : غزاكم ثمانون رجلا من بني تميم ، بأيديهم رماح في أعاليها القَضَاء ، أي القَتْل . يشير إلى غزوة قام بها عَمْرو ، أحد بني سعد بن زيد مناة من تميم ، مع ثمانين من قبيلته ، فأغار على قوم من تغلب ، يقال لهم : بنو رزَاح ، كانوا ينزلون بأرض يقال لها : نَطاع ، كما ذكر الشَّاعر في البيت التالي ، فهزمهم ونهب أموالهم ولم يدرك منه ثأرٌ .

٥٣ لَهُم عَلَيْهم دُعْاء : أي أنهم كانوا يدعون على الأعداء .

* يُوضح ، في هذا البيت ، ما أشار إليه في البَيْت السَّابق ، ويقول ، إن أولئك التَّميميّين أجْلُوا أنسباءكم ، بني رِزَاح عن حماهم ، ونكّلوا بهم ، وخلّفوهم يصبّون عليهم اللّعنات .

٥٤ مُلَحَّبين : مقطَّعين بالسيوف . النِّهَاب : الإبل والماشية المنهوبة . يُصَمّ منه الحُداءُ : أي لكثرة رغاء الإبل ، والضجَّة ، لا يُسْمع حُداء الحادي .

* يقول : إنهم أجهزوا عليهم ، وغنموا الغنائم الكثيرة ، من إبل وماشية ، تعجّ عجيجاً ، حتى ليصمّ صياحها الآذان . وفي ذلك مظهر من مظاهر الغلوّ الحسّي ، في شعر الحارث .

٥٥ جَاؤوا : الضّمير لبني رِزَاح . الشَّامَة : السَّوْداء . الزَّهْرَاء : البيضاء .

* يريد : أن بني رِزَاح ، أغاروا على بني تميم ، ليأخذوا بثأرهم ، ويسترجعوا أموالهم ، فلم ترجع لهم ناقة سوداء ولا بيضاء ، أي إنهم فشلوا ، وتضاعف بذلك العار اللاحق بهم .

٥٦ فَاؤوا : رجعوا ، والضمير لبني رِزَاح . منْهم : أي من بني تميم . قَاصمَةُ الظَّهْر : أي الخيبة الشَّديدة التي تقطع الظَّهر . الغَلِيل : شدَّة العطش .

* أي عاد بنو رزَاح ، وقد نكّل بهم بنو تميم تنكيلا شديداً ، يعانون ظمأ للثأر ، لا يرويه الماء .

٥٧ ثُمَّ خَيْلٌ ، من بعدِ ذاك ، معَ الغَلَّاقِ ، لا رأْفَةٌ ولا إِبْقَاءُ !

٥٨ ما أَصَابُوا مِنْ تَغلِبيٍّ فَمطْلُولٌ ، عَلَيْهِ ، إذا أُصِيبَ ، العَفَاءُ

٥٩ كَتَكَالِيفِ قَوْمِنَا ، إذ غَزَا المُنْذِرُ هَلْ نَحْنُ لابنِ هندٍ رعاءُ !

٦٠ إذ أَحَلَّ العَلاةَ قُبَّةَ مَيْسُونَ ، فأدْنى دِيارِهَا العوصاءُ ؛

٦١ فتأَوَّتْ له قَراضِبةٌ مِنْ كلِّ حَيٍّ ، كأَنهمْ أَلْقَاءُ ،

٦٢ فهداهم بالأَسْوَدَينِ ، وأَمْرُ اللهِ بَلغٌ يَشْقَى به الأَشقياءُ .

---

٥٧ الغَلاَّق : رجل من بني تميم ، أغار بهجائنَ عَمْرو بن هند ، على تغلب ، فقتل منهم

* يذكّرهم الشَّاعر بهذا الإنكسار أيضاً ، ويشير إلى شدّة فتكه بهم ، وإجهازه عليهم .

٥٨ مَطْلول : اسم مفعول من طَلّ دمه أي لم يؤخذ بثأره . العَفَاء : الدروس .

* يقول : إنّ التغلبيّ إذا قتل ، ذهب دمه هدراً ، ولم يُثْأر له : وغشيه النّسيان .

٥٩ التكاليف : المشاق والشَّدائد . المُنْذر : المنذر الثالث ، إبن ماء السماء .

* يروى أنه لما قتل في حدود السنة ٥٥٤ هـ ، اعتزلت طائفة بني تغلب وقالوا : لا نطيع أحداً من وُلْدِه . فلمَّا ولي عمرو بن هند ، وجه إليهم . فقالوا : أرعاء نحن ؟ ـ فحكى الشاعر قولهم . ثم أن ابن هند أرسل إليهم من قتل وسبى .

٦٠ العَلاة : أرض . روي أن عمرو بن هند ، لما قتل أبوه ، وجه أخاه النّعمان ، وحشد معه من قَدر عليه من أهل مملكته ، وأمره أن يقاتل بني غسَّان ، ومن خالف من بني تغلب . فلمَّا صار إلى الشَّام ، قتل ملكاً من غسان ، واستنقذ أخاه امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ بنتاً للملك في قُبَّة لها ، وهي ميسون التي ذكرها . العَوْصاء : أرض قريبة من العَلاة .

* ومن عادة البدو أن تعمد بنت الشَّيْخ في الحرب إلى قبة أو هودج على ظهر جمل ، فتركب فيها وتأخذ بإطلاق صياح الحرب ، إذكاء لحماسة المحاربين من شباب قومها ، ليصدّوا أعداءهم وينقذوا أنفسهم وعشيرتهم ، ومتى سقطت الظَّعينة بيد الأعداء خسر أهلها الحرب .

٦١ تأوت : اجتمع بعضها إلى بعض . القَرَاضبة : جمع القرضوب ، اللّص الخبيث ، الصُّعلُوك . الألْقَاء : جمع اللَّقوة : العقاب .

* يقول : تَجَمَّع في هذا الجيش صعاليك خُبثَاء ، كأنهم العقبان لقوّتهم وشجاعتهم .

٦٢ هَداهُم : تقدمهم أو ساقهم . الأسْوَدان : التَّمر والماء ، أي تقدمهم بزادهم . وأمر الله أي بالغ مبلغه ، لا يشقى به إلاّ الأشقياء في حكمه وقضائه .

٦٣ إذ تمنَّونَهُم غُروراً ، فَساقَتْهم إلَيْـكُمْ أُمْنِيَّـةٌ أَشْـراءُ

٦٤ لم يَغُرُّوكُـمُ غـُروراً ، ولِكـنْ يَرْفَـعُ الآلُ جَمْعَهُـمْ والضَّحاءُ

٦٥ أَيُّهَـا النَّـاطِـقُ المُبَلِّـغُ عَنَّـا عِنْد عَمرٍو ، وهَل لِذاكَ انتهاءُ !

٦٦ إنَّ عَمْـراً لَنَـا لَديـهِ خِـلالٌ ، غيرَ شَكٍّ ، في كُلِّهِـنَّ البَـلاءُ

٦٧ مَلِكٌ مُقْسِطٌ ، وأَفْضَلُ من يَمْـشي ، ومِن دونِ ما لَديـهِ الثَّنَاءُ !

٦٨ إرَمِيٌّ ، بِمِثْـلِهِ جالتِ الخَيْـلُ ، فـآبت لِخَصْمِهـا الإجْـلاءُ ؛

٦٩ مَن لنـا عِنْـدهُ من الخيرِ آيـا تٌ ثَـلاثٌ في كُلِّهِنَّ القَضَـاءُ :

---

٦٣ أشْرَاء : ذات أشر ، أي بطر .

* يقول : كنتم تتمنّون لقاء هذا الجيش ، اغترارًا بقوّتكم . فساقته إليكم أمنيتكم التي دفعها إلَيْكم البَطَر والغرور .

٦٤ الآل : ما يُرى كالسَّراب ، يرفع الشّخوص عن بعد . الضَّحَاء : ارتفاع النهار .

* يقول : لم يفاجئكم هذا الجَيْش ، مفاجأة ، فيأتيكم على غرّة ، إنما جاءكم في ارتفاع النَّهار ، وأنتم تَرَون جمعهم يرفعهم الآل .

٦٥ النَّاطق : الشَّانيء ، المُبْغض ، أراد به عَمْرو بن كلثوم . عَمْرو : عمرو بن هند .

* يعود إلى مخاطبة خصومه الَّذين يَشُون بقومه ، عند عَمْرو بن هند ، ويتساءل ، إذا كانوا سينتهون عن هذا الأمر .

٦٦ البَلاء : هنا النّعمة .

* يقول : إن المَلكَ عَمْرو يعهد فينا الخلال والمزايا الحسنة ، ويكافئنا بها .

٦٧ المُقْسط : العادل . ومنْ دون . . . . أي الثناء ، قاصر عما عنده

* يمتدح عَمْرا ، ويقول : إنه عادل ، وإنه أفضل النَّاس ، يقصّر الثناء أن يدرك فضائله .

٦٨ إرميّ : نسبة إلى إرم . يريد أن شرفه قديم جداً . جَالَتْ الخيْلُ به : أي أحاطت به . آبت : رجعت . الإجْلاء : مصدر ، أجلى فلاناً عن وطنه أي أخرجه .

* يمتدحه بكرم الأصل ، والبطش ونَفْي القوم عن مساكنهم ، ببأسه وشدته .

٦٩ الآيات : العلامات . في كُلّهنّ القَضَاء : أي في كُلّهنّ يقضي لنا بولاء الملك .

* بعد أن مدح الملك أخذ يذكّره بما لهم عنده من الآيات .

٧٠ آيـةٌ شارقَ الشَّقيقَةِ ، إذ جـا ءَتْ مَعَـدٌّ : لِكُـلِّ حَـيٍّ لِـواءُ ،

٧١ حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِيـن بِكَبْـشٍ قَرَظِـيٍّ ، كَـأَنَّـه عَبْـلاءُ ؛

٧٢ وصَتِيتٍ مِـن العَـواتِـكِ لا تَنْـهاهُ إلاَّ مُبْيَضَّـةٌ رَعْـلاءُ ؛

٧٣ فجَبَهْنَـاهُـمُ بضَرْبٍ ، كما يَخْـرُجُ من خُـرْبـةِ المَـزادِ المـاءُ !

٧٤ وحَمَلْنَاهُـمُ على حَـزْنِ ثَهْـلا نَ ، شِلاَلاً ، ودُمِّـيَ الأَنساءُ.

٧٥ وَفَعَلْنَـا بِهِـمْ كمـا عِلِـمَ اللَّـهُ ! وَمَـا إنْ لِلْحَـائِنِيـن دِمـاءُ !

---

٧٠ الشَّارق : أي ناحية الشَّرق . الشَّقيقَة : اسم موقع ، أو اسم حيّ من بني غسان .

* يشرع ، في هذا البيت ، بتفصيل الآيات الَّتي لهم عند الملك ، ويقول : إن أولاها ما قاموا به في الشَّقيقة ، إذ قَدِمَت مَعَدٌّ ، حاملة ألوية الحرب ، لكل حيّ منها لواؤه .

٧١ قَيْس : قيس بن معدي كرب ، من ملوك حمْيَر ، أو هو امرؤ القيس الشّاعر الذي كان في ذاك الوقت يتنقّل في القبائل ، بعد أن جدّ في طلبه المُنْذر الثالث ، أبو عَمْرو بن هند . المُسْتَلئم : لابس الّلامْة ، الدّرع . الكَبْش : أراد به سيّد القوم . قَرَظيّ : نسبة إلى بلاد القرظ وهي اليمن . العَبْلاء : الهضبة البيضاء .

* جاؤوا متحصّنين بسيّد يمنيّ ، كأنه ، في منعته وبأسه ، هضبة من الهضاب .

٧٢ وَصتيت : جَمَاعة . العَوَاتك : الحرائر ، الخيار من النّساء . مُبْيَضَّة : أي سيوف بيضاء . رَعْلاء : طويلة .

* وجاء أيضاً معهم جماعة من أبناء الحرائر ، لا يمنعهم عن مرامهم ، ولا يردهم إلا سيوف بيضاء طويلة .

٧٣ جَبَهَهُ : ضَرَب جَبْهَتَه . المَزَاد : زقّ الماء . خُرْبَتُه : ثقبه .

* أي ضربناهم ، فنزف الدم من جراحهم ، كما يخرج الماء من أفواه القِرَب .

٧٤ ثَهْلان : جبل في الحجاز. الشّلال : الطَّرد . الأنساء : جمع نساء ، عرق في الفخذ .

* وطردناهم حتى حملناهم على التحصّن بمرتفعات جبل ثَهْلان ، بعد أن أدمَيْنَا أفخاذهـم بالطَّعْن والضَّرْب .

٧٥ الحَائنين : حائن ، هالك .

* يشير إلى فتكهم بهم فتكاً شديداً ، ويقول : إن الضّعيف الهالك لا يثأر لدمه .

٧٦ ثُمَّ حُجَّراً ، أَعْني ابنَ أُمِ قَطَامٍ ، وَلَهُ فَارِسِيَّةٌ خَضْرَاءُ ،

٧٧ أَسَدٌ في اللِّقَاءِ وَرْدٌ ، هَمُوسٌ ، وربيعٌ ، إنْ شَمَّرَتْ غَبْراءُ ،

٧٨ فَرَدَدْنَاهُمُ بِطَعْنٍ كما تُنْهَزُ في جُمَّةِ الطَّوِيِّ الدِلاءُ !

٧٩ وَفَكَكْنَا غُلَّ امْرِىءِ القَيْسِ عَنْه ، بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالعَنَاءُ ،

٨٠ وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بالمُنْذِرِ ، كَرْهاً ، إذْ لا تُكَالُ الدِّمَاءُ .

٨١ وأتيناهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلاكٍ كِرَامٍ ، أَسْلابُهُمْ أَغْلاءُ ،

---

٧٦ حُجَّراً :مفعول به لفعل محذوف ، تقديره قاتلنا ورددنا .

* ثم قاتلنا حجر بن أمّ قَطَام ، وهو أحد أمراء كندة ، سار لغزو ملك الحيرة ، امرئ القيس الثاني ، جد عمرو بن هند ، وكان له كتيبة فارسيَّة خضراء ، لِمَا ركب دروعها من الصَّدأ .

٧٧ الورد : الَّذي يَضْرب لونه إلى الحمرة . الهَمُوس : الخفيّ الوَطْء . الغَبْراء : السَّنة القاحلة .

* يصف حجرا ، في هذا البيت ويقول : إنه كان في الحرب بطلا شديداً ، وفي أيام القحْط كريماً كأنه ربيع .

٧٨ تُنْهَزُ : تُحرّك . الطَّويّ : البئر التي طويت بالحجارة والطين . جُمَّتُه : معظم الماء فيه .

* شبه الرماح وهي تُحرَّك في أجسام الأعداء بالدلاء تُحَرّك في البئر لتمتلىء .

٧٩ امرؤ القيس : هذا أخو عَمْرو بن هند ، وابن المنذر الثَّالث ، كان أسيراً في بني غسان ، أسروه في يَوْم حليمة ، بعد أن قتل أبوه المنذر الثالث . فسار عَمْرو بن هند ، أو أخوه ، مع البكريين إلى الشَّام ، فأخذ بثأر أبيه المُنْذر ، وخلّص أخاه امرأ القَيْس .

٨٠ أقَادَ القَاتلَ بالقَتيل : قَتَلَه به . رَبَّ غَسَّان : ملكها . إذ لا تُكَال الدّماء : أي في يوم كثرت فيه القتلى ، فلم تكن تُحْسب الدماء .

* يذكر انتقامهم من الغسَّانيين للمنذر ، ويصف ذلك اليوم بشدة القَتْك ، بحيث هُدِرَتْ فيه دماء لا حساب لها .

٨١ وَأَتَيْنَاهم : أي أتَيْنَا المُنْذر بتسعة ملوك كرام ، أسلابهم غالية . وهؤلاء الملوك هم من بني حجر آكل المرار . كان طَلَبَهم المنذر ، فاسرهم بنو بكر ، وأتوه بهم ، فقتلهم في الحيرة .

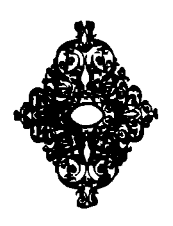
* يذكر أسرهم لبني حجر ، وكانوا ملوكاً مُوَزَّعين في القبائل ، ويشير إلى ما غنموا منهم من أسلاب كثيرة .

٨٢ وَمَعَ الجَوْنِ ، جَوْنِ آلِ بَنِي الأَوْ سِ ، عَنُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ !

٨٣ ما جَزِعْنَا تَحتَ العَجَاجَةِ ، إِذْ وَلَّت بأَقْفَائِهَا ، وَحَرَّ الصَّلاءُ !

٨٤ وَوَلَدْنَا عَمْرو بنَ أُمِّ أَيَاسٍ ، مِن قَرِيبٍ ، لمَّا أَتَانا الحِبَاءُ !

٨٥ مِثْلُها تُخرِجُ النَّصيحَةَ لِلقَو مِ ، فَلاةٌ مِن دُونها أَفلاءُ !



---

٨٢ الجَوْن : من أمراء كندة ، أتى في بني الأوس ، وكان والياً عليهم ، ليمنع بني حجر آكل المرار ، فهزم البكريون قومه وأسروه ، وكان معه كتيبة . عَنُود : شديدة العناد . دفْوَاء منحنية ، يصف كثرتها ، وكيف أنها تعطف على أميرها وتدافع عنه .

٨٣ الأقْفَاء : جمع قَفَا . حَرّ الصَّلاءُ : اشتدت نار الحرب .

* لم نَخَفْ عند اشتداد الحرب ، بل هزمنا تلك الكتيبة ، فهربت بأقفائها .

٨٤ عَمْرو بَن أمّ أيَاس : وفي شرح التبريزي : « ابن أم أناس » وهو عَمْرو بن حجر ، جد الملك عمرو بن هند لأمه . وأم أيَاس من بني بكر . الحباء : أي مهر أم أياس ، يريد أنهم أخوال الملك .

* يريد : والآية الثالثة هي القرابة بَيْننا وبين الملك ، وذلك من زمان قريب ، لما أتانا الحبَاء .

٨٥ مثل هذه القرابة بيننا توجب عليه النصيحة لأقاربه ، أي تحمله على أن يحكم لنا ، لأن هذه القرابة كَفَلاة واسعة ، تَتَّصل بها فلوات أخرى . يريد أنها أرحام متشابكة .

طَرَقَ الخَيَالُ

يصف الشاعر في هذه الأبيات ، خيال حبيبته الذي خطر له . وهو في الصَّحراء ، ثم يتفاخر بشربه الخمر . وغُدُوه لصيد الظباء على فرسه الشَّبيه بالصقر الذي يهوي على الطرائد ، فلا تفرّ منه واحدة . ويتفاخر بقوّته وشجاعته وشدة بأس قومه في الحروب ، ثم يصف جُدْب المرعى في الشتّاء ، وبذلهم الألبان للضَّيف ، وإطعامهم لذوي الحاجة .

١ طَرَقَ الخَيَالُ ، وَلا كَلَيْلَةِ مُدْلِجِ سَدِكاً بأَرْحُلِنَا ، ولَمْ يَتَعَرَّجِ

٢ أَنَّى اهْتَدَيْتِ ، وكُنْتِ غَيْرَ رَجِيلَةٍ ، والقَوْمُ قَدْ قَطَعُوا مِتَانَ السَّجْسَجِ

٣ والقَوْمُ قَدْ آنُوا ، وكَلَّ مَطِيُّهُمْ إلاَّ مُوَاشِكَةَ النَّجَا بِالهَوْدَجِ

٤ ومُدَامَةٍ قَرَّعْتُها بِمُدَامَة ، وَظِبَاءِ مَحْنِيَةٍ ، ذَعَرْتُ بِسمْحَجِ

---

١ المُدلج : السائر اللَّيْل كلّه . السَّدك : المُلازم . لم يعرّج : لم يقم .

* يقول : ان خيال حبيبته طرقه في ليلة فريدة ، كان يسري بها . وظلّ يلازم المطايا ، دون أن يقيم بينهم .

٢ رَجيلة : القويَّة على المَشْي . المَتَان : جمع مَتْن : ما غَلُظ من الأرض . السَّجْسَج : المكان الواسع . الصَّلْب . المُسْتوي .

يخاطب الحبيبة ويقول : كيف أدركتنا وعرفت مكاننا . ولم أعهدك قادرة على السَّير وإدراك القوم . بعد أن أجتازوا المسافات الشاسعة .

٣ آنُوا : أعْيَوا . مُوَاشكَة : مُسْرعة . النَّجَاء : السّرعة .

والقوم قد أعيوا وتعبت نياقهم إلاّ السَّريعة السَّير بالهودج .

٤ المُدامَة : الخَمْر . التَّقْريع : أن يَشْرب قدحاً ويثني بآخر . المَحْنِيَّة : منحنى الوادي حيث تألفه الوحوش . السَّمْحج : الفرس الطويلة .

يفخر بأنه يقرع الخمرة تباعاً حتى يستنزفها . وأنه ينفّر الظباء ويذعرها . فيما يصطادها بفرسه الطويلة .

٥ فَكَأَنَّهُنَّ لآلِئٌ . وَكَأَنَّهُ صَقْرٌ يَلُوذُ حَمَامُهُ بِالعَوْسَجِ

٦ صَقْرٌ يَصِيدُ بِظُفْرِهِ وَجَنَاحِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ حَمَامَةً . لَمْ تَدْرُجِ

٧ ولَئِنْ سَأَلْتِ ، إِذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ وتَبَيَّنَتْ رِعَةُ الجَبَانِ الأَهْوَجِ

٨ وَحَسِبْتِ وَقْعَ سُيُوفِنَا بِرُؤُوسِهِمْ ، وَقْعَ السَّحَابِ عَلَى الطِّرَافِ المُشْرَجِ

٩ وَإِذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتْكَ النَّعَامِ ، إِلى كَنِيفِ العَرْفَجِ

١٠ أَلْفَيْتَنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ ، فَعَطْفُ المُدْمَجِ

---

٥ فَكَأَنَّهُنَّ لآلىء : شبَّه الظِّباء باللآلىء في بياضهن وحسنهن . العَوْسج : شجر .

٭ فكان الظِّباء لآلىء لبياضهنّ وحسنهن ، وكان فرسه صقر يهرب الحَمَام منه ويحتمي بشجر العوسج ، خشية الموت .

٦ لم تَدرُج : لم تتحرك .

٭ كالصّقر الذي ينقضّ على الفريسة بظفره ويحيطها بجناحه ، فإذا أصاب حمامة . فتك بها وخلَّفها دون حراك .

٧ أحْجَمَتْ : كفَّتْ ورجعت . الرِّعَة : الخَوْف .

٭ يفخر بأنَّهم يهرعون للقتال ، ولا يَجْبُنون عنه ، فيما تُحْجم الكتائب عنه ، ويفتضح كل جبان بجبنه .

٨ الطِّراف : بيت من ادم ، جلد . الشَّرْج : عرى الخباء ونحوه .

٭ يشبّه وقع ضرباتهم على رؤوس الأعداء ، بمثل وقع المطر على الطراف المشدود ، أي أنهم شديدو الضّربات .

٩ ، ١٠ اللِّقاح : جمع لقحة وهي من النّياق العشار . تَرَوَّحَتْ بعَشيَّة : بادرت الاياب والشَّمس مشرقة . الرَّتْك : المَشْيُ المُسْرع مع مقاربة الخطو . الكنيف : حظيرة من شجر تأوي إليها الإبل لتَحفَظَها من البَرْد . العرْفج : شجر خَوّار سريع الالتهاب . العمَارَة : القبيلة العظيمة . المُدمَج : قدح المَيْسر .

٭ يقول : إنه إذا ما أصيب القوم بالجدب وعادت النّياق جافة الضّرع ، قبل الظّلام ، سائرة سَيْرَ النَّعام إلى حظائرها ، فإنَّك ترينا ، عندئذ ، خَيْر قوم يلجأ إليهم الضّيف ، فإذا لم نَسْقه اللّبن ، ضربنا له القداح ليلهو بها .

مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ

ومن شعر الحارث بن حلّزة . هذه الأبيات التي كان يقول فيها « النضر بن شميل » : لله درّه ما أشعره .

وهو يصف هنا غدر الدهر ، وكيف أنه أودى بحياة الكثيرين من الأقرباء والأصحاب ، ثم يندد بالذي يَكْنز المال . دون أن يَقْوى على صدّ سطوة الدهر ، ويختم هذه الأبيات بحكمة يقول فيها : إن العَيْش الهنيء في ظلال الجَهْل . خير من العيش الشاق في ظلال العقل :

١ مَنْ حَاكِمٌ بَيْنِي وَبَيْـنَ الدَّهْرِ مَالَ عَلَيَّ عَمْدا

٢ أَوْدَى بِسَادَتِنَا ، وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا حَلَقاً وَجُرْدَا

٣ خَيْلِي ، وَفَارِسُهَا ، لَعَمْرُ أَبِيكَ ، كَانَ أَجَلَّ فَقْدَا !

٤ وَلَوْ انَّ مَا يَأْوِي إِلَيَّ أَصَابَ مِنْ ثُهْلانَ فِنْدَا ،

٥ أَوْ فَرْعَ رَهْوَةَ ، أَوْ رُؤُوسَ شَوَامِخٍ ، لَهُدِدْنَ هَدَّا

---

١ * يقول : من يحكم بيني وبين الدهر الجائر الذي تعمّدني بالأذى ومال عليّ ، بما لا طاقة لي بحمله .

٢ أوْدى بهم : ذهب بهم . الحَلَق : الدروع والمغافر . الجُرْد : الخيول .

* إن الدهر قد ذهب بسادتنا ، وقد خلّفوا لنا الدروع والخيل ، أي عدة القتال .

٣ وفَارِسُهَا : لعله يريد به أحد أولاده ، الذين فقدهم وكان فارساً شجاعاً .

* يقول : قد كانت خسارتي فادحة ، عندما خسرت في المعركة ، خيلي وولدي الفارس الشّجاع .

٤ ، ٥ ما يَأوي إليّ : ما ينزل بساحتي . ثُهْلان : جبل معروف . الفِنْد : رأس الجبل . فرع رهوة ورؤوس شوامخ : رؤوس جبال وقمم معروفة .

* يقول : لو أن ما أصاب رؤوس الجبال العظيمة ، لهدها ودمّرها . يصف بذلك عظم الهول والمصائب التي تنحني عليه .

٦ فَضَعِي قِنَاعَكِ ، إِنَّ رَيْبَ الدَّهْرِ قَدْ أَفْنَى مَعَدَّا

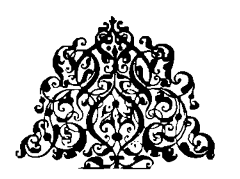
٧ وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِراً قَدْ جَمَّعُوا مَالاً وَوُلْدَا

٨ وَهُمُ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الآذَانُ رَعْدَا

٩ فَانْعَمْ بِجَدِّكَ ، لَا يَضِرْكَ النُّوْكُ ، مَا أُعْطِيتَ جَدَّا

١٠ فَالنُّوْكُ خَيْرٌ ، فِي ظِلَا لِ العَيْشِ ، مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا

١١ هَلْ يُحْرَمُ المَرْءُ القَوِيُّ ، وَقَدْ تَرَى لِلنُّوْكِ رُشْدَا



---

٦ * يقول لها : لا تَتَستري عن الأمور ولا تتقنَّعي عنها . بل اعرفي أن الدهر لا يبقي على أحد . حتى أنه أفنى قبيلة معدّ .

٧ * يقول : وكم من أناس رأيتهم جمَّعوا الأموال ، وأنجبوا الأولاد ، ولم يَقِهم ذلك من سطوة الدهر .

٨ الزَّباب : جمع زَبابة ، هي فأرة صماء لا تكاد تسمع الرَّعد .

* يشبه النَّاس عندما يَسطو عليهم الدهر ، بفئران صماء ، لا تسمع الرعد .

٩ فانعم بجدك : عش بحظك . النوك : الجهل .

* حاول أن تعيش بما ينعم عليك الدهر به من حظّ ، ولا يضرك الجهل ، إذا ما كان حظك قائماً .

١٠ * يقول : إن العيش الهنيء الناعم في ظلال الجهل ، خير من العيش الشاق في ظلال العقل .

١١ لعلّ صوابه « قد يحرم » ، أيّ قد يفشل المرء القوي وقد يرشد الجهل .

طَلَل وَمَدْحٌ

يصف الحارث بن حلّزة في هذه الأبيات ديار الحبيبة ، وما نالها من خراب ، بعد أن هجرها قاطنوها . ويتحدث عن وقوفه مع أصحابه في تلك الديار بأسف وحسرة . ثم يمدح الملك قيس بن شراحيل بن همام ، وينسبه إلى أمه ماريَّة بنت سيار بن شيبان ، ويفيض في مدح جوده وعطاياه :

١ لِمَنِ الـدِّيَّـارُ عَفَـوْنَ بالِحُـبْسِ ، آياتُهـا كَمَهَـارقِ الفُرْسِ

٢ لَا شَيءَ فيهـا غيـرُ أَصْـوِرَةٍ سُفْـعِ الخُـدُودِ ، يَلُحْنَ كالشَّمْسِ

٣ أَو غيـرُ آثـار الجِيَـادِ بـأَعْـرَاضِ الجِمَـادِ ، وآيـةِ الـدِّعْسِ

٤ فَحَبَسْتَ فيهـا الرَّكْبَ أَحْـدِسُ في كلِّ الأُمـورِ ، وكنتُ ذا حَـدْسِ

---

١ عَفَوْنَ : درَسْنَ ، محون . الحُبْس : موضع . آيَاتُها : أعْلامها . المَهَارق : جمع مهرق . الصّحف .

* لمن الديار المُتعفّية في موضع الحبس . تبدو وكأنها صحيفة من صحائف الفرس .

٢ الأصْورَة : جمع صوار ، قطيع من البقر . السُفْع : السّود . يَلُحْن : يَظْهَرْنَ .

* لا شيء فيها غير قطعان البقر ، وقد بدت خدودها سوداء ، في الشمس .

٣ الأعْراض : النَّواحي . الجمَاد : موضع ، أو هو جمع جمد : الغليظ من الرمل . آيَةُ الدعْس : آثاره وعلامته .

وليس ثمة إلاّ آثار الجياد ومواطىء أقدامها على الرّمال .

٤ الحَدْس : الظَّن . الرّكْب : القافلة ، الأصحاب في الرحلة .

فوقفت ، ووقف معي أصحابي في الركب ، في هذه الديار ، أحدس في كل أمور ، وكنت ذا حدس لا يخطىء ، أي أنه أغرق في التأمل .

٥ حتَّى إذَا الْتَفَعَ الظِّبَاءُ بأَطْرَافِ الظِّلالِ ، وقِلْنَ في الكُنْسِ

٦ وَيَئِسْتُ مِمَّا قد شُغِفْتُ بِهِ منها ، ولا يُسْلِيكَ كالْيَأْسِ

٧ أَنْمِي إلى حَرْفٍ مُذَكَّرَةٍ تَهِصُ الْحَصَى بِمَوَاقِعٍ خُنْسِ

٨ خَذِمٍ نَقَائِلُهَا يَطِرْنَ كأَقْطَاعِ الفِرَاءِ بِصَحْصَحٍ شَأْسِ

٩ أَفَلا تُعَدِّيها إلى مَلِكٍ شَهْمِ المَقَادةِ ، ماجِدِ النَّفْسِ

١٠ وإلى ابنِ مارِيَةَ الجَوَادِ ، وهَلْ شَرْوَى أَبِي حَسَّانَ في الإِنْسِ

---

٥ . ٦ التَفَعت الظِّباء بأطْرَاف الظِّلال : لجأن إليها يَسْتَتِرْنَ من الحرّ . قلْنَ : من القائلة أو القَيْلُولة : نوم بعض الظهر . الكُنْس : جمع كناس ، مأوى في ظلّ شجرة أوحفرة في كثيب يستترفيها .

* حتى إذا لجأت الظباء بأطراف الظلال ، ونامت ظهراً في كُنْس تحت الأشجار ، تتستر من أشعة الشمس ، ونالني اليأس ممَّا كنت أنظر فيه بشغف وحب ، ... امتطيت ناقة ..

٧ أنْمي : أرتفع . الحَرْف : الناقة الماضية . المُذكَّرة : التي تشبه الفحل . تَهِصُ : تدق فتكسر . المواقع : جمع ميقعة ، وهي المطارق . الخُنْس : القصار .

وامتطيت ناقة تشبه الفحل ، تطأ الحصى فتكسره بقوائمها القصار .

٨ النَقَائل : السرائح التي تنعل بها من الحفا . الخَذِم منها : المُتَقَطعة . الفِرَاء : جمع فروة ، الصَّحْصَح : الأرض المستوية . الشَأْس : الموضع الغليظ .

نعالها متقطعة من طول السَّيْر ، كأقطاع الفراء في المواضع الغليظة الخشنة .

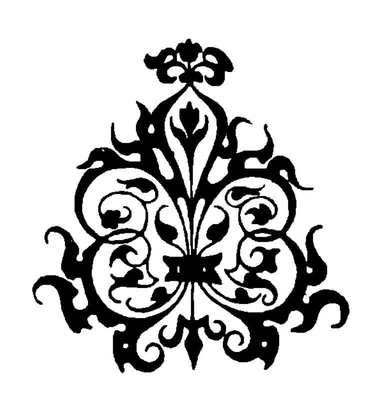
٩ تُعَديها : تصرفها . مَلك : أراد به ممدوحه قيس بن شراحيل . الشهْم : الممتنع الصارم ، الصّعب الانقياد .

* أفلا تصرفها إلى الملك الأبيّ النَّفس ، الشَّهم ، الشديد المراس .

١٠ مارَية : مارية بنت سيَّار . الشَّرْوَى : المثل .

* وإلى ابن مارية الكريم ، وهل مثل أبي حسان أحد يجارى في الأنس والمودة .

١١ يَحْبُوكَ بالزَّغْفِ الفُيُوضِ على هِمْيَانِها ، والدُّهْمِ كالغَرْسِ
١٢ وَبِالسَّبِيكِ الصُّفْرِ يُضْعِفُهَا وَبِالْبَغَايَا البِيضِ وَاللُّعْسِ
١٣ لاَ يَرْتَجِي لِلْمَالِ يُهْلِكُهُ سَعْدُ النُّجُومُ إِلَيْهِ كالنَّحْسِ
١٤ فَلَهُ هُنَالِكَ لاَ عَلَيْهِ إِذَا دَنَعَتْ أُنُوفُ القَوْمِ لِلتَّعْسِ



---

١١ يَحْبُوك : يعطيك . الزّغف : الدرع اللَّينَة . الفيُوض : السَّابغة . الهَمْيَان : شيء يشد به الدرع . الدهْم : الخَيْل . الغَرْس : النَّخْل .

* يعطيك الدروع اللَّينة الفضفاضة ، والخيل الطويلة كالنَّخل .

١٢ السَّبيك : قطعة من ذهب أو فضّة . البَغَايا : الإماء . اللّعْس : جمع لعساء سواد يضرب إلى الحمرة في الشفتين ، وهو للاستملاح .

* ويضاعف لك بالقطع الذهبيَّة ، وبالإماء البيض ، ذوات الشفاه المحمَّرة .

١٣ لا يَرْتجي : لا يخاف .

* لا يخاف المال . بل يبذله كيفما شاء ، ولا يجزع لنحس ، ولا يسعد بسعد .

١٤ فَلَه هُنَالك : فله الفضل في ذلك الوقت . دنَعَت : خَضَعَتْ . التَّعْس : السقوط والعجز عن النهوض .

* فله الفضل في ذلك الوقت ، ولا عليه . إذا خضعت أنوف القوم للعجز والسقوط .

حِكَمٌ وَخوَاطِرُ

قال الحارث بن حلّزة يخاطب عمرو . ولعله راعيه . يوصيه أن لا يكسع الشول بأغبارها . وأن يبذل هذا اللّبن للأضياف . تاركاً الأمر للأقدار . لأن أحداً لا يدري ماذا سيحدث له ولماله غداً . فلربما ذهب ماله بعد مماته نهباً للوارثين . يعيشون فيه كما يحلو لهم :

١ قُلْتُ لَعمْرٍو حِينَ أَبْصَرْتُه ، وقد حَبَا مِنْ دُونِها عالِجُ

٢ لاَ تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأَغْبَارِها . إِنَّك لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ

٣ واحْلُبْ لأَضْيافِكَ أَلْبانَها ، فإنَّ شَرَّ اللَّبنِ الوالِجُ

٤ رُبَّ عِشَارٍ سوفَ يَغْتالُها ، لا مُبْطِئُ الشَّدِّ وَلا عائِجُ

---

١ حَبَا : دنا . منْ دونها : من دون الإبل . عَالج : رمل بين الشام والكوفة .
قلت لعمرو حين شاهدته وقد دنا . من دون الإبل ، رمل عالج .

٢ الكَسْع : أن يضع على ضرع الإبل الماء البارد . الشَّوْل : الإبل التي شولت ألبانها . النَّاتج : الذي يلي نتاج الإبل . الغَبْر : بقيَّة اللبن في الضرع .

* يقول : لا تسكب الماء البارد على ضرع النّياق التي جفّ لبنها ، فشال ضرعُها ، لتنقطع عن الدرّ ، لأنك لا تدري من الّذي يلي أمرها حتى تلد .

٣ الوالج : الذي يلج في ظهور الإبل من اللّبن المكسوع .

* واحْلُب لضيوفك من ألبانها ، إنّ أسوأ أنواع اللبن هو الوالج الذي احتقنه صاحب الإبل في ظهورها .

٤ العَالج : الواقف . رُبّ نوق عشار يغتالها سائق : يأخذها من أهلها .

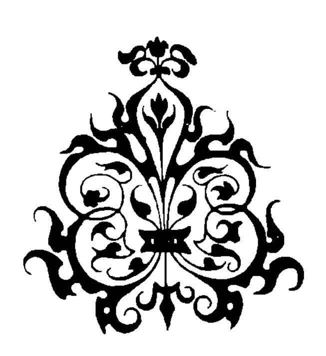
* ربّ نوق عشار ، سوف ينهبها عن أهلها رجل ، لا هو بطيء الجري ولا هو مقيم ، أي إنّك لا تدرك إلى أين سيكون مصيرها .

٥ يَسُوقُهَا شَـلاًّ إلى أَهْلِـــــهِ كما يَسُوقُ البَكْـرَةَ الفالِـــجُ

٦ قد كُنْتَ ، يوماً ، تَرْتَجي رِسْلَها فَأَطْـرِدْ الحـائِلُ والدَّالِـــجُ

٧ بَيْنَا الفتى يَسْعَىٰ ، ويُسْعى لـه تاحَ له مِنْ أَمْـرِهِ خَالِـــجُ

٨ يَتْـرُكُ مـا رَقَّحَ مـن عَيْشِـه يَعِيثُ فِيـهِ هَمَـجٌ هامِـــجْ



---

٥ الشَّلَ : الطَّرْد . البَكْرَة : النَّاقة الصغيرة التي لا تحمل . الفَالج : الفحل الضَّخم .

٭ يقودها طردا إلى أهله ، كما يقود الفحل الضَّخم ، النَّاقة الصغيرة .

٦ الرِّسْل : اللَّبن . الحائل : الَّتي لا تحمل ولا تلد . الدالج : المُثْقلة الأحمال .

٭ قد كنت ، يوماً ، تأمل أن تدرّ عليك لبنها ، فأبعدت منها العاقر ، والثقيلة البطيئة الأحمال .

٧ تَاحَ : عرض . خَالج : موت يذهب به . بَينا : بينما .

٭ بينا الفتى يكدّ ويسعى ، ويُسعى له ، يخالجه الموت ، فيذهب به .

٨ التَّرْقيح : إصلاح المال . يَعيث : يفسد . الهَمَج : البعوض .

٭ يترك ما جمع من مال إلى وارث ضعيف ، يعيث به فساداً .

الأفـــوَهُ الأوْدِيّ[1]

الأفوَهُ الأوْدِي
٠٠٠٠ ـ نحو ٥٠ ق. هـ.

هو صلاة بن عمرو . بن مالك ، بن عوف ، بن الحارث ، بن عوف . بن ضبَّة من بني مذحج . والأفوه لقب غلب عليه . وكان الأفوه من كبار شعراء الجاهلية ، وسيِّد قومه . وقائدهم في حروبهم ، وكانوا عن رأيه يصدرون .

شهر في شعره بالفخر والحكمة . ولكنَّه لم تعرف له إلاّ قصائد قليلة . جعلت النّقاد يعدونــه من شعراء الفخر والفروسية . دون أن يبلغ شأو عنترة وعمرو بن كلثوم في هذا الباب . لقصر نَفَسه وندرة شعره . وقد جاء في كتاب المزهر للسيوطي والعمدة لابن رشيق ، أن الأفوه أقدم من المهلهل ، ومن امرئ القيس . وعمرو بن قميئة . وأنَّه أول من قصّد القصائد . إلاّ أنّ ما بلغنا من شعره . لا يوحي لنا بأنَّه كان يجري على رأس مذهب شعريّ ، أو أنه يتفرّد بخاصة لم نعهدها في سواه ، فليس في شعره معان مبتكرة ، أو صور ساطعة ، ودُربة فنية عميقة ، بل إنّ البساطة تغلب عليه ، فَتَرِدُ ألوانه باهتة ، خافتة . وألفاظه شائعة ، قريبة المتناول .

أمَّا حكمُه ، فهي في معظمها حِكَم وعظيَّة تعليمية ، لا نشهد فيها القلق والتوتّر والفاجعة التي نلقاها في حِكَم طَرَفة ، وعديّ بن زيد ، ولبيد . بل إنَّها أقرب إلى حكَم زُهَيْر في نزعتها التقريريَّة ، وفي نهجها العام . ومع ذلك فإن بعض الحكمة عند الأفوه الأودي ، قد امتزج بحرارة المعاناة ، فجاءت قصيدتُه في تقريع قومه لغَلَبة الجُهّال على أهل الرأي عندهم في القيادة . متدفّقة بانفعـال المعنف المتحرّق لما يراه من مصير قومه ، ودلت نظراته على عمق فهم لطبيعة السلطة ، والعلاقة بين القيادة والجماهير ، على أساس العلم والفهم والشّورى .

يَوْمُ الصَّبِيبِ

قال الأفوه الأودي هذه الأبيات ، يفخر بها على قَوْم من بني عامر ، وقد كانت بينه وبينهم دماء ، فأخذ بثأره منهم وزاد ، وأعطاهم مالا ، ديات مَنْ قَتَلَ منهم . وهو يشيد هنا بعزّة قومه وقدرتهم على سبْي نساء الأعداء ، دون أن تُسْبَى واحدة من نسائهم . فقومه لا يقبلون إلاّ الدم فدْيَةَ من قُتِلَ منهم . ويدفعون المال لمن يطالبهم بثأر :

١ أَلا يَا لَهْفِ ، لَوْ شَهِدَتْ قَنَاتِي قَبَائِلُ عامِرٍ ، يَـوْمَ الصَّبِيبِ

٢ غَدَاةَ ، تَجَمَّعَتْ كَعْبٌ إِلَيْنَا ، جَلائِبَ ، بَيْنَ أَبْنَاءِ الحَرِيبِ

٣ فَلَمَّا أَنْ رَأَوْنا في وَغَاهَا ، كَآسَادِ الغَرِيفَةِ والحَجِيبِ

٤ تَدَاعَوْا ، ثُمَّ مَالُوا عَنْ ذُرَاهَا ، كَفِعْلِ الخَامِعَاتِ مِنَ الوَجِيبِ

٥ وَطَارُوا كَالنَّعَامِ ، بِبَطْنِ قَوٍّ ، مُوَاءَلَةً ، على حَذَرِ الرَّقِيبِ

---

١ القناة : الرّمح . الصبيب : الدم . وهنا إشارة إلى إحدى المواقع .

* ليت قبائل عامر ، شهدت قتالي ، في يوم الصبيب .

٢ الجلائب : الجماعات .

* يوم تجمعت قبيلة كعب علينا ، جماعات مختلفة .

٣ الوغى : ساحة الحرب . الغريفة : الشجر الكثير الملتف ، الأجمة . الحجيب : موضع .

* فلما شاهدونا في ساحة الوغى ، كأننا أسود الغريفة ، والحجيب .

٤ تداعوا : انهزموا . الخامعات : الضباع . الوجيب : الخوف .

* شبه فرار الأعداء ، عندما شاهدوا قتال قومه ، بهروب الضباع عندما يداهمها خوف ، فتهرب مذعورة لا تلوي على شيء .

٥ بطن قوّ : موضع . المُوَاءلَة : طلب النجاة .

* وهربوا كما تهرب النّعام في موضع « بطن قوّ » تطلب النجاة والصائد يترصّدها .

يَا بَنِي هَاجَرَ

يفضّل الشّاعر في هذه القصيدة ، أهل اليَمن أي « عرب الجنوب » على مضر ، أي « عرب الشمال » . ويهدد فيها « هاجراً » بسوء العاقبة والمصير . ويفخر بقوّة قومه وبطشهم وشجاعتهم في القتال ، ويشيد بأجداده ونسبهم الشّريف ، وتقاليدهم الموروثة ، التي يحافظون عليها .

وقد نهى الرّسول عن روايتها ، لمَا فيها من تَفْضيل قوم على قَوْم ، ولأنَّها تثير الأحقاد . والعداوة والنّزاع بين العرب .

١ يَا بَني هـــاجَــر ، سَاءَت خُطَّةً   أَنْ تَرْومُـــوا النَّصْفَ مِنَّا ، وَنُجارُ

٢ إِنْ يَجُلْ مُهْرِيَ فِيكُمْ جَـوْلَةً ،   فَعَلَيْهِ الكَرُّ فِيكُـمْ ، والغِـــوارُ

٣ نَحْنُ أَوْدٌ ، ولأَوْدٍ سُنَّـــــةٌ ،   شَرَفٌ لَيْسَ لَنَـــا عَنْهَـا قَصَـارُ

٤ سُنَّةً أَوْرَثَنَــــاهَا مَذْحِــــجٌ ،   قَبْلَ أَنْ يُنْسَبُ للنَّــــاسِ نِـزارُ

---

١ بَنُو هاجر : بنو إسماعيل بن إبراهيم من زوجته هاجر . النّصف : الانتصاف . الأخذ بالحق . نجار : نكون في جواركم .
يا بني هاجر . إن رمتم أن تأخذوا حقّكم منَّا ، وأن تجعلونا نعيش تحت سلطتكم . فبئست محاولتُكم وساءَ المصير .

٢ الكَرّ فيكُم : الهجوم عليكم . الغوَار : التَّوغل في صفوف الأعداء .
إنّ جولة أقوم بها فيكم . على مهري . تكفي لأن أهزمكم ، وأثْخن القَتْل فيكم .

٣ لَيْسَ لنَا عَنْهَا قَصَار : لا نرجع عنها . سُنَّة : قانون .
يفخر الشّاعر بقومه الّذين لهم تقاليد موروثة ، تُشَرّفهم ، يَتَمسَّكون بها ، ولا يحيدون عنها قيد أنملة

٤ كنَّا موصوفين بالشّجاعة والقوّة ، منذ أيام أبينا مَذْحج ، قبل أن يدري الناس أنّ ثمَّة شخصاً اسمه نزار (من أسلاف عرب الشمال) . يشير بذلك إلى أصلهم العريق الذي لا يضاهيه أي أصل آخر .

٥ نَحْنُ قُدْنَا الخَيْـلَ ، حتَّى انْقَطَعَتْ ، شُدُنُ الأَفْـلاَءِ عَنْهَـا ، والمِهَارُ

٦ كُلَّمَا سِرْنَـا ، تَـرَكْنَـا مَنْــزِلاً فِيهِ شَتَّى مِنْ سِبَاعِ الأَرْضِ . غَارُوا

٧ وَتَرَى الطَّيْـرُ ـ عَلَى آثَــارِنَا ـ رَأْيَ عَيْنٍ ، ثِقَـةً أَنْ سَتُمَـارُ

٨ مُلْكُنَـا ، مُلْـكُ لَقَـــاحٍ أَوَّلُ وأَبُـونَـا ، مِنْ بَنِي أَوْدٍ ، خِيَـارُ

٩ وَلَقَـدْ كُنْتُمْ حَـدِيثـاً زَمَعـــاً وَذُنَابَى ، حَيْثُ يحْتَلُّ الصَّغَـارُ

١٠ عَنْكُـمُ في الأَرْضِ ، إِنَّـا مَذْحِجٌ ، وَرُوَيْداً يَفْضَحُ اللَّيْـلَ النَّهَـــارُ

---

٥ شُدُن : جمع شادن ، وهي صغار ذوات الحافر والظِّلْف حين تقوى وتَسْتَغني عن أمّهاتها .
الأفْلاء : جمع فلو ، ولد الفرس . المُهْر : الحصان الصَّغير .

* يمثّل في هذا البيت شدة سيرهم في الحروب ، ويعبّر عنه من خلال خيلهم الّتي تعدو عدواً مُضْنياً ، بحيث تَتَخَلَّف عنها أفلاؤها ، عاجزة عن اللّحاق بها .

٦ السِّبَاع : هنا الوحوش .

* يقول : إنّهم يسيرون بجَيْشهم القوي ، ويخلّفون ، إثْرهم ، القتلى المتناثرين في الأرض . وذكره للسّباع في حديثه عمَّنْ فتكوا بهم ، هو تعظيم لبني قومه ، من خلال أعدائهم .

٧ سَتُمَار : ستجدُ طعاماً .
وكانت الطَّيْر تتبع آثارنا ، على يقين بأنَّها ستجد طعاماً من الأعداء الَّذين سيَكْثُر القتل فيهم .

٨ اللَّقَاح : القَوْم في الجاهلية لم يَخْضَعُوا للملوك ، ولا استطاع ملك أن يَسْبِيَ منهم أحداً .
أَوَّلُ : منذ أول الدهر . أبونا : هنا سلفنا .

* لم يملكْنا أحد منذ أول الدهر ، وسلفنا هو من خيار بني أود .

٩ الزَّمْعَة : قرن صغير ، وهنا شيء لا قيمة له . ذُنَابى : جمع ذَنَب ، تَبَعٌ للآخرين . يَحْتَلّ : يستقرّ . الصَّغَار : الذلَّة .
يحقّر من شأن أعدائه ، ويقول : إنَّهم كانوا قليلي القيمة ، يَلْحَقُون بالآخرين ، ويُعَدون من أواخر الأقوام .

١٠ عَنْكُم في الأرْض : أي ابتعدوا .

* إليكم عنَّا ، فنحن ننتسب إلى مَذحج ، وأنتم لا شأن لكم ، وقريباً تظهر حقيقتكم .

نُقَاتِلُ أَقْوَاماً

قال الشَّاعر هذه الأبيات ، عندما أغارت قبيلته على بني عامر ، بقيادة زيد بن الحارث . وظفرت وأصابت مغانم كثيرة :

١ نُقَاتِلُ أَقْـوَاماً ، فَنَسْبِي نِسَاءَهمْ ، وَلَمْ يَرَ ذُو عِـزٍّ لِنِسْوَتِنـا حِجْلا

٢ نَقُود ، وَنَأْبى أَنْ نُقَـادَ ، وَلَا نَرى لِقَوْمٍ عَلَيْنَا في مُكَارَمَـةٍ فَضْـلا

٣ وَإِنَّا بِطَـاءُ المَشْيِ ، عِنْـدَ نِسَائِنَا ، كَمَا قَيَّدَتْ بالصَّيْفِ نجْدِيَّـةٌ بُزْلا

٤ نَظَلُّ غَيَـارَى ، عِنْـدَ كُلِّ سَتِيرةٍ ، نُقَلِّبُ جِيداً واضِحـاً ، وَشَوىً عَبْلا

٥ وإِنَّـا لَنُعْطِي المَالَ ، دُونَ دِمَائِنَا ، وَنَأْبى ، فما نَسْتَامُ دون دمٍ عُقْلا

---

١ الحِجْل : الخلخال .

* يقول : إنَّنا نقاتل أعداءنا ، فنهزمهم ، ونسبي نساءهم . فما تلبث نساؤنا محصّنات لم يَرَ عدوّ . قط ، لهن حجلا ، أي لم يدركهن ولم يكشف عليهن .

٢ * لنا القيادة في كلّ أمر ، ونأبى أن نُقَاد لأيّ امرىء ، وقد طغت مكارمنا على الجميع ، ولا فضل لأحد علينا .

٣ نجْديَّة . نسبة إلى نجد . البُزْل : جمع بازل ، البعير عندما يثْقب نابه .

* يقصد الشَّاعر . أن قومه ذوو عفَّة ، لا يتَرَددون على نسائهم كثيراً ، لانشغالهم في الغَزْو والقتال ، وأنَّهم يقيِّدون أنفسهم عن مواقعتهن ، كما تقيد الجمال في الصَّيف عن النّياق .

٤ السَّتِيرَة : المرأة المَسْتورة . الشَّوى : القوائم والأطراف . العَبْل : الممتلىء .

* يقول : إنَّهم يصونون نساءهم ، ويحافظون عليهن .

٥ العُقْل : الدية .

* نؤدي المال لمن ندين له بثأر ، دون الدم . ولا نقبل غير الدم فدية لنا .

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ

قال الشّاعر هذه القصيدة ، يحثّ قومه على التماسك والتعاضد فيما بينهم وأن يكون لهم أولو أمر منهم ، يُصْلحون شأنهم ، حتَّى لا يسودَ جُهَّالُهُم عليهم . ويُعَبِّر الأفوه الأودي عن سخطه على بني قومه في مطلع قصيدته بشعور الغضب والانفعال ، لَمّا آلت إليه حالةُ السّلطة في عشيرته . فإذا به يهدد بالابتعاد عن موطن الجهل والغي إلى أقصى الأرض ، وكأنّ اليَأس من صلاح القوم قد استبدّ به ودفعه إلى طلب الهجرة . ويعرّج الشّاعر على وصف تصوّره لبناء السّلطة بالتماسك ما بَيْن الجمهورِ والقادة من أهل الرأي والصّلاح ، كالبيت الّذي لا تقوم له أعمدة في الفضاء ، إن لم تُدفع لـه أوتاد إلى أعماق الأرض .

فالقصيدة دعوة إصلاح يقبلها المنطق السَّليم ، ويتأثر بها الوجدان ، لحرارة التجربة التي يفصح عنها الشّاعر في مطلع الأبيات . وهي لا تخلو من مضمون سياسي يدعو إلى توحيد السّلطة مع العلم والأخلاق . وينـذر بالبداد والفوضى إن ساد الجهل ، وضاع الرأي الحكيم من أهل النّفوذ والسلطان :

١ أَمَارَةُ الغيِّ ، أَنْ تَلْقَى الجَمِيعَ لدَى ... الْإِبْرَامِ لِلأَمْرِ ، وَالأَذْنَابُ أَقْتَادُ

٢ حَانَ الرَّحِيلُ إِلىَ قَوْمٍ ، وَإِنْ بَعُدُوا ... مِنْهُمْ صَلاحٌ لِمُرْتَادٍ وَأَرْشَادُ

---

١ الغَيّ : الضّلال . أقْتَادُ : جمع قَتَد . حشب الرّحْل .

* إن من الضّلال أن ترى الجميع يَقْبلون بالأمر المُبْرَم ، ويتّبعون أذناب القوم صاغرين .

٢ ارْتَادَ البلاد : طاف بها ، زارها .

* حان الرّحيلُ إلى قَوْم ما زال فيهم صلاح وخَيْر وإرشاد لكلّ من زارهم ، وارتادَ ديارهم ، وإن كانوا بعيدين عنّا ، فهو يهدد قَوْمه بالرّحيل عنهم .

٣ فَسَوْفَ أَجْعَلُ بُعْدَ الأَرْضِ دُونَكُمُ ، وَإِنْ دَنَتْ رَحِمٌ مِنْكُمْ ، وَمِيلادُ

٤ إِنَّ النَّجَاءَ ، إِذَا مَا كُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَجَّةِ الغَيِّ ، إِبْعَادٌ فَـإِبْعَـادُ

٥ وَالخَيْرُ تَزْدَادُ مِنْهُ مَا لَقِيتَ بِـهِ ، وَالشَّرُّ يَكْفِيكَ مِنْهُ ، قَلَّ مَا زَادُ

٦ وَالبَيْتُ لا يُبْتَنَى ، إِلاَّ لَهُ عَمَدٌ ، وَلا عِمادَ ، إِذَا لَمْ تَرْسُ أَوْتَادُ

٧ فَإِنْ تجمَّعَ أَوْتَـادٌ وَأَعْمِــدَةٌ ، وَسَاكِنٌ ، بلَغُوا الأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

٨ لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى ، لاسَرَاةَلَهُمْ ، وَلا سَرَاةَ ، إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا

٩ تُهْدَى الأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلُحَتْ ، فَإِنْ تَوَلَّتْ ، فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَـادُ

---

٣ رحم : هنا صلة القُرْبى .

* سوف أنأى عنكم إلى أقاصي الأرض ولو جمعتني بكم صلَةُ الرّحم .

٤ الأجَّة : شدة الحرّ .

* إن الابتعاد عن قَوْم سادهم الغيّ والضَّلال . هو السَّبيل للخلاص منهم .

٥ * يريد أنّ المرء يطلب زيادة الخير ، قدرما استطاع . ويكفيه من الشرّ النَّزْر القليل .

٦ عَمَد : الأعمدة .

* يريد الشَّاعر أن كلّ شيء له مُقَوِّمات يجب أن تُرسى على أساس متين .

٧ الأمْر الَّذي كَادوا : الأمر الذي أرادوه

فإن اجتمعت هذه المقوّمات في قوم . وكانوا متماسكين متحدين . من الرئيس إلى أصغر مرؤوس . فهم واصلون إلى الأمر الذي أرادوه . أي بلغوا الخيْر والسعادة . وهو يستعير هذه الصورة في بيت الشَّعر (الخيمة) عند البدوي بأوتادها وأعمدتها .

٨ سَراة : رُؤساء .

* يقول : إن أمر الجماعة لا يستقيم ، ما داموا مُقيمين على الفَوْضى ، دون رئيس يرشدهم ويقودهم . كما أنَّه لا جدوى من الرّؤساء ما داموا جُهَّالا . لا يأخذون بالعقل والحلم .

٩ أهْلُ الرَّأي : أصْحاب المَشُورة . تَوَلّوا : تركوا الأمر .

* إن الأمور إذا ساءت . فلك من أهل الرأي السّديد . وأصحاب المشورة الصالحين ، من يصلح الفساد ، فإذا تخلّوا عن الأمر . فإنّ القبيلة ستنقاد حتماً إلى أشرار القوم .

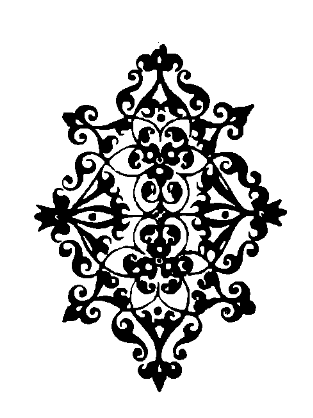
١٠ إِذَا تَوَلَّى سَرَاةُ النّاسِ أَمْرَهُـــمُ ، نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ القَوْمِ ، فَازْدَادُوا

١١ فِينَا مَعَاشِرُ ، لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِـــمِ وَإِنْ بَنَى قَوْمُهُمْ مَا أَفْسَدُوا عَادُوا

١٢ لا يَرْشُدُونَ ، وَلَنْ يَرْعَوْا لِمُرْشِدِهِمْ ، وَالجَهْلُ مِنْهُمْ ، مَعاً ، وَالغَيُّ مِيعَادُ

١٣ أَضْحَوْا كَقَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فِي عَشِيرَتِهِ إِذْ أُهْلِكَتْ بِالَّذِي سَدَّى لَهَا عَادُ

١٤ أَوْ بعْدَهُ كَقُدَارٍ ، حِينَ تَـابَعَـهُ عَلَى الغَوَايَةِ ، أَقْوامٌ فَقَدْ بَادُوا



---

١٠ إذا تولّى الرؤساء زمام الأمر ، قويت أواصر القوم . واشتدت شوكتهم .

١١ فينا أهل سوء ، يعيثون في الأرض فساداً وإن أصلح القوم ما أفسدوه ، عادوا إلى ما كانوا عليه .

١٢ * لا يرشدون إلى الخيْر ، وقد انغمسوا في الضّلال ، وتفشّى فيهم الجهل ، لا يَقْبلون نُصْحاً ولا إرشاداً .

١٣ * أمسوا كقيل بن عمرو ، عندما تفشّى الفساد في عشيرته ، فأهْلكوا كما أهلك قوم عاد .

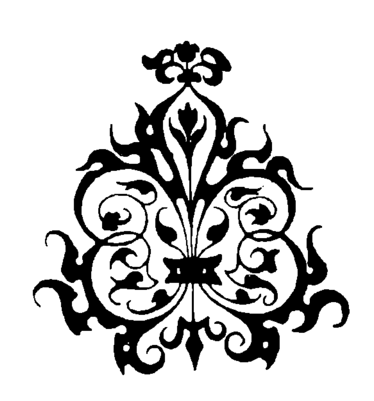
١٤ * وأهْلكَ بعده قُدار ، حين تابعه على الضّلال أقوام ، فقد أبيدوا جميعاً ، ولم تقم لهم قائمة بعدها .

مَعْرَكَةٌ

١ وَبِرَوْضَةِ السُّلاَّن مِنَّا مَشْهَدٌ   وَالخَيلُ شَاحِيَةٌ ، وَقَد عَظُمَ الثُّبى

٢ تُخْلِي الجَماجِمَ وَالأَكُفَّ سُيُوفُنَا   ورِمَاحُنَا بِالطَّعْنِ تَنْتَظِمُ الكُلَى

٣ عَافُوا الإِتَاوَةَ ، فَاسْتَقَتْ أَسْلاَمُهُمْ   حَتَّى ارْتَوَوْا عَلَلاً بِأَذْنِبَةِ الرَّدَى



---

١ السّلاّن : جبل بازاء خزاز ، كانت فيه مواقع للعرب . الثُّبى : المجلس الأعلى من الأشراف ، أو الجماعة . الخَيْل شَاحية : أي فاغرة الأفواه .

* وتشهد لنا روضة السَلان بمواقع ، إذ الخيل فاغرة أفواهها من شدة القتال ، وقد عَظُم الحشد ، وازداد الخطب .

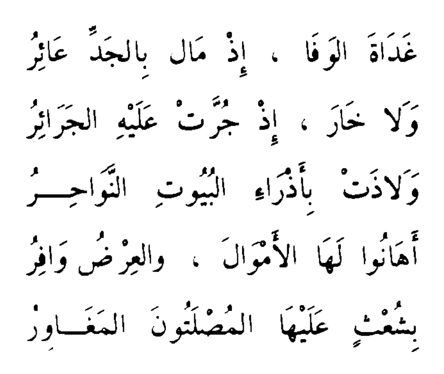
٢ كُلَى : جمع كُلْوة .

* تقطع سيوفنا الرؤوس والأيدي ، وينفذ طعان رماحنا إلى الكُلى .

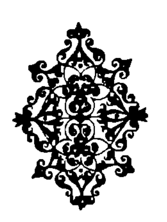
٣ الإتاوة : مال يفرضه المُنْتصر على القَوْم الّذين انتصر عليهم . الأسْلام : الدلاء لها عروة واحدة . العَلَل : الرّي بعد الإكتفاء بالقليل . أذنِبَةِ : جمع ذنوب وهي الدلو التي لها ذَنَب .

* لم يدفعوا الخراج ، فلقوا منا هلاكاً مروعاً وارتووا من دلاء المنيَّة .

أَبِي فَارِسُ الشَّوْهَاءِ



١	أَبِي فَارِسُ الشَّوْهَاءِ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ	غَدَاةَ الوَغَا ، إِذْ مَال بِالجَدِّ عَاثِرُ
٢	وَمَا غَمَزَتْهُ الحَرْبُ إِنْ شَمَّرَتْ لَهُ ،	وَلا خَارَ ، إِذْ جُرَّتْ عَلَيْهِ الجَرَائِرُ
٣	وَقَوْمِي ، إِذَا كُحْلٌ عَلَى النَّاسِ فُرِّجَتْ	وَلاذَتْ بِأَذْرَاءِ البُيُوتِ النَّواجِــرُ
٤	وَكَانَ يَتَامَى كُلِّ جِلْسٍ عَزِيزَةً ،	أَهَانُوا لَهَا الأَمْوَالَ ، والعِرْضُ وَافِرُ
٥	هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الضِّعَافِ بِغَــارَةٍ ،	بِشُعْثٍ عَلَيْهَا المُصْلَتُونَ المَغَــاوِرْ



---

١ الشَّوهاء من الخيل : الطويلة الرائعة . الجَدّ : الحظّ . العَاثر من السّهام : ما لا يعرف راميه .
يفخر بأن أباه هو فارس الشَّوْهاء ، غداة تخلّى الحظّ عن القوم .

٢ غَمَزَ : سعى به شرّاً . الجَرَائر : المصائب والنَّوائب . خَارَ : ضَعُفَ .
وما خَوَّفَتْه الحرب عندما اشتدّ سعيرها ، ولم تَنَلِ النَّوائب وخطوبُ الزّمن من قناته ، ولم تُضْعِفْ من عزيمته .

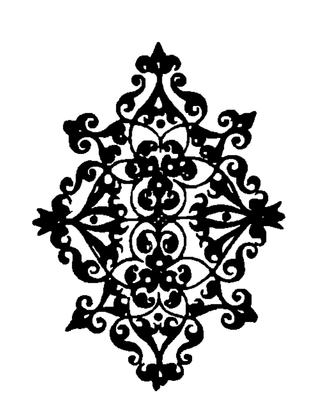
٣ - ٤ الكُحْلُ : المال الكثير . النَّواحر : جمع ناحرة ، آخر ليلة من الشهر .
يفخر بقومه ، وأنَّهم لا يغرّهم المال ، فهم يبذلونه لصيانة عرضهم .

٥ صَبَّحُوا : غَزَوا صباحاً .

* هم أغاروا على أهل الضّعاف ، صبْحاً ، بفرسان مغاوير ، شُعْث الشَّعْر ، ثورة وحماساً .

سَائِلْ عَنَّا وَعَنْهُمْ

١	فَسَائِلْ جَمْعَنَا عَنَّـا وَعَنْهُـمْ ،	غَدَاةَ الشَّيْـلِ بِـالأَسَلِ الطَّوِيـلِ
٢	أَلَمْ نَتْـرُكْ سَـرَاتَهُـمُ عَيَامَـى ،	جُثُومـاً ، تَحْتَ أَرْجـاءِ الذُّيُولِ
٣	تُبَكِّيهَـا الأَرامِـلُ بِالْمَآلِي ،	بِـدَارَاتِ الصَّفَـائِحِ والنَّصِيلِ
٤	وَقَدْ مَرَّتْ كُمَـاةُ الحَـرْبِ مِنَّا ،	عَلَى مَاءِ الدَّفِينَـةِ وَالحَجِيلِ



---

١ الشَّيْل : هنا الطَّعْن . الأسَل : الرِّماح الرهيفة .

• فاسأل جموعنا وجموعهم ، غداة طعناهم بالرِّماح الرِّهيفة الطَّويلة .

٢ عَيَامَى : جمع عَيْمَان ، من ذهَبَتْ إبلُه وماتت امرأته .

• ألم نترك رؤساء قومهم ، عَيَامى ، تَطَأ الأقْدام أجسادهم .

٣ دارَات الصَّفَائح : موضع بناحية الصمَّان . النَّصيل : موضع .

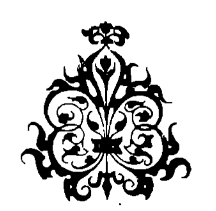
• تبكيهم الأرامل والثَّكالى في مواضع دارات الصَّفائح والنَّصيل .

٤ الدفينة والحَجيل : موضعان .

• وقد أغار الفُرْسان المُدجَّجُون بالسِّلاح على موضعي الدفينة والحجيل .

أَبْلِغْ بَنِي أَوْدٍ

١	أَبْلِغْ بَنِي أَوْدٍ . فَقَدْ أَحْسَنُوا	أَمْسِ بِضَرْبِ الهامِ ، تَحْتَ القُنُوسْ
٢	في مُضَرِ الحَمْرَاءِ . لَمْ يَتْرُكُوا	غُدارَةً غَيْرَ النِّسَاءِ جُلُوسْ
٣	مِنْ دُونِهَا الطَّيْرُ . وَمِنْ فَوْقِهَا	هَفَاهِفُ الرِّيحِ ، كَجَثِّ القَلِيسْ
٤	وَأَجْفَلَ القَوْمَ نَعَامِيَّةً	عَنَّا ، وَفِئْنا بِالنِّهَابِ النَّفِيسْ
٥	وَالدَّهْرُ لا تَبْقَى عَلَى صَرْفِهِ	مَغْفِرَةٌ في حَالِقٍ مَرْمَرِيسْ



---

١ الهام : جمع هامة . الرّأس . القُنوس : جمع القَوْنَس . وهي أعلى بيضة الحديد .
* أبلغ بني أوْد . قد أجادوا . أمس ، بضرب هامات الرّجال تحت القوانس .
٢ غَدارَة : ما بقي من شيء .
* أتوا على كلّ شيء في مُضَر ، ولم يخلّفوا إلا النّساء الحوامل .
٣ هَفَاهف الرّيح : السّريعة المُرور . كَجَثّ القَليس : كَدويّ النَّحْل .
* والطّيْر تحوم فَوْقها . والرّيح تهبّ سريعاً ، فَتُحْدث صوتاً كدوي النَّحْل .
٤ نعامية : من النّعام .
* واجفل القوم كما يجفل النَّعام مذعوراً ، وعدنا بما نهبناه من غال ونفيس .
٥ صُرُوف الدهْر : نَوَائبه . مَرْمريس : الداهية . والبناء المشرف العالي .
* والدهر لا تُبْقي صروفه ونوائبه ، صرحاً مهما كان شاهق العُلوّ ، متينَ البنيان .

قَيْسُ بْنُ الخَطِيم

قَيسُ بْنُ الخَطِيم

۰۰۰۰ ـ نحو ٤٦ ق . هـ

هو قيس بن الخطيم بن عديّ بن عَمْرو بن سواد . . بن حارثة الغطريف . كان شاعر الأوس وبينه وبين حسَّان بن ثابت مُنَافسات . قيل : إنه قدم مكَّة ، فدعاه النَّبي إلى الإسلام ، وتلا عليه القرآن . فقال : اني لأسمع قولا عجباً ، فَدعْني انظر في امري هذه السنَّة ثم أعود إليك . فمات قبل الحول .

يُتِّمَ قيس من أبيه ، وهو صغير ، قتل أباه رجل من عبد قيس ، وكذلك جده عديّ مات قتيلا . وأخذ شاعرنا على نفسه ، أن يثأر لأبيه وجده ، وضلّ بهم في طلب قَاتلَيْهما ، حتى ظفر بقاتل أبيه في يَثْرب ، وبقاتل جده في ذي المجاز .

وذُكر من صفته أنَّه كان مقرون الحاجبَيْن ، أدعج العَيْنَيْن ، برّاق الثَّنايا ، كأنّ بينها برقا ينخطف فيها ، حسن الصّورة ، ما رأته حليلة رجل قطّ إلا ذهب عَقْلُها . وذكروا أنه كان من أحسن النَّاس وجهاً ، وأنه ممَّنْ كانوا يَتَعَمَّمُون ، مخافة النِّساء على أنفسهم من جمالهم .

أما شعره ، فيجري فيه مجرى الجاهليّين ، موضوعاً وأسلوباً ، يستهل بالبكاء على الطَّلل والغزل المقيَّد بحدود الوَصْف ، ينظر فيه إلى المرأة عضوا عضوا ، وملمحاً ملمحاً ، مشبّها ومقلّداً ، وينهي معظم قصائده بالفَخْر ، يعدد فيه مآثره في الفَتْك بالأعداء والتهديد والنَّقمة . إلا أنه يصدر في ذلك عن دربة ورويَّة . فَهُو لا يبعث الحرب ولا يستثيرها ، بل يحاول أن يُجنبها لأعدائه ، حتى إذا أبوا ثارفيهم وعصف بهم عصفاً . وفي شعره وصف للحرب ، يتخلَّله ذكر الدروع والأسلحة ، وتعداد أسماء الأبطال من قبيلته ، يشبّه بطولتهم بكلّ تشبيه ، ويهجو الأعداء وفرارهم من دونهم ، ذاكراً أيَّام انتصارهم على الأعداء يوماً يوماً .

* * *

يعتمد قيس في أسلوبه الفنّي على المعاني بشكلها الواضح ، المباشر ، ولكنه قد يدعها تعبر في مجاز البصر ، فيشاهدها عبر خيال حسّي مرهون لجزئيات الواقع وماديَّته ، فتتلاحق الصّور في شعره . مترجَحة بين الغلوّ والتقرير ، مُشْبعة ، أحياناً ، بالحماسة والانفعال حتَّى العُنْجهيَّة . وعلى غرار سائر الجاهليين ، يُكْثر من أسماء الأشخاص والأمكنة ، فتجيء كمظهر من مظاهر ارتباط

الواقع الحياتي والنفسي بالشّعر . دون أن تَنْزع إلى الهموم الإنسانية المُطْلقة ، الدائمة ، المُعَبّرة عن موقف الشاعر من الحياة ، فيما وراء الأحداث فراد .

ويتناول قيس الأشياء عامة في متناولها الداني القريب ، فلا نشعر أنّه يجري على سياق خاص بصدد اللّفْظة أو الصّورة ، بل إنه يلتقطهما بالبداهه والعفوية . فلا يظهر تكثيف أو تثقيف في شعره . ولا نلمس عَنَتَ الفنّان في إدراك أقصى غايته ، بل إن شعره ، جميعاً . لا يعدو الإفصاح عن حالة من حالات الطَّرب ، والنجوى ، والحنين ، يعبّر عنها بعبارة سهلة ، يسيرة ، في حدود بيئته وعصره .

ثَأَرْتُ عدِيّاً والْخَطِيمَ

نظم هذه القصيدة ، حين أصاب ثأره من قاتلي أبيه وجده . استهلّها مُتَشَبِّباً بحبيبته لَيْلى التي نأت الدار بها ، ثم افتخر بقتل واتره ابن عبد القيس وشجاعته ، واستهانته بنفسه في الحروب ، وأنه لا يغْفَل عن بني قومه ، بل يُغَنّي مجدهم وانتصاراتهم على الأعداء .

وتمتاز هذه القصيدة بوصف عوامل الثّأر في نفسه . تعروه بمثل الداء أو تنشب في حلقه كالشَّجا . أما أسلوبه ، فتَغْلب عليه البساطة ، فلا تتكاثف فيه الصّور ، ولا تغور المشاعر :

١ تَذَكَّرَ لَيْلَى حُسْنَهَا وَصَفَـاءَهَا وَبَانَتْ ، فَأَمْسَى مَا يَنَالُ لِقَاءَهَا

٢ وَمِثْلُكِ قَدْ أَصْبَيْتُ ، لَيْسَتْ بِكَنَّةٍ وَلا جَارَةٍ ، أَفْضَتْ إِلَيَّ حَيَاءَهَا

٣ إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعاً خُطَّ مِئْزَرِي ، وَأَتْبَعْتُ دلْوِي في السَّخَاءِ رَشَاءَهَا

٤ ثَأَرْتُ عدِياً والخَطِيمَ ، فَلَمْ أُضِعْ وِلايَةَ أَشْيـاءٍ ، جُعِلْتُ إِزَاءَهَا

---

١ بَانَتْ : بَعُدت .

* مرّ طَيْف لَيْلى بخاطر الشّاعر ، فذكرها غَادة حَسْناء ، لكنَّها بعيدة . ولقاؤها صعب المنال .

٢ أصْبَيْت : أمَلْتُها إليّ . أفْضَتْ إليّ حَيَاءها : أي لم يكن بيني وبينها ستْر .

* ومثلك كثيرات قد جَعَلْتُهنّ تَعْشَقنني ، رفعن حجب الحشمة والحياء بيني وبينهن . ولم يكن كنائن ولا جارات ، وهو يعيد المعنى نفسه في موضع آخر من شعره .

٣ خُطَّ مئْزَري : أي جَرَرْتُ ثَوْبي من الخُيَلاء . ويقال : « أَتْبَع الدلْو رشاءها ، وأتبع الفرس لجامها » مثلا للرجل يَقْضي معظم الحاجة ، وتَبْقى منها بقيَّة لم يقضها .

* يريد أنه تم ما بقي عليه من السَّماح ، وذلك في حالة صحوه . وما تبقى منه يُتَمّمه في حالة السّكر .

٤ يقال : ثَأَرْتُ فلاناً ، وثَأَرْتُ بفلان : إذا طلبت قاتله . الثّائر : الطّالب . جُعِلْت إزاءها : جُعِلْتُ القائم بها .

* يقول : إنَّه ثأر من قاتلي أبيه وجدَه ، ولم يجبن عن القيام بواجب الثَّأر .

٥ ضَرَبْتُ بِذِي الذَّرَّيْنِ ، رُبْقَةَ مَالِكٍ فَأُبْتُ بِنَفْسٍ ، قَدْ أَصَبْتُ شِفَاءَهَا

٦ وَسَامَحَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرِو بنِ عَامِرٍ خِدَاشٌ ، فَأَدَّى نِعْمَةً وَأَفَاءَهَا

٧ طَعَنْتُ ابنَ عبْدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ ، لَوْلا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

٨ مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي ، فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يُرَى قَائِماً مِنْ خَلْفِهَا مَا وَراءَهَا

٩ يَهُونُ عَلَيَّ أَنَ تَـرُدَّ جِرَاحُـهُ ، عُيُونَ الأَواسِي ، إذ حَمِدْتُ بَلاَءَهَا

١٠ وَكُنْتُ امرَءاً لا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُسَبُّ بِهَا ، إلاَّ كَشَفْتُ غِطَاءَهَا

١١ وَإِنِّيَ في الحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَـاءَهَا

---

٥ ذو الذريْن : سيف من السّيوف ، كان يعمل فيها شبه الثّؤلول ، والرّبقة أي موضع الربقة ، أي العَرْوة من عنق مالك .

* يريد إنَّه ضرب عنق مالك بسيف ذي ذرّيْن ، وعاد بنفس ، وقد شفي غليلها .

٦ سَامَحَني : تابعني . ويقال : فاء الشَّيء : إذا رجع .

* خداش : هو خداش بن زُهيْر الشّاعر ، يقول : إنَّه قد ساعده حتى يأخذ بثأر أبيه .

٧ لها نَفَذ : أي نَفَذَتْ . الشّعَاع : حمرةُ الدم . يعني لولا الدم ، لأضاءت حتَّى تستبين

٨ ملكت : أي شَددتُ . أنْهَرْتُ : أجريت الدم .

* شددت بهذه الطَّعنة كفّي ، ووسَعت خرقها ، حتى يرى القائم من دونها ، الشَّيء الذي وراءها .

٩ الأوَاسي : النّساء المُداويات للجراح .

* إذا نظَرتْ الأواسيّ إلى هذه الطَّعنة ، ردت عيونَهُنّ من شدتها ، وهول ما يرين منها .

١٠* يقول : إنه امرؤ لا يُذمّ ويساء إليْه ، حتَّى يكتشف صاحب الذمّ والإساءة ، ويَنْتقم منه ويعاقبه .

١١ الضّرُوس : الشّديدة .

* يفخر الشّاعر برجولته في الحَرْب ، فهو لا يخاف المَوْت ، ولا يحافظ على نفسه فيها ، بل يسخو بها .

١٢ إِذَا سَقِمَتْ نَفْسِي إِلى ذِي عَدَاوَةٍ، فَإِنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ . بَاغٍ دَوَاءَهَا

١٣ مَتى يَأْتِ هَذَا المَوْتُ لا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِيَ ، إِلاَّ قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

١٤ وَكَانَتْ شَجاً في الحَلْقِ ، مَالَمْ أَبُؤْ بِهَا ، فَأُبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ دَوَاءَهَا

١٥ وَقَدْ جَرَّبَتْ مِنِّي لَدَى كُلِّ مَأْقِطٍ دُحَيٌّ ، إِذَا مَا الحَرْبُ أَلْقَتْ رِدَاءَهَا

١٦ وَإِنَّا إِذَا مَا مُمْتَرُو الحَرْبِ بَلَّحُوا ، نُقِيمُ بِأَسْبَادِ العَرِينِ لِوَاءَهَا

١٧ وَنُلْقِحُهَا ، مَبْسُورَةً ضَرْزَنِيَّةً بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُذِلَّ إِبَاءَهَا

١٨ وَإِنَّا مَنَعْنَا في بُعَاثٍ نِسَاءَنَا وَمَا مَنَعَتْ م المُخْزِيَاتِ نَسَاءَهَا

---

١٢ * إذا أصابني السّقم من حقدي على ذي العداوة ، أعالج ذلك الدّاء بنَصْل السَّيْف ، أي بالفتك والقتل .

١٣ * فإذا جاءني المَوْت ، ألاقيه راضياً ، فقد شفيت نفسي ، وحقّقْتُ رَغائبها .

١٤ الشَّجَا : الغصص ، ما يعترض الحلق من عظم وغيره . يقال : شَجِيَ بالشَّيْء ، إذا غصّه ، وأحْزنه . بَلَّحُوا : أعيوا .

* كان حملي للثأر كالشّجا ناشباً في حلْقي ، فلمّا ثأرت من قاتلي أبي وجدّي ، اقتلعتُهُ ، وأصبتُ به دواء لنَفْسي .

١٥ المَأقط : المضيق في الحرب . دُحَيّ : قبيلة منهم .

* قد خَبَرَتْ قوتي قبيلة دُحَيّ ، إذ لم أنتكص عند اشتداد الحرب .

١٦ مُمْتَرُو الحَرْب : الذين يستدرونها ، وهذا مثل ، يقال : مَرَيْتَ النَّاقة ، إذا مسحتَ ضرعها لتدرّ . الأسْباد : الذئاب والدهاة ، وعني بها الأسود . بلّحوا : أعْيَوا .

* وإنّنا إذا ما استشار قوم الحَرْب، وأعيوا من دونها، نقْتَحمُها ونرفع لواء الحرب في عرين الأسود .

١٧ يقال : بسَرَ الفحلَ النَّاقة ، إذا أضربها على غير ضبعة ، أي على غير شَهْوة منها للفحل . ضَرْزَنيَّة : عاصية . وهو يستعير هذه المعاني للحرب كما يقال : لقحت الحرب عن حيال .

* إنّنا نلقح الحرب رغماً عنها ، ونظَلّ نضرب فيها ، حتى نجعلها طوع يميننا ، نُشْعل أوارها ، ساعة نشاء ونُخْضعها .

١٨ مَنَعْنَا : حَمَيْنَا .

* يريد أنّ النّساء في قبيلته ، لهنّ رجال يدافعون عنهن حتّى المَوْت ، فيما ألفى الأعداء أنفسهم عاجزين عن حماية نسأهم ، ممَّا يلحق بهنّ من عار .

يَوْمُ حَاطِبِ

نظم الشاعر هذه القصيدة في يوم « حاطب » ، الذي تواقع فيه الأوس والخزرج . استهلّها بالوقوف على الطلل ووصف الحبيبة ، مُنْتقلا إلى غَرَضه السياسيّ ، وإظهار عدالته في الحرب . لا يستثيرها ، بل يدافع عن نفسه منها ، متى رآها حتْماً عليه ، تدنو منه ، بقدر ما يدفعها عنه . ثم يصف القتال والأيام باسهاب وتفصيل وأجواء ملحميَّة .

وقد تُعْتَبر هذه القصيدة من أفضل قصائده الفروسيَّة ، إذ استكمل فيها وصف القتال والجيش ، وأدوات الحرب ، متطلّعاً إلى الصُور المُتَراكمة ، المُكَثَّفة ، المُشْبعة بالأجواء الحسيَّة :

١ أَتَعْرِفُ رَسْماً كَاطِّرَادِ المَذَاهِبِ ، لِعَمْرَةَ وَحْشاً غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

٢ دِيَارُ الَّتِي كَادَتْ ـ وَنَحْنُ عَلَى مِنىً ـ تَحلُّ بِنَا ، لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَائِبِ

٣ تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ ، تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا ، وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ

---

١ اطّراد : من قولك . اطَّرد : إذا تتابع . المَذاهب : جمع مذهب ، جلود كانت تُذهَّب . تجعل فيها خطوط مذهَّبة بعضها في إثر بعض ، كأنها متتابعة . وَحْشاً : قفراً .

* يستنكر ما أصاب الدار ، حتى أنكرها ، وبقيت رسومها بعد المطر والرّياح ، تُرَى من بعيد كأنما يُطْرَدُ بعضُها في إثر بعض . ثم يقول : إنها أقفرت لولا موقف هذا الرّاكبْ عندها ، يعني نفسه .

٢ تَحلُّ بنَا : تجعلنا نحلّ ونتزل . النَّجاء : السرعة .

* كادت عَمْرة أن تجعلني على الإقامة أبداً في منى ، من شدة فتنتي بها وحبّي لها . ولولا نفرة النّاس عن منى ، بعد قضاء حجّهم وتفرّقهم إلى بلادهم ، لكنت جديراً بأن أقيمَ فيها .

٣ تَبَدَّتْ : تراءت . أراد : إنما أظهَرَتْ له بعض وجهها . حَاجب : جانب . قيل : أحسن ما قيل في الوجه ، قول قَيْس بن الخطيم : تبدَّت لنا كالشَّمْس .

* يصف في هذا البَيْت دلّها وإغواءها ، ويقول : إنَّها طالعته بإحدى مُقْلَتَيْها ، فما سترت الأخرى ، أي أقبلت عليه واحْجَمَتْ عنه في آن معاً ، لتثيرَه وتخلبَه .

٤	ولَمْ أَرَهَا إلاَّ ثَلاَثاً عَلَى مِنَــى	وَعَهْدِي بِهَا . عَذْراءَ ذَاتِ ذَوَائِبِ
٥	وَمِثْلِكِ قَدْ أَصبَيْتُ ، لَيْسَتْ بِكَنَّةٍ	وَلا جَارَةٍ . وَلا حَنِيلَةَ صَاحِبِ
٦	دَعَوْتُ بَنِي عَوْفٍ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ	فَلَمَّا أَبَوْا ، سَامَحْتُ في حَرْبِ حَاطِبِ
٧	وَكُنْتُ امرأً لا أَبْعَثُ الحَرْبَ ظَالِماً	فَلَمَّا أَبَوْا ، أَشْعَلْتُهَــا كُلَّ جَانِبِ
٨	أَرِبْتُ بِدَفْعِ الحَرْبِ حَتَّى رَأَيْتُهَا ،	عَنِ الدَّفْعِ لا تَزْدَادُ غَيْرَ تَقَارُبِ
٩	فَإِذْ لَمْ يَكُنْ عَنْ غَايَةِ المَوْتِ مَدْفَعٌ ،	فَأَهْلاً بِهَا . إِذْ لَمْ تَزَلْ في المَرَاحِبِ

---

٤ ذُؤابة : خصلة الشَّعر ، أو الضَّفيرة .

* لم أرها إلا ثلاثاً على منى . وعهدي بها طفلة غريرة ، ذات ذوائب .

٥ * وقد أصْبي فتاة تشبهك ، ليست قريبة لي . ولاجارة ولا زوج صاحب . وهو إنما يظهر شدة إغوائه للمرأة إذ يستلبُها دون أن يَتَقَدَّم بينهما أي نَوْع من أنواع المعرفة .

٦ بَنُو عَوْف : يريد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوْس . سَامَحْتُ : تَابَعْتُ . حَاطِب : حَليف لهم قُتل ، فكانت بينهم حرب في قتله .

* يقول : إنه لم يَسْتَثِرِ الحرب ، بل دعا أعداءه للتروّي انقاذا لأرواحهم ، فلما أبوا ، لم بمنع نشوب الحرب . والشَّاعر إنَّما يُظْهر هنا ميله إلى السِّلم ، وامتناعه عن القتال ، إلا متى قُدِّر له وحُتِّم عليه .

٧ * يقول : إنه لا يقبل على الحرب ولا يؤثرها ولكنه إذا سيق إليها ، يثيرها من كلّ جانب ولا يجبن أو يتردد فيها .

٨ أَرِبْتُ : كانت لي أربة في دفع الحَرْب . والأرب والأربة والمأربة : الحاجة . وأربت في هذا البيت بمعني صِرْتُ ماهراً .

درجت على إبعاد الفتن والحروب ، وجعلت ذلك غايتي الدائمة ، حتى رأيت أنَّ دفعي للحرب يَزيدها قرباً ، وأن لا فائدة من محاولتي .

٩ المَرَاحب : جمع مرحب ، السّعة .

* وإذا كان لا بد من الحرب ، فأهلا بها ومرحى لها .

١٠ فلَمَّا رَأَيْتُ الحَرْبَ ، حَرْباً تجَرَّدَتْ لَبِسْتُ مَعَ البُرْدَيْن ثَوْبَ المُحَارِبِ

١١ مُضَاعَفَةً . يَغْشَى الأَنَامِلَ فَضْلُهَا ، كَأَنَّ قَتِيرَيْها عُيُونُ الجَنَادِبِ

١٢ أَتَتْ عُصَبٌ مِ الكَاهِنَيْنِ وَمَالِكٍ ، وَثَعْلَبَةَ الأَثْرِينَ رَهْطِ ابْنِ غَالِبِ

١٣ رِجالٌ ، مَتَى يُدْعَوْا إلى المَوْتِ يُرْقِلُوا إِلَيْهِ ، كَإِرْقَالِ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

١٤ إِذَا فَزِعُوا مَدُّوا إلى اللَّيْلِ صارِخاً ، كَمَوْجِ الأَتِيِّ المُزْبِدِ . المُتَرَاكِبِ

---

١٠ قيل : إنّ من أراد الحرب اشترى ثَوْباً فاخراً ، ودرعاً محارباً .

* لما رأيت الحرب قد تَعَرَّت بهولها ، عَجَّلت ، فلم أبَال أن أخلع ثياب السّلم التي كنت أسعى بها في الصّلح . ولبست درعي للقتال .

١١ مُضَاعَفَة : أي الدرع تنسج حلقَتَيْن حلقَتَيْن . القَتِير : رؤوس المسامير . خلف الدروع . ويُشَبَّه القتير بحَدَق الأساود. وبحدق الجراد . وبالقطر من المطر . ويغشى الأنامل فَضْلُهَا : يقصد أن كَمَّيْهَا طويلان . غشيا أنامله .

* يصف الدرع التي يرتديها للحرب ، ويقول : إنَّها مضاعفة النَّسج ، تبدو رؤوس المسامير المضروبة فيها . وكأنَّها أحداق الجنادب . والتشبيه هنا يفيد الدقَّة والمعادلة في الوصف .

١٢ الكَاهنَان : من قُرَيظَة . عُصَب : جماعات . ثَعْلَبَة : هم بنو ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . الأَثْرَيْن : الأثر : الرّجل الّذي يستأثر على أصحابه ، أي يختار لنفسه أفعالا حسنة .

١٣ أرْقل البَعير : وهو أن ينفض رأسه . ويرتفع عن الزّميل . والزّميل : ضرب من سير الإبل السريع اللَّيِّن . المَصَاعب : جمع مصعب وهو الجمل الذي لم يمسّه حبل ، ولم يُذلَّل .

* يفخر بقومه الّذين ينزلون إلى الحرب بنفوس أحبَّت المَوْت ، ويمثّل سيرهم الحثيث إليها بإرقال البعير .وسيره السَّريع اللَّين .

١٤ الصّارخ : المُغيث . مدوا : أي تموا . الأتيّ السَّيْل يأتيك ، ولم يصبك مطره . .

* يقول : إن بني قومه ، إذا ما هرعوا للنَّجدة في القتال . أقبلوا بجيش يتدفَّق كأمواج السَّيل المُزْبد .الذي يعلو بعضُه على بعض .

١٥ تَرَى قِصَدَ المُرَّانِ تَهْوِي . كَأَنَّهَا   تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِبِ
١٦ صَبحْنَا بِهَا الآطَامُ حَوْلَ مُزَاحِمٍ .   قَوانِسُ أُوْلى بَيْضِنَا كَالْكَوَاكِبِ
١٧ لَوْ أَنَّكَ تُلْقِي حَنْظَلاً فَوْقَ بَيْضِنَا ،   تَدَحْرَجَ عَنْ ذِي سَامِهِ المُتَقَارِبِ
١٨ إِذَا مَا فَرَرْنَا ، كَانَ أَسْوا فِرَارِنَا ،   صُدُودَ الخُدُودِ وَإِزْوِرَارَ المَنَاكِبِ
١٩ صُدُودَ الخُدُودِ ، والقَنَا مُتَشَاجِرٌ   وَلا تَبْرَحُ الأَقْدَامُ ، عِنْدَ التَّضَارُبِ
٢٠ إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا ، كَانَ وَصْلُها   خُطَانَا إِلى أَعْدَائِنَا ، فَنُضَارِبُ

---

١٥ قصَدَ : كَسَرَ . المُرَّان : الرّماح . التَذرّع : الكَسْر . ينكسر فيسقط وكل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سعف فهو خرْص . الشَّطْبَة : السَّعفة الطويلة . الشَّاطبَة من النّساء : الّتي تُشَقّقُهَا وتأخذ قشرها الأعلى ، تعمل منه الحصر .

* يصف وطأة الجيش وقوته ، فإذا الرّماح تهوي منه وتَتَحطَّم هول الضَّرْبة . كما تَتَكَسَّر السّعف الطَّويلة بين أيدي النّساء .

١٦ مُزَاحم : هو اطم عبد الله بن أبي بن سلول . القَوَانس : جمع قَوْنس . الناتىء في أعلى البَيْضة .

* لما طلعنا عليهم ، كانت قوانس بَيْضنا كالنّجوم لبريقها . وقد خصّ أولى البَيْض لأن الرؤية تقع عليها أولا ، ولأنّ وراءها يَسْتُرُه الغُبَار .

١٧ السَّام : جمع سامة ، عروق الذهب ، وبه سُمّي سامة بن لؤي .

* تراصّ القَوْم في الحرب . حتّى لو ألقيت حنظلا فوق بعضهم لم يصل إلى الأرض . وأراد بالسَّام . ها هنا خطوط ذهب على البيض تموّه بها . وربّما أراد بهذه كثرة النَّاس .

١٨ ، ١٩ * لا نفرّ في الحرب قط ، وإنّما نصدّ بوجوهنا ونميل مناكبنا عند اشتجار القنا ، أي تداخل بعضها ببعض . وهذا لا يسمّى فراراً ، وإنّما يسمّى اتقاء . وهو ممدوح في الشّجْعان . أي : فإنْ كان يقع منا فرار في الحَرْب . فهو هذا لا غير .

٢٠ * إذا ضاقت الحرب على مجال الخيْل . واستعمال الرّماح ، نزلنا للمُضَاربة بالسّيوف ، فإن قَصّرَتْ عن إدراك الأقْران ، خَطَوْنَا إلَيْهم ، إقداماً عليهم ، فَلَحقْنا بهم .

٢١ أُجَالِدُهُمْ يَوْمَ الحَدِيقَــةِ ، حَاسِراً . كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقُ لَاعِبِ

٢٢ ويَوْمَ بُعَاثٍ . أَسْلَمَتْنَا سُيُوفُنَا . إلى نَسَبٍ في جِذْمِ غَسَّانَ ثاقِبِ

٢٣ يُعَرَّينَ بِيضاً ، حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا ، وَيُغْمَدْنَ حُمْراً ، نَاحِلاتِ المَضَارِبِ

٢٤ أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ ، أَمِيراً نَهَاهُمُ عَنِ السِّلْمِ . حَتَّى كَانَ أَوَّلَ وَاجِبِ

٢٥ أَوَيْتُ لِعَوْفٍ ، إِذْ تَقُولُ نِسَاؤُهُمْ وَيَرْمِينَ دَفْعاً ، لَيْتَنَا لَمْ نُحَارِبِ

٢٦ صَبحْنَاهُمُ شَهْبَاءَ . يَبْرقُ بَيْضُهَا تُبِينُ خَــلاخِيلَ النِّسَاءِ الهَــوَارِبِ

---

٢١ الحَديقَة : قرية من أعراض المدينة في طريق مكّة . كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام . . . المخْراق : ما تلعب به الصّبيان من الخرق المَفْتولة .

* أصُولُ عليهم في يوم الحديقة . وأقابلُهُم بالسَّيْف قبضته في يدي . مخراقُ صبْية ، أي أنّه ماهر ، خفيف بالضَّرب .

٢٢ ثاقب : مُضيء . غير خامل . يُقال : ثقبت النَّار وثقبتها أنا . ورجل ثاقب النَّسب . والعلم : أي أصلهُ مُضيء ، مُتَوهج . جذم : أصل .

* رفعتنا سيوفنا إلى حسب حيّ ، بصير بالحربِ . لا إلى حسب لئيم ، لا يصبر عليها ، ويفشل ويخور .

٢٣ مَضْرب السَّيْف ومضربته : نحو شبر من طرفه . حُمْراً : من الدّم . ناحلات المضارب : السّيوف الّتي رقّت ظباها من كَثْرة الاستعمال .

* يصف السَّيوف قَبْل الحرب ، فإذا هي بيضاء . حين نسلّها من أغمادها . وتبدو بعدها ، حمراً ، مُرّواة بالدماء حين نُعيدها إلى أغمادها .

٢٤ وَاجب : مُتَحرّك . وفي بعض الحديث : « فلا تبكين باكية إذا وجب » . ووجَبت الشَّمْس : إذا وَقَعَتْ .

* يقول : إنْ أمير بني عوف غَرّر بهم وساقهم إلى الهلاك ، إذ دعاهم إلى الحرب الّتي لم يكد يضطرم أوارُها ، حتى كان سيّد بني عوف أوّلَ قتيل وقع في ساحتها .

٢٥ أوى إلى فلان : رحمه ورقّ له .

* وقد رحمت عوفاً حين أخذت نساؤهم يرمين من فوق الآطام ، دفعاً عن أنفسهن ويقلن ليتنا لم نحارب .

٢٦ كَتيبَة شَهْباء : عظيمة كثيرة السلاح . تُبين : أي يهربن . فيحْسرن عن سُوقهنّ .

٢٧ أَصَابَتْ سَرَاةً مِ الأَغَرِّ سُيُوفُنَا وَغُودِرَ أَوْلادُ الإِمَاءِ الحَوَاطِبِ

٢٨ وَمِنَّا الَّذِي آلَى ، ثَلاثِينَ لَيْلَةً عَنِ الخَمْرِ ، حَتى زَارَكُمْ بِالكَتَائِبِ

٢٩ رَضِيتُ لَهُم ، إِذْ لا يَرِيمُونَ قَعْرَهَا إِلى عَازِبِ الأَمْوالِ إِلاَّ بِصَاحِبِ

٣٠ فَلَوْلا ذُرى الآطَامِ قَدْ تَعْلَمُونَهُ وَتَرْكُ الفَضَا ، شُورِكْتُمُ فِي الكَوَاعِبِ

٣١ فَلَمْ تَمْنَعُوا مِنَّا مَكَاناً نُرِيدُهُ لَكُمْ مُحْرِزاً إِلا ظُهُورَ المَشَارِبِ

٣٢ فَهلا لَدَى الحَرْبِ العَوَانِ صَبَرْتُمُ لِوَقْعَتِنَا ، وَالبَأْسُ صَعْبُ المَرَاكِبِ

---

٢٧ الأغَر : هو مالك الأغر بن ثَعْلبة بن كعب بن الخزرج .

* قتلنا سراة القوم من الخزرج (من بني مالك الأغر) لأنَّهم أقراننا ، وعفونا عمَّن دون السَّادة ، فلا يليق بنا أن نُنازلَهم ونقاتلَهم .

٢٨ يُرَجَّح أن يكون المقصود ببيْت قيس هذا ، سيد الأوس ، يوم بعاث ، فهو الَّذي أقسم ألا يَشْرب الخمر . أما أن يكون المقصود « أبو قيس بن الأسلت » . فله قصة أخرى في هذه الحرب ، وذلك أنَّه قام بأمر قومه يوم بُعاث ، وآثرَ الحَربَ على كلّ أمر ، حتّى شَحُبَ وتغيَّر ولبث أشهراً لا يَقْرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدقّ على إمرأته ، ففتحت له ، فأهوى إليها بيده ، فرفعته وأنكرته . فقال : أنا أبو قيس . فقالت : والله ما عرفتك حتّى تكلَّمْت .

٢٩ المَال العَازب والعَزيب : المُنْتحي الَّذي لا يُراح إلى أهله .

* يشْمت بأعدائه لمَا حلّ بهم ، ولقلّة مُناصريهم ، ويقول : إنهم لم يَقْوُوا على الدفاع عن أموالهم ، إذ أحاطت بهم أهوال الحرب .

٣٠ شُورِكْتُمُ : من الشَّركة .

* لولا ذرى الآطام ، والتَّخلي عن اقتحام موضع الفضا ، لاقتحمنا عليكم ونَلْنا نساءكم الكواعب .

٣١* يريد : إنكم ضعفاء لا تَقْدرون على منعنا مكاناً مُحْرِزاً لكم نريده ، إلاَّ ظهور المشارب ، أي ما هو داخل الفم .

٣٢ العَوَان : الحرب التي قُوتل فيها ، مرة بعد أخرى ، فهي أشدّ الحروب .

* يخاطب أعداءه ويصفهم بعدم القُدرة على ركوب المخاطر .

٣٣ ظَأَرْنَاكُمُ بِالْبِيضِ ، حتى لأَنْتُـمُ أَذَلُّ مِن السُّقْبَانِ ، بيْنِ الحَلاَئِبِ

٣٤ ولما هبطْنَا الحَرْثَ ، قَالَ أَمِيرُنَا : حَرَامٌ عَلَيْنَا الخَمْرُ ، مَا لَمْ نُضَارِبِ

٣٥ فَسَامَحَـهُ مِنَّـا رِجَـالٌ أَعِـزَّةٌ ، فَمَا بَرِحُـوا حَتَّى أُحِلَّتْ لِشَارِبِ

٣٦ فَلَيْتَ سُوَيْداً رَاءَ مَنْ جُـرَّ مِنْكُـمُ ومَنْ فَرَّ ، إِذْ يَحْدُونَهُمْ كَالْجَلاَئِبِ

٣٧ فَأُبْنَـا إلى أَبْنَـائِنَـا وَنِسَـائِنَـا وَمَا مَنْ تَرَكْنَا في بُعَـاثٍ بِآئِبِ

٣٨ وَغُيِّبْتُ عَنْ يَوْمٍ كَنَتْنِي عَشِيرَتِي وَيَوْمُ بُعَاثٍ ، كَانَ يَـوْمَ التَّغَالُبِ

---

٣٣ ظَأَرْنَاكم : عطفناكم على ما نريد . ويقال : في مثل « الطعن يظأر » أي : يعطف القوم على الصلح . يقال : ظَأَرْتُ النَّاقة ، إذا عطفتها على ولد غيرها ، مثل يضرب في الإعطاء على المخافة ، أي : طعنك إيَّاه ، يعطفه على الصّلح . السّقْبان : جمع سقب ، وهو ولد الناقة (خاص بالذكر) . الحَلائب : جمع الحلوبة ، وهي الّتي تحلب .

* شَددنَا عليكم شدة ، فَجَعَلْنَاكم أذلاء كأَوْلاد النّياق المُقْعية بَيْن أمّهاتها .

٣٤ الحرث : موضع . وأميرنا : مر ذكره في البيت الثامن والعشرين من هذه القصيدة .

* يقول : إنهم فيما نزلوا في مكان الحرب ، امتنعوا عن شرب الخمرة قبل القتال .

٣٥ سامحه : تابعه .

* يقول : إن بني قومه أذعنوا لأميرهم ، فامتنعوا عن احتساء الخمرة ، ولم يُقْبلوا عليها إلا بعد أن أبلوا البلاء الحسن في القتال ، فشربوا الخمرة التي حلّت لهم ، بعد أن تحرموا عنها قبل النصر .

٣٦ راء : أراد بها ــ رأى ــ فقلب ، « وروى من خرمنهم » . الجلائب : جمع جلوبة الجماعات من الخيل والإبل والغنم والناس ، وهي ما جلب من شيء . سويداً : هو سويد بن الصامت الأوسي : كان قتله المجذر زياد حليف الخزرج .

* يتمنى لو أنه قدر لسويد أن يشاهد من قتل ومن فرّ منهم ومن أسر وسيق كالبهائم المجلوبة من مكان إلى آخر .

٣٧ أبنا : رجعنا .

* يقول : إنهم انتصروا وآبوا إلى ذويهم ، فيما تركوا أعداءهم قتلى في ساحات الحرب .

٣٨ * لم يكن قيس حضر يوماً من تلك الأيام . ويوم بعاث عنده هو يوم التغالب .

غَزَلٌ وَقِتَالٌ وَحِكَمٌ

يصف الشّاعر حبيبته مشبّهاً مقلتَيْها وجيدها بمقلتَي ظَبي وجيده ، ذاكراً الحليّ الّتي تتوقّد فوْق نحرها تَوَقّد الثّريّا في الظّلماء . وينتقل ، فجأة ، إلى وصف المعارك الداميّة والزحف الّذي يَغْشى الفضاء ، وينزع إلى الحكم العامّة المُتَأثّرة بمُثُل الفروسيّة كضرورة الإقدام والنَّجْدة وعدم التشكّي من الجوع ، والابتعاد عن التبطُّن بالحقد ، وانفاق المال في سبيل المَعْروف ، وسَوْق النّاس بالحقّ وولوج الأشياء من بابها ، ويُنْهي بأبيات يُهدد بها شريد بن جابر :

١ تَرُوحُ مِنَ الحَسْنَاءِ ، أَمْ أَنْتَ مُغْتَدِي وَكَيْفَ انْطِلاَقُ عَاشِقٍ لَمْ يُزَوَّدِ

٢ تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمَ الرَّحِيـلِ بِمُقْلَتَيْ غَرِيرٍ ، بِمُلْتَفٍّ مِنَ السِّدْرِ مُفْرَدِ

٣ وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ صَافٍ ، يَزِينُهُ تَوَقُّدُ يَاقُـوتٍ ، وَفَصْلُ زَبَرْجَدِ

---

١ * يستهلّ الشّاعر بمخاطبة نفسه ، متحيراً من أمره ، أيَمْضي إلى حبيبته في المساء ، أم ينتظر حتى يغدو إليها في الصّباح . وأنّى له أن يغادر قبل أن يلقاها ويتزوّد من لقائه بها لمشقّة السفر . وهذا المطّلع هو مطلع تقليدي .

٢ تَرَاءتْ لَنَا : أي تعرَّضت لنا لنَراها . غَرير : أيْ ظَبي صغير ، لم يَخبر شيئاً من أمر الحياة . والغُرّ : أي قليل التَّجربة في الحياة .

* نَظَرَتْ إليّ ، غداةَ الرّحيل ، بمُقْلَتَي ظبي شارد ، متوحّد ، مقيم بين أشجار السِّدر. والشاعر يُمْعن في التدقيق بموضع إقامة الظَّبي ، غلوّاً بمعنى الجمال الّذي يضفيه على الحبيبة من خلاله .

٣ الرِّئْم : الظَّبي .

* يشبّه جيدها بجيد الرِّئْم الّذي لا تشوبه شائبة ، ويصف الحلي الّذي تُزينُ به جيدها بالتوقّد لشدة الألق والشّعاع ، ويخصّه بالياقوت والزّبرجد ، للدلالة على النعمة والرفاهية الّتي تحيا فيهما تلك الحبيبة .

٤ كَأَنَّ الثُّرَيَّا ، فَوْقَ ثُغْرَةِ نَحْرِهَا   تَوَقَّدُ ، في الظَّلْمَاءِ ، أَيَّ تَوَقُّدِ
٥ أَلا إِنَّ بَيْنَ الشُّرْعُبِيِّ وَرَاتِـــجٍ   ضِرَاباً ، كَتَخْذِيمِ السَّيَالِ المُعَضَّدِ
٦ تَرَى اللاَّبَةَ السَّوْدَاءَ ، يَحْمَرُّ لَوْنُهَا   وَيَسْهُلُ مِنْهَا كُلُّ رَيْـعٍ وَفَدْفَـدِ
٧ لَعُمْرِي ، لَقَدْ حَالَفَتْ ذُبْيَانُ كُلَّهَا   وَعَبْساً ، عَلَى مَا في الأَدِيمِ المُمَدَّدِ
٨ وَأَقْبَلْتُ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ بِحَلْبَةٍ   تَغُمُّ الفَضَاءَ ، كَالقَطَا المُتَبَـــدِّدِ
٩ تَحَمَّلْتُ مَا كَانَتْ مُزَيْنَـــةُ تَشْتَكِي   مِنَ الظُّلْمِ في الأَحْلافِ حَمْلَ التَغَمُّدِ

---

٤ * يغالي بالمعنى السَّابق ، ويجعل الألق كألَق الثُّريَّا المُتوقِّدة في الظَّلام ، وقد خصَّها بالظلام ليُعَظِّم من إشعاعها . وفي لفظة تَوَقد غلوّ إيحائيّ .

٥ الشُّرْعبيّ وَرَاتج : مَوْضعان . تَخْذيم : تقطيع . ويقال : سيف مُخَذَّم . إذا كان سيفاً قاطعاً . السَّيَال : شجر له شوك أبيض . المُعَضَّد : المُقَطَّع . والعضد : ما قطع من الشَّجر.

* يصف القتال الَّذي قام بَيْنَهم وبَيْن أعدائهم ، ويُشبِّهه بتقطيع الشجر وتحطيمه .

٦ اللابة واللوْبة : الحُرَّة من الأرض . وجمعها : لاب ولُوب . يحمرُّ لوْنها : من الدم ويسهل .

* يقول : إن الدماء تسيل من القَتْلى ، وتغشى كلَّ ما دونها .

٧ الأديم المُمَدَّد : الكتاب الذي قد مُدَّ . قال أبو عمرو : كتبوا كتباً ، وتحالفوا على الصحف .

* يذكر تعاهدهم وكتابة الكُتُب فيما بَيْنهم .

٨ حَلْبَة : جماعة من الخَيْل . المُتَبَدد : المُتَفَرِّق من كلّ حدب وصَوْب .

* يريد أنَّه أتى الحرب من أرض الحجاز على رأس فُرسان ، توافدوا على ساحة المعركة ، كأنَّهم القَطَا الَّتي تَتَجمَّع عند مورد الماء .

٩ مزينة هم بنو عمرو بن أوس بن طانجة بن الياس بن مُضَر . التَغَمّد : من قوْلك : اللَّهم تغمَّدْنا منك برحمة .

* يقول : إنه تحمّل ما كانت تعانيه من الظّلم . وإنه حاول أن يرفعه عنها ترفّقاً بها وتعطفاً .

١٠ أَرى كَثْرَةَ المَعْرُوفِ ، يُورِثُ أَهْلَهُ وَسَوَّدَ عَصْرُ السُّوءِ ، غَيْـرَ المُسَوَّدِ

١١ إِذَا المَرْءُ لَمْ يُفْضِلْ ، وَلَمْ يَلْقَ نَجْدَةً مَعَ القَوْمِ ، فَلْيَقْعُدْ بِصُغْرٍ وَيَبْعُدِ

١٢ وَإِنِّي لأَغْنى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ، يَرَى النَّاسَ ضُلاَّلاً ، وَلَيْسَ بِمُهْتَدِي

١٣ كَثِيرِ المُنَى بالزَّادِ ، لا خَيْرَ عِنْدَهُ إِذَا جَاعَ يَوْماً ، يَشْتَكِيهِ ضُحَى الغَدِ

١٤ نَشَا غُمُراً ، بُوراً ، شَقِياً ، مُلَعَّناً أَلَدَّ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ رَأْسُ أَصْيَدِ

١٥ وَذِي شِيمَةٍ عَسْراءَ ، تُسْخِطُ شِيمَتِي أَقُولُ لَهُ : دَعْنِي ، وَنَفْسَكَ أَرْشِدِ

١٦ فَمَا المَالُ والأَخْلاَقُ إِلاَّ مُعَارَةٌ ، فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ

---

١٠ * إن كَثْرة المَعْروف إرث للأهْل ، وإذ تختلّ المقاييس في عصر السّوء يسود غير المسوّد ، أي من لا يليق بالسّيادة .

١١ * إذا المرء لم يُعْرَفْ له فضل ، ولم يَهْرَع للنَّجْدة مع القوم ، فأحرى به أن يُنْتَبَذَ ، أوأن يَرِدَ في آخر القَوْم .

١٢ * الناس بغنى عن رجل متكلّف بما ليس من شأنه ، يُرْشد النَّاس ، ويُظْهر عوراتهم ، دون أن يُرْشد نفسه .

١٣ * لا قبلَ له بتحمّل الجُوع ، بل إنَّه شديد الطَّمْع بالطَّعام ، إذا بات طاوياً ، ليلة ، نهض في الصّباح شاكياً .

١٤ غُمُراً : مَجْهولاً . البُور : الهالك . الألَدّ : الشَّديد الخصومة . الأصْيَد : البعير الَّذي يُصاب بداء يجعله يرفع رأسه دائماً .

* إنّ ذلك الرجل المغمور ، الهالك ، القليل الشَّأن ، المَنْبوذ ، يُكْثر من المشاحنة والخصومة ، ويرفع رأسه غُروراً ، كأنَّه رأسُ بعير مُصاب بداء الصَّيَد . والصّورة مستفادة من واقع البيئة الجاهلية .

١٥ * ورُبَّ رجل له سبيل يخالف سبيلي ، أقول له : دعني وشأني وانصح نَفْسك .

١٦ * إنّ المال زائل ، وكذلك الأخلاق ، فلا يبقى منها إلا حُسنُ الأحدوثة . فابذل مالك في سبيل المَعروف ، واجعله عَوْناً للنَّاس ، تتزود منه بالذكر الحسن .

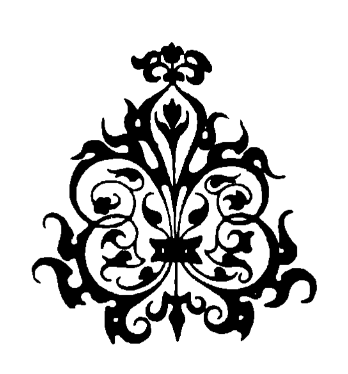
١٧ مَتَى مَا تَقُدْ بالبَاطِلِ الحَقَّ ، يَأْبَهُ ، وَإِنْ قُدْتَ بِالْحَقِّ الرَّواسِيَ ، تَنْقَدِ

١٨ مَتَى مَا أَتَيْتَ الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ، ضَلِلْتَ ، وإِن تَدْخُلْ مِنَ البَابِ تَهْتَدِ

١٩ فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي شَرِيدَ بنِ جَابِرٍ ، رَسولاً إِذَا مَا جَاءَهُ وابنُ مُرْثَدِ

٢٠ فَأَقْسَمْتُ لا أُعْطِي يَزِيداً رَهِينَةً سِوَى السَّيْفِ ، حَتَّى لا تَنُوءَ لَهُ يَدِي

٢١ فَلاَ يُبْعِدَنْكَ اللهُ عَبْدَ بنِ نَافِذ وَمَنْ يَعْلُهُ رُكْنٌ مِنَ التُّرْب ، يَبْعُدِ



---

١٧ * متى ظلمت النَّاس وَسُقْتَهُم بالباطل ، فإنهم يَأبون ، وإذا سقتهم بالحقّ ينقادون . والحق قادر أن يقود الجبال الرّواسي ، ويحركها من مكانها .

١٨ * ينبغي لك أن تلج إلى الأمور من موالجها ، وإلا ضَلَلْتَ ، مشيراً بذلك إلى الذين يضلّون السَّبيل الحقيقيّ إلى إدراك الغايات والحقائق .

١٩ * في هذا البيت يكُفّ الشّاعر عن الخواطر والحكم ، وينصرف إلى التّهديد ، متوعداً شريد بن جابر وابن مرثد .

٢٠ * يريد الشَّاعر أنّه سيظلّ يضرب بسيفه ، حتى يصيبه الإعياء ، دون أنْ يستسلم ليزيد ويمنحه رهينة .

٢١ * يتمنى له ألا يصيبه المَوْت ، فيبتعد متوارياً تحت الثرى .

رَدَّ الخَلِيطُ

١ رَدَّ الْخَلِيطُ الجِمَالَ ، فانصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ ، لَوْ أَنَّهمْ وَقَفُوا

٢ لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً ، نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضَحِّي جِمَالَهُ السَّلَفُ

٣ فِيهِم لَعُوبُ العِشَاءِ ، آنِسَةُ الدَّلِّ ، عَرُوبٌ يَسُوؤُهَا الخُلُفُ

٤ بَيْنَ شُكُولِ النِّسَاءِ ، خِلْقَتُها قَصْدٌ ، فلا جَبْلَةٌ ولا قُضُفُ

٥ تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ ، وَهْيَ لاهِيَةٌ ، كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا ، نُزُفُ

---

١ الخَلِيط : القوم الَّذين أمرهم واحد . وكَثُر في أشعارهم ذكر الخليط ، لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتَجْتمع منهم قبائل شَتَّى .

* يقول : إن القَوْم الَّذين كان يخالطهم ويجاورهم جمعوا مطاياهم للرّحيل ، ويتمنَّى لو أنهم لم ينصرفوا ، بل لبثوا مقيمين بجواره .

٢ يُضحِّي جمَاله : رعاها بالضّحى . السَّلف : القَوْم المُتَقَدمون .

* يتمنَّى لو أنهم لم يرحلوا في اللَّيل ، قبل الضّحى ، وقبل أن يخرج القوم بجمالهم إلى المرعى .

٣ العَرَوب : الضّحَّاكة ، والمتحبِّبة إلى زوجها .

* ينتقل في هذا البَيْت إلى وصف حبيبته الَّتي كانت تقيم بين أولئك القوم ، ويقول : إنها ذات دلّ تميل إلى الضحك واللهو والتودد ، وأنها صادقة تعافُ النّفاق وإخلاف الوعود .

٤ شُكُول : جمع شكل ، وهو الضّرْب . القَصْد : الوسط بين الطَرَفين . الجَبْلة : الغليظة . القُضُف : النَّحيفة .

* يقول : إنها من ذلك الضّرْب من النّساء اللَّواتي لا تغلب عليهن سمنة ولا نحول .

٥ تَغْتَرِقُ الطَّرْف : تُشْغله بالنَّظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها . النُّزُف : الضعف الحادث عن النَّزف .

* تستأثر بنظر من يرنو إليها من دون سائر النّساء ، وهي غافلة لاهية . ثم يقول : إن وجهها شاحب ، كأنه أصيب بنزيف جعله يشفّ . أو أنه أحمر كأنه وجه من أصابه السل . وتزعم العرب أن من يصيبه السّل تحمرّ خدودُه .

٦ قَضَى لها اللهُ ، حين صَوَّرَها الخالقُ ، أَن لا يُكِنَّهَا سَدَفُ
٧ تَنَامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِها ، فَإِذا قَامَتْ رُوَيْداً ، تَكَادُ تَنْغَرِفُ
٨ حَوْرَاءُ جَيْدَاءُ ، يُسْتَضَاءُ بِهَا كَأَنَّهَا ، خُوطُ بانةٍ قَصِفُ
٩ تَمْشِي كَمَشْي الزَّهْرَاءِ في دَمَثِ الرَّمْلِ ، إلى السَّهْلِ دُونه الجُرُفُ
١٠ ولا يَغَثُّ الحَدِيثُ ، ما نَطَقَتْ وَهْوَ بِفِيْهَا ذُو لَذَّةٍ ، طَرِفُ
١١ تَخْزُنُه وَهْوَ مُشْتَهًى ، حَسَنٌ ، وَهْوَ إِذَا مَا تَكَلَّمَتْ أُنُفُ
١٢ كَأَنَّ لَبَّاتِهَا ، تَضَمَّنَهَا هَزْلَى جَرَادٍ ، أَجْوَازُه جُلُفُ

---

٦ السَّدف : ظُلمة اللَّيْل .

* يقول : قضى الله حين جعلها جميلة ألاّ تستر . وذلك لكي يراها كل النّاس ويشكروا نعمته .

٧ عن كبر شأنها ، أي لكبر شأنها ، أي لا تنهض لحاجتها ، فهي مخدومة . تنْغرف : تتثنى وتنقطع .

* يقول : إنَّها تنام في الضّحى لثرائها وترفعها ، فإذا نهضت تمشي كاد خصرها أن ينقطع من العَياء والدلّ .

٨ الحَوَر : شدة بياض العَيْن وشدة سوادها . الجَيْداء : الطَّويلة العُنق في حسن . البَان : شجر . الخُوط : الغُصْن . قَصف : خوّار ، ناعم يتثنَّى .

* يصف عينها وجيدها وتألق وجهها وانقطاع خصرها ، فكأنه غصن بانة ، يكاد أن ينقصف .

٩ الزّهْرَاء : البقرة الوحشيَّة . الجُرُف : ما تجرّفته السّيول وأكلته من الأرض .

* يمثّلها بالبقرة الوحشيَّة الّتي تعدو على الرّمل اللّيّن إلى السّهل حتى حاشية مجرى السَّيْل .

١٠ * يقول : إن كلامها ليس صفيقاً ، غثّاً ، بل إنَّها تثير المُتْعة في سامعها بطرافة حديثها .

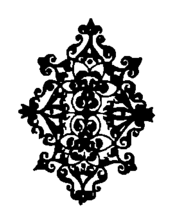
١١ أراد بالأنف : الطَّريف .

* أي أنها لا تُكْثِر من الكلام ، فإذا تكلمت ، جاء حديثها في غاية الطَّرافة . وكأنه جديد لم يسمع من قبل .

١٢ اللَّبَّة : وسط الصّدر والمنْحر . تبدد الحلي صدر الجارية : إذا أخذه كلّه . وفي شرح ديوانه : « هَزْلى جَرَاد ، هو شيء يُصَاغ على هَيْئة أوساط الجراد » . الجُلُفُ : جمع جليف . وهو الذي قشر .

* شبه الحلي الّذي على لبّتها بجراد ، لا رؤوس لها ولا قوائم .

١٣ كَأَنَّهَا دُرَّةٌ ، أَحَاطَ بِهَا الـغَوَّاصُ ، يَجْلُو عَن وَجْهِها صَدَفُ
١٤ يَا رَبِّ لا تُبْعِدَنْ دِيَارَ بَنِي عُذْرَةَ ، حَيْثُ انصَرَفْتُ وانْصَرَفُوا
١٥ واللهِ ذي المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وَمَا جُلِّلَ مِن يَمْنَةٍ ، لَهَا خُنُفُ
١٦ إِنِّي لأَهْوَاكِ ، غَيْرَ كَاذِبَةٍ قَدْ شُفَّ مِنِّي ، الأَحشاءُ والشَّغَفُ
١٧ بَلْ لَيْتَ أَهلي ، وأَهْلَ أَثْلَةَ في دَارٍ قَرِيبٍ ، من حيثُ يُخْتَلَفُ
١٨ هَيْهَاتَ مَنْ أَهلُه بيَثْرِبَ قد أَمْسَى ، ومَن دونَ أَهْلِهِ سَرِفُ



---

١٣ يَجْلُو : من الجَلاء ، وأصله الخُروج من البلد .
* يمثّلها بالدُّرة الّتي عَمل الغَوّاص على صَقْلها وجلائها .
١٤ * يتمنّى ألا يهْجره قَوْم حبيبته ، وألا تَنْصرف سُبُلهم عن سُبُله .
١٥ جَلَّل : كسا . اليَمْنَة : ضرب من برود اليَمن . الخُنُف ، في شرح الديوان : « أراد أن لَهَا جَوَانب وحواشي » .
* يقسم بالمسجد الحرام والأستار اليمنيَّة الَّتي تجلّله .
١٦ الكَاذبة : اسم للمصدر ، كالعافية أو يميناً غير كاذبة . الشَّغَف : شغاف ، وهو غلاف القلب .
* يقسم أنّه يهواها ، وأن حبّها قد أصاب حبَّة قلبه وأحشاءه .
١٧ أثْلَة : اسم صاحبته . يَخْتلف من الاختلاف : التَّردد .
* يتمنّى أن يكون قومه وقومها في مكان متجاور .
١٨ سَرِف : موضع على نحو ستَّة أمْيال من مكة .
* يشكو بُعده عنها حين يقيم هو في المدينة ، وهي تقيم قرب مكة .

حِكْمَةٌ وَفُرُوسِيَّةٌ

١	إِذَا جَـاوَزَ الإِثْنَيْنِ سِرٌّ ، فَـإِنَّهُ	بِنَشْرٍ وَتَكْثِيرِ الحَدِيثِ ، قَمِيـنُ
٢	وإِن ضَيَّعَ الإِخْوَانُ سِرًّا ، فَإِنَّنِي	كَتُومٌ لأَسْرَارِ العَشِيـرِ ، أَمِيـنُ
٣	يَكُونُ لَهُ عِنْدِي ، إِذَا مَا ضَمِنْتُهُ	مَقَرٌّ ، بِسَوْدَاءِ الفُـؤَادِ ، كَنِينُ
٤	سَلِي مَنْ نَدِيمِي في النَّدَامَى وَمَأْلفي	ومَنْ هُوَ لي عِنْدَ الصَّفَاءِ خَدِينُ
٥	وأَيُّ أَخِي حَرْبٍ . . إِذَا هيَ شَمَّرَتْ	وَمِدْرَهِ خَصْمٍ ، بَعْدَ ذَاكَ أَكُونُ
٦	وَهَلْ ، يَحْذَرُ الجَارُ الغَرِيبُ فَجِيعَتِي	وَخَوْنِي ، وَبَعْضُ المُقْرِفِينَ خَؤُونُ
٧	وَمَا لَمَعَتْ عَيْنِي لِغَرَّةِ جَـارَةٍ ،	وَلَا وَدَّعَتْ بِالذَّمِّ ، حِينَ تَبِينُ

---

١ قمن : أي حَريّ خَليق ، يقال : إنَّه لقمين أن يفعل كذا وكذا .

٢ * إن ضيَّع الإخوان سراً ائتمنتهم عليه ، فلن أكون إلاّ كتوماً لأسرارهم .

٣ سوداء الفؤاد وسويداؤه : علقة سوداء تكون في جوفه . كنين : مكنون .

* أحفظ السّر في حشاشة قلبي ، ولا أبوح به .

٤ * يريد أنه يبتعد عن مجالس السوء ، ولا يمشي إلاّ مع النبلاء .

٥ يقال : هو مِدْرَه خَصْم أو مِدْره حرب ، إذا كان يقدَّم في الخصومة أو في الحرب .

* يقول : إنه لبق ، عفّ مع الندامى ، إلاّ إنه لا يقعد عن القتال ، بل يتصدى لخصومه ويثبت لهم .

٦ المُقْرف : الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك . وقيل بالعكس . والمقرف ، أيضاً النذل .

* يفتخر بحفظ الجار ، فيما نرى أن من لا أصل لهم يخونون .

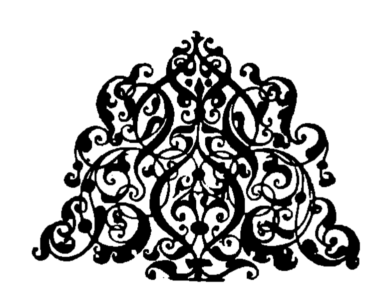
٧ الغَرّة : البياض في الجبهة ، أو هي الطَّلْعة والوجه . والغِرّة : الغَفْلة ، أو مصدر غَرّهُ يَغَرّهُ .
ويقصد الشّاعر : أنَّه لا يتغفل جارته ولا يغرّرُ بها ، ولا يخدعها .

٨ أَبَى الذَّمَّ آبَاءٌ ، نَمَتْنِي جُدُودُهُمْ ، وَمَجْدِي لِمَجْدِ الصَّالِحِينَ مَعِينُ

٩ فَذَلِكَ مَا قَدْ تَعْلَمِينَ ، وَإِنَّنِي لَجَلْدٌ عَلَى رَيْبِ الخُطُوبِ ، مَتِينُ

١٠ أَمَرٌّ عَلَى البَاغِي ، وَيَغْلَظُ جَانِبِي ، وَذُو القَصْدِ أَحْلَوْلِي لَهُ ، وَأَلِينُ

١١ وَإِنِّي لأَعْتَامُ الرِّجَالَ بِخُلَّتِي أُولِي الرَّأْيِ فِي الأَحْدَاثِ ، حِينَ تَحِينُ



---

٨ * يفخر الشَّاعر بانتسابه إلى آباء وأجداد ، أَبَوْا الهوان في حياتهم ، وقدموا العون للضّعفاء .

٩ * فذلك ما قد تعلمين ، وكذلك ، فإنني أصبر إذا ما صروف الدهر تألّبت عليّ .

١٠ * يقصد أنَّه لن يسامح الباغي ، وسيكون قاسياً معه ، أمَّا « ذو القصد » الذي يعدل ولا يجور ، فسأناصره وأعينه .

١١ أعتَامُ : أختار . الخلّة : الصّداقة والمودة .

* وإني لا أصادق إلا ذوي الحكمة والبصيرة في الأحْداث .

لَهْوُ امْرِىءٍ مَكْذُوبِ

اعتبر القدماءُ هذه القصيدة ، كأفْضَل ما وُصفَ به الطَّيفُ الَّذي يروّي نفس العاشق في المَنَام ، دون تَصَرّد أو تمنّع ، يلهو معه بلقاء الحبيبة وإن كان لهواً مكذوباً ، تتراءى له مثل الشَّمْس عند طلوعها أو غروبها . وهو لم يخص التشبيه بمثل ذلك الحين ، إلا لأن الشَّمْس تتجلّى فيه بأوج رَوْعتها ، فيما يغلب عليها كسوف الجمال أثناء النَّهار . أما سائر أوصافه ، فتجري مجرى الغزل الجاهلي ، في النَّظر إلى كل ملمح وعضو في المرأة ، وفي تمثيلها بالتشبيه الحسّي الماديّ ، إلا أنه فاض على ذلك الوصف بكثير من وجده ، وقليل من خياله ، فبدا مُبْتَكراً ، وإن كان مَطْروقاً . والجدة فيه هي جدة الإحساس بالمرأة ، والتوحيد فيما بينها ، وبين مظاهر الطبيعة وعناصرها .

وفيما عدا ذلك ، فإن معانيه الفخرية ، تتّصف بالوضوح والعري في حلل الأداء والبلاغة ، تعبر مباشرة من ذهنه ، فلا تكسوها ظلال إيحاء ، وإن كانت لا تخلو من القدرة على التأثير لعنفها وحماسها :

١ أَنَّى سَرَبْتِ ، وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ ... وَتُقَرِّبُ الأَحْلاَمُ غَيْرَ قَرِيبِ

٢ مَا تَمْنَعِي يَقْظَى ، فَقَدْ تُؤْتِينَهُ ... فِي النَّوْمِ ، غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ

---

١ سربْتِ : مشيت في النهار ـ سَرُوب : غير مُبْعَدة .
يسائلها من أي وجه سرْت في النَّهار ، ولم يكن عهدك أن تسربي ، والأحلام تقرّب الأشياء النَّائية .

٢ مُصَرَّد : مُقَلّل .

* يقول : إنَّها تَمتنع عليه في النَّهار ، وفي حالة اليقظة ، فإذا ما نام ، يُقْبل عليه طيفُها ، فتُؤتيه ما حرَمْته منه في النَّوْم ، غير مقلّل ولا متوقَّع ، لأن زيارة الطَّيْف في النَّوم ، غير متوقَّعة ولا منتظرة . وذكْرُ التصرّد في هذا المُقام ، يُعبِّر بصورة غير مباشرة ، عن الظمأ الذي يعانيه للقائها ، وهو لا يتروّى منها إلاّ في غَفلة المنام .

٣ كَانَ المُنَى بِلِقَائِهَا ، فَلَقِيتُهَـــا فَلَهَوْتُ مِنْ لهْوِ امرِىءٍ مَكذُوبِ

٤ فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ ، عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الحُسْنِ ، أَوْ كَدُنُـوِّهَـا لِغُرُوبِ

٥ صَفْرَاءُ أَعْجَلَهَا الشَّبَابُ لِـدَاتِهَـا ، مَوْسُومَةٌ بالحُسْنِ . غَيْرُ قَطُوبِ

٦ تَخْطُو عَلَى بُرْدِيَّتَيْنِ غَـذَاهُمَـا غَدِقٌ بِسَاحَةِ حَـائِرٍ يَعْبُـــوبِ

٧ تَنْكلُ عَنْ حَمْشِ اللِّثَـاتِ ، كَأَنَّهُ بَرَدٌ جَلَتْه الشَّمْسُ في شُؤْبُـوبِ

٨ كَشَقِيقَةِ السِّيَرَاءِ ، أَوْ كَغَمَـامَـةٍ بَحْرِيَّةٍ فِي عَـارِضٍ مَجْنُـــوبِ

---

٣ * يريد أنّ أقصى ما تطلبه نفسه هو لقاؤها ، لكنّه لقي خيالها « فَلَها به لَهْو امرىء مكذوب » . وفي هذا البيت تعبير عن مرارة الواقع وقساوته ، حتَّى جعل يرتضي عنه وهمَ الأحلام والمنامات ، يخدع نفسه باللّهو المكذوب . وفي ذلك تعبير عن شدّة الحرمان ، وحسرة الوصال .

٤ أشرنا إلى هذا البَيْت في المقدمة .

٥ صَفْرَاء : المُتَضَمِّخَة بالطِّيب . أَعْجَلَهَا الشَّبَابُ لِدَاتِهَا : أي زاد النَّعِيم في شبابها حتى ارتفعت على قَرائنها في السّنّ . غَيْرَ قَطُوب : وجهها ضاحك أبداً .

* وفي الشَّطر الثَّاني ، نُعوت تنحدر بالمعنى الذي كان قد أوفى إليه في الأبيات السَّابقة ، افتقدَ الوصف معها نزعة الغُلوّ ، ومال إلى التقرير والواقعيَّة .

٦ يعني ساقَيْن ، كأنَّهما في بياضهما واستوائهما برديتان . والعرب لا يستحسنون أن تَعْظَمُ العَضَلَة في السَّاق . غَدق : كثير الماء . يَعْبُوب : طويل جعل يعبوبها من نعت « حَائر » . والحَائر : المكان المُطْمئنّ الوَسَط ، المرتفع الحروف ، يَتَحَيَّر فيه الماء .

* يقول : إنها تسير بساقين شبيهَيْن بقصب البردي الَّذي روّاه الماء الكثير .

٧ تَنْكَلُ : تَبْسِم . وأنكل البَرْق : إذا لمع لمعاناً خفيفاً . حَمْش اللِّثَات : رقيقُها . الشُؤبُوب : الدفْعة من المطر . وفي هذا البيت ضبط للتشبيه وتعيين له ، حتَّى تمّ له معادلة الشّبه .

* إذا ما تبسَّمت سطع بياض أسْنانها الرقيقة ، كَبَرد جَلَتْه الشَّمس في شؤبوب .

٨ السِّيَراء : ضرب من البُرود . قيل : هو ثوب مسيّر فيه خطوط من الحرير كالسيور . غَمَامَة بَحْرِية : سَحَابة كثيرة المَاء . العَارِض : (من السَّحاب) المُعترِض في الأفق . المَجْنُوب : يقال : « سحابة مجنوبة » إذا هبَّت بها ريح الجنوب . وهذا البيت يُظْهر دقة التصوير ، ورقَّة العاطفة .

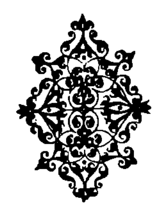
٩ أَبَنِي دُحَيٍّ ، والخَنَا مِنْ شَأْنِكُمْ ، أَنَّى يَكُونُ الفَخْرُ لِلْمَغْلُوبِ !

١٠ وَكَأَنَّهُمْ في الحَرْبِ إِذْ تَغْلُوهُمُ غَنَمٌ ، تَعَبَّطَهَا غُواةُ شُرُوبِ

١١ إنَّ الفَضَاءَ لَنَا ، فَلا تَمْشُوا بِهِ أَبَداً ، بِعَالِيَةٍ وَلَا بِذَنُوبِ

١٢ وَتَفَقَّدُوا تِسْعِينَ مِنْ سَرَوَاتِكُمْ ، أَشْبَاهَ نَخْلٍ صُرِّعَتْ لِجَنُوبِ

١٣ وَسَلُوا صَرِيحَ الكَاهِنَيْنِ وَمَالِكاً عَنْ مَنْ لَكُمْ مِنْ دَارِعٍ وَنَجِيبِ



---

٩ بَنُو دحَيّ : بطن من بني الحدان . الخَنَا : الغدر ، الفَساد .

* ينتقل في هذا البيت إلى مخاطبة بني دُحَيّ ، ويهجوهم بالفساد ويعجب من فخرهم ، وهم المغلوبون .

١٠ تَعَبَّطَهَا : عبط الذّبيحة ، نحرها من غير داء ولا كَسْر ، وهي سمينة فتيَّة . شُرُوب : جمع شُرب .

* يقول : إنَّهم يُذْبَحُون في الحرب ، كما تُذْبح أغنام قَوْم ينفقون وقتهم ، باللَّهْووالشراب .

١١ العَالية : أعلى الوادي . الذنُوب : أسفله . الفَضَاء : موضع بالمدينة .

* يهدد بني دُحَيّ ، ويقول إنّ موضع الفضاء لنا ، فلا تمشوا فيه أبداً ، حتى أعلاه وأسفله ، حرام عليكم دخولهما .

١٢ * يتحدّث في هذا البيت عن فتكهم بتسعين من رجال الأعداء ، أبيدوا وتناثروا كالنَّخْل الذي عاثت به رياح الجنوب .

١٣ الكَاهنان : حَيَّان من قَرْظة . ويقال : قُرَيْظة والنَّضير : الكاهنان . رَجُل دَارع : ذو درع . نَجيب : النَّجيب من الرّجال ، الكريم الأصل .

بَنَاتُ الدَّهْرِ

١ ومن يَكُ غَافِلاً ، لَمْ يَلْقَ بُؤساً يُنَخْ ، يَوْماً بِسَاحَتِهِ القَضَاءُ

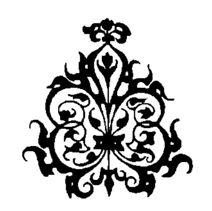
٢ تَنَاوَلَهُ بَنَاتُ الدَّهْرِ ، حَتَّى تَثَلَّمَهُ ، كَمَا انْثَلَمَ الإِنَاءُ

٣ وَكُلُّ شَدِيدَةٍ ، نَزَلَتْ بحَيٍّ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ

٤ فَقُلْ لِلْمُتَّقِي عَرَضَ المَنَايَا : تَوَقَّ ، وَلَيْسَ يَنْفَعُكَ اتِّقَاءُ

٥ فَلاَ يُعْطَى الحَرِيصُ ، غِنَىً لِحِرْص وَقَدْ يُنْمى ، لِذِي العَجْزِ ، الثَّرَاءُ

٦ غَنِيُّ النَّفْسِ ، مَا اسْتَغْنَى ، غَنِيٌّ وَفَقْرُ النَّفْسِ ، ما عَمُرَتْ ، شَقَاءُ



---

١ لَمْ يَلْقَ بُؤساً : هذه الجملة خبر ثان لـ « يك » . يُنخ : جواب الشرط .

* من يسلم وينْجُ ، لا بد أن ينيخ القَضاءُ بساحته يوماً ، أي أن تلمّ به المصائب .

التُّلوم : الجُروح .

٣ * إنّ الشَّدائد إذا ما نزلت يتعقَّبُها الخَيْر ورخاء العيش ، لأنّ لكلّ حال أمداً يمدّ له الزمن ، فإذا تَناهى انقطع .

٤ * ما كُلّ من يحتاط من نوائب الدهر ينجو منها .

٥ * ليس كل من أراد الثراء حقق أمنيّته ، حتّى ولوكَان شديد الحرص ، ولَرُبّما يأتي الثراء إلى فقير معدم .

٦ * قياس الثراء عند الشّاعر ، ليس المال ، بل غنى النفس في الأخلاق والمُعاملة الطّيّبة . إنّه غني بنفسه حين يستغني الأغنياء بأموالهم . ثم يقول : إن فقر النفس يلازمه حين يعم الشقاء .

قَصِيدَةٌ حِكَمِيَّةٌ

١ وبَعْضُ القَوْلِ ، لَيْسَ لَهُ عِيَاجُ كَمَخْضِ المَاءِ ، لَيْسَ لَهُ إتَاءُ
٢ يَصُوغُ لَكَ اللِّسَانُ عَلَى هَوَاهُ وَيَفْضَحُ أَكْثَرَ القِيلِ ، البَلاءُ
٣ وَمَا بَعْضُ الإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يَكُونُ بِهَا الفَتَى ، إلاَّ عَنَاءُ
٤ وَلَمْ أَرَ ، كَامرِئٍ ، يَدْنُو لِخَسْفٍ لَهُ فِي الأَرْضِ ، سَيْرٌ وانْتِوَاءُ
٥ وَبَعْضُ خَلائِقِ الأَقْوَامِ ، دَاءٌ كَدَاءِ الكَشْحِ ، لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ
٦ أَلاَ مِنْ مُبْلِغُ الشُّعَرَاءِ عَنِّي فَلاَ ظُلْمٌ لَدَيَّ ، وَلا ابْتِدَاءُ
٧ وَلَسْتُ ، بِعَابِطِ الأَكْفَاءِ ظُلْماً وَعِنْدِي لِلْمُلمَّاتِ ، اجتِزَاءُ
٨ يُحِبُّ المَرْءُ ، أَنْ يَلْقَى مُنَاهُ وَيَأْبَى اللهُ ، إلاَّ مَا يَشَاءُ

---

١ عيَاج : يقال : فلان لا يعاج بقوله : أي لا يُلْتفت إليه . إتاءُ : زبدة تغشّي سطح الحليب عندما يُمْخض .

* يقول : إن بعض الأقوال تلبث دون معنى ودون جدوى ، مهما حاولت أن تستخرج منها دلالة ، فكأنَّك تمخض الماء الذي لا تعلوه زبدة قط .

٢ * يقول : إنَّك إذا خبرت صاحب ذلك القول وجرّبت أمره ، الفيتَه يعمل بخلاف ما يقول ، فهو يُرْسل الكلام على عواهنه ، ولا يحقِّق منه شيئاً .

٣ وقد يُقيم المرء في بلد ، فلا يَلْقى فيه إلا العناء .

٤ الخَسْف : الظُلْم . الانْتِواء : القَصْد لبلد غير البلد الذي أنت فيه مقيم .

* يعجب الشَّاعر من إقامة المرء في مكان يسام به الظّلم ، ما دام قادراً على النّزوح والرّحيل .

٥ داءُ الكَشْح : ذات الجَنْب ، وهو داء يصيب الإنسان في كشحه ، فيكوى منه .

* وفي النَّاس خلائق لا فَكَاكَ لهم عنها ، فهي كداء الكشح الذي لا شفاء منه .

٦ * يشير إلى نفسه ، ويقول : إنه يعيش في منأى عن الظلم لا يقبله ولا يطالع به سواه .

٧ عَابط : يريد أنه لا ينال من الأكفاء ، ولا يتنقصهم ظلماً . اجْتزاء : غناء وكفاية .

* يقول : إنَّه لا ينتقص أصحاب الجدارة ، ولا يبخسهم حقهم ، كما أنه لا يجبن عندما تحل به المصائب والملمات .

٨ يحبّ المرء أن تُحقّق رغباته ، ولكن الله لا يُحقِّق له منها إلا ما يشاء .

عَمْرو بْنُ كُلثُوم

عَمْرُو بنُ كُلثوم

٠٠٠ ـ نحو ٤٠ ق. هـ.

أبو عبَّاد عمرو بن كلثوم ، بن عمرو بن مالك بن عتاب ، من قبيلة تغلب الشَّديدة البأس ، القويَّة الشكيمة في الجاهلية . نشأ نشأة زهو وتفاخر بنفسه وبأصله ، وعبَّر عن ذلك بشعر تغلب عليه صفة الفخر ، وتَغْشاه الأجواء الملحمية وصور القتل والدمار.

انتُدبَ لتمثيل قبيلته في مؤتمر الصّلح الَّذي عقد في بلاط عمرو بن هند ، للتوفيق بَيْن تغلب وبكر. وقد حكم الملك لخصمه الحارث بن حلّزة ، لشدة ما لقيه من عنت الشَّاعر وعُنْجهيَّته وتفاخره بقومه ، وتفوقهم في الحروب ، غير هيَّاب من هَيْبة الملك ، ولا حرج من قوّته وصَوْلته . وقد أراد الملك إذلاله ، فأوعز إلى والدته أن تدعو أمّ عمرو لزيارتها وتَتَعَمَّد إذلالها ، لتثير الشَّاعر ، ويرى ما يكون من أمره . ولمَّا طلبت من والدة الشَّاعر أن تناولها طبقاً من أطباق الطَّعام ، ثارت ثائرتها واستنجدت بابْنها الُمقيم مع عمرو بن هند ، فعاجله الشَّاعر بسيف مُعَلَّق في الرّواق فصرعه ، ورحل مع قومه . ومع أنَّ هذه الحادثة مشبَّعة بجوّ الغرابة والإثارة ، فإنَّها تدلّ على قوّة عمرو ، واستهانته بأقدار النَّاس ، حتَّى الملوك منهم ، وإنّ شعوره ببأس بني قومه ، كان يدفعه إلى الهوس والتَّهور.

وليس شعره ، في معظم وجوهه ، إلاّ أداة للتَّعبير عن خُيَلائه ، تتكاثر فيه الصور المصبوغة بالنجيع ، وتتراكم عبره جثث القتلى ، ويتعالى قتار المعارك ، حتَّى عدّ ذلك الشّعر نموذجاً للشّعر الحربي الَّذي تتمثّل فيه فضائل الفروسية العربية الكلاسيكيَّة خير تمثيل. وعمرو ، من هذا القبيل ، شبيه بعنترة ، إلاّ أنَّنا لا نشهد في شعره ألوان السَّواد والقنوط الّتي تشيع في شعر زميله . وقد كان الأول يكافح ليضمن الرّفعة ويتحرّر من ميسم الضّعة ، فيما ولد الثَّاني بالنَّعيم ، تحيط به العظمة من كل جانب . لهذا جاء شعره تفاخراً بقومه فضلا عن ذاته ، فيما غلب على عنترة التَّفاخر بنفسه . فشعر عمرو هو شعر الإنسان القويّ ، المتكافئ الَّذي لم تَسمْه الحياة بوسم ، تنتشر فيه ألوان التفاؤل ، ويطغى عليه الشّعور بالقوّة والكرامة الإنسانية ، فتبدو له الحياة وكأنها ساحة أعدت ليُظْهر عليها بطولته ، ناثراً فيها الأشلاء والدماء ، مقيماً عليها عرشه المُكلّل بالجماجم والعظام . لقد كان عمرو ، في معظم شعره ، مقاتلا فرحاً ، مغتبطاً ، بينما يغلب الكمد والسّويداء على شعر عنترة ، والحزن والألم أوغل في حقيقة النَّفس من الفرح الذي يغشى ظاهر الأشياء والمعاني . لهذا قلَّما تَدْهَم المشاعر والخواطر والصّور في شعره ، فيبدو ذا بعدٍ واحد ، وسياقٍ متشابه ، تتضاءل فيه رقعة الواقع ، ويتمادى الخيال ، حتَّى يدرك الأسطورة والمستحيل . ولعلّ فضيلته الفنيَّة الأولى هي فضيلة الخيال المتمرّد

الّذي يصوّر الأشياء تصويراً مثاليًا . على بعْد ناء ، قصيّ ، يحوّل به الفكرة إلى صورة . والعاطفة إلى مشهد قائم في حدود الحواس . فأسلوبُه بذلك يختلف عن أسلوب المُهَلْهِل السَّرديَ التقريريّ ، وأسلوب إمرئ القيس الّذي يلاصق الواقع ويتقيّد به ، ولا ينخطف عنه إلا في لحظات فائقة قليلة . ويمكننا القول : إنّ شعره هوشعر الانفعال والخيال اللّذين قلمّا يرصدهما العقل . ويرفدهما ، فهويثير ويَبُثّ النَّشوة والطرب والحماسة . إلا أنّه قلّما يوقظ النّفس إلى حقائق عميقة خفيَّة . وقلّما يؤدي بالإنسان إلى تجارب تتكشّف له بها معرفة جديدة بالحياة والعالم والنَّفْس .

دامت الحرب بَيْن بكر وتغلب ، أربعين سنة ، ولم تتعاقد القبيلتان على الصّلح إلاّ بعد أن ألّف بينهما المُنْذر. وكان أن سيَّر . فما بعد ، ابنه عمرو بن هند جماعة من بكر وتغلب في بعض أموره . فافتُقِدَ التغلبيون واتهم البكريون بالإيقاع بهم ، ولما احتكموا إلى عمرو بن هند . اقتضى سبعين رجلا من البكريين كوثائق للحقّ عنده ، فقبل البكريون . وفي يوم التقاضي . انتدبت تغلب للدفاع عنها سيّدها عمرو بن كلثوم بينما انتدبت بكر أحد أشرافها . النّعمان بن هرم الّذي ما عتّم أن طرده عمرو بن هند من حضرته . فقام عمرو بن كلثوم ، فأنشد قسماً من معلقته ، ثم وقف الحارث بن حلّزة ، فردّ عليه ، واستمال الملك بدهائه . فحكم للبكريين .

إلاّ أن تغلب كانت منيعة الجانب . بالرّغم من ذلك . حتى قيل : « لو أبطأ الإسلام لأكلت تغلب النّاس » وروي أنّ عمرو بن هند . تواقع مع الشاعر فقتَله . كما قدمنا ، وجاءت معلّقته تعبر عن هاتين الحادثتين .

يستهلّ الشّاعر قصيدته . مُتحدثاً عن الخمرة والغزل . ثم يباشر فجأة ، الفخر أمام عمرو بن هند ذاكراً بطش قومه الّذين لا تصدر راياتهم إلاّ بعد أن تروّى بدماء ذوي التّيجان . أمّا مجدهم ، فهو عريق يذودون عنه بضرب السّيوف الّتي تشقّ الرّؤوس شقّاً . وينثني لتهديد أعدائه ، معنّفاً عمرو بن هند ، ويمضي في تعداد مجد أجداده كعلقمة بن سيف ، والمهلهل ، وزهير ، وهو جده لأبيه كلثوم . ثم يشير إلى الأيام الّتي انتصروا فيها ، كيوم خزازى الّذي آبوا فيه بالملوك المصفّدين . ومن ثم يتعرّض لدروعهم . فاذا هي دلاص سابغة ، كما أنّ جلود محاربيها سود صَدِئة . لطول التصاق الدروع بها .

أمّا أفراسهم ، فهي كسائر الأفراس الجاهليّة ، تكاد لا تقلّ بطولة عن فرسانها . وكذلك ، فهو يذكر دور النّساء في الحرب اللّواتي امتطين الجمال ، وجعلن يثرن الحماسة في المقاتلين ، ويعود في النّهاية إلى الفخر المباشر ، حتى يجعل لقومه سلطة مطلقة على مصير النّاس ، فهم المُطعمون وهم المهلكون . وهم التاركون والآخذون ، لا يشربون إلاّ الماء القراح ، بينما يشرب غيرهم الكدر والطين .

المُعَلَّقَة

١ أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِـكِ فَـاصْبَحِينَـا ، وَلا تُبْقِي خُمُـورَ الأَنْدَرِينَـا

٢ مُشَعْشَعَةً ، كَأَنَّ الحُصَّ فِيها ، إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينا

٣ تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عَـنْ هَـوَاهُ ، إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَـا

٤ تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِـرَّتْ عَلَيْهِ ، لِمَـالِهِ فِيْهَـا مُهِينَـا

٥ صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّـا أُمَّ عَمْرٍو، وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِينا

---

١ الصَّحْن : القدح العظيم . الأَنْدَرين : من قرى الشَّام .

* يقول : ألا استيقظي من نومك أيَّتها السَّاقية واسقينا الصَّبوح بقدحك ، ولا تدَّخري خمر قُرى الشَّام . وفي هذا المَطلع تنكَّب الشَّاعر عن الطَّلل وهو المطلع التقليدي ، واعتاض عنه بذكر الخمرة ووصفها .

٢ شَعْشَع : مزج ، الحُصّ : نبت زهره أحمر .

* أسقنيها مشعَّة كأنَّها من شدة حُمرتها أُلقي فيها الزَّهر الأحمر وخالطها الماء .

٣ * تميل بصاحب الحاجة عن حاجته ، وتُنْسي الهموم أصحابها . فإذا شربوها لانوا ، ونسوا همومهم وأحزانهم . ووصفه لتأثير الخمرة عُرف في شعر الأعشى . إلاّ أنَّه تفرَّد بذكر قدرتها على تغيير طبائع شاربيها ، ولعنترة بيت يدنو فيه إلى هذا المعنى .

٤ اللَّحز : الضَّيّق الصَّدر . الشَّحيح : البخيل .

* ترى الإنسان الضَّيّق الصَّدر ، البخيل مُهيناً لماله في شُربها ، إذا أديرت عليه . وفي هذا الوصف تقرير لما هو شائع عن فعل الخمرة .

٥ الصَّبْن : الصَّرف .

* صرفت الكأس عنّا يا أم عمرو ، وكان مجرى الكأس على اليمين ، فأجريتها على اليسار ، أي أنَّها تعمَّدت صرفها عنه .

٦ وَمَا شَرُّ الثَّـلاثَـةِ أُمَّ عَمْـرو، بِصَاحِبِـكِ الَّـذي لا تَصْبَحِينا

٧ وَكَأْسٍ قَـدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَـكٍّ، وَأُخْرى في دِمَشْقَ وَقاصِرِينا

٨ وَإِنَّا سَوْفَ تُدْرِكُنَا المَنَايَـا، مُقَدَّرَةً لَنَـا . وَمُقَدَّرِينـا

٩ قِفي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَـا ظَعِينَـا، نُخَبِّرْكِ اليَقِيـنَ وَتُخْبِرِينـا

١٠ قِفي نَسْأَلْكِ ، هَلْ أَحْدَثْتِ صَرْماً لِوَشْكِ البَيْنِ ، أَمْ خُنْتِ الأَمينا

١١ بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ، ضَرْباً وَطَعْنـاً أَقَـرَّ بِـهِ مَـوَالِيـكِ العُيُـونا

١٢ وَإِنَّ غَداً ، وَإِنَّ اليَوْمَ رَهْـنٌ، وَبَعْدَ غَدٍ ، بِمَا لا تَعْلَمِينـا

١٣ تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَـلاَءٍ، وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُـونَ الكَاشِحِينـا

---

٦ لست شرّ أصْحابي الّذين تسقينهم ، فكيف أهملتني ، وسقيتهم من دوني .

٧ وكم من كأس شربتها بهذه البلدة ، وأخرى شربتها في دمشق وقاصرين . والشّاعر يشير بذلك إلى شدة إدمانه الخمرة .

٨ * سوف تدركنا مقادير موتنا . وقد قُدّرت تلك المقادير لنا وقُدّرنا لها ، أي أنّ الموت أمر مُتَوقَّع محتوم .

٩ الظَّعينَة : المرأة في الهودج .

* أوقفي مطيّتَك ، أيتها الحبيبة الظّاعنة نُخبرك بما قاسينا بعدك ، وتخبرينا بما لاقيت بعدنا . ووصف الظّعائن هوجزء من المطلع التقليدي .

١٠ الصَّرْم : القطيعة . الوَشْك : السّرْعَة .

* قفي نسألك ، هل دعتك ضرورة الفراق إلى القطيعة أوأنّك عزمت على خيانة من لا يخونك .

١١ * نُخبرك بيوم حرب كثر فيه الطّعن ، والضّرب ، فأقَرَّ بنو أعمامك عيونهم في ذلك اليوم ، لانتصارهم على الأعداء .

١٢ * فإنَّ الأيّام رهن بما لا يُحيط علمُكِ به .

١٣ الكَاشح : المضمر العداوة في كبده .

* تريك هذه المرأة ، إذا أتيتها خالية . وأمنَتْ عيون أعدائها .

١٤ ذِرَاعَيْ عَيْطَـلٍ ، أَدْمَاءَ بِكْـرٍ ، هِجَـانِ اللَّوْنِ ، لَمْ تَقْرَأْ جَنِينا

١٥ وَثَدْياً مِثْلَ حُقِّ العَـاجِ ، رَخْصاً ، حَصَاناً مِنْ أَكُـفِّ اللاَّمِسِينـا

١٦ وَمَتَنَيْ لَدْنَةٍ سَمَقَتْ وَطَـالَـتْ رَوَادِفُهَـا تَنُـوءُ بِمَـا وَلِينـا

١٧ وَمَأْكَمَةً يَضِيـقُ البَـابُ عَنْهَـا وَكَشْحـاً قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونـا

١٨ وَسَارِيَتَـيْ بِلَنْـطٍ أَوْ رُخَـامٍ يَرِنُّ خَشَاشُ حَلْيِهِمَـا رَنِينـا

١٩ فَمَا وَجَدَتْ كَـوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ ، أَضَلَّتْـهُ ، فَرَجَّعَـتِ الحَنِينـا

---

١٤ العَيْطَل : النَّاقة الطويلة العُنُق . الأدْمَاء : البيضاء . البكْر : الفتيَّة . الهجَان : الأبيض الخالص البياض ، لَمْ تَقْرأ جَنينا : لم تحمل في رَحمها ولداً .

* تريك ذراعَيْن ممتلئتَيْن كذراعي ناقة طويلة العُنُق ، بيضاء سمينة ، لم تحمل ولداً قَط . وفي هذا البيت يشرع بوصف حبيبته ، مستهلا بوصف ذراعيها ، متدرّجاً فما يلي إلى سائر ملامحها وأعضائها .

١٥ حَصَاناً : مصوناً .

* وتريك ثدياً مثل حقّ من عاج بياضاً واستدارة مصوناً عن أكف من يلمسها . وفي الشَّطر الأول اشتراك بين حاستيّ البصرواللَّمس في الصّورة ، وفي الشَّطر الثاني واقعية مُسفَّة .

١٦ اللَّدْن : الليّن . سَمَقَتْ : ارتفعت . الرّادفَتَان : فرعا الأليتين . الوَلْي :هنا الحمل رهـذا الوصف تصوير مثالي لقامة المرأة وردفيها .

* وتريك مَتْني قامة طويلة ، ليّنَة ، تثقل أردافها بما تحمله

١٧ المأْكَمَة : رأس الورك . الكَشْح : الخصر .

* وتريك مأكمة يضيق الباب عنها لعظمها وضخمها وامتلائها باللَّحم ، وكشحاً قد جُنْنْتَ بحسنه جنوناً . وفي الشَّطر الثَّاني يظهر ابتذال الإنفعال في شعره وبعده عن الصّقل والأداء النفسيّ الكثيف .

١٨ البلَنْط : العاج ، السَّاريَة : الأسطوانة .

* وتريك ساقين كأسطوانتين من عاج أو رخام بياضاً وملمساً ، تصوّت الخلاخيل فيهمـا تصويتاً . وفي هذا البيت تقرير للَّون والصّوت والملمس ، وتعريف للظَّاهرة بما يشبهها .

١٩ * فما حَزُنَتْ مثل حزني ناقة أضلَّت ولدها ، فرددت صوتها مع توجعها في طلبها ، يقصد أن حزن هذه النَّاقة دون حزنه لفراق حبيبته

٢٠ وَلا شَمْطَـاءُ لَمْ يَتْرُكْ شَقَـاها لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ ، إلاَّ جَنِينـا

٢١ تَذَكَّرْتُ الصِّبا وَاشْتَقْتُ لَمَّـا رَأَيْتُ حُمُـولَهـا أُصُـلاً حُدِينا

٢٢ فَأَعْرَضَتِ اليَمَامَةُ ، وَاشْمَخَـرَّتْ ، كَـأَسْيَـافٍ بِـأَيْـدِي مُصْلِتِينـا

٢٣ أَبَا هِنْدٍ فَـلا تَعْجَــلْ عَلَيْنـا وَأَنْظِـرْنَـا نُخَبِّـرْكَ اليَقِينـا

٢٤ بِـأَنَّـا نُـورِدُ الرَّايـاتِ بِيضـاً ، وَنُصدِرُهُـنَّ حُمْـراً ، قَدْ رَوِينا

٢٥ وَأَيَّـامٍ لَنَـا غُـرٍّ ، طِـوَالٍ ، عَصَيْنَـا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينـا

٢٦ وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَـدْ تَوَّجُـوهْ بِتَـاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينا

---

٢٠ الشَّمْط : بياض الشَّعر . الجَنين : المستور في القبر هنا .

ولا حزنت كحزنه عجوز ، فقدت تسعة بنين ، كلّهم ماتوا ودفنوا . وتمثيله للجنين بهذَيْن التشبيهَيْن شديد الإيحاء والغلوّ .

٢١ الحُمُول : جمع حامل ، يريد إبلها .

* تذكَّرت العشق والهوى ، واشتقت إلى الحبيبة ، لمَّا رأيت حمول إبلها ، سيقَت عشيّاً .

٢٢ أعْرَضَتْ : ظهرت . اشْمَخَرَّت : ارتفعت . أصْلَتَ السَّيْف : سلّته .

* فظهرت لنا قُرى اليمامة وارتفعت في أعيننا كأسياف بأيدي رجال سالين سُيُوفَهم .

٢٣ * يَا أبَا هنْد ، يريد عمرو بن هند ، لا تعجّل علينا ، وانظرنا نخبرك باليقين من أمرنا . وفي هذا البيت يباشر الحديث في دعوى الاحتكام والصّلح .

٢٤ الرَّايَة : العلم .

* نُخْبرك باليَقين من أمرنا ، بأنا نورد أعلامنا في الحروب بيضاً ، ونرجعها منها حُمراً قد رَوِيتْ من الدماء ؛ والصّورة تقوم على فضيلة الخَيال الحسّي ، وهو أرقى فنيّاً من المعنى العادي المبَاشر .

٢٥ * نُخَبرك بوقائع لنا مشاهير كالغرّ من الخَيْل ، عصينا المَلِكَ فيها كراهية أن نطيعه ونتذلَّل له .

٢٦ * وكم من سيّد قوم متوّج بتاج الملك يحمي من يلجأ إليه ، قهرناه . وتظهر هنا طبائع الغُلُوّ في شعره ، فهم لم يقتلوا مُحَارباً ، بل ملكاً متوّجاً ، ذا عصمة وهيبة .

٢٧ تَرَكْنَا الخَيْلَ عَـاكِفَـةً عَلَيْـــــهِ مُقَلَّـــدَةً أَعِنَّتَهَـــا صُفُـــونَـا

٢٨ وَأَنْزَلْنَا البُيُـوتَ بِـذِي طُلُـوحٍ . إِلَى الشَّامَـاتِ ، تَنْفِي المُوعِدِينا

٢٩ وَقَدْ هَـرَّتْ كِـلَابُ الحَيِّ مِنَّـا . وَشَذَّبْنَـا قَتَـــادَةَ مَنْ يَلِينَـــا

٣٠ مَتَى نَنْقُـلْ إِلى قَـوْمٍ رَحَـانَـا ، يَكُـونُـوا في اللِّقَـاءِ لَهَا طَحِينا

٣١ يَكُونُ ثِفَـالُهَـا ، شَرْقِيَّ نَجْـدٍ وَلُهْوَتُهَـا قُضَـاعَـةَ أَجْمَعِينَـــا

٣٢ نَزَلْتُمْ مَنْـزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّـــا فَأَعْجَلْنَـا القِـرَى . أَنْ تَشْتِمُونَا

---

٢٧ العُكُوف : الإقامة . الصفُون : جمع صافن : الفرس إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبكه الرّابع .

* قتلناه وحبسنا الخَيْل عليه ، وقد قلَّدناه أعنتَّها في حال صفونها عنده . وفي هذا البيت يعبّر الشَّاعر بالحادثة والصُورة الحسيّة .

٢٨ * وأنزلنا بيوتنا بموضع يعرف بذي طلوع إلى الشَّامات تنفي من هذه الأماكن أعداءنا الَّذين كانوا يوعدوننا .

٢٩ شَذبْنا : نفينا الأشواك والأغصان الزّائدة عن الشَّجر . القَتَاد : شجر ذو شوك . يَلينا : يقرب منا .

* وقد لبسنا الأسلحة حتّى أنكرتنا الكلاب وهرّت لإنكارها إيَّانا . وقد كسرنا شوكة من يقرب منَّا من أعدائنا . وليس ثمة من صلة معنويَّة بين شطرَيْ البيت ، وفي البيت الأول جزئية واقعية ، وفي الشَّطر الثاني . تصوير مجازي عام .

٣٠ أراد بالرَّحَى رحى الحرب .

* متى حاربنا قوماً قتلناهم . وإذ استعار للحرب الرّحى استعار لقتلاها الطَّحين . والصُورة تنطوي على جوّ ملحميّ .

٣١ الثّفَال : خرقة تبسط تحت الرّحى ليقع عليها الدقيق . اللُّهْوَة : القبضة من الحَبّ . تلقى في فم الرّحى .

* تكون معركتنا في الجانب الشَّرقيّ من نجد وتكون قبضتنا قُضَاعة أجمعين . وقد أدرك خياله في هذه الصّورة من الغلوّ الحماسيّ حدّ الأسطورة .

٣٢ * نزلتم منزلة الأضياف فعجلنا قراكم كراهية أن تشتمونا . والمقصود : تعرّضتم لمعاداتنا كما يتعرّض الضّيف للقرى ، فقتلناكم عُجالا كما يحمد تعجيل قرى الضَّيف .

٣٣ قَرَيْنَاكُمْ ، فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ ، قُبَيْلَ الصُّبْحِ . مِرداةً طَحُونا

٣٤ نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعِفُّ عَنْهُمْ ، وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَّلُونَا

٣٥ نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا

٣٦ بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ، ذَوَابِلَ ، أَوْ بِبِيضٍ يَخْتَلِينَا

٣٧ كَأَنَّ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ فِيهَا ، وُسُوقٌ بِالأَماعِزِ يَرْتَمِينَا

٣٨ نَشُقُّ بها رُؤُوسَ القَوْمِ شَقًّا ، وَنَخْتَلِبُ الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا

٣٩ وَإِنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ . وَيُخْرِجُ الداءَ الدَّفِينا

٤٠ وَرِثْنَا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطَاعِنُ دُونَهُ . حَتى يبينا

---

٣٣ * المَرداة : الصَخرة التي تكسر بها الصخور. الطَحُون : فعول من الطحن . مِرْداة طَحُونا : أي حرباً أهلكتهم أشدَّ هلاك

٣٤ * نَعُمّ عشائرنا بنوالنا وسيبنا . ونعفّ عن أموالهم ونحمل عنهم ما حمَّلونا من أثقال .

٣٥ التَّراخي : البُعد ، الغشْيان : الإتيان .

* نطاعن الأبطال بالرماح وقتَ تباعدهم عنَّا ، ونضربهم بالسُّيوف إذا قربوا منَّا .

٣٦ * نُطاعنهم برماح سُمْر ليِّنة من الرماح الخطيَّة ، أو نضاربهم بسيوف تقطع ما يضرب بها كالأعشاب والحشائش .

٣٧ الوُسُوق : جمع وسق وهوحمل بعير. الأمَاعز : جمع أمعز ، المكان الَّذي تكثر فيه الحجارة .

* كأن جماجم الشّجعان منهم . أحمال إبل تسقط في الأماكن الكثيرة الحجارة . ووصف الجماجم بمثل هذا الوصف . يُمثّل ميل الشّاعر إلى المشاهد الدامية الفاجعة .

٣٨ الاختْلاب : قطع الشيء بالمخلب وهو المنجل الَّذي لا أسنان له . الإختْلاء : قطع الخلا . وهو رطب الحشيش . وقطع الرؤوس كالحشائش لا يدلّ على حقيقة واقعية فعليّة . بل على شهوة القتل وما يتمنَّى أن تكون عليه .

* نشق بها رؤوس الأعداء شقّاً ونقطع بها رقابهم فتقطع .

٣٩ * وإن الضّغْنَ المتضاعف المقيم . نفشو آثاره . وتظهر ما تضمره وتكاتمه الأفئدة .

٤٠ * ورثنا شرف آبائنا ، قد علمت ذلك معدّ . نطاعن الأعداء من دونه حتَّى يسلم لنا .

٤١ وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الحَيِّ خَرَّتْ عَنِ الأَحْفَاضِ ، نَمْنَعُ مَنْ يَلِينا

٤٢ نَجُذُّ رُؤوسَهُمْ ، في غَيْرِ بِرٍّ ، فَمَا يَدْرُون مَاذا يَتَّقُونا

٤٣ كَأَنَّ سُيُوفَنَا ، مِنَّا وَمِنْهُمْ ، مَخَارِيقٌ بِأَيْدي لاعِبينا

٤٤ كَأَنَّ ثِيَابَنَا ، مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضِبْنَ بِأُرْجُوَانٍ ، أَوْ طُلِينا

٤٥ إِذَا مَا عَيَّ بالإِسْنَافِ حَيٌّ ، مِنَ الهَوْلِ المُشَبَّهِ أَنْ يَكُونَا

٤٦ نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةَ ، ذَاتَ حَدٍّ مُحَافَظَةً ، وَكُنَّا السَّابِقِينا

٤٧ بِشُبَّانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً ، وَشِيبٍ في الحُرُوبِ مُجَرَّبِينا

---

٤١ الحَفْض : متاع البيت .

* ونحن إذا قوّضت الخيام ، فخرّت على أمتعتها ، نمنع من يقرب منّا من جيراننا ، أي أنّهم لا يهربون حين الشدة .

٤٢ * نقطع رؤوسهم بقسوة ، ولا يدرون كيف يحاذرون ما نصيبه به من القَتْل وسبي الحرم واستباحة الأموال .

٤٣ المخْرَاق : سيف من خشب .

* كنّا لا نحفل بضرب السّيوف ، كما لا يحفل اللاعبون بالضّرب في المخارق . وهذا التشبيه قد يكون واقعيّاً ، لكنه يشفّ بواقعيّته عن أجواء الغلوّ الذي تحفل بها القصيدة .

٤٤ * كأنّ ثيابنا وثياب أعدائنا ، خضبت بأرجوان أو طليت به . وفي هذا البيت ، يظهر انعدام الوحدة الفنّية وتفكّك المعاني ، وتناقضها بعضاً مع بعض . فالدماء لا تسيل من الأعداء وحسب ، بل منهم ومن أعدائهم ، ممّا يعفي على الأجواء الملحمية التي كان قد أحاط بها بني قومه .

٤٥ الإِسْنَاف : الأقدام .

* إذا عجز قوم عن التقدم ، مخافة هول منتظر متوقع يمكن أن يكون . . .

٤٦ * تعرّضنا لذلك الخطب بخيل قويّة ، عظيمة الهامة كالجبل أوكتيبة ذات شوكة ، محافظة على أحسابنا ، وسبقنا خصومنا .

٤٧ * نسبق ونغلب بشبّان يعدون القتال في الحُروب مجداً ، وشيبٍ قد مرّنوا على الحروب .

٤٨ حُدَيّا النّاسِ كُلِّهِمُ جَميعاً . مُقارَعَةً بَنيهِمْ عَنْ بَنينا

٤٩ فَأَمّا يَوْمِ خَشْيَتِنا عَلَيْهِمْ . فَتُصْبِحُ خَيْلُنا عُصَباً ثُبينا

٥٠ وَأَمّا يَوْمَ لا نَخْشَى عَلَيْهِمْ ، فَنُمْعِنُ غارَةً مُتَلَبِّبينا

٥١ بِرَأْسٍ مِنْ بَني جُشَمِ بنِ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ وَالحُزُونا

٥٢ أَلا لا يَعْلَمِ الأَقْوامُ أَنّا تَضَعْضَعْنا ، وَأَنّا قَدْ وَنِينا

٥٣ أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهلِ الجاهِلِينا

٥٤ بِأَيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْد نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فيها قَطِينا

---

٤٨ حُدَيًّا : إسم جاء على صيغة التصغير . مثل ثريًّا وحميًّا وهي بمعنى التحدي .

* نتحدى النّاس كلّهم بمثل مجدنا وشرفنا . ونقارع أبناءهم ذابّين عن أبنائنا . أي نُضاربهم بالسّيوف حماية للحريم وذبّاً عن الحوزة .

٤٩ العُصَب جمع عُصْبة وهي ما بين العشرة والأربعين . ثُبين : جمع ثبة . وهي الجماعة .

* أمّا يوم نخشى على أبنائنا وحرمنا من الأعداء ، فتصبح خيلنا جماعات وعُصَباً في كل وجه ، لذبّ الأعداء عن الحرم .

٥٠ الإمْعَان : الإسراع والمبالغة في الشّيء . التّلَبّ : لبس السّلاح .

* وأما يوم لا نخشى على حرمنا من أعدائنا ، فنمعن في الإغارة عليهم ، لابسين أسلحتنا .

٥١ الرّأس : الرئيس والسّيّد .

* نغير عليهم مع السّيّد من هؤلاء القوم ، نهزم به الضعاف والأشداء .

٥٢ التّضَعْضُع : التّكسّر والتذلّل . الوَنى : الفتور .

٥٣ الجَهْل : هنا الطيش والغضب .

* أي لا يغضب علينا ، أيّ من القوم ، لئلا يثيرونا ، فنثب عليهم بأشدّ من غضبهم .

٥٤ القَطين : الخدم . القَيْل : الملك دون الأعظم .

* يخاطب عمرو بن هند ويقول : كيف تطلب منّا أن نكون خدماً لمن ولّيتموه أمرنا من الملوك . أيّ شيء دعاك إلى هذه المشيئة المحالة ؟ يريد أنّه لم يظهر منهم ضعف يطمع الملك في إذلالهم باستخدام قيله إيّاهم .

٥٥ بِأَيِّ مَشِيئَةٍ ، عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ، تُطِيعُ بِنَا الوُشَاةَ ، وَتَزْدَرِينَا

٥٦ تُهَدِّدُنَا وَتُوعِدُنَا رُوَيْداً ، مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينَا

٥٧ فَإِنَّ قَنَاتَنَا يا عَمْرُو ، أَعْيَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ ، قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

٥٨ إذا عَضَّ الثِّقَافُ بها اشْمَأَزَّتْ ، وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونَا

٥٩ عَشَوْزَنَةً إذا انْقَلَبَتْ أَرَنَّتْ ، تَشُجُّ قَفَا المُثَقِّفِ وَالجَبِينَا

٦٠ فَهَلْ حُدِّثْتَ في جُشَمِ بنِ بَكْرٍ بِنَقْصٍ في خُطُوبِ الأَوَّلِينَا

٦١ وَرِثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيْفٍ ، أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ المَجْدِ دِينَا

٦٢ وَرِثْتُ مُهَلْهِلاً ، وَالخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْراً ، نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَا

---

٥٥ * يخاطب عمرو بن هند . ويعجب أن يُؤخذ بما زَوّر له الوشاة عليهم ، وإظهاره الاحتقار لهم غافلا عن قدرهم الحقيقي . والشّاعر ينزع من الأسلوب المباشر إلى التساؤل والتعجّب ، لإثارة القارىء واضفاء الغلوّ والحماسة على معانيه .

٥٦ القُتُوّ : خدمة الملوك .والمَقْتَوُون : خُدَّام الملوك ، مفردها مَقْتَوِيٌّ .

* ترفّق في تهديدنا وإيعادنا . ولا تمعن فيهما ، فمتى كنا خدماً لأمّك ؟ .

٥٧ العرب تستعير للعز اسم القناة .

* إنّ عزّنا يا عمرو ، منيع ، لا يرام ، وقد عجز أعداؤنا عن خفض شوكتنا وإذلالنا .

٥٨ الثّقَاف : الحديدة الّتي يقوّم بها الرّمح . العَشَوْزَنَة : الصّلبة القوية . الزَّبُون : الدفوع .

* جعل القناة الّتي لا يتهيأ تقويمها مثلا ، لعزّتهم الّتي لا تضعضع ، فاذا أخذها الثّقاف لتقويمها ، نفرت من التقويم ولبثت قناة صلبة ، شديدة ، دفوعاً .

٥٩ * إنّ القناة الصلبة ، إذا ما أريد تقويمها تصوت ولا تطاوع الغامز (أي المثقف الذي يحاول ثني القناة) ، بل تشجّ قفاه وجبينه ، كذلك عزّتهم فهي لا تتضعضع لمن رامها ، بل تهلكه وتقهره .

٦٠ * هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء في أمور القرون الماضية .

٦١ الدين : القهر .

* ورثنا مجد هذا الرّجل الشّريف من أسلافنا ، وقد جعل لنا حصون المَجد مباحة قهراً وعنوة .

٦٢ * ورثت مجد مهلهل ومجد الرّجل الّذي هو خير منه ، وهو زهير .

٦٣ وَعَتَّاباً وَكُلْثُوماً جَمِيعاً ، بِهِمْ نِلْنَا تُرَاثَ الأَكْرَمِينا
٦٤ وَذَا البُرَّةِ الَّذي حُدِّثْتَ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنَحْمي المُحْجَرِينا
٦٥ وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعي كُلَيْبٌ فَأَيَّ المَجْدِ إلاَّ قَدْ وَلِينَا
٦٦ مَتَى نَعْقِدْ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ ، تَجُذَّ الحَبْلَ ، أَوْ تَقَصِ القَرِينا
٦٧ وَنُوجَدُ نَحنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَاراً وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينا
٦٨ وَنَحْنُ غَدَاةَ أُوقِدَ في خَزَازَى ، رَفَدنا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدينا
٦٩ وَنَحْنُ الحَابِسُونَ بِذِي أَرَاطَى ، تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُورُ الدَّرِينا
٧٠ وَنَحْنُ الحَاكِمُونَ ، إِذَا أُطِعْنا ، وَنَحْنُ العَازِمُونَ ، إِذَا عُصِينا
٧١ وَنَحْنُ التَّارِكُونَ ، لِمَا سَخِطْنَا ، وَنَحْنُ الآخِذُون ، لِمَا رَضِينا
٧٢ وَكُنَّا الأَيْمَنِينَ ، إِذَا التَقَيْنَا وَكَانَ الأَيْسَرِينَ ، بَنُو أَبِينَا

---

٦٣ وورثنا مجد عتَّاب وكلثوم وبهما بلغنا ميراث الأكارم .
٦٤ ذو البُرَة : من بني تغلب . سُمّي به لشعر على أنفه يستدير كالحلقة .
* ورثنا مجد ذي البرة الذي اشتهر وعرف وحدثت عنه وبمجده . يحمينا وبه نحمي الفقراء والملجئين إلى الاستجارة بغيرهم .
٦٥ * ومنا قبل ذو البرة ، السَّاعي للمعالي كليب ، وأي المجد إلا قد وَلينا ، قرّبنا منه فحزناه .
٦٦ الْجَذّ : القطع . القَص : دق العنق .
* يعمد إلى المفاضلة بين قومه والآخرين من خلال النياق الَّتي يملكونها ، فيقول : إن ناقتهم إذا قرنت بسواها ، قطعت رسنها ، أو دقت عنق القرين ، أي أنهم متى قرنوا بقوم آخرين غلبوهم بالقتال ، ونفروا عنهم ، وأوقعوا بهم .
٦٧ تجدنا أمنعهم ذمة وجواراً وحلفاً ، وأوفاهم باليمين عند عقدها
٦٨ الرِّفْد : الإعانة .
ونحن غداة أوقدت نار الحرب في خزازى ، أعنَّا نزاراً فوق إعانة المعينين ، يفتخر باعانة قومه بني نزار في محاربتهم اليمنيين
٦٩ تَسَفّ : أي تأكل يابساً . الجلّة : الكبار من الإبل . الخُورُ : الكثير الألبان . الدَّرين : ما اسود من النبت وقدم .
٧٢ * كنَّا حُمَاة المَيْمَنَة ، إذا لقينا الأعداء ، وكان إخواننا حماة المَيْسَرة .

٧٣ فَصَالُـوا صَوْلَـةً فِيمَنْ يَلِيهِـــمْ وَصُلْنَـا صَـوْلَةً فِيمَـنْ يَلِينـــا
٧٤ فـآبُـوا بالنِّهَاب وَبـالسَّبَايـــا ، وَأُبْنَـــا بِـالْمُلُـوكِ مُصَفَّدِينـا
٧٥ إِلَيْكُـمْ يَا بَنِي بَكْـرٍ ، إِلَيْكُـمْ أَلَمَّـا تَعْـرِفُـوا مِنَّـا اليَقِينـــا
٧٦ أَلَمَّـا تَعْلَمُـوا مِنَّـا وَمِنْكُـــمْ كَتَائِـبَ يَطَّعِـنَّ وَيَرْتَمِينـــا
٧٧ عَلَيْنَا البَيْضُ واليَلَـبُ اليَمَـانِـي ، وَأَسْيَـافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينـــا
٧٨ عَلَيْنَـــا كُـلُّ سَابِغَـةٍ دِلَاصٍ ، تَرَى فَوْقَ النِّطَـاقِ ، لَهَـا غُضُونا
٧٩ إِذَا وُضِعَتْ عَنِ الأَبْطَـالِ ، يَوْماً ، رَأَيْتَ لَهَـا جُلُـودَ القَـوْمِ جُـونا
٨٠ كَـأَنَّ غُضُونَهُنَّ مُتُـونُ غُـــدْرٍ، تُصَفِّقُهَـا الرِّيَاحُ إِذَا جَرَيْنَـــا

---

٧٣ * فحمل بنو بكر على من يليهم من الأعداء ، وحملنا على من يلينا .
٧٤ النّهاب : الغنائم . الأوْب : الرجوع . التَّصْفيد : التقييد .
* رجع بنو بكر بالغنائم والسَّبايا ، ورجعنا بالملوك مُقَيَّدين ، أي أسرناهم .
٧٥ * ابتعدوا وتنحوا عن مباراتنا يا بني بكر ، أَلَمْ تَعْلَموا من نجدتنا وبأسنا اليقين .
٧٦ * ألم تعلموا خبر كتائب منَّا ومنكم ، يَطَّعِنّ ويَرمي بعضُها بعضاً .
٧٧ اليَلَب : نسيجة من سيور تلبس تحت الخوذة (البيضة) .
* وكان علينا البيض واليلب اليماني . وأسياف تقوم وتنحني لشدة لينها .
٧٨ السَّابِغَة : الدرع الواسعة التَّامَّة . الدلاص . البراقة . الغُضُون : جمع غضن وهو التشنّج في الشَّيء .
* وكانت علينا كل درع واسعة بَرّاقة ، ترى فوق المنطقة لها غضون لسعتها وسبوغها .
٧٩ الجَوْن : الأسود ، والجَوْن الأبيض . من الاضداد ، والجمع : الجُون .
* إذا خلعها الأبطَال ، يوماً رأيت جلودهم سوداً للبسهم إياها مدة طويلة .
٨٠ الغُدْر : جمع غدير . تُصَفِّقُه : تضربه .
* كأن غضونَ متون الدروع الغدران إذا ضربتها الرياح في جريها .

٨١ وَتَحْمِلُنَـا غَدَاةَ الـرَّوْعِ جُـرْدٌ، عُرِفْـنَ لَنَـا ، نَقَائِذَ وَافْتُلينـا

٨٢ وَرَدْنَ دَوَارِعـاً ، وَخَـرَجْنَ شُعْثاً كَـأَمْثَالِ الرَّصائِعِ ، قَدْ بَلِينـا

٨٣ وَرِثْنَـاهُـنَّ عَـنْ آبَـاءِ صِـدْقٍ وَنُورِثُهـا ، إِذَا مُتْنَـا بَنِينـا

٨٤ عَلَى آثَـارِنَـا بِيـضٌ حِسَـانٌ نُحَاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ ، أَوْ تَهُـونا

٨٥ أَخَذْنَ عَلَى بُعُـولَتِهِنَّ عَهْـداً إِذَا لاَقَـوْا كَتَـائِبَ مُعْلِمِينـا

٨٦ لَيَسْتَلِبُـنَّ أَفْـرَاسـاً وَبِيضـا وَأَسْرَى في الحَـدِيدِ مُقَرَّنينـا

٨٧ تَرَانَـا بَارِزِيـنَ ، وَكُـلُّ حَيٍّ قَدِ اتَّخَـذُوا ، مَخَـافَتَنَا ، قَرِينا

---

٨١ الرَّوْع : الفزع والمقصود هنا الحرب . الجُرْد : التي قصر شعر جسدها . النَّقَائذ : المخلَّصات من يد الأعداء . الفُلُوّ : المهرحين يفطم . والإفْتلاء : الفطام .
وتحملنا في الحرب خيلٌ قصيرة الشعر ، عرفت لنا . رَبَّيناها صغيرة . وفطمت عندنا وخلَّصناها من أعدائنا بعد استيلائهم عليها .

٨٢ رَجُل دارِع : عليه درع . الرَّصَائع : جمع الرصيعة وهي عقدة العنان على قُذال الفرس .
* وردت خيلنا وعليها الدروع وخرجت منها شُعثاً قد بليت بَلْيَ عقد الأعنَّة . لما نالها من الكلال والمشاق فيها

٨٣ * ورثنا خيلنا من آباء كرام ، شأنهم الصّدق في الفعال والمقال ، ونورثها أبناءنا .

٨٤ * على آثارنا في الحروب نساء حسان ، نحاذر عليهن أن يسبيهن الأعداء ، فيقتسمونهن بينهم . وكانت تشهد نساءها الحروب وتقيمهن خلف الرجل ، ليقاتل الرجل ذبّاً عن حرمهن

٨٥ * قد عاهدن أزواجهن إذا قاتلوا كتائب من الأعداء ، قد أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها في الحرب ، أن يثبتوا في حَوْمة القتال ولا يفروا منهم .

٨٦ * أي أن نساءهم يأخذن عليهم عهداً بالفتك بالأعداء وسبي أفراسهم ونسائهم واقتيادهم أسرى مصفَّدين بالقيود .

٨٧ * ترانا خارجين إلى الأرض الجرداء من الجبال ، لثقتنا بنجدتنا وشوكتنا . وكل قبيلة تستجير وتعتصم بغيرها ، مخافة سطوتنا عليها .

٨٨ إِذَا مَا رُحْنَ يَمْشِينَ الهُوَيْنَى كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينا

٨٩ يَقُتْنَ جِيَادَنَا ، وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنَا ، إِذَا لَمْ تَمْنَعُونا

٩٠ ظَعَائِنَ مِنْ بَنِي جُشَمِ بنِ بَكْرٍ خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَباً وَدِينا

٩١ وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ ، مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلِينا

٩٢ كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلاتٌ وَلَدْنَا النَّاسَ ، طُرّاً أَجْمَعِينا

٩٣ يُدَهْدُونَ الرُّؤوسَ ، كَمَا تُدَهْدِي حَزَاوِرَةٌ بِأَبْطَحِهَا الكُرِينا

٩٤ وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ ، مِنْ مَعَدٍّ إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِينا

٩٥ بِأَنَّا المُطْعِمُونَ ، إِذَا قَدَرْنا وَأَنَّا المُهْلِكُونَ ، إِذَا ابْتُلِينا

٩٦ وَأَنَّا المَانِعُون ، لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَّا النَّازِلُونَ ، بَحَيْثُ شِيْنَا

٩٧ وَأَنَّا التَّارِكُونَ ، إِذَا سَخِطْنَا وَأَنَّا الآخِذُونَ ، إِذَا رَضِينَا

---

٨٨ * إذا مشين يمشين برفق ، لثقل أردافهن وكثرة لحومهن ، كما تمايل السكارى .

٨٩ القُوت : الإطعام بقدر الحاجة .

* يعلفن خيلنا الجياد ، ويقلن لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيَّانا .

٩٠ المَيْسَم : الحسن .

* هن نساء من هذه القبيلة جمعن إلى جمالهن الكرم والدين .

٩١ * يقول : إن القوم لا يستطيعون منع نسائهم من سَبْي المُغيرين إلا بالقتال الَّذي تطير منه السَّواعد كما تطير القلَّة إذا ضربت بالمقلى .

٩٢ * كأنا عند استلال السيوف من أغمادها ، ولدْنا جميع النَّاس ، نحميهم حماية الوالد لولده .

٩٣ الحَزُور الغلام الغليظ ، الشَّديد .

* يدحرجون رؤوس أقرانهم ، كما يدحرج الغلمان الأقوياء الكرات في منبسط الأرض .

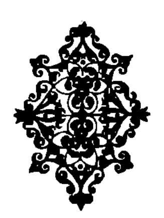
٩٤ * وقد علمت قبائل معد ، إذا بنيت قبابها بواديها الكبير .

٩٥ * أنَّا نُطعم ضيوفنا ممَّا نقدر عليه ونهلك من يقاتلنا .

٩٦ * وأنا نمنع النَّاس ما أردنا منعه إياهم حيث شئنا من بلاد العرب .

٩٧ * وأنا نترك ما نسخط عليه ، ونأخذ إذا رضينا ، نقبل ، الهدايا من الأصدقاء ، ولا نقبلها من الأعداء .

٩٨	وَانَّـا العَـاصِمُــونَ ، إِذَا أُطِعْنَـا	وَأَنَّـا العَـازِمُــونَ ، إِذَا عُصِينا
٩٩	وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَـا المَـاءَ صَفْواً	وَيَشْرَبُ غَيْرُنَـا ، كَدِراً وَطِينا
١٠٠	أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي الطَّمَّـاحِ عَنَّـــا	وَدُعْمِيّـــاً ، فَكَيْــفَ وَجَدْتُمُونا
١٠١	إِذَا مَا المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً	أَبَيْنَـــا ، أَنْ نُقِرَّ الـذُّلَّ فِينا
١٠٢	مَـلأْنَـا البَرَّ حَتى ضَـــاقَ عنَّا	وَمَاءَ البَحْــرِ ، نَمْلَؤُهُ سَفِينـا
١٠٣	إِذَا بَلَغَ الفِطَـــامَ ، لَنَـا صَبِيٌّ	تَخِرُّ لَـهُ الجَبَّـابِرُ ، سَاجِدينـا



---

٩٨ * وأنا نعصم ونمنع جيراننا ، إذا أطاعونا ونعزم عليهم بالعدوان إذا عصونا .

٩٩ * ونأخذ من كل شيء أفضله ، وندع لغيرنا أرذله ، فنحن السَّادة والقادة ، وغيرنا أتباع لنـا .

١٠٠ * سل هؤلاء عنَّا كيف وجدونا في الحرب . أشجعاناً أم جبناء ؟ .

١٠١. الخَسْف : الذل . السَوْم : أن يكلّف بما فيه ذلّة .

* إذا الملك أكره النَّاس على ما فيه ذلّهم ، لم نرض نحن أن نكون أذلاء ونقاد له .

١٠٢ * سيطرنا على الدنيا برّها وبحرها ، فضاق البرّ عن بيوتنا والبحر عن سفننا .

١٠٣ * إذا بلغ صبياننا الفطام ، سجدت لهم الجبابرة من غيرنا ، لأنَّهم أبناء كرماء أقوياء ، ورثوا القوّة والجود عن آبائهم وجدودهم .

وَصْفُ جَيْشٍ وَمَعْرَكَةٍ

وهذه القصيدة ، أيضاً ، تمتاز بما أثر عن عَمْرو بن كلثوم ، من عنجهيَّة في الفخر ، ودقَّة وملحميَّة في وصف الجيش والمعارك :

١ جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ جَنْبَيْ أَرِيكٍ ... إلى القَلَعَاتِ ، مِنْ أَكْنَافِ بَعْرِ

٢ ضَوَامِرَ كالقِدَاحِ ، تَرَى عَلَيْهَا ... يَبِيسَ المَاءِ ، مِنْ حُوٍّ وَشُقْرِ

٣ نَؤُمُّ بِهَا بِلاَدَ بَنِي أَبِينَا ، ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَسَبٍ وَصِهْرِ

٤ تُجَاوِبُ في جَوَانِبِ مُكْفَهِرٍّ ... شَدِيدٍ رَزُّهُ ، كَاللَّيْلِ مَجْرِ

٥ صَبَحْنَاهُنَّ حَرَّابَ بنَ قَيْسٍ ، ... وَجَعْدَةَ مِنْ بَنِي كَعْبِ بْنِ عَمْرِو

٦ كَأَنَّ الخَيْلَ أَيْمَنَ من أُبَاضٍ ... بِجَنْبِ عُوَيْرِضٍ أَسْرابُ دَبْرِ

٧ إذَا سَطَعَ الغُبَارُ خَرَجْنَ مِنْهُ ، ... سَوَاكِنَ بَعْدَ إِبْسَاسٍ وَنَقْرِ

٨ مُجَرَّبَةً ، عَلَيْهَا كُلُّ مَاضٍ ... إلى الغَمَرَاتِ ، من جُشَمِ بْنِ بَكْرِ

---

١ • أريك ، القَلَعَات ، بَعْر : كلها مواضع .

٢ • يشبه الخيل ، لضمورها ، بالسهام ، وهو تشبيه بليغ لدقَّته وإيحائيتّه ، ثم يصف العَرَق الَّذي نضح منها ، ويبس عليها مُظْهِراً من خلال هذه الصورة الحسيَّة سرعة عَدوها ، وقدرتها على الإحتمال .

٣ • إنهم يعودون بهذه الخيل إلى ديارهم ، وهي لا تزال تملك القدرة على سرعة الجري .

٤ الرَّزُّ : الصوت . ألمَجْر : الكثير .

• إن الخيل تصهل وتجاوبها خيل أخر ، في جنب جيش مكفَهِرّ ، لَجِب ، يزحف كاللَّيل . وهذه الصورة تمثل قدرة الشَّاعر على تحويل ما يعتمل في نفسه من حماسة وشعور بالقوة إلى مشهد واقعي ، يُجَسدها تجسيداً نفسياً وفنياً متكافئاً .

٥ • غَشَيْنَا بها صباحاً معاقل الأعداء .

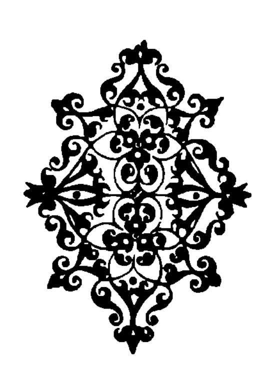
٦ • إن الخيل كثيرة ، توافدت من كل جانب كالنَّحل أمام خلاياه .

٧ • الإبْسَاس : التَّسكين ، والنَّقد بالفم .

٨ • يفخر الشَّاعر بقَومه وبالخيل المُتعَوّدة على دُخول المعَارِك . كما أن على ظهورها كُمَاةً ركبُوا المخاطر .

العِزُّ البَاذِخُ

١	إنَّ للهِ عَلَيْنَا نِعَمـاً ،	وَلأَيْدِينا عَلَى النَّاسِ نِعَمْ
٢	فَلَنَا الفَضْلُ عَلَيْهِمْ بِالَّذي	صَنَعَ اللهُ ، فَمَنْ شَاءَ رَغَمْ
٣	دُونَنَا في النَّاسِ مَسْعىً وَاسِعٌ ،	لا يُدَانِينَا وفِي النَّاسِ كَرَمْ
٤	فَفَضُلْنَاهُمْ بعِزٍّ بَاذِخٍ	ثَابِتِ الأَصْلِ ، عَزِيزِ المُدَّعَمْ



---

١ * إن الله قد أعطانا رزقاً كثيراً ، ونحن نُنعم على النَّاس من جوده .

٢ * لقد هيأ الله لنا أسباب التفضُّل على هؤلاء الناس وهذه مشيئته التي لا تُقْهر .

٣ * لذلك فإن أحداً لن يُدانينا ، ولا يُكْرِمُ مثل كرمنا ، فالجميع دوننا رفعةً وكرماً .

٤ * سَمَوْنا على النَّاس ، بعز وافر ، فائض ، عريق الأصل . ثابت الأركان ، لا يزعزعه عار أو هوان .

نحنُ أَحْمَيْنَا حِمَاهُمْ

١ أَلا يَا مُرَّ والأَنْبَاءُ تَنْمِي عَلامَ تَرَى صَنَائِعَنَا تَصِيرُ
٢ أَلَمْ تَشْكُر لَنَا أَبْنَاءُ تَيْمٍ وَإِخْوَتُهَا اللَّهَازِمُ والقُعورُ
٣ بِأَنَّا نَحْنُ أَحْمَيْنَا حِمَاهُمْ وَأَنْكَرْنَا وَلَيْس لَهُمْ نَكِيرُ
٤ وَنَحْنُ لَيَالِيَ الأَفهَارِ فِيهِمْ يُشَدُّ بِهَا الأَقِدَّةُ والحُصورُ
٥ كَشَفْنَا الخَوْفَ والسَّعَيَاتِ عنهُمْ فَكَيْفَ يَغُرُّهُم مِنَّا الغُرورُ
٦ وَعَبْدُ اللهِ ، ثانية ، دَعَاهُمْ إلى أَرْضٍ يَعِيشُ بِهَا العَسِيرُ

---

١ أراد مُرة بْن كُلْثُوم .

* يخاطب الشّاعر مُرّة بن كلثوم ، ويعجب لتمرّد صنائعهم عليهم . والصَّنيعة : هم القوم الذين لا شأن لهم إلا بمن يقويهم ، ويعضدهم ، ويذب عنهم .

٢ ، ٣ اللَّهَازم : قوم من بكر . القُعُور : حي من تغلب .

* يعدد القوم الّذين ناصروهم ، فانتصروا بهم ، وتعداد الأسماء ، في فخر عَمْرو بن كلثوم يرد في معظم قصائده لأن شعره هو شعر حماسة يرتبط بالواقع ارتباطاً شديداً وليس شعرا تأمُّلياً ، ينظر إلى الأشياء ، من خلال مبدأ عام .

٤ الأفْهار : الأحياء . الأقِدَّة : السيّور من جلد يقيد بها الأسير . — المعنى مع البيت التالي :

٥ * إننا عندما أصيبوا بوهن ، واشتد عليهم الحصار ، أجلينا المعتدين عنهم ، وأنى لهم أن يغرهم الغرور ، فيتكبَّروا ويفخروا علينا ؟

٦ * كما أن عبد الله ، وهو أحد أبْناء قومه ، أقالهم من عثرتهم ، وسعى بهم إلى أراض خَصْبَة ، تفك العسير من عسره ، وتفيض عليه بنعمها .

خَالي وَعَمِي وَأَبِي

يَظهر ، في هذه الأبيات ، حب التفاخر بالأصل وبالأنساء ، وقدذكر الشَّاعر مجد خاله وعمه وأبيه ، ليجْمَعَ لنفسه شرف الأصل من كل جانب :

١ مَا بِـامْـرِىءٍ مِنْ ضُؤْلَـةٍ في وَائِلٍ وَرِثَ الثُّوَيْرَ وَمَـالِكـاً وَمُهَلْهِـلا

٢ خَـالِي بِذِي بَقَرٍ حَمَى أَصْحَـابَهُ وَشَرَى بِحُسْنِ حَدِيثِـهِ أَن يُقْتَلا

٣ ذَاكَ الثُّـوَيْـرُ فَمَا أُحِبُّ بِفَضْلِهِ عِنْدَ التَفَـاضُلِ فَضْلَ قَوْمٍ أَفْضَلا

٤ عَمِيّ الَّذِي طَلَبَ العُدَاةَ ، فَنَالَهَا بَكْراً ، فَجَلَّلَهَـا الجِيَـادَ بِكِنْهِلا

٥ وَأَبي ، الَّذِي حَمَلَ المِئِينَ ، ونَاطِقُ المَعْرُوفِ ، إِذْ عَيَّ الخَطِيبُ المفْصَلا

---

١ ضُؤلَة : ضعف . وَائل ، الثُـوَيْر ، مَالك ، مُهَلْهَل : أسماء قبائل .

٢ ذي بَقَر : موقعة .

* يفتخر الشَّاعر بخاله الَّذي أبلى بلاء حسنًا ، في موقعة ذي بَقَر ، حتَّى أنه طلب الموت في سبيل الأُحْدُوثـة الطيبة ، والذكر الخالد .

٣ الثَوَيْر : هو عَمْرو بن هلال النَّمري .

* يريد ، عندما يتفاخر الفرسان بأنسابهم ، فليس ثَمَّة أعرق أصلا ، وأكرم نسبًا من ثُوَيْر .

٥ * يفخر الشاعر بعمه الَّذي ثأر من أعدائه ، في وقعة كِنْهلا .

٥ * أبي ذو الثَّراء الَّذي يُنْفقه في سبيل الصّلح بين القَوْم ، وهو الذَي يقول الكلام الفصل ، إذا عَيَّ الخطباء .

تَهْدِيدُ عمْرِو بنِ هِنْدٍ

تكثر في القصيدة ، الصور الحسية المفعمة بأجواء الحماسة والقوة والتهديد وعمرو قلّما يعبر بالمعاني ، بل يتوسَّل من دونها بالمشاهد الواقعيَّة والصور الملحميَّة الفاجعة :

١	أَلا مَن مُبلغٌ عَمـرَو بنَ هِنْـدٍ :	فما رُعِيَتْ ذَمَامَةُ مَنْ رَعَيْتـا !
٢	أَتغصِبُ مَـالِكـاً بِـذُنُـوبِ تَيمٍ ؟	لَقَدْ جِئْتَ المَحارِمَ واعتَدَيتـا .
٣	فَلَوْلا نِعْمَـةٌ لِأَبِيـكَ فينـا ،	لَقَدْ فُضَّت قَنَاتُـك ، أَوْ ثَوِيتا .
٤	أَتَنْسَىٰ رِفْـدَنَـا بِعُوَيرِضـاتٍ ،	غَدَاةَ الخَيْلُ تَخفِرُ مَـا حَوَيتا ؟
٥	وَكُنَّـا طَـوْعَ كَفِّـكَ ، يا ابن هِنْدٍ ،	بِنَـا تَرْمي مَحَارِمَ مَنْ رَميتـا .
٦	سَتَعْلَمُ ، حينَ تَخْتَلِفُ العَوَالي ،	مَنِ الحَـامُونَ ثَغْرَكَ ، إن هَوَيْتا ،
٧	وَمَنْ يَغْشَىٰ الحـروبَ بِمُلْهِبـاتٍ	تُهَدِّمُ كُـلَّ بُنْيَـانٍ بَنَيتـا ،
٨	إِذَا جَاءَتْ لَهُـمْ تِسعُـونَ أَلْفـاً	عَوَابِسُهُـنَّ ، وَرْداً أَوْ كُمِيتـا .

---

١ * يخاطب الشَّاعر الملك عمرو بن هند ، مخاطَبَةَ هجاء وتهديد وتعنيف ، وينعي عليه أنَّه لا يرعى ذمَّة اللاجئين إليه ، بل إنَّه يخفرها وينقضها ، وتصيبهم منه الإساءة .

٢ * لقد عاقبت مالكاً بذنب بني تميم ، فأنتهكت الحرمات ، ووصمت بالتجنّي والاعتداء .

٣ * يصرّ الشَّاعر بأن لوالد عمرو بن هند نعماً وأياديَ على قوم الشَّاعر ، وهي الَّتي تمنعهم من مجازاته . ولولاها لحملوا عليه حتَّى تتكسَّر شوكته أو توارى من دونها في التّراب . والتعبير صوريّ ، مجازيّ شديد الحماسة ، كما هو مأثور عن عمرو بن كلثوم .

٤ تَخْفِرُ : تهدم كل ما بنيت .

* يذكره بيوم عُوَيْرِضَات ، تلك المعركة التي لولا وقوفهم فيها من دونه ، لأصابته الهزيمة .

٥ * كنَّا لك يا ابن هند ، درعاً تقيك ضربات الأعداء وجيشاً يغير معك على خصومك .

٦ * عندما يحتدم القتال ، ويشتد الطعان ، ويتفوّق عليك أعداؤك بالعدد والعدّة ، ستعلم عندئذ ، من هم المدافعون لينشلوك من عار الهزيمة .

٧ * وتعلم من يغشى الحرب بالبأس والقوّة ، ليهدم بنيان مجدك وعزتك .

٨ * يصف جيشهم بالكثْرة والقوة ويصوّر شدة بأسهم .

بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِم

بِشْـرُ بْنُ أبي خَـازِم

٠٠٠٠ ـ نحو ٣٢ ق هـ.

هو بِشْرُ بنُ أبي خَازِمٍ ، بن عمرو بن عوف ، بن حميري ، بن أسد ، بن خزيمة . بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار . شاعر جاهلي قديم ، شهد حرب أسد وطيء . وكان بِشْر يهجو أوس بنُ حَارثة الطَّائي ، ويذكر أمَّه سعدى في بعض أهاجيه ، فأسره بنو طيء ، . فاستوهبه أوس منهم ، وكان قد أقسم ليحرقنَّه إن قدر عليه . إلا أن والدته ردعته عن الثَّأر ، واسْتَعْفَتْه عنه ، فَعَفَا ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء ، قصيدة مدح .

وقتل شاعرنا في أحدى الغزوات ، على يد بني صَعْصَعَة ، إذ رماه أحد الغلمان بسهم أصاب منه مقتلا .

وشعر بشر ، سجل حافل بالوقائع والحروب والانتصارات والهزائم المُتَباينة التي كانت تقوم بين القبائل ، وعلى غرار سواه ، نراه يعدد أسماء الأعلام والأماكن والايام ، مُمْعنًا في الجزئيَّات والأعراض ، ويقدم لقصائدة بوصف الأطلال التي يشبهها بتشابيه مأثورة متداولة ، كما أنه يعرض لتجارب الحب ونزعاته وهمومه ، ويصف النَّاقة بأوصافها وألفاظها ، وذلك جميعاً ، قبل أن يتصدَّى لموضوعه الأساسي ، وهو التَّفاخر بمآثر أجداده وأيامهم . ويميل بشر ، غالباً ، إلى تصوير المعارك تصويراً حياً ، متحرِّكاً . وإلى الأجواء الملحمية القانية ، كما يعرض لبعض الأحداث المتعلقة بالأفراد ، ومعظمهم أبطال من بني قومه ، أو أبطال منهزمون من الأعداء . ولا يجد الشَّاعر حرجا في الغلو الجامح ، الدَّاني إلى الأسطورة والمستحيل ، لعظم انفعاله وضعف الحس الواقعي في كـلامـه ، غالبـاً . فهـو إذ يمثـل دمـوع الفراق ، يستعير لها مشهد الدلاء المُنْهمرة لتسْقي الزَّرْع ، وإذ تنعكس معانيه في الهجاء ، لا يعف في غلوائه ، عن إيراد أسماء البهائم الشَّديدة الزراية . وغاية أسلوبه في ذلك كله ، أن يختار من الواقع الَّذي يألفه مشاهد مُوحية ، يعزلُها ويعمّمها ، كرمز للواقع جميعه ، مُثيراً في القاريء الانفعال . وهو يكاد لا يختلف عن سائر الجاهليين ، في ذلك ، إلا ببعض الأعراض الفرديَّة المتَّصلة به أو بقبيلته ، ومن تواقعت معهم في أيام وحروب .

غَزَلٌ وَوَصْفٌ وَتَهْدِيدٌ

صدَّر الشَّاعر قصيدته بحديث عن الطَّيْف ، وعن رحلة صاحبته وقطعها الوصل ، وعمَّا كان بَيْنَهما من ود اتَّصل إلى زمن المشيب .

ثم استعاد ذكريات الصبا واللهو ، ونَعَت خليلته ورضابها ووجهها وشبَّهها بالظبية .

ثم وصف الفلاة المُوحشة ، واختراقه إيَّاهَا بناقة شَبَّهها في سرعتها بثَوْر الوحش .

ثم هدد بني سعد وموالِيَهم ، وفَخَر بقَوْمه ، وكيف أنَّهم فرسان يكادون لا يمشون على أرجلهم لكثرة خَيْلهم ، ثم تَحَدث عن بني حزام ، وكيف أنهم بغوا على بني أسد فأجلاهم هؤلاء إلى الشَّام ، واستقامت أحوالهم ، وخَيَّبُوا بذلك آمال حزام .

١ أَحَقٌّ ما رَأَيْتُ ، أَمِ احتِـــلامُ   أَمِ الأَهْوالُ ، إِذْ صَحْبِي نِيَامُ

٢ أَلا ظَعَنَـــتْ لِنِيَّتِهـــا إِدَامُ ،   وَكُلُّ وِصَـــالِ غانِيَـــةٍ رُمَـــامُ

٣ جَدَدْتَ بِحُبِّهـــا ، وهَزَلْتَ حَتَّى   كَبُرْتَ ، وَقِيــلَ إِنَّــكَ مُسْتَهَامُ

٤ وَقَدْ تَغْنَىٰ بِنَا ، حيناً ، وَنَغْنَىٰ   بِهَـــا ، والـدَّهْـرُ لَيْسَ لَـهُ دَوَامُ

---

١ احتْلاَم : حلم في المنام .

* يتساءل إذا كان ما تراءى له هو حُلْم نوم ، أم أنَّه أبصر أهْوالاً ، فيما كان صَحْبه مُغْرقين في نومهم .

٢ إدام : اسم امرأة . الرُمَام : الخلق البالي .

* يقول : إن صاحبته إدام قد رحلت عنه ، ثم يردف معقباً بالقول : إن الغواني لا يُقْمنَ على عهد ، وإن وصالهن سريع الزوال .

٣ يقول : إنه أحبَّها في شتَّى الأحوال ، جاداً وهازلاً ، ولم يقْوَ على التحرر من حبّها بالرْغم من أن الكبر قد أدركه .

٥ لَيَالِيَ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ ، كَأَنَّ رُضَابَه وَهْنَاً مُدَامُ
٦ وَأَبْلَجَ مُشْرِقِ الخَدَّيْنِ ، فَخْمٍ ، يُسَنُّ عَلَى مَرَاغِمِهِ القَسَامُ
٧ تَعَرَّضَ جَأْبَةِ المِدْرَى ، خَذُولٍ ، بِصَاحَةَ في أَسِرَّتِهَا السَّلَامُ
٨ وَصَاحِبُهَا غَضِيضُ الطَّرْفِ ، أَحْوَى يَضُوعُ فُؤَادَهَا مِنْهُ بُغَامُ
٩ وَخَرْقٍ تَعْزِفُ الجِنَّانُ فِيهِ ، فَيَافِيهِ تَحِنُّ بِهَا السِّهَامُ

---

٥ تَسْتَبِيك : تذهب بعقلك ، تصيركالسَّبْيِ لها . الغُرُوب : أشر في الأسنان . الوَهْنُ ، بعد ساعة من الليل .

* شبَّه فاها عند تغيّر الأفواه بالخمر .

٦ وأبْلَج : أي وبوجه أبلج ، والأَبْلَج : الواضحُ الحَسن . الفَخْم : المكسو من اللَّحم . يُسَنّ : يصبّ . المَرَاغم : الأنف وما حوله . القَسَام : الحُسْن .

* أي تستبيك بفمها ووجهها .

٧ المِدْرَى : القرن . الجَأب : الغليظ . أراد ظبية غليظة القرن . وأنَّها صغيرة لأن قرنها غليظ أوّل ما يطلع ، ثم يدقّ ، إذا كبرت . الخَذُول : الَّتي تتخلَّف عن قطيعها على ولدها . صَاحَة : بلد . الأَسرَّة : بطون الأوْدية . السَّلام : شجر جمعه سلمة ، شجر أونبت .

* تتعرّض لك كالظّبية الفتيَّة المتخلّفة ، عن قطيعها ، لترقب ولدها في وادٍ تكثر في بطونه الحجارة . والتَّشبيه خرج في هذا البيت عن مقتضاه ، لأن دقائق الوَصف الَّذي نماه إلى الظبية ، لا تؤدي إلى أيَّة غاية في الغُلو بجمال المَرأة الَّتي شُبهت بها .

٨ صَاحبُها : يريد ولدها . غَضِيضُ الطَّرْف : فَاترُ العَيْن . الأحْوَى : ما لونه بين الشُّقْرة والكتمة . يَضُوع فُؤادَها : يذهب بقلبها . البُغَام : صوت الظَّبيّ .

* يمعن في الاستطراد بوصف الظَّبية ، فيذكر ولدها وذَوَبَان فؤادِها حبّاً له . إذ تسمع بغامه .

٩ الخَرْق : الفلاة تَنْخَرق فيها الرّيح . صوت تسمعه كصوت الطبل . الجنَّان : الجنّ . تَحنّ : تصوّت . السِّهَام : ريح حادة .

* يشرع في هذا البيت بوصف المفازة ، ويقول : إنّ الجنّ تعزف فيها ، والرّيح الحارة تبعث أصواتَها .

١٠ ذَعَرْتُ ظِبَــاءهــا متغــــورات ، إِذَا ادَّرَعَتْ لَوَامِعهــا الإِكَــامُ

١١ بِذِعْلِبَةٍ بَرَاهــا النَّــصُّ حَتَّــى ، بَلَغْتُ نُضَارَهَــا ، وَفَنَى السَّنَامُ

١٢ كَأَخْنَس نــاشِطٍ ، بَــاتَتْ عَلَيْهِ ، بِحَرْبَةَ ، لَيْلَةٌ فِيهَــا جَهَامُ

١٣ فَبَاتَ يَقُولُ : أَصْبِحْ لَيْلُ ، حَتَّى تَجَلَّى عن صَرِيمَتِهِ الظَّــــلامُ

١٤ فَأَصْبَحَ نَــاصِــلاً منهــا ، ضُحيًّا ، نُصُولَ الدُّرِّ ، أَسْلَمَهُ النِّظَــامُ

١٥ أَلا أَبْلِغْ بَنِي سَعْــدٍ رَسُــولاً ، وَمَــوْلاهُــمْ ، فَقَدْ حُلِبتْ صُرَامُ

١٦ نَسُومُكُــمُ الرَّشَــاد . وَنَحْنُ قَوْمٌ لِتَــارِكِ وُدِّنَا في الحَــرب ذَامُ

---

١٠ ذَعَرْتُ : أفزَعْتُ . مُتَغَوِّرات : قائلات نصف النَّهار . اللَّوامع : السَّراب . الاكام : جمع أكمَة . وادَّرَعَتْ السَّراب . لَبِسَتْه فغطاها .

* ذعرت ظباءها ، إذ ولجتها عند الظّهر ، وقد انتشر السَّراب على اكامها .

١١ الذِعْلِبَة : السَّريعة ، يريد ناقة . النَّصّ : شدة السَّير . نُضَارَها : صلابتها وطبيعتها ، ونضاركلّ شيء خالصه . يعني سار عليها حتى ذهب لحمها ورهلها ورجعت إلى جسمها الأول . فَنَى : لغة طائية في « فني » .

١٢ الأخْنَسَ : المتأخّر الأنف عن الوجه ، وأراد به الثَّور الوحشي . النَاشِط : المملوء نشاطاً . حَرْبَة : موضع . الجَهَام : سحاب قد هرق ماءه .

* يشبِّهها بثور باتت عليه ، وهو بحربة ، ليلة مظلمة من السَّحاب القاتم .

١٣ صَريمتُه : رملته الّتي كان فيها .

* أرادَ أنّ الثَّور لشدّة ما هو فيه ، كأنه يتمنّى ظهور الصّبح .

١٤ نَاصِلاً مِنْها : خارجاً من ليلته ، كما ينصل العقد حين ينقطع خيطهُ .

* ويمثّل الصّباح الخارج من قلب الظّلمة بالدرّ الّذي ينصل عقدُه ، عندما ينقطع خيطُه .

١٥ الصّرام : آخر اللّبن ، إذا احتاج إليه الرَّجل ، وجهد حلبه ، جعله مثلا للحرب . وجعل اللّفظ عَلَماً عليها .

* أبلغ بني سعد ومن والاهم ، بأنّه لم يكن بُدّ من الحرب بيننا وبينكم ، إذ أدْرَكَت المساعي غايتها دون جدوى .

١٦ نَسُومُكُم : نطلب إليكم . الذّام : العيب .

* طلبنا منكم أن تأخذوا بالرّشد ، ونحن قوم لا نحارب إلاّ من ترك ودّنا . وأبى أن يقتنع بما قدمناه له من مُسَالمة .

١٧ فــإذ صَفِرَتْ عُيَــابُ الوُدِّ مِنْكُمْ ، وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَــا فيهــا ذِمَــامُ

١٨ فَــإنَّ الجِزْعَ جِــزْعَ عُرَيْتِنَــاتٍ . وَبُرْقَــةَ عَيْهَمٍ منكُــمْ حَــرَامُ

١٩ سَنَمْنَعُهَــا ، وَإنْ كَــانَتْ بِــلاداً بِهَا تَــرْبُــو الخَــوَاصِرُ والسَّنَــامُ

٢٠ بِهَا قَــرَّتْ لَبُــونُ النَّــاسِ عَيْنــاً ، وَحَــلَّ بِهَا عَزَالِيهَــا الغَمَــامُ

٢١ وَغَيْــثٍ أَحْجَــمَ الرُّوَّادُ عَنْــهُ ، بِهِ نَفَــلٌ ، وَحَــوْذَانٌ تُــؤَامُ

٢٢ تَغَــالَىٰ نَبْتُــهُ ، واعْتَــمَّ ، حَتَّى كَــأَنَّ مَنَــابِتَ العَلَجَــانِ شَــامْ

---

١٧ صَفِرَتْ : خلَت . العُيَاب : جمع عيبة ، وهي الصّندوق أو ما يجعل فيه الثّياب . أراد بعيــاب الودّ : القلوب . الذِمَام : ما حافظت عليه وعُنِيتْ به .

١٨ الجِزع : جانب الوادي . عُرَيْتِنَات : واد . البُرْقَة : الرّملة يخلطها حصى . عَيْهَم : مكان .

* يقول : إذ لم يكن بَيْنَنَا وبينكم ودّ ، منعناكم الرّعْي في هذه المواضع .

١٩ تَرْبُو : تعظم وتنتفخ ، يعني الإبل .

* ويقول : سنمنع إبلكم أن ترعى في هذه المواضع . وإن تكن أرضاً خصبة تسمن بها الإبل .

٢٠ اللَّبون : ذات اللَّبن . جعلها ههنا جمعاً ولفظها لفظ الواحد . العَزَالي : جمع عزلاء وهو فم المزادة الأسفل حيث تُرْبط . يقال للسحابة ، إذا انهمرت بالمطر الجود : « حلَّت عزاليها » . الغَمَام : جمع غمامة .

* يصف تلك المواضع بالخصب ، وأنها تدرّ اللَّبن ، وتنهمر عليها الأمطار الغزيرة .

٢١ أحْجَمَ الرُّوّاد عَنْهُ : لمنع أهله إيّاه . النفَل والحوذَان : نوعان من النَّبْت . تُؤام : ينبت ثنتَيْن لكثرة الغَيْث .

* يصف مكاناً مُمْرِعاً لم تَرْتَدْه الأرْجُل وتشوّه معالمه ، تكثر فيه أنواع النَّبات من نفل وحوذان كثير النموّ .

٢٢ تَغَالَى : طال وكثر . اعْتَمّ : التفّ . العَلَجَان : نبت . شَام : بَيّن ظاهر وكثير . فهو من كثرته وسواده ، كأنّه شام ، والشام جمع شامة .

* يستكمل وصف ذلك المكان . ويقول : إن نباته استطالَ وتعاظَم ، فبدا نبات العَلَجَان فيها وكأنّه شامات .

٢٣ أَبَحْنَاهُ بِحَيٍّ ذِي حِلَالٍ ، إِذَا مَا رِيعَ سَرْبُهُمُ أَقَامُوا

٢٤ وَمَا يَنْدُوهُمُ النَّادِي ، ولٰكِنْ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ مِنْهُمْ فِئَامُ

٢٥ وَمَا تَسْعَىٰ رِجَالُهُمُ ، ولٰكِنْ فُضُولُ الخَيْلِ مُلجَمَةٌ ، صِيَامُ

٢٦ فَبَاتَتْ لَيْلَةً ، وأَدِيمَ يَوْمٍ عَلَى المِمْهَىٰ يُجَزُّ لَهَا الثَّغَامُ

٢٧ فَلَمَّا أَسْهَلَتْ مِنْ ذِي صَباحٍ ، وَسَالَ بها المَدَافِعُ والإِكَامُ

٢٨ أَثَرْنَ عَجَاجَةً ، فَخَرَجْنَ مِنْهَا ، كَمَا خَرَجَتْ مِنَ الغَرَضِ السِّهَامُ

٢٩ بِكُلِّ قَرَارَة من حَيْثُ جَالَتْ ، رَكِيَّةُ سُنْبُكٍ فِيهَا انْثِلَامُ

---

٢٣ أَبَحْنَاه : جعلنا ذلك الحمى مُبَاحاً . الحِلَال : الجَمَاعات من البيوت ، واحدتها حلّة . رِيعَ : أفزع . سَرْبُهُم : أي إذا فزعت إبلهم أقاموا لعزّهم .

* يقول : إنَّهم نزلوا وأقاموا فيه ، بالرّغم من حماته ، فاستحلّوه ، لعزّتهم ومناعتهم .

٢٤ مَا يَنْدُوهُمُ النَّادِي : ما يَسَعُهم المَجْلِس لكثرتهم . الفِئَام : الجماعات .

* يصف كثرتهم ، ويقول : إن المجالس تضيق عنهم ، ويلبثون مُتَفَرّقين في كلّ مكانٍ لحشدهم الكبير .

٢٥ الصَّائِمُ منَ الخَيْل : القائم السَّاكت الَّذي لا يطعم شيئاً استعداداً للقتال .

* يقول : لا يمشون على أرجلهم ، ولكن لهم فضول خيل معدة للقتال يركبونها .

٢٦ أدِيمَ يَوْم : يعني صدر النَّهار . المِمْهَى : إسم موضع . الثَّغَام : نبت أبيض الزّهر والثمر .

* أي أنها أقامت ليلة وبعض نهار في موضع المِمْهَى ، يجمّ لها الثَّغام لتُعلَفَ به .

٢٧ أسْهَلَتْ : صارت إلى السَّهل . ذو صَبَاح : موضع . المَدافِع الماء إلى الرِّياض والأودية .

٢٨ الغَرَض : الهدف .

* يصف زحف الخيل وإثارتها للغبار وخروجها منه ، كما تخرج السِّهام من الهدف بعد أن تصيبه .

٢٩ القَرَارَة : ما اطمأن من الأرض . السُنْبُك : مقدم الحافر . وركِيتّه : أثره في الأرض . وأصله البئر .

* يصف في البيت كثرة الخيل التي تدفقت في تلك الأمكنة ، ويقول : تكاد لا تقع فيها على موضع ، إلاّ وقد خلَّفت الخيلُ فيه آثار أقدامها .

٣٠ إِذَا خَرَجَتْ أَوَائِلُهُـنَّ شُعْثـاً، مَجَلِّحَـةً ، نَوَاصِيهَـا قِيَـامُ

٣١ بِأَحْقِيهَـا المُـلاءُ مُحَزَّمَـاتٌ ، كَـأَنَّ جِـذَاعَهَـا أُصُـلاً جِـلَامُ

٣٢ يُبَـارِينَ الأَسِنَّـةَ ، مُصْغِيَـاتٍ ، كَمَا يَتَفَـارَطُ الثَّمَـدَ الحَمَـامُ

٣٣ أَلَم تَـرَ أَنَّ طُـولَ الـدَّهْرِ يُسْلِي ، ويُنْسِي مِثْلَ مَا نُسِيَتْ جُـذَامُ

٣٤ وكـانُـوا قَـوْمَنَـا ، فَبَغَوْا عَلَيْنَا فَسُقْنَـاهُـمْ إلى البَلَـدِ الشَّآمِي

---

٣٠ التَّجْلِيح : الإقدام على العدو. النَّوَاصِي : مقدمة الشعر في الرأس . نَوَاصِيَها قِيامُ : أي من الشَّعْث والنَّشاط وشدة العَدْو .

* يقول : إذا خرجت تلك الخيول ، نازعة إلى العدو ، بدت نواصيها منتصبة من شدة العزم والنشاط .

٣١ بأحْقِيهَا : الأحْقي : جمع حقو ، وهو معقد الإزار. المُلاَء : جمع ملاءة : الإزار. جذَاع : جمع جذع وهو الفرس في الثالثة من عمره : أُصُلاً : جمع أصيل . جلام : جمع جلم وهو الجدي .

* يقول : إنّ تلك الخيول قد شُدت عليها المـلاء وَحزمَتْ بطونُها بها ليشتدّ صلبها ، ثم شبَّه جذاعها عند الأصيل بالجداء . لنشاطها وقوتها .

٣٢ يُبَارَيْن : أي تباري الخيل أسنَّة راكبيها بخدودها ، مُصْغِيَات : مميلات رؤوسها إذا اشتدّ عدوها . الثَّمَد : الماء القليل . يَتَفَارَطُه الحَمَام : يتسابق الحمام إليه .

* يقول : إنّ الخَيْل تسابق أسنَّة الرّماح التي يحملها الفوارس أو أسنَّة النبال بخدودها ، تميل عنقها في اندفاعها ، كما يتسابق الحمام في الماء القليل .

٣٣ جُذَام : قبيلة .

* يقول : إنّ الدّهر يأتي على كل شيء ويغشاه بالنسيان كما غشى قبيلة جُذَام .

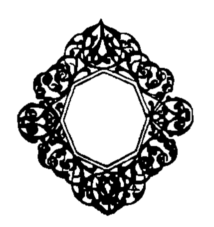
٣٤ قال الأصمعي : لَمَّا قال بِشْر هذا البيت ، قال له سُوادة ابن أخيه ، أقْوَيت ، ففهم فلم يعد .

٣٥ وَكُنَّا دُونَهُمْ حِصْناً ، فَحصِناً ، لَنَا الرَّأْسُ المُقَدَّمُ والسَّنَامُ

٣٦ وقالُوا : لَنْ تُقِيمُوا إنْ ظَعَنَّا ، فَكَانَ لَنَا ، وَقَدْ ظَعَنُوا مُقَامُ

٣٧ أَثَافِيَ مِنْ خُزَيْمَةَ رَاسِيَاتٍ ، لَنَا حِلٌّ المَنَاقِبِ والحَرَامُ

٣٨ فَإِنَّ مَقَامَنَا نَدْعُو عليكم ، بِأَبْطَحَ ذي المَجَازِ لَهُ أَثَامُ



---

٣٥ * حاربْنَا من دونهم وكنا حصْناً لهم ، لنا الفضل والمكانة الأولى .

٣٦ * وهددوننا بأن يمنعونا من الإقامة ، بعد رحيلهم ، فأقمنا قسراً عنهم .

٣٧ المَنَاقب : الطّرق . وضرب الأثافي مثلا ، يقول : نحن ثلاث قبائل كالأثافي ، يعني قريشاً وأسداً وكنانة ، فالعزّ يستوي بيننا والشّرف ، استواء القدر المنصوبة على ثلاث أثاف .

* يقول : حاول أعداؤنا أن يمنعونا عن الإقامة ، فأقمنا كأثافي خزيمة الرّاسية الثّابتة الّتي لنا منها شرف المناقب .

٣٨ الأبْطَح : بطن الوادي تخلطه حصى . ذو المَجَاز : سوق من أسواق العرب . لَهُ : للدعاء الّذي في « ندعو » . الأثَام : عقوبة الإثم .

لِمَنْ الدِّيَارُ

قال بِشْر هذه القصيدة يفخر فيها بقومه ، ويذكر إيقاعهم ببني تميم . وهو يستهلّها بوصف الطّلل ويشبّه ما تبقى من آثاره بالأفعى المرقّشة ، ويذكر الرّيح والنُّؤْيَ وحبيبته البيضاء الفتيّة الّتي كانت تُقيم فيها والّتي صرمته . إثر سماعها لكلام الوشاة فيه ، مخلّفة في نفسه الحسرة والصّبابة . وينتقل في مقطع ثان إلى ذكر تروّحه عن همومه بناقة قوية شبيهة بالحمار الوحشي . وبعد أن يصف سيرَها ، ينزع ، فجأة ، إلى مخاطبة بني تميم وتعييرهم بانكسارهم في يوم النّسار ، ويفخر بانتصارهم عليهم في معارك يصفها بأحداثها ، مُغالياً بقوّة بني قومه وهوان أعدائهم ، معدداً أسماء الأبطال الّذين صرعوهم منهم :

١ لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بالأَنْعُمِ ، تَبْدُو مَعَارِفُهَا ، كَلَوْنِ الأَرْقَمِ

٢ لَعِبَتْ بها رِيحُ الصَّبَا فَتَنَكَّرَتْ إلاَّ بَقِيَّةَ نُؤيِهَا المُتَهَدِّمِ

٣ دَارٌ لِبَيْضَاءِ العَوَارِضِ ، طَفْلَةٍ مَهْضُومَةِ الكَشْحَيْنِ ، رَيَّا المِعْصَمِ

٤ سَمِعَتْ بِنَا قِيلَ الْوُشَاةِ فَأَصْبَحَتْ صَرَمَتْ حِبَالَكَ فِي الْخَلِيطِ المُشْئِمِ

---

١ غَشِيتُها : أتيتها . الأنْعُم : إسم موضع . معارِف الدّار : آثارها . الأرْقَم : الأفعى المرقّشة . يتساءل عن الأطلال التي ألمّ بها في موضع الأنعم ، والتي تبدو معالمها مرقّشة كالأفعى .

٢ رِيح الصَّبا : ريح الشّمال . تَنَكَّرتْ : أي تغيَّرت فلم تعد معروفة . النُّؤْي : حفرة حول الخَيْمَة أو الخباء ، تمنع دخول ماء المطر أو السيل إليها .

* أي أن الرّياح تداولتها ، ولم يَبْقَ منها إلاّ النّؤي الّذي كانوا قد احتفروه حول خيامهم .

٣ العَوَارِض : جوانب الفم من الأسنان . الطَّفْلَة : الغضّة اللّينة . مَهْضُومَة الكَشْحَيْن أي الضّامرة ، الرقيقة الخصر . رَيَّا : ممتلئة .

* أي إن تلك الديار كانت تقطنها فتاة بيضاء العوارض ، صبيّة ، ضامرة الخَصْر ، مُمْتَلِئة المِعْصم .

٤ صَرَمْتَ حِبَالَكَ : أي قطعت علاقتها بك . الخَلِيط : الصَّديق أو العشير . المشئم : الآخذ ذات الشمال يعني الشام .

* يقول : إنّها عندما سمعت ما قاله الوشاة عنه ، قطعت صلتها به .

٥ فَظَلِلْتَ من فَرْطِ الصَّبابةِ ، والهَوَىٰ طَرِفاً فُؤَادُكَ ، مثلَ فِعْلِ الأَهْيَمِ

٦ لَوْلا تُسَلِّي الهَمَّ ، عنكَ بِجَسْرَةٍ عَيْرَانةٍ ، مثلِ الفَنِيقِ المُكْــدَمِ

٧ زَيَّافَةٍ بالرَّحْلِ ، صَادِقَــةِ السُّرَىٰ خَطَّارَةٍ ، تَهِـصُ الحَصَىٰ بِمُثَلَّمِ

٨ سَائِلْ تَمِيماً ، في الحُروبِ وَعَامِراً وَهَلِ المُجَرِّبُ ، مِثْلُ مَنْ لم يَعْلَمِ

٩ غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَــامِرٌ يَوْمَ النِّسَارِ ، فَأُعْقِبُوا بالصَّيْــلَمِ

---

٥ فَرْطُ الصَّبَابَة : شدة الشَّوق . طَرِفاً فؤادك : لا يثبت على شيء . الأهْيَم : البعير الَّذي أصابه الهيام . وهو داء يصيب الإبل فيجعلها شديدة الظمأ . والأهيَم والهائم : الحائر ، الهائم على وجهه من جنون العشق .

* يقول : إنَّه لشدة ما تَوَلَّهَ بها أصبح حائراً هائماً على وجهه .

٦ الجَسْرَة : النَّاقة القويَّة الضَّخمة . عَيْرَانَة : يريد أنَّها كالعير في سيرها ونشاطها . العَيْر : الحمار الوحشي . الفَنيق المُكَدَم : الفحل الغليظ .

* يدعو نفسه للتَّروّح عن همومه بناقة قوية ، ضخمة كالحمار الوحشي ، الغليظ .

٧ زَيَّافَة بالرَّحْل : اي تسرع وتميل به لنشاطها وسرعتها . صَادقَة السُّرى : أي مُجِدَة في سراها ، والسُّرَى ، المشي ليلاً . الخَطَّارَة : الَّتي تخطر بذنبها ، أي تضرب به يُمْنَةً ويُسْرة . تَهِصُ الحَصَى : أي تطأ الحصا وتكسره . المُثَلَّم : أراد به مِنْسَم النَّاقة الَّذي ثلمته الحجارة ، فصَلُب وَقَسَا .

* يقول : إنّ تلك النَّاقة تُسْرع في نشاطها ، متمايلة ، وتجدّ فيه ، ليلا ، ضاربة بذنبها يمنة ويسرة ، تحطِّم الحصى بمنسمها .

٨ * إسأل حين تقع الحرب تميماً وعامراً ، وهل يستوي المجرِّب فيها وغَيْر المجرّب .

٩ الصَّيْلم : الداهية من الصّلم : أي القطع . أعقبوا بالصَّيْلَم : أي لاقوا منهم ما هو أشد وأدهى .

* يشير في هذا البيت إلى يوم الجِفار الذي قتلت فيه بنو تميم ، والى أنّ بني أسد وأحلافها أوقعوا ، يوم النِّسار ، بعامر وتميم ففرّت بنو تميم وثبتت بنو عامر ، فأصابهم قتل شديد ، وعندما جاءت تميم لتأخذ ثأرها وتنجدهم ، لقيت من بني أسد ما هو أشدّ وأدهى .

١٠ كُنَّا إذَا نَعَرُوا لِحَرْبٍ نَعْرَةً ، نَشْفِي صُدَاعَهُمُ بِرَأْسٍ مِصْدَمِ
١١ نَعْلُو القَوَانِسَ بالسُّيوفِ وَنَعْتَزِي ، وَالْخَيْلُ مُشْعَلَةُ النُّحُورِ مِنَ الدَّمِ
١٢ يَخْرُجْنَ منْ خَلَلِ الغُبَارِ ، عَوَابِساً خَبَبَ السِّبَاعِ ، بِكُلِّ أَكْلفَ ضَيْغَمِ
١٣ من كلِّ مُسْتَرْخِي النِّجَادِ ، مُنَازِلٍ يَسْمُو إلى الأَقْرانِ ، غَيْرِ مُقَلَّمِ
١٤ فَفَضَضْنَ جَمْعَهُمُ ، وأَفْلَتَ حَاجِبٌ تَحْتَ العَجَاجَةِ ، في الغُبَارِ الأَقْتَمِ
١٥ وَرَأَوْا عقَابَهُمُ المُدِلَّةَ ، أَصْبَحَتْ نُبِذَتْ بأَفْضَحَ ذِي مَخَالِبَ جَهْضَمِ

١٠ نَعَرُوا : صاحوا . الرَّأس : القوم ذووالعدد الكثير . المِصْدَم : الشَّديد الذي يصدم ما أصابه أي يكسره ويرده .

* يقول : إنهم كانوا إذا تصدوا لنا في حربٍ ، نحمل عليهم ونثيبهم إلى وعيهم بشدّة الهول الذي يلقونه منا .

١١ القوانس : جمع قونس وهووسط الخوذة ، الَّتي تلبس على الرأس في الحروب . نَعْتَزِي : ننتسب ، والإعْتِزَاء : الانتساب إلى الأب . مُشْعَلَة : ملتهبة أومصبوغة بالاحمر .

* يصف كرّهم على الأعداء بسيوفهم التي يهوون بها على الرؤوس ، وقد علت أصواتهم بالفخر وامتلأت صدور الخيل بالدماء .

١٢، ١٣ خَبَبَ السِّبَاع : ركض السّباع ، والخَبَبَ نوع من العدو . الأَكْلَف : الَّذي يخالط بياضه سواد . الضَيْغَم : الأسد . النّجَاد : حمائل السيف ، مُسْتَرخي النِجَاد : كناية عن طول القامة . يَسْمُو : يرتفع . الأَقْرَان : جمع قرن وهو الكُفْء والنظِير أو النّد . المُقَلَّم : غير تام السّلاح .

* يقول : إن هذه الخيول ، تخرج من بين الغبار ، وكأنَّها الأسُود ، ثم يصف أولئك الفرسان بطول قامتهم ، وهم مُدَجَّجُون بالسّلاح .

١٤ فَضَضْنَ جَمْعَهُم : أي فَرّقْنَ جمعهم . حَاجب : هو حاجِب بن زِرارة وكان رئس بني تميم في يوم الجِفار . الأَقْتَم : الأسود .

* يقول : إنَّهم فرّقوا جموعهم ، فيا نجا حاجب بنفسه والغبار الكثيف يكسوه .

١٥ العُقَاب : أيّ الرّاية التي يقاتلون تحتها . المُدِلّة : أي أن أصحابها مدلّون على الأقران بكثرتهم . نُبِذَتْ : أي رميت وألقيت على الأرْض . بأضْخَم : أي بأسدٍ أضخم ، وهو الغَليظُ الرّقَبة . الجَهْضَم : القويّ ، الشَّديد .

* شَبَّه جيش قومه ، بالأسد لقوتهم وبأسهم ، وقال : إنّ راية بني تميم ، قد ألقيت على الأرض .

١٦ أَقْصَدْنَ حُجْراً قَبْلَ ذلكَ . والقَنَا شُرُعٌ إِلَيْهِ . وقد أَكَبَّ عَلَى الفَمِ

١٧ يَنْوِي مُحَاوَلَةَ القِيَامِ ، وقد مَضَتْ فِيهِ مَخَارِضُ كلِّ لَدْنٍ لَهْذَمِ

١٨ وَبَنِي نُمَيْرٍ قد لَقِينا منهمُ خَيْلاً تَضِبُّ لِثَاتُهَا لِلْمَغْنَمِ

١٩ فَدَهَمْنَهُمْ دَهْماً بِكُلِّ طِمِرَّةٍ ، ومُقَطِّعٍ حَلَقَ الرِّحَالَةِ ، مِرْجَمِ

٢٠ ولقد خَبَطْنَ بَنِي كِلاَبٍ خَبْطَةً ، أَلْصَقْنَهُمْ بِدَعَائِمِ المُتَخَيَّمِ

---

١٦ أقْصَدنَ حُجْراً : أي رموه فقتلوه . وحجر هو ابن الحارث ، أحد ملوك كندة . وهو أبو امرئ القيس الشَّاعر . القَنَا شُرُعٌ إليه : أي مسدّدة نحوه .

* يقول : إن تلك الخيل ألقت بحجر الكندي أرضاً . وأجهزت عليه . فما كانت الرماح مصوبة إليه ، وقد أكب على فمه ، متعفّراً في التراب .

١٧ المَخَارِص : الأسنَّة . اللَّدن : اللّيِّن . اللَّهْذم : أي حديد الرَّمح .

* يقول : إنه كان ينوي النهوض ، فلم يقدر ، وقد نفذت فيه الرّماح .

١٨ الخَيْل : يريد بها الفرسان . تَضِبّ : أي تسيل وتقطر . تَضِبّ لِثَاتُها ، من قولهم : جاء تضبّ لثّته ، وهو مثل يضرب في شدّة الحرص على الأمر . ويقصد من قوله هنا : أنهم جاؤوا تضب لثاتهم طمعاً في الغنيمة .

* يقول : إنَّهم أقبلوا عليهم ، فجأة بخيلهم الشَّديدة الوثوب الَّتي تكاد أن تقطع حلق رحالتها لشدتها ، والَّتي تخلِّف أقدامها آثارها على الأرض من شدّة وطأتها .

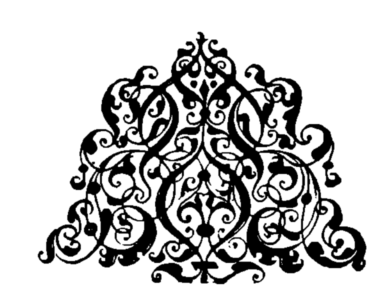
١٩ دهَمْتْهُم : أي الخيل : غشيتهم وفجأتهم . الطِّمِرَّة : الفرس الوثوب . الرِّحَالَة : سرج من جلود . مُقَطِّعُ حَلَقَ الرِّحَالَة : أي أنه لشدّة وثبه يقطع حلق الرحالة . المِرْجَمْ : الفرس الشَّديد وقع الحافر .

٢٠ بَنُو كِلاَب : حي من بني عامر بن صعصعة . المُتَخَيَّم : موضعهم الَّذي خيَّموا أو أقاموا خيمهم فيه .

* يقول : كررنا عليهم حتَّى هزمناهم ، وألصقناهم بأعمدة بيوتهم .

٢١ وَصَلَقْنَ كَعْباً قَبْلَ ذلِكَ صَلْقَةً، بِقَناً تَعَاوَرَهُ الأكفُّ مُقَوَّمِ

٢٢ حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ، مَكْرُوهَةٍ حُسُوَاتُهَا كَالعَلْقَمِ



---

٢١ كَعْب : حي من بني عامر بن صعصعة . صَلقْن : أي أوقعن بهم وقعة لها صوت ودوي .
القَنَا : الرّمح . المُعَاوَرَة : الضَّرب المتلاحق . المُقَوَّم : صفة للرّمح ، مثقف ومستقيم .

٢٢ الحُسُوات : جمع حسوة وهي الجرعة .

* أي ألحقنا بهم الضَّيم والذل .

نظم الشّاعر هذه القصيدة ، مفتخراً بانتصارهم في يوم النّسار ، استهلّها بذكر الفراق ، ووصف الدموع وشبَّهها بماء القرب ، ومـال بعدئذ إلى التفاخر ، ووصف بطشهم بالأعداء ، وسوقهم أسرى كالكلاب ولحوهم كالعصا ، واستحلال نسائهم :

١ عَفَتْ مِنْ سُلَيْمَىٰ رَامَةٌ ، فَكَثِيبُهَا ، وَشَطَّتْ بِهَا عنكَ النَّوى ، وشُعُوبُهَا

٢ وَغَيَّرَها مَا غَيَّرَ النَّاسَ قَبْلَهَـا ، فَبَانَتْ ، وحَاجَاتُ الفُؤادِ تُصِيبُهَا

٣ أَلَمْ يَأْتِها أَنَّ الدُّمُوعَ نُطَافَـةٌ ، لِعَيْنٍ يُوَافِي في المَنَام حَبِيبُهَـا

٤ تَحَدَّرُ مَاءِ الغَرْب عَن جُرَشِيَّةٍ ، عَلَى جِرْبَةٍ تَعْلُو الدِّبارَ غُرُوبُهَـا

٥ بِغَرْبٍ ومَرْبُوعٍ وعَودٍ تُقِيمُـهُ ، مَحَالَةُ خُطَّـافٍ ، تَصِرُّ ثُقُوبُهَا

---

١ عَفَتْ : درَست . رَامَة : بلد . شَطَّتْ : بعدت . النَّوى : نيّة السفر والبُعد . الشُّعُوب : جمع شعب ، وهو القبيلة أو البلد الذي شَعَبَ إليه أي ذهب .

* خلت من سُليمى الرّامة وكثيبها ، وأبعدها عنك الفراق ، ونزحت إلى بلد آخر .

٢ تُصِيبُها : تُريدها ، من قول الله عزّ وجل : « رُخاء حيث أصاب » ، أي حيث أراد .

* لقد بدل عواطفها الدَّهْر ، كما بدَّلَ عواطف النَّاس قَبلَها ، فنأتْ وما زال القلب يصبو إليها ويريدها .

٣ نِطَافَة : سائلة ، نَطَفَ الشَّيء : إذا سال .

* ألم تُدرك أنّ الدموع تُقَرِّحُ عين امرئٍ يوافيه طيفُ حبيبته في المنام .

٤ الجُرَشيَّة : ناقة منسوبة إلى جُرَش ، وهي أرض باليَمَن ، وأهْلُها يستقون على الإبل . الجِرْبَة : المزرعة . الدِّبار : جمع دبرة ، وهي القطعة من المزرعة . الغُروب : جمع غرب ، وهي الدّلْو الضخمة .

* يقول : ينهمر الدمع ، كما يتحدَرُ الماء الّذي تحمله النّاقة الجُرَشِيَّة ، في دلو سقى بها المزارع

٥ المَرْبُوع : حبل فتل على أرْبع قوى . العُود : المعترض المِحْوَر . المَحَالة : البَكَرَة . الخَطّاف : الحديد الّذي في جانبيها .

* يصف الدلو والحبل الّذي أوثقت به على النّاقة والبكرة الّتي تَصِرّ ثقوبها صريراً .

٦ مُعَالِيَــةً ، لاَ هَمَّ إلاَّ مُحَجَّــرٌ، وحَرَّةُ لَيْلَى السَّهْلُ مِنْهَــا ولُوبُهَــا

٧ رَأَتني كأُفْحُــوصِ القَطَــاةِ ، ذُؤَابَتِي وما مَسَّهَــا مِن مُنْعِمٍ يَسْتَثِيبُهَــا

٨ أَجَبْنَا بَنِي سَعْدِ بْنِ ضَبَّةَ ، إذْ دَعَوْا ، وللهِ مَوْلَى دَعْــوَةٍ ، لاَ يُجِيبُهَا

٩ وَكُنَّا إذَا قُلْنَا : هَوَازِنُ أَقْبِــلِي ، إلى الرُّشْدِ ، لم يأْتِ السَّدادَ خَطِيبُها

١٠ عَطَفْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ مِنَ المَلاَ بِشَهْبَاءَ ، لاَ يَمْشِي الضَّرَاءَ رَقِيبُها

---

٦ مُعَالِيَة : يريد أنَّها تقصد العَالِيَة ، رجع إلى ذكر المرأة ، أي شطَّت معالية . لا هَمّ : أي لا همّ لها . مُحَجَّر : موضع . اللُّوب : جمع لوبة . وهي الحَرَّة ، وهي اللابة أيضاً وجمعها لاب .

* تتَّجه تلك المرأة ، إلى موضع المحجَّر ، ولا همّ لها إلاّ الوصول إليه .

٧ يريد أنَّه صلع حتى صار رأسه كأفْحُوص القَطَاة ، وذلك أنَّها تفحص الأرض فتبيض ، فيقول : لم يكن ذهاب شعري لأنّي أسرت ، فجزت ناصيتي على طلب الثَّواب ، وكذلك كانوا يفعلون ، إذا أسر أحدهم رجلاً شَريفاً جزّ رأسه ، أو فَارِساً جزّ ناصيته ، وأخذ من كنانته سهماً ، ليَفْخر بذلك .

٨ مَوْلَى دَعْوَة : أي صاحب دَعْوة لا يجيب إذا دعي . قال : « لله » وهو ههنا ذمّ ، كأن يقول : وبئس من .

* استَجَبْنَا لدعوة بني ضبَّة ، إذ دعونا . وبئس من يدعى إلى النَّجدة ولا يستجيب .

٩ السَّدَاد : القصد والصَّواب في الأمر .

* وكنَّا إذا دعونا هوازن إلى التعقل والرشد ، ضلّ أصحاب الرّأي فيها ، ولم ينصحوها بسداد ، فلم تَسْمَع دعوتَنا .

١٠ أي عَطَفْنَا لَهَم بمكرُوه وَشَر . الضَّرُوس ههنا : الحرب الشَّديدة ، وهو تمثيل بالنَّاقة السيّئة الخلق . المَلاَ : مقصور في الصَّحراء . الشَّهْبَاء : الكتيبة التي علتها ألوان الحديد . الضَّرَاء : ما واراك من شجر ، وفلان يمشي الضَّرَاء : إذا مشى مستخفياً فيه . الرّقِيب : النَّاظر . يقول : لا نَخْتُل ولكنَّا نُجَاهر .

* يمثّل هجومهم على الأعداء بجيش متدرّع ، لا يستخفي رقباؤه ، بل يعالنون أنفسهم لثقتهم بقوة جيشهم .

١١ فَلَمَّا رَأَوْنا بالنِّسَارِ ، كأنَّنا نَشاصُ الثُّرَيَّا ، هَيَّجَتْها جَنُوبُها

١٢ فكانُوا كَذَاتِ القِدْرِ ، لم تَدْرِ إِذْ غَلَتْ ، أَتُنْزِلُها مَذْمُومَةً ، أَمْ تُذِيبُها

١٣ قَطَعْنَاهُمُ ، فباليَمَامَةِ فِرْقَةٌ ، وَأُخْرَى بأَوْطَاسٍ تَهِرُّ كَلِيبُها

١٤ نَقَلْنَاهُمُ نَقْلَ الكِلاَبِ جِراءَها ، على كلِّ مَعْلُوبٍ يَثُورُ عَكُوبُها

١٥ لَحَوْنَاهُمُ لَحْوَ العِصِيِّ ، فَأَصْبَحُوا على آلَةٍ يَشْكُو الهَوَانَ حَرِيبُها

١٦ لَدُنْ غُدْوَةً حتى أَتَى اللَّيْلُ دونَهُمْ ، وأَدرَكَ جَرْيَ المُبقِيات لُغُوبُها

---

١١ النِّسَار : موضع . نَشَاص الثُّرَيَّا : ما ارتفع من السَّحاب بنَوْئِها ، شبَّه الكتيبَّة في كثرتها بهذا السَّحاب . جَنُوبُها : الهاء ترجع إلى الثريا ، فاذا كان مع السَّحاب ريح ، كان أكثر له ، لأنَّ الجنوب تُؤلب السَّحاب .

* يقول : إنهم لما ألفوهم في موضع النّسار ، بحشودهم العديدة المترامية كالسَّحابة الَّتي تعصف بها ريح الجنوب ، فتضاعف من امتدادها وتكاثرها .

١٢ فَكَانُوا : الفاء زائدة كما تزاد الواو ، قال أبوعبيدة : يقولون : « والسلام عليكم » .

* يقول : لما لقيناهم أسْقط في أيديهم ، فعجزوا وانهزموا . شبَّههم بامرأة نصبت قدرها لسلّ سمنها ، فأقبل نازل ، فحارت بأمرها ، أتُتمّ نضج قدرها ، فَتُقْري منها ضيفها ، أم تُنْزِلُها فتَفْسُد عليها ، ولا يرضاها ضيفها ، فأي الأمرين فعلت ، فهو شاقّ عليها .

١٣ اليَمَامَة وأوْطَاس : موضعان . كَلِيْب : جمع كلب ، أي يهرّون مثل هرير الكلاب .

١٤ نَقَلْنَاهُم : خافوا حربنا فانتقلوا من بلدهم . الجرَاء : جمع جرو . المَعْلُوب : الطريق الموطوء المعبَّد . العَكُوب : الغبار ، وأنَّث الضمير لتأنيث الطريق ، وترك لفظ « مَعْلُوب » .

* أسرناهم ونقلناهم ، كما تَنْقل الكلاب جراءها ، على طريق معبَّدة ، ثائرة الغبار ، لشدة العَدْو ، وكثرة العابرين .

١٥ اللَّحْو : قشر العود ، يريد أخذنا جميع ما لهم . الآلَة : الحالة . الحَرِيب : الذي سُلِبَ ماله .

* يقول : نزعنا منهم أموالهم ، ولم نُبْقِ منها شيئاً ، كما تُنْزَع القشرة عن العود ، فأصبحوا في حالة فَقْر مُدْقع ، يشكُون الهوان والاستلاب .

١٦ أي قَتَلْنَاهُم من الغدوّة إلى اللَّيل . المُبْقِيَات : اللاتي تبقي بعض جَرْيها ، تدّخره . اللُّغُوب : الإعياء .

* غزَوْنَاهم في الغدوّة ، ولبثنا نضرب فيهم ، حتَّى غشيهم اللَّيل ، وأصاب العياء ما تبقَّى من قوّة في بعض مطاياهم .

١٧ جعَلْنَ قُشَيْراً غـايـةً يُهْتَدَى بها ، كَمَا مَـدَّ أَشْطَـانَ الدِّلاءِ قَلِيبُهَـا

١٨ إذا ما لَحِقْنَـا مِنْهُمُ بِكَتِيبَـةٍ ، تُذُكِّرَ مِنْهـا ذَحْلُهَـا وذُنُوبُهَـا

١٩ بَنِي عامِرٍ إنَّا تَركْنَـا نِسَاءَكُمْ ، مِنَ الشَّلِّ والإِيجافِ تَدْمَى عُجُوبُهَا

٢٠ عَضَارِيطُنَا مُسْتَبْطِنُو البِيضَ ، كالدُّمَى مُضَرَّجَـةً بالـزَّعْفـرانِ جُيُوبُهَـا

٢١ تَبِيتُ النِّسَاءُ المُـرْضِعَـاتُ بِرَهْوَةٍ تَفَزَّعُ من خَـوْفِ الجَنَانِ قُلُوبُهَا

٢٢ دَعُوا مَنْبِتَ السِّيفَيْـن ، إِنَّهُمـا لَنَا إذا مُضَرُ الْحَمْرَاءُ شُبَّتْ حُرُوبُها

---

١٧ جَعَلْنَ : يعني خيل بني أسد ، جعلت همّها بني قشير ، إذكانت الحرب من أجلهم . وكانوا آخر النَّاس . الأشْطَان : الحبال الطويلة . القَلِيب : البئر.

* يقول : قصدنا إليهم ، لا نلوي يميناً ولا شمالاً ، كما تمتدّ الحبال في البئر.

١٨ * يقول : إنَّهم إذ يلتقون باحدى الكتائب ، تذكَّروا ما كانت قد قدمت لهم من شرور ، وما خلَّفت فيهم من ثارات ، وذلك يستثير حَمِيَّتَهم للقتال والثَّأر.

١٩ الشَّلّ : الطَّرْد . الإيجَاف : السَّير الشديد . العُجُوب : جمع عَجْبٍ ، وهو آخر العَصْعص .

* يريد أنهنّ حملن على غير وطاءٍ ، وأسرعَ بهنّ السيرُ ، فَدمِينَ لذلك .

٢٠ العَضَارِيط : جمع عضروط التُبَّاع والأجراء . البِيض : أراد النِّساء من أعدائه .

* الجُبَنَاء فينا انتهكوا حرمة نسائكم الحرائر ، المزيَّناتَ ، المُعَطَّرات ، أي أن ادناهم انتهك حرمة الشريفات منهم .

٢١ الرَّهْوَة : ما ارتفع من الأرض وما انخفض ، أي فَرَرْنَ فَاسْتَتَرْنَ فيما انخفض ، أو من أفلت منهن عَلاَ شرفاً ، لينظر من شدة الحذر. الجَنَان : اللَّيل والظَّلام .

٢٢ السِّيفَيْن : يعني سِيْفَي البَحْر ، والسِّيف بالكسر: السَّاحل. وسميت « مضر الحمراء » لقُبَّة من أدم وهبها نزار لمُضَر.

غَشِيتَ لِلَيْلَى

يفخر ابن أبي خازم ، في هذه القصيدة بقومه ، مشيداً بشجاعتهم وبطولتهم في الحروب ، وبما سجلوه من أيام ، بني عامر وبني تميم :

١ غَشِيتَ لِلَيْلَى بِشَرقٍ مُقَـامَـا ، فَهَاجَ لَـكَ الرَّسْمُ مِنْهَـا سَقَـامَا

٢ بِسِقْطِ الكَثِيبِ ، إلىٰ عَسْعَـسٍ ، تَخَالُ مَنَـازِلَ لَيْـلَى وِشَامَـا

٣ تَجَرَّمَ مِنْ بَعْدِ عَهدِي بِهَـا ، سِنُونَ تُعَفِّيهِ عَامـاً ، فَعَـامَا

٤ ذَكَرْتُ بِهَـا الحَيَّ ، إذْ هُمْ بِهَا فَأَسْبَلَتِ الْعَيْنُ مِنِّي سِجَـامَـا

٥ أُبَـكِّي بُكَـاءَ أَرَاكِيَّـةٍ عَلَى فَـرْعِ سَاقٍ تُنَادِي حَمَامَا

٦ سَرَاةَ الضُّحَى ، ثُمَّ هَيَّجْتُهَـا مَرُوحَ السُّرَى ، تَسْتَخِفُّ الزِّمَامَا

٧ كَأَنَّ قُتُـودِي عَلَى أَحْقَـبٍ ، يُرِيدُ نَحُوصاً ، تَؤمُّ السِّلامَـا

---

١ المُقَام : مكان الإقامة . شَرْق : بلد لبني أسد . الرَّسْم : ما تبقَّى من آثار الديار .

* يقول : إنه قد هاج به الشَّوق ، لَمَّا قصد دار ليلى ، فلم يطالعه إلا ما تبقَّى من آثارها .

٢ الكَثيب : المرتفع من الرَّمل . سِقْطِ الكَثِيب : طرفه ، حيث يسقط إلى السَّهل من الأرض . عَسْعَس : إسم جبل . وشَام : جمع وشم وهو النَّقش في اليد أو الوجه .

* يشبِّه ما تبقَّى من آثار الديار بالوشم .

٣ تَجَرَّم : ذهب وانقضى . تُعَفِّيه : أي تمحوه ، والضَّمير يعود إلى الديار وآثارها .

* لقد انقضت السِّنون الطويلة ، منذ أن كنت مقيماً فيها ، وقد قضت عليها ، عاماً بعد عام

٤، ٥ * يقول : إنَّه عندما ذكر من كان يُحِبّهم ، فاضت عيناه بالدموع ، وراح يبكي بكاء حمامة تنوح وهي تَقْبَع حزينةً في أعالي الشَّجر .

٦ سَرَاة الضُّحَى : أيْ في وقت طلوع الشَّمْس . هَيَّجْتُها : أي أنهضتها وحركتها للسَّير . مَرُوحُ السُّرى : أي تمرح في السُّرى وتنشط ، السُّرَى : السَّير ليلاً .

* يقصد أنَّه ركب ناقته صباحاً ، ويصف تلك النَّاقة بالحيويَّة والنَّشاط .

٧ القُتُود : جمع قتد ، وهو خشب الرَّحل ، ويريد به ما يوضع على ظهر البعير . الأحْقَب : حمار الوحش . النَّحُوص : الأتان لَيْس في بطنها ولد . السِّلام : إسم موضع ماء .

* يشبِّه ناقته ـ لما هي عليه من النَّشاط والحركة ـ بحمار الوحش الذي يريد أتاناً ، فيلحق بها ، لِيُلْقِحهَا .

٨ شَتِيمٍ ، تَرَبَّعَ في عَانَـةٍ حِيَالٍ ، يُكَادِمُ فِيهَا كِـدَامَـا

٩ فَسَائِلْ بِقَوْمِي غَـدَاةَ الوَغَـى ، إِذَا مَا العَـذَارَى جَلَـوْنَ الخِدَامَا

١٠ وَكَعْباً ، فَسَائِلْهُـمُ وَالـرَّبَـابَ ، وَسَائِلْ هَـوَازِنَ عَنَّـا ، إِذَا مَـا

١١ لَقِيْنَـاهُـمُ كَيْـفَ نُعْلِيهِـمُ بَوَاتِرَ يَفْرِينَ بَيْضَـاً وَهَـامَـا

١٢ بِنَـا كَيْـفَ نَقْتَـصُّ آثَارَهُـمْ كَمَـا تَسْتَخِفُّ الجَنُـوبُ الجَهَامَـا

١٣ عَلَى كُـلِّ ذِي مَيْعَـةٍ سَابِـحٍ يُقَطِّـعُ ذُو أَبْهَرَيْهِ الحِزَامَـا

---

٨ الشَّتِيم : حمار الوحش الكريه الوَجْه . تَرَبَّع : أكل الرَّبيع ، أي الكلأ فَسَمِن ونشط . الْعَانَة : القطيع من حُمُر الوَحْش . الحِيَال : جمع حائل ، وهي الأتان لم تلقَّح . يُكَادِم : يعضّ ، الكَدْم : العضّ .

* يشبّه ناقته بحمار الوحش الَّذي شَبِعَ وَنَشِطَ وهاجت به الغُلْمَة ، فأخذ يعضّ غيره من أفراد القطيع ، ويدافعهم عن أتانه الَّتي يريد لقاحها .

٩ جَلَون : أي كَشَفْنَ . الخِدَام : جمع خدمة وهي الخلخال .

* أي اسأل النَّاس عن قومي ونحن ننزل الحرب ، فترى العذارى ، وقد شَمَّرْنَ عن خلاخيلهن من الفزع تأهباً للهرب .

١٠ ، ١١ ، ١٢ كَعْب : هي من بني عامر بن صَعْصَعَة . الرَّبَاب : اسم لعدة قبائل . هَوَازِن : قبيلة من قَيْس عَيْلان . بَوَاتِر : جمع باتر وهو السَّيْف القاطع . يَفْرِي : يقطع . البَيْض : جمع بيضة وهي الخوذة . الْهَام : جمع هامة ، وهي الرَّأس . تَسْتَخِفّ : تَطْرد وتسوق . الجَهَام السَّحاب بلا ماء فهو خفيف .

* يقول : إسأل أعداءنا عنَّا في الحروب ، كيف كُنَّا نعلوهم بالسَّيوف ، ونقوم بمطاردتهم ، كما تطرد ريح الجنوب السَّحاب الخفيف .

١٣ ذو مَيْعة : أي فرس ذو مَيْعة ، وهي أوّل جريه ونشاطه . الأبْهَرَان : مُثَنَّى أبهر وهو عرق مستبطن الصّلب .

* يقصد أنّ الجواد عظيم الجنبين ، منتفخهما ، حتَّى ليقطع الحزام عنه في وثوبه .

١٤ وَجَـرْدَاءَ ، شَقَّـــاءَ ، خَيْفَانَةٍ كَظِلِّ العُقَــابِ تَلُــوكُ اللجَامَــا

١٥ تراهُــنَّ مِـنْ أَزْمِهَـــا شُزَّبـــاً ، إِذَا هُنَّ آنَسْنَ مِنْهَـــا وِحَـامَـا

١٦ وَيَوْمُ النِّسَارِ ، ويَوْمُ الجِفَـــا رِ ، كَانَا عَذَابـاً ، وَكَانَا غَرَامَا

١٧ فَأَمَّا تَمِـــيمٌ ، تَمِيمُ بنُ مُـــرٍّ فَأَلْفَـاهُمُ الْقَـــوْمُ رَوْبَى نِيــامَا

١٨ وَأَمَّـا بَنُـــو عَـامِرٍ بِـالنِّــسارِ غَدَاةَ لَقَـــونا فَكَـانُـوا نَعَامَـا

١٩ نَعامـاً بِخَطْمَـــةَ صُعْـــرَ الخُـــدُو دِ ، لاَ تَطْعَمُ الْمَـاءَ إِلاَّ صِيَامَـا

---

١٤ الجَرْداء : الفرس القصيرة الشَّعر . شَقَّاء : طويلة . الخَيْفَانَة : هي الجرداء الَّتي أكثر ما تكون شدة في الطيران ، ويريد بها هنا للفرس ليعني أنها سريعة .

* يشبّه الفرس بالجرادة في سرعتها ، ويقول : إنَّها تمرّكظلّ عُقاب الجوّ ، وهي تلوك لجامها بفعل غضبها ونشاطها

١٥ الأزْم : العضّ . شُزَّب ، يريد بها الخيل وهي جمع شازب : أي الضَّامر اليابس . آنسْنَ : أي رأين وعلمن . الوحَام : أصله للحامل وقد استعاره هنا الشَّاعر لشهوة الخيل للجري . أي إن هذه الفرس تضرّ بالخيل وهي تجري عاضّة على لجامها لكثرة نشاطها . إذ لا تقدر أن تجاريها في ذلك .

١٦ يَوْم النِّسَار ويَوْمَ الجفَار : من أيام العرب ، الأول نسبة إلى جبل ، والثَّاني نسبة إلى ماء بني تميم .

* يشير إلى يوم النسار وهو يوم لبني أسد ، وأحلافها على بني عامر . وإلى يوم الجفار وهو لبني أسد وأحلافها على بني تميم .

١٧ ، ١٨ رَوْبى : جمع رائب وهو الرَّجل الَّذي فترت نفسه ، واختلط رأيه وأمره ، من راب الرَّجل : إذا تحيَّر وفترت نفسه من شَبَعَ أو نعاس . فَكَانوا نَعَاماً : أي إنهزموا ومرّوا مسرعين كالنَّعام الشَّارد .

* يسخر من بني تميم وبني عامر لجبنهم وتخاذلهم .

١٩ خطْمة : إسم موضع . صُعْر الخُدود : أي مرتفعة الرّؤوس ، مائلة الأعناق . صَيامـا : جمع صائم أي قائم ، وهو الفرس القائم على قوائمه الأربع من غير علف .

* يشبّههم بالنَّعام الَّذي يُعْرَف عنه أنه لا يَطْلب الماء أو يريده إلاّ إذا كان قائماً . والمقصود بالتَّشبيه هو عدم شربها الماء مع كونها واقفة ، دلالة على سكونهم وجبنهم .

فِي رِثَاءِ أخِيهِ

قال بشْر بن أبي خازم ، هذه القصيدة ، في رثاء أخيه ، وكان قد قَتَلَه شراحيل بن الأصهب الجعفي . والقصيدة تصوّر ما ألحقت به المصيبة من الحُزْن والألم ، فيبكيه ويبكي ما عرف به من فضائل الكرم والشَّجاعة والمروءة :

١ أَمْسَى سُمَيْرٌ ، قَدْ بَانَ ، فَانْقَطَعَا ، يَا لَهْفَ نَفْسِي لِبَيْنِهِ جَزَعَا

٢ قُومَا ، فَنُوحَا فِي مَأْتَمٍ صَحِلٍ ، عَلَى سُمَيْرِ النَّدَى ، وَلَا تَدَعَا

٣ ثُمَّ انْدُبَاهُ ، لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ ، لَا مُسْنَداً عَاجِزاً ، وَلَا وَرَعَا

٤ كَانَ لَنَا بَاذِخاً نَلُوذُ بِهِ ، أَمْسَى رَمَاهُ الزَّمَانُ ، فَاتَّضَعَا

٥ وَكُلُّ نَفْسِ امْرِئٍ وَإِنْ سَلِمَتْ يَوْماً ، سَتَحْسُو لِمِيتَةٍ جُرَعَا

---

١ بَانَ : ذهب وابْتَعَدَ . الجَزَع : الرَّهْبَة وشدة الخوف .

* يقول : إن أخَاه قد وَلَّى وانقطعت صلتُه به ، ثم يَتَلَهَّفُ لفراقه وانقطاعه عنه .

٢ قُومَا : الضَّمير يعود إلى صاحبي الشَّاعر ، يخاطبهما على عادة الشّعراء العرب في ذلك الوقت النّواح : البكاء على الميّت . الصحَل : حدة الصَّوْت مع بُحَّة ، وهو ما يرافق الصّياح والعويل على الميّت . النَّدَى : الكرم .

* يدعو صاحبَيْه أن يبكيا ، ويعولا على فقده ، إذ قد كان كريماً .

٣ المُسْنَد : الدَّعيّ . الوَرَع : الضعَّيف الجبَان .

* أي ابكياه على فضائله الّتي عرف بها عن حق ، لا ادعاء ولا بُهتاناً .

٤ البَاذِخْ : العالي العظيم . نَلُوذُ به : نحتمي . إتَّضَعَ : أي هَوى ومات .

* يُمثّلُ أخَاهُ ببناء عال ، مرتفع ، ويقول : إنَّهم كانوا يلوذون به ، إلاّ أن الزمان أخنى عليه ، فانهار وتساقط .

٥ حَسَا الشَّراب : إذا شربه على مهل . جرع : جمع جرعة وهي الشربة .

* أي كل نفس نهايتها الموت ، تتجرّعُهُ ، كما تتجرّع الشَّراب المرّ .

٦ لله دَرُّ القُبــــورِ ، مَـــا حُشِيَتْ أَرْوَعَ شِبْهــاً لِلْبَــدْرِ ، إذْ سطَعَا

٧ أَيَّتُهَـــا النَّفْسُ أَجْمِلِي جزَعَـــا ، إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِيـنَ ، قَــدْ وَقَعَا

٨ إنَّ الَّذِي جَمَّــعَ الْمُـــرُوءَةَ وَالنَّــجْدَةَ وَالبِـــرَّ وَالتُّقَــى جُمَعَـــا

٩ وَالحَافِظَ النَّاسَ في القُحُوطِ إِذَا لَمْ يُرْسِلُـوا ، تَحْتَ عَائِذٍ رُبَعَا

١٠ وَهَبَّتِ الشَّمْـأَلُ البَلِيلُ ، وَقَــدْ أَضْحَى كَمِيـعُ الفَتَـاةِ ، مُلْتَفِعَـا

١١ عَامَ تَرَى الكَـاعِبَ المُنَعَّمَةَ الحَسْنَـــاءَ ، في دارِ أَهْلِهَـــا سَبُعَـــا

١٢ الْمُخْلِفَ المُتْلِفَ المُفِيــدَ ، إِذَا قَالَ ، فلا عـائِبٌ ، لِمَـا صَنَعَا

١٣ الْقَـائِلَ الفَـاعِلَ المُــــرَزَّأَ ، لَمْ يُدْرَكْ بِضَعْفٍ ، وَلَمْ يَمُتْ طَبَعَا

---

٦ الأَرْوَع : ما يروع حُسْنُه ويعجب .

* يمثل أخاه بالبدر ويعجب من انحداره إلى القبر .

٨ المُروءة : النَّخْوة والشَّجَاعة . البِرّ : الخَيْر . التُّقَى : أي التقوى والوَرْع . جُمع : جمع أَجْمع وجمعاء

٩ القُحُوط : أي القَحْط والجدَب . العَائذُ منَ النّوق : الحديثة النتاج . الرُّبَع : ولد الناقة الذّي يولد في الربيع .

* يقصد أنّه كريم ، خيِّر في سنيّ الجَدْب المحل .

١٠ الشَّمْأَل : ريح الشَّمال . الكَميع : الضّجيع . مُلْتَفِعاً : أي يلتفع بكسائه من شدة البرد .

* أي وفي حين تَهُبّ ريح الشّمال الباردة ، فيلتفعُ المرء بكسائه من شدة الصَّقيع .

١١ الكَاعب : الفتاة إذ نَهدَ ثَديُها .

* أي عام تغدو الفتاة الغارقة في النعيم ، كالأسد الذّي يلتهم كلّ شيء . يقول : إنّه في تلك الأزمات الشّديدة التي تنتاب النّاس ، يهرع إلى النَّجْدة وإلى إطعام الضيوف . أي أنه يطعم في سنوات الجدب .

١٢ المُخْلفُ المُتْلفُ : أي يُنْفقُ ماله ويُتْلفُه ، كرَماً ونَجْدة .

١٣ المُرَزّأ : الذي تناله الأرزاء لكثرة عطاياه . الطَّبْع : أسوأ الطمع .

* أي لم يعرف عنه إلا كثرة عطاياه ، دون أن يلحق به الضعف أو يصيبه الطَّمع .

١٤ وَالقَائِدَ الخَيْلَ في المَفَازَةِ وَالـجَدْبِ يُسَاقُونَ خِلْفَةً سَرِعَا
١٥ اللاَّبِسَ الخَيْلَ في العَجَاجَةِ بِالخَيْلِ تَسَاقَى سِمَامَهَا نُقَعَا
١٦ أَوْدَى فَلا تَنْفَعُ الإشَاحَةُ مِنْ أَمْرٍ لِمَنْ قَدْ يُحَاوِلُ البِدَعَا
١٧ لِيَبْكِكَ الضَّيْفُ وَالمَجَالِسُ والحَيُّ المَخَوِّي وَطَامِعٌ طَمِعَا
١٨ وَذَاتُ هِدْمٍ بَادٍ نَوَاشِرُهَا تُصْمِتُ بِالمَاءِ تَوْلَباً جَدِعَا
١٩ إذْ شُبِّهَ الهَيْدَبُ العَبَامُ مِنَ الأَقْوَامِ سَقْباً مُجلَّلاً فَرَعَا

---

١٤ المَفَازة : الصحراء الواسعة . خلْفَة : أي متتابعة . سَرِعَا : أي سريعة .
* يقصد أنَّه القائد الذَّي يتقدم الجماعة .
١٥ الخَيْل : يريد بها الفُرْسان . تَسَاقَى : أي تتساقى . العَجَاج : الغبار . السِّمام : جمع سم والسم الناقع : أي القاتل .
* يشبه غبار المعركة بالسم ، ويقول : إنه يَسقي الفرسان الموتَ ذلك السم القاتل .
١٦ أودى : هَلَك . الإشَاحَة : الحَذَروالخوف . البدع : جمع بدعة وهي الشيء الجديد المحدث
* لقد لاقى حَتْفه ، والحَذر لا يُنجي صاحبه مما لا بد منه .
١٧ المخَوِّي : الخَالي . طَامع : أي طامع في العطاء .
* يستبكي له الضيوف ومجالس الشّورى ، وعزيمته القويَّة في الدفاع عن بني قومه . ضد من يطمع فيهم .
١٨ الهدم : الثَّوب البالي ، وذات هدم : أي امرأة ضعيفة . النَّواشر : عروق السَّاعد . واحدها : ناشرة . التَّوْلب : ولد الحمار ، وأراد به هنا طفلها . الجَدع : السيء الغذاء .
* أي إن هذه المرأة ليس لديها لبن تطعم طفلها به ، لشدة ما أصابها من الجوع .
١٩ الهَيْدب : الجافي الخلقة . العَبَام : الثَّقيل . السَّقْب : ولد الناقة . الفَرَع : أول نتاج الإبل والغنم . مُجلَّلا فَرَعاً : أي مجللا أو مغطًّى بجلد فرع . وكانت العادة في الجاهلية ، أن يذبح ولد الناقة تبركاً بالآلهة ، ويلبس جلده لآخر غيره ، كي تعطف أم المذبوح عليه ، فيدر لبنها .

٢٠ وَالحَيُّ إذْ حَـاذَرُوا الصَّبَـاحَ . وَخَا فُوا ذَا غَوَاشٍ ، وسُوِّمُـوا فَزَعَا

٢١ وَالْتحَمَتْ حَلْقَتَـا البِطَانِ عَلَى الـقَـوْمِ . وَجَاشَتْ نُفُـوسُهُـمْ جَزَعَـا

٢٢ وَمُسْلَمٍ قَـدْ دَعَـا ، فَأَنْقَـذَهُ حَتَّى انْجَلَى الكَرْبُ عَنْهُ ، فَانْقَشَعَا

٢٣ بِضَرْبَـةٍ يَسْتَدِيـرُ صَـاحِبُهَـا أَوْ طَعْنَة لَمْ تَكُـنْ لَـهُ بِدَعَـا

---

٢٠ حَاذَرُوا الصَّبَاح : ذلك لأن الغارة أكثر ما تَكُون في الصباح . الغَوَاشي : جمع غاشية وهي الشَّر والمَكْرُوه . سَوَّمُوا ، من سومه الأمر : إذا كلفَّه إياه ، وأكثر ما يستعمل في الشَّر والظلم .

* يَذكُرُه فيما يُقْبل الغزاة في الصباح ، مثيرين الخوف ، وحاملين الخطوب .

٢١ البطان : الحُزام يُجْعَلُ تَحْتَ بطن الدابَّة وَيشَدّ به القتب . والْتَحَمَتْ حَلْقَتَا البطان : كنَاية عن وقوع المكْروه واشتداد الأمر ، أو وقوع الحرب .

٢٢ المُسْلَم : الضعيف المخْذول . الكَرْب : البَلاء . انْجَلَى وانقَشَع : بمعنى ذهب وانزاح .

* ويذكره ، لعضده الضعفاء والمخذولين ، حتى يَنْجَلي عنهم الخطب .

٢٣ * أي أن هذه الطَّعْنَة ، لم تكن أول طعنة له .

سَلامَة بْنُ جَنْدَل

سَلامَة بْنُ جَنْدَل

٠٠٠ ـ نحو ٢٣ ق . هـ .

هو سلامة بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تميم . شاعر جاهلي ، مقل من شعراء الطَّبَقة الثَّانية ، وفارس من فرسان تميم المَعْدودين ، يمتاز شعره بشدة الأسْر ، وإحكام العبارة والألفاظ التي لا تخلو من الغريب الذَّي يستشهد به علماء اللغة . وشعره يوحي بخشُونة الصحرَاء ، تَتَمثَّل في ألفاظه وصوره ، وصيغ عبارته ، وشدة إيقاعه . إلا أنـه لم يتفرد بنهج فني خاص به ، في طبيعة الصورة والتَّشبيه والمعنى ، بالرغم من أنه يكسو معظم معانيه ظلالا حسّيَّة أو يُؤديها خلال حادثة تحول المعنى إلى تصرف أو مشهد ، يَنْبض بالحركة ويلتصق بأديم الواقع الحي .

وقد تصدى في شعره القليل إلى معْظم الموضوعات التي جرى عليها عمود القصيدة الجاهلية ، مع انصراف خاص إلى الفَخْر في وَجهيه ، الفردي والقَبَلي ، دون أن يَنْزع فيه منزعاً يميزُه عن طبائع الفخر الاتباعي المعروف . ففيه عنجهيَّة وَخُيَلاء وتعداد وتهديد وما إلى ذلك من معان وأحوال تُمثّل سيرته الفروسيَّة ، فضلا عن بيئته .

إلا أن ذلك الفارس المُنْتصر على الأعداء ، الزاهي بقوته وعنفوانه ، يشعر بالهزيمة أمام وطأة الزّمن ، وتولي الأيام . يَخْشى الهرم ، ويَنْعي الشَّباب ويرثيه ، شاعراً بدبيب التَّراخي والمَوْت . لكنَّه لا يَتَرَدد على هذا الموضوع ، فلا يبلغ فيه عديَّ بن زيد وطَرَفةَ ولبيداً ، إذ يُشْغَلُ عنه بَقْعقعة السّلاح والكرّ والفرّ ، كسائر الجاهليين الذَّين تحفل حياتهم بالمواقع والحروب .

هَاجَ المَنَازِلَ

يصف في هذه القصيدة الطَّلَلَ والرِّيح ، ويخص المَطرَ بأبْيات تُمْعن في تعظيم فيضانه وسيلانه ، بما يُشْبه وصفه في معلقة امرى القيس ، دون أن يبلغ شأوه في قوة الإيحاء والتصوير بالمشهد والجرْس الموسيقي ، وصخب الأنواء والحروف معاً . ويعرض للنَّاقة بَبيْت يستطرد ، إثره ، إلى تشبيهها بالحمار الوحشي الكثير الصّياح ، ويلم ، كذلك ، بالخمرة ، في لونها ونشوتّها . وينتهي إلى التّفاخر بقومه الذّين يقضون وقت السّلم في السّباق والمقامرة والتحادث بالأمور الخطيرة ، حتَّى إذا دعاهم داعي الحرب رأيتهم كالأسود :

وفي هذه القصيدة تَظْهر شدةُ الأسر في عبارته ، والألفاظ المُفْعمَة بالأجواء الصحراوية المُشْتَقَّة من طباع الجاهليين وبيئتهم ، وتلك الجمالية القائمة على المشهد الحسي الغَثّ ، غير المَصْقول والذّي يُوَلد الغلوّ بإبرازه من دون سواه ، وتضخيمه بالألوان المُتوهّجة السَّاطعة والخطوط النَّاتئة دون ظلال . وهو يضفره ، هنا وهنالك ، بالأصوات الكثيرة الجلبة ، يقف فيها عند حدود الفُروسيَّة ، مع فلذات من الوصف الذَّي لا يخلو من الشَّفَافية :

١ هَاجَ المَنَازِلَ رِحلَــةُ المُشْتَــاق   دِمَـنٌ وَآيَــاتٌ لَبِثْـنَ بَــواق

٢ لَبِسَ الرَّوامِسُ والجَـدِيـدُ بَـلاهُمَا   فَتُركْنَ مِثْـلَ المُهْـرَقِ الأَخْــلاقِ

٣ لِلحَـارِثِيَّـةِ قَبْـلَ أَنْ تَنْأَى النَّــوَى   بِهِمِ ، وَإِذْ هِيَ لا تُـرِيـدُ فِرَاقِي

---

١ دمنْ : آثار. آيات : علامات . لبَثْن بَوَاق : لا زلن باقيات .

٢ الرّوَامس : الرّياح التي تأتي بالتّراب ، فترمس به كلّ شيء ، أي تدفنه وتغطّيه . الجَديد : الدهر. المُهْرَق : الصّحيفة . الأخْلاق : الباليات .

* إن الرّيح حَمَلت التّراب إليها ، وعفت على آثارها ، وكذلك الدهر ، فبدت كالصحيفة البالية . وفي هذا التشبيه دلالة على واقع الكتابة في العصر الجاهلي .

٣ تَنْأى : تَبْعد . النّوَى : البعد والنّية وهو وجهها ، وحيث نَوَتْ أن تأخذ .

* يقول : هذه أطلال حبيبتي الحارثيَّة ، قبل أن ينأى بها النَّوى ، وهي لا تود أن تفارقَني .

٤ وَمَجَرَّ سَارِيَـةٍ تَجُـرُّ ذُيُـولَهَـا نَوْسَ النَّعَـامِ ، يُنَاطُ بالأَعْنَـاقِ

٥ مِصْرِيَّـةٌ نَكْبَـاءُ ، أَعْـرَضَ شِيمُهَا بِأَشَابَـةٍ ، فَزَرُودَ ، فالأَفْـلاقِ

٦ هَتَكَتْ عَلَى عُوذِ النِّعَـاجِ بُيُوتَهَا فَيَقَعْـنَ للـرُّكَبَــاتِ والأَرْوَاقِ

٧ فَتَرَى مَذَانِبَ كُلِّ مَـدْفعِ تَلْعَةٍ ، عَجِلَـتْ سَوَاقِيهَـا مِنَ الإِتَّـاقِ

٨ فَكَأَنَّ مَدْفَـعَ سَيْـلِ كُـلِّ دَمِيثَـةٍ يُعْلَى بِـذِي هُـدْبٍ مِن الأَعْـلاقِ

٩ مِن نَسْجِ بُصْرَى والمَدَائِنِ ، نُشِّرَتْ لِلبَيْعِ ، يَوْمَ تَحَضُّرِ الأَسْـوَاقِ

١٠ فَوَقَفْتُ فِيهَـا نَاقَتِي ، فَتَحَنَّنَتْ لِهَوَى الرَّوَاحِ ، تَتُوقُ كُلَّ مَتَاقِ

---

٤ سَارِيَة : سحابة تأتي ليلا . النَّوْس : التَّعْليق ، يُنَاط : يعلق .

* يقول : إن السَّحابة تسْحب ذيلهَا ، كالنَّعام الموثوق بعنقه .

٥ مْصريَّة : سحابة جاءت من نحو مصر . شِيمُهَا : مطرها . أشَابَة وَزُرُود وأفْلاق : أسماء أمكنة .

وهي سحابة قادمة من مصر ، وقد انهمر مطرها على تلك الأمكنة .

٦ هَتَكَتْ : دخلت عليهن . العُوذ : عائذ ، وهي الحديثة النتاج . الأرْواق : جمع روق ، القرن .

* دخلت على النّعاج التَّي وَضعَتْ حديثاً ، وألقت بها إلى الركبات والأرواق ، والصّورة تمثيل لشدة المطر .

٧ المذانب : جمع مذنب ، وهو مجرى الماء إلى الرِّياض . التَّلْعَة : مسيل مرتفع إلى بطن الوادي . الإتَّاق : الامتلاء . عَجلَتْ : من العجلة ، أي جاءت بالماء سريعاً .

* فترى مجاري الماء في كل مسيل إلى بطن الوادي ، وقد تسارعت فيها المياه لشدة امتلائها .

٨ ، ٩ دميثَة : أرض سهلة ليِّنة . الأعْلاق : متاع الرّجل ، وما علق عليه . نَسْج بُصْرَى : أي من انتاج بصرى ، وهي قرية في الشَّام .

* يشبّه تدافع الماء في السَّيل على الأرض السَّهلة ، بمتاع رجل ، من نسج بُصْرى أو المدائن ـ أي بلاد فارس ـ وقد عرض ذلك المتاع للبَيْع في يوم التسوق . وقد خصه بذلك اليوم للغلو بالمعنى ، لأن البائع يعنى باظهار رَوْعة أمتعته عند عرضها للبَيْع .

١٠ تَحَنَّنَتْ : من الحنين ، تَتُوق : تشتاق .

* يذكر إيقاف ناقته في الطَّلل ، وحنينها عند العشي وتوقها الشَّديد للرّحيل .

١١	حَتَّىٰ إِذَا هِيَ لَمْ تُبِنْ لِمُسَائِـلٍ	وَسَعَتْ رِيَـاحُ الصَّيْـفِ بِالأَصْيَاقِ
١٢	أَرْسَلْتُ هُوْجَاءَ النَّجَــاءِ كَأَنَّهَــا	إِنْ هَمَّ أَسْفَـلُ حَشْوِهَــا بِنِفَاقِ
١٣	مُتَخَــرِّقٌ سَلَــبَ الـرَّبِيـــعُ رِدَاءَهُ	صَخِبُ الظَّـلامِ ، يُجِيبُ كُلَّ نَهَاقِ
١٤	مِنْ أَخْدَرِيَّــاتِ الـدَّبَـا ، التَفَعَتْ لَهُ	بُهْمَى اليَفَـاعِ ، وَلَجَّ في إِحْنَاقِ
١٥	صَخِبُ الشَّوَارِبِ والـوَتِينِ كَـأَنَّهُ ،	مِمَّا يُغَـرِّدُ ، مُوهَنَـــاً بِخِنَــاقِ
١٦	في عَـانَـةٍ شُسُبٍ ، أُشِدَّ جِحَاشُهَا	شُزُبٍ ، كَأَقْـوَاسِ السَّراءِ ، دِقَاقِ

١١ الأَصْيَاق : جمع صيق وهو الغُبار .

* إن تلك الأطلال ، إذ لم تبن معالمها للسَّائل ، قد تداولتها رياح الصّيف ، وامتلأت منها بالغبار . . . .

١٢ هَوْجَاء : نشاطها متزايد . النَّجَاء : السرعة . حَشْوُها : وبَرُها . نفاق . ذهاب .

* هو استكمال معنى البَيْت السَّابق ، يقول : بعد أن شهدتُ الأطلال عافية تتداولها رياح الصّيف ، أطلقت ناقتي السَّريعة ، وعَدوتُ بها عن الطَّلل .

١٣ متَخَرّق سَلَبَ الرَّبيعُ رداءه : أي أنزل عليه الطَّل . فهو يَنْهَقُ باللَّيل كثيراً . رداؤه : وبره .

هو أيضاً متمم للبيت السابق ، إذ شبَّه ناقته بحمار وحشي ، يُنْفق ليله بالضَّوْضاء والجلَبَة ، يناهق سائر الحُمُر .

١٤ الأخْدريَّات : حُمُرٌ مَنْسوبة إلى فحل . يقال له الأخْدر . البُهْمَى : نوع من النبات . اليَفَاع : جمع يَفَع ، وهو ما ارتفع من الأرض . الإحْنَاق : الضّمر ، الهزال . التَفَعَتْ : اخضرت . الدبَا : موضع .

يقول : إن ذلك الحمار هو من حُمُر الدبا ، وقد ارتعى نباتَ البُهْمى في اليَفَاع . ثم مضى مُغْضَباً ، ثائراً ، لنشاطه وقوته بسبب هزاله .

١٥ صَخبُ الشَّوارب : كثير الصّياح . والشَّوارب : مجاري الماء من حلقه . الوَتين : عرْق من القلب . يُغَرّد : يُصَوّت . مُوهَناً : أصابه الوهن أي الضّعف .

* إن ذلك الحمار ، لكثرة نهيقه ، وشدة الصّخب المنْبعث من فمه ، ومن جوفه ، يبدو وكأنَّه أصيب بخناق . وهو يشير إلى أن كَثْرة تصويته ، أوهَتْ حنجرته ، فبدت كأنَّها مخنوقة

١٦ العَانَة : الجماعة من حُمُر الوحش . شُزُب وشُسُب : ضامرة . أشد : طُرد ونُحّيَ . السَّراء شجر تكون منه القسي .

* وهو يقيم في قطيع من حمر الوحش ، نُحّيَتْ جحاشها ، وهي ضامرة رقيقة ، كالقسي .

١٧	وَكَأَنَّ رِيقَتَهَا إذا نَبَّهْتَهَا	كَأْسٌ يُصَفِّقُهَا . لِشُرْبٍ . سَاقِ
١٨	صِرْفٌ تَرَى قَعْرَ الإِنَاءِ وَرَاءَهَا	تُودِي بِعَقْلِ المَرْءِ قَبْلَ فُوَاقِ
١٩	يَنْسَى لِلَذَّتِهَا أَصَالَةَ حِلْمِهِ	فَيَظَلُّ بَيْنَ النَّوْمِ والإِطْرَاقِ
٢٠	فَتَرَى النِّعَاجَ بِهَا ، تُمَشِّي خَلْفَهُ	مَشْيَ العَبَادِيِّيْنِ في الأَمْوَاقِ
٢١	يَسْمُرْنَ وَحفاً ، فوْقَهُ مَاءُ النَّدَى	وَالنَّبْتُ كُلَّ عَلاقَةٍ وَنِطَاقِ
٢٢	وَلَقَدْ هَبَطْتُ الغَيْثَ ، حَلَّ بِهِ النَّدى	يَرْفُفْنَ فَاضِلَهُ عَلَى الأَشْدَاقِ
٢٣	أَهْدَى بِهِ سَلَفاً ، يَكُونُ حَدِيثُهُم	خَطَراً ، وَذِكْرَ تَقَامُرٍ وَسِبَاقِ

---

١٧ يُصَفِّقُها : يمزجها

* ينتقل ، فجأة ، إلى وصف ريق الحبيبة ، ويشبهه بالخمرة التي تصفق في الكأس .

١٨ * يستطرد في وصف الخمرة ، فاذا هي صرف ، صافية ترى قعر الإناء ، من خلالها ، لشدة شفافيتها ، تذهب بعقل المرء ، قبل أن يَفْيق ويتدارك نفسه .

١٩ * إن شدة اللذّة منها ، تذهب بحلمه ، وتُخْرِجه عن طبعه . فيلبث كأنّه نائم أوكأنّه مُنْحني الرّأس ، إطراقاً .

٢٠ النِّعَاج : هنا بقر الوحش . العَبَاديون : قوم من نُسَّاك النَّصارى في الحيرة . الأَمْوَاق : جمع موق ، وهو ضرب من الخفاف .

* يعود في هذا البيت للطَّل . مما يُثير الشَّك في أنه قد وقع خطأ في تنظيم الأبيات ، يشبّه مشي بقر الوحش في الأطلال بمشي العباديين في خفافهم .

٢١ يَسْمُرْنَ : يأكلن ، يَرْعَيْن . الوَحَفْ : النَّبْت الرّيان . العَلاق : ما تتبلغً به الماشية من الشَّجرْ النِّطَاق : ما التف من النَّبت حول غيره .

٢٢ الغَيْث : هنا النَّبات . فَاضله : ما فضل على الأشداق .

* يذكر نزوله في المكان المعْشَب الندي ، حيث أخذت النِّعاج بالأكل ، تاركة ما فَضُل منه يَتدلَّى على الأشداق . ذكر الشَّاعر طُول النَّبْت وبقاءه خارج أشداق النّعاج ، ليدلّ على عظم نموّه ، ويضاعف بذلك الدلالة على خُلوّ المكان من السّكان ، حتَّى تعاظم فيه النَّبْت .

٢٣ السَّلَف : المُتَقَدمُون . الخَطَر : الشَّرف .

* إن ذلك الفرس أهداه السَّلف الذّين لا يكون حديثهم إلا في الأمور الخطيرة ، وتذاكر السّباق والمقامرة ، ويبدو أن لعب الميسر كان يدل على الثَّراء والشرف .

٢٤ حَتَّى إِذَا جَاءَ المُثَوِّبُ قَدْ رَأَى أُسُداً ، وَطَالَ نَوَاجِذُ المِفْرَاقِ

٢٥ لَبِسُوا مِنَ المَاذِيِّ كُلَّ مُفَاضَةٍ كَالنَّهْيِ يَوْمَ رِيَاحِهِ الرَّقْرَاقِ

٢٦ مِنْ نَسْجِ دَاوُودٍ . وَآلِ مُحَرِّقٍ غَالٍ ، غَرَائِبُهُنَّ فِي الآفَاقِ

٢٧ وَمَنَحْتُهُمْ نَفْسِي ، وآمِنَةَ الشَّظَا جَرْدَاءَ ، ذَاتِ كَرِيهَةٍ ونِزَاقِ

٢٨ كَالصَّعْدَةِ الجَرْدَاءِ أَمَّنَ خَوْفَهَا لُطْفُ الدَّوَاءِ ، وَأَكْرَمُ الأَعْرَاقِ

٢٩ تَشْأَى الجِيَادَ ، فَيَعْتَرِفْنَ لِشَأْوِهَا وَإِذَا شَأَوْا ، لَحِقَتْ بِحُسْنِ لِحَاقِ

---

٢٤ المُثَوِّب : الداعي إلى الحرب . المفْرَاق : الشَّديد الخَوْف الجبان . وطَالَتْ نَوَاجذه : أي تقلصَّت شفتاه ، فَبَدتْ أسنانه .

* في السِّلم يتحادثون بالأمور الجليلة والسِّباق والمقامرة ، حتَّى إذا دعاهم داعي الحرب بَدوا كالأسود ، يُثيرون الرِّعب وَيَقَلِّصُون شَفَتَيْ الجبان .

٥٢ الماذي : الدروع البيض الليِّنة . مُفَاضَة : واسعة طويلة . كالنَّهْي : أي كالغدير . رقْراق : يترقرق فيه الماء .

* إرتدوا من الدروع كل بيضاء ، ليَنَة ، تماوج وتَتَرقْرَقُ كصفحة ماء الغدير .

٢٦ داود : النبي داود وقد اشتهر بصناعة الدروع . آل مُحرِّق : قوم شهروا ، أيضاً بمثل تلك الصناعة .

٢٧ الشَّظَا : عظم مُسْتدق لاصق بالرّسغ . ذات كريهة : يكرهها العدو . لأنها قويَّة تقوى على إكراهه إياها

* منحت نفسي لقومي في الوغى ، ومنحتهم فَرَسي الجَرْداء . الآمنة الشَّظا : القويَّة على العَدو التي تَنْفر نشاطاً .

٢٨ الصَّعْدة : القناة كلها . لُطْفُ الدواء : أي قيامه عليها بالعلف والسَّقي . الجَرْداء : نعت الصَّعْدة .

* يُشبه فرسه الجرداء بالقناة الجرداء . وهي مستأمنة . لأنه يقوم على علفها وسقيها ، ولأنها أصيلة طيبة العرق .

٢٩ تَشْأى : تَسْبق . يَعْتَرِفْنَ : أي يُقَرِّن لها بذلك . يقصد أن فرسه تسبق كل الجياد ، وهذه بدورها تعترف لها ، حتَّى وإن سبقتها الجياد فانها ، تلحقها .

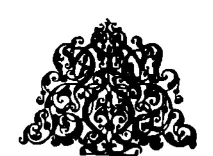
٣٠ وَأَصَمَّ صِدْقاً مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ ‏ بِيَدَيْ غُلَامٍ كَرِيهَةٍ مِخْرَاقِ

٣١ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ سَعْدِيَّةٍ ‏ ذُرْبِ الأَسِنَّةِ ، كُلَّ يَوْمِ تَلاَقِ

٣٢ لَا يَنْظُرُونَ إِذَا الكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ ‏ نَظَرَ الجِمَالِ كُرِبْنَ بِالأَسْوَاقِ

٣٣ يَكْفُون غَائِبَهُمْ ، وَيُقْضَى أَمْرُهُمْ ‏ فِي غَيْرِ نَقْضٍ ، مِنْهُمُ وَشِقَاقِ

٣٤ وَالخَيْلُ تَعْلَمُ مَنْ يَبُلُّ نُحُورَهَا ‏ بِدَمٍ كَمَاءِ العَنْدَمِ المُهْرَاقِ



---

٣٠ أَصَمّ : رمح . صدقاً : صلابة . رُدَيْنَة : اسم امرأة نسبت إليها الرّماح القصيرة . مخْراق : هنا من يقوم بالأعمال الخارقة .

* يذكر الرّمح الصّلب القويّ الّذي يحمله . وينعت نفسه بالبَأس والقُوّة .

٣١ * ذَرْب الأسنّة : أي أسنّتهم محددة . فهو يفتخر بانتسابه لعصبة سعديّة ، لهم كل يوم انتصار ، وأسنّتهم محددة ، دائماً .

٣٢ * يقول : إنّ بني قومه ، يُهْرعون إلى الحرب ، ولا يتراجعون في الشدة ، فيبدون كالجمال الّتي ضُيّق عليها القَيْد في الأسواق .

٣٣ * أي من حضر يكفي من غاب . فلا خلاف بينهم ، وقضيّة أحدهم قضيّة الجميع .

٣٤ * والخَيْل تُدرك من هم الأقوياء الّذين يبلون نحورها بالدم المهراق في ساعات الوغى .

أَلاَ هَلْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا

في القصيدة التَّالية يتابع سلامة بن جَنْدل أسْلوبه في معالجة الفروسيَّة المُمْتَزجة بعصبيَّة مُطْلقة ، وفخارلا حدّ له ، بالضَّرب والطَّعن ، والشَّجاعة الخارقة . ويبدو مطلع القصيدة مضطرباً ترتيبُ أبياته ، فهو يتردد ما بين الطَّلل والغَزَل والفخر ، بدون تَتَابع منطقيّ . ولعلّ السَّبب هو اختلاط روايته . وكذلك نلحظ الشَّاعريقْفزما بَيْن لمحات لأحداث ووقائع حربية ، وما بَيْن مواقف فخار وشقاق مع الأقوام الأخرى . ويُنَدد بأعدائه دونما رحمة ، حتى يجسّم لنا مشاهد القَتْل في صور وتشبيهات مُبْتكرة مغالية . وينعطف على نوع من النَّعي لأعدائه ، الذين قضى عليهم قومه ، معزياً إيَّاهم بحتمية الانقضاء والزّوال ، كما زال ملك النّعمان وسواه من العظماء آنذاك :

١ لِمَنْ طَلَلٌ مثلُ الكتابِ المُنَمَّقِ ، خَلاَ عَهْدُه بينَ الصُّلَيْبِ فمُطْرِقِ

٢ أَكَبَّ عليه كاتِبٌ بِدَوَاتِهِ وحادِثُهُ في العَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ

٣ لأَسْمَاءُ إذْ تَهْوَىٰ وِصَالَكَ ، إنَّهَا كَذِي جِدَّةٍ من وَحْشِ صاحَةَ مُرْشِقِ

٤ لَهُ بِقَرَارِ الصُّلْبِ بَقْلٌ يَلُسُّهُ ، وإنْ يَتَقَدَّمْ بالدَّكادِكِ يَأْنَقِ

---

١ مُنمَّق : موشّى محسَّن . الصّليب ومُطْرِق : موضعان .

* يقول : لمن هذا الطَّلل الَّذي تبدو بقاياه كالكتاب الموشّى .

٢ حَادِثُه : جديده ، كأنَّه يُجَدد في عينيه . مُهْرَق : صحيفة .

* يستكمل تشبيه الطَّلل بالصَّحيفة ، واصفاً الكاتب الَّذي يكبّ على دواته ، وقد بدا ما استحدث من ذلك الطَّلل كمداد أهْرق من جديد .

٣ المُرْشق : الظَّبْيَة المادة عنقَها ، النَّاظرة وهي أحسن ما يكون ، ويقال : مرشق ترشقك بعينها ، كما يرشق صاحب النَّبْل أي يصيب شيئاً . الجدة : قلادة في عنق الكلب أوما إليه .

* يشبّه حبيبته سلمى وطوقها ، بنوع من المها ، له طوق في عنقه .

٤ اللُّس : الأخذ باللّسان . الدكَادك : الرّوابي اللَّينة . يأنَق : يصيب شيئاً يعجبه . وفي هذا البيت استطراد عن وصف الطَّلل .

* **له في موضع الصّلب نبت يلسّه ، وإن تَقَدم إلى الهضاب الرمليَّة ، يجد نباتاً آخر.**

٥ وقَفْت بها ما إنْ تُبينُ لِسائـلٍ ، وهل تَفْقَهُ الصُّمُّ الْخَوالِـدُ مَنْطِقي

٦ فبِتُّ كأَنَّ الكأْسَ ، طالَ اعتيادُها عليَّ بِصَافٍ من رَحِيـقٍ مُـروَّقِ

٧ كَرِيحِ ذَكِيٍّ المسكِ بِاللَّيْلِ رِيحُهُ ، يُصَفَّقُ في إبـريـقِ جَعْدٍ ، مَنَطَّقِ

٨ وماذا تُبَكِّي من رُسومٍ مُحِيلَةٍ خَلاَءٍ ، كَسَحْقِ اليُمْنَـةِ المُتَمَزِّقِ

٩ أَلا هل أَتتْ أَنْبَاؤُنـا أَهلَ مَأْرِبٍ ، كما قـد أَتَتْ أَهْلَ الدَّبَا والخَوَرْنَقِ

١٠ بِأَنَّـا مَنَعْنَا بالفَـرُوقِ نِسَاءَنـا ، ونحْنُ قَتَلْنـا مَنْ أَتانا بِمُلْـزَقِ

١١ تُبَلِّغُهُمْ عِيسُ الـرِّكـابِ ، وشُومُهَا ، فَرِيقَيْ مَعَـدٍّ ، من تَهَامٍ ومُعْرِقِ

---

٥ * يقصد أنه وقف ببقايا هذه الدار ، لكن هل من فائدة تُرْجى وهل تَفْهم الجمادات ما به ؟ . وفي هذا البيت يعود إلى موضوع الطَّلل .

٦ الرَّحيق : الخَمْر. اعتيادها : أيّ أعيدت عليه مرّة بعد مرّة . مُرَوّق : مصفًّى .

* أمسيت بعد أنْ اجتاحني الوَجْد ، كمن أعيدت عليه الخمرة مرّة بعد مرّة ، أي كالسَّكران الفاقد الوَعْي .

٧ إن ريح هذه الخمرة ، كريح المِسْك . جَعْد : يقصد الغُلام . يصفَّق : هنا ينقل من إناء إلى إناء .

* يستكمل وصف الخمرة ، فاذا طيبُها كالمسك ، يفوح منها فيما ينقلها الغُلام من إناء إلى آخر ، لتَنْجلي وتصفو .

٨ الرَّسُوم الْمُحيلَة : الرّسوم الحائلة الضّائعة . السّحْق : من سحق الثَّوْب : بلي . اليُمْنَة : برد .

* وما جدوى أنْ تبكي رسوماً عافية ، خالية ، كالثَّوب اليَمَنيِّ الخَلَق .

٩ أنْبَاؤنا : أخبارنا . أهل مَأرب : باليمن . الدبَا وَالخَوَرْنَق : يقصد العراق وفارس .

* هل نفذت أخبارنا إلى أهْل مأرب ، كما نفذت إلى أهل العراق وفارس .

١٠ الفَرُوق : يوم من أيام العرب . مُلْزَق : أرض .

* بأنَّنا حَمَيْنَا نساءنا في موقعة الفروق ، وأنَّا انتصرنا على مهاجمينا في مُلْزَق .

١١ الشّؤم : النَّحس والسّوء . العيس : الإبل البيض تخالِطُها حمرة . تَهَام : تُهامة . مُعْرِق : يأتي العراق أو يكون فيه .

* يقول : إنَّهم ساقوا أعداءهم ، وهم يمتطون إبلهم المشْؤومة إلى تلك المواضع .

١٢ ومَوْقِفُنَا في غيـــر دَارِ تَئِيَّــةٍ ، ومَلْحَقُنَـا بالعـــارض المُتَأَلِّــقِ

١٣ إذا مَا عَلَوْنا ظَهْرَ نَعْلٍ ، كـأَنَّمَـا عَلَى الْهَام مِنَّا قَيْضُ بَيْضٍ مُفَلَّقِ

١٤ مِنَ الْحُمْسِ إذْ جـاؤُوا إلينا بجمعهمْ ، غداة لَقِينـاهم ، بِجَأْوَاءَ فَيْلَقِ ،

١٥ كأَنَّ النَّعَامَ باضَ فـوق رؤوسهْم بنَهْيِ القِذَافِ ، أَو بنَهْيِ مُخَفَّقِ

١٦ ضَمَمْنَا عَلَيْهِمْ حَافَتَيْهم بِصَـــادق مِنَ الطَّعْنِ ، حَتَّى أَزْمَعوا بتَفرُّقِ

١٧ كأَنَّ منـاخاً ، من قُيُونٍ ومَنْزِلاً بحَيْثُ التَقَيْنا ، من أَكُفٍّ وأَسْوُقِ

---

١٢ التَّئِيَّة : يقال : تَأَيَّيْتُ : تَمَكَّنْتُ وانتظرت . العَارض المُتَأَلِّق : الجيش شبّه بالعارض من السَّحاب .

* يريد أنَّه كانت لهم عدة مواضع للانتظار ، ليلتحقوا بالجيش العظيم ، أي أن جموعهم توفدهم من كلّ جهة .

١٣ القَيْض : قشر البيض ، شبّه خوذ الحديد به .

* يريد أنَّهم يبدون ، وقد ارتفعوا على هضبة من الأرض ، كمن يَغْشَى هامَه قشرُ البَيْض ، وذلك لشدة التماع أسلحتهم وتوهجها بوهجٍ أبيض .

١٤ الحُمْس : جماعة من قُرَيْش ومن خزاعة وبني عامر وكنانة كانوا يتشددون في دينهم ، ولهم تقاليد وطقوس خاصة . جَأواء : في لونها سواد . فَيْلَق : كتيبة عظيمة .

* يريد أنَّهم قابلوا جَمْع قريش وخزاعة وكنانة ، وقد جاؤوا بجموعهم ، بكتيبة كثيرة السّلاح .

١٥ النَّهْي : الغدير . القذاف ومُخَفَّق : موضعان .

* شبَّه البَيْض على رؤُوسهم ببيض النَّعام في ملاسته وصفائه . والبيض هنا بمعنى الخوذة المعدنيَّة .

١٦ صَادق : صلب ، والصّدق : الصّلب من كل شيء . أَزْمَعُوا بتَفرّق : أي عزموا .

* وهاجمناهم بسَيْل من الطَّعن ، الصّلب القوي ، حتَّى عزموا على التفرّق والفرار .

١٧ القُيُون : جمع قَيْن : العبد والصَّانع ، أو الحداد .

* يشبه الأكفّ والسّيقان المقطوعة بالحديد المقطَّع في بيوت القُيُون .

١٨ كَأَنَّهُمُ كـانُوا ظِبـاءً بِصَفْصَـفٍ ، أَفاءَتْ عَلَيْهِم غَبْيَةٌ ذات مَصْدَقِ

١٩ كَأَنَّ اخْتِلاءَ الْمَشْرِفِيِّ رؤُوسَهـم ، هَوِيُّ جَنُوبٍ ، في يَبِيسٍ مُحَرَّقِ

٢٠ لَدُنْ غُدْوَةً ، حَتَّى أَتى اللَّيلُ دُونَهم وَلَم يَنْجُ إلاَّ كلُّ جَرْداءَ خَيْفَقِ

٢١ ومُسْتَوْعِبٍ ، في الْجَرْي ، فَضْلَ عِنانِه كَمَرِّ الغَزَالِ الشَّـادِنِ المُتَطَلِّـقِ

٢٢ فأَلْقَوْا لَنَـا أَرْسَانَ كلِّ نجيَّـةٍ ، وسابغةٍ ، فكَـأَنَّهـا مَتْنُ خِرْنِقِ

٢٣ مُدَاخَلَةٍ من نَسْجِ داوود سكُّها كَحَبِّ الْجَنَـا من أُبْلُمٍ مَتَفَلِّقِ

٢٤ فَمَنْ يَكُ ذا ثَوْبٍ تَنَلْهُ رِمَاحُنا وَمَن يَكُ عُرْياناً ، يُوَائِلْ ، فيَسْبِقِ

---

١٨ الصَّفْصَف : ما استوى من الأرض ، ولا رمل فيه ولا تراب . أفاءت : رجعت . غَبْيَة : دفعة من المطر .

* يقول : كأنّ دفعَة من مطر أصابتهم ، فتَفرّقوا ، كما تفرق الظِّباء ، وقد كانوا في العراء .

١٩ الإخْتلاء : القطع .

* كأنّ قَطْع سيوفنا لرؤوسهم ، كإسراع ريح الجنوب ، وهي تقذفُ اليابس من النَّبْت .

٢٠ خَيْفَق : سريعة . الجَرْداء : يقصد بها الفرس القصيرة الشَّعْر .

* ظلَلْنَا نضرب فيهم حتى أقبل اللَّيْل ، ولم يَنْجُ منهم إلا كلّ فرس قصيرة الشَّعر ، سريعة العَدو .

٢١ مُسْتَوْعب : مُسْتَوْف . فضْل عنانه : يقصد المنطلق السَّريع . الشَّادن : القويّ النَّشيط .

* ولم يَنْجَ منهم إلا كُلّ من أرخى العَنان لنفسه في الهرب ، كأنَّه غَزال نشيط ، مُنْطلق بسرعة .

٢٢ الخرْنق : ولد الأرنب . أَلْقَوْا لَنَا : خلوا لنا . النَّجيَّة : السَّريعة . سَابغَة : درع ، والدرع تُشبَّه بمتون الخرَانق في لينها ومُلاستها .

* يريد أنَّهم فرّوا من المَعْركة ، وخلَّفوا وراءهم أرسان مطاياهم ، وجميع ما لديهم من دروع وأسلحة .

٢٣ سَكّهَا : مسمارها ، نسجها الضيق . الجَنَا : شجر . أُبْلُم : جمع أبلمة ، نبت .

* دروع محكمة النَّسج ، كأنها من نسج داود النبي ، تشبه حب الأبلم المتفلق بضيق حلقاتها

٢٤ * أي مَن كان ذا سلاح نالَتْه رماحَنا ، ومن طرح إلينا سلاحه ، نَجَا .

٢٥ وَمَن يَدعُوا شَيْئاً يُعَالَجْ بَئِيسُهُ ومَن لا يُغالُوا بِالرَّهائِنِ ، يَنْفُقِ

٢٦ وأُمُّ بُجَيْرٍ في تَمَارُسِ بَيْنِنا متى تَأْتِها الأَنباءُ ، تَخمِشْ وتَحْلِقِ

٢٧ تَرَكْنا بُجَيْراً حَيْثُ مَا كَانَ جَدُّهُ وفينا فِراسٌ عانياً ، غيرَ مُطْلَقِ

٢٨ وَلَوْلا جَنَانُ اللَّيلِ ما آبَ عامِرٌ إلى جَعْفَرٍ، سِرْبالُه ، لَمْ يُخَرَّقِ

٢٩ بِضَرْبٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ فيهِ جَوَانِحاً وطَعَنٍ كأَفواه المَزَادِ المُفَتَّقِ

٣٠ فعِزَّتُنا لَيْسَتْ بِشِعْبٍ بِحَرَّةٍ ولَكِنَّها بَحْرٌ بصحراءَ فَيْهَقِ

٣١ يُقَمَّصُ بالبُوصِيِّ فيه غَوَارِبٌ مَتَى مَا يَخُضْها مَاهِرُ اللُّجِّ يَغْرَقِ

٣٢ ومَجْدُ مَعَدٍّ ، كانَ فَوْقَ عَلاَيَةٍ سَبَقْنَا بِهِ إِذْ يَرْتَقُونَ ونَرْتَقِي

٢٥ البَئِيس : شديد الحاجة ، البؤس . يَنْفُق : يهلك .

* يريد أنّ البائس ينظر في بؤسه ، ومن لم يغال في فدائه ، فمصيره الهَلاك .

٢٦ التَّمَارُس : يريد الممارسة والقتال .

* يقول : إذا أمّ بُجَيْر نُعيَ وَلَدها في قتالنا ، خَمَّشَتْ وجهها ، وَحَلَقَتْ شعرها .

٢٧ بُجَيْر وَفَراس : إبنا عبدالله بن سلمة . جَدّه : حَظه ، عَانياً : أي أسيراً .

* تركنا بُجيراً حَيْث كان حظّه ، أي قتيلا ، وأسرنا فراساً ، ولم نفكّ أسره .

٢٨ آبَ : رَجع . سِرْبَالُهُ : قميصه .

* ولو لم يَنْجُ عَامر تَحْتَ جنح اللَّيْل ، لَمَا سَلمَتْ عليه قميصه ، أيّ لكانوا ضربوه وطعنوه .

٢٩ جَوَانح : أي دوان من الأرض . المَزَاد : جمع المزادة القربة .

* وألقيناهم أشلاءً تتهافت الجوارح عليهم من شدة الطَّعْن والضَرْب .

٣٠ الشِّعْب : الطَّريق . حَرّة : تلّة بركانيَّة . فيهق : واسع .

* يريد أن عزّتهم ليست ضيّقة كالشّعب في حَرّة ، بل إنَّها عظيمة ، شديدة الاتّساع كالبحر .

٣١ قَمَّصَ البَحْر بالسَّفِينَة : حركها المَوْج . البُوصِيّ : ضرب من السّفن . الغَوَارب : أعالي المياه . اللّجّ : الماء الكثير الّذي لا يُرى طَرَفَاه . المَاهر : الحاذق لكلّ عَمل ، وهنا السَّبَّاح الماهر .

* يشبّه عزّتهم وسعتها ، بخضمّ من المياه الكثيرة ، الّتي لا ترى نهايتها ، يمخر فيها نوع من السّفن ، تحركها الأمواج ، والّتي يغرق في لججها المتلاطمة كل سبّاح ماهر .

٣٢ لقد تفوّقنا على مَجْد مَعَدّ وغلبناه ، بالرّغم من علوّه ومناعته ، أي أنهم تفوّقوا على العرب ، جميعهم .

٣٣ إذا الْهِنْدُوَانِيَّاتُ كُنَّ عُصِيَّنَا بِهَا ، نَتَأَيَّا كلَّ سَاقٍ ومَفْرِقِ

٣٤ نُجَلِّي مِصَاعاً بالسُّيوف وجُوهَنَا إذا اعْتَفَرَتْ أَقدامُنا ، عِنْدَ مَأْزِقِ

٣٥ فَخَرْتُمْ عَلَيْنَا أَنْ طَرَدْتُمْ فَوَارِساً وَقَوْلُ فِرَاسٍ ، هَاجَ فِعْلِي ومَنْطِقِي

٣٦ عَجِلْتُمْ علينا حِجَّتَيْنِ عليكُم وما يَشَإِ الرحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ

٣٧ هو الجابِرُ العَظْمَ الكَسِيرَ وما يَشَأْ من الأَمرِ ، يَجْمَعْ بينَه ويُفَرِّقِ

٣٨ هو المُدْخِلُ النُّعمانَ بَيْتاً سماؤه صُدُورُ الفُيولِ بعدَ بيتٍ مُسَرْدَقِ

٣٩ وبَعْدَ مُصَابِ الْمُزْنِ كان يَسُوسُهُ ومالِ مَعَدٍّ بعدَ مالِ مُحَرِّقِ

٤٠ له فَخْمَةٌ ذَفْرَاءُ تَنْفِي عَدُوَّهُ كَمَنْكِبِ ضاحٍ من عَمَايَةَ مُشْرِقِ

---

٣٣ نَتَأَيَّا : نَتَعَمَّد ونقصد . الهِنْدوانيَّات : السّيوف .

* ولقد صعدنا إلى مجد معد على عصي ، هي سيوفنا التي نقطع بها كل ساق وعنق لأعدائنا .

٣٤ المِصَاع : المقاتلة والمجالدة بالسّيوف . اعْتَفَرَ : انعفر بالتراب .

* فاذا ما اشتدت الحرب علينا واعتفرت أقدامنا عند مأزق . نكشف مجالدة بالسّيوف وجوهنا وننتصر .

٣٥ هَاجَ : أثار .

* لقد حاولتم أن تفخروا علينا وتدعوا أنكم طردتم بعض فوارسنا ، فكان قول فراس (واحد منهم) ذلك مثاراً لفعلي في الحرب ضدكم ، وللرّد عليكم في قصيدي هذا .

٣٦ حِجَّتَيْن : سنتين كانتا عليهم ، وفي هذا البيت يظهر خضوعه للرّحمان .

٣٧ الله هو الّذي يصيب النّاس بما يشاء ، هو يجمعهم وهو يفرّقهم .

٣٨ كان كسرى حَبَس النّعمان في بَيْت فيه فُيُول . مُسَرْدق : ذو سرادق .

* إنّ الله قدر للنّعمان أن يُسْجن في حظيرة الفيَلَة ، بعد أن كان يَسْكن قصراً له سرادق .

٣٩ * أي بعد أن كان يحكم البلاد الخصيبة ، وبعد أن كان ذا مال وغنى كثير ، أكثر من مال معدّ ومُحرّق .

٤٠ فخْمَة : كتيبة ضخمة . ذفْرَاء : ظهرت رائحتها كالمسك الأذفر . ضَاح : ما برز للشّمس . عَمَايَة : اسم جبل .

* كان له كتيبة ضخمة طيّبة الريح ، كمنكب مشرف بارز من جبل عماية ، تصدّ أعداءه .

أَوْدَى الشَّبَابُ

يستهلّ هذه القصيدة برثاء شبابه ، إذ كان يُنْفق عمره في حلقـات الأنس أو في السَّير على الأعداء دون كَلَل ، بأفراس مستكملة الخلق ، ذاكراً بعض المواقع ، معدداً الأسلحة ، وواصفاً القتال ، مُخْتتماً بتعداد مآثرقومه ، وهي ، في معظمها ، مآثرمستمدة من واقع البيئة والعصر.

والشّاعر إذ يَتَلَهَّفُ على الشَّباب ، لا يصرّح بندمه على اللّذة والمجون ومعاتبة النّساء ، بل على ما كان منه من كرّ على الأعداء وبطش فيهم ، متغنّياً بفَرَسه ، كمن يتغنّى بربيب حرب وإلْف قتال ، وبالأسلحة كأنها أدوات فرح ونشوة . وذلك كلّه ، يعبّر عن طبعه الفروسيّ ونزوعه منزع البطولة . فشعره هوشعر الانتصار ، يطرب فيه لمرأى الدماء والقتلى ، ويرسم عبره ، صورة الإنسان المحتفل بقوّة ساعده ، المُدافع عن كرامته وكرامة قبيلته ، يحفزه الثأر ، ويذلّه العار .

أمَّا أسلوبه خلال هذه القصيدة ،فهو الأسلوب ذو الجرس الخشن الداوي ، والصُورة المُنْتزعة من أديم الواقع الحسّي والمشهد النَّابض حياة والَّذي لا يشيرإلى أكثر ممَّا تشير إليه العَيْن المجرّدة والعَقْل الواضح الصّريح . فليس في شعر سلامة موقف خاص إزاء الأشياء ومعانيها ، بل أنه ينظر إليهما من خلال غلالة قانية زاهية زهوا بدائيا . فهويكاد لا يلمّ بمعنى ، حتى يؤديه في أقصى أبعاده ، ويورده كمعنى خارق بدلالته ، أو يشبهه بتشابيه تُثْبته في حدود الواقع الذي يحركه الانفعال والحماسة ، فيدرك مثاله دون أن يخرج عن طبيعته .

١ أَوْدَىٰ الشَّبَابُ حَمِيداً ذُو التَّعَاجِيبِ   أَوْدَىٰ ، وذٰلكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ

٢ وَلَّىٰ حَثِيثاً ، وهذا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ   لو كان يُدْرِكُهُ رَكْضُ اليَعـاقِيـبِ

---

١ أَوْدى : هلك . حميداً : يقصد الشَّباب ولى حميداً . الشَّأو : الطلق والسبق .

* إنّ الشَّباب قد ولى جماله ، ولن يدرك بعد أن يفوت .

٢ ركْضُ اليَعَاقيب : اليعاقيب ، جمع يعقوب ، وهوذكرالحجل .

* يريد أنّ أيام شبابه ركضت مسرعة ،وأخذ الشَّيب يطلبها .

٣ أَوْدَىٰ الشَّبَابُ الَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ ... فِيهِ نَلَـذُّ ، ولا لَـذَّاتِ لِلشَّيبِ
٤ وللشبابِ إذا دامَت بَشَاشَتُـهُ ، ... وُدُّ القلوبِ مِن البِيضِ الرَّعابيبِ
٥ إنَّا إذا غَرَبَتْ شَمسٌ ، أَوْ ارتفعتْ ... وفي مَبارِكِها بُـزْلُ المَصَـاعِيبِ
٦ قد يَسْعَدُ الجـارُ والضيفُ الغريبُ بنا ... والسائلونَ ، ونُغْلِي مَيْسِرَ النِّيبِ
٧ وَعِنْدَنا قَيْنَـةٌ بيضَـاءُ ناعِمَـةٌ ... مِثْلُ المَهـاةِ من الحُورِ الخَرَاعِيبِ
٨ تُجْرِي السِّوَاكَ على غُرٍّ مُفَلَّجَةٍ ، ... لم يَعْرُها دَنَسٌ تَحتَ الجَلابيبِ
٩ دَعْ ذا ، وقُلْ لِبَنِي سعـدٍ لِفَضْلِهِم ... مَدْحاً يَسِيرُ به غـادِي الأَرَاكِيبِ

---

٣ * يؤكّد ذهاب أيام شبابه الجميلة النَّضرة . أما أيَّام الشَّيْب ، فلا لذة ولا سعادة فيها ، بل إنها تأتي بالهرم والعلل .

٤ الرّعَابيب : جمع رعْبوبة وهي الجارية البيضاء الحسنة ، الرّطبة ، الحلوة .

* والشَّباب إذا دام فرحه يُكْسب الشَّاب وُد الغانيات الحسان .

٥، ٦ المَصَاعيب : جمع مصعب وهو الفَحْل من الإبل . المَيْسر : اللّعب بالأقداح . وأراد به هنا الجزور التي يُتَقَامر علَيْها . النّيب : جمع ناب ، وهي المسنَّة من النّوق . إغْلاؤها : شراؤها بثمن غال .

* يفخر بأنّ جارهم يكون سعيداً بجوارهم ، وإذا ما حلّ الغريب بهم في أي وقت من النَّهار ، يحلّ على الرّحب والسّعة ، وهم يُكْرِمون طالب المعروف ، ويقامرون على نياق مسنَّة ، غالية الثَّمن ، لتُوَزّع لحومها على السَّائلين .

٧ القَيْنَة : الأمة المُغَنّيَّة . المَهَاة : البقرة الوحشيَّة . الخَراعيب : جمع خرعوب ، وهي الشَّابة الحسنة القوام ، الرّخْصة الليّنة .

* وعندنا أمة مغنّية ، حسنة القوام ، رخصة ليّنة ، حوراء العَيْنَيْن .

٨ الثَّنَايَا الغُرّ : البيض . المُفَلَّجَة : ذوات الفلج ، وهو تباعد ما بينها . لَمْ يَعْرُها : لم يلصق بها .

* تنظّف أسنانها البيض المفلَّجة بالمسواك ، عفيفة ، لم يلحقها دنس .

٩ الأَراكيب : جمع أركوب ، وهو أكثر عدداً من الركب الَّذي هو جمع راكب .

* دع الغزل وقل مدحاً لبني سعد تسير به الركبان عند غدوها .

١٠ يَومَانِ : يومُ مُقَامَاتٍ وأَنْدِيَةٍ ، ويومُ سَيْرٍ إلى الأَعداء تَأْوِيبِ

١١ وكَرُّنا خَيْلَنَا أَدْرَاجَها رُجُعاً ، كُسَّ السَّنابِكِ ، مِن بَدْءٍ وتَعْقِيبِ

١٢ والعادِياتُ أَسَابِيُّ الدِّمَاءِ بها ، كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيبِ

١٣ مِن كُلِّ حَتٍّ ، إذا ما ابْتَلَّ مُلْبَدُهُ صَافِي الأَدِيم ، أَسِيل الخَدِّ ،يَعْبُوب

١٤ يَهْوِي إِذَا الخيلُ جازَتْهُ ، وثارَ لَهَا هُوِيَّ سَجْلٍ من العَلياءِ مَصْبُوبِ

١٥ لَيْسَ بِأَسْفَى ، ولا أَقْنَى ، ولا سَغِلٍ ، يُعْطَى دَوَاءَ قَفِيِّ السَّكْنِ ، مَرْبُوبِ

---

١٠ المُقَامَات : جمع مقامة ، وهي المجلس . التَّأويب : سير يوم إلى اللَّيل .

* كنَّا نقضي شبابنا في حالتَيْن ، فإمَّا أن نلهو بالمجالس والاندية ، وإما أن نسير على الأعداء منذ الصَّباح حتَّى المساء ، أي بَيْن اللَّهو والحرب .

١١ الأدرَاج : الطَّرق ، يقال : رجع على أدراجه ، أي الموضع الَّذي جاء منه ، وأدرَاجَها : أي من حَيْث جاءت ذهبت وبالعكس . كُسّ السَّنابك : أي تحاتت سنابكها وأكلتها الطريق لطولها . والسُّنْبُك : مقدم الحافر . التَّعْقيب : الرّجوع . الكَرّ : الرّجوع .

* يستكمل المعنى السَّابق بقوله : إنهم كانوا يقضون يومهم يكرّون ويفرّون على الأعداء ، حتى تحاتت سنابك خيلهم ، وأكلتها الطّريق .

١٢ العَاديات : الخيل . الأُسَابي : الطَّرائق . تَرْجيب : تعظيم .

* شبَّه أعناقها لما عليها من الدمّ بالحجارة التي يُذبح عليها .

١٣ الحَتّ : الجواد السَّريع . مُلْبَدُهُ : موضع حزامه . صَاف الأديم . جلده صاف . الأسيل : الطَّويل الجميل . يَعْبُوب : كثير الجري ، كريم .

* يصف أفراسهم ، فإذا الفرس يزداد سرعة عدو ، بعد أن يبتلّ متنُه بالعرق ، وهو صافي الجلد ، طويل الخدّ ، كريم الأصل .

١٤ جَازَتْه : فاتته . السّجْل : الدلو العظيم .

* يهوي هذا الجواد إذا فاتته الخيل كانسكاب الدلو من عل .

١٥ أقْنَى : أن يكون له حدة في الأنف وهي مذمومة في الخيل . الأسْفَى : خفيف شعر النَّاصية والذنب . سَغل : مهزول . القَفِيّ : الَّذي يسقى اللبن ويُؤثَر على أهل البيت .

* فيه تكرار لأوصاف البيت السَّابق وتأكيد لها ، فهذا الفرس ليس أقنى ، ولا خفيف شعر النَّاصية ولا مهزولا ، يُسْقى اللّبَن ، ويُؤثَر على أهل البيت ، الذين يقطن معهم .

١٦ في كلِّ قائِمَةٍ منـهُ ، إذا انْدَفَعَتْ منهُ أَساو ، كَفَرْغ الـدَّلْو أُثْعُـوبِ

١٧ كأنَّهُ يَرْفَئِيٌّ نَامَ عــن غَنَـــم مُسْتَنْفِرٌ ، في سَوَادِ اللَّيْل مَذْؤُوبُ

١٨ يَرْقَى الدَّسِيعُ إلى هادٍ لَـهُ بَتِعٌ ، في جُؤجُـؤ كَمَدَاكِ الطِّيبِ مَخْضُوبِ

١٩ تظاهَرَ النَّيُّ فِيهِ ، فَهْوَ مُحْتَفِـلٌ يُعْطِي أَساهِيَّ ، مِن جَرْيٍ وتَقْرِيبِ

٢٠ يُحاضِرُ الجُونَ ، مُخضَرًّا جَحَافِلُها ويسْبِقُ الأَلْف ، عفْواً غيْرَ مضْرُوبِ

٢١ كم مِن فقيرٍ بإِذنِ اللهِ قـد جَبَرَتْ ، وذي غِنى بَوَّأَتْـه دارَ مَحْـرُوبِ !

---

١٦ الأساوي : الدفعات من الجري . فَرْغُ الدلْو : مخرج الماء منها . أثْعُوب : سائل
* شبَّه دفعات جري الجواد بانصباب الماء من الدلْو ، في السّهولة .

١٧ اليَرْفئيّ : راعي الغنم . مَذؤوب : جاءه الذئب .
* شبَّه فرسه لحدته وطموح بصره ، بالرّاعي نام عن غنمه حتّى وقعت فيها الذئاب ، فقام من نومه مذعوراً .

١٨ الدسيع : مغرز العنق في الكاهل . البتَع : طول العنق . الهَادي : العنق ، وهادي كل شيء : أوله . جُؤجؤ : صدر . المَداك : الصّلابة ، أراد أملس سهلا . مَخْضُوب : مضرّج بالدِّماء .
* يستكمل وصف الفرس ويقول : إنه قويّ الدسيعة . طويل العنق ، وصدره شبيه بالحجر الأملس الذي يُدقّ عليه النّبات الطيّب .

١٩ أسَاهي : ضروب من الجري . النَّيّ : الشَّحْم . مُحتَفِل : سريع . التَّقْريب : نوع من الجري .
* تجمَّع الشَّحم فيه واكتنز ، فهو سريع يعطي من العَدو فنوناً لا حدّ لها .

٢٠ يُحَاضر : يطاول في الجري . الجُون : الحمير السود ألوانها ويقصد الحُمُر الوحشيَّة . مُخْضَرًّا جَحَافلَهَا : من أكل الرّطب . يسْبقُ الألْف : أي يفوتها على رسله ولم يهج .
* يطاولها بشدة الجَرْي والعَدو ، وقد اخضرَّت جحافلها من أكل الرّطب ، ويسبق الألف فرس على هيّنة من أمره ، وغير مخذول .

٢١ يقصد أنّ الفقير ينتصر والغني تكون نتيجته الفشل . جَبَرَتْ : أغنت . بَوّأتْه : انزلته . المَحْرُوب : الّذي حرب ماله وسلب .
* يريد كم أغْنَتْ من فقير مُعْدِم . وأفقَرَتْ من غنيّ مُوسر .

٢٢ مِمَّا تُقَدَّمُ في الهَيْجا ، إِذَا كُرِهَتْ عندَ الطِّعانِ ، وتُنْجِي كلَّ مَكْرُوبِ

٢٣ هَمَّتْ مَعَدٌّ بِنَا هَمًّا ، فَنَهْنَهَهَا عَنَّا طِعَانٌ وضَرْبٌ غيرُ تذبِيبِ

٢٤ بالمَشْرِفيِّ ، ومَصْقُولٍ أَسِنَّتُهَا ، صُمِّ العَوَامِلِ ، صَدْقَاتِ الأَنابيبِ

٢٥ يَجْلُو أَسِنَّتَهَا فِتْيَانُ عَادِيَةٍ ، لا مُقْرِفِينَ ، ولا سُودٍ جَعَابِيبِ

٢٦ سَوَّى الثِّقَافُ قَنَاها ، فَهْيَ مُحْكَمَةٌ ، قليلةُ الزَّيْغِ من سَنٍّ وتَرْكيبِ

٢٧ زُرْقًا أَسِنَّتُهَا ، حُمْراً ، مُثَقَّفَةً أَطْرَافُهُنَّ مقِيلٌ لِليَعَاسِيبِ

---

٢٢ الهَيْجا : الحرب . مَكْرُوب : أصابة الهمّ .

* يقول : هذا الفرس من الخيل الَّتي تقدم في الحرب ، إن طَلَبَ أدرَك ، وإن طُلبَ فات

٢٣ نَهْنَهَا : كفَّها وزجرها ، ضَرْب غَيْر تَذْبيب : ضرب صائب وهي مبالغة في الذبّ ، وهو الدفع والمَنْع والطَّرد .

* هاجمتنا مَعَدّ بفرسانها ، فكَفَفْنَاها عنَّا ، بطعن وضرب ودفع .

٢٤ المَشْرفيَّة : السَّيوف نسبت إلى قرى بمشارف الشَّام . صُمّ العَوَامل : الرّماح القوية . الصّمّ : غير المجوّفة . العَوَامل : جمع عامل : الصّدور ، وصدر الرّمح ، هو ما يلي السّنان . صَدقَات : صلبات مستويات .

* وضربناهم بسيوف مشرفيَّة ، وطعناهم برماح صلبة الصّدور ، مستوية ، وغير مجوّفة .

٢٥ المُقْرِف : من كانت أمه عربية وأبوه غير عربي ، الجَعَابيب : القصار الضّعاف . يَجْلُون أسنَّتها : يصقلونها . العَادية : الحرب .

* يصقل أسنَّتها ويتعهَّدها فتيان حرب ، لا هم مقرفون ، ولا هم قصار ، ضعاف .

٢٦ الثّقَاف : خشبة يُقَوّم بها الرّمح . الزَّيْغ : الاعوجاج : السَّنّ : التحديد . التَّرْكيب : تركيب النّصال .

* يقول : عالج المثقّف هذه الرّماح بالثّقاف ، وسوّى اعوجاجها ، فهي محكمة النّصال ، محددة السّنان .

٢٧ اليَعَاسيب : هنا الرّؤساء .

* جعل أسنَّتها زرقاً لشدة صفائها ، وحمراً لأنه إذا اشتد الصّفاء خالطته شكْلة ، أي حمرة . وهي مثقَّفة وأطرافها مقيل للرؤساء ، يريد أنهم يقتلون الرؤساء ، فيرفعون رؤوسهم على أسنَّتها .

٢٨ كَأَنَّهَا بأَكُفِّ القـومِ ، إِذْ لَحِقُوا   مَوَاتِحُ البِئْرِ ، أَو أَشْطَانُ مَطْلُوبِ

٢٩ كِلاَ الفَرِيقَيْنِ أَعلاهم وَأَسْفَلُهُـــمْ ،   يَشْقَى بأَرْماحِنـا غيرَ التَّكَاذِيـــبِ

٣٠ إِنِّي وجدتُ بَنِي سعْدٍ يُفَضِّلُهُـمْ   كلُّ شِهَابٍ علَى الأَعْـدَاءِ مَشْبُوبِ

٣١ إلى تَميمٍ حُمَاةِ العِزِّ نِسبَتُهُـــمْ ،   وكلِّ ذِي حَسَبٍ في النَّاسِ مَنْسُوبُ

٣٢ قَومٌ ، إِذا صَرَّحَتْ كَحْل ، بُيُوتُهُمُ   عِزُّ الذَّلِيل ، ومَأْوَىٰ كلِّ قُرْضُوبِ

٣٣ يُنْجِيهِمُ مِن دَوَاهِي الشَّرِّ ، إِنْ أَزَمَتْ   صَبْرٌ عليها ، وقِبْصٌ غيرُ مَحْسُوبِ

---

٢٨ كَأَنَّها : يعني الرِّماح . المَوَاتِح : البكرات التي يَمْتَحُ المستقي عليها ، أي ينتزع بها الماء . الأَشْطَان : جمع شطن ، الحبل . مَطْلُوب : بئر لبني كلاب .

* يشبّه رماحهم بحبال طويلة ، تصل إلى قاع بئر « مطلوب » .

٢٩ يعني فريقي معدّ : من كان منهم معالياً بأرض نجد فهم عليا معدّ ومن كان منهم مسافلا ، فهم سفلى معد . أي من كان منهم في أعلى نجد ، أو في أسفلها .

* يندّد بمعدّ ويفخر بقومه ، وتنكيلهم بفريقي معد ، بضربات رماحهم القويَّة .

٣٠ الشِّهَاب : أصله الشُّعْلة السَّاطعة من النَّار ، وأراد به هنا الرّجل الماضي في أمره . مَشْبُوب : مقوّي ، من قولهم : شَبَبْتُ النَّار : أي قَوَّيتُها .

* يقول : لقد وجدت شباب بني سعد وكأنَّهم الشّعلة السَاطعة من النَّار ، عند مواجهتهم الأعداء ، ولهذا فكل رجل ماض يؤثرهم .

٣١ * يريد أنّ بني سعد ينتسبون إلى بني تميم حماة العزّ والمجْد ، وذوي الحسب والنَّسب .

٣٢ صَرَّحَت : بيَّنت ولم يكن فيها غَيْمٌ ولا مطر . الكَحْل : السنة الشَّديدة . ويروى : إذا أصبحت كحلاء بؤبؤهم . أي لم يكن إلاّ قدر ما تكحل به العين .

مَأوى كل قُرْضُوب ، القَرَاضبة : اللّصوص ويقال : أهل الفقر والحاجة .

* يريد : أنهم قوم ، إذا أجدبت السّنة ، فاليهم يلجأ أهل الفقر والحاجة .

٣٣ أَزَمَت : اشتدتْ . القِبْصُ : العدد الكثير وغير محسوب لكثرته . ويقصد أنَّهم في سَنيّ المحل يكرمون ويعطون .

* يريد أنهم يصبرون على دواهي الشَّرّ ، إن إزمت بهم الأمور ، وهم في سَنيّ القحط يكرمون ويعطون بلا حساب .

٣٤ كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شآمِيَةً بكلِّ وادٍ ، حَطِيبِ الجَوْفِ ، مَجْدُوبِ

٣٥ شِيبَ المبَارِكِ ، مَدْرُوسٌ مَدَافِعُهُ ، هَابِي المَرَاغِ ، قليلِ الوَدْقِ ، مَوْظُوبِ

٣٦ كُنَّا إِذَا مَا أَتانا صارخٌ فَزِعٌ ، كان الصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ

٣٧ وشَدَّ كُورٍ عَلَى وَجْنَاءَ نَاجِيَةٍ وشَدَّ سَرْجٍ على جَرْدَاءَ سُرْحُوبِ

٣٨ يُقَالُ مَحْبِسُها أَدْنَىٰ لِمَرْتَعِها وإِنْ تَعَادَىٰ بِبُكْءٍ كلُّ مَحْلُوبِ

٣٩ حَتَّىٰ تُركنا ، وما تُثْنَى ظَعَائِنُنَا يَأْخُذْنَ بينَ سوادِ الخَطِّ ، فاللُّوبِ

٣٤ شآمِيَة : شمالية .

* كنَّا إذا هبَّت الرّيح شمالية وأجدبت الأرض ننزل بكل واد كثير الحطب لنعقر ونطبخ ، ولا نبالي أن يكون مجدوباً ، أي لم يظهر نباته .

٣٥ شيب المُبَارك : يقصد أنّ بقاع هذا الوادي قد ابيضت للجدب . مَدْرُوس مَدافعُهُ : أوديته التي فيها نبت ، وُطئَت وأكل نَبْتُها . هَابي : مثل التّراب في الدقة . المَرَاغ : البقعة التي يتمرغ فيها البعير ، وهابي المراغ : منتثر الغبار في مراغاته . مَوْظُوب : واظبت عليه السّنون فلم تترك به شيئاً ، الوَدْق : المطر .

* يريد أن بقاع هذا الوادي قد ابيضّتْ للجدب ، وأوديته التي كان فيها نبت قد وطئت وأكل نبتها وأصبحت مراغاته غباراً لدقَّة التراب فيها وقلَّة المطر ، وقد واظبت سنو الجدب عليه فلم تترك شيئاً .

٣٦ الظّنْبوب : عظم السَّاق . الصّارخ : المستغيث .

* يريد أنَّه عندما يأتيهم الصّارخ ، ينيخون البعير ، فاذا عَسُر عليهم ، ضربواظنبوبه فبرك .

٣٧ الكُور : الرّحل . الوَجْنَاء : الناقة الشديدة ويقصد بالناجية السريعة . جَرْداء : قصيرة الشعر . سُرْحُوب : طويلة .

* فلبَّينا نداء الملهوف الفَزِع ، وشددنا الرّحال على النّياق الشّديدة السَّريعة ، والسروج على الخيل الجرد الطويلة .

٣٨ المَرْتَع : مكان الرعي . البُكْء : جمع بكأة : نبات كالجرجير . تَعَادى : ازداد عدوه .

* يقول : إذا نزلنا الثّغر ، فحبسنا به الإبل حتى تخصب ونهاب ، قال النَّاس : إن محبس هذه الإبل على دار الحفاظ أدنى لأن تنال المرعى ، حتى وإن ذهبت ألبانها بحبسها .

٣٩ الخَطّ : مرفأ بالبحرين تباع به الرّماح . اللّوب : جمع لأبة ، الحرّة ، الأرض السَّوداء . وتُثْنى : تمنع وتردّ عن وجهها .

* يريد أنّ المرعى اتّسع لهن ، فلا يردهن أحد عن مكان .

لَوْ كُنْتُ أَبْكِي لِلْحَمُولِ

١	لَوْ كُنْتُ أَبْكِي للحُمُولِ ، لَشَاقَنِي	لِلَيْلَى ، بِأَعْلَى الوَادِيَيْنِ ، حُمُولُ
٢	يُطَالِعُنَا ، مِنْ كُلّ حِدْجٍ مُخَدَّرٍ ،	أَوَانِسُ بِيضٌ ، مِثْلُهُنَّ قَلِيلُ
٣	يُشَبِّهُهَا الرَّائِي مَهًا بِصَرِيمَةٍ ،	عَلَيْهِنَّ فَيْنَانُ الغُصُونِ ظَلِيلُ
٤	عَقِيلَتُهُنَّ الهَيْجُمَانَةُ عِنْدَهَا	لَنَا لَوْ تُحَيَّا نِعْمَةٌ وَمَقِيلُ
٥	وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِمُ	بِنَاءً بِمَوْمَاةِ الفَلاَةِ يَجُولُ
٦	كَمَا جَالَ مُهْرٌ فِي الرِّبَاطِ يَسُوقُهُ ،	عَلَى الشَّرَفِ الأَقصى المَحَلَّ خُيُولُ

---

١ الحُمُول : جمع الحمْل ، وهي الهوادج ، أو الإبل التي عليها هوادج .

* أي من فرط شوقه لليْلى ، وبكائه على رحيلها ، أصبح يراها في كلّ هودج مارّ فوق الواديَيْن ، ويتذكر رحيلها فيبكي .

٢ الحِدج : مركب المرأة على ظهر النَّاقة أو الهَوْدج أو الرَّحل . مُخَدَّر : مُستتر .

* انتقل إلى وَصْف ما يرى في هذه الهوادج المارّة . يرى أوانس بيضاً ، يندر وجود أمثالهنّ

٣ المَهَا : البقرة الوحشيَّة ، يُشَبَّه بها ، لجمال عيونها . الصَّرِيمَة : القطعة من اللَّيل . الفَيْنَان : ما تهدل من أغصان الشَّجر .

* إنّ هذه الأوانس بمرورها لتشبه البقر الوحشيّ حين تظلّلها أغصان الشَّجر .

٤ الهَيْجُمَانة : القيّمة على النّساء ، مثل الماشطة .

* أي تحرسهن امرأة ، تشدّ عقالهنّ ، فلا يستطعن إفلاتاً ، ولا تدع أحداً يصل إليهن . وعندها لنا مكث ونعمة لو رضيت .

٥ فتْيان صدق : الفتيان الأشداء في الحرب . المَوْمَاة : المفازة الواسعة أو الفلاة التي لا ماء فيها .

* أي وأعتمد على فتيان أشداء ، يجوبون المفازات غير متهيّبين ، ولا خائفين من جوع أو عطش .

٦ المُهْر : إبن الفرس .

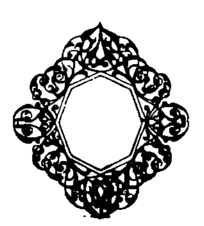
* يصف تجوال هؤلاء الفتيان في المفازة كتجوال المهر في الرّباط .

٧ تَلاَقَتْ بَنُو كَعْبٍ ، وأَفْنَاءُ مَالِكٍ بِأَمْرٍ ، كَصَدْرِ السَّيْفِ ، وهو جَلِيلُ

٨ تَرَى كُلَّ مَشْبوخِ الذِراعَيْنِ ضَيْغَمٍ يخبُّ به عارٍ ، شَواهُ عَسُـولُ

٩ أَغَرَّ مِنَ الفِتْيَانِ ، يَهْتَزُّ لِلنَّـدَى كما اهْتَزَّ عضْبٌ باليَمِينِ صَقِيلُ

١٠ كَأَنَّ المَذَاكي ، حينَ جَدَّ جَمِيعُنَا رَعِيلُ وُعُـولٍ ، خَلْفَهُنَّ وُعُـولُ



---

٧ * أي التحم الفريقان على شيء جليل ، وواضح كصدر السَّيف .

٨ مَشْبوح : معرّض كالأسد . شَوَاه : قوائمه . عَسُول : يهتزّ ليناً .

* ترى كل محارب معرّضاً نفسه كالأسد ، يتنقل في ساحة الوغى ، على ظهر فرس عاري القوائم ، يتمايل وهذا دليل على عزّه وقوّته .

٩ العَضْب : السَّيف القاطع .

* ترى هذا الفتى يهتزّ طرباً ، لكلّ بادرة كرم ، كما يهتزّ السَّيف القاطع ، في يمين المحارب .

١٠ المَذاكي : الخيل العتاق الحسان. رَعيل : جماعات . الوَعْل : حيوان مجتر بري أكبر من الغزال، يسكن قلل الجبال .

* يشبّه اجتماع المذاكي في القتال باجتماع الوعول قطعاناً .

حَاتِمُ الطَّائي

حَاتِمُ الطَّائي

٠٠٠٠ ـ نحو ١٥ ق. هـ.

هو حَاتم بن عبدالله بن سعد الحشرج ، بن طَيْء . أمه عتبة بنت عفيف بن عمرو بن أخزم كانت ذات يسار وسخاء ، حَجَر عليها إخوتها ومنعوها مالها ، إذ ألفوها لا تُمْسك شيئاً تملكه . وقد نشأ ابنها على غرارها في الجود . لا يصد طالباً . ولا يتحجب عن راغب . قيل فيه : كان حاتم من شعراء العرب ، وكان جواداً يُشْبه شعرُه جودَه . ويصدق قولُه فعلَه . وكان حيثما نزل عُرف منزله ، وكان مظفَّراً ، إذا قاتل غَلبَ . وإذا غَنم أنهب ، وإذا سئل وهب وإذا ضَرَبَ بالقداح فاز ، وإذا سابق سَبَقَ . وإذا أَسَر ، أطلق . وكان يقسم بالله لا يقتل واحد أمه . وذكر أن أم حاتم أتيت في المَنام ، وهي حُبْلى ، فقيل لها : أغلام سمح ، يقال له « حاتم » أحب إليك ، أم عشر غُلمة كالنَّاس ؟ فقالت : حاتم . فولد لها حاتم ، فلما ترعرع جعل يُخْرج طعامه ، فان وجد من يأكل معه ، أكل . وإن لم يَجدْ ، طرحه .

وقد تداول الرّواة نوادر شتَّى في كرمه وشجاعته وعفَّته ، حتَّى اختلط الواقع فيه بالأسطورة كأنما هدف واضعوها إلى الإثارة والدهشة ، فلم يذكروا له ذكراً ، ولم يقولوا فيه قولا ، أو يصفُوا عملا ، إلا وأضفوا عليه صفة البذل والغرابة . فهو لا يغزو غزوة ، ولا يحظى حظوة ، إلا ويجدُ لها سبيلا من سبُل الكرم والانفاق . وقد يَنْحَر النوق لنَفَر قليل ، ثم لا يدعهم يرحلون ، إلا بعد أن يقتسموا إبله ، جزاء ما ذكروا له وما امتدحوه به من فَضْل . وقد نَفَّر عنه بعض أهله وخلّفوه وحيداً ، بعد أن أنهب ماله ، وفتح يده في العطاء . ولم يزل حاتم على حاله في إطعام الطعام ، وإنهاب ماله ، حتى وَلَّى . والرّواة لا يقصرون فضيلة الكرم عليه ، بل يُحيطُون بها جميع من ينتسبون إليه بنَسَب . وهم يذكرون لأبنائه مثلما ذكروا له في حب إتلاف المال ، وإنفاق رزقهم ورزق عيالهم ، بل إنهم نَموا إليه حب القِرى ، بعد مماته ، وجعلوه يخرج من قبره لينحر للقائمين عليه ويقربهم .

* * *

ومعظم شعره يدور حول الكرم والعطاء والأنفة ، وبعد الهمَّة وقوة السَّاعد ، والحفاظ على الجار . وله في الشّهامة سُنَّة تتعدى الكرم إلى كل شأن من شؤون الحياة . فهو يحفظ الود ، ولا يُريب بريبة . لا يظلم قريباً أو بعيداً ، لا يغتر بمال ولا يذل بفقر . يرعى حرمة الجار . فلا يدع عينه تبصر في خباء جاره وهو لا يشتري المال بالغدر ، ولا يطفىء ناره ، وخلال ذلك كله ، يشعر

أن الحياة مُوَلِّيَةٌ . وأن الزّمن يأتي على كل شيء .

وحاتم ، إلى ذلك ، فارس شجاع ، وصعلوك فذ ، يجمع سائر الصعاليك ، ويغدق عليهم ويتولى رعايتهم . وله في الحروب مواقع ، ومفاخر يَفْخر بها على غرار الجاهليين . إلا أنه يخلع على عنجهيَّته وفروسيَّته ، إطاراً إنسانياً ، ويسكب عليها من قلبه الكبير وشهامته ، فتتضاءل فيها الثارات والأحقاد ، وتضعف فيها صور التمثيل والسَّلب .

ولعل تصرفاته وأشعاره تصدر عن موقف نفسي خاص من الحياة ، ومعناها وقيمها . فهو يرى أن المرء الذَّي يكتفي من دهره بما يناله من طعام وشراب وملبس ، إنما هو امرؤ خامل فاقد الرجولة ، زري ، لم يفطن إلى غاية الحياة ولم يدرك معنى السَّعادة الحقيقية . فالإنسان أعظم من أن يكتفي بتلك الأمور ، كغاية له في الحياة ، بل إن غايته هي في تحقيق مثال البطولة ، في اقتحام الصعاب ، في النهوض إلى المطامح الكبيرة ، حفاظاً على كرامة الحياة وسؤددها وشرفها ، وليس الطعام والشَّراب وما إليهما سوى إمتداد للمال في ذهن الشَّاعر ، وتحقيره لأمرهما ، هو إمتداد لتحقيره لأمر المال ، وهو لا يسعد به ، ولا يطرب لاقتنائه ، إلا بقدر ما يوفَّق به إلى إغاثة الآخرين وإقالتهم من عثراتهم ، والشعور بنشوة مَنْ صَنَع الخير وقضى على الشَّر .

فحاتم ، شاعر إيجابي من النَّاحية الخلقية ، مثله مثل عنترة ، وإن كانت صفة الفروسيَّة الدامية أغلب على شعر الأخير . فهو يعبر عن الإيمان بالحياة وحكمتها وعن محبته وتقديره لها ، ولا يقف منها موقف الرّفض ، المُسَفِّه لإرادتها ونواميسها ، السَّاخر من مبادئها كطرفة وامرىء القَيْس . فشعره هو شعر اليقين ، فيما كان شعر طرفة ومن إليه ، شعر الريبة ، والالحاد . وقد صمد فيه للائميه وعذاله واضطهاد أهله ، وهو لا يبرح يذكر عذل أصحابه وزوجاته له . وكأن الشاعر يتَّخذ الزّوجة ذريعة لينقل الحوار الداخلي ، القائم في نفسه ، بين الطمع بالمال والاقتفاء فيه على أثر الآخرين ، وبين التمرّد والتوسّل به للخير والمحبَّة . فحاتم يخاطب زوجته ، ظاهراً لكنه ، في الواقع، يضمر حديثاً يجري بينه وبين نفسه ، في فهم معنى الحياة وأشيائها .

أما فنه الشعري ، فقد جاء رديفاً لفروسيته وأريحيتّه ، يتوسَّل به ليطلق آراءه في النَّاس ، وقد تغلبَّت في شعره الصفة النفسية ، على الصفة الفنية ، تتعاظم لديه الهموم الإنسانية ، فيما تتضاءل الهموم الجماليَّة . فهو لا يطلب الصورة القصيَّة الكثيفة . واللفَّظة الكثيرة الأبعاد ، المحكَّكة ، عبر منهجية فنيَّة مُضْمرة ، كما هو شأن زهير والنَّابغة ، بل إن ألفاظه ابنة نفسه وحدسه المباشر . فشعره أقرب إلى البديهة منه الصنعة . وإلى الطَّبع منه إلى التَطَبُّع .

المَالُ غَادٍ وَرَائِحٌ

يخاطب في هذه القصيدة زوجته ماويَّة ، مؤكداً لها أن المال غادٍ ورائح وأنه لا يشفع به أو يُنْجيه من الموت . فالمرء لا يخلد ذكره ، إلا بما أثر عنه من كرم وبذل . وخيرٌ له أن يُنْفقه في إقالة النَّاس من عثراتهم ، بدلا من أن يبذله في احتساء الخمرة واللعِّب بالقداح . ويمضي الشاعر في تعداد مآثره ، فهو لا يظلم ابن عمّه ، بعد أنْ فقد إخوته ، كما أنَّه لا يغتر بمال ولا يُذَلُّ بفقر .

ويتخَّللُ هذه القصيدة شعور عميق بقلَّة قدر المال . وحتمية الموت وسخف من يعتز بماله ، ويعتصم به ويرى فيه كل خير من خيرات الوجود ، دون أن يفطن إلى أنَّه سيرحل إلى القبر ، ويخلِّفه إثره . والمرء الحكيم ، يحوِّن مـالـه إلى إغاثة الملهوف وإطعام الجائع . فيغدو تجسيداً للمحبَّة . الإنسانية . والتعاون بين الأفراد . ليجتازوا به رحلة الحياة الزائلة المُوَلِّيَة .

وهذه القصيدة . كمعظم قصائد الطائي . تفتقر إلى التكثيف الفني أكان في تخير اللَّفْظة أو تجسيد الصورة . ونقل المعنى . فعبارته يسيرة . وخياله عديم الخلق كما أن شعوره بالأشياء . لا يعدو الحدود القريبة المتدنِّية . وإذا كان له شعر يؤثر . فذلك عائد إلى معانيه الخارقة . والاعمال المعجزة التي يصفها :

١ أَماوِيَّ ! قد طالَ التَّجنُّبُ والهَجْرُ   وقد عَذَرَتْني ، من طِلابكُمْ ، العذْرُ

٢ أَماوِيَّ ! إنَّ المالَ غادٍ ورائِحٌ .   ويبقى ، من المالِ . الأَحاديثُ والذِّكْرُ

٣ أَماوِيَّ ! إنِّي لا أَقولُ لسائِلٍ .   إِذَا جاءَ ، يَوْماً . حَلَّ في مالِنا نَزْرُ

---

١ « يخاطب امرأته ماوية بنت عفْزر ، ويقول لها : إن الهجر قد طال . وإنَّه قد جاء مُعْتذراً . ويطلب منها أن تَكُفَّ عن ملامته .

٢ « إن المال مُقْبل ومُدبر ، فإذا أنْفقْنَاه في الكرم والخير ، يُبْقي لنا حسن الأحدوثة والذكر الطَّيِّب .

٣ « ولْتعْلَمي أني لا أرد سائلا جاءني . ولا أتذرع بقلَّة اليد .

٤ أَماوِيَّ ! إِمَّا مانِعٌ فَمُبَيَّنٌ ؛ وَإِمَّا عَطَاءٌ ، لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

٥ أَماوِي ! ما يُغْني الثَّراءُ عنِ الفَتى ، إذا حشرَجتْ نفسٌ وضاقَ بها الصَّدرُ

٦ إذا أَنا دلَّاني ، الَّذينَ أُحِبُّهمْ ، لِمَلْحُودَةٍ ، زُلْجٌ جَوَانبُها غُبْرُ

٧ وراحوا عِجالاً يَنفُضونَ أَكُفَّهُمْ ، يَقولُونَ قد دَمَّى أَنَامِلَنَا الحَفْرُ

٨ أَماوِيَّ ! إِنْ يُصْبِحْ صَدايَ بقَفْرَةٍ مِنَ الأَرْضِ ، لا ماءٌ هُناكَ ولا خمرُ

٩ تَرَيْ أَنَّ ما أَهلكتُ لم يكُ ضَرَّني ، وأَنَّ يَدي مِمَّا بخِلْتُ بهِ صَفْرُ

١٠ أَمَاوِيَّ ! إِنِّي ، رُبَّ واحِدِ أُمِّهِ أَجَرْتُ ، فلا قَتْلٌ عَلَيْهِ وَلا أَسْرُ

١١ وقد عَلِمَ الأَقْوامُ ، لوْ أَنَّ حاتِماً أَرادَ ثَراءَ المالِ ، كَانَ لَهُ وَفْرُ

١٢ وإِنِّيَ لا آلو ، بِمَالٍ ، صَنيعَةً ، فَأَوَّلُهُ زَادٌ ، وآخِرهُ ذُخْرُ

---

٤ يُنَهنِهُهُ : يَكُفُّه . الزَجْر : المنع .

* إما أن يمتنع المرء عن العطاء ، فيؤثَر ذلك عنه ، وإما أن يُشْهر به ، فلا يكفّ عنه ، مهما زُجر به وعنِّف فيه .

٥ * لوكان لنا مال كثير ، فهل يمنع الموت عنَّا ، أو هل يجدينا عندما نكون في الرّمق الأخير .

٦ ، ٧ دلاني : أحْدَرَني . المَلْحُودة : القبر . زُلْج : مُزلقة ، صخور ناعمة .

* يقول : ما يجديني المال ، عندما يدركني الموت ، ويسقطني أصحابي إلى قاع قبر زلج الجوانب ، أغبر ، وبعد أن أوارى في التراب ، يمضي الذين حفروا لحدي ، ينفضون أيديهم بسرعة ممَّا علق بها من التراب ، ويقولون : بأن هذا الحفر أدمى أصابعهم .

٨ صَداي : جثّتي . وأصل دلالتها يشير إلى طائر يخرج من رأس الموتور إثر مقتله ، يهيم في الفيافي ، ظمآن ، مُنْفرداً ، ولا يتروى إلا من دم القاتل أومَنْ إليه .

٩ * تجدين بعد وفاتي أن كرمي أكسبني الذكر الصالح ، ولم يُبْق لدي شيئاً من المال الذي بخلت به

١٠ * يقسم لها بأنَّه لا يقتل وحيد أمه ، ولا يأسره .

١١ * إن بني قومي وغيرهم يعلمون أني لو أردت جمع المال ، لتوفَّر لي منه الكثير .

١٢ * لا أقصر عن الإحسان ولا أدخر المال . فالكرم زاد في حياتي ، وذكر في مماتي .

١٣ يُفَكُّ بِهِ العَانِي ، ويؤْكَـلُ طَيِّباً ، وَمَا إِنْ تُعَرِّيهِ القِدَاحُ وَلَا الخمْرُ
١٤ وَلا أَظلِمُ ابنَ العَمِّ ، إِنْ كانَ إِخوَتي شُهُوداً ، وقد أَوْدَى ، بإخوَته ،الدَّهْرُ
١٥ عُنِينا زَمَاناً بالتَّصَعْلُكِ والغِنَـى ، كَمَا الدَّهْرُ ، في أَيَّامِهِ العُسْرُ واليُسْرُ
١٦ كَسَيْنَا صُرُوفَ الدَّهْرِ لِيناً وغِلظَةً ، وكُلاًّ سقَاناهُ بكأْسَيهما الـدَّهْـرُ
١٧ فَمَا زادَنا بَأْوًا على ذي قَرَابَـةٍ ، غِنانا ، ولا أَزْرَى بأَحسابِنا الفقْرُ
١٨ فقِدْمًا عَصَيتُ العَاذِلاتِ ، وسُلِّطَتْ على مُصْطفَىٰ مالِي ، أَنَامِلِيَ العَشْرُ
١٩ وما ضَرَّ جاراً ، يا ابنةَ القَومِ فَاعْلَمي يُجاوِرُني ، أَلاَّ يكونَ لَـه سِتْرُ
٢٠ بعَيْنَيَّ عن جاراتِ قَوْميَ غَفْلَةٌ ؛ وفي السَّمعِ مني عَنْ حَديثِهِم وَقْرُ

---

١٣ العَاني : الأسير . القداح : أي قداح القمار .
* إنني لا أنفق مالي على شراب الخمر ، ولعب المَيْسر ، إنما أنفقه في شؤون الكرم والمروءة .
١٤ * إنني لا أعتدي على ابن عمي ، مستنفراً عليه إخوتي ، بعد أن أودى الموت بإخوته .
١٥ * أصابنا الزّمان بخيره وشره ، فعشنا فقراء وأغنياء ، وهكذا الحياة فيها عُسْر ويسر .
١٦ * يتابع قوله عن العُسر واليسر ، لكنَّه يفتخر ، فيقول : إنَّما كسينا تقلبات الزّمان وكنا أقوياء ورحماء ، والدهر قد سقانا اللين والقَسْوة .
١٧ بَأو : تكبّر . أَزْرَى : عاب .
* يقول : إننا لا نتكبَّر على أبناء قرابتنا في غنَانا . وكذلك لانجلب لهم عيباً ومذلةً في فقرنا .
١٨ * يقصد أنه لم يُصْغِ إلى كلام زوجاته . ولم يَأْبَهْ للومهن له على كرمه .
١٩ * يتحدث في هذا البَيْت عن عفتّه وتصوّنه ، ويقول . إنه لا يميل إلى النَّظر في مأوى جيرانه ؛ فلا حاجة لهم بأن يسترهم ستر عنه .
٢٠ * ليس لي بجارات قومي غاية ، ولا أقلب طرفي من أجلهن . وفي سمعي صمم عن كل ما يتحدثن به .

وِسَادِي جَفْنُ السِّلاَحِ

يقتصر في هذه القصيدة على الفخر . بقوّته وبطشه وفتكه بعدوّه والقضاء عليه . ويذكر صعوده إلى المرقبة ، قبل طلوع الشّمس وتوسده السّلاح ، حيناً ، والارض القاسية حيناً آخر :

١ وَخِرْقٍ كنصْلِ السَّيْفِ ، قَدْرَامَ مَصْدفي تَعَسَّفْتُهُ بالرّمحِ ، والقَوْمُ شُهَّدي

٢ فَخَرَّ عَلَى حُرِّ الجَبينِ بِضَرْبَــةٍ ، تَقُطُّ صِفَاقاً عن حَشاً غيرِ مُسْنَدِ

٣ فما رُمتُهُ ، حَتَّى تركْتُ عَوِيصَهُ بَقِيَّةَ عَرْفٍ ، يحفِزُ التُّربَ ، مِذوَدِ

٤ وَحَتَّى ترَكْتُ العائــداتِ يَعُدْنَهُ ، يُنادينَ لا تَبْعَدْ ، وقلتُ لهُ : ابْعدِ

---

١ الخرق : الكريم السخيّ . كَنَصْل السّيْف : أي ماض في كرمه مضي نصل السّيف في قطعه . مَصْدفي : من صدفه ، صده . تَعَسَّفْتُه : أخذته بقوة .

* يفخر بفتكه ، ويقول : إنه طعن امرءاً حاول أن يعترض سبيله ، فقضى عليه بمشهد من القوم حوله .

٢ حُرّ الجبين : ما ظهر منه . تقُطُّ : تقطع . الصفاق : الجلد الأسفل من البطن . مُسْنَد : يصف تلك الضّربة ، ويقول : إن خصمه خرّ إثرها على جبينه ، بعد أن تقطّعت أحشاؤه وجلدةُ بطنه .

٣ عويصه : نفسه . بَقيَة عرْف : أي تركته لا يكاد يعرف . يَحْفِزُ التّرْب : يدفعه . المذود : المدافع .

* يقول : إنه لم يتخل ويرتد عنه ، إلا بعد أن عفّره بالتراب ، وغدا لا يعرفه أهله وصحبه .

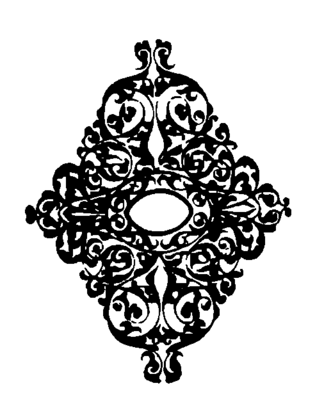
٤ لاَ تَبْعَدْ : لا تفارق الحياة .

تركته والزّائرات يبكينه وينادينه ألا يموت ، لكن ضربتي قد حتّمت عليه الموت .

٥ أَطافُوا بهِ طَوْفَينِ ، ثُمَّ مَشَوْا بِهِ إلى ذاتِ إلْجافٍ ، بزَخَّاءَ ، قُرْدُدِ

٦ وَمَرْقَبَةٍ ، دونَ السَّماءِ ، طِمِرَّةٍ ، سَبَقتُ طُلُوعَ الشَّمسِ منها بِمَرْصَدِ

٧ وِسادي بها جَفْنُ السِّلاحِ ، وتارَةً ، على عُدَوَاءِ الجَنْبِ ، غَيْرُ مُوَسَّدِ



---

٥ أطَافُوا : أحاطوا . إلجَاف : حُفَر . زَخَّاء : وهدة . القُرْدُد : الأرض الغليظة .

* أحاطوا به من كل جانب ، ثم مَشَوا في جنازته ، ليدفنوه في لحَدْ بوهدة في لارض المْرتفعة الغليظة بموضع عند التلال .

٦ المَرْقَبة : المكان المرتفع . الطمرة : المرتفعة . المَرْصَد : المكان يرصد منه .

* وقبل أن تَطْلع الشَّمس ، كنت في أعلى المرقبة ، أترصد بها الأعداء .

٧ جَفْنُ السّلاح : غمده . عُدَوَاء : الأرض الصّلبْة .

* أتوسَّد غمد السَّيْف ، حيناً ، وحيناً ألقي بجي على تلك الأرض الصلبة بدون وسادة .

أَبِيتُ خَمِيصَ البَطْنِ

في هذه الأبيات ، يطغى التَّعبير الوجداني ، وتظهر عفّة حاتم . فهو ، وإن بذل ماله لأصحابه ، يستحيي أن يُرَى مكان يده في الصَّحْن . أي أنَّه ينظر إلى الطَّعام ، وكأنَّه غَرَض دنيء . لا يحفل به ذَوُو القَدر والمروءة ، ولا يجدون فيه لذة . بل من يتمادى في ذلك ينال المَذَمَّةَ . ويرى الشاعر أن غاية الحياة لا تقتصر على ما يَنال فيها المرء من لذة المأكل وما إليه ، بل إنها في الأعمال الشَّريفة السَّامية الَّتي تجعله أقرب إلى مثاله :

١	وإنِّي لأَسْتَحيي صِحَابيَ أَنْ يَرَوْا	مَكَان يَدي ، في جَانِبِ الزَّادِ ، أَقْرَعا
٢	أُقَصِّرُ كَفِّي ، أَنْ تَنالَ أَكُفَّهُمْ ،	إذا نَحْنُ أَهْوَيْنَا ، وَحَاجَاتُنَا مَعَا
٣	وإنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ،	وفَرْجَكَ ، نالا مُنتهَى الذَّمِّ أَجمعَا
٤	أَبِيتُ خَمِيصَ البَطْنِ ، مُضْطَمِرَ الحَشَى	حَيَاءً ، أَخَافُ الذَّمَّ أَن أَتَضَلَّعَا

---

١ * إنِّي أخجل من أصحابي ، عندما أقيم معهم على مائدة ، أن يروا المكان الذي أمد إليه يدي قد أجدب ، أي أنَّه يخجل من أن يرى آكلا ، فكأن الطَّعام أمر يحقِّر من قدر الشَّاعر .

٢ * عندما تهوي أكفنا ، وتبغي جميعها موضعاً ما من الطَّعام ، أقصر كفِّي حتَّى تنال أكفُّهم ، أي أنَّه يفسح لهم مجالا ، ليأكلوا قبله ، أو من دونه .

٣ * مهما تُلَبِّ من حاجات بطنك وسائر شهواتك ، فلن يصيبك من ذلك إلا الذمّ .

٤ أتَضَلَّع : أشبع وأروى .

* أنام وبي ضمور ، وبطني لم يمتلىء ، وإني أفعل هذا حياء ، لأنني أخشى الذمّ . إذا امتلأت شبعاً ورياً .

حَاتِمٌ يَتَصَعْلَكُ

نجد في هذه القصيدة أكثر من صُورة . فهو يتحدث عن الأطلال ، وعصف الرِّياح بها ، ثم يصف حسناء تهدَّل الحلي من أذنَيْها ، وَزَيَّن جيدها عقد من اللؤلؤ . ويذكر لوم زوجتَيْه له لفَرْط كرمه ، مؤكداً أن الكرم خلق في نفسه . وتَردُ في قصيدته آراء وحكم تنم عن نفس تَرَعْرَعَتْ على محبة النَّاس . فهو يعامل الجميع برفْق ، ويتحاشى مصاحبة السيئين ، ويُندد بالصَّعاليك الأدنياء الذِّين يَحْيون على فُتات الموائد ، بينما يبارك همة الصَّعاليك الشّجعان ، ويبرّر غَزْوهم . .

ويصف في آخر القصيدة شجاعة الصّعلوك وسلاحه ، وفرسه الكريم :

١ أَتَعْرِفُ أَطْـلالاً ، ونُؤْياً مُهَدَّما ، كَخَطِّكَ ، في رَقٍّ ، كِتَاباً مَنَمْنَما

٢ أَذَاعَتْ بِهِ الأَرْوَاحُ ، بعدَ أَنيسِها ، شُهُوراً ، وأَيَّاماً ، وحَوْلاً مُجَرَّما

٣ دَوَارِجَ ، قَدْ غَيَّرْنَ ظَاهِرَ تُرْبِهِ ، وَغيَّرَتِ الأَيَّامُ مَا كانَ مُعْلَمَـا

٤ وغَيَّرَها طُولُ التَّقَادُمِ والبِلَـــى ، فما أَعرِفُ الأَطْـلالَ ، إلاَّ تَوَهُّمَا

٥ دِيَارُ التي قامَتْ تُريكَ ، وَقَدْ خلتْ وأَقْوَتْ مِنَ الزّوارِ ، كفًّا وَمِعْصَمَا

---

١ النّؤي : الحفير حول الخَيْمَة يمنع السَّيْل . الرَقّ : الجلد الرقيق يُكتَب فيه .

* هل تعرف هذه الأطلال والنّؤي ، إثر اندراسها وظهورها كالخطّ الذّي نُمْنِم ونقش في الكتاب بعد إمحائه .

٢ المُجَرّم : الكامل . الأرْوَاح : جمع الرّيح .

* يقول : إن الرياح ، فضلا عن الظِّباء ، كانت تلعب وتمرح أيّاماً طويلة ، وهو يشير بذلك إلى خلأها من السّكان وانتشار الوحشة في أرجائها .

٣ * يقول : إن الرّياح التّي درَجَتْ عليها ، غيَّرت معالمها ، كما أن مرّ الأيام عليها عفّى على آثارها .

٤ * من كثرة ما مرّ على هذه الأطلال من أيام ، وهي مهجورة ، فقد بليت ، وأكاد لا أعرفها إلا توهّماً .

٥ * إن تلك الديار ، هي للحبيبة النَّائية ، وقد هجرت وأصابها ما يُشْبه الفناء ، إثرها . ثم يذكر الشَّاعر ، ماكان من أمره مع تلك للحبيبة ، إذ قامت تُريه جمال يَديها ومعصَميْها .

٦ تهَادى عَلَيْهَا حَلْيُهَا ، ذاتَ بهجةٍ وكَشْحاً ، كطَيِّ السابريَّةِ ، أَهضَمَا

٧ وَنحْراً كَفى نُورَ الجَبينِ ، يَزينُهُ توَقُّدُ يَاقُوتٍ وشَذْرٌ ، مُنَظَّمَــا

٨ كَجَمْرِ الغَضَا هَبَّتْ بهِ ، بعدَ هَجْعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، أَرْواحُ الصَّبا فتَنَسَّمَا

٩ يُضِيءُ لنَا البَيْتُ الظَّليلُ ، خَصاصَةً ، إذا هيَ ، لَيلاً ، حَاوَلتْ أَنْ تَبَسَّمَا

١٠ إذا انقَلَبَتْ فَوْقَ الحَشيَّةِ ، مرَّةً ، تَرَنَّمَ وَسْوَاسُ الحُليِّ تَرَنُّمَــــا

١١ وعاذِلَتينِ هَبَّتَا ، بَعْدَ هَجْعَــةٍ ، تَلُومانِ مِتْلافاً ، مُفيــداً ، مُلَوَّمَا

١٢ تَلُومانِ ، لمَّا غَوَّرَ النَّجْمُ ، ضِلَّةً ، فتًى لا يرَى الإتلاَفَ في الحمدِ مَغْرَما

---

٦ الكَشْح : الخاصرة . السَّابريَّة : نسبة إلى سابور . ثياب شفَّافة ، جيدة الصَّنع . الأهْضَم : اللَّطيف ، الدقيق

* يستكمل وصف حبيبته ، ويقول : إن حليَّها تتهادى عليَهْا ، ويبدو من دونها خصرها الأهيف ، الهضيم ، اللين الذَّي ينطوي على ذاته كالثَّوب .

٧ الشَذر : اللؤلؤ بين الجواهر .

* يصف بياض نحرها بالتنوّر ، وقد زينه عقد توقَّد فيه الياقوت وانتظم اللؤلؤ ، حتَّى بدا آية في الجمال

٨ الغَضَا : شجر صلب العود ، جمره يبقى مدة حتَّى ينطفىء . الهَجْعَة : النَّوم في أول الليَّل .

* يستكمل وصف الحلي المتوقّد على نحرها ، ويشبّهها بجمر الغضا الكثير التوهّج الذَّي تستثيره الريح ، فيزداد تألقاً وتلهباً .

٩ الخَصَاصَة : كوة صغيرة في البيت .

* يصف في هذا البيت روعة ابتسامتها ، ويقول : إنها تغشاهم بالنّور والألق في ظلمة الليل

١٠ الحَشيَّة : الفراش .

* عندما تتقلَّب هذه المرأة على إحدى الحشايا ، يصوّت حليّها ويخيَّل إليك أنه يترنم ترنماً .

١١ * إن زوجتيه ، بعد ان تصرّم جزء من الليل ، قامتا إليه تلومانه على إتلاف ماله .

١٢ غوّرَ النَّجْم : غاب .

* هما توجهان اللَّوم ـ بعد أن غاب النجم ـ إلى فتى لا يرى في إتلاف المال للكرم والمروءة أدنى خسارة .

١٣ فقلتُ ، وقد طالَ العِتابُ علَيهِما ولوْ عَـذَراني ، أَنْ تَبينَـا وتُصْرَما

١٤ أَلا لا تلُوماني على ما تَقَدَّمـا ، كفى بصُرُوفِ الدَّهرِ ، للمرْءِ مُحْكِما

١٥ فإِنَّكُمَا لا ما مضَى تُـدْرِكانِـهِ . ولسْتُ على ما فاتَني مُتَنَدِّمَـا

١٦ فَنفسَكَ أَكرِمْها ، فإِنَّكَ إِنْ تَهُنْ عَليكَ ، فلنْ تُلْفي لك ، الدهرَ مُكرِمَا

١٧ أَهِنْ للَّذي تَهْوى التِّلادَ ، فإِنَّهُ إِذا مُتَّ كان المالُ نَهْباً مُقسَّمَا

١٨ ولا تَشْقَيَنْ فيهِ ، فيَسْعَدَ وارِثٌ بهِ ، حينَ تخشَى أَغبرَ اللَّوْنِ ، مُظلِمَا

١٩ يُقَسِّمُهُ غُنْماً ، ويَشري كَرَامَةً ، وقدصِرْتَ ، في خطٍّ من الأَرْضِ أَعظُما

٢٠ قليلٌ بهِ مـا يَحْمَـدَنَّكَ وَارِثٌ ، إِذا ساقَ مِمَّـا كنتَ تَجْمَعُ مَغْنَمَا

٢١ تحمَّلْ عن الأَدْنَيْنَ ، واستَبقِ وُدَّهمْ ولن تَستَطيعَ الحِلْمَ حتَّى تَحَلَّمَا

---

١٣ ـ ١٤ أن تَبينا : أن تفارقا . تصرما : تهجرا .

* قلت بعد أن طال تقريعهما لي ، وعتبهما عليّ دون أن لي حيلة بصدهما عنه : لا تلوماني على ما تقدّم من عملي ، فإنّ صروف الدهر أتتني بالحكمة .

١٥ * فان ما مضى من الأمور ، تُقَصّران عن إدراكه ، كما أنني لست نادماً عليه .

١٦ * من لا يكرم نفسه ، لا يكرمه أحد .

١٧ ، ١٨ التّلاد : المال المَوْروث .

* إذا شقيْتَ بجمع المال . فأنفقْه على ما تميل إليه من خير ، فانك لا بدّ سائر إلى القبْر ، فَيُقَسَّم المال من بعدك . وينعم به الوارثون من دونك . وأغبرُ اللّون هنا هو القبر .

١٩ * هذا الوارث سيوزّع ما ورثه ويجود به ، ليشتري الذكر الطّيب . بينما تكون أنت في القبر ، أي أنّه يكسب به لنفسه الحمد من دونك .

٢٠ * إنّ الوارث لا يحمد مورّثه . بل يكتفي بأنْ يغنم ماله .

٢١ * أسعف أقرباءك واعضدهم . وتحمّل الأحمال عنهم ، وعوّد نفسك الحلم ، حتى تغدو حليماً .

٢٢ مَتَى تَرْقِ أَضْغانَ العَشِيرَةِ بالأَنَا وكفّ الأَذى ، يُحسَم لكَ الداءَ مَحسمَا

٢٣ وما ابتَعَثَتني ، في هَوَايَ ، لجاجةٌ ، إذا لَمْ أَجِدْ فِيهَا إمَامِي مُقَدَّمَـا

٢٤ إذا شِئْتَ نَاوَيْتَ امْرَأَ السَّوْءِ مانَزَا إليكَ ، ولاطَمْتَ اللَّئِيمَ المُلَطَّمَـا

٢٥ وذو اللُّبِّ والتَّقْوى حَقِيقٌ ، إذا رَأَى ذَوِي طَبَعِ الأَخلاقِ ، أَن يتكَرَّمَا

٢٦ فَجَاوِرْ كريماً ، واقتدِحْ منْ زِنادِهِ ، وأَسْنِدْ إليهِ ، إِنْ تَطَاوَلَ ، سُلَّمَا

٢٧ وعَوْراءَ ، قد أَعرَضْتُ عنها ، فلم يَضِرْ وذي أَوَدٍ قَـوَّمْتُـهُ ، فَتَقَوَّمـا

٢٨ ولا أَخْذِلُ المَوْلى ، وإن كان خاذِلاً ، ولا أَشْتُمُ ابنَ العَمِّ ، إن كانَ مُفحَمَا

٢٩ ولا زادَني عنهُ غِنائي تَبَاعُـــداً ، وإن كان ذا نقصٍ من المالِ ، مُصرِمَا

---

٢٢ تَرْقِ : من الرقية ، أراد تتعوّذ أي تعتصم .

* يقول : حاول أن تتجنّب إثارة الأحقاد عليك بالرويَّة والأناة وكفّ الأذى عن غيرك ، حتى يزول الأذى والحقد ويُحسم الداء .

٢٣ * وإني لا ألِجّ في طلب الشَّيء عن هوى ، إذا لم يتّضح لي أنه ممكن الإدراك والبلوغ .

٢٤ نَاوَيْتُ : عاديت . نَزَا : وثب . المُلَطَّم : الذي يلطم كثيرا .

* إذا أردت عاديت الإنسان السَّيء ، فاذا وثب عليك ليلطمك ، تقابله بمثل ما قابلك به .

٢٥ طَبَعَ الأخْلاق : دنسها وفسادها .

* الإنسان العاقل لا يقاوم صاحب الأخلاق الفاسدة ، بل يعفو عنه ويتكرّم عليه .

٢٦ * لا تجاور إلاّ الكريم ، وأفد منه ، واجعل من نفسك سلَّماً يعبر عليه ، ليدرك غايته الشَّريفة .

٢٧ العَوْرَاء : الخصلة القبيحة . الأَوَد : العوج .

* وإن رأيت مكروها أو عيباً تجنَّبته وابتعدت عنه ، وإن صادفت خطأ ، أصلحته فاصطلح

٢٨ المُفْحَم : المَنهوك من شدة الإعياء . أو الّذي أسكته بالحجة .

* إني لا أتخلَّى على من هم دوني ، وإن تخلّوا هم عني ، ولا أشتُم ابن العم إن كان قد أسكت بالحجة عند الخصومة .

٢٩ المُصْرِم : الفقير .

* لن ابتعد عنه ، ولو كنت غنياً ، وهو فقير .

٣٠ ولَيْلٍ بَهِيمٍ قد تَسَرْبَلتُ هَوْلَـهُ ، إذا الليلُ ، بالنَّكسِ الضَّعيفِ تجَهَّمَا

٣١ وَلَنْ يَكْسِبَ الصُّعْلوكُ حَمْداً ولا غنىً إذا هوَ لم يرْكبْ ، من الأَمْرِ ، مُعظَمَا

٣٢ يرى الخَمْصَ تعْذِيباً وإنْ يَلْقَ شَبعةً يَبِتْ قلبُهُ ، من قِلَّةِ الهمِّ ، مُبْهَمَا

٣٣ لَحَىٰ اللهُ صُعلوكاً ، مُناهُ وهَمُّهُ ، مِنَ العَيْشِ ، أَنْ يَلقى لَبوساً ومَطعمَا

٣٤ يَنامُ الضُّحَىٰ ، حتى إذا ليلُهُ استَوى ، تَنَبَّهَ مَثْلوجَ الـفؤادِ ، مُوَرَّمَـا

٣٥ مُقِيماً مع المُثْرِينَ ، ليسَ ببارِحٍ ، إذا كان جدوى من طعامٍ ومَجْثَمَا

---

٣٠ تَسَرْبلْت : لبست . النَّكْس : الجبان . تَجَهَّم : استقبلته بوجه عابس .

* يشرع في هذا البيت بالفخر بشدته واقتحامه الهول ، ويقول : إنه يخرج إلى ما يبتغيه من الأمور في ظلمة الليل الحالك الَّذي ينتكس فيه الجبان الرعديد .

٣١ * إنّ الصعلوك الفقير ، لا يحسن إليه النَّاس ، إذا لم يخاطر فيعظَّم ، أي أنّ قيمته تقدر بقدر جرأته .

٣٢ الخَمْص : الجوع .

* يرى هذا الصعلوك في الجوع ألماً لنفسه ، حتَّى يجد أكلة ، فتستقرّ نفسه ، بدون معرفة . وهو يقصد هنا الصّعلوك الدنئ .

٣٣ * لا بارك الله في صعلوك دنئ ، لا همّ له ، إلا أن يملأ بطنه ، ويستر جسمه . وحاتم ، هنا ، يعجب من الَّذين يقصرون هَمّ الحياة ، على ما نالوه فيها من مأكل وملبس ، فكأن ليس لهذه الأمور من القدر ، ما يجعلها جديرة بأن يحيا المرء من أجلها . ولعلَّه أراد أن يشير إلى أنّ قيمة الحياة ، هي فيما يؤديه الإنسان من أعمال الخير والمحبَّة الإنسانية والبطولة .

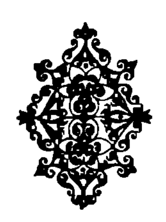
٣٤ اسْتَوَى : بلغ أشده . مَثْلوج الفُؤاد : بليده . المُوَرّم : الرّجل الضّخْم .

* يصف تَبلد ذلك الصّعلوك وخموله ويقول : إنه لا ينشط إلى غايته ، باكراً ، ولا يقوم بالأمور في حين أدائها .

٣٥ المَجْثَم : المجلس يجلس فيه .

* يظلّ هذا الصّعلوك الدنئ عند الأغنياء ، مثل كلابهم ، ما دام يأمل في أن ينال عندهم طعاماً يأكله ومجلساً يجلس فيه .

٣٦ وَللهِ صُعْلُــوكٌ يُساوِرُ هَمَّـــهُ .	ويمضي . على الأَحداثِ والدَّهْرِ . مُقدِما
٣٧ فتى طَلباتٍ ، لا يَرى الخَمْصَ تَرْحةً	ولا شَبعَةً . إِنْ نالَها . عَدَّ مَغْنَما
٣٨ إِذا ما رأى يوْماً مكارِمَ أَعرَضَتْ	تَيمَّمَ كُبراهُنَّ . ثُمَّتَ صَمَّمَا
٣٩ تَرَى رُمْحَهُ . ونَبالَهُ . ومِجَنَّهُ .	وذا شُطَبٍ . عَضْبَ الضَّريبة . مِخْذَما
٤٠ وأَحْناءَ سَرْجٍ فاتِرٍ . ولِجَامَـــهُ	عَتادَ فتًى هَيْجا . وطِرْفاً مسَوَّمَا



---

٣٦ ÷ يمجد الصّعلوك القويّ الهمَّة الَّذي لا يُعيقه ما يطرأ عليه من أحداث . بل يمضي إلى غايته ، دون التواء .

٣٧ ÷ هذا الصّعلوك الهمام ، لا يرى في الجوع مدعاة للحزن . وإن شَبع لا يعتبر شبعَه مَكْسباً ، مثل الصّعاليك الأدنياء .

٣٨ ثُمَّت : حرف عطف ، من ثمّ .

÷ إنه إذا ما أظلمت الدنيا في وجهه ، فكَّر بمورد آخر ، وعزم على أن يُحقّق فكرته . ولم يُعقْه عن ذلك عائق .

٣٩ المجَنّ : الترس . ذا شُطَب : أراد به السَّيْف . العَضْب : السَّيْف القاطع . المخْزَم : القاطع من السّيوف .

÷ يصف في هذا البَيْت سلاح الصّعلوك القويّ ، ذاكراً رمحه ونبله . وترسه وسيفه القاطع .

٤٠ حُنُوّالسَّرْج : جانباه . الفاتر : اللَّين . الطرْف : الفرس الكريم . المُسَوّم : الحسن الخلق .

÷ بعد أن وصف سلاح الصّعلوك يصف فرسه الكريمة المدرّبة وسرجها اللّين الَّذي لا يعقر ظهرها ، ويقول : إن ذلك كلّه هوسلاح فتى الحرب .

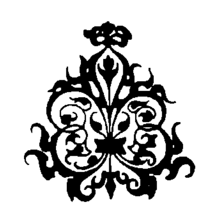
النَّاقَةُ العقُورْ

١ ولمّا رَأَيْتُ الناسَ هَرَّتْ كِلابُهُمْ . ضَرَبْتُ بسَيْفِي ساقَ أَفعَى . فَخَرَّتِ

٢ فقلتُ لأَصْباهٍ صِغارٍ ونِسْوَةٍ . بشَهْباءَ . مِنْ لَيلِ الثَّلاثِينَ قَرَّتِ

٣ عَلَيْكُمْ مِنَ الشَّطَّيْنِ كلَّ وَرِيَّةٍ . إذا النارُ مَسَّتْ جانِبَيها ارْمَعَلَّتِ

٤ ولا يُنْزِلُ المَرْءُ الكَرِيمُ عِيالَهُ وأَضْيافَهُ . ما ساقَ مالاً . بضَرَّتِ



---

١ نباح الكلاب دليل الجوع وجدب أصحابها .

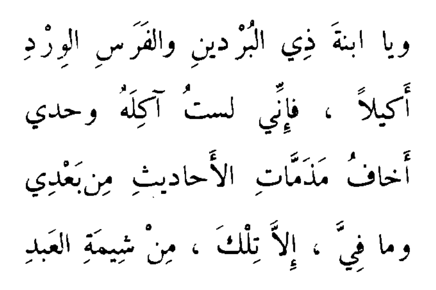
* يقول : عندما رأيت أنّ كلاب القوم جعلت تنبح من الجوع والهزال . أعملت سيفي بناقتي التي أسافر عليها لأطعمَهم . وهو يذكر النَّاقة التي يرحل عليها . ليضاعف من شدة كرمه . من خلال تَخَلّيه عن مطيّته الخاصّة به لإغاثة الآخرين .

٣.٢ أصْبَاه : جمع صبي . شَهْبَاء : أي ليلة شهباء . مجدبة . لا خضرة فيها ولا مطر ، أوكثيرة الثّلج . لَيْل الثّلاثين : أشدّ اللّيالي ظُلْمة . قَرّت : بردت . الشَّطّان : جانبا السّنام . الوَريَّة : السَّمينة . ارْمَعَلّت : سال دسمها .

* ناديت الصّبية والنساء في اللّيلة القاسية المُجْدبة . ودعوتهم إلى أن يأكلوا الطّعام الدسم الفاخر من سنام النّاقة .

٤ * إن الإنسان الكريم ، لا يجعل عياله وأضيافه عرضة للشدة وسوء الحال . ما دامت له يَد يستطيع أنْ يمدها .

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ

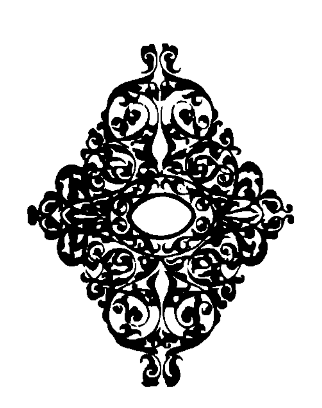


١ أَيا ابنَةَ عبْدِاللهِ ، وابنَةَ مالِـكٍ ، ويا ابنةَ ذِي البُرْدينِ والفَرَسِ الوِرْدِ

٢ إِذا ما صَنَعتِ الزَّادَ ، فالتَمِسِي لهُ أَكيلاً ، فإِنِّي لستُ آكِلَهُ وحدي

٣ أَخاً طارِقاً ، أَو جَارَ بَيْتٍ ، فإِنَّني أَخافُ مَذَمَّاتِ الأَحاديثِ مِنبَعْدِي

٤ وإِنِّي لعَبْدُ الضَّيْفِ ، ما دام ثاوياً ، وما فِيَّ ، إِلاَّ تِلْكَ ، مِنْ شِيمَةِ العَبدِ



---

١ * ينادي زوجته التي عظَّم أمرها ، وناداها بابنة عبدالله ، وإبنة مالك وإبنة ذي البُرْديْن .

٢ * يقول لها : إذا ما انتهيت من إعداد الزّاد ، أحضريه ، والتمسي أحداً يأكل معي ، فلن آكل بمفردي .

٣ * أي امرئ تصادفينه ، وإن لم يكن أخاً قادماً ، فجاراً من جيراننا ، فانني لا أطيق أن آكل الطَّعام بمفردي ، وأخشى أن أذم بذلك .

٤ مَا دامَ ثَاوياً : ما دام مقيماً .

* إنني عبد لضَيْفي طيلة بقائه عندي ، وليس فيّ إلا هذه من صفات العبد .

جَبَانُ الكَلْبِ

يصف الشّاعر في هذه القصيدة كَرَمه وحبّه للضّيوف ، حتّى في سنيّ القحط . فهو لم يدرب كلابه على هرّ الضَّيْف ونباحه . شأن البخيل بل إن كلابه جبانة ، لا يثيرها مرأى الضّيُوف لأنها ألفَتْهم . وهو يحفظ ودّ الجار ، ويتعهّد زوجه في غيابه ، ويكفيها وأولادها مؤونة الحياة . وفي النّهاية يفخر بشجاعته وشجاعة قومه في الشّدائد والحروب :

١	أَلا أَرِقَتْ عَيني ، فبتُّ أُديرُها ،	حِذَارَ غَدٍ ، أَحْجَى بِأَنْ لا يَضِيرُها
٢	إِذاالنَّجْمُ أَضْحَى ، مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، مائلاً	ولم يَكُ ، بالآفاقِ ، بَوْنٌ يُنِيرُها
٣	إِذا ما السَّماءُ ، لم تكنْ غيرَ حَلْبَةٍ ،	كجِدَّةِ بَيْتِ العَنْكبوتِ ، يُنِيرُها
٤	فقد عَلِمَتْ غَوْثٌ بأَنَّا سَراتُها ،	إذا أُعلِمَتْ ، بَعدَ السِّرارِ ، أُمورُها
٥	إِذا الرِّيحُ جَاءَتْ مِنْ أَمامِ أَخَائِفٍ ،	وَأَلْوَت ، بِأَطْنَابِ البُيوتِ صُدُورُهَا

---

١ أرِقَتْ : لم تَنَمْ . أحْجَى : أخلق . لا يضيرُها : لا يؤذيها .

* يقول : إن الأرق أصابه ، فلم يَقْوَ على أن يغمض عينيه ، قلقاً على ما سوف يطالعه به الغد .

٢ ، ٣ ، ٤ مَغْرِبَ الشَّمْس : غروبها . جدة بَيْت العَنْكَبُوت : كونه جديداً . يُنيرُها : يجعل لها نيراً ، وهو لحمة الثَّوب . لَمْ تَكُنْ غَيْرَ حَلْبَة : أي أنّ مطرها قليل بمقدار حلبة . سَراتُها : أسيادها ، شرفاؤها ، كرماؤها . السِّرَار : المكالمة بالسّر.

* يقول : إذا مال النَّجْم إلى الغروب ، ولم يعد في الآفاق نجم ينيرها ، أي إذا ما ادلهمّت الظلماء وإذا لم تمطر السّماء ، إلاّ مطراً قليلا ، ولم تَبْدُ فيها إلاّ غيوم قليلة ، إذا عمّ القحط والجَفاف وانتشر البؤس ، عندئذ يهرع إلينا القوم ، ويستنجدون بنا ، وقد افتضح فقرهم وأعلنوه لشدة ما عانوا من الجوع .

٥ أخَائف : جبل .

* إذا ما أقبلت الرّيح من جهة الجبل ، وتحركت حبال بيوت الشّعر واضْطَربت كلُّها .

٦ وإنَّا نُهينُ المالَ ، في غَيْرِ ظِنَّـةٍ ، وما يَشتكينا ، في السِّنينَ ضريرُها

٧ إذا ما بخيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلابُهُ ، وشقَّ ، عَلَى الضَّيْفِ الضَّعيفِ عَقورُها

٨ فإنِّي جَبانُ الكلبِ ، بَيْتي مُوَطَّأٌ ، أَجُودُ ، إذا ما النَّفْسُ شَحَّ ضَميرُها

٩ وإنَّ كِلابي قد أُهِرَّتْ وعُوِّدَتْ ، قليلٌ ، على مَنْ يَعتريني ، هَريرُها

١٠ وما تَشتكي قِدري ، إذا الناسُ أَمحَلَتْ أُؤَثِّفُها طَوْراً ، وطَوْراً أُميرُها

١١ وأُبْرِزُ قِدْري بالفَضاءِ ، قليلُها يُرَى غَيْرَ مَضْنُونٍ بهِ ، وكَثِيرُها

١٢ وإبْلِيَ رَهْنٌ أَنْ يكونَ كَريمُها عَقيراً ، أَمامَ البيتِ ، حِينَ أُثِيرُها

١٣ أُشاوِرُ نَفْسَ الجُودِ ، حتى تُطيعَني ، وأَتْرُكُ نَفْسَ البُخْلِ ، لا أَسْتَشِيرُها

---

٦ * نبقى كرماء حتّى في سنّي القحط . ونبذل ونُكْرِم بدون منّة .

٧ هَرَّتْ : نَبحَتْ . العَقُور : الّذي يجرح .

* إن البَخيل يُعوِّد كلابه النّباح ، عندما ترى أحداً مُقبلاً ، ويعزُّ على ذلك الضَّيْف الضعيف أن تجرحه الكلاب .

٨ جَبَان الكَلْب : كناية عن الكرم ، ذلك أن كلبه يألف مجئ الضّيوف . فإذا ما أتوا لا يَنْبحهم . مُوَطَّأ : ممهد . شَحَّ : بخل .

٩ * إن كلابه تهرّ الضّيوف ، وقد عُوِّدت ذلك ودأبت عليه .

١٠ أؤثّفُها : أجعلها على الأثافي ، وهي حجارة الموقد . أميرُها : أضع فيها الطَّعام .

* يقول : إن مائدته معدة ، دائماً للضّيوف ، إن أقبلت وإن أمحلت ، فقدره باقية مليئة بالطعام .

١١ * أضع هذه القدر في الديوان ، قلّ زادها ، أم كثر .

١٢ عقيراً : المعقور الّذي تقطع قوائمه ليُنْحر .

* يقول : إنه يذبح إبله الكريمة لضيوفه .

١٣ * إنني عندما أقدم على أمر الكرم . لا أشاور إلاّ جانب الكرم في نفسي ، حتّى تطيعني . وأما جانب البُخل ، فلا أقترب إليه ، فأستشيره .

١٤ وَلَيْسَ عَلَى نَارِي حِجابٌ يَكُنُّها لِمُسْتَوْبِصٍ ليلاً ، ولكِنْ أُنيرُها

١٥ فَلا ، وأَبِيكَ ، مَا يَظَلّ ابنُ جارَتي يَطُوفُ حَوالَيْ قِدْرِنا ، ما يَطُورُها

١٦ وما تَشتَكيني جارتي ، غَيْرَ أَنَّها ، إذا غابَ عَنها بَعْلُها ، لا أَزورها

١٧ سَيَبْلُغُها خَيري ، ويَرْجِعُ بعلُها إلَيها ، ولمْ يُقْصَرْ عَليَّ سُتُورُها

١٨ وخَيْلٍ تَعادَى للطِّعانِ شَهِدْتُهـا ، ولَوْ لم أَكُنْ فيها لَساءَ عَـذيرُها

١٩ وَغَمْرَةِ مَوْتٍ لَيْسَ فِيهَا هَـوَادَةٌ ، يَكُونُ صُدُورُ المَشْرِفيِّ جُسُورُهَـا

٢٠ صَبَرْنَا لَهَا في نَهْكِهَا ، وَمَصَابِهَا ، بِأَسْيَافِنَـا ، حتَّى يَبُوخَ سَعِيرُهَا

٢١ وَعَرْجَلَةٍ شُعْثِ الرُّؤوسِ ، كَأَنَّهُمْ بَنُو الجِنِّ ، لَمْ تُطْبَخِ بِقِدْرٍ، جَزُورُهَا

---

١٤ يَكُنُّها : يحجبها . المُسْتَوْبص : المُسْتضيءُ بالنَّار ليلا .
يقول : إنّ منْ دأبه أنْ يوقد النَّار في مرتفع ، حتَّى يهتدي إليها من ضَلّ الطريق .

١٥ * يقسم أنّ ابن جارته ، إذا ما طاف حول القدر ، لا بد أن يُطْعمه .

١٦ * يقصد أنه سيقدم العون لجارته الَّتي غاب بَعْلُها .

١٧ * وسيصلها خيره وكرمه ، حتَّى يرجع بعلُها .

١٨ * يشرع في هذا البَيْت في التَّفاخر بفروسيته ويقول : إنه قد يشهد الموقعة الشَّديدة الطّعان ، وأنَّه يَنَال فيها النَّصْر ، فيما يسوء حال الفرسان وتصعب نجدتهم ، لو تخلَّى عنهم .

١٩ غَمْرَةُ المَوْت : الحرب .
* يصف موقعة اقتحمها ، فيقول : إنَّها قويَّة ، لا هوادة فيها ولا قبل للمرء أن يجتازها إلا على معبر من السّيوف .

٢٠ يَبُوخ : ينطفئ : سَعيرُها : شدة حر نارها .
* صبرنا على الحَرْب ، رغم ما أصبْنَا به ، ولم نَيْأس ، وما تزال سيوفنا مشهَّرة حتَّى تنطفيءُ نيرانها .

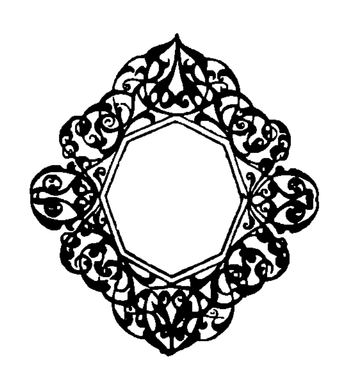
٢١ عَرْجَلَة : مشاة .
* يصف هؤلاء الرّجال ، وقد تلبَّدت رؤوسهم من غبار الحرب ، فبدوا كأنهم أبناء الجـنّ الَّذين لا مثيلَ لهم .

٢٢ شَهِدْتُ وَعَوَّاناً ، أُمَيْمَةُ ، إنَّنَا بَنُو الحَرْبِ نُصْلاهَا إذا اشْتَدَّ نُورُهَا

٢٣ عَلَى مُهْرَةٍ كَبْدَاءَ ، جَرْدَاءَ ، ضَامِرٍ ، أَمِينٍ شَظَاها ، مُطْمَئِنٍ نُسُورُهَا

٢٤ وَأَقْسَمْتُ ، لا أُعْطِي مَليكاً ظَلامَةً وَحَوْلِي عَدِيٌّ ، كَهْلُهَا وَغَرِيرُهَا

٢٥ أَبَتْ لِيَ ذَاكُمْ أُسْرَةٌ ثُعَلِيَّةٌ كَرِيمٌ غِنَاهَا ، مُسْتَعِفٌّ فَقِيرُهَا



---

٢٢ ـ شهدت وعوّاناً القتال منفردين يا أميمة ، وصمدنا في المعركة ، فنحن بنو المعارك ، إذا ما اشتدتْ الحرب ، تَحَمَّلْنا سعيرها .

٢٣ كَبْداء : كبيرة الجَوْف . جَرْداء : شَعْرها قصير . ضَامر : قليلة اللَّحْم . الشَّظَى : عظم الذراع والسَّاق ، النُسُور : جمع نسر ، لحمة في باطن حافر الفَرَس . وفي هذا البَيْت يُعَدد أوصاف الفرس .

٢٤ يقول : إنه لن يستسلم لأعدائه وينقاد إليهم ، فيما يبتغون ، ما دام أنصاره حولَه ، بشيبهم وشبَابهم .

٢٥ ما رضي قومي بنوثُعَل بهذا ، وقومي غنيهم كريم ، وفقيرهم عفيف النَّفس .

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ

يُبْرز الشَّاعر في الأبيات الأولى لوم زوجته له وعدم إذعانه لها . فهو يرى أنّ جوده يصنع له الأحْدوثة العذبة ، والذكر الطيّب ، ثم أنّ مقوّمات الفارس ، هي الكرم والشَّجاعة . وبذلك يعتبر شاعرنا ، قيمة الكرم فوق قيم الحياة الماديَّة كلّها :

١	وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بَلَيْلٍ تَلُومُـــــني ،	وَقَدْ غَابَ عَيُّوقُ الثُّرَيَّا ، فَعَرَّدا
٢	تَلُومُ عَلَى إِعْطَائِيَ المَالَ ، ضِلَّةً ،	إذا ضَنَّ بالمَالَ البَخِيلُ وصَرَّدا
٣	تَقُولُ : أَلا أَمْسِكْ عَلَيْكَ ، فإنَّني	أَرَى المَالَ ، عِنْدَ المُمْسِكِينَ مُعَبَّدا
٤	ذَرِيني وَحَالِي ، إنَّ مالَكِ وافِرٌ ،	وَكُلُّ امرِىءٍ جارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدا
٥	أَعاذِلَ ! لا آلُوكِ إلاَّ خَليقَتي ،	فلا تَجْعَلي ، فَوْقي ، لِسَانَكِ مِبْرَدا

١ ، ٢ عَيوق الثرَيَّا : نجم أحمر يتلو الثرَيَّا ولا يتقدمها . عَرَّدَ : ارتفع . صَرَّدَ : قلَّل العطاء .

* يقول : إنّ زوجته نهضت قُبَيْل الصّبح تلومه وتعذله على إنفاقه الشَّديد دون تعقّل أو رويَّة ، فيما يعْتصم ذوو البخل بمالهم ويضنّون به ، وفي هذا البيت وما يتلوه ، يكرر الشَّاعر منظر لوم الزّوجة لفرط كرمه ، كما يكرّر الصّعلوك لومها له لفرط غزوه وطلبه للمغامرة .

٣ المُمْسكين : البُخَلاء . المُعَبَّد : المركم كأنه معبود .

* يُوضح في هذا البَيْت كلامها ويذكر أنَّها حثَّتْه على الإمساك والامتناع عن الإسراف ، وأنها أشارت إليه بأنّ ذوي المال يجلّونه ويعبّدونه ، أي لا ينفقونه إلاّ لمآربهم الخاصة .

٤ * يجيب حاتم قائلا : دعيني ممَّا تذكرين ، فانني لا أبخل عليك بالمال لأغدقه على الآخرين . وإني دأبْتُ على الإنفاق ولا طاقَةَ لي بالعدول عنه .

٥ آلُوكِ : أبطئ أو أقصِّر .

* أعاذلتي إني لا أقصِّر عمَّا أقوى عليه ، ولا أترك شيئاً في طاقتي إلا جعلته لك ، ما عدا ميلي إلى الكرم ، فلا تجعلي لسانك كالمبرد ، يأكل منّي .

٦ ذَرِيني يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِيَ جُنَّةً ، يَقِي المَالُ عِرْضِي ، قَبْلَ أَن يَتَبَدَّدَا

٧ أَرِيني جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً ، لَعَلَّني أَرَى مَاتَرَيْنَ ، أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدا

٨ وإلاَّ فَكُفِّي بَعض لَوْمِكِ ، واجْعَلي إلى رأْيِ مَن تَلحَيْنَ ، رأيَكِ مُسْنَدا

٩ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي ، إذا الضَّيْفُ نَابَني ، وَعَزَّ القِرَى ، أَقْرِي السَّدِيفَ الْمُسَرْهدا

١٠ أُسَوَّدَ سَادَاتِ العَشِيرَةِ ، عَارِفاً ، وَمنْ دونِ قَوْمي ، في الشَّدَائِدِ ، مِذْوَدا

١١ وأُلفَى ، لأَعْرَاضِ العَشِيرَةِ ، حافِظاً وحَقِّهِمِ ، حتَّى أَكُونَ المسَوَّدا

١٢ يَقُولُونَ لِي : أَهْلَكْتَ مَالَكَ ، فاقْتَصِدْ ، وَمَا كُنْتُ ، لَوْلا مَا تَقُولُونَ ، سَيِّدَا

---

٦ الجُنَّة : السّترة .

* يقول لها : دعيني أتصرّف بمالي كما أريد ، إذ أنّ مالي سيكون سترا لي ، يقيني لسان الآخرين ويجعلني كريماً عظيماً .

٧ * يقصد أن كل شيء فان . الإنسان والمال . حتَّى هذا البخيل الّذي يعبد المال ، لن يخلّد .

٨ * تَلْحَيْن : تلومين .

* امتنعي عن اللَّوْم واقنعي بما قلْتُ لك ، واجعلي رأيك إلى جانبي ، لأني لن أميل عمّا دأبْتُ عليه .

٩ السَّديف : شحم سنام البعير . المُسَرْهَد : المُقَطَّع .

* يفخر بأنه يكرّم الضَّيْف ، ويُقَدِّم له الطَّعام الفاخر ، فيما يَتَخَلَّف الآخرون عن ذلك .

١٠ أسَوَّد : أعطى السِّيادة . المذوَد : الَّذي يذود عن قومه ، يدفع عنهم .

* ألم ترأني سيِّد سادات قومي ، حتَّى في الشَّدائد أدافع عنهم ، وأكون مثلا وقدوة للجميع . فالسِّيادة في عرف الشَّاعر الجاهلي ، ليس إلاَّ للكريم الشّجاع .

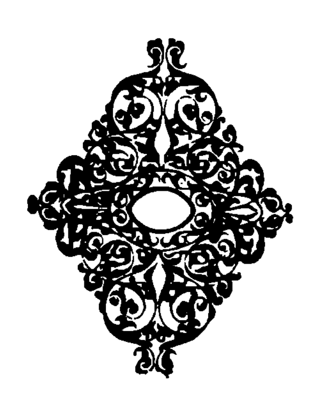
١١ * وإني لأحفظ أعراض أبناء العشيرة ، وأدافع عن حقِّهم ، حتَّى أكون السيِّد عليهم .

١٢ * يقولون : إنني بكرمي أهلكت عشيرتي ، وأنا أقول لهم : لولا الكرم ، ما كنت سيداً .

١٣ كُلُوا الآنَ من رزْقِ الإِلٰهِ ، وأَيْسِروا ، فَإِنَّ ، عَلَى الرَّحْمَانِ ، رِزْقَكُمُ غَدا

١٤ سَأَذْخَرُ مِنْ مَالي دِلاصاً ، وَسَابِحاً ، وأَسْمَرَ خَطِّيًّا ، وعَضْباً مُهَنَّـــدا

١٥ وذلك يَكفيني منَ المـالِ كُلِّـهِ ، مَصوناً ، إِذا ما كان عنديَ مُتْلِدا



---

١٣ * كلُوا واشْربوا فعندكم اليَوْم ما يكفيكم ، وفي غد يجدد الله رزقنا ثانية (ما دمنا ننفقه في طريق الخير) .

١٤ * الدلاص : الدرع المَلْساء . السَّابح : الفرَس . الأسمر : الرّمح . الخَطّيّ : منسوب إلى الخطّ ، مرفأ في البحرين تباع فيه الرّماح . العَضْب : السَّيف . المُهَنَّد : المصنوع في الهند .

* يقول : إنَّه لن يذخر من ماله إلا ما يشتري به درعاً وفَرساً ورُمحاً وسيفاً هنديّاً أي لا يذَّخر إلا ما يشتري به عدة القتال .

١٥ المُتْلد : المال القديم .

* وإقتنائي لعدة القتال من مالي ، هوما أنفقه منه على نفسي ، وما أذخره منه وحسب .

عَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرِكُ الغِنَى

يكرّر في هذه القصيدة بعض معاني القصائد السَّابقة ويفخر بفقره وغناه . فالفقر يدعه عفيفاً ، كما أنّ الغنى لا يولّد لديه الأثرة ، بل يُشْرك فيه ذوي الإملاق والحاجة . وهو ، في ذلك ، يخالف سنة النَّاس في الغنى ، ويُشير حاتم ، كذلك ، إلى أنَّه يُحْسن تدبير ماله في الخَيْر والمعروف ، لا يعتصم به خوفاً وتذلّلا ، بل إن له صولة تُغْنيه عن استجداء الكرامة بالمال . وإذا ما رحل قومه عنه واعتزلوه ، فانَّه يبني لهم مجداً بكرمه :

١ وإنِّي لَعَفُّ الفَقْرِ ، مُشتركُ الغِنَى ، وَوُدُّكَ شَكْلٌ لا يُوَافِقُهُ شَكْلِي

٢ وشَكْلِيَ شَكْلٌ لا يَقُومُ لِمِثْلِهِ مِنَ النَّاسِ ، إلاَّ كلُّ ذِي نِيقَةٍ مِثْلِي

٣ ولي نِيقَةٌ في المَجْدِ والبَذلِ لم تكنْ تَأَنَّقَها ، فيما مضَى ، أَحَدٌ قَبْلي

٤ وأَجْعَلُ مالي دونَ عِرْضِيَ ، جُنَّةً لِنَفْسِي ، فأَستَغني بما كَانَ مِنْ فَضْلِي

---

١ * إني عفيف النَّفْس عندما يُصيبني الفَقْر ، وإن أثريت كنت سخيّاً في الكرم . فمذهبي إذن غير مَذهبك .

٢ النّيقَة : إسم من التنوّق ، تجوّد وتأنّق .

* إن مذهبي مذهب لا يعتنقه ، وليس أهلا له ، إلا من كان جواداً سخيّ الكفّ مثلي .

٣ تأنَّقها : عملها باتقان .

* لديّ اتقان للجود ، فان أتاني مال أعرف كيف أنفقُه ، وأعرف أين أوزّع خيري . وهذا ما جهله من سبقني .

٤ الجُنَّة : السّتر .

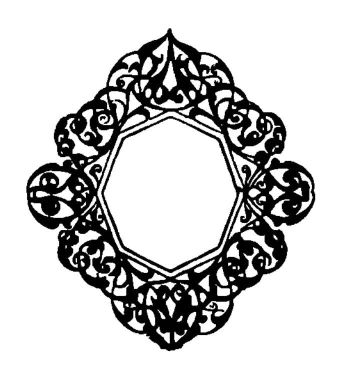
* أضَحّي بمالي ، وأبذله ليكون لي ستراً ودرعاً يقيني كلّ لسان ، ويبقى ذكري خالداً معطّراً .

٥ وَلي ،مع بَذْلِ المَالِ والبأْسِ ، صَوْلَةٌ ، إذا الحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا العُصْلِ

٦ وَمَا ضَرَّني أَنْ سَارَ سَعْدٌ بِأَهْلِهِ ، وأَفرَدَني في الدَّارِ ، لَيْسَ مَعِي أَهْلي

٧ سَيكفي ابتِنايَ المجدَ ، سعدَ بنحشرَج ، وأَحْمِلُ عَنْكُمْ كلَّ ما حَلَّ من أَزْلي

٨ وَمَا مِنْ لَئيم عالَهُ الدَّهْـرُ مَـرَّةً ، فيَذكُرَها إلاَّ استَمَالَ إلى البُخْلِ



---

٥ الصَّوْلَة : القدرة . النَّواجذ : جمع ناجذ ، أقصى الأضراس . العُصْل : جمع اعصل وهو الأعوج في صلابته .

* إن الكرم والمعارك تعرفني ، سخيّاً ، شجاعاً ، إذا ما الحرب اشتّد أوارها ، وكشّرتْ عن أضْراسها المُعْوجَّة الصّلبة .

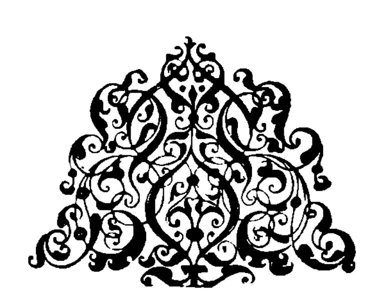
٦ * تحول عنه جده سعد بن الحشرج ، فخرج بأهله وخلف حاتماً بداره بدون أهل . وبهذه المناسبة يقول حاتم ما سبق ويلحق .

٧ * يخاطب جده بأنه يكفيه أنه يَبْني له ولهم مجداً ، ويعاهدهم أن يحمل عنهم كلّ ما حلّ بهم من ضيق وشده .

٨ * إن اللّئيم ، إذا ما أتاه الرّزْق ، وأسعفه الدهر ، يزداد بذلك بُخْلا .

نَارُ القِرَى

اوْقِدْ ، فإنَّ اللَّيْلَ لَيْــلٌ قَــرّْ،	والرِّيحَ ، يا مُوقِدُ ، رِيحَ صِرُّ
عَسَى يَــرَى نارَكَ مَنْ يَمُــــرُّ،	إنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً ، فأَنْتَ حُرُّ



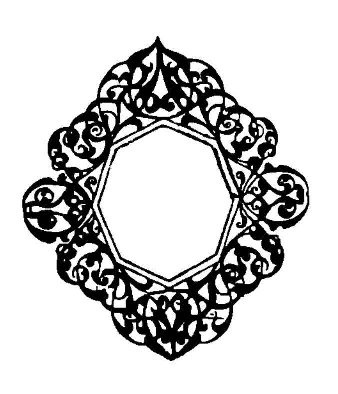
---

١ ـ كان حاتم يوقد النَّار في يفاع من الأرض ، لينظر إليها من أضلّه الطَّريق ، وهو يطلب هنا من غلامه ، أن يوقد النَّار في هذه اللَّيلة اللَّيلاء الباردة ، الَّتي تعوي فيها الرياح .

٢ ـ أوقد النَّار لعلّ تائهاً يراها فيأتي ، وإن أتى أحد فانت حرّ طليق .

أَلاَ سَبِيلَ إِلَى مَالٍ

١	أَلا سَبِيلٌ إلى مَـالٍ يُعَـارِضُني ،	كما يعَارِضُ مـاءُ الأَبْطَحِ الجَارِي
٢	أَلا أُعانُ ، على جودي ، بِمَيْسَرَةٍ ،	فـلا يَرُدّ نَـدَى كَـفَّيَّ إقتـارِي



---

١ الأبْطَح : مسيل الماء الواسع أوالوادي الكبير .

٢ الإقْتَار : قلَّة المال .

* ألا أساعد باليسر في حياتي فيزداد كرمي ، ومهما يكن ، فلن أمتنع عن الكرم ، ولوكنت فقيراً .

عَنترَة بْن شَدّاد

عَنترَة بْن شَدّاد
٠٠٠٠ ـ نحو ٢٢ ق . هـ .
٥٢٥ ـ ٦١٥ م .

عنترة بن شداد بن عَمْرو ، بن قراد ، أحد أفراد قبيلة عَبْس . ولد من أمة حبشيَّة ، فجاءت بشرته حالكة السَّواد ، حتَّى عُدّ من أغْربة العرب . وجاء مشقوقَ الشَّفة ،فعُرِفَ بعنترة الفَلْحاء ، وهذه الصّفه يطلقها العرب على من يولد مشقوق الشّفة من أولادهم . وقدتنكَّر له والده في مطلع حياته ، ولم يُلْحقْه بنَسَبه ، شأنه في ذلك شأن أبناء الإماء ، لا يعترف بهم والدهم ، إلا إذا نَجُبُوا ، وذاع لهم صيت ، يَغْنَون به عن النَّسب . وقد دفَع عنترة إلى رعاية الأغنام والإبل ، يحيا حياة مكمودة ، يلقى احتقار القَوْم بمَضض وتمرّد ، وهولا يبرح يَتوقَّع واقعة ، تُمكّنه من إظهار تفوّقه وبطولته وحاجة قبيلته إلى قوّة ساعده . ولم يلبث شاعرنا أن فُتِنَ بابنة عمَّه عَبْلة ، وهي حُرَّة من دونه ، لا قِبَل له بها ، يَمْنعه عن ذلك سواد لَوْنه ، واحتقار عَمّه وسائر أفراد القبيلة له . ولقد تضاعف شعوره بالعاهة بتأثير ذلك الحب الحتميّ الذي وقع بين براثنه ، لا يجد له فكاكاً عنه أو خلاصاً منه .

ولعلّ مصير الشَّاعر لم يكن وقفاً عليه ، عصرئذ . فثمَّة كثير من أولاد الإماء الَّذين لم يعترف آباؤهم بهم ، وقد قبلوا مصيرهم وأذعنوا له . أما عنترة ، فقد أعلن العصيان النفسيّ والاجتماعي . تمرّد على واقعه وعلى الحتميَّة النفسيَّة والعرْقية التي دمغته ، وجعل حياته سلسلة من التحدي للعرف والتَّقاليد ، جاعلا قيمة المرء في أفعاله وقدرته الخاصة ، من دون أصله وما توارثه بلا جدارة . فالبطولة الَّتي ينميها العامة إلى ساعده ، هي بطولة في نفسه وإرادته ، قبل أن تكون في ساعده . طَلَبُ الحرية والعدالة في الداخل كان يحركه في الخارج ، فأبى أن يعاقبَه المجْتمع عن ذنب لم تَقْترفه يداه ، ولون لا دلالة إنسانيَّة له ، وقد جعله النَّاس فاصلا بينهم ، وأداة من أدوات الإضطهاد المعنوي والإذلال ، ووسيلة من وسائل العبوديَّة . وهكذا يبدو لنا أن مُشْكلة الشَّاعر الأولى ، هي مشكلة الحريّة والمساواة ، أضْفى إليْها قليلا أوكثيراً من الوجدانية ، لارتباطها بمصيره . وتأثيرها في سعادته وتعاسته ، وتحقيقه لذاته في العالم . وَلَيْس الشّعر الذي فاض من وجدانه ، سوى سلسلة مُتَلاحقة من الأفكار والتأملات والمواقف الَّتي تُظْهر ضلال الذين يعيرِّونه بلونه ، ويحقِّرون قَدره دون أن يكون في قدره حقارة فعليَّة ، أو في أفعاله ما يُثير الشّبْهة ويدفع إلى الهوان . كما أن بطولته وحرصه على إظهار تفوّقه في القتال ، ليسا سوى بيِّنة أليمة ، حاقدة على أن المُجْتمع لا يعتمد القيمة الإنسانيَّة الخالصة في إقامة الحدود بين الأفراد الَّذين ينتمون إليه . ولولم يكن عنترة أسود اللَّون ،

ابن أمة ، وعاش حراً متكافئاً مع أقرانه في القبيلة ، لضَعُفَتْ جذوة الشّعر في نَفْسه ، أولزال شعوره بالتَحَدي ، فامتنعت عنه حوافز البطولة . وهكذا ، فان تفوّق الشّاعر في شعره وقوّة ساعده ، تولّدا من شعوره بالعاهة والنَّقْص والتحدي . ولا قبل لنا بفهم شعره ، إلا من خلال هذه البواعث الّتي تبدو صريحة ، في شعره ، حيناً ، وغامضة ، حيناً آخر . فالشّاعر لا يكرّ إلا بعد أن يرى بني قَوْمه قد أعيوا وخُذلُوا وولّوا الأدبار . فاذا أقبل ، تضفره هالة البطش والقوة ، حوّل انكسارهم إلى انتصار ، وذلّهم إلى كرامة ، جامعاً المجد حول هامته . وهاجس التفاضل بالأصل يصحبه إلى قلب المعركة . فاذا أحْجَمَتِ الكتيبة وتراجعت أمام ضَرَبات الأعْداء ، يُلْفى « خيراً منَ الُمعمّ الُمخْول » ، أي الّذي لا فضل له إلا فضل الإفتخار بأعمامه وأخواله . وقد يُفْصح الشّاعر عن ألمه الدفين بصورة قاتمة ، قلّما يتنبّه لها القارىء ، كما نرى في مثل قوله :

وَلَقَـدْ شَفَى نَفْسي وأبْـرأ سُقْمَهَـا قيلُ الفَوارس ، وَيْكَ عَنْتَرَ أقْـدم

فالشّاعر يعاني من احتقار القَوْم له ، ما يُشْبه الداء الدفين الذي لا علاج له ، حتّى إذا ظهر معيّروه على حقيقتهم ، وبان تخاذُلهم وجبنُهم ، وقُسرُوا على الإستنجاد به . يَنْدفع فَرحاً ، مترنّماً كأن نداءهم هو أجمل نداء تَسْمعه أذناه ، لأنه يدلّ على أنهم لا يعترفون بمساواته لهم وحسب ، بل بتَفَوّقه علَيْهم ، واستئثاره بالبطولة من دونهم . لقد كانت الحرب علاجاً لدائه وامتحاناً لقدره وقدر النّاس الّذين ظلموه وعيّروه وتخلوا عنه ، ومنعوه من اللّحاق بنسبهم .

* * *

أمّا الطّبائع الفنيّة التي غلبت على شعره ، فلا تعدو الطّبائع الفنيّة العامة الّتي أثِرَتْ عن سائر الشّعراء الجاهليين . وقد كان يهدف إلى الغلوّ والإثارة بالصّورة الّتي أدركت أقصى أبْعَادها ، يَتَفتّق لها بكل وسيلة ، مُسْتعيراً ، مشبّهاً ، معتمداً الدلالة الداخلية للحوادث ، ليُوهم بصدق القول الّذي يتصدى له . وتَميَّز عنترة بأسلوب تعظيم الخصم ، ليُعَظِّم نفسه من خلاله . فعدوّه مدجَّج ، كره الكماة نزاله ، لا يهرب ولا يستسلم ، يرتدي الدرع السّابغة ويحمل العلم ، ويُنْفق وقته في الشّرب الّذي يأتي به على الخمرة التي يقتنيها الخمار . وقد طعنه الشّاعر طعنة فريدة ، جَنْدله بها وتركه للسّباع تَفْترسه .

ولم يتخلّ عنترة عن عمود الوَصْف ، كما كان شائعاً في عصره ، بل أنه يصف حبيبته ويصف المعارك ، مستعيراً من الطَّبيعة ، متوسّلاً بالتشابيه في أنواعها المتعددة . وقد يميل إلى الاستطراد والتدقيق في معالم الاشياء الجزئيّة كوسيلة للغلوّ ، ساكباً في عبارته بواعث الشّجْو والإلْفة ، في مواطن الرقّة والحنين ، مُضْفياً عليها الألفاظ القاسية الصّلدة المخارج الّتي تقرع قرعاً في مواطن العراك والفَخْر . فعبارته وليدة طبعه ، متّصلة اتصالا عميقاً بوجدانه ، تنبعث وكأنها فاضت فيضاً دون تعمّل ، أوتثقيف بطيء ، كما نرى في عبارة زهير والنّابغة والأعشى .

هي إحدى المعلَّقات السَّبْع الطِّوال ، تحمل طبائع الشّعر الجاهليّ ، جميعاً ، وتعبرعن واقع الشَّاعر في حُبّه وثاراته وانتصاراته ، ونظرته إلى نفسه وإلى الحياة ، فكأنَّها تصوير عام لسيرته ، وتنازعه في سبيل اكتساب حقّه ، بالمساواة والتقدير .

يستهلّها بمناجاة دار الحبيبة ، فيخاطبها مُخاطبة الأحياء ، ويسكب عليها دموع الحزن والذكرى ، شاعراً بنأي المَقام وتفرّق الأهل ، مستعيداً مشهد الرحيل ، متروعاً أثر الظَّاعنَات ، واصفاً حبيبتَه عَبْلة بأوصاف الجمال المأثورة ، عصرئذ . ولا يُعَتّم أن يستطرد عنها إلى وصف الرَّوْضة في أبيات عديدة كموضوع شبه مستقلّ بذاته . ثم يتخلَّص إلى وصف النَّاقة الَّتي يمْتطيها لتُبْلغَه إلى الحبيبة . ويباشر الفَخْر بخلقه الكريم وقوّة ساعده ، وانتصاره على عدوّه الذي لا يُشَقّ غباره . ويُنْهي القصيدة بوصف حيّ لإحدى المعارك الَّتي أوقع فيها بالأعداء ونكَّل بهم .

تتضمَّن هذه القصيدة بوجه عام ، وصفاً غزليّاً وملحميّاً وطبيعيّاً يمده ويتطاول به الاستطراد الَّذي ينْجذب إلى المظاهر الخارجيَّة وَيَتَنَامى بها ، بعد أن تَهي وتَفْقُد الصّلة بينها وبَيْن السِّياق العام للقصيدة . أما طبائع أسلوبه ، فلا تعدو الغلوّ ، يفيض به طبع الشَّاعر الملحميّ ، وعَمَود الشّعر الشّائع ، بحيث يُدخلنا إلى عالم الدهْشة والأسطورة . إلا أن معلَّقته لا تصدر عن درْبة فنية عميقة ، بل تنثال انثيالا بفعل الحماسة ، مثيرة الطَّرب والإعجاب آخذة من الحياة بالجانب الدامي من مأساتها ، غير متَّصلة بينبوع الحقائق الكونيَّة الشَّاملة ، إلا في بعض مواقف وخواطر ، فكأن همّ الشَّاعر اقتصر على البطولة ، ينمي إليها سائر العواطف ، وينظر إليها من خلالها ، ويكاد لا يشعر بالرّقة والوهن ، إلا حين يجتاحه الحنين ، وتؤلمه الذكرى ، حتى إذا خاطب عبلة وتصدى إليها مباشرة ، عاد فارتدى قناع القسوة والخُيَلاء ، عارضاً أمامها مشهد الدماء والأشلاء الَّذي ألفَه في حياته :

١ هَلْ غَادَرَ الشُّعَـرَاءُ مِنْ مُتَـــرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفتَ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
٢ يا دَارَ عَبْلَـــةَ بالجَـوَاءِ ، تَكَلَّمي وَعِمِي صَباحــاً ، دارعَبلةَ ، وَاسْلَمي
٣ فَوَقَفْتُ فيهـا نَـاقَتِي وَكَـأَنَّهَـــا فَدَنٌ ، لأَقْضِيَ حَـاجةَ المُتَلَوِّمِ
٤ وَتَحُلُّ عَبْلَـــةُ بالجَـوَاءِ ، وَأَهْلُنَا بالحَزْنِ ، فَالصَّمَّـــانِ ، فَالمُتَثَلَّمِ

---

١ المُتَرَدم : الموضع الذي يُسْتَصْلَح عند الوَهَن .

* يقول : لم يترك الشّعراء موضعاً إلا وألمّوا به ، حتّى لم يَسْتَبْقُوا لي شعراً يصاغ فيه . ثم يخاطب نفسه في الشَّطْر الثَّاني بقوله : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تَفَرُّسك في آثارها . وفي هذا القول إشارة إلى اعتقاد بعض الشّعراء ، أن سُبُل التجديد بالمعاني غَدتْ مُقْفَلَـة ، وأنها تتكرّر بين الشّعراء . والصّواب في ذلك أن المعاني تتجدد بتجدد نفس الشَّاعر ونظرتها المُبْدعة في الحياة والكون .

٢ الجَوّ : مُنْخفض من الأرض ، والجمع : الجواء .

* يقول : يا دار عبلة ، أخبريني بما جرى ، وأسْعدتِ صباحاً وأبعدك اللهُ عن كلّ مَكْروه . والشّاعر هنا يمضي في مخاطبة الدار ، كأنّها حيّ سَويّ ، وذلك مظهر من مظاهر الوجدانيَّة في شعره . وهو إذ يناجي الدار ، إنما يُنَاجي الحبيبة من خلالها .

٣ الفدن : القصر . المُتَلَوِّم : المقيم لبرهة من الزّمن .

* أوقفت ناقتي في تلك الدار ، حتى أقضي برهة من الزّمن أذكر فيها الأيام الخوالي . ووصف ناقته بالضّخامة ، هو استطراد عن الحالة الوجدانيَّة التي يعبّر عنها . أما إيقافه النَّاقة فهو من المعاني المطروقة في الشّعر الجاهلي ، وسنّة من سنن المطلع التقليدي في وصف الطَّلل . وهذا يسوقنا إلى الاعتقاد بأن القصيدة الجاهلية أوفت إلى عنترة ومن إليه من الشّعراء ، وقــد استقرّت على عمود واضح ، وأن الشّعراء الجاهليين المَعْروفين ، ليسوا الشعراء الأول ، بل أنه تَقَدمَّهم شعراءُ ضاعت أسماؤهم ، فضلا عن أشْعارهم .

٤ الصّمّان : اسم موضع . المُتَثَلَّم : إسم موضع .

* هي تقيم بهذا الجواء وأهـلي يَنْزلون بالصّمّان والمتثلّم ، أي في مكان ناء بعيد عن مقامها . وذكر أسماء العلم هي من خصائص الواقعيَّة الظَّاهرة عند معظم الشّعراء الجاهليين . وفي هذا البيت تعبير عن شعور بالبعْد وحزن على ما فات من زمن الإلفة والمودة .

٥	حُيِّيتَ مِنْ طَلَـلٍ تَقَادَم عَهدُهُ ،	أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْـدَ أُمِّ الهَيْثَـمِ
٦	حَلَّتْ بأَرْضِ الزّائِرِينَ ، فأصْبَحَتْ	عَسِراً عَليَّ طِلابُـكِ ، ابنَةَ مُخْرَمِ
٧	عُلِّقْتُها عَرَضـاً ، وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا ،	زَعْمـاً لَعَمرُ أَبيكَ ، ليسَ بمَزْعَمِ
٨	وَلَقَدْ نَزَلْتِ ، فَـلا تَظُنِّي غَيْرَهُ ،	مِنِّي ، بمَنْزِلَةِ المحبِّ المُكْرَمِ
٩	كَيْفَ المَزَارُ ، وَقَـدَ تَـرَبَّـعَ أَهْلُها	بعُنَيْزَتَينِ ، وَأَهْلُنـا بالغَيْلَـمِ

---

٥ طَلَلَ : مكان قديم العهد . القَفْر : مكان غير مأهول . أمّ الهَيْثَم : لقب عبلة .

* حُيِّيتَ أيها الطَّلل الَّذي مرّتْ عليه السّنون ، فبدا موحشاً ، مقفراً ، بعد أن رحلت عنه الحبيبة .

٦ الزّائرُون : تشبيه بزئير الأسُود ومعناها الأعداء .

* نزلت الحبيبة في أرض الأعداء ، فلم أستطعْ لها طلباً . وفي هذا البيت يَظْهر باعث افتراق جديد بين الشَّاعر وحبيبته ، إذ لم يعد يفصل بينهما بُعْدُ المَقَام ، بل الأعداء ، فطلبه لها يتعذّر عَلَيْه ، ويَلْقى من دونه سيوف المتربّصين به ، الحاقدين عليه . وذلك كله غلوّ بمعنى البُعْد والافتراق .

٧ التَّعْليق : مشتقَّة من العلق ، ومعناها الهوى والهيام .

* شغفت بها ، فجأة مع أني في عداء مع قومها ، وأطمع بها دون أمل في وصالها . وقوله : أنه علقها عرضاً ، ولم يعد يستطيع الفكاك عنها ، إشارة إلى قوة حبّه ، فكأنه مُسَيّر به دون اختيار . ونشهد في ذلك إحدى الوسائل العديدة لتعظيم المعنى ، والتأثير على القارىء من خلاله ، بدلا من الصور والتَّشابيه . فالشَّاعر يعاني الأشياء ويتفكّر بها ، ويعبّر عنها بالوسيلة الفكرية ، وهي أدنى من الصّورة الَّتي يتغلّب فيها عنصر الخيال ، وهو الأداة الأولى للبلاغة الشّعرية وخاصة متى كان خيالاً نفسياً ، داخلياً وليس حسياً ، خارجياً .

٨ * نزلت في قلبي بأعلى منزلة ، فكوني على يقين ، ولا تظنّي غير ذلك .

٩ المَزَار : الزّيارة . التَّربّع : الإقامة في مكان مدة الربيع . عُنَيْزَتَيْن وغَيْلم : أسماء مكان .

* أنّى لي أن أزورَ الحبيبة والبُعْد شاسع بَيْننا ، إذ يُقيم أهلها بعنيزتَيْن ، وأهلي في الغَيْلم . وهذا المعنى تكرار لمعنى سابق مع اختلاف في أسماء الأمكنة ، وذلك لا يدلّ على أن الشَّاعر يخبط في ذكر الأسماء ، بقدر ما يدل على أن أهلهما لا يلتقيان ، سواء أكان ذلك في حلهمـا ، أم في ترحالهما .

١٠ إنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ الفِـرَاقَ ، فإِنَّمَا   زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بلَيْـلٍ مُظْلِـمِ

١١ ما رَاعَني إلاَّ حَمُـولَـةُ أَهْلِهَـا ،   وَسْطَ الدّيارِ ، تَسَفُّ حبَّ الخمْخِمِ

١٢ فيها اثْنَتَـانِ وَأَرْبَعُـونَ حَلُوبَـةً ،   سُوداً كخـافِيَـةِ الغُـرَابِ الأَسْحَمِ

١٣ إذْ تستبيكَ بذي غُـرُوبٍ وَاضِحٍ   عَذْبٍ مُقَبَّلُـهُ ، لَذِيذِ المَطْعَمِ

١٤ وكأَنّ فارة تَـاجِـرٍ بِقَسيمَـةٍ ،   سَبَقَتْ عَوَارِضَهَـا إِلَيكَ من الفمِ

---

١٠ الإزْمَاع : التصميم على أداء أمر . الرّكَاب : الإبل التي تُمْتطى . زُمّتْ : ربطت بالأزمة

* إن كنت أزمعت الفراق ، فانّما ابلُكم ، قد زمَّت في ليل مظلم . وذكر الليل له دلالة فعليَّة واقعية في اتقاء الحرّ الشَّديد ، وله دلالة نفسيَّة بالنّسبة إلى الشَّاعر ، إذ عبَّر من خلاله عن حالة من أحوال اليأس والقنوط .

١١ رَاعَني : أفزعني . حمُولَة : الإبل الّتي تطيق الأحمال عليها . حَبّ الخمْخم : حب نبت شوكي تأكله الإبل .

* شاهدت إبل أهلها ، وقد حُمّلت وهي ، تأكل حب الخِمْخم ، فروعت إذ أدركت أنهم مزمعون على الرّحيل .

١٢ الحَلُوبَة : الّتي تدّر الحليب . الخَافيَة : ريشة في جناح الطَّيْر . الأسْحَم : الأسود .

* في حمولة أهلها ، أثنان وأربعون ناقة حلوباً ، وهـي سود كريش الغراب . وقد خصّها بالسَّواد للتّدليل على ثراء أهلها ، إذ كانت النَّياق السّود من أغلى النّياق وأعرقها .

١٣ غُرُوب الشَّيء : حدوده . مُقَبَّل : مكان التَقْبيل من الفم .

* في هذا البيت يشرع بوصف حبيبته ، مستهلا بوصف ثغرها ولذة تقبيله . وهو لم يمثله تمثيلا بصريًّا بل بالذوق والشّهوة .

١٤ القَسيمة : سُليلة أووعاء مُغشّى بالجلد يكون عند العطارين توضع فيه أنواع العطر . الفَارَة : فوح الطّيب .

* إنّ فمها يفوح بطيب المسك ، إذا رُمْتَ تقبيلها . وكأنه يشير بصورة غير مباشرة إلى أنّ المرأة هي وعاء للطّيب .

١٥	أَوْ رَوْضَةً أُنُفــاً ، تَضَمَّنَ نَبْتَهَا	غَيْثٌ قليـلُ الدِّمْنِ ، ليس بمَعْلَمِ
١٦	جَادَتْ عَلَيْهِ كُـلُّ بِكْـرٍ حُـــرَّةٍ ،	فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ ، كالدِّرْهَـمِ
١٧	سَحّاً وَتَسْكابــاً ، فَكُلَّ عَشِيَّــةٍ	يَجْرِي عَلَيْهَا المـــاءُ ، لمْ يَتَصَرَّمِ
١٨	وَخَــلا الذُّبابُ بها ، فَلَيْسَ بِبَارِحٍ	غَرِداً ، كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

---

١٥ رَوْضَة أنُف : أي روضة لم تُرْعَ بعْد . الغَيْث : المطر . الدمْن : جمع دمنة ، وهي مـا تلبَّد من زبل وغيره على الأرض بعد الغَيْث والسَّيْل . وأشار إلى قلَّته كي لا تحول رائحة الدمنة دون عطر الزهر .

* هو استكمال للبيت السَّابق في وصف طيبها . فبعد أن شبَّهه بفأرة التَّاجر . وهو تشبيه شديد الإيحاء . يعود فيشبّهها بالروضة البكر التي لم يُقْطف نبْتُها . ولم تطأها الأقدام . بعد أن روّاها المطر .

١٦ البكْر : المطر الشَّديد الخالص من البرد والريح . حُرّة : غزيرة . قرارة : حيث يستقر الماء .

* يُمْعن الشَّاعر بوصف الرّوضة ، والمطر الَّذي سقط عليها ، ليُغالي بخصبها وكثرة النَّبْت فيها . وثمَّة علاقة بين شدة المطر وقوّة الطيب المُنْبعث من فم حبيبته . لأن انهمار المطر بغزارة يُنْبت نباتاً كثيراً ، وكثرة النَّبت تؤدي إلى شدة تضوّع الطِّيب . وتشبيه المرأة بالرّوضة تشبيه استطرادي ، يتعاظم فيه وصف المشبّه به . ليَمْنَح المشبِّه غلوّاً ، وهو وسيلة فنّية بدائيَّة .

١٧ السَّحُ : الصّب . التَسْكَاب : السَّكب . التَصَرّم : الإنقطاع .

* إن المطر نزل عليها سحّاً وتسكاباً ، دون انقطاع . والشَّاعر يستطرد إلى وصف المطر من خلال استطراده بوصف الرّوضة . مُنْجذباً بالجزئيَّات . متوسّلا بها ، للتعمق بما يوّد التعبير عنه

١٨ البَرَاح : الزّوال : التَّغْريد : الغناء . التَّرَنّم : الغناء بصوت مرتفع .

* نزل الذباب بهذه الرّوضة ، ولم يَبْرحها ، وطنينُه يُشْبه صوت شارب الخمرة الَّذي يصيح مترنّماً . ومن المطر يستطرد إلى الذباب ، فالتَّشبيه بأكمله ينمو في شعره ، نمواً خارجيّاً . وأما سبب ذكره للذباب فَلتَّدليل على أن الصّحو ، عَقب المطر في تلك الروضة ، فَنمَا نبتُها

١٩ هَزِجاً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِـذِرَاعِـــهِ ، قَدْحَ المُكِبِّ عَلَى الزِّنـادِ الأَجْذَمِ

٢٠ تُمْسي وَتُصْبحُ فَوْقَ ظَهْـرِ حشيَّةٍ ، وَأَبيتُ فَـوْقَ سَرَاةِ أَدهمَ مُلجَمِ

٢١ وَحَشيَّتي سَرْجٌ عَلَى عَبْلِ الشَّوَى ، نَهْدٍ مَراكِلُـهُ نَبيلِ المحْـــزِمِ

٢٢ هَلْ تُبْلِغَنِّي دَارَها شَدَنِيَّــــةٌ لُعِنَتْ بمَحرُومِ الشَّرَابِ مُـصَرَّمِ

---

١٩ هزج : مُنْشد بفرح . المُكِبّ : المُنْحني على الشَّيْءْ . الأجْذمِ : المقطوع الكف .

* إن الذباب فَرِح في تلك الرَّوضة ، يبعث طنينه ، ويحكّ ذراعه بذراعه ، ويعطفهما بعضاً على بعض ، كأن أحد ذراعَيْه مقطوع . وهنا انقطعت الصّلة انقطاعاً شبه تام ، بين المشبّه والمشبّه به ، وغدا وصف الرّوضة ، ومطرها وذبابها ، وكأنه غاية مستقلَّة بذاتها ، تهدف إلى النَّقل الدقيق والنَّسخ ، واستعادة معالم الأشياء ، إستعادة عقيمة الإنفعال فاقدة الغاية .

٢٠ الحَشيَّة : الفراش ، أو ما حشي بقطن أو صوف . سَرَاة : ظهر الفرس . أدهَم : فرس أسود .

* في هذا البيت يكفّ الشَّاعر عن الاستطراد ، ويعود إلى وصف حبيبته ، مقابلا بين واقع حياته وواقع حياتها ، فاذا هي امرأة ناعمة ، تتوسَّد الفراش ، لخلوّ بالها ، بيْنما يُنْفق الشّاعر عُمْره ممتطياً ظهر فرسه ، وذلك تدليلا على فروسيَّته وشجاعته وبُعْد غايته .

٢١ العَبْل : الغليظ . الشَوَى : أطراف الحيوان وقوائمه . النَّهْد : الضّخم . المَرَاكل : جمع مركل وهو الضَّرب بالرّجل والقدم . النَّبيل : السَّمين . المَحْزِم : مكان الحزام من جسم الدابة .

* هو استكمال لمعنى البيت السَّابق ، يصف به الفرس الَّذي يُنْفق ليله ونهاره على متنه ، فاذا هو غليظ القوائم ، سمين .

٢٢ شَدن : أرض في اليمن تُنْسب إليها الإبل . مُصَرُومَة : قلّ انتاجها من اللَّبن .

* والشَّاعر يتخلَّص بهذا البَيْت إلى وصف النَّاقة مُتَسائلا إذا كانت النَّاقة القويَّة المَصْرومة تُوصله إلى دار حبيبته .

٢٣ خَطَّـارَةٌ غِبَّ السُّرَى ، زَيَّــافَةٌ   تَطِسُ الإِكـامَ بوخذِ خُفٍّ مِيثَمِ

٢٤ وَكَأَنَّمَـا تَطِسُ الإِكَامَ ، عَشِيَّةً ،   بِقَرِيبِ بينَ المَنْسِمَينِ مُصَلَّـــمِ

٢٥ تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعَــامِ ، كَمَـا أَوَتْ   حِزَقٌ يَمَـانِيَـةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِـمِ

٢٦ يَتْبَعْنَ قُلَّـةَ رَأْسِهِ ، وَكَأَنَّـهُ   حِدْجٌ عَلَى نَعْشٍ لَهُـنَّ مُخَيَّـمِ

٢٧ صَعْلٍ يَعُـودُ بذِي العُشَيرَةِ بَيْضَهُ ،   كَالْعَبْدِ ذِي الفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ

٢٨ شَرِبَتْ بماءِ الدُّحْرُضَينِ ، فَأَصْبحتْ   زَوْرَاءَ تَنفِرُ عَنْ حِيَـاضِ الدَّيلَمِ

---

٢٣ خَطَرَ البَعير بذنبه : رَفَعَه وضرب فخذيه يميناً وشمالا ، زَيَّافَة : مُتَبَخْترة . تَطسُ الإكام : تكسرها . خُفّ ميثم : شديد الوطء .

* تسير مُسْرعة ، طوال اللَّيْل ، رافعة ذنبها شمالا ويميناً ، تكسر الاكام بخفّ شديد الوطء . والاوصاف التي سُينميها إلى النَّاقة في هذا البَيْت ، وفيما يليه من أبيات ، هي أوصاف مثاليَّة ، أُثِرَتْ عن النِّياق الكريمة عند الجاهليين ، وهي تتكرّر عند الشَّاعر ذاته ، وعند سائر الشعراء .

٢٤ الصَّلْم : الاستئصال .

* تسير ليلا ونهاراً تكسر الاكام بسرعة ، وكأنها الظَّليم بسيرها .

٢٥ قُلُصُ النَّعَام : صغائر النَّعام . حزق : جماعة . أَوَتْ : إنضمَّت . الطمْطم : العَيِيّ الَّذي لا يُفْصح .

* تأوي إلى هذا الظَّليم صَغَائر النَّعَام ، كما تأوي الإبل إلى راع أعجم (حبشي أو غيره) لا يُفْصح . وكما ذكرنا سابقاً ، نشهد ، هنا ، أنّ التشبيه الاستطراديّ الواحد يَتَفكَّك في شعره إلى عدة تشابيه استطراديَّة ، تنمو بعضاً من بعض . فالشَّاعر قد استطرد من الحبيبة إلى الناقة ومن النَّاقة إلى الظَبية ، محاولا أن تُوثق معانيه بوحدة ظاهريَّة ساذجة .

٢٦ قُلّة الرَّأس : أعلاه . الحدج : الهَوْدج .

* تَتْبَع النَّعام رأس الظَّليم ، وكأنَّه الهَوْدج فوق مكان مرتفع .

٢٧ الصَّعْل : ذو الرَّأس الصَّغير . يَعُود : يتعهّد . الأَصْلَم : من لا أذن له .

٢٨ زَوْرَاء : مائلة . مِيَاه الدحرضين : مياه معروفة . حيَاض : مياه .

* شرِبَتْ النَّاقة من مياه الدحرضين ، فأصبحت مائلة نافره عن مياه الأعداء « الديلم » .

٢٩ وَكَأَنَّمَا تَنْأَى بجانِبِ دَفِّهَا الْ ... وَحْشِيِّ مِنْ هَزِجِ العشيِّ مُؤَوَّمِ

٣٠ هِرٍّ جَنيبٍ ، كلَّمَا عَطَفَتْ لَهُ ... غَضْبى ، اتَّقَاهَا باليَدَيْنِ وَبالفَمِ

٣١ بَرَكَتْ عَلَى جَنْبِ الـرَّدَاعِ كَأَنَّما ... بَرَكَتْ على قصَبٍ أَجشَّ ، مُهضَّمِ

٣٢ وَكَأَنَّ رُبّاً ، أَوْ كُحَيْلاً مُعْقَداً ... حَشَّ الوَقودُ بهِ جَوَانبَ قُمْقُمِ

٣٣ يَنْباعُ من ذِفْرَى غضُوبٍ جَسْرَةٍ ... زَيَّافَةٍ ، مِثْلَ الفَنيقِ المُكْـدَمِ

٣٤ إنْ تُغْدِفي دُوني القِنَـاعَ ، فَإنَّني ... طَبٌّ بِأَخْـذِ الفَـارِسِ المُسْتَلْئِمِ

---

٢٩ الدّف : الجنب . الجَانبُ الوَحْشيّ : يمين الدابة . لأن الراكب لا يمتطي الدابة إلاّ من جانبها الأيمن . هَزِج : غناء . المُؤَوّم : ذو الرأس القبيح .

* وكأنها تنحي جانبها الأيمن ، مخافة الضّرب ، وتسير مسرعة في سيرها ، نشيطة وفرحة .

٣٠ جَنيب : مقود إلى جنب . اتَّقاهَا : استقبلها .

* تتباعد النَّاقة وتميل وتنحي ، فيزيدها الهرّ خدشاً وعضاً .

٣١ الرّداع : الموضع . أجَشّ : له صوت . قَصَب أجَشّ : قصب مكسّر .

* وكأنَّها بركت على قصب مكسَّر . أحدث صوتاً عند بروكها .

٣٢ الرّب : الطّلاء . الكَحيل : القطران . مُعْقَد : معليّ . حَشّ النَّار : أوقدها . الوَقُود : الحطب . قمْقُم : آنية من نحاس .

* وكأنّ رُبّاً أو قطراناً مغليّاً يَرْشَح من رأسها وعنقها ، دلالة على العَرَق الشّديد اللّزج الّذي ينضح منها .

٣٣ يَنْبَاع : يسيل . الزّفْرَى : ما خلف الأذن . الجَسْرَة : النَّاقة . الزّيْف : التَّبخْتر . الفَنيق . الفَحْل من الإبل .

* يَنْبع العرق من رأس ناقة غضوب ، شديدة التَبَخْتُر في سيرها .

٣٤ الإغْداف : الإرضاء . طَبّ : حاذق . فَارس مُسْتَلْئم : يلبس اللاّمة ، أي الدرع .

* إن تَسْتَتري عنّي ، فاني حاذق في صَيْد الفرسان الدارعين . فلن أعجز عن الأستيلاء عليك . وفي هذا البيت يعود إلى مخاطبة حبيبته بعد استطراد طويل .

٣٥ أَثْني عَلَيَّ بِمَـا عَلِمْتِ ، فَإِنَّني   سَمْحٌ مُخَالَقَتِي إذا لَمْ أُظْلَـمِ

٣٦ وَإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمي بَـاسِلٌ ،   مُرٌّ مَذَاقَتُـهُ ، كَطَعْـمِ العَلْقَـمِ

٣٧ ولَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُـدَامَةِ ، بعدما   رَكَدَ الهَوَاجِرُ بالمَشوفِ المُعْلَمِ

٣٨ بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ، ذَاتِ أَسِرَّةٍ ،   قُرِنَتْ بِـأَزْهَـرَ في الشِّمَالِ مُفَدَّمِ

٣٩ فَإِذَا شَرِبْتُ ، فَإِنَّني مُسْتَهْلِـكٌ   مَالي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ لمْ يُكْلَمِ

٤٠ وَإِذَا صحَوْتُ . فَمَا أُقصِّرُ عن نَدًى   وَكَمَا عَلِمْتِ شَمَائِلي وَتَكَرُّمِـي

---

٣٥ سَمْحُ المُخَالَقَة : سَهْل المُخَالطة . إذا لم أُظْلَم : إذا لم يهضم حقّي .

* أثني علي بما علمت عن مناقبي ، فاني سهل المخالطة ، إذا لم أُظلم . والعفّة عن الظّلم هي خاصة من خصائص الفروسيَّة الجاهليَّة ، تدلّ على أن قوة الفارس ليست قوة عمياء ، بل هي قوّة يعصمها العقل والخلق الكريم .

٣٦ بَاسل : شجاع . ظُلْمي بَاسل : شديد العَلْقَم : مرّ المذاق .

* إذا ظلمت فاني أعاقب من يظلمني عقاباً أمرّ من طعم العلقم . فالشّاعر لا يسيء إلاّ إلى من تقدم بالإساءة إليه ، وقوّته بصيرة ، يدافع بها عن نفسه .

٣٧ المُدامَة : الخمر . رَكَد : سكن . الهَوَاجر : أشد الأوقات حرّاً . المَشُوف : المجلو . القَدح الصّافي .

* اشتريت خمراً وشربتها عند اشتداد الهواجر . ويبدو ، أيضاً ، أن شرب الخمرة ، كان طبعاً من طباع الفرسان ، يَزْهون ويفتخرون باحتسائها ، على أن لا تَذهب بعقْلهم .

٣٨ أسرّة : خطوط اليد والجبهة . مُفَدم : مسدود الرّأس بالفدام .

* شربت الخمرة بزجاجة صفراء ذات خطوط ، قُرِنَتْ بأبريق أبيض رُكّبت على فمه مصفاة . والوصف في هذا البَيْت ينحني إلى الجزئيّات ، وبخاصة في الخطوط الّتي كسيتْ بها الزجاجة ، وقد شبّهها بخطوط الكفّ .

٣٩ عِرْضي وَافر لَمْ يُكْلم : عرضي لم تشبه شائبة .

* والشّاعر يشير ، هنا ، إلى أن الخمرة لا تَأخذ بعقله ، وتدفعه إلى المُنْكر ، فهو يبذل من أجلها ماله ، ويحافظ على شَرَفه وكرم محتده . وعنترة ، بخلاف أمرىء القيس ، يقف في شعره موقفاً أخلاقياً ، فيما دعا الملك الضّليل إلى الاباحية ، مفتخراً بفسقه ومجونه .

٤٠ * إذا صَحَوْت من سكري ، فأظلّ كثير الجود . وقد استدرك الشّاعر هذا الاستدراك لأن الكرم لا يُعَدّ فضيلة ، إذا قام به صاحبه تحت تأثير الخمرة .

٤١ وَحليلِ غَانِيَـةٍ ، تَرَكْتُ مُجَـدَّلاً تَمكو فَـرِيصَتُهُ كشِدْقِ الأَعْلَـمِ

٤٢ سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بعَاجِلِ طعْنَـةٍ ، وَرَشاشِ نافذَةٍ كَلَوْنِ العَنْـدَمِ

٤٣ هَلاَّ سأَلْتِ الخَيْلِ ، يا ابْنَةَ مالكٍ إنْ كنتِ جاهلَةً ، بمَا لمْ تَعلمي

٤٤ إذْ لا أَزَالُ عَلى رِحَالَةِ سَابِـحٍ ، نَهْدٍ ، تَعـاوَرَهُ الكُمَـاةُ مُكَلَّمِ

٤٥ طَوْراً يُجَرَّدُ للطِّعَـانِ ، وَتَـارَةً يأْوي إلى حصد القسيّ ، عَرَمْرَمِ

٤٦ يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعـةَ أَنَّـني أَغْشى الـوَغى وَأَعِفُّ عندَ المَغنَمِ

---

٤١ الحَليل : الزّوج . الغَانيَة : البارعة الجمال . المَكَاء : الصَّغير . العَلَم : الشّق في الشَّفـة العُلْيا .

* وكم من زوج غانية حسناء قتلْته وتركته صريعاً ، تُصوّت فريصتُه من شدة الألم ، والفريصة هي العضلة الّتي ترتعد بجانب الخصر عندما يخاف الإنسان أو الحيوان .

٤٢ العَنْدم : دم الأخوين أو البقم .

* عاجلته بطعنة نجلاء ، جعلت الدم ينفر من جسمه بغزارة ، وبلون كلون العندم .

٤٣ ابْنَةَ مَالك : أي ابنة عمه عبلة .

٤٤ التَّعاوُرُ : التَّداول . الكَلْم : الجرح .

* هلاً سألت الفرسان عن حالي . وأنا على سرج فرس يتناوب الأبطال على قتاله وجرحه . أي وأنا في مقام البطولة ومصطرعها .

٤٥ طَوْراً : تارة أو مرة . عَرَمْرَم : كثير العدد .

* إن هذا الفرس يهيَّأ ، مرة ، لمقابلة الطّعان ، ومرة ، للقسّي المتينة . فهومُدرّب على الحرب . وفرس عنترة بخلاف فرس امرىء القيس ، هو ، دائما ، فرس عراك ، وليس فرس لهو ، يصبغ بدم القتلى ، فيما يصبغ فرس امرىء القيس ، كما بدا في شعره ، بدم الهاديات من الطَّرائد .

٤٦ الوَقيعَة : المعركة . الوَغَى : الحرب .

* يخبرك من شاهد المعركة ، أني كريم في الحروب وأعفّ عن الغنيمة . وهذه أيضاً خاصة من خصائص الفروسيّة ، حيث يبدو الفارس ، وكأنه يقاتل في سبيل القتال ، أو في سبيل رفع الظّلْم ، ولَيْس في سبيل المال والغنائم . فغايته معنوية وليست مادية .

٤٧ وَمُدَجَّجٍ كَـرِهَ الكُمَـاةُ نِزَالَـهُ ، لَا مُمْعِنٍ هَرَباً وَلَا مُسْتَسْلِمِ
٤٨ جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ ، بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ ، مُقَوَّمِ
٤٩ فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ
٥٠ فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ يَقضمنَ حُسنَ بنانِهِ وَالمِعْصَمِ
٥١ وَمشَكِّ سابِغَةٍ هَتَكْتُ فُروجَها بالسَّيْفِ عن حامي الحَقيقةِ مُعلِمِ
٥٢ رَبِذٍ يَدَاهُ بالقِدَاحِ إِذَا شَتَا ، هَتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ

---

٤٧ مُدجَّج : مسلَّح . الكُمَاة : جمع كميّ ، البطل . الإمْعَان : الغلوّ في الشيء .

* وكم من رجل مسلَّح ، تَكْره الأبطال نزاله لفرط بأسه ، لا يُسْرع في الهرب ، إذا اشتد بأس عدوّه ، بل يبقى صامداً ولا يستسلم . وفي هذا البيت يَشْرع الشَّاعر بتعظيم عدوّه ، ليُعَظِّم نفسه بقتله .

٤٨ الصَّدق : الصّلب . بمُثَقَّف صَدق الكُعُوب : برمح صلب قويّ .

* عاجلته بطعنة من رمح ، صلب الكعوب ، مُقَوّم .

٤٩ الأصَمّ : الصّلب . القَنَا : الرّماح .

* طعنته بالرّمح طعنة نفذت إلى داخل جسمه . وليس ثمَّة ما يمنع الكريم من أن يصاب بالطَّعن . والكرم هنا ، إشارة إلى كرم الأصل ، وقد خصّه الشَّاعر بالذكر ، ليشير إلى عائبيه بأصله الوضيع . إن الَّذين يتباهون بكرم الأصل ، لا قِبلَ لهم بصدّ طعنة الرّمح وهو يسخر من الَّذين لا فضيلة لهم ، إلا فضيلة كرم الأصل .

٥٠ جَزَرَة : شاة معدة للذبْح . يَنُشْنَهُ : يتناولنه .

* تركته طعمة للسّباع ، تنهشه وتأكله من رأسه إلى يده ، كما تؤكل الشَّاة الذبيح .

٥١ المَشَكّ : موضع انتظام الدرع . فُرُوجُها : ثُقُوبها .

* وكم من مشكّ درع قطّعتها بالسَّيْف ، عن رجل خبير في فنون الحرب . لا يتّقي ولا يستتر ، بل يُعْلن عن نفسه بعلامة يعرف بها لفرط شجاعته .

٥٢ الرّبذ : السَّريع . الغَايَة : تعني هنا راية يرفعها الخمارون .

* إن ذلك الفارس الَّذي قضيت عليه ، كان ينفق وقته ، في الشتاء بلعب الميسر ، وشرب الخمرة ، وهو لا يبرح يحتسيها ، حتى تنفد ويسقط التّجار الرّاية الَّتي رفعت على حوانيتهم للتدليل على وجودها . وهذا الوصف مشبّع بروح البيئة الجاهليّة ، يمثّل عاداتها ومثلها .

٥٣ لَمَّا رَآني قَدْ نَزَلْتُ أُرِيــــدُهُ ، أَبْـــدى نَـــواجِـــذَهُ لِغَـيرِ تَبَسُّمِ
٥٤ عَهْدي بِهِ مَدَّ النَّهـــارِ ، كَأَنَّمَا خُضِبَ البَنَانُ وَرَأْسُهُ بالعِظْلِـــمِ
٥٥ فَطَعَنْتُهُ بالرِّمْحِ ، ثُمَّ عَلَوْتُـــهُ ، بِمُهَنَّدٍ صَافي الحَديدَةِ ، مِخْذَمِ
٥٦ بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ في سَرْحَـــــةٍ ، يُحذى نعالَ السِّبتِ ، ليسَ بِتَوْأَمِ
٥٧ يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَـهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَـــا لمْ تَحْرُمِ
٥٨ فَبَعَثْتُ جَارِيَتي فَقُلْتُ لَهَـا اذْهَبي فَتَجَسَّسي أَخْبَـارَهَا ليَ وَاعْلَمـي
٥٩ قَالَتْ رَأَيْتُ مِنَ الأَعَـادِي غِـرَّةً وَالشَّاةُ مُمْكِنَـةٌ لِمَنْ هُوَ مُرْتَـمِ
٦٠ وَكَأَنَّمَا التَفَتَتْ بِجِيـدِ جَـدَايَـــةٍ رَشَأٍ مِنَ الغِزْلانِ حُـرٍّ أَرْثَـمِ

---

٥٣ أبْدى نَوَاجذَهُ : كَشَّرَ عن أسْنَانه .

* عندما رآني عازماً على قتله ، كشَّر عن نواجذه من الخَوْف والهلع، أومن الغيظ والتحدي .

٥٤ مَدّ النَّهَار : طواله . العظْلِم : نَبْت يُخْتضَب به .

* بعد قتلي إيَّاه ، ظلّ ، طول النهار ، مُمَدداً ، كأن بنانه ورأسه مخضوبان بالعظلم .

٥٥ المخْذم : حادّ النصل . المُهَنَّد : السَّيف .

* طعنته بالرّمح ، ثم علوته بسيف حاد النَّصل .

٥٦ السَّرْحَة : الشَّجرة الباسقة . السِّبْت : الجلد المدبوغ .

* هو بطل ، مديد القامة ، شديد البأس ، فذّ ، غير توأم . وقد خصّه باحتذاء نعال السِّبْت ، ليدل على أنه ثريّ ، من خيرة القَوْم . وقال : إنه لَيْس بتوأم للتَّدليل على قوّته ، أوعلى تفرّده .

٥٧ شَاة : كناية عن المرأة .

* يعني أنها شاة قَنْص لمن حلَّتْ له ، ولكنَّها حرمت عليه لاشتعال الحرب بين قبيلتَيْهما ولكم يتمنَّى أن تحل له .

٥٨ * أرسلت جاريتي تستطلع أخبارها وتعودني باليقين .

٥٩ الغرّة : الغَفْلة .

* قالت جاريتي : شاهدت الأعادي غافلين ، وزيارتها ممكنة لمن يرغب .

٦٠ الجَدايَة : ولد الظَّبية . الرّشأ : أقوى أولاد الظباء . الحُرّ من كُلّ شَيْء . الأحسن ، والأجود . الأرْثَم : ذو البياض في الشَّفة العليا والأنف .

٦١ نُبِّئْتُ عَمْراً غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتي وَالكُفْرُ مخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ

٦٢ وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بالضُّحىٰ إذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ

٦٣ في حَوْمَةِ الحَرْبِ الَّتي لا تَشْتَكي غَمَرَاتِهَا الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

٦٤ إذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ ، لَمْ أَخِمْ عَنْهَا ، وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمي

٦٥ لَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ، يَتَذَامَرُونَ ، كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ

٦٦ يَدْعُونَ عَنْتَرَ ، وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأَدْهَمِ

٦٧ مَا زِلْتُ أَرْميهمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ وَلَبَانِهِ ، حَتَّى تَسَرْبَلَ بالدَّمِ

٦٨ فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بلَبَانِهِ ، وَشَكَا إلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

٦٩ لَو كَانَ يَدْري ما المُحاوَرَةُ اشتكى وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمي

٧٠ وَلَقَدْ شَفَى نفسي وَأَذْهَبَ سُقْمَها ، قِيلُ الفَوَارِسِ : ويكَ عَنتَرَ أَقدِمِ

---

٦١ * بلِّغْتُ أن عمراً يجْحد فضلي ، والكفر بالنّعمة يُنفّر نَفس المُنْعم عن الإنعام .

٦٢ تَقْلص : تقصر وترتفع .

* إنه حَفَظ وصيَّة عمّه ، فاحتفظ برباطة جأشه ، فيما ازورّ المُحَاربون ، وبانت أسنانهم من الخوف .

٦٣ حَوْمَةُ الحَرْب : ساحة المعركة . غَمَرات الحَرْب : شدائدها وهولها . تَغَمْغُم : تمتمة غير مفهومة

٦٤ الخَيْم : الجبن .

* جعلني الأصحاب درعاً يقيهم الأسنَّة ، فلم أضْعف ، ولكن تضايق موقع قدمي .

٦٥ التَّذامُر : الحضّ على القتال . غَيْرمُذمَّم : محمود القتال .

* عندما أقبل القوم يهاجمونني ، يَحضّ بعضهم بعضاً ، عطفْت عَلَيْهم ، غيرمُذمَّم .

٦٦ الشَّطَن : الحبل الَّذي يُدلى في البئْر . اللَّبَان : الصّدر .

٦٧ * لم أزل أهاجم الفرسان بنحر فرسي ، حتَّى عمّ جسده الدم .

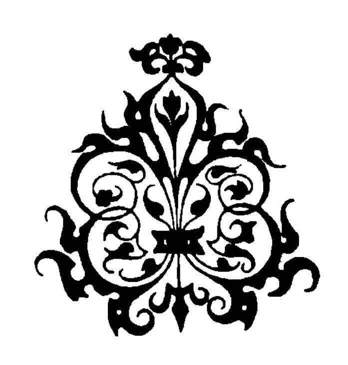
٦٨ وازْوَرّ : مال . التَّحَمْحُم : صهيل الفرس .

* مال فرسي من وقع القنا ، وشكا إليَّ بصهيله حتى أرقّ له .

٦٩ * لوكان يستطيع التعبير ، لشكا إليّ كثرة جروحه .

٧٠ * إن ما أذهب سقم نفسي ، نداء الفوارس واستنجادهم بي كي أهرع إلى القتال وأصدّ عنهم الأعداء .

٧١	وَالخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِسـا ،	من بينِ شَيظَمَـةٍ ، وَآخرَ شَيْظَمِ
٧٢	ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعي	لُبِّي وَأَحْفِـزُهُ بـأَمْرٍ مُبْـرَمِ
٧٣	وَلَقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ ، وَلمْ تدُر	للحَرْبِ دائرَةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَمِ
٧٤	الشَّاتِمَيْ عِرْضي ، وَلَمْ أَشْتِمْهُمَا ،	وَالنَّاذِرَينِ إذا لم الْقَهُمَا دَمِـي
٧٥	إنْ يَفْعَلا ، فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا	جَزَرَ السِّبَاعِ ، وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ



---

٧١ الخَبَار : الأرض الطَّرِيَة . الشَّيْظَم : الطَّويل من الخَيْل .

* والخيول الطَّويلة تسير عبر الأرض اللَّينة ، وقد عبست لما نالها من إعياء .

٧٢ الرِّكَاب : الإبل . المُشَايَعَة : المعاونة . الحَفْز : الحثّ .

* مطيتي خاضعة لي ، وعقلي يطاوعني فلا أحثّه إلاّ بأمر محكم .

٧٣ * أخاف أن أموت دون أن أنال ابْني ضَمْضَم بما يكرهانه .

٧٤ * اللّذان يشتمان عرضي ، ولم أشتمهما ، واللّذان يريدان سفك دمي ، ولكن في غيابي .

٧٥ نَسْر قَشْعَم : نسر مسنّ ، ضخم .

* لم أدهش لشتمهما . فقد جعلت أباهما طعمة للسّباع ولكل نسر مسنّ .

خَيْرٌ مِنْ مُعَمٍّ مُخْوَلِ

هذه القصيدة . هي أقرب شعر عنترة . بعد المعلّقة . إلى عمود القصيدة الجاهلية . يستهلّها بذكر الطَّلل . ثم يصف قتال الأعداء ، دون أن يَغْفَل عن قوته وفضائله . ويلمّ ، خلالها ، أيضاً ، بالتَّعبير عن موقفه من المَوْت ، وهو يراه أمراً محتَّماً ، لا سبيل إلى الجزع منه . والموت في الوغى ، خير من الموت حتف الأنف . إلاّ أننا لا نشهد في نظرته إلى الموت القنوط الَّذي نشهده في شعر طرفة . فالموت يحفزُه ويثيرُه . فيما دفع طرفة إلى النَّعيّ والتَكَفّن بكفن الحزن والحداد .

والقصيدة تنتهي في معظم الأصول القديمة بهذه الآراء ، فيما تظهر قصيدة ثانية تجري على وزنها ورويّها ، وتتبع سياقاً متشابهاً . وقد أوردها الأعلم الشَّنْتمري . كجزء مكمّل للقصيدة السَّابقة ، فرأينا أن نذهب مذهبه . والمعنى العام الَّذي تصدّى له الشَّاعر ، خلالها ، يتردد حول قيمة المرء ، ملحّاً على عبلة ألا تُؤخذ بضموره وَتشَعّثه وَتَعفّر وجهه وثيابه ، فذاك الثوب الَّذي يرتديه ، هو ثوب المعارك والكفاح . وكم من بادن ، عظيم الهامة جندله ، وكم من غانية تفوق عبلة جمالا ،وَاصَلَتْه ، مأخوذة بشجاعته . ولعل حرص الشَّاعر على النَّظر إلى الإنسان بجوهره ، دون مظهره ، يعود إلى سواد لونه . تلك العاهة التي كانت تسكب لون السَّواد على بطولته القانية ، المصبوغة بدماء الزهو والخيلاء .

وفي نهاية القصيدة . يصف فرسه . فاذا هو فرس ملحميّ . يُمْعن في ذكر أعضائه . وسائر ملامحه ، على غرار امرئ القَيْس . إلا أنه لا يطلب به الطَّريدة في المفازات والقفار ، بل الخَيْل والجنود في ساحات المعامع والقتال :

خَيْرٌ مِنْ مُعِمٍّ مُخْوَلِ

١ طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رُسُومِ المَنْـــزِلِ بَيْنَ اللَّكِيكِ ، وَبَيْنَ ذَاتِ الحَرْمَلِ

٢ فَوَقَفْتُ في عرصَاتِها مُتَحَيِّـراً ، أَسَلُ الدِّيَارَ كفعلِ مَنْ لم يَذْهلِ

٣ لَعِبَتْ بها الأَنْــوَاءُ بَعْدَ أَنيسِها ، وَالرَّامِسَاتُ وَكُلّ جَوْنٍ مُسْبَــلِ

٤ أَفَمِنْ بُكَاءِ حَمَامَةٍ في أَيْكَـــةٍ ذَرَفَتْ دموعكَ فَوْقَ ظَهْرِ المَحْمَلِ

٥ كالدُّرِّ ، أَوْفَضَضِ الجُمَانِ . تَقطَّعتْ مِنْهُ عَقَائدُ سِلْكِهِ . لم يُوصَلِ

* * *

---

١ الثَّوَاء : المُكوث . اللَّكيك : مكان . ذَات الحَرْمل : مكان .

* طالت الإقامة عند البيت الَّذي بين اللَّكيك وبين ذات الحَرْمل . وإطالة المكوث في المكان وسيلة للتَّدليل على شدّة تَهيّمه وعذابه .

٢ عَرَصَات : جمع عرصة : باحة .

* وقفت في باحة الدّار، وأنا في حيرة من أمري ، أسأل عن أهلها .

٣ الأنْوَاء : العواصف . الأنيس : المُقيم . الرّامسَات : الرّياح ذات الرّمل والتراب . الجَوْن : السحاب الأسود .

* لعبت العواصف بها ، بعد رحيل أهْلها ، وغارَتْ عَلَيْها الرّياح التُرابيَّة والأمطار . وهــذه الأوصاف جميعاً ، مكررة ، مرددة عند معظم الشّعراء الجاهليّين في مطالع قصائدهم .

٤ الأَيكَةَ : جمع الأيك : نوع من الشَّجر المُلْتَف . المَحْمَل : موضع الحمولة على ظهر الدابة .

* يتعجَّب تعجب غلوّمن بكائه وانهمار دموعه حتى ظَهْرَ الدابة . لدى سماعه نواح حمامة في الأيكة . وتفجّع الشّاعر لسماعه بكاء الحمامة يمثّل الوجدانيَّة العميقة الَّتي كانت تتخلَّل بعض قصائده .

٥ الجُمَان : نوع من الفضّة . فَضَض : قطع مُتَفَرّقة .

* يصف في هذا البَيت دموعه ويشبّهها بحَبّ الجُمَان المتناثر ، إثر انقطاع عقده . وهذا البيت استطراد من البَيْت السَّابق .

٦ لما سَمِعْتُ دُعاءَ مُرَّة إذْ دَعَا ، وَدُعَاءَ عَبْسٍ في الوَغَى وَمُحَلَّلِ

٧ نادَيْتُ عَبْساً ، فاسْتَجَابُوا بالقَنَا ، وَبكُلِّ أَبيضَ صارِمٍ لمْ يَنْجَلِ

٨ حتَّى اسْتَبَاحُوا آلَ عَوْفٍ عَنْـوَةً بالمَشْرَفيِّ وَبالوَشِيجِ الـذُّبَّـلِ

٩ إنِّي امْرُؤٌ من خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي ، وَأَحْمِي سائِرِي بالمُنْصُلِ

١٠ إنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ ، وَإنْ يُستلحَمُوا أَشْدُدْ ، وَإنْ يُلْفَوْا بضَنْكٍ أَنْزِلِ

١١ حينَ النُّزُولُ يكونُ غايَةَ مِثْلِنَا . وَيَفِرُّ كُـلُّ مُضَلَّلٍ مُسْتَوْهِـلِ

* * *

١٢ وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى . وَأَظَلُّهُ حتَّىٰ أَنالَ بِهِ كَرِيمَ المـأْكَـلِ

١٣ وَإذا الكتيبَـةُ أَحجَمتْ ، وتَلاحظتْ أُلْفِيتُ خَيْراً مِنْ مُعَمٍّ مُخْـوَلِ

---

٦ ـ ٧ * يقول : إنه لمَّا سمع نداء مُرّة ومن إليه من القَوْم . هرع إلى القتال مع بني قومه . حاملين السّلاح والرّماح والسّيوف الحادة . وفي هذا البَيْت ينقطع ، فجأة ، إلى الفخر الحربيّ .

٨ الوَشيج : شجر الرّماح . الذبَّل : الرّقيقة الّتي تهتز أعاليها عند مرور الرّياح .

* حتَّى هاجموا آل عوف بالسّيوف وبالرّماح الرقيقة ، واستباحوا حماهم وأجهزوا عليهم

٩ المَنْصب : الأصل . المُنْصُل : السَّيْف .

* يشير عنترة في هذا البيت إلى واقع حاله في قبيلته ، ويقول : إنه ينتمي من جهة أبيه إلى قوم أشراف ، وإذا كانت أمّه أمَة ، لا شَأنَ لها ، فانَّه يستعيض عن ذلك بمآتيه ومآثره في القتال .

١٠ * يُصَوّر في هذا البَيْت دفاعَه عن بني قَوْمه ، ويقول : إنه يهرع إليْهم ، عندما يُولّون الأدبار . وعندما يصيبُهم الضّيق ، يُقْبل عليهم ، ويضرب في أعدائهم ويُثخن فيهم الجراح .

١١ مُضَلَّل : مُخادع . مُسْتَوْهل : جبان .

* يقول : إنه يُقْبل على القتال ، فيما يَجْزع منه الآخرون ويولي الأدبار كلّ جبان ، لا طاقة له على القتال الشَّديد .

١٣ مُعَمّ مُخْوَل : كريم الأصل بالأعمام والأخوال .

* يقول : إنه فيا تُحْجم الكتيبة عن القتال وَتَزْوَرّعنه . حينئذ . يقتحم الوغى . ويصدّ الأعداء وَيَتحقّق القَوْم أنه خيْر من المُتَفَاخرين بأعمامهم وأخوالهم . أي بحسبهم ونسبهم . وهـذا البيت عميق الدلالة على الهموم الّتي كانت تعتري الشّاعر ، وتصحبُه حتَّى إلى ساحة القتال . ولقد كان يعزّ عليه أن يُذلّ ويُحقَّر قدرُه . فيما هو يَتَفوّق على الآخرين بشجاعته وقوّته وبأسه .

١٤ وَالخَيْلُ تَعْلَمُ وَالفَوَارِسُ ، أَنَّني فَرَّقْتُ جَمْعَهُمُ بِطَعْنَةِ فَيْصَلِ
١٥ إذْ لا أُبادِرُ في المَضِيقِ فَوارِسي ، وَلا أُوكَّلُ بالرَّعِيلِ الأَوَّلِ
١٦ وَلَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ رَايَةِ غَالِبٍ يَوْمَ الهيَاجِ وَمَا غَدَوْتُ بأَعْزَلِ
١٧ بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتُوفَ . كَأَنَّني أَصْبَحْتُ عَنْ عَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
١٨ فَأَجَبْتُهَا إنَّ المَنِيَّةَ مَنْهلٌ ، لا بدَّ أَنْ أُسْقَى بكَأْسِ المَنْهَلِ
١٩ فاقِني حَيَاءكِ لا أَبا لَكِ وَاعْلَمي ، أَني امْرُؤٌ سأَمُوتُ إنْ لمْ أُقْتَلِ
٢٠ إنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلي إذا نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ
٢١ وَالخَيْلُ سَاهِمَةُ الوُجُوهِ . كَأَنَّمَا تُسْقَى فَوَارِسُهَا نَقيعَ الحَنْظَلِ

---

١٤ * يقول : إن أمر شجاعته اشتهر في النَّاس . حتى أن الخَيْل تجهر به . فضلا عن الفوارس .

١٥ الرَّعيل : قطعة من الخَيْل .

* يقول : إنَّه لا يَتَصدى للفوارس في المضيق . ولا يلتحم مع الرَّعيل الأول منهم . بل إنَّه يفتك بهم ، بعد أن يتبدد شملهم ويصيبَهم العياء . إذ لو تصدى لهم في المضيق . لما تيسَّر له أن يُجْهز عليهم . جميعاً .

١٦ غَالب : حامل الرَّاية . يَوْمُ الهَياج : يوم القتال . الأعْزَل : خالي من السِّلاح .

* ولقد أدركْتُ حامل الرَّاية ، يوم القتال ، مُجَهَّزا بعدة القتال .

١٧ الحُتُوف : جمع حتف : المَوْت .

* قامت تخوّفني من الموت . فكأنَّني أصبحتُ فوق منال الموت الَّذي ينال كلَّ إنسان . وهو إنما يخاطب عاذلته على غرار سائر الجاهليِّين . متوسِّلا بذلك لإظهارجسارته وتهوّره اللَّذين بات يُعْذَل عليهما .

١٩ أقني : إلزمي .

* إلزمي حياءك ، لا أباً لك ، إني امرؤ صائر إلى المَوْت . إن لم أُقْتَل . فما دمت مائتاً . لا محالةَ . فلا جدوى من الهرب واتِّقاء الحرب . وميتَةُ القَتْل أفْضل من أيَّة ميتَة أخرى .

٢٠ * يقول : إنه لوقُدِّر للموت أن يَتَّخذ صورة يَتمثَّل بها . لبدا بصورة الشَّاعر في عنفه وجسارته .

٢١ سَاهِمَةُ الوُجُوه : متغيِّرة الوجوه . الحَنْظَل : نبت مر المذاق .

* والخيل حائلة الوجوه . من هول المعركة . كأنما تشرب فَوارسُها نقيعَ نبت الحَنظَل . والشَّاعريصفُ الخَيْل ليُشيرمن خلال ذلك إلى عظم المعركة واحتدامها .

٢٢ وَإذا حُمِلْتُ عَلى الكَرِيهَةِ ، لمْ أَقُلْ بَعْدَ الكَرِيهَةِ لَيْتَني لمْ أَفْعَلِ

٢٣ عَجِبَتْ عُبَيْلَةُ مِنْ فَتىً مُتَبَذِّلِ عَارِي الأَشَاجعِ شاحِبٍ كالْمُنْصُلِ

٢٤ شَعْثِ المَفَارِقِ ، مُنْهَجٍ سِرْبالُهُ لم يَدَّهِنْ حَوْلاً ، وَلمْ يَتَرَجَّلِ

٢٥ لا يَكْتَسِي إلاَّ الحَديدَ إذَا اكْتَسَى ، وَكَذَاكَ كُلّ مُغَاوِرٍ مُسْتَبْسِلِ

٢٦ قَدْ طَالَمَا لَبِسَ الحَدِيد ، فَإنَّمَا صَدأُ الحَدِيدِ بِجِلْدِهِ ، لَمْ يُغْسَلِ

٢٧ فَتَضَاحَكَتْ عَجَباً وَقَالَتْ يَافَتى لا خَيْرَ فِيكَ ، كَأَنَّهَا لَمْ تَحْفِلِ

---

٢٢ الكَرِيهَة : الحَرْب .

* وإذا هَمَمْتُ بخَوْض المَعْركة ، لم أندم ، ولم أقُلْ ليتني لم أفْعَل ، وهو يُظْهِر بذلك إيثاره للحرب لا يتندم على اقتحامه الوغى ، بل يطرب له ، ويغتبط به .

٢٣ مُتَبَذّل : محبّ للأسفار والحروب . عَاري الأشاجع : قليل اللّحْم . المُنْصُل : السَّيف .

* عجبتْ عبلة من فتى يُحبّ الأسفار ، وخوض الحروب ، وهو فتى يافع ، نحيفٌ كالمنصل ، مشيراً بذلك إلى نفسه .

٢٤ شُعْثُ المَفَارق : مغبّر الشَّعر . المُنْهَج : البالي . لَمْ يَتَرَجَّل : لم يمشّط شعره : لَمْ يَدهنْ حَوْلا : لم يَغْسل منذ سنة . الحَوْل : السَّنة .

* مغبّر الشَّعر ، بالي السّروال ، لم يغتسل منذ عام ولم يترجّل . وفي ذلك إشارة إلى انشغاله بالحروب ، فلا يتفرّغ لأي شيء من دونها .

٢٥ يَكْتَسي : يلبس . مُغَاور . مُسْتَبْسل : شجاع .

* يقول : متحدثاً عن نفسه ، إنه لا يرتدي إلاّ الحديد ، أي الرّداء الّذي يلتزمه ذوو البأس والشدّة . وذاك كسائر المغاوير .

٢٦ * صدأ الحديد (الدّروع) على جسمه ولم يَغْتسل . والصّدأ من شدة مكوثها عليه ، وعدم الاغتسال للتّدليل على الانشغال الدائم بالحرب .

٢٧ لَمْ تَحْفل : لم تَهْتم

* لم تحفل به وقالت له : عجيب أمرك يا فتى .. والشّاعر يشير هنا إلى أنّ عبلة ضاءلت من قدره . إذ رأته مُشْعَّثَ الرّأس ، يكسوه الغُبار ، ولم تَفْطن إلى أنه بدا بذلك القُبْح في المنظر ، لانقطاعه إلى المعارك ، لا كَسَلا ، ولا استهتاراً .

٢٨ فَعَجِبْتُ مِنْهَا حِينَ زَلَّتْ عَيْنُها عن ماجِدٍ ، طَلْقِ اليدَيْنِ ، شَمَرْدَلِ

٢٩ لا تَصْرِميني يا عُبَيْلَ ، وَراجِعِي فيَّ البَصِيرَةَ ، نَظْرَةَ المُتَأَمِّلِ

٣٠ فَلَرُبَّ أَمْلَح مِنْكَ دَلاًّ ، فاعْلَمي وَأَقَرَّ في الدُّنْيا لِعَيْنِ المُجْتَلي

٣١ وَصَلَتْ حِبالي بالَّذي أَنا أَهْلُهُ ، مِنْ وُدِّها ، وَأَنا رَخِيُّ المِطْوَلِ

٣٢ يا عَبْلَ كَمْ من غَمْرَةٍ باشَرْتُها ، بالنَّفْسِ ما كادَتْ لعَمْرُكِ تَنجلي

٣٣ فِيهَا لَوَامِعُ لَوْ شَهِدْتِ زُهاءَها ، لَسَلَوْتِ ، بعْدَ تَخَضُّبٍ وَتَكَحُّلِ

---

٢٨ مَاجد : ذو مجد . الشَّمَرْدل : الطَّويل .

• منذ أن رأتني ، معفراً ، مُتَشَعِّثاً ، زلَّتْ عَيْنَها عنّي ، وأنفت منّي ، ولم تَفْطن إلى أنني فتى يحمل عبء المَجْد ، طويل الهامة ، شديدها في المُلمَّات والحروب . ثم يتشدد في القَوْل ، بأن قيمة المرء في عظم همَّته ومسعاه ، ولَيْس بما سيظهر فيه من نعم وحلل باذخة . وأفضل لباس الرّجل حلَّة الوغى .

٢٩ لا تَصْرميني : لا تقاطعيني أوْلا تَهْجريني .

• يقول : لا تهجريني ، يا عبلة ، وتبصّري بي ، وانظري إليّ نظرة المتأمّل . وهو يكرّر معنى البيت السَّابق ويستكمله ، ويدعوها إلى التَّأمل به ، فتحكم عليه بعد رويَّة وتمهّل ، وتنفذ من مظهره الرّث البالي إلى جوهره . وهو جوهر البطل الَّذي آلى على نفسه ألاّ يكفّ عن النّزال .

٣٠ أمْلَحَ منْك : أجمل منك . المُجْتَلي : النَّاظر .

• كم من امرأة تفوقك جمالا ، إذا تجلاها النَّاظر ملأته سحراً ورضا .

٣١ رَخيّ المطْوَل : مرخي الحبل . المطْوَل : رسن الدابة .

• إنّ تلك المرأة وصلت حبالي ، أي أنها لم تأنف مني ، وأنا رخيّ المطول ، أي وأنا في لباسي الرّثّ ، وطلعتي المشعّثة . والشّاعر لا يتردد على هذا القول ، إلا لشدة ما كان يصيبه من الألم ، لاقتصار عبلة في النَّظر إليه على ما بدا منه للعيان ، من دون ما استتر من أخلاقه الكريمة وشدة بأسه .

٣٢ غَمْرَة : حرب شديدة . تَنْجَلي : تنكشف .

٣٣ لَوامع : السّيوف اللامعة . زُهاءها : قدرها وكثرتها لَسَلَوْت لتركت . سَلاَ : هجر ، ترك .

٣٤ إِمَّا تَرَيْنِي قَدْ نَحَلْتُ ، وَمن يَكُنْ غَرَضاً لأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ ، يَنْحَل

٣٥ فَلَرُبَّ أَبْلَجَ مِثْلِ بَعْلِكِ ، بـادِنٍ ضَخْمٍ عَلَى ظَهْرِ الجَوَادِ مُهَيَّـلِ

٣٦ غَادَرْتُه مُتعَفِّـــراً أَوْصَـــالُـــهُ ، وَالقَوْمُ بَيْنَ مُجَرَّحٍ وَمُجَـــدَّلِ

٣٧ فِيهمْ أَخُو ثِقَةٍ يُضَارِبُ نَـــازِلاً بالمَشْرَفيِّ ، وفَارِسٌ لَمْ يَنْـــزِلِ

٣٨ وَرِمَاحُنَا تَكِفُ النَّجِيعَ صُدُورُهَـــا ، وَسُيُوفُنَا تَخْلِي الرِّقَـابَ فَتَخْتَـلي

٣٩ وَالهامُ تَنْدُرُ بالصَّعِيـدِ ، كَأَنَّمَـا تُلْقِي السُّيوفُ بها رُؤوسَ الحَنظلِ

٤٠ وَلَقَدْ لَقِيتُ المَوْتَ يَوْمَ لَقِيتُـهُ مُتَسَرْبِلاً وَالسَّيْفُ لَمْ يَتَسَرْبَـلِ

٤١ فَرَأَيْتَنَا مَا بيْنَنا مِنْ حَـــاجِـــزٍ إلاَّ المِجَنُّ وَنَصْلُ أَبْيَضَ مِفْصَلِ

---

٣٤ نَحَلْتُ : سقمت ودقّ جسمي .

* إن كنت تشاهدينني وقد أصبح جسمي نحيلا ، فمن كان هدفاً للرّماح ، فلا بد أن يسقم .

٣٥ الأبْلَج : النّقي الجبين : البَادن : البدين . المُهَيَّل : الثَّقيل .

* يمعن الشّاعر في إظهار فضله فيقول مخاطباً عبلة : كم من فارس عظيم الهامة ، ضخم على ظهر جواده ، ثقيل .

٣٦ المُجدَّل : المطروح أرضاً .

* تركته مضرجاً بدمائه متعفراً بالتراب وتركت القوم بين جريح وقتيل . وآية القول : أنّ قيمة المرء ليست في ثيابه وعظم حَجْمه ، بقدرما هي في قوّة صلبه وشجاعته .

٣٧ * وفي هؤلاء القَوْم فرسان شجعان منهم من نزل عن جواده وقاتل بالسَّيف ، ومنهم من لم ينْزل

٣٨ تَكِفُ : تَقْطر. النَّجيع : الدم. تَخْلي : تقطع . تَخْتَلي : تنقطع .

* ورماحنا تقطر دماً وسيوفُنا تقطع الرّقاب فتنقطع . ومثل ذلك قول عمرو بن كلثوم : « ونُخْليها الرّقاب فَيَخْتَلينَا » أي أنهم يقطعون الرّقاب ، كما تقطع الحشائش .

٣٩ الهَام : هنا الأجساد . تَنْدرُ : تسقط . الصّعيد : وجه الأرض .

* والأجساد تسقط على الأرض من سرعة قطع السّيوف لها كرؤوس الحنظل .

٤٠ المُتَسَرْبل : لابس عدة الحرب . السَّيْفُ لَمْ يَتَسَرْبَل : كان مسلولا من غمده .

* كنت ألاقي الموت مراراً وأنا في لباس الحرب . وسيفي مسلول دائماً .

٤١ المِجَنّ : التّرس . المِفْصَل : القاطع .

* ولم يكن بيننا حاجزسوى التّرس ، وحدّ السَّيف القاطع .

٤٢ ذَكَرٍ أَشُقُّ بهِ الجَمَاجم في الوَغى وَأَقُولُ : لا تُقْطَعْ يمينُ الصَّيْقَلِ

٤٣ ولَرُبَّ مُشْعِلَةٍ ، وَزَعْتُ رِعَالها بمُقَلَّصٍ نَهْدِ المَراكــلِ هيْكَــلِ

٤٤ سَلِسِ المُعَــذَّرِ لَاحِقٍ أَقْــرَابُــهُ مُتَقَلِّبٍ عَبَثاً بِفَــأْسِ المِسْحَــلِ

٤٥ نَهْدِ القَطَاةِ ، كَأَنَّهَــا مِنْ صَخْرَةٍ مَلْسَاءَ ، يَغْشاها المَسِيلُ بمَحْفَلِ

٤٦ وَكَأَنَّ هَادِيَهُ إِذا اسْتَقْبَلْتَــــــهُ ، جِذْعٌ أُذِلَّ ، وَكَانَ غيرَ مُذَلَّلِ

٤٧ وَكَأَنَّ مَخْرَجَ رَوْحِهِ في وَجْهِـهِ سَرَبانِ ، كَانَا مَوْلجَيْنِ لجيْــأَلِ

٤٨ وَكَأَنَّ مَتْنَيْهِ إِذا جَرَّدْتَــــــهُ ، وَنَزَعْتَ عَنْهُ الجُلَّ . مَتْنـا إِيَّلِ

٤٩ وَلَهُ حَـوَافِرُ مَوثَقٌ تَرْكِيبُهَـــــا ، صُمُّ النُّسُورِ ، كَأَنَّهـا مِنْ جَنْدَلِ

---

٤٢ سَيْفٌ ذكَر : سيف حديديّ قويّ . الوَغى : الحرب . الصَّيْقَل : شحّاذ السّيوف .
أشقّ الجماجم بسيف حاد . وأقول : بورك فيمن شحَذه .

٤٣ المُشْعِلَة : الكتيبة المتفرّقة المنكسرة . الرِّعَـال : الجموع . وَزَعْتُ : فرّقت . المُقَلَّص : فرس طويلة القوائم . نَهْد : مرتفع . هَيْكل : ضخم .
وكم من كتيبة فرّقتُ جموعها ، وأنا على ظهر فرس طويلة القوائم .

٤٤ سَلس : ليّن . المُعَذَّر : مكان اللّجام . لاحق : ضامر . القُرْب : الخاصرة . المِسْحَل : اللّجام . فَأسُ المِسْحَل : حديدة اللّجام .
* فرس سلس اللّجام ، ضامر الخاصرة ، موثّق الفم بحديدة اللّجام .

٤٥ القَطَاة : عجز الفرس : المَحْفَل : حيث يكثر الماء .
* جواد ضخم القطاة ، كأنها صخرة ملساء ، يَغْشاها الماء بغزارة .

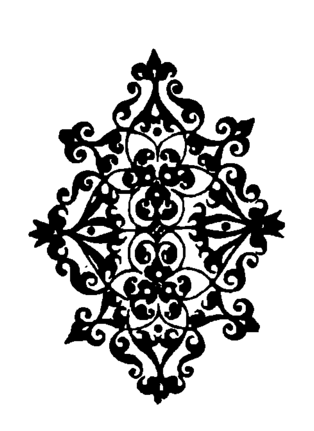
٤٦ هاديهُ : عنقه . الجذْع : أصل الشَّجَرة . جذْع أذلّ : قطعت أغصانه .
* عنقه يشبه شجرة طويلة ، مقطّعة الأغصان .

٤٧ مَخْرَجَ رُوحه : موضع تَنَفّسه أو منخاره . سَرَبَان : سرداب . مُولَج : مدخل . الجَيْأل : الضّبع
* ومنخراه يُشْبهان بوسعهما سرداباً يدخل منه الضّبْع .

٤٨ المَتْن : الظَّهْر . الجُلّ : ما يوضع على ظهر الدابة .
* وإذا جرّدت ظهره من الجلّ ، فترى ظهره كمتن إيّل .

٤٩ صُمّ النّسُور : لحمه صلب في باطن الحافر . الجَنْدل : الصّخر .
* له حوافر صامدة قوية كالصّخر .

٥٠ وَلَهُ عَسِيبٌ ذُو سَبِيبٍ سابِـغٍ ، مثلِ الرِّداءِ عَلَى الغَنِيِّ المُفْضِـلِ
٥١ سَلِسُ العِنَانِ إلى القِتَالِ ، فَعَيْنُهُ قَبْلاءُ شَاخِصَةٌ كَعَيْنِ الأَحْـوَلِ
٥٢ وَكَأَنَّ مِشْيَتَهُ إِذَا نَهْنَهْتُـهُ بالنَّكْلِ ، مِشْيَةُ شَارِبٍ مُسْتَعْجِلِ
٥٣ فَعَلَيْهِ أَقْتَحِمُ الهِيَـاجَ تَقَحُّمـاً فِيها وَأَنْقَضُّ انقضَـاضَ الأَجدَلِ



---

٥٠ عسيب : ذنب . السَّبيب : خصلة من الشَّعر . الضافي : السَّابغ .
له ذنب ذو شعر طويل ، يختال كالرّداء على الغنيّ المتفضّل .
٥١ سَلِسُ العنَان : سلس القيادة . عَيْنُهُ قَبْلاء : عينه تنظر إلى البعيد .
سلس القيادة ، يذهب إلى القتال بعين واسعة شاخصة .
٥٢ نَهْنَهْتُه : زَجَرْتُه . النكْل : القيد ، اللجام .
* وكأنّ مشيته إن زجرته بقيد ، مشْيَةُ شارب مستعجل .
٥٣ الهيَاج : المعارك . الأجْدل : الصَّقْر .
* عليه أقتحم المعارك . وأنقضّ على الأعداء انقضاض الصّقر .

طَلَلٌ لِعَبْلَةَ

لعلّ هذه القصيدة هي أكثر قصائد عنترة غنائيّة وأعمقَها وجدانيَّة . يستهلّها بذكر الطَّلل وتعيين موضعه على غرار سواه من الشّعراء ، ويمثّل حبيبته وصحبها بالظّباء النَّافرة اللاهية ، ويُشير إلى اندراس معالمه والوحشة الرّانية عليه ، ثم يخاطب عبلة ويبوح لها بما يعاني من بؤس في حبّها ، وما يثيرُه في نفسه نواح الحمائم وأنين الطَّير وحنينُه ، مستطرداً إلى المقابلة بين شقائه ، وتكبّله في أسْرالحبّ ، وحريتها وانطلاقها .

ويعود عنترة إلى ذكر بُؤسه في مقطع آخر ، واصفاً نعيم الحبيبة الَّتي تتيّمه ، ناسباً إليها أحوال الجمال المُتْرف ، الرّقيق ، ذاكراً حسرته وشدة هيامه . وتراه ينقطع فجأة إلى الفخر في اجتياز الفَلَوات المُوحشة مع صُحْبه الشّجْعان ، ملمّاً بوصف القتال في سلاحه وخيله وسائر أدواته ودقائقه ، مُنْهيّاً قصيدتَه بمعان مكرّرة ، لا تبرح تتردد في معظم شعره .

١ طَلَلٌ لِعَبْلَــةَ مُسْتَهِــلُّ المَعْهَــدِ ... بَيْنَ العَقِيقِ وَبَيْنَ بُرْقَــةِ ثَهْمَدِ ،

٢ يا مَسْرَحَ الآرَامِ في وَادي الحِمَى ، ... هَل فيكَ ذو شَجَنٍ يَرُوحُ وَيغْتدي

---

١ العَقيق : كل مسيل شقّه ماء السَّيل ، وهواسم لأودية ، ومواضع بالمدينة وباليمامة وبالطَّائف وبتهامة وبنجد . بُرْقَة ثَهْمَد : لبني دارم . الطَّلَل : ما شخص من آثارالديار .

٥ يقول : خلال هذا المطلع التقليديّ ، أن طلل حبيبته يقوم بين تلك الرّبوع ، وأنها ارتحلت عنه من عهد قريب .

٢ الآرَام : جمع رئم : الظِّباء الخالصة البياض ، الشَّجَن : الهمّ والحزن .

٥ يقول ، مخاطباً الطَّلل : إنه غدا ملعباً للظّباء الَّتي تسرح وتمرح فيه ، غافلة ، لاهية ، لا يصيبُها حزن أو هَمّ .

٣ فِي أَيمَنِ العَلَمَيْنِ دَرْسُ مَعَـالِمٍ ، أَوْهى بها جَلَدي ، وبَانَ تَجَلُّدِي

٤ مِنْ كُلِّ فَاتِنَةٍ تَلَفَّتَ جيدُهـا ، مرَحاً ، كسالِفَةِ الغَـزَالِ الأَغْيَدِ

٥ يا عَبْلَ ! كَمْ يُشْجَى فُؤادي بالنَّوى وَيَرُوعُني صَوْتُ الغُرَابِ الأَسْوَدِ

٦ كَيْفَ السُّلُو ؟ وَمَا سَمِعْتُ حَمَائِماً يَنْدُبْنَ ، إلاَّ كُنْتُ أَوَّلَ مُنْشِدِ

٧ وَلَقَدْ حَبَسْتُ الدَّمْعَ ، لا بُخْلاً به يَوْمَ الوَدَاعِ ، عَلَى رُسُومِ المَعْهَدِ

٨ وَسَأَلْت طَيْرَ الـدَّوْحِ ، كم مثلي شَجا بِأَنِينِـهِ وحَنِينِـهِ المُتَـرَدِّدِ

٩ نَادَيْتُهُ ، وَمَدَامِعِـي مُنْهَلَّـةٌ : أَيْنَ الخَلِيُّ من الشَّجِيِّ المُكْمَـدِ؟

---

٣ الدَّرْس : العفاء . المَعَالِم : ما يستدلّ به ، يريد معالم قد عَفَتْ ودرست . أوْهَى : ضعف. بَانَ : انفصل وفارق .

* يقول : إنه أقام في تلك الأمكنة وشخص إليها ، فأثار ذلك نفسه وأحزانَه ، فلم يعد يقوى على الاحتمال بالرّغم من تجلّده وتظاهره بالصّبر .

٤ السَّالفَة : صفحة العنق وفي المرأة عند معلق القرط . الأغْيَد : المائل العنق ، المُتَثَنّي لِيْناً .

* يقول : إنّ النّساء الجميلات ، ذوات الفتْنة ، كنّ يُقمْنَ في تلك الدّيار ، وكانت إحداهنّ تَتَلَفَّتُ تَلَفّتَ الغزال الجميل العنق .

٥ * يخاطب عبلة خطاباً مُبَاشراً ويبوح بالعذاب الَّذي يُعَانيه من فراقها ، ويمثّل ذلك بصوت الغراب الَّذي ينذر بالشّؤم والبؤس والافتراق الدائم .

٦ * يقول : أنّى يكون لي طاقة على السّلوّ ، ما دامت الحمائم تستثيرني بنواحها ، وتذكّي حسرتي وتدفَعُني إلى مشاركتها في النَّواح .

٧ * يمثّل في هذا البَيْت تجلّده وتماسكه عند نزول الخطب به ، ويقول : إنه حبس دمعه ، بالرّغم من حزنه الشَّديد ، لا تباخلا به ، بل تصبّراً وَتَمَنّعاً عن إذلال النَّفس .

٨ الدّوْح : جمع دوحة : الشَّجرة العظيمة . شَجَاه : أحزنه وأطربه .

* يقول : إنه ساءل الطَّيْر ، هل أنها أثارت سواه ، وَشَجَتْه ، فكأنّه يتساءل من خلال ذلك ، إذا كان له أشباه يعانون معاناته ، ويصبون صبوته .

٩ الخَلِيّ : هنا بمعنى الخالي الذهن من الهموم .

* يقارن في هذا البيت بَيْن نفسه البائسة الَّتي تعاني شتَّى أنواع الكمد وحال الطَّير الخلي الَّذي لا يُعَاني بؤساً ولا همَّاً ، وَيَهُوله البَوْن الشَّاسع بَيْنهما .

١٠ لَوْ كنتَ مثلي ، مَا لبثْتَ مَـلاوَةً ، وَهَتَفْتَ في غُصْنِ النَّقـا المتـأَوِّدِ

* * *

١١ رَفَعُوا القِبَابَ عَلَى وُجُوهٍ أَشْرَقَتْ فيها ، فغيَّبتِ السُّهَا في الفَرْقَدِ

١٢ وَاسْتَوْكَفُوا مَاءَ العُيُونِ بِأَعْيُـــنٍ مَكْحُولَةٍ بالسِّحْرِ ، لا بالإِثْمِـدِ

١٣ وَالشَّمْسُ بَيْنَ مُضَرَّجٍ وَمُبَلَّــجٍ ؛ وَالغُصْنُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ وَمُقَلَّــدِ

١٤ يَطْلُعْنَ بَيْنَ سَوَالفٍ وَمَعَاطِـــفٍ ، وَقَـــلائِدٍ مِنْ لُؤْلُـؤٍ وَزَبَرْجَـدِ

---

١٠ المَلاوَة : البُرْهة . النَّقَا : القطعة من الرّمل تنقاد محدودبة . المُتَأَوِّد : المُتَثَنِّي .

* يستكمل المقارنة بين واقعه وواقع الطَّيْر الَّتي استهلَّها في البَيْت السَّابق ، ويقول مخاطباً الطَّير : لوكنْتَ تعاني ما أعاني ، لما أقَمْتَ على الغُصْن طَرباً ، ولما أنشدت أناشيدك الفَرحة .

١١ السّهَا : كَوْكب خفيّ من بنات نعش الصّغرى . الفَرْقَد : النَّجم الَّذي يُهْتَدى به ، وهمـا فرقدان ، والكلام هنا على القلب . أراد الفرقد في السُّها .

* شبَّه الوجوه في إشراقها بالفَرْقد ، والقباب التي ستَرَتها بالسّها .

١٢ اسْتَوْكَفُوا : استَقْطَروا . الإثْمد : حجر الكحل .

* ونزلت الدموع الغزيرة من عيونهن الحور ، المكحولة بالسّحر وليس بالإثمد ، يقصد أنّ جمال عيونهن طبيعيّ ، وليس مُكْتَسباً ومصنوعاً بالكحل وغيره .

١٣ الشَّمْس : أراد بها وجوه الجواري في إشراقها . المُضَرّج : المحمّر . المُبَلَّج : النَّقي الطَّلق . وأراد بالغصن : القدّ . المُوَشَّح : الَّذي عليه وشاح ، وهوأديم عريض يرصّع بالجوهر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . مُقَلَّد : عليه قلادة .

* وكانت وجوه أولئك النّسوة ، متألّقة كأنها الشَّمس في إشراقها ، وصفائها ، وأما أجسامهن ، فكانت كلها تتحلَى بالأوشحة أوالقلائد .

١٤ السَّوالف : صفحة العنق عند معلق القرط . مَعَاطف : جمع معطف ، وهو العنق أو رداء واسع ، يُلْبَس فوق الثّياب ، أوهو السَّيْف .

* إنّ هؤلاء النّساء الجميلات يطلعن في أجمل لباس وأحلى منظر ، يلبْسنَ الألبسة الثَّمينة ، ويتقلَّدن قلائد من لؤلؤ وزبرجد .

١٥ قالوا : اللّقاءُ غداً بمُنْعَرَجِ اللِّوى وَاطُولَ شَوْقِ المُسْتَهَامِ إلى غَدِ

١٦ وَتَخَالُ أنْفَاسِي إذَا رَدَّدْتُهَا بَيْنَ الطُّلولِ ، مَحَتْ نُقوشَ المِبْرَدِ

١٧ وَتَنُوفَةٍ مَجْهُولَةٍ ، قَدْ خُضْتُها بِسِنَانِ رُمْحٍ ، نارُهُ لمْ تَخْمُدِ

١٨ باكَرْتُهَا في فِتْيَةٍ عَبْسِيَّةٍ ، من كلِّ أَرْوَعَ في الكرِيهةِ أَصْيَدِ

١٩ وَتَرَى بها الرَّاياتِ تَخْفُقُ وَالقَنَا ، وَتَرى العَجَاجَ كمثلِ بحرٍ مُزْبِدِ

٢٠ فهناكَ تنظُرُ آلُ عَبْسٍ مَوْقِفي ، وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بالوَشِيجِ الأَمْلَدِ

---

١٥ المُنْعَرج : المُنْعَطف . اللِّوىَ : ما التوى من الرَّمْل أو مسترقه .

* يقول : إنهن وَعَدْنه باللّقاء في مُنعرَج اللّوى ، ثم يُرْدف أنّ وعدهن أثار أشواقه وجعله يستبطىء عَدو الزّمن .

١٦ المِبْرَد : آلة البرد .

* وجَعلت أنفاسي تتردد بَيْن الأطْلال من القلق والحزن ، وهي لشدة حرارتها ، تكاد أن تزيل نقوش المبرد ، أي أن تُذيب الحديد .

١٧ التَّنُوفَة : المفازة .

* وكم من مَفَازة مُقْفِرة قد اجتزْتُها وأنا أشرع رمحي يشتعل اشتعالا في وجه الأعداء حتَّى لا ألاقي منهم المكروه .

١٨ أرْوَع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته . الكَريهَة : الحرب . الأصْيَد : المائل العنق كبَراً . أراد أنه سيِّد شريف .

* سرت مُبْكراً إلى تلك المفازة ، يَصْحبني فتية شجعان من عبس ، كلّهم فتيّ ، شُجاع ، حسن المنظر ، ومن بيت شريف .

١٩ العَجَاج : الغبار .

* في تلك الصَّحْراء كنت ترى الرّايات مرفرفة ، وكذلك الرّماح مشرّعة ، والغبار الّذي تثيره خيولنا ، كأنه بحر هائج ، شديدُ الاضطراب .

٢٠ الوَشيج : شجر الرّماح . الأمْلَد : النَّاعم اللّين من الغصون .

* يقول : إنّ بني عبس يُدركون حقيقة قدره ، عندما يشتدّ الوغى وتأخذ الخَيْل في التعثّر بالرّماح من شدة الالتحام .

٢١ وَبَوَارِقُ البِيضِ الرِّقَاقِ لَوَامِعٌ في عَارِضٍ ، مثلِ الغَمَامِ المُرْعِدِ
٢٢ وَذَوَابلُ السُّمْرِ الدِّقَاقِ ، كَأَنَّهَا تحتَ القَتَامِ نُجُومُ لَيْلٍ أَسْوَدِ
٢٣ وَحَوَافِرُ الخَيْلِ العِتَاقِ عَلَى الصَّفَا مِثْلُ الصَّوَاعِقِ في قِفَارِ الفَدْفَدِ
٢٤ باشَرْتُ مَوْكِبَهَا ، وَخُضْتُ غُبارَها أَطْفَأْتُ جَمْرَ لَهِيبِها المُتَوَقِّدِ
٢٥ وَكَرَرْتُ ، وَالأَبْطَالُ بَيْنَ تَصادُمٍ ، وَتَهاجُمٍ ، وَتَحَزُّبٍ ، وَتَشَدُّدِ
٢٦ وَفَوَارِسُ الهَيْجَاءِ بَيْنَ مُمَانِعٍ وَمُدَافِعٍ وَمُخَادِعٍ وَمُعَرْبِدِ

---

٢١ العَارض : السَّحاب . وأراد به غبار الحرب .

* حيث السّيوف تَلْمع وتبرق وسط غبار المعركة الكثيف ، كأنّها بروق تقطع الغيوم الكثيفة المرعدة .

٢٢ الذوَابل : القَنَا الرقيقة . السّمْر : الرّماح . القَتَام : غبارالحرب .

* حيث بدت القنا الرقيقة تحت قتام غبار المعركة الأسود ، كأنها نجوم مضيئة ، في ليل حالك السَّواد .

٢٣ الصَّفَا : جمع صفاة : الحجر الصّلد الضّخم . الفَدفَد : المكان الصّلب الغليظ .

* وكانت المعركة حامية ، والخيول مُقْتحمة مُسْرعة ، يقدح الشَّرر من حوافرها حين تقع على الصّخور الصّلدة ، كأنها صواعق من السّماء في أرض قفر .

٢٤ * لقد اقتحمْتُ هذه المعركة ، وقدت أبطال عبس وخضْتُ غُمارها ، حتى أطفأت شرارة العدوّ ، حين سقط أبطاله صرعى على يدي .

٢٥ * يصف اقتحامه على الفوارس الهَيْجاء ويذكر تصادم الأبطال وكرّهم ، البعض على البعض الآخر وتساندهم ، واشتداد هجومهم على سواهم .

٢٦ مُعَرْبد : من العَرْبَدة : سوء الخلق .

* يصف في هذا البَيْت أحوال المُقَاتلين في الحرب ، ويقول : إنّ بعضهم يمتنع عن القتال ويُحْجم عنه تخَوّفاً ورهبة ، والبعض الآخر يُقَاتل ويدافع عن نَفْسه ، فيما يخادع الآخرون ويخاتلون للإيقاع بأعدائهم أويرغون ويزبدون غضباً ونقمة .

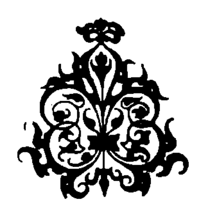
٢٧ وَالبيضُ تَلْمَعُ وَالرِّمَــاحُ عَوَاسِلٌ وَالقَوْمَ بَيْــنَ مُـجَدَّلٍ وَمُقَيَّــدِ

٢٨ وَمُوَسَّدٍ تَحْتَ التُـرَابِ وَغَيْــرُهُ فَوْقَ التَرابِ يَئِنُّ غَيْــرَ مُـوسَّدِ

٢٩ وَالجَوُّ أَقْتَمُ وَالنُّجُـومُ مُضِيئَـــةٌ وَالأُفقُ مُغْبَـرٌّ العَنَـانِ الأَربَــدِ

٣٠ أَقْحَمْتُ مُهْرِي تَحْتَ ظِلِّ عَجَاجَةٍ بِسِنَانِ رُمْحٍ ذابِـلٍ ، وَمُهَنَّـدِ

٣١ وَرَغَمْتُ أَنْفَ الحاسِدينَ بِسَطْــوَتي فَغَدَوْا لهـا من رَاكِعِـينَ وَسُجَّدِ



٢٧ عَوَاسل : جمع عاسل . الرّمح اذا اشتدّ اهتزازُه . المُجَدل : المَصْروع . المُقَيَّد : الأسير . يستكمل وصف الحرب ويقـول: إن الدروع كانت تلتمع والرّماح تهتزّ ، فيما قُتل القوم أو أوقعوا في الأسر .

٢٨ * والبعض من هؤلاء الفرسان قد وُسِّدَ تحت التّراب مقتولا ، وغيره قد قتل أيضاً وظـلّ مطروحاً على وجه الأرض ، لم يُوارَ التّراب .

٢٩ العَنَان : السَّحاب . الأرْبَد : الَّذي لونه إلى الغبرة .

* في تلك الساعات القاسية ، كان الجو قاتماً ، عابساً ، وقد راح لون الأفق يحول إلى الأغبر القاتم ، وقد طلعت نجوم السّماء مُضيئة .

٣٠ * في هذا الجو المكفهرّ ، إندفعت بمهري تحت غبار المعركة المنعقد في السّماء ، وكنت أحمل على الأعداء بسنان رمح قويّ ، وبسيف حادّ .

٣١ * وبشجاعتي التي لا نظيرَ لها ، وإقدامي الباهر في الحرب ، أرغمت حسادي وأعدائي عـلى الإقرار بشجاعتي ، والخضوع لي .

وَأَغُضُّ طَرْفِي

١	يا عَبْلُ ، أَيْنَ مِنَ المَنِيَّةِ مَهْرَبي	إنْ كانَ رَبي في السَّمَاءِ قَضَاهَا
٢	وَكَتيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بكَتيبَةٍ ،	شَهْبَاءَ . باسِلَةٍ يُخَافُ رَدَاهَا
٣	خَرْسَاءَ ، ظَاهِرَةِ الأَدَاةِ ، كَأَنَّهَا	نارٌ يُشَبُّ وَقودُهَا بِلَظَاهَا
٤	فِيهَا الكُمَاةُ بَنو الكُمَاةِ ، كَأَنَّهُمْ	وَالخَيْلُ تَعْثُرُ في الوَغَى بِقَنَاهَا
٥	شُهُبٌ بِأَيْدِي القَابِسِينَ ، إِذَا بَدَتْ	بأَكُفِّهِمْ بَهَرَ الظَّلامَ سَنَاهَا
٦	صُبُرٌ ، أَعَدُّوا كُلَّ أَجْرَدَ سَابِحٍ ،	وَنَجيبَةٍ ذَبلَتْ ، وَخَفَّ حَشَاهَا
٧	يَعْدُونَ بالمُسْتَلْئِمِينَ عَوَابِساً ،	قُوداً ، تَشَكَّى أَيْنَهَا وَوَجَاهَا

---

١ المَنِيّة : الموت .

* يخاطب عبلة ويقول لها : أنّى لي أن أهرب من المَوْت ، ما دام الله قد قضاه لي في حينه . أي أنّ الموت قدر مُحَتَّم .

٢ لَبسْتُها : غشيتها . شَهْبَاء : بيضاء . الرّدى : الهلاك .

* يقول : إنَّه يقتحم على الكتيبة بكتيبة قويَّة ، تَلْتمع فيها الدروع والأسلحة ، فتبدو بيضاء ، وتثير الرُّعب فيمن يلقاها ، إذ تسوق إليه الرّدى .

٣ خَرْسَاء : لا يتبيَّن منها صوت لكثرة جلبتها . ظَاهِرَةُ الأداة : شاكية السّلاح .

* يستكمل وصف الكتيبة ، ويقول : إنّ الجَلَبَة تغشاها ، فلا يُتَبيَّن فيها صوت ، وأنها كثيرة السّلاح يلتمع فيها ويتألق ، فيخيَّل للنَّاظر إليه أنه نار مضطرمة .

٤ ، ٥ الكُمَاة : جمع كمي المدجَّج بالسّلاح . الوَغَى : الحرب .

* يقول : إنّ في تلك الكتيبة رجالا مدجَّجي السّلاح عريقين في الشَّجاعة ، وكأنهم والخيل تتعثر بالقنا ، لكثرة ما يكسر منها شُهب بأيْدي قابسي النَّار ، تبدو بأكفِّهم فيبدد ضياؤها الظَّلام .

٦ أجرد سابح : فرس قصير الشعر يسرع في جريه . النَّجيبة : الناقة الكريمة أو الفرس التي ضَمَر لحم حشاها .

* يقول : إنّ أولئك الفرسان يتصدون للقتال على مُتون الخيل السَّريعة والنّياق الكريمة .

٧ المُسْتَلْئمون : المتدرّعون . عَوَابس : صفة للخيل الطَّيّعة . الأيْن : الأعياء . الوَجَى : الحفى .

* يقول : إنّ الخَيْل تعدو بالأبطال مُنْقادة ، تشكو لهم إعياءها وحفاها .

٨ يَحْمِلْنَ فِتْيَاناً مَدَاعِسَ بالقَنَــــا ، وُقُراً ، إِذَا مَا الحَرْبُ خَفَّ لِوَاهَا

٩ مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ ، مَاجِدٍ ، ذِي صَوْلَةٍ مَرِسٍ إِذَا لحِقَتْ خُصىً بِكُلاهَا

١٠ وَصَحَابَةٍ شُمّ الأَنُوفِ ، بَعَثْتُهُمْ ، لَيْلاً ، وَقَدْ مَالَ الكَرَى بِطُلاَهَا

١١ وَسَرَيْتُ فِي وَعْثِ الظَّلاَمِ أَقُودُهم ، حتى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَالَ ضُحَاهَا

١٢ وَلَقِيتُ فِي قُبُلِ الهَجِيرِ كَتِيبَــةً ، فَطَعَنْتُ أَوَّلَ فَــارِسٍ أُولاهَــا

١٣ وَضَرَبْتُ قَرْنَيْ كَبْشِهَــا ، فَتَجدَّلا وَحمَلْتُ مُهْرِي ، وَسْطها ، فَمضَاهَا

١٤ حتى رَأَيْتُ الخَيْلَ بَعْدَ سَوادِهَــا ، حُمْرَ الجُلُودِ ، خُضِبنَ من جَرْحَاهَا

١٥ يَعْثُرْنَ فِي نَقْعِ النَّجِيعِ ، جَوَافلاً ، وَيَطَأْنَ من حَمي الوَغى صرْعاها

---

٨ مَداعس : جمع مدعس : كثير الطَّعن . وُقُر : جمع وقور : جلود في الحرب .

* الخَيْل تحمل فتياناً كثيري الطَّعْن بالرِّماح ، ثابتين في القتال ، عندما يشتدّ وطيس المعركة .

٩ مَاجد : شريف . ذو صَوْلَة : متدرب ، محنَّك في القتال . مَرِس : ثابت . إذا لحَقَتْ خُصى بكلاها : إذا تعلَّقت خصى الخَيْل بكلاها ، عند احتدام المعركة .

* فرسان أشراف ثابتون ، متدرّبون على القتال ، جامدون عند احتدام المعركة .

١٠ شُمّ الأُنوف : ذوونَخْوة ، لا يَتحمَّلون الضَّيْم . الكَرَى : النّعاس . طُلاها : أعناقها .

* يصف الفرسان الَّذين يصحبهم إلى القتال ، ويقول : إنهم ذوو نخوة ، ساقهم ، ليلا ، إلى القتال ، وقد استبدّ بهم النّعاس .

١١ وَعْث الظَّلام : شدته . زَالَ : ارتفع . سَرَيْتُ : سرت ليلا .

* سرتُ في الظَّلام الحالك ، أقودهم ، ليلا ، حتى أشْرَقَت الشَّمس ، وهوإنما يورد ذلك للتَّدليل على الهَوْل والصّعاب التي يتجشَّمها في القتال .

١٢ الهَجير : شدة الحرّ . أوّلَ فَارس أولاها : فارس المقدمة .

* لقيت في أول الهجيركتيبة ، فَطَعَنْتُ أول فارس من مقدمتها .

١٣ الكَبْش : سيِّد القَوْم . تَجَدل : سقط أرضاً .

* ضربْتُ رأس قائد الكتيبة ، فجندلْتُه ، وسرت أقاتل في وَسَط صُفُوف الأعداء .

١٤ * حتَّى رأيت جلود الخَيْل أصبحت حمراً من كثرة دماء الأعداء ، بعد أن كانت سوداً .

١٥ النَّجيع : الدم القاني . جَوَافل : مسرعة . حَمْيِ الوَغَى : شدة المعركة .

* كانت الخَيْل تَتعثَّر في بُقَع الدم ، وتسيرمُسْرعة ، تَطأ القَتْلى من شدة المعْركة .

١٦ فَرَجَعْتُ مَحْمُوداً بِـرَأسِ عَظِيمها ، وَتَرَكْتُهَـا جَـزَراً لِمَنْ نَاوَاهـا

١٧ مَا اسْتَمْتُ أُنْثى نَفْسَهَا في مَوْطن ، حَتَّى أُوَفِّي مَهْرَهَـا مَوْلاَهَـا

١٨ وَلَما رَزَأْتُ أَخَـا حِفَـاظٍ سِلْعَةً ، إلاَّ لَـهُ عِنْـدِي بها مِثْـلاها

١٩ أَغْشَى فَتَاةَ الحَيِّ ، عِنْدَ حَلِيلِها ، وَإِذَا غَزَا في الجَيْشِ ، لا أَغْشَاهَا

٢٠ وَأَغُضُّ طَرْفي مَا بَدَتْ لي جَارَتي ، حَتَّى يُوَارِي جَـارَتي مَأْوَاهَـا

٢١ إنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الخَلِيقَةِ ، مَاجِدٌ ، لا أُتْبِعُ النَّفسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

٢٢ وَلَئِنْ سَأَلْتَ بِذَاكَ عَبْلَةَ خَبَّـرَتْ ، أَنْ لا أُرِيدُ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهَا

٢٣ وَأُجيبُهَا إمَّـا دَعَتْ لِعَظِيمَـةٍ ، وَأُغِيثُهَـا ، وَأَعِفُّ عَمَّـا سَاهَا

---

١٦ فَرَجَعْتُ مَحْمُوداً : مَصْحوباً . الجَزَر : اللَّحْم . المُنَاوَأة : المُعَاداة .

* ورجعت مصحوباً بِرَأس عظيمها ، وتركت الجثَّة لحماً لِمَنْ نَاوَأهَا .

١٧ مَا اسْتَمْتُ أنْثَى : لم أراود . المَهْر : حقّ العروس عند الزّواج .

* يفخر في هذا البَيت بعفّته مع قدرته على الانتهاك والبطش ، ويقول : إنَّه لا يقبل على امرأة ، اغتصاباً ، بل يؤدي لمولاها مهرها ، لتحلّ له .

١٨ رَزَأْتُ : نقصْتُ . أخُوالحفاظ : المحافظ على نَسَبه . السِّلْعَة : المتاع .

* يقول : إنه لا يُنْزل خسارة بامرئٍ كريم ، حتّى يهبَه ما يعوّض به خسارته .

١٩ الحَليل : الزّوج : لاَ أغْشَاهَا : لا أزورها .

* أزور فتاة الحي ، ما دام زوجها عندها ، أمَّا إذا غاب ، فلا أزورها ، وهو ، هنا ، يظهر ، أيضاً ، عفّته .

٢٠ أغُضّ الطّرْف : أكفّ بصري .

* أكفّ بصري ، إذا بَدتْ لي جارتي ، حتَّى تَدخل منزلَها ولا أتبعها بنظري ، أي أنـه لا يختلس نظرات الرِّيبة إلى جارته ، بل يصون حرمتَها .

٢١ سَمْحُ الخَليقة : سَمُوح . مَاجد . شَريف . النَّفْسّ اللَّجُوج : الأمَّارة بالسّوء .

* أني امرؤحسن السّلوك ، شريف ، لا أعْطي النَّفس مداها .

٢٣ أغيثُها : أساعدها . أعفّ عمّا سَاهَا : أغفرلها إساءتها .

* وألبّي نداءها ، إذا طلبتني ، وأغيثُها وأعفّ عن إساءتها .

صُبُرٌ عَلَى التَّكْرَارِ وَالكَلْمِ

١	وَفَوَارِسٍ لِي قَدْ عَلِمْتُهُمُ ،	صُبُرٍ عَلَى التَّكْرَارِ وَالكَلْمِ
٢	يَمْشُونَ وَالمَاذِيُّ فَوْقَهُمُ ،	يَتَوَقَّدُونَ تَوَقُّدَ الفَحْمِ
٣	كَمْ مِنْ فَتىً فِيهِمْ أَخِي ثِقَةٍ ،	حُرٍّ ، أَغَرَّ ، كَغُرَّةِ الرِّئْمِ
٤	لَيْسُوا كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمُ ،	سُودِ الوُجُوهِ ، كَمَعْدِنِ البُرْمِ
٥	كُنَّا إِذَا نَفَرَ المَطِيُّ بِنَا ،	وَبَدَا لَنَا أَحْوَاضُ ذي الرَّضْمِ
٦	نُعْدِي فَنَطْعَنُ فِي أُنُوفِهِمُ ،	نَخْتَارُ بَيْنَ القَتْلِ وَالغُنْمِ

---

١ التَّكْرار : كثرة الكرّ. الكَلْم : الجرح .

* يصف في هذا المطلع صُحْبه ، ويمدح خصالهم ويقول : إنَّه قد ألفَهم شديدي التَجَلد على ما يلاقونه من ضَيْم القتال ، وما يصيبُهم فيه من جراح .

٢ المَاذيّ : سلاح من حديد . يَتَوَقَّد : يَتَأَجَّج .

* يصف مشيهم للقتال ، وهم يحملون سلاحهم المتوهّج تحت الشمس ، فكأنه يتوقّد توقّداً .

٣ أخي ثقَة : يُوثق بشجاعته . الأغرّ : الأبيض . الرئمْ : الظَّبي الخالص البياض .

* يستكمل مدحه لصُحْبه ، ويقول : إن فيهم من يوثق بشَجاعته ، ومن هوحر ، شديد بياض الوجه كالظّبي . وقد يعجب القارىء لتفاخر عنترة ببياض غرّة صُحْبه ،فيما كان هو يشكو سواد البشرة . فأما أن يكون قد ألم بذلك للتعوض عن عاهته ، وإما تقليداً ، وأما يكون البيت مَنْحُولا ، أوأن القصيدة بكاملها موضع شكّ .

٤ البُرْم : قدرة من الفخّار .

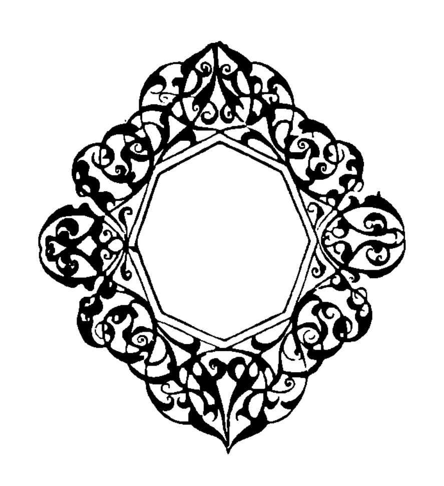
* يقابل بَيْن صحبه البيض ، المتألقي الوجوه ، وسواهم ممّن يشوبهم السّواد وضعة الأصل ، وذلك ممّا يضاعف الشّك بصحة نسبة هذه القصيدة .

٥ ، ٦ نَفَرَ : سارالى الأعداء . ذوالرّضْم : مكان بين وادي القرى وتيماء .

* كنا إذا سرنا الى الأعادي ، وبدت لنا أحواض ذي الرّضْم ، نقتحم عليهم ونَنالهم ما نشاء ، مخيّرين بين القَتْل والغنم .

٧ إِنَّـــا كَـذَلِـكَ يـا سُـهَــيَّ إذَا غَدَرَ الحَلِيـفُ نَقُــودُ بالخَطْــمِ

٨ وَبِكُلِّ مُــرْهَفَــةٍ لَهَــا نَفَـــذٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ كَــطُرَّةِ الفَـــدَمِ



٧ الحَليف : صديق القتال . الخَطْم : الأنف .

* إنّا كذلك إذا غدر الحليف بنا ، نَقُود الأعادي من أنوفهم .

٨ المُرْهَفَة : المحددة . الطُرة : الوشي . الفَدم : الثياب الحمر .

* وبكل سلاح محدود الأصل ، ينفذ بين الضّلوع ، فينفزر الدم القاني .

عَنْتَرَةُ وَسُهَيَّةُ

نظم عنترة هذه القصيدة . بعد أن وَشَت به زوجة أبيه ، وَزَعْمَت أنه يراودها عن نفسها . بعد أن تَحَرَّشَتْ به . وَتَمَنَّع عليها . فغضب من ذلك أبوه غضباً شديداً . وضربه ضرباً مبرّحاً . فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفّته عنه . ولما رأت ما أصابه من جراح . بكَتْ . وحبّ المَرأة لابن زوجها عقدة عريقة في الأدب ، وهي ترمز الى الحبّ ، يولد بتأثير الغرائز الغامضة . لا تؤثر في حدود الحلال والحرام التي تواضع عَلَيْها المُجْتمع :

١	أَمِنْ سُهَيَّـةَ دَمْعُ العَيْـنِ تَـذْرِيفُ .	لَوْ أَنَّ ذامنكِ ،قبلَ اليَوْمِ ، معرُوفُ
٢	كَأَنَّـهَا يَوْمَ صَدَّتْ مـا تكَلِّمُنِي .	ظَبيٌ بعُسْفـانَ ساجي الطرْفِ مطرُوفُ
٣	تَحَلَّلَتْنِيَ إِذْ أَهْـوَى العَصَا قِبَلي ،	كَأَنَّهَا صَنَمٌ يُعْتَـادُ مَعْكُـوفُ
٤	المَـالُ مَالُكُـمُ ، وَالعَبْـدُ عَبْدُكُمُ ،	فَهَلْ عذابُكَ عَني اليَوْمَ مصرُوفُ
٥	تَنْسى بلائي . إِذا مـا غَـارَةٌ لَقِحَتْ	تَخْرُجُ مِنْهَا الطُّـوَالاَتُ السَّرَاعِيفُ

---

١ * أيذرف دمع سهيّة الآن ، عجباً ، ولم أرمنها قبل اليَوْم ذلك ! ..

٢ عُسْفَان : ينبوع بين الجَحْفة ومكّة . سَاجي الطَّرْف : ساكن النَّظر. مَطْرُوف : أصيب بعينه .

* عيناها والدمع يُذرَف منهما ، كعَيْني ظبيّ مطروف ، عند منهلة عسفان .

٣ تَحَلَّلَتْني : قدرتني . يُعْتَاد : يُزار. مَعْكُوف : ملازم له .

* عطفت علي إذ هوت العصا على ظهري ضرباً شديداً مبرحاً .

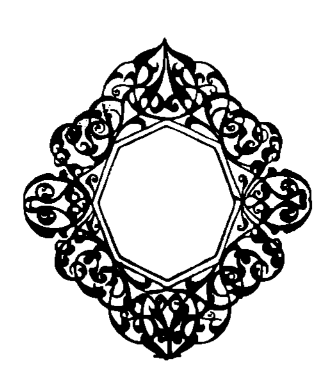
٥ لَقِحَت : اشتدت . الطَّوالاتُ السَّرَاعيف : الأفراس الطَّويلة الخفيفة .

* تنسى بلائي عند اشتداد الغارة ، وعند خروج الأفراس للقتال .

٦ يخرُجْنَ منهـا ، وَقَـدْ بُلَّتْ رَحائلُها بالماءِ ، يَرْكضُهـا المُـرْدُ الغطارِيفُ

٧ قد أَطعنُ الطَّعنةَ النَّجْلاءَ عن عُرُضٍ تَصْفِرُ كَفُّ أَخيهـا ، وَهْوَ مَنزُوفُ

٨ لا شَكَّ للمرْءِ أَنَّ الدَّهرَ ذو خُلُفٍ . فِيهِ تفرَّقَ ذُو إِلْفٍ ومَـأْلُـوفُ



---

٦ الرِّحَائل جمع رحالة : السَّرج . يَرْكُضُها : يحثها على العدو . المُرْد : الشَّاب الصغير . الغَطَاريف : جمع غطريف : الشَّاب أو السَّيد .

* تخرج الأفراس مبلَّلة رحائلها بالماء من هول المعركة ، ويحثّها للعدو بعد القتال (كي لا يبرد عرقها) فتيان صغار أشداء .

٧ النَّجْلاء : الواسعة . عَنْ عُرُض : كيفما اتفق . المَنْزُوف : الَّذي سال دمه .

* أطعن الطَّعنة القويَّة كيفما اتَّفق . وللطَّعنة صدى في كفي وهو منزوف .

٨ الدهْر ذو خُلُف : الدهر متقلِّب .

* لا شك أنَّ الدهر متقلب ، وهو يفرق بين ألف ومألوف .

عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْل

عَـامِرُ بْنُ الطُّفَيْـل

۰۰۰۰ ـ نحو ١١ ق . هـ .

هوعَامِرُبنُ الطُّفَيْل ، بن مالك ، بن جعفر ، بن كلاب ، بن ربيعة ، بن قَيْس عيلان ابن معد ، بن عدنان . كان من أشهر فرسان العرب في الشدة والبأس ، حتى بلغ به ذلك ، أنّ قيصر الـرّوم ـ على ما يذكر الرّواة ـ كان إذا قدم عليه قادم ، قال : ما بَيْنك وبين عامر بن الطفيل ؟ فان ذكر نسباً ، عَظُم عنده ، حتى قدم علقمة بن علاثة ، فانتسب له ، فقال أنت ابن عمّ عامر بن الطّفَيْل ، فغضب علقمة ، وقال : لا تُراني أعرف إلا بعامر . فكان ذلك مما أوغر صدره عليه ، حتَّى دعاه إلى المُنَافرة .

اشتهر شاعرنا بركوب الخَيْل ، وكان له فرس يسمى « المَزْنُوق » ، معدود من أكرم الخيول العربية ، وقد أكثر الشّاعر من ذكره في يوم « فيف الريح » ، مظهراً إعجابه وشَغَفه به .

وعرف عامر ، بخصال كثيرة مذمومة ، منها عقمُه ، وجفاء طبعه ، وعنجهيَّته ، وظلمـه ، وبخله ، إلاّ أنّ قومه سوّدوه علَيْهم ، بعد أن شاخ عمّه أبوالبراء ، الملقَّب بملاعب الأسنَّة ، لشدة بأسه . وقد أدرك عامر من العنجهيَّة حداً لم يبلغه أحد قطّ ، إذ وفد على النَّبي ، مع أربد شقيق لبيد ، متوافقَيْن على الغدر به ، ولمَّا تخلَّف أربد عن طعن النبيّ ، ساومه عامر على اعتناق الإسلام ، شرط أن يقتسم السّلطة معه ، فأنكر النبيّ عليه ذلك ، فولى متوعّداً . لكنّ الأجل وافاه في طريق عودته بداء الطّاعون ، كما أن صاعقة أصابت أربداً وقتلته .

* * *

غلبت على شعر عامر نزعة الفخر ، كتعبير عن فروسيَّته وطبعه الملحميّ . وهو لا يبرح يؤكـد أنه نال السّيادة على بني قومه بقوة شكيمته ، وذوْده عن حماهم ، دون وراثة ورثها ، أوفضـل تفضّل به قومه عليه . وفي شعره تكثر أسماء الأسلحة ، كالسّيوف والرّماح والدروع ، يتغنَّى بهـا غناء شغف ونشوة ، ويذكر الخَيْل والنّياق ، فيما يعلوها قتار المعارك ، كما تتعدد معاني الثَّـأر والبطش ، يصفها بكلّ وصف ، ويكرّرها غاية التَّكرار . ونقع في معظم قصائده على ذكر القبائل الّتي أوقع بها وثأر منها ، وأسماء الأمكنة الّتي تواقع معهم فيها .

أمَّا عبارته ، فصافية الأديم ، قلَّما يتخلَّلها الحوشيّ ، أوالغريب ، تفيض فيضاً عن طبعه ، دون تعمّل وإنهاك ، كما أنّ معانيه دانية شائعة ، يُضْفي عليها قليلا أوكثيراً من ذاتيَّته ، فتبدو ذات طابع خاص ، وإن كانت مطروقة .

هَذِهِ فِعَالُنَا

تَعْتَبر هذه القصيدة أفضل قصائد عامر ، وأكثرها إحاطة بالمعـاني والموضوعات الفخرية . يستهلّها بالغزل وذكر العداوة القائمة بين أهلـه وأهل حبيبته ، وجهل حبيبته لقدره في الحروب . ثم يَنْصرف إلى تعداد مآثره ومآثر بني قومه ، وأيام انتصاراتهم والأعداء الّذين انتصروا عليهم ونكّلوا بهم .

والقصيدة تنساق بسياق رتيب في المعاني ، تكثر فيه أسماء القبائل وصور القتل والبطش والسَّلب ، ممَّا أضْفى عليها جوّاً سرديّاً وأدخل عليه الإيقاع والوزن بعض الحيويَّة والحركة :

١ عَرَفْتَ بِجَوٍّ عَارِمَةَ الْمُقَامَا ، لِسَلْمَى ، أَوْ عَرَفْتَ لَهَا عَلاَمَا

٢ لَيَالِيَ تَسْتَبيكَ بِذي غُرُوبٍ ، ومُقْلَةِ جُؤذَرٍ يَرْعَى بَشَامَا

٣ وإِذْ قَوْمي لأُسْرَتِهَا عَدُوٌّ ، لِتُبْلِيَ بَيْنَهَا سَجْلاً وخَامَا

٤ فإِنْ يمنَعْكِ قَوْمُكِ أَنْ تَبِيني ، فَقَدْ نَغْنى بعَارِمَةٍ سَلاَمَا

---

١ الجَوّ : المكان . عَارمَة : أرض لبني عامر .

* يقول : عرفت أنّ سلمى تُقيم في عارمة ، أوعرفت بعض آثارمن آثارها .

٢ تَسْتَبيك : تسلب لبَّك ، تسبيك . ذوغُرُوب : هنا ثغر . مُقْلَة العَيْن : الحَدَقة . بَشَام : شجر المِسْواك .

* يصف حبيبته بجمال الثَّغر ، ويشبّه عينيها بعيني الجؤذرالّذي يرتعي . وقوله : « يرعى بشاما » أي أنه يرعى ورق شجرعطر الرائحة .

٣ السَّجْل : الدلْوالواسعة ، الممتلئة ماء . وَخَام : وخيمة الغبّ .

* إنّ قومي أعداءُ قَوْمها ، وقد تَنَافروا ، وفسدت المودة بينهم أيّ فساد .

٤ تَبيني : تفارقي أوتَظْهري . نَغْنَى : نبقى . سَلاَمَ : صلح .

* فان يمنعك أهلك أن تظهري ، فقد نَغْنى بسلام تُؤدينه لنا في عارمة . وتوسَّل الشّاعربالعداوة بين قَوْمه وقوم حبيبته ، معنى مطروق ، استنفد في تقليد المعاني الجاهلية ، وهولا يعدوأن يكون وسيلة من وسائل الغلوّ .

٥ فَلَوْ عَلِمَتْ سُلَيمَى عِلْمَ مثـــلي ، غَدَاةَ الرَّوْعِ ، واصَلَتِ الكِرَامَا

٦ وَقَتَّلْنَـــا سَرَاتَهُـــمُ جِهَـــاراً . وأَشبعنــا الضِّبــاعَ خُصًى عِظَامَا

٧ وَقَتَّلْنَا حَنِيفَــةَ في قُــرَاهَـــــا ، وَأَفْنى غَزْوُنَـــا حَكَماً وحَــامَـا

١٤ قَتَلْنَا كَبْشَهُمْ ، فَنَجَــوْا شِلاَلاً ، كَمَا نَفَّــرْتَ بالطَّرْدِ النَّعَامَـــا

١٥ وَجِئْنَـــا بالنِّسَاءِ مُــرَدَّفَـــاتٍ ، وأَذْوادٍ فَكُـــنَّ لَنَـــا طَعَامَـــا

١٦ وَبَيَّتْنَا زُبَيْـــداً بَعْـــدَ هَـــدْءٍ ، فَصَبَّح دراهُمْ لَجِبــاً لُهَــامَـا

١٧ وَقَدْ نِلْنَـــا لعَبـــدِ القَيْسِ سَبْيـــاً ، مِنَ البَحْرَينِ ، يُقْتَسَمُ اقتِسامَـا

---

٥ الرَّوْع : الفَزَع ، أو الحرب .

* لوعلمت سُلَيْمى حقيقة أمري ، وشدة بأسي في الحرب ، لأدركت أني من الكرام ، وآثرت أن تواصلَني وتميل إليّ . وفي هذا البيت تخلّص إلى الفخر من المطلع الغزليّ .

١٢ سَرَاة القَوم : جمع سري : رؤساؤهم . جهَار : علانية .

* قتلنا رؤساء القوم جهاراً ، وجعلنا الضّباع تَشْبع من لحم القتلى وعظامهم .

١٣ حَنيفَة : قبيلة عدنانية . حَكَم وَحَام : قبيلتان يمنيَّتان من سعد العشيرة .

* وقاتلنا قبيلة حنيفة في أرضها ، وأفنينا في غزونا قبيلتي حَكَم وحَام .

١٤ الكَبْش : يعني الرّئيس . شلالاً : طرداً . أنْفرمنَ النَّعَام : أشرد منه .

* قَتَلْنَا رئيسَهم ، ونجا من المَوْت ثم هرب ، ونفروا كما تنفرُ النَّعام أمام الصّائدين .

١٥ مُرَدّفَات : مَسْبيَّات . الأذوَاد : جمع ذود : والذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشرة .

* جئنا بالنّساء مَسْبيَّات ، وأخذنا كثيراً من النّياق ، فكانت لنا طعاماً . وقوله : مُرَدفَات : إشارة إلى أن الفارس ، كان إذا سبى امرأة ، يُرْدفُها وراءه على الفرس ، ومن ثمة أكسبت هذه اللَّفْظة معنى السَّبي كصورة حسيَّة ، وليست كلفظة تحمل معنى السَّبي بدلالتها الأصيلة .

١٦ زُبَيْد : من قبائل اليمن . الهَدء : قسم من اللّيْل . اللَّجب : ذو الصّوت . اللّهام : الجَيْش الضّخم الَّذي يلتهم كل شيء يمرّ أمامه . بَيَّتْنَا : هجمنا ليلا . فَصَبَّحَ : فأصبح .

* وهجمنا على بني زبيد ، بعد هزيع من اللّيل ، وألْفَوْا أنفسهم ، في الصّباح ، أمام جيش كبير ، يلتهم أعداءه التهاماً .

١٧ * وقدغَنمْنَا من عبد القَيْس غنائم تُقْتَسَم اقتساماً لكثرتها .

١٨ وَلاقَيْنَا بِذِي نَجَبٍ حُصَيناً ، فَأَهْلَكْنَا بِمَقْلَتِنَا أُسَامَا

١٩ وَأَفْلَتَنَا عَلَى الحَوْمَانِ قَيْسٌ ، وأَسْلَمَ عِرْسَهُ ، ثُمَّ اسْتَقَامَا

٢٠ وَلَوْ آسَى حَلِيلَتَهُ لَلاقَى ، هُنَالِكَ مِنْ أَسِنَّتِنَا حِمَامَا

٢١ وآلُ الجَوْنِ قَدْ سَارُوا إِلَيْنَا ، غَداةَ الشِّعْبِ فاصْطُلِمُوا اصْطِلاما

٢٢ قَتَلْنَا مِنْهُمُ مِئَةً بِشَيْخٍ ، وَصَفَّدْنَاهُمُ عُصَباً قِيَامَا

٢٣ وَيَوْمَ الشِّعْبِ ، لاقَيْنَا لَقِيطاً ، كَسَوْنَا رَأْسَهُ عَضْباً حُسَامَا

٢٤ أَسَرْنَا حاجِباً ، فَثَوَى أَسِيراً ، وَلَمْ نَتْرُكْ لأُسْرَتِهِ سَوَامَا

---

١٨ ذونَجَب : مكان كانت لهم به وقعة . حُصَيْن : يعني الحصين بن الحارث بن كعب .

* والتقينا بذي نَجَب بالحُصَيْن بن الحارث ، فأهلكناه ، وقتلنا أسامة .

١٩ الحَوْمَان : في طريق اليمامة من البصرة . عِرْسُه : زوجه . اسْتَقَام : أيّ هرب وأفلت .

* وفي طريق اليمامة في موضع (حَوْمَان) ، التقينا بقيس ، فأسلم إلينا زوجه ، ثم أفلت هارباً .

٢٠ آسىَ حَليلَتَه : سوّاها بنفسه وقاتل عنها . حَليلَتُه : زوجته . أسِنَّتِنَا : رماحنا . الحمَامَ : الموت .

* ولوقاتل عن زوجته، ودافع عن شرفه ، لكان نصيبه من رماحنا الموت الزؤام .

٢١ آلُ الجَوْن : ابنا أبي الجَوْن . اصْطَلَم : استأصل .

* وآل الجَوْن هاجمونا غداة الشِّعب فاستأصلناهم استئصالا .

٢٢ صَفَّدنا : قيّدنا . العُصَب : جمع عصبة : الجماعات .

* قتلنا منهم مائة شخص مقابل شَيْخ قُتل منَّا ، وقَيَّدناهم جماعات جماعات .

٢٣ يَوْم الشّعْب.. يوم شعْب جبلة . العَضْب : السَّيْف .

* ويوم الشّعب التَقَيْنَا بلقيط ، فكسَوْنا رأسه بضربة سَيْف . وفي قوله كسونا رأسه بالسَّيْف تصوير للمعنى ، وهي فلذة قوي فيها الخيال على الحسّ .

٢٤ حَاجب : هو حاجب بن زرارة أخو لقيط . فَثَوَى أسيراً : أقام في الأسر. السَّوام : الماشية وهي ما رعي من المال .

* أسرنا حاجباً وأقام في الأسر ، ولم نترك لأسرته ما يقوم برزقها .

٢٥ وَجَمْعُ بَني تَميمٍ ، قَدْ تَرَكْنَا نُبينُ سَوَاعِداً مِنْهُمْ وهَامَا

٢٦ وكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ طَوِيلٌ كَمَا أَجَّجْتَ باللَّهَبِ الضِّرَامَا

٢٧ بِدَارِهِمُ تَرَكْنَا يَوْمَ نَحْسٍ ، لَدَى أَوطَانِهِمْ تُسْقَى السِّمَامَا

٢٨ فإِنْ لا يُرْهِقِ الحَدَثَانُ نَفْسِي ، يُؤَدُّوا الخَرْجَ لي عاماً فَعَامَا

٢٩ يُؤَدُّوهُ عَلَى رَغْمٍ صَغَاراً ، ويُعْطُونَا المَقَادَةَ والزِّمامَا

٣٠ فَأَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ جميعَ سَعدٍ ، فَبِيتوا لَنْ نَهيجَكُمُ نِيَامَا

٣١ نَصَحْتُمْ بالمَغيبِ ، ولَمْ تُعينُوا عَلَيْنَا ، إِنَّكُمْ كُنْتُمْ كِرَاماً

٣٢ فَلَوْ كُنْتُمْ معَ ابنِ الجَوْنِ كنتُمْ كَمَنْ أَوْدَى وأَصْبَحَ قَدْ أَلامَا

---

٢٥ بَني تميم : تميم بن مُرّ. نُبين سَوَاعد : نقطع ونفصل منهم . والهامة أم الدماغ ، الرأس .
وقد فرّقنا جمع بني تميم ، وأخذنا نقطع منهم السّواعد والرّؤوس .

٢٦ أجَّجْتَ : أوْقَدت . اللّهب : النّار . الضّرام : الحطب الرّفيع .
* وكان لهم يوم عَصيب لاهب كأجيج النّار ، عندما تُوقد بالحطَب اليابس .

٢٧ يَوْمُ نَحْس : يوم شرّ وشُؤم . السّمَام : جمع سمّ : نبات تحوي ثمرته في غلافها عنصراً مرّاً ومقيئاً .

٢٨ يُرْهق : يدرك . الخَرْج : الخراج أوالفدية .
* إن لم يأخذني المَوْت ، فسأظل أحاربهم حتّى أذلّهم ، وأجعلهم ينقادون إلي ، يؤدون الفدية لي ، عاماً بعد عام .

٢٩ علَى رَغْم : غصباً عن . الصَّغَار : الذل . المَقَادة : القيادة .
* ويسلمونا قيادتهم وزمامَهم ويؤدون الخراج قسراً وذلاً .

٣١ * أنذرتمونا ، ولم تكونوا اضدنا ، وكنتم قوماً كراماً .

٣٢ أوْدى : أصابه الرّدى . ألامَ الرّجُلُ : أتى ما يُلامُ عليه .
* فلوكنتم مع ابن الجَوْن عدوّنا ، لكنتم كمن ذهب للهلاك ، وهوالملُوم على ما أصابه .

وَقَد عَلِمَ المَزْنُوقُ

قال عامر متفاخراً بانتصاره عشية « فيف الريح » :

١ لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا هَوَازِنَ أَنَّنِي ... أَنَا الفَارِسُ الحامي حَقيقَةَ جَعْفَرِ

٢ وَقَدْ عَلِمَ المَزْنُوقُ أَنِّي أَكُرُّهُ، ... عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ ، كَرَّ المُشَهَّرِ

٣ إِذَا ازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الرِّماحِ ، زَجَرْتُهُ، ... وقُلْتُ له : ارجِعْ مُقبِلاً ، غيرَ مُدبِرِ

٤ وأَنْبَأْتُهُ أَنَّ الفِرَارَ خَزَايَةٌ ... على المَرْءِ ، ما لم يُبْلِ عُذراً فيُعذَرِ

٥ أَلَسْتَ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ فِيَّ شُرَّعاً، ... وأَنتَ حِصَانٌ ، ماجِدُ العِرْق ، فاصبرِ

---

١ هَوَازن : قبيلة جامعة ، منها بنو عمر قبيلة الشَّاعر . جَعْفَر : أحد أجداده .

• لقد عَلمت قبيلتي أني أنا الفارس المُدافع عن حقيقة جدي جعفر . والحقيقة هنا بمعنى الفضل والمجد والسّؤدد .

٢ المَزْنُوق : الفرس الَّذي وضع في حنكه الأسفل حديدة ، وهو اسم فرس الشَّاعر ، وقد أكثر من ذكرها في شعره . فيف الرِّيح : مكان كانت الوَقْعة فيه .

• وقد علم فرسي المَزْنوق ، أنني كَرَرْتُه ، يوم فيف الرِّيح ، جهراً وعلناً ، كما يساق الَّذي يشَهَّر به . وفي ذلك تدليل على شجاعته وشُهرته .

٣ ازْوَرّ : مال إلى ناحية ثانية . إرْجعْ مُقْبلا غَيْرَ مُدبر : إرجع مهاجماً ولا تَتَهرّب .

• إذا مال عن الطَّعن رَددتُه إليه ، وجعلته يهاجم ولا يتهرّب . وهذا المعنى قريب إلى معنى دأب عليه عنترة ، إذ يصوّر فرسه وقد أقعى ، وحاول الفرار من دونه ، ليدل على احتدام الموقعة ، وشدة وطأتها .

٤ خزَاية : استحياء . لم يُبْل عُذراً : لم يُبْد عذراً .

• وأخبرته أنّ الفرار عار على المَرْء ، ما لم يُبْد عذراً ، فَيُعْذر .

٥ المُشَرّعَة فيّ : الموجَّهة نحوي . ماجدُ العِرْق : شريف الاصْل .

• ألَسْتَ ترى رماحهم الموجَّهة نحوي ، وأنت فرس شريف الأصل ، فاصبر على الضّيم . ومخاطبة الفرس وتحريضه على الصّمود هو ، أيضاً ، من المعاني المكرّرة في شعر عنترة . وفي هذا البيت إسفاف في العبارة ، وتقرير في الأسلوب ، ممَّا يُفْقده الصّفة الفنيَّة .

٦ أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمُ اللهُ أَنَّني صَبَرْتُ ، وأَخْشَى مثلَ يوْمِ المُشَقَّرِ

٧ لَعَمْري ، وَمَا عَمْري عَليَّ بهَيِّنٍ ، لَقد شانَ حُرَّ الوَجْهِ طعنَةُ مُسهِرِ

٨ فَبئْسَ الفتى ، إنْ كُنتُ أَعورَ ، عاقِرٌ جَبَاناً ، فَمَا عُذري لَدى كلِّ محْضَرِ

٩ وقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَكُرُّ عَلَيْهِم ، عَشيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ ، كَرَّ المُدَوَّرِ

١٠ وما رِمْتُ ، حتَّى بَلَّ صَدْري ونحرَهُ نَجيعٌ ، كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُسَيَّرِ

١١ أَقولُ لِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ، أَقِلِّي المِراحَ ، إنَّني غَيْرُ مُقْصِرِ

---

٦ يَوْمُ المُشَقَّر : يَوْم فَتَكَ كسْرى بأهل المُشقَّر : مدينة هجر .

* أردت حتَّى يعلم الله أني صبرْت وأخشى يوماً عصيباً كيوم المشقر . والصَّبر هنا على احتمال الشدة قبل نيل الثَّار .

٧ مُسْهَر : من يسهر اللَّيْل . وهي اسم علم أيضاً .

* لعمري ، وليست حياتي رخيصة لديّ ، إنّ المرء الَّذي يتأرّق في طلبه للثأر وهمّه به ، يطعن طعنة قوية ، تبقى نُدوبُها في وجه من تصيبه .

٨ * بِئسَتْ حياتي ، إذا قنعت بأن أبقى أعورَ ، عاقراً (وقد كان الشَّاعر كذلك) ـ جباناً عن القتال لا أعْذر بعذر ، إذا نظر القَوْم في أمري .

٩ المُدوّر : الطّواف . الكرّ : الرّجوع إلى القتال .

* يستدرك الشَّاعر بقوله : إلا أنّ القوْم يعلمون أنني لم أتخاذل ، بل كَرَرْت على الأعداء وطوّفت وأحطت بهم ، أطعنهم وأضرب في أعقابهم يوم فيف الريح . وهو يكرر المعنى نفسه الَّذي أوْرَده سابقاً .

١٠ وَمَا رِمْتُ : وما برحت . النَّجيع : الدم الطَّري الأحمر . كَهُدّاب : كهدب الثوب . الدمَقْس : القزّ . المُسَيَّر : المخطط .

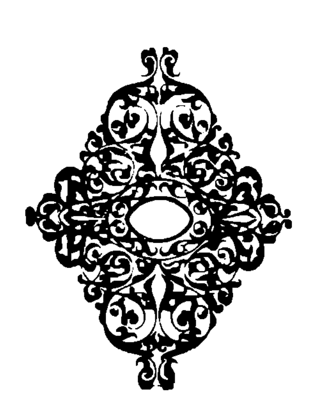
* ولم أبرح القتال حتَّى بَلّ صدري ونحرَ المَزْنوق دم أحمر كالدمَقْس المُخَطَّط . وهذه الصّورة تنطوي على بعض الأجواء الملحميَّة .

١١ المَراح : اشتداد النَّشاط . المُقْصِر : الممسك عن الأمر .

* أقول لنفسي الَّتي عزّ مثيلُها : كِفّي عن المَرح ، فانني لن أتخلّى عن الجُلّى وعن الكرّ والفرّ في وجه الأعداء .

١٢ فَلَوْكَانَ جَمْعاً مِثْلَنَا ، لَمْ يَبُزُّنَــــا ، ولَكِنْ أَتَتْنَا أُسْرَةٌ ، ذاتُ مَفخَـرِ

١٣ أَتَوْنَا بشَهْـرَان العَـرِيضَـةِ كُلِّهَـا ، وأَكْلُبَ طُـرّاً في جِيَـادِ السَّنَــوَّرِ



---

١٢ لَمْ يَبُزُّنَا : لم يَغْلِبْنَا ، أسْرة الرّجُل : عائلته ورهطه . الأدنُون منْه . أسْرَة ذاتُ مَفْخَر : أي عددها كثير .

* فلوكان عدد أعدائنا مثلنا ، لم يغلبونا ، لكن أتَتْنا أسرة ذات عدد كثير .

١٣ شَهْران : هوشَهْران بن عَفْرس ، أويقصد فرسان العريضة . طُرّاً : كُلاّ . السَّنَوّر : الدرع .

* أتونا بفرسان العريضة الصّناديد ، وكلّهم مُدجّجُو السّلاح على جياد مُطَهّمة .

لاَ أَرْهَبُ المَوْتَ

١	رَهِبْتُ ، وما مِنْ رَهبةِ المَوْتِ أَجزَعُ ،	وعالَجتُ هَمّاً كنتُ بالهمِّ أُولَعُ
٢	وَلِيداً ، إلى أَنْ خالَطَ الشَّيْبُ مَفرَقي ،	وَأَلبَسَني مِنْهُ الثَّغَامُ المُنَزَّعُ
٣	دَعَاني سُمَيْطٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَعْوَةً ،	فَنَهْنَهْتُ عَنْهُ ، وَالأَسِنَّةُ شُرَّعُ
٤	وَلَوْلاَ دِفاعي عَنْ سُمَيْطٍ وكَرَّتي ،	لَعَالَجَ قِدّاً قَفْلُهُ يَتَقَعْقَعُ
٥	وأَقْسَمْتُ لاَ يَجْزِي ، سُمَيْطٌ بِنعمةٍ	وكَيْفَ يُجازيكَ ، الحِمَارُ المُجدَّعُ
٦	وأَمكَنَ مِنِّي القَوْمَ ، يَوْمَ لَقِيتهُمْ	نَوَافِذُ ، قد خالَطْنَ جِسميَ أَرْبَعُ
٧	فَلَوْ شِئتُ نَجَّتْني ، سَبوحٌ طِمِرَّةٌ	تَحُكُّ بخَدَّيْهَا ، العِنَانَ وتَمزَعُ

---

١ ، ٢ خَالَطَ الشَّيْبُ مَفْرَقي : أنتشر الشَّيب في شعر رأسي . الثَّغَام : شجر أبيض يشبّه به الشَّيب .

* يقول : لقد شعرت بالرَّهْبة ، لكنني لم أرهب الموت ، إشارة إلى شجاعته ، بل أنني تصديْت لكلّ أمْرعظيم ، عسير ، منذ كنت وليداً ، حتَّى هرمت وكسا الشَّيْب بمفرقي بمثل الزَّهر الأبيض .

٣ نَهْنَهَ : زَجَر ، والأسنَّة شُرَّع : والرِّماح مشرّعة ومسددة .

* دعاني سميط ، يوم ذلك ، لأدافع عنه ، فأبعدت عنه الرِّماح المشرعة ، وانقذته من الهلاك .

٤ قَفْلُهُ : ما يبس منه أوما كان صلباً . القدّ : السَّوْط .

* ولولا دفاعي عنه ، وهجومي على أعدائه ، لعالج قداً صلباً يابساً ، أي لكان انهزم ودحرَ .

٥ المَجْدوع : المقطوع الأنف والأذن .

* وأقسمت أن سميطاً لا يُجْزي بنعمة ولا يُقرّ بفضل ، وكيف يكافئك الحمار المجدوع الأنف والأذن .

٦ أمْكَنَ منّي القَوْم : تمكّنوا مني . نَوَافذ : طَعَنات .

* ولقد جعل القوم يتمكنون مني بطعنات أربع في جسمي .

٧ سَبُوح : فرس يجري جريان الماء .

* لو شئت الفرار لنجَّتْني فرس سبوح وثَّابة ، تحكّ العنان بخديْها لنشاطها * تمرّ في عدوها مرّاً سريعاً .

مَاسَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ

أُمِّر عامر على قبيلته ، بعد أن أسنّ عمه أبو البراء ، الملقّب بملاعب الأسنّة . ويبدو أنّ العربيّ كان يأنف من اتّخاذ السّلطة بالوراثة ، إذ قد يضائل ذلك من شأنه وقدره ، كأنه لا فضيلة له في اكتسابها . وعامر يحرص في معظم قصائده ، على التأكيد بأنه ولي بني قومه لقوّة ساعده ، وشدته في الحروب ، وذوْده عن حياض القبيلة :

١ تَقولُ ابنَةُ العَمـريِّ مـا لَكَ بَعْدَمـا ... أَراكَ صَحِيحاً ، كالسَّليمِ المُعَذَّبِ

٢ فَقُلْتُ لَهَا : هَمِّي الَّـذِي تَعْلَمِينَـهُ ... من الثَّأر في حَيَّيْ زُبَيْـدٍ وأَرْحَبِ

٣ إنِ اغْزُ زُبَيْداً ، أَغْزُ قَوْمـاً أَعِـزَّةً ، ... مُرَكَّبُهُمْ في الحَيِّ خَيْـرُ مُرَكَّـبِ

٤ وإنْ أَغْزُ حَيَّيْ خَثْعَـمٍ فَدِماؤهـمْ ... شِفَاءٌ ، وَخَيْرُ الثَّـأْرِ للمُتَـأَوِّبِ

---

١ إبْنة العمْريّ : لعلّها زوجته . السَّليم : المَلْدوغ ، وقيل له سليم : تفاؤلا بالسَّلامة .

* تخاطبه زوجه وتقول : مالي أراك قلقاً ، شديد العَذاب ، كمن لَدغَتْه الأفْعى ، وكنت ، من قبل ، صحيحاً ، معافى .

٢ زُبَيْد وأرْحَب : حيّان من اليمن .

* يجيب الشّاعر بقوله : إنّ ما أعاني من همّ ظاهر ، يلازمني لعجزي عن الثّأر من حَيَّيْ زُبَيْد وأرْحَب .

٣ مُرَكَّبُهُم : أصْلُهم . مُرَكَّبُهُم : هنا للقول : أنّهم شرفاء الأصل .

* إن أغزُ زُبَيداً أغزُ قَوْماً شريفي الأصْل والمنبت ، وهم خيرة القَوْم في الحيّ . وهو هنا يرفع من شأن أعدائه ليظهر بأسه .

٤ المتأوب : الّذي يعود لأخذ ثأره ، خَثْعَم : حيّ في اليمن .

* وإن أغزْ حي خَثْعَم ، فانّ دماءهم هي التي تَشْفي غليلنا ، وخير الثّأر هو للمتأوّب الّذي لا يبرح حتّى يبوء به أي يأخذه .

٥ فَمَا أَدْرَكَ الأَوْتَارَ مثلُ مُحَقِّقٍ ... بأَجْرَدَ طَاوٍ ، كالعَسيبِ المُشَذَّبِ
٦ وَأَسْمَرَ خَطِّيٍّ ، وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ ، ... وَزَعْفٍ دِلَاصٍ ، كَالْغَدِيرِ المُثَوَّبِ
٧ سَلَاحُ امْرِيءٍ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ ، ... طَلُوبٌ لِثَأْرَاتِ الرِّجالِ مُطَلَّبِ
٨ فَإِنِّي وإِنْ كُنْتُ ابنَ فَارِسِ عَامِرٍ ، ... وفي السِّرِّ مِنْهَا ، والصَّرِيحِ المُهَذَّبِ
٩ فَمَا سَوَّدَتْني عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ، ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ ولا أَبِ
١٠ وَلَكِنَّني أَحْمِي حِمَاهَا ، وأَتَّقي ... أذاها ، وأَرْمي مَنْ رَمَاهَا بِمِقْنَبِ

---

٥ الأَوْتَار : جمع وتْر ، أي الانتقام . الأَجْرَد : الفرس القليل الشَّعْر . المُحَقّق : المؤكد للشَّيء ، الموجب . العَسيب : السّعفة . الطَاوي : الضّامر . المُشَذب : الجذع المقشور . من العقد والشّوك .
* يقول : إنّ المرْء لا يدرك ثأره إلاّ إذا امتطى له فرساً أجرد ،ضامراً كالسّعفة المشذبة أي لا يحقّق أمانيه إلاّ من يسعى دونها .
٦ الخَطّي : الرّمح ينسب إلى جزيرة الخطّ في البحرَيْن . الزّعْف : الدرع الرقيقة النَّسج . دلاص : ليّن لمَّاع . المُثَوب : الّذي تصفقه الرّياح ، فيذهب ويجيء .
* يستكمل معنى البيت السَّابق ، ويقول : لا ينال الثأر إلاّ من ينتضي له رمحاً خطياً ، وسيفاً أبيض حاداً ، ودرعاً لماعاً كالغدير الّذي تتلاعب به الريح .
٧ وهذه كلّها سلاح في يد امرئ يعرف النّاس منها أنه طلوب للثّأر ، لا يسكت ، ولا يخلد إلى ضيْم مهما كان أخصامه أقوياء .
٨، ٩ في السّرّ منْها : أي في أفضلها . الصّريح : الصّافي الأصل . المُهَذب : النّقي من العيوب .
١٠ أرْمي من رماها : أهاجم أعداءها . المقْنَب : جماعة الخَيْل الّتي تجتمع للغارة .
* يقول في الأبيات الثّلاثة : إنني لا أكتفي بأن أذكو بحسبي وانتمائي الصّريح الشّريف إلى بني عامر ، بل إنني أدافع عن قبيلتي وأتصدى لمن يتعرّض لها بشرّ أو أذى .

القِرْنُ القَتِيلُ

قال هذه الأبيات ، متغنّياً بأحد انتصاراته على بني عَبْس ، حَيْث حَمَل عنترة على الفرار مخلّفاً عبلة وراءه :

١ يا رُبَّ قِرْنٍ ، قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً ، ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ ، رَأْسِ حيٍّ ، جحفَلِ

٢ وَتَرَكْتُ نِسْوَتَهُ لَهُنَّ تَفَجُّعٌ ، يَنْدُبْنَهُ ، أُصُلاً ، بِنَوْحٍ مُعْوِلِ

٣ مِنْ آلِ عَبْسٍ ، قد شَفَيْتُ حَرَارَتي ، وغَنِمْتُ كلَّ غَنِيمَةٍ لمْ تَضْهَلِ

٤ ونَجَا بعَنْتَرَةَ الأَغَرُّ مِنَ الرَّدَى ، يَهوي على عَجَلٍ هُوِيَّ الأَجدَلِ

٥ وَتَرَكْتَ عَبْلَةَ في السَّوَاءِ لِفِتْيَةٍ ، بَاتُوا على كُتُفِ الخُيولِ الجُوَّلِ

٦ رَاحُوا بِهِنْدٍ ، والوَجِيهَةِ عَنْوَةً ، يَوْمَ الوِقاعِ ، على نَجائِبَ ذُمَّلِ

---

١ قِرْنُهُ في القتَال : نده في الحرب ، مُجَدلا : مصروعاً . الدسيعَة : الخُلق . جَحْفَل : غليظ . ضَخْم الدسيعة : شديد القوّة .

* كم من سيّد عظيم ، ندّ لي في القتال ، ضخم ، غليظ الرأس ، تركته مصروعاً .

٢ تَفَجَّع : توجّع . أُصُلا : عشيّاً . المُعْول : الّذي يبكي بصوت عال .

* وتركت نسوته يتوجَّعْن ، ويندبْنَه في العِشاء ببكاء وعويل .

٣ تَضْهَل : تجتمع . شَفَيْتُ حَرَارَتي : شفيت غلّي .

* من آل عَبْس قد شفيت غلّيّ ، وغنمْتُ كُلّ غنيمة غير نَزْرة .

٤ الأغرّ : فرس في وجهه غرّة ، أي بياض . الرّدى : الهلاك . الأجْدل : الصّقر .

* ولم يُنْقذ عنترة من الهلاك ، إلاّ فرسه الأغرّ الّذي يمضي بسرعة انقضاض الصّقور .

٥ السَّواء : الوسط . كُتُف الخيول : أكتاف الخيول .

* وتركْتَ عبلة في الوسط لفتية ، يقضون نهارهم وليلهم ، على الخيول المتجوّلة ، أي تركتها للفرسان .

٦ الوَجيهَة : إمرأة . عَنْوَة : قهراً وقسراً . يَوْمَ الوقَاع : الوقيعة . نَجَائب : جمع نجيبة ، إبل كرام . ذمّل : النياق تسير سيراً ليّناً .

* يقول : إن أولئك الفرسان سَبَوا أيضاً هنداً وامرأة أخرى في يوم الوقاع ومضوا مسرعين . والشّاعر هنا يظهر العار الّذي ألحقه ببني عَبْس .

دُرَيْدُ بْن الصَّمَّة

دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّة

۰۰۰۰ ـ نحو ۸ هـ.

هو دريد بن الصِّمَة ، والصِّمَّة لقب أبيه ، ونسبه يعود إلى هوازن من قَيْس عيلان .

فارس شجاع ، عده إبن سلاّم ، على رأس الطَّبقة الأولى من الشّعراء الفرسان . وقد كان أطولهم غزواً ، وأبعدهم أثراً ، واكثرهُم ظفراً ، وأيمنَهم نقيبة عند العرب . وكان لدرَيْد إخوة أربعة ، وهم عبدالله ، وعبد يَغُوث ، وقَيْس ، وخالد ، قتلوا جميعاً ، في الغَزَوات والحروب ، مّمَا أثار في نفسه حسّ الفجيعة والمَوْت ، وجعله يؤمن بأن قدرَ القتل قُسم لهم وكُتبَ عليهم . فهم بين قتيل وثائر ، لا يقرّ لهم قرار ولا يهدأ بهم مقام . وقد آلى دريد على أن يَثْأر من واتريه بنفسه ، وأقسم ألا يكتحل ، أو يَدَّهن ، أو يَمسّ طيباً ، أو يأكل لَحْماً ، أو يشرب خَمْرة ، حتّى يدرك ثأره ، مُنْفقاً عمره من غزوة إلى غزوة ، منكّلا بالأعداء ، سافحاً دماءهم ، دون أن يروي غُلّه ، إذ لم يكن يعدل بدم إخوته دماً . وقد رثاهم بشعر جريح شَجيّ ، تسيلُ فيه دموع مُلَوّعة ، وتتوالد الصّور الفاجعة ، المشبّعة ، بالحنين والإفتقاد . ورثاؤه أعمق معنى ، وأوسعُ تجربة من رثاء المهلهل ، إذ لم يكن حزناً إنفعالياً مُعْولا ، كحزن المهلهل بل داخلياً يوغل إيغالا في الوجدان ، وبكاء صَادقاً ينهمر من النَّفس ، قبل المآقي . لقد كان درَيْد فارساً ، ولكنَّه فارس ملفّع بالسَّواد .

أمَّا مفاخره ، فهي مُشْبعة بالتهديد والوعيد ، يتخلّلها التعبير عن نشوة الإنتصار في لحظات قليلة ، لكنَّها لا تدرك الصّفاء الفنّي الَّذي أدرَكَهُ في بعض مراثيه ، إذلا يصفو ولا يتآلف نغمها ، ولا تَتكَاثَف صورها ، ولا تَتَّصلُ بينبوع الحَقائق فيضمير النَّفْس ، بل تسفحُ ذاتَها ، كمعظم شعر الفخر ، بالمعاني الَّتي تُثيرُ الطَرَبَ والدهشة والإعجاب . وقد يلجأ إلى نوع من الهجاء المتسّم للْفَخر ، فلا يُفْحش فيه ولا يُقْذع ، بل يقتصر على نَوْع من التأنيب والتقريع والعتاب إلاّ أنّه لم يتفرّغ للوصف ، إلاّ في فَلَذات قليلة ، لأنّ شعر الوتر والألَم ، يقتصر على المعاني والأفكار ، فلا يفطن إلى ما دونها من مظاهر العالم الخارجيّ ، ولا يتفرّغ للتّحديق بمعالم الأشياء ، لينقل صُوَراً باطنيَّة جديدة لها .

أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ

نشهد في هذه القصيدة الشَّجْوالوجداني الَّذي سنشهده في داليَّته ، وذلك الإحساس العميق بقدر المَوْت ، يختطف أشقَّاء الشَّاعر الواحد إثر الآخر . فهم يُنْفقون عمرهم موتورين ، طالبين للثَّأر . وفضيلة دريد في معظم شعره ، هي فضيلة الهدوء في الانفعال ، يحوّله إلى آراء وخواطر في الحياة والمَوْت . الانفعال في شعره ، يغذي الفكر ، ويعمّقه ويمنحه بُعد الرّؤية ، ويستمدّ منه الرّصانة والحديَّة ، كأن الشَّاعر يحوّل أفكاره إلى مشاعر أو مشاعره إلى أفكار :

١ تَقُولُ : أَلاَ تَبْكي أَخَاكَ ، وَقَدْ أَرَى ... مَكَانَ البُكَا . لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ

٢ فَقُلْتُ : أَعَبْدَ اللهِ أَبْكِي ؟ أَمِ الَّـذِي ... لَهُ الجَدَثُ الأَعْلَى ، قَتِيلُ أَبِي بَكْرِ

٣ وَعَبْدُ يَغُوثٍ ، تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَـهُ ... وَعَزَّ المَصَابُ ، حَثْوُ قَبْرٍ عَلَى قَبْـرِ

٤ أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّـةَ أَنَّهُـمْ ... أَبَوْا غَيْرَهُ ، والقَدْرُ يَجْرِي إلى القَدْرِ

٥ فَإمَّا تَرَيْنَا لاَ تَـزَالُ دِمَـاؤُنَـا ... لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِـرَ الدَّهْـرِ

---

١ * تقول : ألا تبكي أخاك ؟ والبُكاءُ حَقٌ في هذه الفاجعة ، ولكنّي ألفْتُ الصَّبْرَ على المصائب .

٢ الجَدَثُ الأعْلَى : القَبْرُ الأعلى . قَتيلُ أبي بَكْر : أخوه قيس ، قتله بنوكعب بن أبي بكر.

* قلت : إلى من أتَّجه بالبكاء ، ومن أخُصّ به ؟ عبدالله أم قيس المَدفُون في الجدث الأعلى ، قتيل أبي بكر بن كلاب .

٣ عَبْدُ يَغُوث : أخودرَيْد قتله مجمع من مزاحم من بني يربوع . تَحْجل : تقفزعلى مهل

* وعبد يغوث ، والطَّيْر تقفز رُوَيْداً حول قبره ، وقد عزّ المَصاب بكَونه يجمع قبراً إلى قبر . وذكره للطَّيرالَّتي تحجلُ فوقه ، هو تمثيل للمكان الخالي الذي يقيم فيه قبره .

٤ والقَدْرُ يجْري إلى القَدر : كما قَدروا القَتْل قُدرالقَتْل لهم .

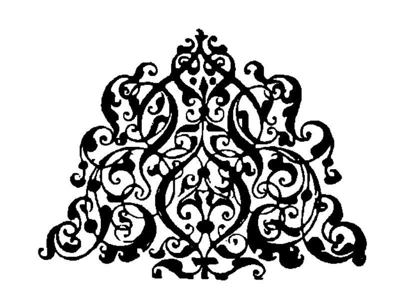
* أبى الموت أن يأتي آل صمَّة ، إلاّ قتلا . وهم أرادوا القتال والقَتْل ، فبلغوا ذلك المصير .

٥ * ترين أبداً دماءنا عنْدَ من قَتَلْنا له قتيلا . فهو ، دوْماً ، يطالبنا بدمه ، ويسعى بما يطلبه من دمائنا .

٦ فَإِنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ ، غَيْرَ نَكِيـرَةٍ ، وَنُلْحِمُهُ حِيناً ، وَلَيْسَ بِذِي نُكْـرِ

٧ يُغَارُ عَلَيْنَا ، وَاتِرِينَ ، فَيُشْتَفَـــى بِنَا ، إِنْ أُصِبْنَا ، أَوْ نُغِيرُ عَلى وِتْـرِ

٨ قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ ، شَطْرَيْنِ بَيْنَنَـا فَمَا يَنْقَضِي ، إِلاَّ وَنَحْنُ عَلى شَطْرِ



---

٦ * إنّ لحمنا طُعْمَة للسَّيف ، تارة ، كما أنّنا نُطْعمُه من لحم غيرنا ، احياناً وليس ذلك فينا ومنَّا بمُنْكر .

٧ وَاترين : هي حال للضّمير علينا . يُشْتفى بنَا : يُشْفي غليله منَّا .

* يهاجموننا ، تارة ، فان أصابونا ، فقد أخذوا بثأرهم ، ونغيرُ نحن عليهم ، لثأرلنا عندهم .

٨ * قسمنا الدهرَ شطرَيْن بينَنا ، وبين أعدائنا ، فلا ينقضي شيء منه . إلا ونحن فيه على أحد الحدَّيْن ، إما علَيْنا وإما لنا .

هذه الداليَّة الرثائيَّة ، هي أفضل شعر درَيْد ، يعرض فيها لتقريع بني قومه وتعداد مآثر أخيه ووصف مقتله وجزعه عليه . وهي تنطوي ، كذلك على مواقف إنسانيَّة في النّصح والشّورى والبطولة ، وفاجعة الموت وحتميَّته ، دون أن يتخلَّى الشَّاعر فيها عن حماسته ، واندفاعه في سبيل الثأر.

إلاّ أن قيمة هذه القصيدة ، لا تقتصر على معانيها ، بل تكاد أن تنحصر بذلك الشَّجو الغنائي الَّذي يغمر الأفكار . والألفاظ والصّور ، بغلالة وجدانيَّة ، نستشفّ من خلالها الألم الَّذي تسيل دماؤه الفاجعة بصَمْت ، وتلك الوحشة العميقة المَبْثُوثة في حنايا الأبيات ، لا تصيح ، ولا تعول ، ولا تلتطم ، ولا تثير معالم الطَّبيعة ، ولا تحرّك عناصرها بالنَّزْوة والنَّزق . إنّ الألم الَّذي يعبّر عنه دريد هو ألم العقل الواعي ، ألم الإنسان الشَّاعر بعدم جدوى النَّحيب ، بالعجز أمام القدر المحتوم . فيصعّد أنينَه الأصمّ الحائر ، ويمضي في مسيره . يكافح ويجالد ، وإن كان الشّعور بالهزيمة يلازم نفسه .

وهذا هو الفارق ، بين رثاء المُهَلْهَل والخَنْساء . ورثاء درَيْد . لقد كانا يشعران بالفجيعة ، في حدود الغريزة والقَلْب . تطفر في أعصابهما طفرة معولة عمياء . أمَّا درَيْد ، فقد كان يعانيها بروِيّة العقل الَّذي تغور وتعمق فيه الآلام ، بدلا من أن تسفح ذاتها وتجهض بالشّعائر الخارجيَّة الصّاخبة ، وألمه الواعي المكبوت ، هو أعمق إنسانية وأشدّ حدة من الألم الحماسيّ الثّائر ، الَّذي يخرج عن حدوده ، فيفقد رصانته وجديَّته ، وبالتَّالي إنسانيته :

أَخِي ابنُ أُمِّي

١ أَرَثَّ جَديدُ الحَبْلِ ، مِنْ أُمِّ مَعْبَـدِ بعاقبةٍ ، أَمْ أَخْلفَتْ كلَّ مَوْعِـــدِ؟

٢ وبانَتْ ولم أُحْمِدْ ، إليكَ جِوارَها ، ولم تَرْجُ فينا ، رِدَّةَ اليومِ أَو غَـــدِ

٣ أَعاذِلَ إِنَّ الرُّزْءَ ، في مثـلِ خَالِـدٍ ولا رُزْءَ ، فيما أَهْلَكَ المرءُ عن يَدِ

٤ وَقُلْتُ لعَرَّاضٍ ، وأَصحـابِ عارضٍ وَرهْطِ بَني السَّوداءِ والقومُ شُهَّدِي

٥ عَلانِيةً : ظُنُّوا بـأَلْفَيْ مُدَجَّـجٍ سَرَاتُهـمُ في الفَـارِسِيِّ المُسَرَّدِ

---

١ أرثّ : أخلق . بعَاقبَة : بآخرة ، وعاقبة كلّ شيء : آخره .
يستفهم مستنكراً وكأنه يقرر ويقول منذراً : عزمَت أم معبد على قطع وصالنا . ممَّا ينذر بشرّ العاقبة ، بعد أن أخلَفْت كلّ موعد .

٢ الرّدة : الرّجوع .

* يقول : إنَّها بَعُدتْ ، دون أن أنال منها مَنَالا يجعلني أحمد في النَّاس جيرتها ، كما أنَّها ظلَّت تُصَدعُني ، دون أن تدعَني آمل منها وصلا قريباً ، أوغير قريب .

٣ خَالد : إمَّا أخوه خالد بن الصمَّة الَّذي قتله بنوالحارث بن كعب ، أوعمّه خالد بن الحارث ، أخو الصمَّة بن الحارث الَّذي قتله بنو أحمس .

* يخاطب العاذل ويقول : إنّ الرزء هو في فقد الرّجال الشّجعان ، أمثال خالد ، وليس في هَلاك المال .

٤ عارض : هو أخُو درَيْد ، وكانت له ثلاثة أسماء : عَارض . وعبدالله ، وخالد . القَوْمُ شُهدي : أي شُهودي على أنّي قد نهيتهم .

* ولقد نصحت عارضاً وأصحابه ، وجماعة من بني السَّوداء ونهيتُهم في مشهد من القوم .

٥ عَلانية : جَهْراً . ظَنّوا : أيْقنوا . المُدجَّج : التَّام السلاح . سُرَاتهم : أشرافهم ورؤساؤهـم . الفَارسي : درع من بلاد فارس . المُسَرّد : المحكَّم النَّسج أوالدقيق الثّقب .

* وإني قد نصحتهم . وهم حاضرون . يستمعون إليّ . وقلتُ لهم : إنّ ألفَيْ مقاتل ، يتربَّصُون بهم الدوائر . وأشرافهم مُسَلَّحُون بدروع فارسيَّة ، دقيقة الصَّنع ، أي أنَّه مثَّلَ لهم عظَم ما سيلقونه من أعدائهم .

٦ أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ، فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ ، إلاَّ ضُحَى الغَدِ

٧ فَلَمَّا عَصَوْنِي ، كنتُ منهم ، وقد أَرَى غَوَايتَهمْ ، وأَنَّنِي غيرُ مُهتَدِ

٨ وما انا إلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ ، إنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

٩ وإنْ تُعْقِبِ الأَيامُ ، والدَّهْرُ تَعْلَمُوا بَنِي قاربٍ ، أَنَّا غِضَابٌ بِمَعْبَدِ

١٠ دَعَانِي أَخِي ، وَالخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلمَّا دَعَانِي ، لَمْ يَجِدْنِي بِقَعْدَدِ

١١ أَخِي أَرْضَعَتْنِي ، أُمُّهُ بلِبَانِهَا بِثَدْيِ صَفَاءٍ ، بَيْنَنَا لَمْ يُجَدَّدِ

١٢ تَنَادَوْا فَقَالُوا : أَرْدَتِ الخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ : أَعَبْدَ اللهِ ، ذٰلِكُمُ الرَّدِي

١٣ وإن يَكُ ، عَبْدُ اللهِ خَلَّى مكانَه ، فما كان وَقَّافاً ، ولاَ طَائِشَ اليَدِ

---

٦ اللِّوَى : مكان الوقعة الَّتي قتل فيها عبدالله أخو درَيْد .

* نصحْتُهم وحذرتهم ، ونحن في منعرج اللِّوى ، فلم يدركوا صدقَ قوْلي ، ويعودوا إلى رشدهم ، إلاّ صباح اليوم التَّالي .

٧ * فلمَّا لم يستمعوا إلى نصيحتي ، أقَمْتُ معهم على كُرْه منّي ، وأنا أعْرفُ أنَّهم مخطئون .

٨ غَزِيَّة : غزّية بن جشم : قبيلته ، غَوَتْ : ضَلَّت .

* وما أنا إلاّ من بني غَزِيَّة بن جشم ، إنْضَلّ القومضَلَلْتُ معهم ، وإن اهتدوا اهتديتُ . فأنا معهم في الخَيْروالشَّر. وفي هذا البيت ، تَتَجَلَّى العصبيَّة القبليَّة غايةَ التَجَلّي .

٩ تُعْقب الأيَّام : تمّروتأتي أعقابُها . مَعْبَد : يعني أخاه عبدالله .

١٠ القَعْدد : الجَبَان اللئيم .

* يقول : إنَّه هرع إلى القتال ، دفاعاً عن أخيه ، ولم يكن له قبَل بالقعود عنه . وفي هذا البيت تبدو عاطفة الأخوّة بأصفى أبعادها الوُجدانيَّة .

١١ * يتحدث عن أخيه ، ويمثّل الفاجعة به ، متذكّراً أنَّهُما رضعا ثَدياً واحداً ، واستقيا منه المَودة والصَّفاء .

١٢ أرْدت : أهْلَكت . الرَّدى : الهَلاك ، الموت .

* صاحوا قائلين : لقد هلَكَ منَّا فارس . فَقُلْتُ : أعَبْد الله ذلكم الهَالك . (وقد دعاه إلى ذلك القول علْمُه باقدامه على الحرب ، أوْكأنَّه كان يتوجَّس ذلك تَوَجّساً ، ويقلق به ويتوقّعه) .

١٣ خَلَّى مَكَانَه : مات . الوَقَّاف : المُحْجم عن القتال . طَائِشُ اليَدْ : لا يُصيب إذا رَمى .

١٤ ولاَ بَرَماً ، إذا الرِّيَاحُ تَنَـاوَحَـتْ بِرَطْبِ العِضَاهِ والضَّرِيعِ المُعَضَّـدِ

١٥ كَمِيشُ الإزَارِ ، خارجٌ نِصْفُ ساقِهِ صَبُورٌ عَلَى العَزَّاء ، طَلاَّعُ أَنْجُـدِ

١٦ رئيسُ حُرُوبٍ ، لاَ يَـزَال رَبِيئـةً مُشِيحاً على مُحْقَوْقِفِ الصُّلْبِ ، مُلْبَدِ

١٧ صَبُورٌ على رُزءِ المصـائِب ، حـافظٌ من اليومِ أَدْبَارَ الأَحاديثِ ، في غَدِ

١٨ صَبَا ما صَبَا حتى عَـلاَ الشَّيْبُ رأْسَه ، فَلَمَّا عَلاَهُ قَالَ للبَـاطِلِ : ابْعُـدِ

١٩ وَهَوَّنَ وَجْدِي ، أَنَّني لم أَقُـلْ لَـه كَذَبْتَ ، ولم أَبْخَلْ بما مَلَكَتْ يَدِي

---

* يشرع في هذا البيت بتعداد مآثر أخيه ، ويقول : إنَّه وإنْ مات ، فهو لم يكن جَباناً ، مَخْذولا في الحرب ، بَلْ كان مقداماً ، صائبَ الرَّمْي والطَّعْن .

١٤ بَرَماً :ضَجِراً . تَنَاوَحَتْ : تقابلت في المَهَب . العِضَاه : جمع عضاهة ، ما عظم من شجر الشَّوك . الضَّريع : نبْت في الحجاز له أشواك كبار . المُعَضَّد : المقطَّع .

* ولا هو ضيِّق الصَّدر ، إذا اشتد هبوب الرياح ، وتناوحت بشوك شجر العضاه ، والضريع المقطَّع ، أي أنَّه ألفَ احتمال الشدة .

١٥ الكَميش : السَّريع في أموره . كَميش الإزَار : مشمَّر . العَزَّاء : الشدة . طَلاعُ أنْجُد : ركاب لصعاب الأمور . الأنْجَد : جمع نجد ، مرتفع من الأرض .

* كان مشمَّر الثياب ، مكشوف السَّاق ، صبوراً على الشدة ، رَكَّاباً لصعاب الأمور ، وفي هذا البيت تكثر النَّعوت ، كما هو مأثور في الرِّثاء القديم .

١٦ رَبيئَة : الطَّليعة . المُشيح : الجَاد . مُحْقَوْقِـف : المُعْوَجّ . المُلْبَد : فرس شد عليه لبد السرج .

* كان قائداً في المعارك ، يمشي دائماً في الطَّليعة ، ينظر للقوم ، لئَلا يداهمهم العدو ، وهو على فرس ملبد .

١٧ صبور على رزء المصائب : قليل التشكّي .

* يقول : إنّ أخاه كان صَبُوراً على النَّوائب الَّتي تصيبه ، يتوقَّى فيما يتصرفَّ به وينزع إليه ، كي لا تناله أحاديث السّوء ، فيما بعد .

١٨ * تعاطى اللهو واللَّعب ما دام صَبيّاً ، فلمَّا اكتهل وظهر الشيب في رأسه ، نحى الباطل عن نفسه .

١٩ هَوَّنَ وَجْدي : طَيَّب نفسي .

* عزَّى وجدي وأراحني ، كوني لم أجافه ، ولم أبْخل عليه حتَّى بمالي .

٢٠ وَكُنْتُ كَأَنِّي واثِقٌ بمُصَدَّرٍ، يُمَشِّي بأكنافِ الحبيب ، فمَحْتِدِ
٢١ غَدَاةَ دَعَانِي ، والرِّمَاحُ يَنُشْنَهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ
٢٢ وَكُنْتُ كَذَاتِ البَوِّ ، رِيعَتْ فأَقْبَلَتْ إلى جِذَمٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُجَلَّدِ
٢٣ فَطَاعَنْتُ عنه الخَيْلَ ، حَتَّى تَبَدَّدَتْ وَحَتَّى عَلاَنِي حَالِكُ اللَّوْنِ ، أَسْوَدُ
٢٤ طِعَانَ امرِيءٍ آسَىٰ أَخَاهُ بنفسِه ، وأَعْلَمُ أَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

---

٢٠ المُصَدر : السَّابق من الخَيْل . الأكْنَاف : النَّواحي . الحَبِيب : موضع . مُحْتد : موضع .
* كنت على ثقة ، أنّ أخي يتصدر الخَيْل ، ويمشي قرب وادي حبيب ومحتد . أيّ أنَّه لا يهاب الموت ، بل يتقدم الجميع في مقام البطولة .
٢١ يَنُشْنَه : يتناولنه . الصَّيَاصي : جمع صيصية ، شوكة يمرها الحائك على الثوب حين ينسجه .
* ساعةَ دعاني أخي ، كانت الرّماح تتناوله ، ولها خشخشة ووقع كوقع شوكة الحائك على ثوب النَّسيج ، ولعلّ إشارته إلى كثْرة الرّماح . هي نوع من التعظيم لأخيه ، بكثْرة السّلاح الذي تداوله به العدوّ لينالَه .
٢٢ البَوّ : ولد النّاقة ويُحْشى جلده تُبناً لتعطف عليه ، فَتَدر لَبَناً . ريعت : فَزِعت . جذم : جمع جذمة ، القطعة . المَسْك : الجلد . السَّقْب : ولد النّاقة . المجَلَّد : المسلوخ .
* يتشبّه في هذا البيت ، بالناقة الثّاكل الّتي تطيف بالبوّ ، وقد حشي تبناً . يصف بذلك لوعته ، إلاّ أنّه لا يتمطى بالمعنى ، ولا يستطرد فيه كالخنساء ، فكأنّه يرى أن التفجع لَيْس حقيقاً بالفارس .
٢٣ أسْوَد : بالرّفع ، وهو إقواء .
* فدافعت عنه ، وأخذت أطعن الأعداء ، حتّى تبددوا ، وقد عَلاني لون حالك السّواد من أثر الدماء والغبار . وفي البَيْت إقواء . وكأن الشّاعر يحاول أن يبرر موقفه من قتل أخيه ، مشيراً إلى أنّه لم ينتكص ولم يتخل عنه ، بل ظلّ يطاعن الخيل ، حتّى أضني وأدركه الهلاك .
٢٤ * طاعَنْتُ عنه طعان امرئ يحاول أن يُفَرِّجَ عن أخيه بمَا يبذله من نفسه ، بالرّغم من أنّني أعلم أنّ الموت حُتّمَ على الأحياء ، وفي هذا البيت يشرع الشَّاعر بالتعزّي والتأمُّل .

٢٥ وَهَوَّنَ وَجْدِي ، أَنَّمَا هُوَ فَـارِطٌ أَمَامِي ، وَأَنِّي وارِدُ اليَوْمِ أَوْ غَدِ

٢٦ وَغَارةٍ بينَ اليـومِ واللّيْـلِ فَلْتَـةٍ تَدارَكْتُهَـا رَكْضـاً بِسِيدٍ عَمَـرَّدِ

٢٧ سليم الشَّظَا ، عَبْلِ الشَّوَى ، شَنِج النَّسَا طَويلِ القَرَا ، نَهْد ، أَسِيلِ الْمُقَلَّـدِ

٢٨ ويُخْرِجُ مِنْهُ صَرَّةُ القَـوْمِ مَصْدَقاً ، وطولُ السُّرَىٰ دُرِّيَّ عَضْبٍ مُهَنَّـدِ

---

٢٥ الفَارِط : السّابق .

* ومما طيّب نفسي ، وهدأ من ثورتي ، أنّه إذا كان أخي السّابق إلى الموت ، فأنا اللاّحق بـه اليَوْمِ ، أوغداً ، فكأنَ درَيْد كان يشعر انّه على موعد لقاء مع أخيه ، عندما يحين أجله . وفي هذا البيت يظهر استسلامه لقدر الموت وحتميّته .

٢٦ اليَوْم : هنا النّهار فقط : فَلتَة : ساعة كان العرب يغيرون ويهاجمون . وهي آخر ساعة من آخر يوم جمادى الأخرى . السّيد : الذئب ، وقد شبّه به فرسه . العَمرد : الطّويل .

* وكم غارة بين اللّيل والنّهار ، خُضْتُها ركضاً على فرس طويل .

٢٧ الشَّظَا : عَظْم صغير ملزق بالذراع . عَبْل الشَّوى . غليظ القوائم . النَّسَا : عرق في الفخذين ، ينتهي في الحَافر . الشَّنج : الْمُتَقَبض . القَرَا : الظّهر . النَّهْد : الجسيم المشرف . الأسيل : الطّويل الأملس المستوي . الْمُقَلَّد : موضع القلادة ، وهذه الألفاظ جميعاً ، تصف الفرس الّذي يمتطيه في القتال .

٢٨ صَرّة القَوْم : ضجّتهم وصراخهم أو تجمعهم . المَصْدَق : صدق الجَرْي . العَضْب : السّيف القاطع . درّيه : تلألؤه وإشراقه .

* يصف فرسه ، إثر عدوه الطّويل ، وما يكتسي به من العرق النّاضح ، ويشبّهه بالسَّيْف الخارج من قرابه ، المتألّق تَأَلُّقاً .

نظم الشّاعر هذه الأبيات إثر انتقامه من قاتلي أخيه . وهو يُمَثّل فيها نشوته وطربَه بمَا ناله من ثأر ، من خلال الصُّوَر العميقة الإيحاء . قارناً سعادتَه بالخمرة والرياض والطّيب . وما إليها ، كأن تلك المظاهر تُجَسّد في نفسه رمز الهناء والطمأنينة والخلو .

كما أنّهُ يُفْصح فيها عمَّا كان يعتريه من حقد على واتريه بمثال الداء . إلاّ أنّه عَبْرَ ذلك كلّه ، يتمنّى لو يبعث أخوه ، فتيّاً ، وضّاح الجبين مُمَثّلا بذلك حَسْرَتَهُ ، أمام حتميَّة الموت .

١ يا نَدِيمِي أَسْقِنِي كَأْسَ الْحُمَيَّا ... فِي ثَنِيَّاتِ اللِّوَى ، مِنْ كَفِّ رَيَّا

٢ بَيْنَ رَوْضٍ وَنَبَاتٍ عَرْفُهُ ... طَيِّبٌ ، أَهْدَى لَنَا مِسْكاً زَكِيَّا

٣ يا نَدِيمَيَّ اسْقِيَانِي خَمْرَةً ، ... وَدَعَانِي أُبْصِرُ الشَّيْئَيْنِ شَيَّا

٤ فَفُؤَادِي قَدْ صَحَا مِنْ سُكْرِهِ ... وَاشْتَفَى الدَّاءُ ، الَّذِي كَانَ دَوِيَّا

٥ لَيْتَ عَبْدَ اللهِ ، أَبْقَاهُ الرَّدَى ، ... يَا بَنِي العَمِّ ، وَعَادَ اليَوْمَ حَيَّا

---

١ الحُمَيَّا : الخَمْر ، وهي أيضاً شدة الغضب . اللوىَ : موضع .
يخاطب الشّاعر نديمه ويدعوإلى أن يسقيَه كأس الخمر بيد ساقية طريَّة ناعمة .

٢ العَرْف : الرّائحة .
* بين رياض ونبات ، له رائحة من المسك ، زكية .

٣ شَيّا : الشَيْء .
* يا نديميّ ، أسقياني خمراً حتى الثّمالة ، حتّى أبصر الشيئين شيئاً ، أي حتّى أسكر ، وأفتقد الوعي .

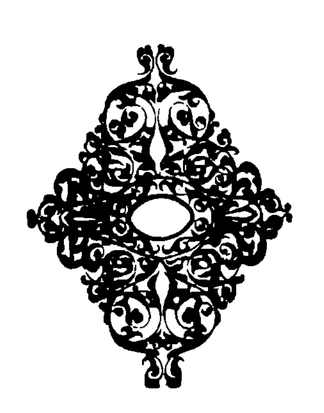
٤ اشْتَفَى : صَحّ .
يُوضح هذا البيت ما قدمه في الأبيات السّابقة من وصف للطّرب الذي يستثير نفسه . ويبدو أن الشّاعر كان قد أدرك ثأر أخيه ، فطرب لذلك ، وحَلّت له الخمر ، بعد أن شفي من داء الحقد .

٥ * يتمنّى لو أنّ المَوْت لم يُرْد أخاه ، وَلَوْ أنّه يبعث اليوم حيّاً .

٦ لَيْتَهُ عَـادَ كَمَـا أَعْهَـدُهُ ، حَسَنَ القَامَةِ ، وَضَّاحَ المُحَيَّـا

٧ لِيَرَى أَعْدَاهُ مَـعْ وَحْشِ الفَـلاَ ، تَتَهَادَى مِنْهُـمْ لَحْمـاً طَـرِيَّـا

٨ وَتَرَكْتُ الأَرْضَ مِـنْ فَيْضِ الدِّمَا ، تَشْتَكِي بَعْدَ الظَّمَا ، فَيْضاً رَوِيَّـا



---

٦ المُحَيَّا : الطَلعَة .

* ليته عاد كما أعهده ، مديد القامة ، طلق المُحيّا .

٧ أعْداهُ : الأعداء .

* ليرى الأعادي أشلاء ، تأكلها وحوش الفلاة ، أي قتلى خُلفوا في الفلوات .

٨ الظّمأ : العطش .

* وتركت الأرض ترتوي من دماء الأعادي .

ثَأْرٌ وانْتِصَارٌ

بعد أن قتل بنو يربوع الصّمة . والد الشّاعر . استنجد عليهم بني نصر . وغزاهم وأوقع بهم . وقد نظم هذه القصيدة . يشيد فيها ببني نصر . ويصف قتالهم الأعداء ، وانتصارهم عليهم . وإحلال الهزيمة فيهم . مخلّفين إثرهم النّساء والفتيات والماشية .

١	دَعَوْتُ الحَيَّ نَصْراً ، فَاسْتَهَلُّوا	بِشُبَّانٍ ذَوي كَرَمٍ ، وَشِيبِ
٢	عَلَى جُرْدٍ كَأَمْثَالِ السَّعَالَى ،	وَرَجْلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الكَثِيبِ
٣	فَمَا جَبُنوا ، وَلَكِنَّا نَصَبْنَا	صُدُورَ الشَّرْعَبِيَّةِ لِلْقُلُوبِ
٤	فَكَمْ غَادَرْنَ مِنْ كَابٍ صَرِيعٍ	يَمُجُّ نَجِيعَ جَائِفَةٍ ذَنُوبِ
٥	وَتِلْكُمْ عَادَةٌ لِبَنِي رِبَابٍ ،	إِذَا مَا كَانَ مَوْتٌ عَنْ قَرِيبِ
٦	فَأَجْلَوا ، والسَّوَامُ لَنَا مُبَاحٌ ،	وَكُلُّ كَرِيمَةٍ خُوْدٍ عَرُوبِ
٧	وَقَدْ تُرِكَ ابنُ كعبٍ في مَكَرٍّ ،	حَبِيْساً بَيْنَ ضِبْعَانٍ وَذِيبِ

---

١ نَصْراً : بنو نصر. فَاسْتَهَلّوا : فابتدأوا .

٢ السّعَالى : جمع السّعلاة . أنثى الغول . أهمِيَة الكَثيب : ما يتهافت من الرّمل . ويسقط متتابعا

* قدموا على أفراس كالغيلان . وبجيش ينهمر كالرّمل المتهافت من الكثيب .

٣ الشَّرْعَبِيَة : الرّماح الطويلة .

* فلم يخافوا القتال . وقد وجّهنا رؤوس الرّماح الطويلة للقلوب .

٤ يَمُجّ : يرمي من فمه . النجيع : الدم . الجائفة : الطّعنة الّتي تبلغ الجوف . الذنُوب : الواسعة .

* وكم تركنا في ساحة القتال . من صريع . يمجّ الدمَ من فمه . إثر طعنة دخلت في جوفه . فقتلته

٥ * وهي عادة بني رباب في القتال . إذ يعاجلون خصومهم بالموت .

٦ فَأَجْلَوا : فتركوا المكان . السَّوام : الماشيَة . الخُوْد : الشّابة الحسنة الخلُق . العَرُوب : المرأة المتحبّبة إلى زوجها .

* فتركوا المكان لنا . وهربوا وخلّفوا وراءهم الماشية ، والفتيات الجميلات والزوجات الوفيّات ، وقد استولَيْنَا عَلى كلّ شيء .

٧ ابْن كَعْب : هو عمار بن كعب . من الأبطال الّذين قتلوا في المعركة .

* وقد ترك ابن كعب . قتيلا في السّاحة للضّباع والوحوش .

فَخْرٌ وَتَهْدِيدٌ وَتَحْرِيضٌ

١ يَا هِنْدُ لاَ تُنْكِرِي شَيْبِي ، وَلاَ كِبَرِي　　فَهِمَّتِي مِثْلُ حَـدِّ الصَّـارِمِ الذَّكَرِ

٢ وَلِي جَنَانٌ شَدِيـدٌ لَـوْ لَقِيـتُ بِــهِ　　حَوَادِثَ الدَّهْرِ ، مَا جَارَتْ عَلَى بَشَرِ

٣ فَمَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي خُضْـتُ مَعْرَكَـةً　　إِلاَّ تَرَكْتُ الدِّمَا تَنْهَـلُّ كَالْمَطَــرِ

٤ كَمْ قَدْ عَرَكْتُ مَـعَ الأَيَّـامِ نَائِبَـةً　　حَتَّى عَرَفْتُ القَضَا الجَارِي مَعَ القَدَرِ

٥ عُمْرِي مَعَ الدَّهْرِ ، مَوْصُولٌ بِآخِـرِهِ　　وَإِنَّمَـا فَضْلُهُ بِـالشَّمْسِ وَالقَمَــرِ

٦ وَيْلٌ لِكِسْرَى ، إِذَا جَالَـتْ فَوَارِسُنَا　　فِي أَرْضِهِ ، بِالْقَنَا الخَطِّيَّـةِ السُّمُرِ

٧ أَوْلاَدُ فَارِسَ ، مَا لِلْعَهْدِ عِنْـدَهُـمُ　　حِفْظٌ ، وَلاَ فِيهِمِ فَخْـرٌ لِمُفْتَخِـرِ

---

١ الصّارم : السَّيف القاطع . سَيْف ذكَر : شفرته حديد ذكر ، ومتنه حديد أنيث .

* يا هند لا يَغُرَّنَّك شَيبي وكبَري فقوتي وهمّتي مثل حدّ السَّيف القاطع .

٢ الجَنَان : القلب .

* يقول : إنّ له قلباً شُجاعاً ، لو قدر له أنْ يلقى به حوادث الدهْر ، لصَدها ، ومنعها من أن تُصيبَ النَّاس ، ظلماً .

٣ خَاضَ : اقتحم .

* فلو أنّي خضتُ معركة ، لجعلت الدماء ، تزّخ كالمطر .

٤ نَائبَة : مصيبة .

* كم خضت مع الدهر من محَن وخُطوب ، وبلوت خير الأيَّام وشرها ، فعرفت أن حياة المرء ، رهنُ القضاء والقَدر .

٥ * يقول : إن الإنسان يبقى أبد الدهْر ، مُقيماً على الأرض ، لكنّ المرء يزول ويموت ، لأن حياته مرتبطة بدوامة الشَّمْس والقمر ، أي بدوامة الأيَّام .

٦ القَنَا : الرّمح . الخَطّيَّة : الرِّماح المنسوبة إلى الخَطّ .

* ويل لكسرى إذا ما اقتحمت فُرْسَانُنا بلاده ، بالرّماح الخطيَّة السّمر .

٧ العَهْد : الوفاء ، الأمان .

* يريد أنّ أبناء فارس ، ليسوا بأوفياء ، ولا يحفظون الذمم ، وليس لديهم فضل ولا عظمة .

٨	يَمْشُونَ فِي حُلَلِ الدِّيبَاجِ نَاعِمَةً	مَشْيَ البَنَاتِ ، إذَا مَا قُمْنَ فِي السَّحَرِ
٩	وَيَوْمَ طَعْنِ القَنَا الخَطِّـيِّ ، تَحْسَبُهُمْ	عَانَاتِ وَحْشٍ ، دَهَاهَا صَوْتُ مُنْذَعَرِ
١٠	غَداً يَرَوْنَ رِجَالاً مِنْ فَوَارِسِنَا	إنْ قَاتَلُوا المَوْتَ ، مَا كَانُوا عَلَى حَذَرِ
١١	خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ أُحْمِيهَا إذَا بَرَدَتْ	وَأَجْتَنِي مِنْ جَنَاهَا يَانِعَ الثَّمَرِ
١٢	يَا آلَ عَدْنَانَ ، سِيرُوا وَاطْلُبُوا رَجُلاً	مِثَالُهُ مِثْلُ صَوْتِ العَارِضِ المَطِرِ
١٣	قَدْ جَدَّ فِي هَدِّ بَيْتِ اللهِ مُجْتَهِداً	بِعَزْمَةٍ مِثْلِ وَقْعِ الصَّارِمِ الذَّكَرِ
١٤	وَعَنْ قَلِيلٍ يُلاَقِي بَغْيُهُ ، وَيَرَى	حَرْباً أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ لَظَىٰ سَقَرِ
١٥	وَيُبْتَلَى بِرِجَالٍ فِي الحُرُوبِ لَهُمْ	بَأْسٌ شَدِيدٌ ، وَفِيهِمْ عَزْمُ مُقْتَدِرِ
١٦	المَوْتُ حُلْوٌ لِمَا لاَقَتْ شَمَائِلُهُمْ	وَعِنْدَ غَيْرِهِمِ كَالحَنْظَلِ الكَدِرِ
١٧	وَالنَّاسُ صِنْفَانِ ، هَذَا قَلْبُهُ خَزَفٌ	عِنْدَ اللِّقَاءِ ، وَهَذَا قُدَّ مِنْ حَجَرِ

٨ الديباج : ثوب من الحرير .

* يقول : إنّ رجال فارس مُخَنَّثون كالبنات ، يلبسون الثّياب الحريريّة النّاعمة .

٩ * نراهم يوم الطّعن بالرّماح ، يفرّون مذعورين ، كوحوش أخافها صوت رهيب .

١١ يَانع الثّمَر : الثّمر النّاضج .

* خُلِقْتُ للقتال والحرب ، أؤجّجَ سعيرها ، إذا خفَّت وبردت ، وأنال من الغنائم والسَّبايا أغلاها وأحسنها .

١٢ ، ١٣ العَارض : السَّحاب المعترض في الأفق .

* يا آل عدنان سيروا لقتال رجل قويّ ، جاء ليهدم بيت الله ، ولا تستهينوا بقوّته ، فعزمه كالسَّيف القاطع .

١٤ بَغْيه : ظلمه وجوره . لَظَى : النّارولهبها . السَّقَر : لهب النار.

* وبعد قليل ، سيلقى نتيجة ظلمه وبغيه ، حرباً أشدّ عليه من لهيب النّار المحرقة .

١٥ * وسيُبْتَلى برجال أقوياء ، لهم في الحرب بأس وشجاعة ، وفيهم عزيمة وقوّة .

١٦ الحَنْظَل : نبت مرّ المذاق .

* يهون الموت عندهم ، ويرحّبون به ، وغيرهم يهابه ويخاف منه .

١٧ خَزَف : ما عمل من الطّين وشوي على النّار ، فصار فخّاراً .

* والنّاس صنفان عند اللّقاء ، فهذا جبان ، قلبه كالفخّار ، وهذا اقتطع قلبه من حجر .

مَالُ الجَّارِ

كان بين بني الحارث بن كعب ، وقوم درَيْد ، إغارات وثارات . وقد قتل بنو الحارث خالد بن الصمَّة ، في أحد أيامهم . فهددهم دريد . وردّ عليه عبدالله بن عبد المدان الحارثي ، من سادة نجران . وكان أنّ أنس ابن مدركة الخثعمي ، حليف الحوارث ، أغار على جشم ، فأَسَرَ وَسَبى ، واستاق أموالا لأحد جيران درَيْد . وخلف ذلك بنجران . وعجز درَيْد عن طلب ذلك بالقوّة ، فلجأ إلى السّؤال . فمدح يزيد بن عبد المدان ، سيِّد نجران ، ثم قدم عليه ، فردّ السَّبايا وفكّ الأسرى ، وزاده أموالا . فقال الشَّاعر سائلا مادحاً :

١ بَنِي الدَّيَّانِ ، رُدُّوا مَـالَ جَارِي ... وَأَسْرَى فِي كُبُـولِهِمِ الثِّقَـالِ

٢ وَرُدُّوا السَّبْيَ ، إِنْ شِئْتُمْ بِمَنٍّ ... وَإِنْ شِئْتُمْ ، مُفَادَاةً بِمَـالِ

٣ فَأَنْتُمْ أَهْلُ عَائِدَةٍ ، وَفَضْـلٍ ... وَأَيْدٍ فِي مَـوَاهِبِكُـمْ طِـوَالِ

٤ مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيْئاً ، فَلَيْسَـتْ ... حَبَائِلُ أَخْـذِهِ ، غَيْرَ السُّؤَالِ

٥ وَحَرْبُكُمُ بَنِي الـدَّيَّان حَـرْبٌ ... يَغَصُّ المَرْءُ مِنْهَـا بـالزُّلاَلِ

١ الكُبُول : جمع كبل وهو القَيْد .

* يخاطب بني الديان أن يردوا أموال جيرانه ، وأسرى لهم ، عندهم ، ترسف في قيودها الثَّقيلة .

٢ السَّبْي : الأسر . المَنّ : الفضل . مُفَاداة : مبادلة .

* وردوا ما سبيتم بمَنّ وفضْل علينا ، وإن شئتم فنبادلكم عنهم بالمال .

٣ العَائدة : المعروف والعطف .

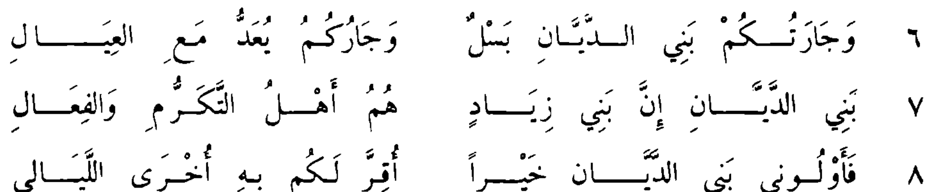
* فأنتم أصحاب صلة وعطف ومعروف ، وباع طويلة في عمل الخَيْر .

٤ حَبَائل : طرق .

* لا سبيل إلى أخذ شيء منكم ، إذا ما منعتموه ، إلاّ بالسّؤال . أي أنكم شجعان ، لا تعطون إلاّ عن إرادة لمن يسألكم .

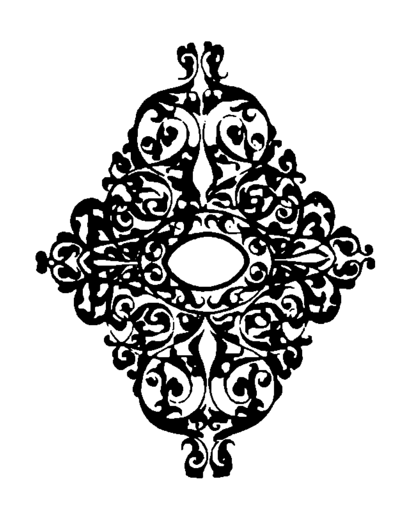
٥ الزّلال : الكثير الزلق .

* وحربكم بني الديان حرب شديدة ، يغصّ حلق من حاربكم ، خوفاً من قوّتكم ، وبأسكم .


٦ وَجَارَتُكُمْ بَنِي الدَّيَّانِ بَسْلٌ   وَجَارُكُمُ يُعَدُّ مَعَ العِيَالِ

٧ بَنِي الدَّيَّانِ إِنَّ بَنِي زِيَادٍ   هُمُ أَهْلُ التَّكَرُّمِ وَالفِعَالِ

٨ فَأَوْلُونِي بَنِي الدَّيَّانِ خَيْراً   أُقِرَّ لَكُم بِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي



---

٦ البَسْل : الحرام .

٭ وجارتكم يا بني الديان محرّمة عليكم ، وجاركم يُعَدّ منكم وفيكم .

٧ يا بني الديان ، إنّ بني زياد ، هم أهل الكرم والفعل الحسن .

٨ أقرّ : اعترف .

٭ فان أوليتموني يا بني الديان خيراً وفضلاً ، أعترف لكم به أبد الدهر .

ثَأْرٌ وَفَخْرٌ

باعث هذه القصيدة أنّ درَيْد بن الصمَّة هجا زَيْد بن سهل المحاربي ، في قصيدة قالها درَيْد ، حين غزا غَطْفان غزوة ثانية ، فأغار على بني ثَعْلَبَة ابن سعد بن ذبيان ، فهرب عياض بن ناشب التغلبي ، ثم غزاهم فأغار على أشجع ، فلم يصبهم ، فقال درَيْد في ذلك هذه القصيدة .

وفيها يفخر بتشفّيه من قاتلي أخيه وظفره بثأره ، ويتوعد فزارة ، ويصف ما أصابهم في القتال ، مقبلين ومدبرين ، مُسْهلين وَمُحْزنين ، ويصف أيضاً ما لقيته مُرّة في الحرب وما كان من هرب أشجع ، وفرار عياض بن ناشب . ثم يذكر ما مُنِيَتْ به خضر محارب من التقتيل ، حتَّى شبعت منهم الضّباع ، ويتهددهم باعادة الكرّة علَيْهم ، لوظفربهم :

١ يا راكِبـاً ، إمَّــا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ — أَبَا غَالِبٍ ، أَنْ قَدْ ثَأَرْنَـا بِغَالِبِ

٢ وأَبْلِغ نُمَيْراً ، إنْ مَـرَرْتَ بدارها ، — عَلَى نَأْيِهَا ، فَـأَيُّ مَوْلًى وطالِب

٣ قَتَلْتُ بعبدِ اللهِ خَيْرَ لِـدَاتِـــهِ ، — ذُؤابَ بنَ أَسماءَ بنِ زيدِ بنِ قارب

٤ فلِلْيَوْمِ سُمِّيتُمْ فَـزَارَةُ فــاصْبِرُوا — لِوَقْعِ القَنَا تَنْزُونَ نَزْوَ الجَنَـادِبِ

---

١ عَرَضْتُ : أَتَيْتُ العروض ، وهي مكَّة والمدينة وما حولهما ، وقيل : واليمن أيضاً . ثَأَرْنا بغَالب : قتلنا قاتله .

* أيا راكباً إلى العروض ، بلّغ أبا غالب ، أنّنا قد ثأرنا لقتل غالب إبنه .

٢ النَّأيْ : البعد .

* وابلغ قبيلة نميرإن مَرَرْتَ بديارها ، على بعدها ، أوأيّ سيّدٍ منهم ، أوولّيَ أمر فيهم .

٣ اللّدة : ترْبك الذي وُلد معك .

* أبلغهم أني قتلت بأخي عبدالله ، خيرَأترابه ، ذؤاب بن أسماء .

٤ تَنْزون : أي تثبون . الجَنَادب : ضرب صغارمن الجراد .

* يتوعَّد فزازة بأنه سيطاعنهم بالرّماح ، حتَّى يثبوا كما تثب صغارالجراد .

٥ تَكُرُّ عليهِمْ رَجْلَتِي وفَـوَارِسِي ، وأُكْرِهُ فيهمْ ، صَعْدَتِي غيرَ ناكِبِ
٦ فإنْ تُدْبِرُوا ، يَأْخُذْنكُمْ في ظُهوركم ، وإنْ تُقْبِلُوا ، يَأْخُذْنكُمْ في التَّرائِبِ
٧ وإنْ تُسْهِلُوا للخَيْلِ ، تُسْهِلْ عليكمُ بِطَعْنٍ كإيزَاغِ المخَاضِ الضَّوارِبِ
٨ إذَا أَحْزَنُوا تَغَشَى الْجِبَالَ رجالُنا ، كما اسْتَوفَزَتْ فُدْرُ الوُعُولِ القَرَاهِبِ
٩ وَمَرَّةَ قَدْ أخرَجْنَهُمْ ، فترَكْنَهُمْ يرُوغُونَ بالصَّلْعَاءِ رَوْغَ الثَّعَالبِ
١٠ وأشْجَعَ قَدْ أدرَكْنَهُمْ ، فتركْنَهُمْ يَخَافُونَ خَطْفَ الطَّيْرِ من كلِّ جانِبِ

---

٥ الرَّجْلَة : جمع راجل وهو الَّذي ليس له مطيَّة يركبها في سفره . الصَّعْدة : القناة المستوية ، يعني الرمح . إكْرَاهُها فيهم : إدخالها بقوّة . غَيْرَ ناكب : غير عادل عنهم .

* تهجمُ الفرسان والمترجّلون ، وأنهالُ عليهم برمحي طعناً وضرباً ، فلا أكلّ عن قتالهم ، حتى أشتفيَ منهم .

٦ يَأْخُذنكم : يعني الرَّجْلة والفوارس . التَّرائب جمع تريبة : عظام الصَّدر .

* فان تُولّوا الأدبار ، تطعنكم الفرسان والرَّجْلة في ظهوركم ، وإن تُقبلوا يضربوكم في صدوركم .

٧ تُسْهلوا : تنزلوا السَّهْل من الأرْض . الإيزَاغ : إخراج البَوْل دفعة دفعة . الضَّوارب : اللّواقح . المَخَاض : الحوامل من النُوق .

* وإن تَنزلوا السّهل ، نبادرْكم بطعن . يفجّر الدم من أجسادكم ، كايزاغ النَّاقة الحامل .

٨ أحْزَنُوا : صاروا في الحزن ، وهوما غلظ من الأرض . اسْتَوفَزَ : استقل على رجلَيْه ، ولم يستوقائماً ، وقد تهيّأ للوثوب والمُضيّ . الأفْز : هوالوثبة بالعجلة . الفُدْر : الفتيّة من الوعول . القَراهب : الضخمة من الوعول .

* وإذا صعدوا إلى الجبال ، يلحقهم رجالنا وثباً كالوعول الضخمة ، الفتيَّة .

٩ يَرُوغون : يذهبون ههنا وههنا كما يروغ الثّعلب . الصّلْعَاء : موضع بين حاجر والنّقرة أغار فيه درَيْد على أشجع .

* ومرّة قد شتّتناهم في موضع الصّلعاء ، يذهبون هنا وهناك ، كما تروغ الثّعالب .

١٠ * يقول : إنهم أدركوا بني أشجع ، وخلّفوهم جرحى وقتلى ، تُحلّق الطَيْرُ حول جثثهم ، وتحاول أن تختطفها .

١١	وَثَعْلَبَةَ الْخُنْثَى تَرَكْنَا شَرِيدَهم ،	تَعِلَّةَ لاَهٍ في البِلاَدِ وَلاعِبِ
١٢	وَلَوْلا جَنَانُ اللَّيلِ ، أَدْرَكَ رَكْضُنَا	بِذِي الرِّمْثِ والأَرْطَى ، عِياضَ بنَ ناشِبِ
١٣	فَلَيْتَ قبوراً ، بالمَخاضَةِ أَخبَرَتْ	فَتُخْبِرَ عَنَّا الْخُضْرَ ، خُضْرَ مُحَارِبِ
١٤	رَدَسْنَاهُمُ بالخَيلِ ، حتَّى تَمَلَّأَتْ	عَوَافِي الضِّبَاعِ ، والذئابِ السَّوَاغِبِ
١٥	ذَرِيني أُطَوِّفْ في البلاد لَعَلَّني	أُلاَقي بإثْرٍ ، ثُلَّةً من مُحَارِبِ

---

١١ التَعلَّة : ما يَتَعَلَّلُ به وَيَتَلَّهى .

* ينعت قبيلة ثعلبة بالخُنْثى ، ويقول : إنّهم قد تركوهم مشرَّدين في البلاد .

١٢ جَنَان اللَّيل وجُنُّه وجُنُونه : شدة ظلمته . ذو الرمّث : واد لبني أسد . ذو الأرطَى : مكان . الرِّمْث : ضرب من شجر البادية وكذلك الأرطى .

* ولولا أن اشتدت ظُلمة اللَّيل ، وادلهم ، لوصلنا بعَدونا إلى وادي بني أسد ، في موضع ذي الرّمث ، وموضع الأرطى ، وأدركنا عياض بن النّاشب .

١٣ المَخَاضَة : موضع في ديار ذبيان . خُضْر مُحَارب : قبيلة .

* يتمنّى لو أنّ القبور في موضع المخاضة ، تخبرُ عمَّن قتلوا من قبيلة خضر محارب .

١٤ الرّدس : الرّمْي بالشَّيء الثَّقيل . تَمَلأتْ : امتلأت . العَوَافي . طُلاَّب الرِّزق من الأنس والدواب والطَّير . السَّوَاغب : جمع ساغب ، وهو الجائع .

* دفعناهم بالخيل ، فخرّوا صرعى ، وتناثرت أشلاؤهم ، فامتلأت بطون الضّباع والذئاب الجائعة من لحومهم .

١٥ الثُّلَّة : الجماعة من الناس .

* يهدد قبيلة محارب بالعودة ، فيقول : ذريني أطوّف في القفار لعلي ألاقي جماعة من قبيلة محارب ، فأقتلهم .

وَقَدْ أَرْوَعُ سَوَامَ القَوْمِ

١	هَل مِثْلُ قَلْبِكَ فِي الأَهْوَاءِ مَعْذُورُ،	وَالشَّيْبُ بَعْدَ شَبَابِ المَـرْءِ ، مَقْدُورُ
٢	قَدْ خَفَّ صَحْبِي ، وَوَلَّوْنِي ، وَأَرَّقَنِي	خُـوْدٌ تَـرَبَّبَهَـا الأَبْـوَابُ وَالدُّورُ
٣	لَمَّا رَأَيْتُ بِأَنْ جَدُّوا ، وَشَيَّعَنِي	يَوْمُ الصَّبَابَةِ ، وَالْمَنْصُورُ مَنْصُورُ
٤	وَاكَبْتُهُمْ بِأَمُونٍ جَسْرَةٍ ، أُجُدٍ ،	كَأَنَّهَا فَدَنٌ ، بِالطِّينِ ، مَمْدُورُ
٥	وَجْنَاءَ لا يَسْأَمُ الإِيضَاعَ رَاكِبُهَا ،	إِذَا السَّرَابُ اكْتَسَاهُ الحَزْنُ وَالْقُورُ
٦	كَأَنَّهَا بَيْنَ جَنْبَيْ وَاسِطٍ شَبَبٌ ،	وَبَيْنَ لَيَّانَ طَاوِي الكَشْحِ مَذْعُورُ
٧	إِلَى الصُّرَاخِ وَسِرْبَالِي مُضَاعَفَةٌ ،	كَأَنَّهَا مُفْرِطٌ بِالسِّيِّ مَمْطُـورُ

---

١ الأَهْوَاء : جمع هوى ، العشق .

* يتساءل : هل أنّ قلبه معذور في العشق والصّبابة ؟ ويقول : إنّ الشيب مُقدر على المرء بعد الشّباب.

٢ الخُوْد : المرأة الشّابة . رَبَّبَ : حضن .

* فارق أصحابه ، وأولع بحبّ فتاة ربيبة الخدور والقصور ، اي فتاة منعّمة .

٣ جَدُّوا : هنا أسرعوا في الرّحيل .

* لما رأيت أهل الحبيبة ، قد جدوا في المسير ، وشيّعني الشّوق والهوى .

٤ أَمُون : النّاقة المأمونة العثار . الجَسْرة : العظيمة من الإبل . أجُد : القويّة . الفَدن : البناء المشيّد .

* رافقتهم على مطيّة مأمونة العثار ، عظيمة ، كأنها بناء مشيّد بالطّين .

٥ وَجْنَاء : النّاقة السّمينة الصّلبة . الحَزْن : ما غَلُظ من الأرض . القُور : جبال صغيرة ، مفردها : قَارَة . الإيضاع : سرعة العَدو عند البعير .

* ناقة سمينة صلبة ، لا يملّ راكبُها من سرعتها وهي تجتاز الحَزْن والقَوْر حين يكتسيان بالسّراب ، اي انها تجتاز الفلوات الواسعة .

٦ وَاسط : موضع . شَبَبٌ : ثَوْرٌ مُسِنّ . طَاوي الكَشْح : ضامره .

* يشبّه سرعتها بثور ضامر ، يركض مذعوراً من خطر داهمه .

٧ الصُراخ : الإستغاثة . ألسّي : الفَلاة .

* أهُبُّ عند الإستغاثة ولباسي درع مضاعف نسيجها ، واسعة فضفاضة ، أي أنّه يهرع للنّجدة بدرع قويّة .

٨ بَيْضَاءُ لَا تُرْتَدَى إلاَّ عَلَى فَزَعٍ ، مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ ، فِيهَا المِسْكُ مَقْتُورُ

٩ إذَا غَلَبْتُمْ صَدِيقاً تَبْطُشُونَ بِـهِ ، كَمَا تَهَدَّمَ فِي المَـاءِ الجَمَاهِـيرُ

١٠ وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ فِي عِرْقِـكُمْ شَنَجٌ ، بُذْخُ الظُّهُورِ ، وَفِي الأَسْتَاهِ تَأْخِيرُ

١١ وَقَدْ أَرُوعُ سَوَامَ القَوْمِ ، ضَاحِيَةً ، بِالْجُرْدِ ، يُرْكِضُهَا الشُّعْثُ المَغَاوِيرُ

١٢ قَوْمٌ إِذَا اخْتَلَفَ الهَيْجَاءُ ، وَاخْتَلَفَتْ صُبُرٌ ، إِذَا عَرَّدَ العُزْلُ العَوَاوِيرُ

١٣ يَحْمِلْنَ كُلَّ هِجَانٍ ، صَارِمٍ ذَكَرٍ ، وَتَحْتَهُمْ شُزَّبٌ ، قُبٌّ ، مَضَامِيرُ

١٤ أَوْعَدْتُمُ إِبِلِي كَـلاَّ سَيَمْنَعُهَــــا ، بَنُو غَزِيَّـةَ ، لَا مِيلٌ وَلَا صُوَرُ

١٥ كَأَنَّ وِلْدَانَهُمْ ، لَمَّا اخْتَلَطْنَ بِهِمْ ، تَحْتَ العَجَاجَةِ بِالأَيْدِي ، عَصَافِيرُ

---

٨ الفَزَع : الإستغاثة . مَقْتُور : ساطع الرّائحة .

* يستكمل وصف الدرع ويقول · إنّها بيضاء اللّون ، لا تُرتَدى إلاّ لأمر طارىء ، جيّـدة النّسيج ، تفوح رائحة المسك منها ، وذكره للطّيب يدل على نعيم صاحبها .

٩ الجَمَاهير : جمع جمهور ، وهو الرمّل الكثير المتراكم .

* يريد إنهم لا يحفظون الذمار ، ولا يراعون حقّ الصّداقة ، بل يفعلون به كما يفعل السّيل القوي بكثيب الرّمل .

١٠ الشَّنَج : التقبّض .

* يهجوهم ويقول : إنهم متكبّرون ، صَلفون ، متشنّجو العروق ، عراض الكتفين ، إلا أنّهم متخاذلون ، ترتدّ مؤخّرتُهم إلى الوراء . فلا يُقْدمون .

١١ السَّوام : الماشية والإبل . الجُرْد : القصيرة الشعر . الشُعْث ، المتفرّقو الشّعر .

* وقد أغير على ماشية القوم وإبلهم ، بأفراس جُرْد ، عليها أبطال شعث مغاوير .

١٢ الهَيْجَاء : الوغى . عَرّد . فرّوهرب . العَوَاوير : الجبناء .

* قوم يصبرون على شدة الحرب ، إذا ما هرب الجبناء منها

١٣ هجَان : هنا السّيف : شُزَب : ضامر ، شديد .

* يحملون سيوفاً حادة ، صارمة ، ويركبون خيلا دقيقة الخصور ، ضامرة .

١٤ يهددهم بألا يمنعوا إبلَه أن تَرد الكـلأ . وأن بني قومه سيقاتلون دونه لحمايته .

١٥ العَجاجة : الغُبار والدّخان .

* يقول : كان ولدان بني غزية عصافير حين اختلطت الخيل بهم تحت الغبار ، وهو يمثل بذلك شدة بني قومه وبأسهم ، ويقول : ان صغارهم الفوا القتال .

فِي مَدْحِ يزيدِ بنِ عبدِ المَدَانِ

نظم هذه الأبيات في مدح يزيد بن عبد المَدان الّذي ردّ للشّاعر الأسارى من قومه وجيرانه :

١	مَدَحْتُ يَزِيدَ بنَ عَبْدِ المَدَانِ،	فَأَكْرِمْ بهِ مِنْ فَتَى مُمْتَدَحْ!
٢	إِذَا المَدحُ زانَ فَتى مَعْشَرٍ،	فَإِنَّ يَزِيدَ يَزِينُ المِدَحْ.
٣	حَلَلْتُ بِهِ ، دُونَ أَصْحَابِهِ ،	فَأَوْرَى زِنَادِيَ ، لَمَّا قَدَحْ ،
٤	وردَّ النِّساءَ بأَطْهارِها ،	وَلَوْ كَانَ غَيْرُ يَزِيدٍ ، فَضَحْ.
٥	وَفَكَّ الرِّجَالَ ، وكلُّ امْرِىءٍ ،	إذا أَصْلَحَ اللهُ يوماً ، صَلَحْ.
٦	وقلتُ لَهُ ، بَعْدَ عَتْقِ النِّسَاءِ ،	وَفَكِّ الرِّجَالِ . وردِّ اللَّقَحْ.
٧	أَجِرْ لِي فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ،	فَأَكْرِمْ بِنَفْحَتِهِ إِذْ نَفَحْ

---

١ ـ ٣ أَوْرَى : أشعل . الزَّنْد : العود الأعلى الّذي تُقْتدح به النّار.

• يمدح يزيد بن عبد المَدان . ويقول : إنّه فتى طيّبُ المَعشر، كريم مضياف ، خلوق . أحياني وأعاد إليّ حميّتي .

٤ بأطْهَارها : لم تدنّس .

• يريد أنّ يزيد قد ردّ السّبايا من النّساء . دون أن يدنّس عرضهن . ولوكان غيره مكانه . لفضحهن . ومسّ شرفهن .

٥ فَكّ الرّجَال : أفرج عنهم .

• وأفرج عن الأسرى من الرّجال . ومن يعمل صالحاً . يصلح الله من أمره .

٦ اللقح : جمع لقحة ، النّاقة الحلوب . الغزيرة اللّبن .

• وقلت له بعد أن أفرج عن الأسرى من الرّجال وفكّ قيودهم . ثم أعتق النّساء . وردّ النوق الحلوب .

٧ أجِرْ: أي أنجد واقم في جوارك . النَّفْحة : العطيّة .

• يستكمل معنى البَيْت السّابق ويقول . مخاطباً الممدوح : أجر الفرسان . فأنت نعم المجير ونعم المعطي . الباذل لماله .

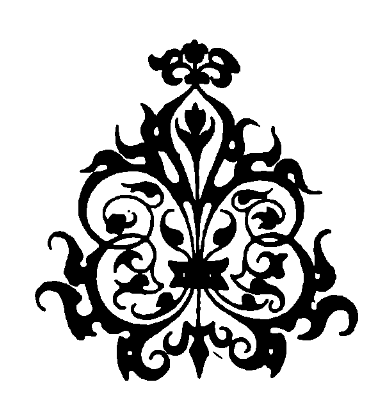
٨ وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ فِي وَجْهِـهِ بِوَقْتِ السُّؤَالِ ، ظُهُورَ الفَـرَحْ

٩ رَأَيْتُ أَبَا النَّضْرِ فِي مَـذْحِـجٍ بِمَنْزِلَـةِ الفَجْرِ ، حِينَ اتَّضَـحْ

١٠ إِذَا قَارَعُوا عَنْهُ لَمْ يُقْرَعُـوا ، وَإِنْ قَدَّمُوهُ لِكَبْشٍ ، نَطَـحْ

١١ وَإِنْ حَضَرَ النَّـاسُ لَمْ يَخْزِهِمْ ، وَإِنْ وَازَنُـوهُ بِقَـرْنٍ رَجَـحْ

١٢ فَذَاكَ فَتَاهَا ، وَذُو فَضْلِهَـا وَإِنْ نَابِحٌ بِفخَـارٍ ، نَبَـحْ



---

٨ * ويفيض محيّاه بشراً وسروراً ، عندما يسأله محتاج ، أو يُطالبه معوز .

٩ أَبو النَّضْر : كُنْيَة يزيد بن عبد المَدان .

* يريد أنّ يزيد بن عبد المدان ، هو قبلة أنظار القوم في مذحج ، أو هو بمنزلة الفجر حين بان .

١٠ كَبْش القَوْم : سيّدهم وقائد جيشهم .

* يريد أنّ يزيد هو سيّدهم ، وقائد جَيْشهم ، وهو الّذي يدافع عنهم في الوقت العصيب .

١١ * وإن طلب القَوْم منه أمراً ، نفَّذه ، وإن قارنوه بأي ندّ له ، فاز ورجح .

١٢ * فيزيد هو فتى مذحج وصاحب الفضل فيها مهما هجاه البعض ، ومهما حاولوا النَّيْل منه .

الشَّيْخُ المَنْبُوذُ

نظم الشّاعر هذه القصيدة ، بعد أن شاخ وانتُبذَ في رُكْن معزول ، يُقْطع بالأمُور من دونه ، كأنَّه طَيْر قُصّ جانحاه ، ولا جَريرة له في ذلك ، سوى الهرم وعتوّ سنّه . وقد رُبط بَقيْد ، وغدت الحيَاة بالنّسبة إليه وقْراً ثقيلا :

١ أَصْبَحْتُ أَقْذِفُ أَهْدَافَ المَنونِ كما ... يَرْمِي الدَرِيَّةَ أَدْنى فُوقة الوَتَرِ،

٢ في مَنْزِلِ نَازِحٍ مِ الحَيِّ ، مُنْتَبِذ ، ... كَمَرْبَطِ العَنْزِ ، لا أُدْعى إِلىَ خَبَرِ

٣ كَأَنَّني خَرِبٌ قُصَّتْ قَوَادِمُـــــهُ ، ... أَوْ جُثَّةٌ مِنْ بُغاثٍ في يَدَيْ خَصِرِ

٤ يُمْضونَ أَمْرَهُمُ دوني ، وَمَا فَقَدوا ... مِنِّي عَزِيمَةَ أَمْر ، مَا خَلاَ كِبَري ؛

٥ وَنَوْمَة لَسْتُ أَقْضِيها ، وإِنْ مُنِعَت ، ... وَمَا مَضَى قبلُ مِنْ شَأْوِي وَمِنْ عُمُرِي

---

١ أقذف : أرمي . الدرية : حلقة يتعلم عليها الطّعن . الفُوقَة : موضع الوتر من رأس السّهم .

* أصبحت أرمي أهداف المنون ، كما يقع السّهم دون الهَدَف .

٢ نَازح عَن الحَيّ : بعيد عنه . مُنْتَبذ : معتزل .

* أصبحت أقيم في منزل بعيد عن الحيّ ، معتزل ، لا أشاور ولا يُطْلَبُ رأيي في شؤون القبيلة .

٣ الخَرَب : نوع من الطّيور . القَوادم : ريش في مقدم جناح الطّير . البُغَاث : من العصافير طائرضعيف ، بطيء الطّيران . الخَصر : الذي أصابه البرد الشديد .

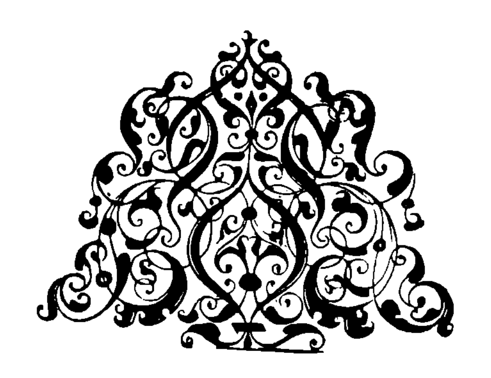
* كأني طير قصّ جـانحـاه ، أوجثّة من طير البغاث في يدي امرئ أصَابَهُ البرد الشّديد فَشَدّ يديه بعضاً على بعض ، وأوثقهما من البرد .

٤ يتشاورون ، ويقضون أمرهم فيما بينهم ، دون استشارتي ، وَلَمْ يجدوا منّي ، نقيصة في أمر ، أوسوء تدبير ، سوى أنّي بلغت من العُمرعتّيا .

٥ الشأو : الأمَد ، الغَاية .

٦ وإنَّني رَابَني قيدٌ حُبِسْتُ بِهِ ، وَقَدْ أَكونُ وَمَا يُمْشَى على أَثري .

٧ إنَّ السِّنينَ ، إذا قَرَّبْنَ مِنْ مِئَةٍ ، لَوينَ مِرَّةَ أَحْوالِ عَلَى مِرَرِ!



---

٦ رَابَني : أزعجني .

* وما يحزّ في نفسي ، أني قد ربطتّ بقيد ، وحُبِسْتُ به في منزل منعزل عن الناس ، وطالما قطعت الأشواط ، وتقدمت الصّفوف ولم يَلْحق بي أحد .

٧ المِرَّة ، بكسر الميم : الشدة وطاق الحبل .

* إن السنين إذا جاوزت في حياة الإنسان مائة ، فان أعباء الشَّيخوخة وما يتبعها من ألم ومرض ، تغيّر من مجرى الأمور وتلوي حبل أحواله ، أي وتضعف قوته .

دُرَيْدُ وَالْخَنْسَاءُ

شاهد درَيْد الخنساء ، فأعجب بها ، وسعى إلى الاقتران بها ، رغم أنَّه طاعن في السّن . فخُيِّرت به ، فصدته لهرمه ، وآثرت عليه أحدَ أبناء عمّها . وقد نظم الشّاعر هذه القصيدة في هجائها ، زاعماً أنّها تؤثر عليه ذوي الغِلْظة ، ويمضي متفاخراً بشجاعته في اجتياز الأرض الوعرة والفيافي ، وفي إطعام الجياع والأرامل ، فلا كلبُه يهرّ الضَّيْف ، ولا جاره يُساء إليه ، وما إلى ذلك من معاني الفخر القديم :

١ لِمَنْ طَلَلٌ بِذَاتِ الخَمْسِ ، أَمْسِ ، عَفَا بَيْنَ العَقِيقِ فَبَطْنِ ضَـرْسِ !

٢ أُشَبِّهُهَا غَمَـامَةَ يَـوْمِ دَجْـنٍ تَـلأْلأُ بَرْقُهَا ، أَوْ ضَوءَ شَمْسِ .

٣ فَأُقْسِمُ ، مَا سَمِعْتُ كَوَجْدِ عَمرٍو بِذَاتِ الخَالِ ، مِنْ جِنٍّ وإِنْسِ .

٤ وَقَاكِ اللهُ ، يا ابنةَ آلِ عَمْرٍو، مِنَ الفِتْيَانِ أَمثـالي ونَفْـسي !

٥ فَلا تَلِدِي ، وَلا يَنْكَحْكِ مِثْلي ، إذا ما لَيْلَةٌ طَـرَقَتْ بِنَحْـسِ !

٦ وَتَزْعُـمُ أَنَّـني شَيْـخٌ كَبِـيرٌ، وما نَبَّأْتُهَـا أَني ابـنُ أَمسِ !

---

١ ذات الخَمْس ، والعَقيق وبَطْن ضَرْس : أماكن .

* هو هنا يتساءل عن الطَّلل الدارس .

٢ يَوْمُ دجْن : مظلم .

* يشبّه الخَنْساء بغمامة في يوم حالك السَّواد .

٣ * فأقسم أنّي ما سمعت عن جنّ أوعن إنْس ما يشبه غرام عمرو بذات الخال .

٤ * منَ الفتْيان أمْثالي : ويروى من الأزواج أشباهي . يقول : وقاك الله مني ومن أمثالي .

٥ * فلا جعلك الله تلدين ، ولا جاءك زوج مثلي ، في ليلة مظلمة مغبَّرة .

٦ * وتزعم أنّي كبير السّن ولم أقل لها إنّي فتى .

٧ تُريد شَرَنْبَثَ القَدَمَينِ ، شَثْناً ، يُقَلِّعُ بالجَرِيرَةِ كُلَّ كِرْسِ .

٨ وَمَا قَصُرَتْ يَدي عَنْ عُظْمِ أَمْرٍ أَهِمُّ بِهِ ، ولا سَهْمي بِنِكْسِ .

٩ وَمَا أَنَا بالمُزَجَّى ، حينَ يَسْمُو عَظِيمٌ في الأُمُورِ ، ولا بِوَهْسِ .

١٠ وَقَدْ أَجْتَازُ عَرْضَ الحَزْنِ ، لَيْلاً ، بِأَعْبَسَ مِنْ جِمالِ الغِيدِ ، حِلْسِ .

١١ كَأَنَّ عَلَى تَنَائِفِهِ ، إِذَا مَا أَضَاءَتْ شَمْسُهُ ، أَثْوَابَ وَرْسِ .

١٢ إِذَا عُقَبُ القُدُورِ عُدِدْنَ مَالاً ، تُحِبُّ حَلائِلُ الأَبْرَامِ عِرْسي .

---

٧ الشَّرَنْبث : الغليظ العروق . الشَّثْن : الضّخم الأصابع . الجَرِيرَة : الحظيرة . الكِرْس : ما تلبَّد من البعر والبول .

* تريد رجلا تضخَّمت قدماه ، وغَلُظت أصابعه من الشّغل في الحظيرة ، والزّراعة ، (وهو عمل محتقر في نظر البدويّ الرحَّال) .

٨ * وكنت أنال أي أمر أريده ، مهما عظم شأنه ، ولم يُصَبْ سهمي بنكس .

٩ المُزَجَّى : المدفوع المسيّر . الوَهْس : النَّميمة .

* وما كنت بالمسيَّر المدفوع ، حين يرتفع امرؤ في أمر عظيم . ولم أكن نماماً أشر .

١٠ الحَزْن : الأرض المرتفعة الَّتي يصعب فيها السَّير . الأعْبَس : العجل الَّذي علاه العبس . العَبَس : الوسخ أو ما جف من الأبعار . الغيد : جمع الغيداء وهو المكان الَّذي يكثر فيه النبات . الحِلْس : المقدام ، ملازم الشيء .

* وقد أجتاز الأمكنة الوعرة ، المرتفعة ، ليلا ، على جمل قويّ

١١ تَنَائف : جمع تنوفة ، البرّيَّة الَّتي لا ماء فيها ولا أنيس . الوَرْس : نبات كالسّمسم يتَّخذ منه صباغ ، لونه كلون الزّعفران .

* شبَّه ما يبدو على برية ذلك الحَزْن المقفر ، من تظاهر السَّراب ، تحت وقع أشعة الشمس ، بالأثواب المصبغة بالورس .

١٢ عُقَب : جمع عقبة ، شيء من المرق ، يرده مستعير القدر إذا ردها . حَلائل : جمع حليلة ، زوجة . الإبْرَام : الَّذين لا يدخلون في الميسر لفقرهم .

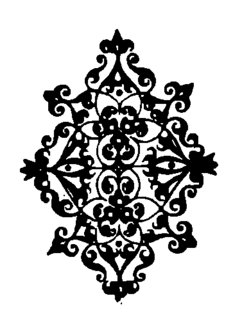
* إنّ نساء الإبرام تحبّ زوجتي لأني كريم ، وزوجتي تطعمهم .

١٣ وقَدْ عَلِمَ المَرَاضِعُ في جُمَـادَى ، إِذَا اسْتَعْجَلْنَ عَنْ حَـزٍّ بِنَهْسِ ،

١٤ بأَنِّي لا أَبِيتُ بِغَيْـرِ لَحْـمٍ ، وأَبْدأُ بالأَرَامِـلِ حِينَ أُمْـسي ،

١٥ وَأَنِّي لا يَهِـرُّ الضَّيْـفَ كَلْـبي ، وَلا جَارِي يَبِيتُ خَبِيثَ نَفْسِ.

١٦ فَإِنْ أَكْـدَى فَتَامِكَـةٌ تُـؤَدَّى ، وَإِنْ أَرْبى فَإِني غَيْـرُ نِكْسِ.



١٣ المَرَاضع : جمع مرضع ، وتكون في أشدّ الحاجة من غيرها للغذاء . جُمَادى : شهر البرد . الحَزّ : القطع . نَهَسَ اللَّحْم : تناوله بمقدم أسنانه وقطّ

* إنّ المراضع في شهر جُمَادى (أي شهر البرد والشّتاء) من شدة الجوع وشدة الزمن ، يستعجلن بنهش اللحم عن تقطيعه .

١٤ * وقد علم المراضع أن بَيْتي لا يخلو من اللَّحم ، وأني أقدم اللَّحم للأرامل حين المساء .

١٥ * وأني أكرم ضيفي وجاري ، فلا يزجر الضّيف كلبي ، لأنه يخرج من بيتي مكرّماً ، وجاري لا يبيت لي نية خبيثة ، لأني سمح الخلق معه .

١٦ أكْدى الرَّجُل : افتقر بعد غنى . وأكْدى العَام : أجدب . تَامكَة : ناقة كبيرة السّنام . أرْبَى : زاد ونمى . النّكْس : البخيل .

* فان افتقر جاري فله ناقة كبيرة السنام ، وإن زاد ماله ، فاني لستُ بلئيم أو بخيل .

المُتَنَخِّل الهُذَلِي

المُتَنَخِّل الهُذَلي

... ـ ...

هو مالكُ بن عُوَيْمر بن عثمان بن خُنَيس الهُذَليّ ، من مضر ، أبو أُثَيْلة : شاعر من نوابغ هذيل . أثبت له صاحب الأغاني صوتاً من قصيدة قالها في رثاء إبنه أثيْلة . وقال الآمدي عنه : شاعر محسن ، كما قال الأصمعي : « هو صاحب أجود قصيدة طائيّة قالتها العرب ، وأورد بيتين منها .

وفي القصيدة الأولى التي نُثْبتها له استهلّ بذكر الطَّلَل وشبَّهه بالوشم في المعصم ، وذكر الرِّيح التي تعصّفت به ، والدمع الّذي سال من مآقيه أمامه ، ويمثّله بالماء المنهال من القربة. ويتعرّض إلى ظعائن الحبيبة ويقرنها بالنّخيل ، ويستطرد إلى وصف الحبيبة في ثغرها وأسنانها ، ثم يشير إلى وقع البرق في نفسه ، وما يثيره من الحنين والتّذكار ، ويتمثّل المطر الّذي يصحبه وشدته واقتلاعه للاشجار ، على غرار امرئ القيس ، وهرب البهائم واختبائها من دونه . ويميل ، فجأة ، إلى الإعراض عن ذكر الحبّ والحبيب ، مستبدلا به القوس الشبيهة بالخلخال من كل عطب ، المصوّتة كأصوات الزنابير ، ويتّخذ من قوسه وسيلة له لإظهار بطولته . وينهي القصيدة بأفكار زهدية وعظية . وهذه القصيدة تمثّل ما دونها من شعره إذ تتماثل تجاربه وتتكرر .

لَيْسَ لِمَيْتٍ بوَصِيلِ

١	هَلْ تَعْرِفُ المَنْزِلَ بِـالأَهْيَـلِ	كَالوَشْمِ في المِعْصَمِ ، لَمْ يَجْمُلِ
٢	وَحْشاً تُعَفِّيـهِ سَوَافي الصَّبـا	والصَّيْفُ ، إلاَّ دِمَنَ المَنْـزِلِ
٣	فانْهَلَّ بِالدَّمْعِ شُؤُوني ، كـأَ	نَّ الدَّمْعَ يَسْتَبْدِرُ مِـنْ مُنْخُـلِ
٤	أَوْ شَنَّةٍ يَنْفَحُ مِـنْ قَعْرِهـا	عَطٌّ بِكَفَّيْ عَجِـلٍ مُنْهِـلِ
٥	تَعْنُو بِمَخْـرُوتٍ ، لَه نَـاضِـحٌ	ذو رَيِّقٍ يَغْـذُو وذو شَلْشَـلِ
٦	ذَلِكَ مَـا دِينُـكَ ، إذْ جُنِّبَتْ	أَحْمَـالُهـا كَالبُكُـرِ المُبْتِـلِ

---

١ الأهْيَل : مكان . لم يَجْمُل : لم يُوشم .

* هل تذكر ذاك المنزل في الأهْيَل ؟ إنه لا يزال باقياً كالوشم في المعصم .

٢ تُعَفِّيه : تمحوه . السَّوافي : ما تسفي الريح ، أي ريح الصَّبَا ، والصَّبَا يكثر في الشّتاء . والصَّيف : أراد مطر الصَّيف . الدمْنَة : آثار النَّاس ، وما سوّدوا بالرّماد .

* قد عفَّت الرِّيح آثار النَّاس ، وبقيت دمَنَ المنزل .

٣ الشُّؤُون : جمع شأن : العرق الذي تجري منه الدموع . انْهل : سال وانصبّ . يَسْتَبْدر : يخرج من مُنْخُل من سرعته .

* يقول : إنه أمام هذه الدمَنَ جاشت عواطفه ، فسال دمعه سريعاً .

٤ شَنَّة : قربة انشقَّت . يَنْفَح : ينفح الماء ، يخرج على دفعات . عَطّ : شقّ . مُنْهل : مُعْطش .

* يسيل هذا الدمع وكأنه ماء يتدفّق من قربة شُقَّت بكفي عطشان عجل .

٥ تَعْنُو : تسيل . المَخْرُوت : المشقوق ، والخُرْت : الخرق . يَغْدو : يسيل . الرَّيِّق : ناحية المطر وليس بمعظمه . مُشَلْشَل : متفرّق .

* فهذه المزادة يخرج منها الماء قليلا قليلا ، وقد ضرب هذا الَّذي يخرج من هذه المزادة مثلا لما يخرج من عينه من الدمع .

٦ دينُك : دأبك . جُنِّبَتْ أحْمَالُها : أخذت أحد الجانبين . البُكُر : جمع بكور ، ما بكّر من النَّخل . المُبْتل : جمع مبتلة ، النَّخلة ويكون لها فسيلة استغنت وانفردت عن أمها .

* كأنّ أظعان هذه المرأة نخل قد بان منه فسيله .

٧ عِيـــرٌ عَلَيْهِـــنَّ كِنَـانِيَّـةٌ جَـارِيَـةٌ كَـالرَّشإِ الأَكْحَـلِ

٨ كَالأَيْمِ ذِي الطُّـرَّةِ أَوْ نَاشِيءِ البَـرْدِيِّ تَحْتَ الحَفَـإِ المُغْيِـلِ

٩ تَنْكَـلُّ عَـنْ مُتَّسِقٍ ظَلْمُـــهُ فِي ثَغْـرِهِ الإِثْمِـدُ ، لَمْ يُفْلَلِ

١٠ غُـرِّ الثَّنَـايَـا كَـالأَقَـاحِي ، إِذَا نَوَّرَ صُبْحَ المَطَـرِ المُنْجَـلِي

١١ هَلْ هَاجَكَ اللَّيْلَ كَلِيـلٌ عَلَى أَسْمَاءَ مِـنْ ذِي صُبُرٍ مُخْيِـلِ

١٢ أَنْشَأَ فِي العَيْقَـةِ يَـرْمِـي لَهُ جُوفُ رَبَـابٍ وَرِهٍ مُثْقَـلِ

---

٧ الرَّشَأ : الظَّبيُ الصَّغير .

* تبدو وهي ظاعنه كالرّشأ الأكحل في حسنه .

٨ نَاشيء البَرْديّ : صغاره . الأيمْ : الحيَّة الَّتي لها مثل الخَوْصَتَيْن في جنبها . المُغْيل : الَّذي في الغيل ، وهو الماء السّح . الحَفَأ : هو البردي الأخضر ما دام منبته .

* يتابع وصف حسنها ومرورها ويمثل ذلك بعبور الحيَّة أو نبت البرديّ الرويّ اللَّين .

٩ تَنْكَلّ : تضحك . مُتَّسق : مستو . الظَّلْم : ماء الأسنان . في ثَغْره الإثْمد : في أصوله سواء كالإثمد . لَمْ يُفْلَل : لم ينكسر ولم يكبر ، وهي أسنان الشَّباب لم يطل الأكل عليها ولم يكسرها حدّ الزمان .

* تفتح ثغرها عن أسنان مرصوفة فتيَّة ، بيضاء ، لا سواد فيها .

١٠ المُنْجَلي : المنكشف .

* كأن أسنان هذه المرأة أقحوان صبَّحه المطر ، أي بعد ما غَسَل عنه المطرُ التراب .

١١ كَليل : برق ضعيف لأنه يجئ من مكان بعيد . عَلَى أَسْمَاء : أي من نحو دار أسماء . مُخْيِل : أي منذر بالمطر . من ذي صُبُر : أي من سحاب ذي صُبُر : جمع صبير وهو الغيم الأبيض .

* أي هل تذكَّرت أسماء فهاج ليلك حين رأيتَ البرق يلمع من بعيد . والغيم الأبيض يسري منها إليك ؟ .

١٢ العَيْقَة : ساحة من ساحات البر والبحر . الوَره : المتساقط . رَبَاب : سحاب .

* فهذا غيم هكذا يمضي متساقطاً ، وينهمر بالمطر الغزير لثقله بالماء .

١٣ فَالْتَطَّ بِـالبُرْقَـةِ ، شُؤْبُـوبُـهُ وَالرَّعْدُ حَتَّى بُـرْقَـةِ الأَجْـوَلِ

١٤ أَسْدَفُ مُنْشَقٌّ عُـرَاهُ ، فـذو الإِدْمَـاثِ مَا كَانَ كَـذِي الْمُـوْئِلِ

١٥ حَارَ ، وَعَقَّتْ مُزْنَـهُ الرِّيحُ ، وانْـقَارَ بِـهِ العَرْضُ ، وَلَمْ يُشْمَلِ

١٦ مُسْتَبْـدِراً ، يَـزْعَـبُ قُـدَّامَهُ يَرْمِي بِعُمٍّ السَّمُرِ الأَطْـوَلِ

١٧ ظَـاهَـرَ نَجْـداً ، فَتَـرَامَى بِهِ مِنْهُ تَـوالِي لَيْلَـةٍ مُطْفِـلِ

١٨ لِلْقُمْـرِ مِـنْ كُـلٍّ فَـلَا نَالَـهُ غَمْغَمَـةٌ يَقْزَعْـنَ كَالْحَنْظَـلِ

---

١٣ إلْتَطَّ : سُتر . شُؤْبُوبُه : مطرة ودفعة شديدة ، ليست بعريضة . بُرْقَة الأَجْوَل : موضع .

* أخذ السَّماء كلها ببرق ورعد ، فستَر هذا السَّحاب ، حتَّى لا يُرَى منه شيء إلا كلما خطف برق ، أي كأنه ستر السّماء بارقاً وراعداً .

١٤ الأَسْدَف : الأسود . مُنْشَقٌ عُرَاه : كأن عرى هذا السَّحاب قد انشقَّت من كثرة مائه. عُرَاه : نواحيه . المَوْئل : الملجأ من هذا المطر. الدمث : المكان السّهل الَّذي ليس بمرتفع .

* إن الَّذي وَألَ واعتصم بشيء من المطر مثل الَّذي في الدمث ، لا يحرز هذا مكانه ، ولا يغني عنه شيء ، أي أنه لا سبيل إلى الهروب منه والاستتار عنه ، كما يفعل من يُقيم في ملجأ .

١٥ حَارَ : تحيّر وتردد . عَقَّت : شقَّت الريح سحابه . انْقَار : انقطعت منه قطعة من عرضه . لم يُشْمَل : أي لم تصبه ريح الشَّمال . المُزْنَة : المطرة .

* يستكمل وصف السَّحاب ويقول : إنه تردد وحار في الفضاء ، كما بددته الرِّيح في السّماء ، فانشطر بعضه ، بالرغم من أنّ ريح الشّمال لم تصبه .

١٦ يَزْعب : يتدافع . العُمّ : الطّوال . السَّمُرُ : شجر طوال وله شوك صغار .

* يريد أن السَّيل قلع الشجر ، ومضى به قدماً .

١٧ ظَاهَر : علا . تَوَالي : مآخير. مُطْفل : فيها نشأ الغيم وأمطر.

* يقول : إنَّه ارتمى في نجد وملأه لشدة هطوله في ليلة كثيرة الفيضان والانهمار.

١٨ القُمْر : الحمير. غَمْغَمَة : صوت . يَقْزَعْنَ : يمررن في السَّير مراً سريعاً .

* شبَّه الحمير في كل مكان أصابه هذا المطر بالحنظل اليابس إذ مرّ فوق الماء يتدحرج ، أي أنه أوشك أن يذهب ويودي بها .

١٩ فَأَصْبَحَ العِينُ رُكُـــوداً عَلَـى الـ أَوْشَازِ أَنْ يَرْسَخْنَ فِي المَوْحِـلِ
٢٠ كَـالسُّحُلِ البِيضِ ، جَـلا لَوْنَها سَحُّ نِجَـاءِ الحَمَـلِ الأَسْـوَلِ
٢١ أَرْوَى بِجِـنِّ العَهْـدِ سَلْمَى ، وَلَا يُنْصِبْكَ عَهْدُ المَلِقِ الحُـوَّلِ
٢٢ دَعْ عَنْكَ ذَا الأَلْسِ ذَمِيماً ، إِذَا أَعْـرَضَ واسْتَبْـدَلَ ، فَاسْتَبْدِلِ
٢٣ واسْلُ عَـنِ الحُـبِّ بِمَضْلُـوعَةٍ تَابَعَهَـا البَـارِي ، وَلَمْ يَعْجَلِ
٢٤ كَالْـوَقْـفِ لَا وَقْرٌ بِهَـا هَزْمُها بِالشِّرْعِ كَـالخَشْرَمِ ذِي الأَزْمَلِ

---

١٩ العين : البقر . رُكُوداً : قياماً . الأوْشَاز : الأنشاز ، الأمكنة المرتفعة . أنْ يَرْسخْنَ في المَوْحل : يدخلن .

* اعتصمت الأبقار في الأماكن المرتفعة ، كيلا يغرقن في المكان الموحل ، وهو إنَّما يمثّل بذلك شدة انهماره وتحريكه للتُّربة وجرفه لها .

٢٠ السُحُل : جمع سَحْل ثوب لم يبرم غزله . جَلا لَوْنَها : جلا لون هذه الأبقار . الحَمَل : السَّحابة السَّوداء . الأسْوَل : المسترخي أسفل البطن . النّجَاء : السَّحاب .

* تبدو هذه الأبقار كالثّياب البيض الّتي جلا لونها سحابة سوداء ، أي من تعارض لونها الأبيض ولون السَّحاب الأسود .

٢١ جنّ العَهْد : حدثانه . لا يُنْصبْك : دعاء له . الحُوّل : الكثير التحوّل .

* دعا لها بالسّقيا ، أي سقاها الله هذا المطر أول عهده ، لأنه يثبت ويدوم ، ثم نهى نفسه أن يُنْصبَه حبّ من هو قَلق ، مشيراً بذلك إلى اضطرابها في حبَّها وامتناعها عن القيام بالعهد فيه .

٢٢ الألْس : الخيانة . إذا أعْرَضَ : إذا أعرض عن الودّ .

* دع عنك الخائن الذميم الّذي يُعْرض عن الودّ ، واستبدلْه بغيره ، مثلما استبدلك بغيرك .

٢٣ مَضْلُوعَة : قوس ضليعة ، شديدة . تابَعَها : تتبع ما فيها . وَلَمْ يَعْجَل فيها : قام عليها قياماً حسناً .

* واترك الحبّ وانصرف إلى حمل القوس الّتي اتقن صانعها صنعها .

٢٤ الوَقْف : الخلخال والسّوار . الوَقْر : الصّدع والثّلم . هَزْمُها : صوتها . الشّرْعَة : الوتر . الخَشْرَم : النَّحل . الأزْمَل : الصّوْت .

* شبَّه هذه القوس بالخلخال السّليم من كل صدع أوخدش ، وصوتها بصوت الزّنابير الكبار ، إذا بدأت العمل .

٢٥ مِنْ قَلْبِ نَبْعٍ وبِمَنْحُوضَةٍ بِيضٍ ولَيْنٍ ذَكَرٍ مِقْصَلِ

٢٦ مُنْتَخَبُ اللُّبِّ ، لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالعَطِّ مِنَ الخِذْعِلِ

٢٧ أَفْلَطَهَا اللَّيْلُ بِعِيرٍ فَتَسْعَىٰ ثَوْبُهَا مُجْتَنِبُ المَعْدِلِ

٢٨ أَبْيَضُ كَالرَّجْعِ رَسُوبٌ ، إِذَا مَا ثَاخَ فِي مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي

٢٩ ذَلِكَ بَزِّي وَسَلِيهِمْ ، إِذَا مَا كَفَتَ الحَيْشُ عَنِ الأَرْجُلِ

٣٠ هَلْ أُلْحِقُ الطَّعْنَةَ بالضَّرْبَةِ الـ خَدْبَاءِ بالمُطَّرِدِ المِقْصَلِ

٣١ مِمَّا أُقَضِّي ومَحَارُ الفَتَى لِلضُّبْعِ والشَّيْبَةِ والمَقْتَلِ

---

٢٥ مِنْ قَلْبِ نَبْعٍ : من خالص نبع وهو شجر تتخذ منه القسيّ . مَنْحُوضَة : نَبْل قد أرهقَتْ نصالها . لَيْن : لَيِّن ، أي ليس بكزّ .

* أي كأنّ هذا الصّوت صادر من قلب نبع ، أو هو من نبل ليّن ، حادّ النّصل .

٢٦ مُنْتَخَبُ اللّب : منخوب اللّب أي ذاهب عقله . الخَدب : ركوب الرّأس ، مثل الهوج . العَطّ : الشّق . الخذعل : المرأة الحمقاء .

* كأن ليس لـه عقل ، لا يتماسك ، يضرب دون رويّة .

٢٧ أفْلَطَها : فاجأها . مُجْتَنِبُ المَعْدل : أي اجتنبت الطّريق ، فمرّ ثوبها بشجرة فشققته .

* فاجأها اللّيل بعير تحمل بعض ما تحبّ هذه المرأة الرّعناء .

٢٨ الرّجْع : الغدير فيه ماء المطر . المُحْتَفَل : معظم الشّيء . ثَاخَ : غاب . يَخْتَلي : يقطع الرّسُوب : الذي إذا وقع غمص مكانه لسرعة قطعه .

* يصف القوس بالبياض وبالفعاليّة ، إذا ما وقعت في مكان رسبت فيه ، دلالة على استقرارها داخل الجرح أو الشّق . وفي هذا إبراز ومبالغة في تصوير فعاليتها .

٢٩ كَفَتَ : شَمّرَ . الحَيْش : الفزع نفسه .

* يقول : هذا الّذي وصفته هو أنا ، وإن شككت ، سلي النّاس عني .

٣٠ الخَدبَاء : الهوجاء . المِقْصَل : القاطع .

* أي سليهم هل أطعن وأضرب حاملا الرّمح القاطع ، لا يلويني رادع .

٣١ مَحَارُ الفَتَى : مصيره ومرجعه . الضّبْع : جمع ضباع .

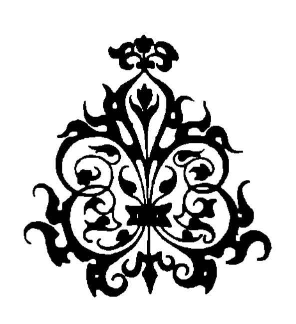
* يقول : أنا أقضي عليهم إما بالموت أو الهرم أو القتل . كنّى عن الموت بالضّبع ، أي إذا مات نبشته ، الضّبع .

٣٢ إنْ يُمْسِ نَشْوَانَ بِمَصْـرُوفَـــةٍ مِنْها بِـرِيٍّ وَعَلَـى مِرْجَـــلِ

٣٣ لا تَقِهِ المَــوْتَ وقَيَّـــاتُــــهُ خُـطَّ لَـهُ ذَلِكَ في المَحْبَـــلِ

٣٤ لَيْسَ لِمَيْتٍ بِـوَصِيـلٍ ، وَقَدْ عُلِّـقَ فِيهِ طَـرَفُ المُــوْصِـلِ

٣٥ أَوْدَى ، إِذَا أُنْبِتَّـتْ قُـوَاهُ ، فَلَمْ يَرْكَبْ ، إِذَا سَارُوا ، وَلَمْ يَنْزِلِ



٣٢، ٣٣ مَصْرُوفَة : يعني خمرة شربَها صرفاً على لحم . بريّ : أي بريّ من هذا الخمر . عَلَى مِرْجَل : على لحم في قدر . المَحْبَل : في وقت الحبل ، وإن أريد المنيَّة ، يكون المَحْبِل .

* نشوته بالخمرة ، وأكله اللَّحم لا يبعدان عنه مصير الموت المحتوم ، الَّذي كتب له قبل ولادته .

٣٤ الوَصيل : الَّذي بينه وبين صاحبه صلة .

* يقول : ليس الحيّ بمتَّصل بالميّت . وقد عُلِّق فيه ، أي في الشَّاعر السَّبب الَّذي يصير به إلى ما صار الميّت .

٣٥ أَوْدى : مات . انْبَتَّتْ قوَاه : انقطعت أسبابه .

* أي انقطعت أسباب العيش عنه ، فمات ولم يعد يجاري القوم في القيام وفي القعود .

عَرَفْتُ بأَجْدُثٍ فنِعَافِ عِرْقٍ

يستهلّ بالبكاء على الأطْلال والشَّباب وانصراف الغواني عنه . ونغوّ الوشاة في تصوير شيبه . ويحنّ إلى أيام الشَّباب . أيام كان يلهو بالغو ني وحده . يشرب الخمرة المشعشعة في الإناء . فتتلذذ بها يداه . حين تتناود من يدي السَّاقي .

وينتقل . بعد ذلك . إلى الفخر بنفسه . وبصَوْنه الأعراض . وبكرمه . وبأنَّه يحمي الملتجىء . ويستبسل في القتال . إذا دعاهُ داع . وبأنه يقتحم المخاطر . لا يهاب السّباع . يحمل في يده سيفاً تعوّد القتال . ونبالا من أجود النّبال .

وهذه القصيدة تجري على سياق القصائد الفروسيَّة في موضوعاتها ومعانيها وصورها ، وقد عرا الجفاف عبارتها في مواضع . متماثلا مع الأجواء الصّحراوية التي يلمّ بها ويصفها .

١ عَرَفْتُ بأَجْدُثٍ فَنِعَافِ عِرْقٍ عَلامَاتٍ كَتَحْبِيرِ النِّمَاطِ

٢ كَوَشْمِ المِعْصَمِ المُغْتَالِ عُلَّتْ نَواشِرُهُ بِوَشْمٍ مُسْتَشَاطِ

٣ وَمَا أَنْتَ ، الغَدَاةَ ، وذِكْرَ سَلْمَىٰ وَأَضْحَىٰ الرَّأْسُ منك إلى اشْمِطَاطِ

٤ كَأَنَّ عَلَى مفَارِقِهِ نَسِيلاً مِنَ الكَتَّانِ ، يُنْزَع بِالمِشَاطِ

---

١ ، ٢ أجْدث ونعَاف عرْق : موضعان . النّمَاط : جمع نمط . تَحْبير : تنقيش . المُغْتَال : الممتلىء . والمعْصَم المُغْتَال : إذا كان ريَّان ممتلئاً حُسناً . نَوَاشِرُه : عصبه . عُلَّتْ : وشمت بعد مرة أخرى ، وهذا مثل . مُسْتَشَاط : غضبان .

* رأيت في هذين الموضعين آثار هذه الديار ، فهي كأنها وشم حُفر في معصم ريَّان ممتلىء ، والوشم يبدو أكثر في مثل هذا المعصم .

٣ * أقلع عن ذكر سلمى ، فقد كبُرت وانتشر الشَّيب في رأسك .

٤ منَ الكَتَّان : أي مثل ما يسرح من الكتان ، يَنسل منْه : يخرج .

* يصف شيبه وتفرّق شعره ، دلالة على كبر سنّه ويمثّله بالكتّان ويقول : إنه إذ يمشِّطه يتساقط لتهالكه وهزاله .

٥ فإمَّا تُعرِضينَ ، أُمَيْمَ ، عَنيِّ وَيَنْزِعُكِ الوُشَاةُ أولو النِّبَاطِ

٦ فَحُورٍ قَدْ لَهَوْتُ بِهِنَّ ، وَحْدِي ، نَوَاعِمَ في المُرُوطِ وفي الرِّيَاطِ

٧ لَهَوْتُ بِهِنَّ ، إذْ مَلَقِي مَلِيحٌ ، وإذْ أنَا في المَخِيلَةِ والشِّطَاطِ

٨ أَبِيتُ عَلَى مَعَارَى فَاخِرَاتٍ ، بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِبَاطِ

٩ يُقَالُ لَهُنَّ ، مِنْ كَرَمٍ وَحُسْنٍ ظِبَاءُ تَبَالَةَ الأُدْمُ العَوَاطِي

١٠ يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ

٥ يَنْزِعُك الوُشَاة : يودونك . ويمدحونك . النِّبَاط : جمع نبط . وهو أول ما يظهر من ماء البئر . وهو هنا بمعنى الّذين يستنبطون الأخبار ويستخرجونها .

* أن تُعْرِضي عنّي يا أميمة . ويبعدك الوشاةُ عني بما يتناقلون من أخبار يؤوّلونها .

٦ ويروى : لهوتُ بهنّ عين . الحَوْرَاء : الشّديدة بياض الحدقة . الشّديدة سوادها . العَيْن : ضخامة العين وسعتها . ومنه قيل لبقر الوحش : عين . المُرُوط : جمع مرط . كل ثوب غير مخيَّط . الرِّياط : الملاءة إذا كان قطعة واحدة .

يشبّه النّساء بالبقر . ويقول : إنه لها بهنّ وحده . ويصف هؤلاء النّساء بالنّعومة ، وهنّ يتمايلن في ثيابهن الفضفاضة .

٧ مَلَقي : لين كلامي . وهو التملّق . الشِّطَاط : حسن القوام . المَخيلَة : الخيلاء .

يريد أنهن تجاوبن معه لمزايا فيه : فهو حلو الحديث . حسن القوام . ويمشي الخيلاء وكلها مزايا تقرّبه من النّساء .

٨ مَعَارى : جمع مَعْرَى . وهي هنا تعني الفرش . الملوّب : المَلاب . من ضروب الطيب كالخلوق . العبَاط : العبيط . ما ذبح أو نحر من غير مرض . فدمه صاف .

* يقول : بتّ ليلتي على اللّهو بين الخمرة والنّساء .

٩ العَوَاطي : جمع عاطية . اللّواتي يتناولن أطراف الشّجر . تَبَالَة : بلدة مشهورة من أرض تهامة ، في طريق اليمن .

* يبيت ليله مع نساء عرفن بالكرم والحسن ، وشُهرن في تَبَالة ، حتّى قيل عنهن : ظباء تبالة الكريمات .

١٠ من الخُرْس الصَّرَاصرَة : يريد أعجم من نَبَط الشّام ، يقال لهم : الصّراصرة . القطاط : جمع قَطَط أي الجعاد ، وهو أشد الجعودة .

* يقول : يُمَشّي بيننا صاحب حانوت من خمر . أعْجم ، من أنباط الشّام ، الجعاد الشّعر .

١١	رُكُـودٍ في الإِنَـاءِ ، لَهَـا حُمَيًّا	تَلَذُّ بأَخْذِهـا الأَيْـدِي السَّوَاطـي
١٢	مُشَعْشَعَة كَعَيْنِ الـدِّيكِ لَيْسَـتْ ،	إِذَا ذِيقَتْ ، مِنَ الخَلِّ الخِمَاطِ
١٣	فَـلا ، وَاللهِ ، نادَى الحيُّ ضَيْفِي	هُدُوءاً بـالمَسَاءَةِ والعِـلاطِ
١٤	سأَبْدَأُهُمْ بِمَشْمَعَةٍ ، وأَثْنِـي	بجُهْدِي مِن طَعَـامٍ أَوْ بِسَاطِ
١٥	إِذَا مَا الحَرْجَفُ النَّكْبَاءُ تَرْمي	بُيُوتَ الحَـيِّ بالـوَرَقِ السِّقَـاطِ
١٦	وَأُعْطِي غَيْـرَ مَنْـزُورٍ تِـلادِي ،	إِذَا الْتَطَّـتْ لَـدَى بَخَل لَطَاطِ
١٧	وَأَحْفَـظُ مَنْصِبِي وَأَصـونُ عِرْضِي	وَبَعْضُ القَـوْمِ لَيْسَ بِذِي حِيَاطِ

---

١١ رُكُود في الإِنَاء : صافية ساكنة . حُمَيَّاها : سورتها . السَّوَاطي : جمع ساطية . أي تسطو إليها ، أي تتناولها .

* يصف الخمرة في إنائها وهي صافية ساكنة ، تلذّ يد الّذي يتناولها ، قبل أن يلتذّ بشربها .

١٢ المُشَعْشَعَة : الّتي قد أرقّ مزجها ، الخَمْطَة : الّتي قد أخذت ريحاً ولم يستحكم ، لم تبلغ الحموضة بعد . الخَميط الّتي قد أخذت ريحاً ، ولم تفسد .

* أي هي مشعّة صافية كصفاء عين الديك ، وطعمها طيب لم يفسده شيء .

١٣ العلاط : علاط البعير ، الوسم فيه .

* لا والله لا ينادي الحيّ ضيفي بعد انقطاع هزيع من اللّيل ولا يتهمونه بالمساءة ولا يحقّرونه .

١٤ مَشْمَعَة : مزاح ولعب ومضاحكة .

* سأبدأهم بالمزاح واللّعب والمضاحكة ، وأثني بأن أبسط لهم بساطي ، وأطعمهم طعامي .

١٥ الحَرْجَف : الرّيح الشّديدة ، ترمي بورق الشّجر بيوت الحيّ .

* يقول : إنّ هذه الرّيح الشّديدة ترمي بورق الشّجر بيوت الحي .

١٦ الْتَطَّتْ : سترت . لَطَاط : السَّنة الساترة عن العطاء ، الحاجبة عنه .

* أبذلُ عزيز مالي ، غير متردد فيه ، في حين يحجب البخيل ماله عن طالبه .

١٧ أي من صفاتي صَوْني العرض ، وحفظ المنصب ، دلالة على حفظي لكرامتي ، بينما لا يتورّع الآخرون عن ذلّ أنْفسهم .

١٨ وَأَكْسُو الحُلَّـةَ الشَّوْكَاءَ خِـدْنِي ، وَبَعْضُ الخَيْـرِ في حُـزَنٍ وِرَاطِ

١٩ فَهَذَا ، ثُمَّ قَـدْ عَلِمُـوا مَكَـانِي إِذَا قَـالَ الرَّقِيبُ أَلَا يَعَـاطِ

٢٠ وَوَجْهٍ قَدْ طَرَقْتُ ، أُمَيْمَ صَافٍ ، أَسِيلٍ ، غَيْرِ جَهْمٍ ، ذِي حَطَاطِ

٢١ وَعَادِيَـةٍ وَزَعْتُ ، لَهَـا حَفِيفٌ حَفِيفَ مُـزَبِّدِ الأَعْـرَافِ غَاطِي

٢٢ تَمُدُّ لَـهُ حَـوالِـبُ مُشْعَـلَاتٌ يُجَلِّلُهُنَّ أَقْمَـرُ ذُو انْعِطَـاطِ

٢٣ لَفَفْتُهُـمْ بِمِثْلِهِمُ ، فَـآبُـوا بِهِمْ شَيْنٌ مِنَ الضَّرْبِ الخِـلَاطِ

٢٤ بِضَرْبٍ في الجَمَاجِمِ ذي فُرُوغٍ وَطَعْنٍ مِثْلِ تَعْطِيـطِ الـرِّهَـاطِ

---

١٨ الشَّوكَاء : الجديدة . الوَرْطَة : الموضع الَّذي يقع فيه الرّجل . فلا يقدر أن يخرج منـه . الحُزَن : جمع حزنة ، الجبال الغلاظ .

* بعض الخير يكون في موضع ، إن طلبته لم تقدر عليه ، أما أنا . فيخرج ما عندي سهلا .

١٩ يَعاط : يصوّت منذراً .

* إذا خاف يدركهم حتى يغشاه القوم ، صاح وعطعط .

٢٠ أسيل : سهل ، لم يكثر لحمه حتى يتبثَّر . الحَطَاط : البَثْر .

* قد طرقت وجه امرأة صافية البشرة ، لم تكدرها البثور .

٢١ عَادِيَة : حاملة ، قوم يحملون في الحرب . وَزَعْتُ : كَفَفْتُ . غَاطي : مرتفع . الأَعْرَاف : السَّيل إذا أزبد ، يُرى له مثل العُرف .

* وعادية كَفَفْتُها ، لها حفيف مثل صوت السَّيل الَّذي له زبد وأعراف .

٢٢ أَقْمَر : سحاب أبيض . حَوَالب : دوافع . مُشْعَلات : متفرّقات . ذو انْعطَاط : ذو انشقاق .

* وإذا رأيت للغيث حوالب من أمكنة كأنَّه بطن أتان قمراء . يريد أن يقول : إنهن متفرّقات يجئنَ من كلّ حرّة ومن كل مكان ، أي أن القوم تجمَّعوا فيها من كل صَوْب .

٢٣ الشَّيْن : آثار تبقى قبيحة . الخلاط : المخالطة . أي خالط بعضه بعضاً . آبَ : رجع .

٢٤ الرِّهَاط : جمع رهط ، أزرتُشقَّق . تُجعل للصّبيان . الفُروع : جمع فرع . ما بين عَرْقوتي الدلْو .

* شبَّه هذا الضَرْب ، حين يسيل دمه ، بفرع الدلْو إذا انصبّ .

٢٥ وَمَاءٍ ، قَدْ وَرَدْتُ ، أُمَيْمَ ، طامٍ   عَلَى أَرْجائِهِ زَجَلُ الغَطَاطِ
٢٦ قَلِيلٍ وِرْدُهُ ، إِلاَّ سِبَاعاً   يَخِطْنَ المَشْيَ كَالنَّبْلِ المِرَاطِ
٢٧ فَبِتُّ أُنَهْنِهُ السِّرْحانَ عَنِّي ،   كِلانَا وَارِدٌ حَرَّانَ سَاطِي
٢٨ كَأَنَّ وَغَى الخَمُوشِ بِجانِبَيْهِ ،   وَغَى رَكْبٍ ، أُمَيْمَ ، ذَوِي هِيَاطِ
٢٩ كَأَنَّ مَزَاحِفَ الحَيَّاتِ فِيهِ ،   قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّيَاطِ
٣٠ شَرِبْتُ بِجَمِّهِ ، وَصَدَرْتُ عَنْهُ ،   وأَبْيَضَ صَارِمٍ ذَكَرٍ إِبَاطِي
٣١ كَلَوْنِ المِلْحِ ، ضَرْبَتُهُ هَبِيرٌ   يُتِرُّ العَظْمَ سَقَّاطٌ سُرَاطِي

---

٢٥ الغَطَاط : طير ، وهو نوع من القطا . الطَّامي : الَّذي قد تُرك حتّى طما وعلا . الزَّجَل : الصَّوْت .
* وردت يا أميمُ مكاناً كثر ماؤه حتَّى علا ، وترددت في أجوائه أصوات الطّيور .
٢٦ الوَخْط : الزّج ، وهو ضرب من المشي . المراط : الَّتي تمرط ريشها .
* يتابع وصف هذا المكان ، فيقول : إنه موحش ، خال من النَّبات والورود الَّتي من شأنها أن تزيّن الطبيعة ، ولا نجد فيه إلا سباعاً يخطن المشي ، أي يَنْدَسْنَ بأيديهن ، إذا مشين كما يندس الخياط بابرته إذا خاط .
٢٧ سَاط : ذو سطوة إذا حَمَل . أنَهْنه : أزجر . السِّرْحان : الذئب .
* بتّ أبعد الذئب ، وكلانا ذو سطوة ؛ فالقوّة بيننا فيها تعادل .
٢٨ الخَمُوش : البعوض . الهيَاط الصياح والمجادلة . الوَغَى : الصّوت في الحرب .
* يريد أنّ البعوض يلفّه من جانبه ، وهو من كثرته ذو جلبة وضوضاء تذكّر الشَّاعر بصوت الحرب .
٢٩ * هذا البيت هو من أحسن وأجمل ما وصف في هذه القصيدة . يشبّه الآثار الَّتي تتركها الحيَّات في مرورها ، بآثار السّياط على أي جسم مغبّر .
٣٠ جَمّهُ : ما اجتمع في البئر من الماء . والجَمَّة : معظم الماء . إباطي : يريد تأبطّ هذا السَّيف .
* شربت من ماء البئر ثم مشيت متأبّطاً سيفي .
٣١ هَبير : مقطوع . يُتِرّ العَظْم : يطيّره . سُراطي : يسترط ما ضرب واحداً واحداً ، أي يلتهمه .
* لون هذا السَّيْف كلون الملح ، يقطع اللَّحم ، ويطيّر العظم ، ويلتهم ما يقطعه .

٣٢ بِهِ أَحْمِي الْمُضَـافَ ، إِذَا دَعَـانِي وَنَفْسِي . سَاعَـةَ فَـزَعٍ فِـلاطِ

٣٣ وَصَفْرَاءَ الْبُـرايَةِ فَـرْعَ نَبْـعٍ كَوَقْفِ العَـاجِ عَاتِكَـةِ اللِّيـاطِ

٣٤ شَنَقْتُ بِها مَعَـابِـلَ مُرْهَفَـات ، مُسَالَاتِ الأَغِـرَّةِ كَـالقِـرَاطِ

٣٥ كَأَوْبِ الدَّبْـرِ غَـامِضَـةٍ ، وَلَيْسَتْ بِمُرْهَفَـةِ النِّصَـالِ ولَا سِـلاطِ

٣٦ خَـوَاظِ مِنَ الْجَفِيـرِ مُخَـوَّيـاتٍ كُسِينَ ظُهـارَ أَصْحَرَ كَالخِيَـاطِ

٣٧ وَمَرْقَبَـةٍ نَمَيْتُ إِلى ذُراهـا ، تُـزِلُّ دَوَارِجَ الحَجَلِ القَـوَاطِي

٣٨ وَخَرْقٍ تَحْـسِرُ الـرُكْبـانُ فِيـهِ بَعِيـدِ الغَـوْلِ أَغْبَـرَ ذِي نِيَاطِ

---

٣٢ المُضاف : الملجأ . الفلاط : الّذي يأتيك فجأة .

به أحْمي من يطلب الحماية ، كما أحمي نفسي ساعة الشدة والفزع .

٣٣ العَاتكة : الّتي قدمت فاحمرّت . اللّيَاط : القشر الأعلى . البُرايَة : النُحاتة .

يصف قوساً مقطوعة من شجر النَّبْع ، قدمتْ ، فاحمرت لياطها أوقشرتها .

٣٤ شَنَقْتُ : جعلت النَّبْل في الوتر ، فشنقتها كما تُشْنَق النّاقة . مُرْهَفَات : مرقّقات وهي النّصال . مُسَالات : مَسْنونات من التَّحديد . الأغرّة : جمع غرار ، الحدّ . القراط : جمع قرط ، أي قُرط الأذن ، وقد يكون شعلة السّراج .

٭ يصف النّبال الّتي يطلقها عن تلك القوس ، ويقول : انها ضخمة ، حادة ، مسنونة الحدّ كالأقراط .

٣٥ أوْب : رَجْع . الدبْر : النَّحل . السّلاط : جمع سليط ، السَّهم الطويل . غَامضَة : أي لطف حدها .

٭ أي ليست بمرهفات الخلقة ، بل هي مرهفات الحدّ .

٣٦ الخيَاط : زق زيت . الخَواظ : الغلاظ والصّلاب .

يصف نبالها بأنّها غليظة صلبة ، كُسيت بالرّيش الأصهب الّذي يشبه في لونه زقّ الزّيت .

٣٧ مَرْقَبَة : موضع يُربأ فيه ، ويُرْقب . نَمَيْت : علوت وارتفعت إلى أعاليها . القَوَاطي : اللّواتي يقاربن الخطو .

أرْتَقي إلى هذا الموضع الّذي لوعورة مسلكه تزلّ الأقدام فيه .

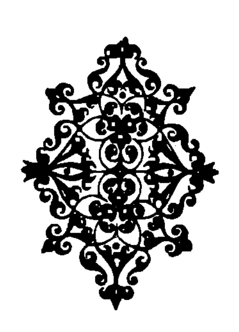
٣٨ خَرْق : فلاة بعيدة واسعة . الغَوْل : البُعد . تَحْسر : تكلّ ركابهم وتسقط من الإعياء .

٭ هومن بعده كأنه عُلّق ببلد آخر ، أي وُصل به .

٣٩ كَـأَنَّ عَلَى صَحاصِحِـهِ مُـلاءً   مُنَشَّرَةً نُـزِعْـنَ مِـنَ الخِيَـاطِ

٤٠ أَجَزْتُ بِفَتْيَـةٍ بِيـضٍ خِفَـافٍ   كَـأَنَّهُـمُ تَمَلُّهُمُ سَبَـاطِ

٤١ فَآبوا بِـالسُّيوفِ بِهـا فُلُـولٌ   كَأَمْثَـالِ العِصِيِّ مِنَ الحَمَـاطِ



---

٣٩ الصَّحَاصح : ما استوى من الأرض . مُلاء : ملاحف . نُزْعن من الخياط : أي من الخياطة .
* شبَّه السَّراب بالملاحف البيض ، إذا جرى من شدة الحرّ .

٤٠ سَباط : الحمَّى . أجَزْتُ : **جزت** .
* مررت بفتية بدوا وكأنَّهم تضجرهم الحمَّى .

٤١ الحَمَاط : شجر التين الجبلي . آبوا : رجعوا . فُلُول : جماعات .

رِثاءُ ابنِهِ أُثَيْلَةَ

يتفجّع الشّاعر في هذه القصيدة على موت ابنه ، متغنّياً بفضائله المأثورة في الرثاء القديم ، ويسترسل بذلك في إطار من اللّفظ الشديد الايقاع ، الصّلد الذي لا يخلو من الغرابة والنّدرة . إلا أن عواطفه تنبجس من بين ركام الألفاظ ، حرّى ، حيّة ، دون أن يبلغ تفجعه مبلغ المهلهل والخنساء وابن الصّمة على اخوانهم :

١ مَا بَــالُ عَيْنِكَ تَبْكي ، دَمْعُهَا خَضِلُ ... كَما وَهَى سَرِبُ الأَخْراتِ ، مُنْبَزِلُ

٢ لا تَفْتَأُ ، الدَّهْرَ ، مِنْ سَحٍّ بأَرْبَعَةٍ ... كَأَنَّ إِنْسانَها بالصَّــابِ مُكْتَحِــلُ

٣ تَبْكي عَلَى رَجُــلٍ ، لَمْ تَبْلَ جِدَّتُهُ ، ... خَلَّى عَلَيْكَ فِجَاجاً ، بَيْنَهَا سُبُلُ

٤ فَقَدْ عَجِبْتُ ، وَمَا بِالدَّهْرِ مِنْ عَجَبٍ ... أَنَّى قُتِلْتَ ، وأَنْتَ الحَازِمُ البَطَلُ

---

١ الأخْرَات : جمع خَرْت ، أي الثّقب . السَّرب : السَّائل يكون فيه وهْي ، فينسرب الماء منه . انْبَزَل : ثقبه : فانثقب .

* يخاطب نفسه فيتساءل بالقول : ما بال عينك تذرف الدموع الغزيرة ، كالوعاء المثقوب الّذي ينهمر ماؤه .

٢ الصّاب : شجرة إذا ذبحت يخرج منها لبن ، إذا أصاب شيئاً أحرقه .

* لا تنفكّ ، الدهر ، تبكي ، فتنهمر الدموع ساخنة ، ملتهبة ، تحرق الخدّ ، وكأنها اكتحلت عيناك بالصّاب الذي يحرق كل ما يقع عليه .

٣ لم تَبْل جدتُه : لم يستمتع به ، مات شاباً .

* إنّك تبكي رجلا مات في عزّ الشّباب ، وكان عزيزاً جداً لديك إذ يسدّ عنك كلّ مسدّ من المكروه ، فلمّا مات خلّى عليك طرقاً ، لم تُسدّ ثُلُمُها ، أي خلّفه في حيرة من أمره ومصيره .

٤ * يقول : إني لأعجب وإن كان الدهر يحدث العجائب ، كيف قتلت ، بالرّغم من بطولتك وشجاعتك .

٥ وَيْلُمِّــهِ رَجُـــلا ، تَـأْبَى بِـهِ غَبَناً إِذَا تَجَرَّدَ ، لَا خَـالٌ وَلَا بَخَلُ

٦ السَّالِكُ الثُّغْرَةَ ، اليَقْظَـانَ كالِئُها مَشْيَ الهَلُوكِ ، عَلَيْها الخَيْعَلُ الفُضُلُ

٧ والتَّارِكُ القِرْنَ ، مُصْفَرًّا أَنَـامِلُهُ . كَأَنَّــهُ مِنْ عُقَارٍ قَهْــوَةٍ ثَمِـــلُ

٨ مُجدَّلاً ، يَتَلَقَّى جِلْــدُهُ دَمَــهُ كَمَـا يُقَطَّـرُ جِـذْعُ النَّخْلَةِ القُطُلُ

٩ لَيْسَ بِعَلٍّ كَبِيرٍ ، لَا شَبَــابَ بِهِ لَكِنْ أُثَيْلَــةُ ، صافي الوَجْـهِ مُقْتَبَلُ

١٠ يُجِيبُ ، بَعْدَ الكَرَى « لَبَّيْكَ » دَاعِيَهُ مِجْذَامَــةٌ ، لِهَواهُ قُلْقُلٌ وَقِـلُ

---

٥ وَيْلُمِّه رَجُلا : كلمة يتعجب بها ، ولا يراد بها الدعاء عليه . لاَ خَالٌ ولا بخل : أي لا مخيلة فيه ، اي لا خيلاء . الغَبَن : ضعف الرأي .

* يتفجّع على ابنه ويقول : إنا فقدنا ، به رجلا لا يلحق به ضعف في رأيه ، كما أنه عرف بالاستقامة في طباعه .

٦ الثّغْرة : الثغر ، وهو موضع المخافة . الهَلُوك : الغنجَة . الخَيْعَل : درع يخاط أحد شقّيْه ، ويترك الآخر . الفُضُل : التي في درعها إزار بمنزلة لحاف .

* أي إنه شجاع مقْدام ، يقبل حيث يعجز الآخرون ويولون .

٧ مصْفَرّاً أنَامله : يريد نزف دمه حتى آخره ، فاصْفرّت أنامله .

* يريد انه نَزَف فاصفّرت أنامله ، وأصبح ضعيفاً يتلوى ، كأنه سكران .

٨ يُقَطَّر : يُصرع . قُطُل : مقطوع . الدوْمَة : نخلة المُقْل .

* يسيل دمه على جلده ، فينجدل كما ينجدل الجذع إذا قطع .

٩ العَلّ : الصّغير الجسم . الكَبير : المسنّ : أثيلة : اي عريف الحسن والنّضارة . مُقْتَبَل مستأنف الشّباب .

* يريد أنه توفي وهو في مقتبل العمر ، لا هو شيخ مُسنّ ، ولا هو ضعيف واهن .

١٠ المجْذامَة : الّذي يقطع هواه . الجَذم : القطع . القُلْقُل : الخفيف . الوَقل : الجيّد التّصعيد في الجبل .

إذا دعاه داع ، بعد نومه ، قال له : لبّيْك ، وهو فوق هذا يقطع هواه ، إذا كان فيه غيّ .

١١ حُلْوٌ وَمُــرٌّ ، كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ بِكُلِّ إِنْيٍ ، حَذَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

١٢ فَاذْهَبْ ، فَأَيُّ فَتىً في النَّاسِ أَحْرَزَهُ مِنْ حَتْفِــهِ ظُلَمٌ دُعْجٌ وَلا جَبَلُ

١٣ وَلا السِّمَاكَان ، إِنْ يَسْتَعْلِ بَيْنَهُما يَطِرْ بِخُطَّــةِ يَوْمٍ ، شَرُّهُ أَصِلُ

١٤ ولاَ نَعَامٌ بِجَـوٍّ يَسْتَرِيــدُ بِــهِ وَلا حِمَــارٌ وَلا ظَبْيٌ وَلا وَعِلُ

١٥ أَوْفَى يَبِيتُ عَلَى أَقْـذَافِ شَاهِقَةٍ جَلْسٍ ، يَزِلُّ بِها الخُطَّافُ والْحَجَلُ

١٦ فَلَوْ قُتِلْتَ ، وَرِجْلِي غَيْرُ كَارِهَةِ الـ إِدْلاجِ ، فِيهَا قَبِيضُ الشَّدِّ والنَّسَلُ

---

١١ عَطْفُ القدْح : يريد طَوي كما يطوى القْدح . مِرّتُه : فتلته . يَنْتَعل : يسري في كل ساعة من اللّيل ، من هدايته . إنْي : واحد الآناء ، وهي السّاعات .

* يقول : أنه حلو لأخوانه وأعوانه ومرّ على أعدائه ، يعسر انقياده لهم ، وأنه يصارع غمرات الليل ، لا يني ولا يكسل كأنه ينتعل اللّيل انتعالا .

١٢ الدعْج : الشّديدة السّواد .

* لا تحرزهُ من حتفه لا الظّلم ولا الجبل ، أي أن الموت حتّم على النّاس ، لا يستطيعون الفرار منه .

١٣ الاصل : ذو الأصل . طَارَبه : صارله . السّماكان : كوكبان نيران .

* يقول : أنّ الموت لا بد لاحقه حتّى ولوجاً إلى السّماكين ، فهو يسعى إليه في يوم مكتوب عليه شرّه .

١٤ ، ١٥ يَسْتَرِيدُ بِهِ : أي يرود به ، يجيء ويذهب ، أي يجول فيه . جَوّ : اسم مكان . الأقذاف : جمع قُذف ، النّاحية من الجبل . جَلْس : نجد .

* يستكمل في هذين البيتين المعنى السّابق ويقول . لا النّعام المقيم في مساكنه ولا حمر الوحش ولا الظباء ، ولا الوعول ، الّتي تقيم في الأمكنة الشّاهقة الّتي يقصر عنها الخطاف والحجل ، إنّ هذه البهائم جميعاً ، لا تنجو من الموت المحتّم قدره لها .

١٦ قَبيض : شديد . النَّسَل : ضَرْبٌ من المشي نحو الهَدج .

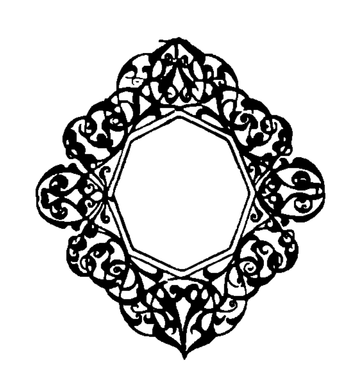
لو قُتلتَ ورجْلي صحيحة لا تهاب الإدلاج ، (الجواب في البيت التّالي) .

١٧ إذاً لأَعْمَلْتُ نَفْسِي في غَـــزَاتِهِمُ أَوْ لابْتَعَثْتُ بِهِ نَوْحاً لَهُ زَجَلُ

١٨ أَقُـولُ لَمَّـا أَتَـانِي النَّـاعِيَـانِ بِهِ : لا يَبْعَدِ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ وَالرَّجُلُ

١٩ رُمْحٌ لَنَـا كَـانَ لَمْ يُفْلَلْ نَنُوْءُ بِهِ تُوفَى بِهِ الحَرْبُ وَالعَزَّاءُ والجُلَلُ

٢٠ رَبَّـاءُ ، شَمَّـاءُ ، لاَ يَـأْوِي لِقُلَّتِهَا إلاَّ السَّحَابُ ، وإلاَّ الأَوْبُ والسَّبَلُ



---

١٧ الزَّجَل : شدة الصَّوت . لَهُ نَوْحاً : أي تنوح عليه .

* لبذلت نفسي في سبيلك ، أحاول فيها أن أقضي على الغزاة ، ولجعلت المكان مأتماً للنّوح الّذي يُسمع فيه العويل والصّياح .

١٨ ذو النَصْلَيْن : ذوالزّج والنّصل ، وهذا مَثَل معناه لأ يَبْعَدْ فلان وسلاحه .

١٩ تُوفَى به : تعطى به . العَزّاء : الشّدة . الجُلَل : جمع جُلّى ، العظيم من الأمر. نَنُوء به : ننهض به .

* كان سلاحاً لنا ، تعلى به ، أي تقهربه الحرب إذا كان فيها .

٢٠ رَبَّاء : يربأ فوقها . الأَوْب : رجوع النّحل . السَّبَل : القطرحين يسيل .

* يقول : لا يدنولرأسها ، أي لا يعلوهذه الهضبة ، من طولها ، إلا السّحاب والنّحل .

إكْرَامُ الضَّيْفِ

١	لادَرَّ دَرِّي إنْ أَطْعَمْتُ نَـازِلَكُمْ	قِرْفَ الحَتِيِّ ، وَعِنْدِي البُرُّ مَكْنُوزْ
٢	لَوْ أَنَّـهُ جَـاءَنِي جَوْعانُ ، مُهْتَلِكٌ	مِنْ بُؤَّسِ النَّاسِ ، عَنْهُ الخَيْرَ مَحْجُوزْ
٣	أَعْيَـا ، وَقَصَّرَ لَمَّا فَـاتَـهُ نِعَمٌ ،	يُبَادِرُ اللَّيْلَ ، بِالعَلْيَـاءِ مَحْفُوزْ
٤	حَتَّى يَجِيءَ ، وَجِنُّ اللَّيْلِ يُوغِلُهُ ،	وَالشَّوْكُ ، في وَضَحِ الرِجْلَيْنِ مَرْكُوزُ
٥	قَدْ حَالَ ، دُونَ دَرِيسَيْهِ ، مُؤَوِّبَةٌ	نِسْعٌ ، لها بِعِضَاهِ الأَرْضِ تَهْزِيزُ

---

١ لا دَرَّ دَرِّي: لا رُزِقت الدرَّ. قِرْفُ الشَّيْء : قشره . الحَتِيّ : المُقْل . الدوْم .
يقول : لا رُزقت إن كنت إطعم الضّيف القشور ، وأخبىء ما هو أثمن وأطيب . يريد إنه لكرمه ، يبذل كل ما عنده من ثمين .

٢ . ٣ مُهْتَلِك : الّذي لا همّ له إلاّ أن يتضيّفه النّاس . يَحْفز : يدافع .

* لو جاءني امرؤ متهالك على الضّيافة ، جوعان لمنع النّاس عنه الخير ، تَعب من جريه وراء نعَم فاتته .. (يتابع وصفه في الأبيات التّالية ويجيب عن قوله في هذا البيت السّابع) .

٤ يُوغلهُ : يدخله . جنّ اللّيْل : شدة ظلامه وادلهامه . وَضَح الرجْلَيْن : بياضهما من أسفلهما .

* يصف حالة هذا السّائل وتعبه من كثرة السّير في الأدغال ، أثناء اللّيل ويقول : أنّه قد أوغل في الظّلام . وسار في الأمكنة الوعرة فولج الشّوك إلى قدميه .

٥ الدريس : الثّوب الخلق . مُؤَوّبَة : ريح جاءت مع اللّيل . نسْع : اسم من أسماء الشّمال . العضَاه : كل شجر له شوك .
عليه أسمال بالية . لا تستر جسده لحُؤول الرّيح الباردة التي تعصف بالأشجار دون ذلك .

٦ كَأَنَّمَا ، بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَلَبَّتِـــهِ ، مِنْ جُلْبَةِ الجُوعِ ، جَيَّارٌ وإِرْزِيزُ

٧ لَبَـاتَ أُسْوَةَ حَجَّاجٍ وإِخْوَتِــهِ ، في جَهْدِنَـا ، أَوْ لَـهُ شَفٌّ وَتَمْرِيزُ

٨ يَا لَيْتَهُ كَـانَ حَظِّي من طَعَامِكُمَا أَنِّي أَجَنُّ سَوَادِي عَنْكُمَـا الجِيزُ

٩ إِنَّ الهَوَانَ ، فَـلا يَكْذِبْكُمَا أَحَدٌ ، كَأَنَّهُ في بَيَـاضِ الجِلْدِ تَحْزِيـزُ

١٠ يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَهَمُّ المَـرْءِ يُنْصِبُهُ ، وَالمَرْءُ لَيْسَ لَهُ في العَيْشِ تَحْرِيزُ

١١ هَلْ أَجْزِيَنَّكُمَا ، يَوْماً ، بِقَرْضِكُمَا وَالقَرْضُ بِالقَرْضِ مَجْزِيٌّ وَمَجْلُوزُ



---

٦ جُلبة : أزمة ، والسّنة الجديبة . الجَيَّار : حَرّ يخرج من الجَوْف . الإِرْزِيز : الرعدة .

* يريد أنه يرتجف من شدة الجوع والبرد .

٧ لَبَاتَ : جواب لقوله السَّابق « لو أنه جاءني جَوْعان » . الشَّفّ : الفضل . تَمْرِيز : تفضيل .

* أي لو جاءني هذا الضَّيف الّذي وصفت حاله . لكرّمته وفضّلته وميَّزته بالقِرى على غيره .

٨ الجيز : شقّ الوادي الّذي أنت في غيره .

* أي أتمنى لوكنتما من حظّي في إطعامكما . ولكن تفصلني عنكما الأراضي والوديان الشاسعة .

٩ * إذا أهين الرّجل ، فكأنما جلده يُحزّ . أي يجد وجعه كما يجد وجع حزٍّ في جسده .

يُنْصِبْه : يتعبه .

* أي أن همّ المرء يتعبه ، وفوق هذا لا خيار للمرء في العيش أوعدمه .

١١ مَجْلُوز به : مربوط به .

* هل أجزيكما على فضلكما ؟ ولكنّ الفضل متبادل ومربوط به ، لا مناص منه .

لاَ يَنْسَأ اللهُ مِنَّا مَعْشَراً

١	لا يَنْسَإِ اللهُ مِنَّا مَعْشَراً شَهِـــدوا	يَوْمَ الأُمَيْلِحِ ، لا غَابُوا وَلا جَرَحُوا
٢	كَانُوا نَعَـائِمَ حفَّـانٍ مُنَفَّـــــرَةً ،	مُعْطَ الحُلُوقِ ، إِذَامَا أُدْرِكُوا،طَفَحُوا
٣	لا غُيِّبوا شِلْوَ حَجَّـاجٍ وَلا شَهِدُوا	جَمَّ القِتَالِ ،فَلاَتَسْأَلْ بِمَا افتَضَحُوا
٤	عَقُّوا بِسَهْمٍ ، فَلَمْ يَشْعُر بِـهِ أَحَدٌ	ثُمَّ اسْتَفَاءُوا ، وقَالوا حَبَّذا الوَضَحُ
٥	لَكِنْ كَبِيرُ بنُ هِنْدٍ ، يَوْمَ ذَلِكُمُ ،	فُتْخُ الشَّمَائِلِ في أَيْمَـانِهِـــمْ رَوَحُ

---

١ يَنْسَأ : يؤخّر .

* يريد أنّ النّاجين من الموت ، في يوم الأمَيْلح ، لا بدّ سيدركهم هذا الموت قريباً ، إذ الله سيعجِّل موتهم وفناءهم .

٢ نَعائمَ حَفَّان : صغاره ، أي صغار النّعام . طَفَحُوا : علوا وذهبوا في الأرض ، أي عَدوا .

* طاروا كما تطير النّعائم ، لا يدعون أحداً يدركهم ، إذ يعدون مسرعين .

٣ جَمّ القتَال : معظمه . شلْوكلّ شيْء : بقيّته .

* يريد أنهم لم يشهدوا القتال ، حتى نهايته ، وفي هذا فضيحة كبرى .

٤ عَقّوا بسَهْم : أي رَمَوْا به في السماء . حَبَّذا الوَضَحُ : أي حبذا اللّبن نرجع إليه . اسْتفاؤوا : رجعوا .

* يريد أنّهم رَمَوا بسهمهم في السّماء ، وترافعوا طالبين الرّاحة ، متمنّين أكل اللّبن ، وهو دلالة على هناءة العيش . وفي هذا جبن .

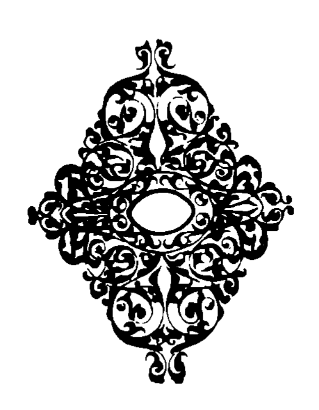
٥ كَبيرُ بنُ هنْد : حي من هذيل . فُتْخُ الشَّمَائل : تَبْسُطها للرّمي . رَوَح : السَّعة لشدة ضربها بالسَّيف .

* يريد أن أهل هذا الحي لم يتوانَوْا ، في ذلك اليوم ، بل كانوا شديدي الضّرب ، فُتخت شمائلهم لشدة النزع ، يضربون بالسّيوف ضرباً قويّاً .

٦ تَعْلُو السُّيُوفُ بِأَيْدِيهِم جَمَاجِمَهُمْ ، كَمَا يُفَلِّقُ مَرْوُ الأَمْعَزِ الصَّرَحُ

٧ لا يُسْلِمُونَ قَرِيحاً ، كَانَ وَسْطَهُمُ ، يَوْمَ اللِّقَاءِ ، وَلَا يُشْوُونَ مَنْ قَرَحُوا

٨ كَأَنَّهُمْ بِجُنُوبِ المَبْرَكَيْنِ ضُحىً ضَأْنٌ ، تُجَزَّرُ فِي آبَاطِهَا الوَذَحُ



---

٦ الصَّرَح : الخالص . الأمعَز : المكان الكثير الحصى . الغليظ . المعْزَاء مثله .

* يشبّه تناثر الجماجم ، تحت ضربات السّيوف ، بالحصى الّذي يتناثر حين دقه .

٧ قَريحاً : جريحاً . أشْواه : إذا لم يصب قتله . شَوَاه : إذا أصاب منه مقتلاً .

* يريد أن قتالهم كان حاسماً ، فهم لا يسلمون أحداً من القتل ، ولا يجرحون أحداً جرحاً لا يقتل .

٨ تُجزّر : أي تُحزّ وتُقتّل . الوَذح : ما يعلّق بأذنابها شبه أبعار الإبل .

* كأن أعداءهم في أيديهم ضأن هذه صفتها .

رِثَاءُ أَبِيهِ عُوَيْمِرٍ

١ لَعمْرُكَ مَا إِنْ أَبو مَالِكٍ بِوَانٍ ، وَلا بِضَعِيفٍ قُواهْ

٢ وَلا بِأَلَدّ لَهُ نَازِعٌ يُغَارِي أَخَاهُ ، إِذَا مَا نَهَاهْ

٣ وَلَكِنَّهُ هَيِّن ، لَيِّنٌ كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَسَاهْ

٤ إِذَا سُدْتَه سُدْتَ مِطْواعَة ، وَمَهْمَا وكلت إِلَيْهِ كَفَاهْ

٥ أَلاَ مَنْ يُنَادي أَبَا مَالِكٍ ، أَفي أَمْرِنا أَمرُه أَمْ سِوَاهْ

٦ أَبو مَالِك قَاصِرٌ فَقْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ ومُشِيعُ غِنَاهْ

---

١ ، ٢ وَان : واه ، أي ضعيف . أَلَدّ : شديد الخصومة . نَازع : أي خلق ينزعه ، أي طبيعة سوء .
يغاريه : يغارّه ، أي يماريه ، يعلق به .

* أي ليس له خلق ينزع إلى السوء .

٣ عَرْد نَسَاه : أي شديدة ساقه .

٤ * يقول : إذا كنت فوقه ، أطاعك ولم يحسدك ، وهو فوق هذا أهل لكل مسؤوليَّة توكلها إليه .

٥ ألا من ينادي أبا مالك ، أي ألا من يندب أبا مالك لنا ؟

* يقول : يا ليت شعري من ينعى أبا مالك إلينا ؟ هل ما زال يعني بأمرنا أم شغله الموت عنا ؟

٦ * كان شديد الكرم يبذل ماله حتَّى آخره فيغني من حوله ، ولا يبقى فقيراً إلاّ هو.

عَبدُ اللهِ بْنُ سَلَمَةَ الغَامِدِيّ

عَبدُ اللهِ بْنُ سَلَمَة الغَامِديّ

... _ ...

هو عبدالله ، بن سلمَة ، بن الحارث ، ويصل نسبه إلى يعرب بن قحطان .

والغامديّ : نسبة إلى « غامد » وهو جده الأعلى عمرو بن كعب ، سُمّي غامداً لأن رجلا من بني الحارث بن يشكر ، قال : من أغْمد سَيْفه ، فهو آمن ، فأغمد سيفه ، فسمي غامدا .

أمّا شعره ، فيجري فيه على غرار وصفي ، تأمّلي ، وإن كان لا يخلو من مواقف الفخر والمعارضة . وتراه في الوصف ، آخذاً بالمعاني والتشابيه المتداولة ، كما تراه آخذاً في حكمته بالجانب التأملي القريب المتناول الّذي لا يصدر فيه عن مشكلة عامة ، وفاجعة وجدانية ، شبه وجوديّة ، كطرفة ومن إليه من شعراء الشّكّ والرّيبة .

لِمَنْ الدِّيَارُ بِتَوْلَعٍ فَيَبُوسِ

١	لِمَنْ الـــدِّيــارُ بِتَـوْلَـعٍ فَيَبـوسِ	فَبَيَــاضِ رَيْطَـــةَ ، غَيْرَ ذَاتِ أَنِيسِ
٢	أَمْسَتْ بِمُسْتَنِّ الـرِّيَـاحِ مُفِيلَـةً	كالـوَشْمِ رُجِّـعَ في اليَدِ المَنْكُوسِ
٣	وكَأَنَّمَا جَـــرُّ الـــرَّوَامِسِ ذَيْلَهَـــا	في صَحْنِهَا المعْفُـوِّ ذَيْـلُ عَرُوسِ
٤	فَتَعَدَّ عَنهـــا ، إِذْ نَأَتْ بِشِمِلَّةٍ	حَرْفٍ ، كَعُودِ القَوْسِ ، غَيْرِ ضَرُوسِ
٥	ولقدْ غَدَوْتُ ، عَلَى القَنِيصِ بِشَيْظَمٍ	كالجِذْعِ ، وَسْطَ الجَنَّـةِ المَغْرُوسِ

---

١ . ٢ تَوْلَع ، ويَبُوس ، وبَيَاض رَيْطَة : مواضع في أرض شَنوءة . بِمُسْتَنّ الرِّياح : موضع أسنانها ، أي جريها وإسْرَاعُها . مُفيلَة : مطموسة ، خفيت معالمها . الوَشْم المَنْكُوس : الَّذي أعيد عليه الوشم .

* يصف الشَّاعر في البيتين السَّابقين ، منازل حبيبته ، الَّتي أصبحت بدون أنيس ، من دون الرِّياح ، الَّتي طمسَتْ معالمها ، حتَّى صارت كالوَشْم المَنْكُوس .

٣ الرَّوامس : الرِّياح الَّتي تثير التّراب وتدفن الآثار . صَحْنُها : ساحتُها الَّتي تتوسطها . المَعْفُو : المدروس .

* يقول : كأن ذيل عروس مرّ بها بمرور هذه الرياح . يشبه مرور الرّياح على أديم الأرض وما تخلّفه فيه بمرورالعروس عليه بذيل ثوبها .

٤ عَنْها : عن هذه الديار . بشملَّة : بركوب شملة : وهي النَّاقة السريعة . حَرْوف : ضامرة . النَّاقَة الضَّرُوس : السَّيِّئة الخلق .

* فابتعد عن هذه الديار ، بركوب ناقة سريعة ، ضامرة ، ليست بسيئة الخلق .

٥ القَنيص : ما يصاد ، ويقال أيضاً : للصَّيَّاد . بشَيْظَم : بفرس طويل .

* شبَّه فرسه الَّذي أتى به للصَّيْد ، بالجذع الثَّابت . وسْطَ الحديقة . وذلك لشدته وطوله .

٦ مُتَقَارِبِ الثَّفِنَاتِ ، ضَيِّقٍ زَوْرُهُ ، رَحْبِ اللَّبَانِ ، شَدِيدِ طَيٍّ ضَرِيسِ
٧ تُعْلَى عليه مَسَائِحٌ مِن فِضَّةٍ ، وتَرَى حَبَابِ المَاءِ ، غَيْرَ يَبِيسِ
٨ فَتَرَاهُ كالمَشْعُوفِ ، أَعْلَى مَرْقَبٍ كصفائحٍ مِن حُبْلَةٍ وسُلُوسِ
٩ في مُرْبِلاتٍ رَوَّحَتْ صَفَرِيَّةٍ بِنَوَاضِحٍ يَقْطُرْنَ غَيْرَ وَرِيسِ

---

٦ الثَّفِنَات : مواصل الذراعين في العضدين ، والسَّاقين في الفخذين ، وإنَّما الثَّفِنَات للبعير ، وهو هنا مستعار ، والمعنى : أن مرفقيه أحدهما قريبٌ من الآخر . الزَّوْرهنا : ملتقى أطراف عظام الصّدر ، ويطلق على الصّدر . رَحْب : واسع . اللَّبَان : الصَّدر . شَديدُ طَيّ ضَريس : شديد طيّ الفقار ، يقال للصّلب الشَّديد الفقار : ضرس ضَرْساً ، وأصل ذلك في البئر ، إذا طويت بحجارة قيل : ضرست ضرساً .

* يقول : إن مرفَقيه متقارب أحدهما من الآخر ، وإن زوره ضيق ، فيما تبدو مقدمة صدره رحبة ، كما أن فقاره قوية صلبة .

٧ المَسيح والمَسيحَة : القطْعَة من فضة ، جمعها مَسائح . ثَرَى المَاء : أوّله ، وهو النَّدى والمراد أول ما يبدو من عرقها . حَبَاب المَاء : فقاقيعه ، عنى به قطرات العرق . اليَبيس : اليابس .

* يريد أنّ صفاء شَعْره وقصره ، كأنَّما ألبس صفائح من فضّة ، من حسن لونه وبريقه ، وشبَّه عرقه بقطرات النَّدى .

٨ المَشْعُوف : الَّذي فَزِعَ فذهب فؤاده ، فهو في أعلى موضع يكون فيه لشدة خوفه . الصّفائح : الطَّرائق . الحُبْلَة : ثمر الطَّلْح ، وهو هنا حلي ، مثل ثمر الطلح . سَلُوس : نظام ولؤلؤ . والفَريد : الجوهرة الَّتي عدمت نظيرتها ، وتجعل واسطة العقد .

* يقول : إنك تراه ، وقد اعتلى المرقب ، كأنَّه فاقد جنانه ، لشدة جيشانه ، ويردف بأنه يبدو ، حينئذ ، متألقاً ، متلمعاً كصفائح مزدانة بالحلي واللّؤلؤ والجواهر النَّادرة .

٩ مُرْبلات : رياض ذات ربْل ، وهو ضرب من الشَّجر ، يبدأ ظهور ورقه في آخر القَيْظ . رَوّحَت : من قولهم راح الشَّجر وتروّح : إذا بدا ورقه قبل الشّتاء ، من غير مطر . الصّفَرِيَّة : نبات في أول الخريف . نَواضح : من قولهم نَضَحَ الشَّجَر حين يتفطَّر بالوَرَق ، أي يتشقَّق عنه الورق . يَقْطُرْنَ غَيْرَ وَريس : يخرج منهن ورق أخضر لم يصفر كصُفْرَة الورس .

* في رياض ذات رَبْل ، بدا ورقها وتشقَّق عنها ، ولم يصفرّ كصفرة الوَرْس .

١٠ فَنَزَعْتُـهُ ، وكَأَنَّ فَـجَّ لَبَـــانِهِ ، وسَوَاءَ جَبْهَتِـهِ ، مَدَاكُ عَرُوسِ

١١ وَلَقَدْ أُصَاحِبُ صَاحِباً ، ذَا مَأْقَةٍ بِصِحَابِ مُطَّلِـعِ الأَذَىٰ نِقْرِيسِ

١٢ وَلَقَدْ أُزَاحِمُ ذَا الشَّذَاةِ ، بِمِزْحَمٍ صَعْبِ البُدَاهَةِ ، ذي شذاً وشَرِيسِ

١٣ ولقد أَلِينُ لِكُلِّ بَاغِي نِعْمَـــة ، وَلَقَدْ أُجازي أَهْلَ كـلِّ حَوِيسِ

١٤ وَلَقَدْ أُدَاوِي دَاءَ كُـــلِّ مُعَبَّـدٍ بِعَنِيَّـــةٍ غَلَبَتْ عَلَى النِّطِّيـــسِ

---

١٠ نَزَعْتُه : كَفَفْتُه . الفجّ : الطَّريق الوَاسع . وأراد بفجّ لُبانه . وسط صدره . سَواء : وَسَط . المَداك : حجر يُدقّ به الطّيب .

ه يمثّل ما بين صدره وجبينه بالحجر الّذي تدقّ به العروس طيبها .

١١ المَأْقَة : شدة الحدة وسُرعة الغَضَب . مُطَّلعُ الأذى : مطّلع عليه ، مالك إمتلاك المُسْتَعْلي . النِّقْريس : العالم بالأمر الحاذق .

ه وقد أصاحب صديقاً شديدَ الحدة ، سريعَ الغَضَب . مصاحبةَ المُطّلع على الأمْر . الحاذق فيه ، فيخضع لي ، وينقاد إليَّ في النّهاية .

١٢ ذا الشَّذاة : يقال : فلان ذو شَذاة على الصّاحب ، أي ذو أذى . مِزْحَم : شديد المُزَاحمة . صَعْبُ البَداهَة : شديدُ البَداهة ، وهي المفاجأة . شَذاً : أذى . شَريس : مصدر كالشَّراسة .

ه أي أنّه يتصدى لكل من يبتغيه بأذى ، بعزيمة شديدة ، لا يؤخذ على حين غرّة ، وأنه قادر على الاذى ، شرس فيه .

١٣ حَوِيس : يقال للرّجل : إنّه لذو حويس : إذا كان ذا عداوة ومضارة .

ه واني ألين لكل من يبتغيني بمعروف . فيما أبدو شديد المراس على من استفزني وأثارني .

١٤ المُعَبّد : البعير الّذي جرب ، فذهب وَبرُه . العَنِيَّة : أبوال الابل تطبخ مع أدوية أخر . ويطال نقعها ، فيعالج بها الجرب الّذي قد اعْيَا . النِّطيس : كالنِّطاسي . وهو الحَاذق . وهذا البيت مثل .

ه أراد أنّه يداوي حمق الأحمق وعداوة ذي الضّغْن ، بقُوّته وحكْمَته .

أَلاَ صَرَمَتْ حَبَائِلَنَا جَنُوبُ

يستهلّ القصيدة بذكْر صاحبته جَنوب الّتي صَرَمته . ثم يَصفُه ويشير إلى هُزْئها به للشّيْب الّذي عَلا رأسه ، ويفخر بأنّ الشّيْب لم يُضْعفه . بل إنّه ظَلّ مُلازماً لسَيْفه ، يمتطي النّياق السّريعة والفرس القويّ في المواضع الصّعبة ، ويُنْهي قصيدته متفاخراً بحُسْن وفادته للأهْل والأصحاب :

١ أَلا صَرَمَتْ حَبَائِلَنَا جَنُوبُ ، فَفَرَّعْنَا ، ومالَ بها قَضِيبُ

٢ وَلَمْ أَرَ مِثْلَ بِنْتِ أَبِي وَفَاءٍ ، غَدَاةَ بِرَاقِ ثَجْرٍ ، وَلا أَحُوبُ

٣ وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا بِأُنَيْفِ فَرْعٍ عليَّ . إذَا مُذَرَّعَةٌ خَضِيبُ

٤ وَلَمْ أَرَ مِثْلَهَا بِوِحَافِ لُبْنٍ ، يَشُبُّ قَسَامَهَا كَرَمٌ وطِيبُ

---

١ صَرَمَت : قَطَعَت . الحبائل هنا : المَودة . جَنُوب : إسم امرأة . فَرّعْنا : علونا في البلاد . قَضيب : واد بنَجْد . مَالَ بها : سلكته .

* يخاطب صاحبته جَنُوب البعيدة ، فيقول : قُطعَ ما كان بيننا ، وافترقنا ، وتباعدت بيننا السُّبُل .

٢ بنْتُ أبي وَفَاء : هي جنوب . بَراق : جمع برقة ، وهي الأرض الغليظة المختلطة بالحجارة والرّمل . ثَجْر : موضع . الحَوْب : الإثْم .

* فلم أَرَ مثلك ، غداةَ لقيتُك في أرض ثَجْر ، ولستُ كاذباً ، فيما أقوله .

٣ أُنَيْفُ فَرْعَ : موضع لهُذيْل . المُذرّعَة : البدنة تُنْحر ، فيسيل الدمُ على ذراعيها . الخَضيب : المخضوبة بالدم .

* أي أنه لم يَرَ مثل قسوتها عليه في ذلك الموضع ، فيما نحر القَوْم ناقة ليُولمُوا بها ، أي أنها صَدت عنه في ذلك الموضع في جمع من النَّاس .

٤ لُبْنٌ : جبل . الوحَاف : جمع وحفة . وهي الصّخرة السّوداء . يَشُبّ : يرفع ويُذكي ، كما تشب النَّار. قَسَامُها : حسنها . والطِّيب هنا : العفاف .

* يقول : إنه لم يجد من يضاهيها جمالا في موضع وحاف لُبْن ، حيث كان جمالها يشبّ ويتألّق ، يذكّيه كرم أصلها وطيبُ مَحْتدها .

٥ عَلَى ما أَنَّهَا هَزِئَتْ ، وقالتْ : هَنُونَ ، أَجُنَّ ؟ مَنْشَأُ ذَا قَرِيبُ
٦ فَإِنْ أَكْبَرْ ، فإِنِّي في لِـــدَاتِي ، وعَصْرُ جَنُوبَ مُقْتَبَلٌ قَشِيـــبُ
٧ وإِنْ أَكْبَـرْ ، فَـلا بِأَطِيـرِ أَصْرٍ يُفَـارِقُ عَـاتِقِي ذَكَـرٌ خَشِيـبُ
٨ وسَامِي النَّــاظِرِيْن ، غَذيٍّ كُثْرٍ ونابتِ ثَرْوَة ، كَثُرُوا ، فَهِيبُوا
٩ فَإِنْ تَشِبِ القُـرُونُ ، فَذَاكَ عَصْرٌ وعاقِبَـةُ الأَصَاغِرِ ، أَنْ يَشِيبُـوا
١٠ كَأَنَّ بَنَـــاتِ مَخْرٍ رَائِحَـــاتٍ جَنُوبُ ، وغُصْنُهـا الغَضُّ الرَّطِيبُ

---

٥ هَنُون : جمع هن ، وهوكناية عن الإنسان . المقصود : أنَّها قالت : يا رجال أجُنَّ ! هزئت منه لَمَّا رأت من كبره . مَنْشَأ ذا قَرِيب : أي أنه فقد عقله منذ حين .
تسخر منه ، أو أنّها تزعم أنَّه جُنّ من قريب ، فيما كانت قد عهدته تامّ العقل ، راجح الحلم .
٦ لداتي : أمثالي . أي لي أمثال وأشباه ، لم أشب وحدي ، قَشيب : جديد .
أي إن كنت قد أصبت بالكبَر ، فقد أصيب بمثله صُحْبي ، بالرّغم من أن جنوب ما برحت فتيَّة .
٧ الأصْر : الميثاق والعَهْد . بأطير أصْر : قسم بعهد وميثاق . الذكَر : السَّيْف . الخَشيب : الحادّ المصقول .
عهداً عليّ ، وإن كبُرت ، فلا يفارق عاتقي السَّيْف المصقول .
٨ أراد : رُبّ سامي النَّاظرين ، يعني طَامح الطَرف لعزّته وشجاعته . غَذيّ : من الغذاء . كُثْر : أي كثرة من قَوْمه وماله . نَابت ثَرْوَة : ثروة نامية . كَثُرُوا ، فَهِيبُوا : هابهم النَّـاس لكثرتهم .
رب طامح الطَّرْف لعزّته وشجاعته ، هو في كَثْرة من قومه وماله ، وفي ثروة نابتة نامية ، وقد هاب النَّاس قومه ، لكثرتهم وبأسهم .
٩ القُرُون : خَصائل الشَّعْر .
ليس الشَّيْب عيباً ، فهذا أوانه ، وهو عاقبَة الشَّباب .
١٠ بَنَات مَخْر : سحاب تأتي قبل الصَّيْف ، ويُشبّه بها الحسان المنتصبات الرقاق .
شبَّه سحائب بنات مَخْر ، بصاحبته جَنوب .

١١ وَنَاجِيَـةٍ ، بَعَثْتُ عَلَى سَبِيـــلٍ كَأَنَّ بَيَــاضَ مَنْجَــرِهِ سُبُــوبُ
١٢ إِذَا وَنَتِ المَـطِيُّ ذَكَـتْ وَخُودٌ مَوَاشِكَةٌ ، عَلَى البَلْـوَى ، نَعُوبُ
١٣ وأَجْـرَدَ ، كالهِـرَاوَة صَـاعِدِيٍّ يَزِينُ فَقَـارَهُ ، مَتْنٌ لَحِيـبُ
١٤ دَرَأْتُ عَلَى أَوابِـدَ نَـاجِيَـاتٍ يَحُفُّ رِيـاضَهـا ، قَضَفٌ ولُوبُ
١٥ فَغَادَرْتُ القَنَـاةَ كَأَنَّ فِيهَــا عَبِيــراً ، بَلَّـهُ مِنْهَـا الكُعُوبُ

---

١١ النَّاجِيَة : النَّاقة السَّريعة . السَّبيل : الطَّريق . مَنْجَر الطَريق : مُعْظَمُه وجادته . السّبوبُ : جمع سبّ ، وهي شقَّة من الكتَّان المائل إلى البياض .

* يشرع في هذا البيت بالتَّفاخر باجتيازه للفَلَوات الخالية . ويقول : إنه دفع ناقته في سبيل تشبه جادتُه في بياضه شقَق الكتَّان .

١٢ وَنَت : فَتَرَتْ . ذكَتْ : جَدت ونَشطَت كما تذكو النَّار . وَخُود : فعول من الوخدان ، وهو السّرعة . مُواشكة : مُسَارعة . على البَلْوى : أي مع بلواها بالإجهاد والتَّعَب . نَعُوب : مُسْرعة .

إذا فترت سائر المطايا ، جَدتْ وَنشُطَتْ . وكأن في التَّعب والاجهاد منها ، سرعة ونشاطاً .

١٣ الأجْرَد : الفرس القصير الشَّعر . الهَرَاوَة : العصا ، والخيل تُشبَّه بها . الصّاعديّ : منسوب إلى فحل يقال له : صاعد . الفَقَار : عظام الظَّهر . المَتْن : الظَّهر . اللَّحيب : الملحوب ، القليل اللحم ، الضّامر .

* وفرس قصير الشَّعر ، يشبه العَصَى . فحل . ضامر المتن .

١٤ درأتُ : دفعْتُ : الأوابد : هي الحمير الوحشيَّة . نَاجيَات : مُسْرعات . يَحُفّها : يحيط بها . القَضَف : الحجارة الرّقاق . اللّوب : جمع لوبة ، وهي الحرّة ، أي الأرض ذات الحجارة السّود ، وهي اللابة أيضاً وجمعها لاب .

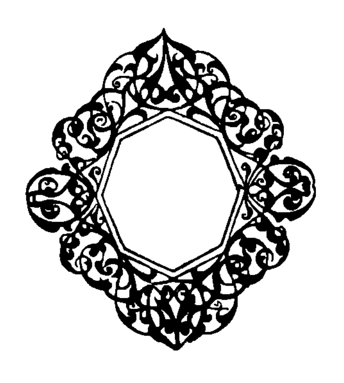
* دفعت فرسي ، إثر حُمُر وحشيَّة ، تُسْرع عدواً على أرض ذات حجارة سوداء . (وقد جعل القضف واللّوب تحفّ مراتع هذه الحمير ، لأنَّه أشدّ على الفرس ، إذا طلبها) .

١٥ العَبير : أخلاط من الطّيب فيها الزّعفران ، أوهو الزّعفران .

* يريد أنَّه غادرَ القناة ، بعد ما صرع الحمير ، وكأنها مطليّة بالعبير ، لَما عليها من الدم ، فَبَلّتْ كُعوبُ القناة فَرسَهُ بالدم .

١٦ وذِي رَحِمٍ ، حَبَوْتُ وَذِي دَلالٍ   مِنَ الأَصْحَابِ إذْ خَدَعَ الصُّحُوبُ

١٧ أَلا لَمْ يَرْتُ في اللَّزْباتِ ذَرْعِي   سُوَافُ المَالِ والعَامُ الجَدِيبُ



١٦ حَبَوْت : أعطيت . الصَّحُوب : جمع صُحُب ، وصحب جمع صاحب . خدعَ الصَّحوب : نقصوا أو قلّ خيرهم .

* يفخر بحسن معاملته ووفادته للأقارب والأصْحَاب .

١٧ لَمْ يَرْتُ : لم يَضْعف . اللَّزْبَات : جمع لزبة ، الشّدة والأزمَة . الذرْع : الطّاقة والبَسْطة . المَال : الإبل والغَنم . وَسُواف : بفتح السّين وضمها : موت المال وهلاكه . يريد لم يقصّر بي ، ولم تقطع كرمي ، قلّةُ المال أوكثرةُ الجَدب .

أَبُو كَبِير الهُذَلِي

أبو كبير الهذلي

٠٠٠ ـ نحو ١٠ ق . هـ.

اسمه عامر بن الحُلَيْس ، أحد بني سعد بن هذيل ثم أحد بني جُرَيْب . تزوج أم تأبَّط شرّاً . شاعر فحل . من شعراء الحماسة ، قيل : أدرك الإسلام وأسلم . وله خبر مع النبيّ . له ديوان شعر مطبوع مع ترجمة فرنسيّة له .

ومعظم شعره يقع في وصف حياة الفروسيَّة وما يكون فيها من عادات القتال ، والصّحاب الذيّن يصحبونه فيه ، مستطرداً إلى نعتهم بابيات تطول أو تقصر ، ويفخر بغاراته على الأحياء وبطشه بأهلها ، كما أنَّه يتغنَّى بقيامه على المربأة في الظَّهيرة الشَّديدة الحرّ في المفازة الخالية ، يصطاد الذئاب . كما أنَّه يشيد بسيفه ، ويلمّ ببعض الأحداث الأخرى المألوفة في مثل هذه الموضوعات .

أمَّا عبارته فشديدة الأسر ، متجهّمة ، قد يعسر فهمها ، شأنه في ذلك شأن سائر الشّعراء الهذليين الَّذين يلازمون في شعرهم الواقع الحسّي المستمدّ من الصّحراء والمفازة .

صَحَوْتُ عَنْ ذِكْرِ الغَوَانِي

مناسبة هذه الأبيات أنَّه تزوج أم تأبَّط شرّاً ، وكان صغيراً ، فلما رأى أبا كبير يُكْثر الدخول على أمّه ، تنكَّر له ، وعرف ذلك أبو كبير . فأخبر زوجته ، فأحَلَّت له قتله . فسأله مرّة : هل لك أن تغزو؟ فقال : ذاك من أمري . فخرجا ، ليلا ، حتَّى إذا أدركهما مساءُ اليوم الثَّاني ، أبصرا ناراً يعرف أبو كبير أنها نار أعداء تأبَّط شرّاً ، فوجَّهه إليها . فرأى عليها رجلَيْن من ألصّ العرب ، فوثبا إليه يريدان قتله ، فلمَّا كان أحدهما أقرب إليه من الآخر ، عطف عليه فقتله . ورجع إلى الآخر ، فرماه ، أيضاً ، فقتله . ثم جاء إلى نارهما ، فأخذ الخبز ، وجاء إلى أبي كبير ، فألح عليه حتَّى أخبره بالخبر . فخاف أبو كبير منه ، وقال : لن أقرب أمّ هذا الغلام ، وقال هذه الأبيات :

١	أَزُهَيْرَ ، هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدِلِ ،	أَمْ لا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ الأَوَّلِ
٢	أَمْ لا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ ، وَذِكْرُهُ	أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيــقِ السَّلْسَلِ
٣	ذَهَبَ الشَّبَـابُ ، وَفَاتَ مِنِّي مَامَضَى	وَنَضَا ، زُهَيْرُ ، كَرِيهَتِي وَتَبَطُّلِي

---

١ أزُهَيْرُ : يريد زهيرة .

* يخاطب زهيرة ابنته ، فيقول لها : هل عن شَيْبَةٍ من مصرف ، أم لا سبيل إلى شبابي الَّذي مضى .

٢ الرَّحيق : اسم الخمر . السَّلْسَل : السَّهل في الحلق ، السَّلس .

* طالما أن السَّبيل إلى الشَّباب مسدود ، يقول : إنه يكتفي منه بذكره ، ويتلذذ بهذه الذكرى تلذذ الشَّارب بالخمرة .

٣ نَضَا : انْسَلَخ . كَريهتُه : شدته .

* أي بانتهاء شبابي انتهت مشاكلي والشدة الَّتي كنت أعيشها . وقد فسَّر ما عناه بقوله : «كريهتي وتبطُّلي» ، في البيت التالي .

٤ وَصَحَوْتُ عَنْ ذِكْرِ الغَوَانِي وَانْتَهَى ... عُمْرِي وَأَنْكَرْتُ الغَدَاةَ تَقَتُّلِي

٥ أَزُهَيْرُ ، إِنْ يَشِبِ القَذَالُ ، فَإِنَّنِي ... رُبَّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَلِ

٦ فَلَفَفْتُ بَيْنَهُـمُ لِغَيْـرِ هَـوَادَةٍ ، ... إِلاَّ لِسَفْكٍ لِلـدِّمَـاءِ مُحَلَّـلِ

٧ حَتَّى رَأَيْتُ دِمَـاءَهُـمْ تَغْشَاهُمُ ، ... وَيُفَـلُّ سَيْفٌ بَيْنَهُمْ لَمْ يُسْلَلِ

٨ أَزُهَيْـرُ إِنْ يُصْبِـحْ أَبُـوكِ مُقَصِّراً ، ... طِفْلاً يَنُوءُ ، إِذَا مَشَى ، لِلْكَلْكَلِ

٩ يَهْدِي العَمُودُ لَهُ الطَّرِيقَ إِذَا هُمُ ... ظَعَنُـوا ، وَيَعْمِدُ لِلطَّرِيقِ الأَسْهَلِ

١٠ فَلَقَدْ جَمَعْتُ مِنَ الصِّحَـابِ سَرِيَّةً ... خُدْباً ، لِدَاتٍ ، غَيْرَ وَخْشٍ سُخَّلِ

---

٤ انْتَهَى عُمْري : بلغ عمري نهايته . تَقَتّلي : أي تكسّري وتغنّجي . .

* أي انقضى عهد الغَوَاني ، وانتهى بانتهائه عمري ، وأصبحت اليوم أنْكر ما كنت أفعله بالأمس ، من غنج وما إليه .

٥ القَذَال : ما بَيْن الأذنَيْن والقفا . الهَيْضَل : جماعة من النَّاس يُغْزَى بهم . مَرِس : ذو مراسة وشدة ، أراد بها هنا شدة المعالجة في الحرب .

٦ * لَفَفْتُ بينهم في الحرب ، وكنت رئيساً عليهم ، لا نجتمع إلا لنسفك الدماء بغير هوادة .

٧ سَلّ السَّيْف : إذا نزعه من غمده .

* لا أقف حتَّى تسربلَهم الدماء ، وسبيلي في ذلك هي فلّ سيوف الأعداء ، وهي في أغمادها ، قبل أن تُسَل خَوفاً ورعباً .

٨ الكَلْكَل : الصّدر .

* يقول : إنَّه صاركأنَّه طفل من الصّبيان ، لكبره وسنّه .

٩ العَمُود : العصا التي يَتوكّأ عليها . الأسْهَل : الألين . ظَعَنُوا : شخصوا .

* أي أصبح من ضعفه وكبره لا يقوى حتى على الاهتداء إلى الطَّريق ، فيلجأ إلى العصا ، مستعيناً بها ، ويسلك الطَّريق الأسهل .

١٠ الأخْدب : الأهْوج . خُدباً : هم الَّذين يركبون رؤوسهم ، لا يردهم شيء . السّخَّل : الضّعاف . لدات : قُرْب بعضهم من بعض في السّن . الوَخْش : النَّذل من كلّ شيء .

* جمعت حولي من الأصْحاب جماعة أقوياء ، لا هُم ضعاف ولا هُم أنْذال ، أعتَمدُ عليهم في شُؤوني .

١١ سُجَرَاءَ نَفْسِي ، غَيْرَ جَمْعِ أُشَابَةٍ حُشُداً ، وَلا هُلْكِ المَفَارِشِ ، عُزَّلِ

١٢ لا يُجْفِلونَ عَنِ المُضَافِ ، وَلَوْ رَأَوْا أُولَى الوَعاوِعِ كَالغَطَاطِ المُقْبِلِ

١٣ يَتَعَطَّفُونَ عَلَى البطيءِ تَعَطُّفَ العُوذِ المَطَافِلِ في مُنَاخِ المَعْقِلِ

١٤ وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلامِ بِمِغْشَمٍ جَلْدٍ مِنَ الفِتْيَانِ ، غَيْرِ مُهَبَّلِ

١٥ مِمَّا حَمَلْنَ بِهِ ، وَهُنَّ عَوَاقِدٌ حُبُكَ الثِّيَابِ ، فَشَبَّ غَيْرَ مُثَقَّلِ

١٦ حَمَلَتْ بِهِ في لَيْلَةٍ مَزْءُودَةٍ كَرْهاً ، وَعَقْدُ نِطَاقِها لَمْ يُحْلَلِ

---

١١ سُجَرَاء نَفْسي : جمع سجير ، سجير الرَّجل صفيّه وخاصّته . لاَ هُلْك المَفَارِش : أي ليس أمَّهَاتهم أمَّهات سوء ، والهَلُوك : التي تتساقط على زوجها وتغنج .

* أي هم صفوة ، اخترتها من خالصي النَّسب ، والشَّريفي الأصل

١٢ يَجْفُلون : ينكشفون . المُضَاف : الملجأ . أولَى الوَعاوع : جمع وَعْوعَة أي أوّل من يغيث من المقاتلة : الغطاط : طير ، هو نوع من القطا .

* يقول : إذا رأَوْا أعداءهم يحملون عليهم كما يبدو الغطاط ، فهم لم يكشفوا عن ثغرهم ، بل قاتلوا عنه .

١٣ العُوذ : جمع عائذ ، وهي الَّتي معها ولد صغير . المَطَافل : اللاتي معهن أطفال صغار . المَعْقل : الحرْز الَّذي يأوون إليه ، فيكون لهم حرْزاً .

* يقول : هؤلاء القَوْم يتعطَّفون على جرحاهم وقتلاهم ، كما تَتَعَطَّف العُوذ .

١٤ سَرَيْت : سرْتُ ليلا . المغْشَم : الَّذي يغشم النَّاس ويظلمهم . المُهَبَّل : الكثير اللَّحم .

* يقول : إنَّه انصرف إلى القتال ، في الظَّلام يصحبه قويّ ، بطَّاش ، جلود ، ضامر ، أي سريع العدو .

١٥ حَمَلْنَ : الضَّمير يعود على النّساء . الحُبُك : الطَّرائق ، وكل ما حزم به شيء ، فهو حباك .

* كان يقال : إذا حملت المرأة وهي فزعة ، وجاءت بغلام : جاءت به لا يطاق ، وعلى هذا فحين حَمَلَتْ به ، وقد تحزمت للهرب ، جاء هكذا .

١٦ مَزْءودة : فزعة .

* أي أكْرهت ، فلم تحلّ نطاقها .

١٧	فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الجَنَانِ ، مُبَطَّناً	سُهُداً ، إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الهَوْجَلِ
١٨	وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ،	وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ
١٩	فَإِذَا طَرَحْتَ لَهُ الحَصَاةَ ، رَأَيْتَهُ	يَنْزُو لِوَقْعَتِهَا طُمُورَ الأَخْيَلِ
٢٠	مَا إِنْ يَمَسُّ الأَرْضَ ، إِلاَّ مَنْكِبٌ	مِنْهُ ، وَحَرْفُ السَّاقِ طَيَّ المِحْمَلِ
٢١	وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الفِجَاجَ ، رَأَيْتَهُ	يَنْضُو مَخَارِمَهَا ، هُوِيَّ الأَجْدَلِ
٢٢	وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ ،	بَرَقَتْ كَبَرْقِ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ

---

١٧ حُوش الجَنَان : حوش الفؤاد ، أي حديده . مُبَطَّن : خميص البطن . سُهُد : أرق ، ساهر لا ينام . الهَوْجَل : الثَّقيل النوم ، الجافي .

* أي أن الأم أتت بهذا الولد ذكيّاً ، حديد الفؤاد ، يسهر ، إذا نام الجافي ، الثَّقيل النَّوم .

١٨ الغُبَّر : البقيَّة . فَسَادُ مُرْضعَة : لم تحمل عليه فتسقيه الغَيْل . وليس به داء شديد قد أعضل .. والغَيْل : أن ترضع المرأة ولدها وهي حامل . الحَيْضَة : من الحيض

* أي أنه نشأ نشأة صحيحة ، لم يصبه فيها داء . وذلك بسبب انصراف أمه عن كلّ شيء إليه .

١٩ الأخْيَل : طائر أخضر يُتَشاءم به . طُمُور : نزو .

* يريد أنه حديد النَّوم ، لا يستثقل في نومه . فاذا القيت إليه حصاة أيقظتهُ وجعلته ينزو كالطَّير الذي يثير التشاؤم أي الَّذي يجفل من النَّاس لتوّه لأنه لم يألفهم .

٢٠ المحْمَل : محمل السَّيْف

* إذا اضطجع لم يمسّ الأرض إلا منكبه وحرف ساقه ، لأنه خميص البطن ، فلا يصيب بطنُه الأرْض .

٢١ الفجَاج : جمع فجّ ، الطّرق . يَنْضو : يقطع ويجوز . المَخَارم : جمع مخرم أنوف الجبال . الأجْدل : الصّقر .

* يريد أن يقول : إنه صاحب همّة ، إذا نيطت به الصّعاب ذلَّلها .

٢٢ أسرَّةُ وَجْهه : خطوط جبهته . العَارض : الَّذي يجيء ، معارضاً في السّماء . المُتَهلّل : الممطر ، والمتلألىء بالبريق .

* يريد أن يقول : إن سيماء قوّته تبدو على وجهه ظاهرة .

٢٣ وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ المَنَــامِ ، رَأَيْتَهُ كَرُتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ ، لَيْسَ بِزُمَّلِ

٢٤ صَعْبُ الكَرِيهَةِ ، لا يُرَامُ جَنَابُهُ ، مَاضِي العَزِيمَةِ كَالحُسَامِ المِقْصَلِ

٢٥ يَحْمِي الصِّحَابَ ، إِذَا تَكُـونُ عَظِيمَةٌ وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا ، فَمَأْوَى العُيَّلِ

٢٦ وَلَقَدْ شَهِدْتُ الحَيَّ ، بَعْدَ رُقَادِهِمْ تُفْـلَى جَمَاجِمُهُمْ بِكُـلِّ مُقَلَّـلِ

٢٧ حَتَّى رَأَيْتُهُمُ كَـأَنَّ سَحَـابَــةً صَابَتْ عَلَيْهِمْ وَدْقُهـا ، لَمْ يُشْمَلِ

٢٨ نَضَعُ السُّيُوفَ عَلَى طَوَائِفَ مِنْهُمُ فَنُقِيمُ مِنْهُمْ مَيْلَ مَا لَمْ يُعْـدَلِ

---

٢٣ الرُّتُوب : الإنتصاب . الزُّمَّل : الضَّعيف .

* ينتصب إذا قام من منامه ، كما يقوم الكعب إذا رَتَب .

٢٤ الكَرِيهَة : إسم للحرب ، رجل ذوكريهة : إذا كان له صبر على البلاء . الجَنَاب : الفناء . المِقْصَل : القاطع .

* يقول : عزيمته ماضية ، إذا اعتزم أمراً ، قضاه .

٢٥ العُيَّل : جمع عائل .

* يكون حامية أصحابه ، إذا وقعوا في عظيمة ، وإذا صاروا في منازلهم ، فبيته مأوى الفقراء .

٢٦ بَعْدَ رُقَادهم : كأنهم بُيِّتُوا . تُفْلَى : تُعْلى . بكُلِّ مُقَلَّل : بكل سيف جعلت له قلَّة ، وهي القبيعة ، وقبيعة السَّيف : ما كان على رأس قائمه ، وهي الَّتي يدخل القائم فيها .

* يقول : إنه طالما أغار على الأحياء وأهلها نائمون ، فقطع رؤوسهم وجثثهم بالسَّيف الحادّ البتَّار .

٢٧ صَابَتْ : انحدرت كما ينحدر المطر . لَمْ يُشْمَل : لم تصبه ريح الشّمال ، وذاك أن الشّمال إذا أصابته ، انقشع . الوَدق : انهمار المطر بغزارة .

* أي اشتدت المعركة ، وثار الغبار ، فانهمر على القوم وأحدق بهم كالمطر الَّذي أقام على هطوله ، إذ لم تبدد سحابه ريح الشّمال .

٢٨ الطَّوائف : النَّواحي ، الأيدي والأرجل والرؤوس . ميْل : ما لم يُعْدل .

* يريد أن هؤلاء القوم كانوا غزوهم ، فقتلوهم ، فكان ذاك المَيْل ميلا على هؤلاء القـوم المقتولين ، ثم غزوهم بعد ، فقتلوهم ، فكان قتلهم لهم قياماً للمَيْل .

٢٩ مُتَكَوِّرِينَ عَلَى المَعَارِي بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ كَتَعْطَاطِ المَزَادِ الأَنْجَلِ

٣٠ نَغْدُو فَنَتْرُكُ في المَزَاحِفِ مَنْ ثَوَى وَنُمِرُّ في العَرَقَاتِ مَنْ لَمْ يُقْتَلِ

٣١ وَلَقَدْ رَبَأْتُ ، إِذَا الرِّجَالُ تَوَاكَلُوا حَمَّ الظَّهِيرَةِ في اليَفَاعِ الأَطْوَلِ

٣٢ في رَأْسِ مُشْرِفَةِ القَذَالِ ، كَأَنَّمَا أُطُرُ السَّحَابِ بِهَا بَيَاضُ المِجْدَلِ

٣٣ وَعَلَوْتُ ، مُرْتَبِئاً ، عَلَى مَرْهُوبَةٍ حَصَّاءَ ، لَيْسَ رَقِيبُهَا في مِثْمَلِ

٣٤ عَيْطَاءَ ، مُعْنِقَةٍ ، يَكُونُ أَنِيسُهَا وَرْقُ الحَمَامِ ، جَمِيعُهَا ، لَمْ يُؤْكَلِ

---

٢٩ مُتَكَوِّرين : أي بعضهم على بعض . المَعَاري : مبادي العظام . تَعْطَاط : من العطّ ، هو الشق . الأَنْجَل : الواسع .

* يقول : سقطوا ، حين ضُربوا على مبادي عظامهم ، بعد أن أثخنوا بالطَّعنات النَّجلاء الشَّبيهة بالشَّقّ الكبير في المزادة .

٣٠ نُمرّ : نوثق : العَرَقَة : حبل مضفور ، مثل ضَفْر النِّسْعَة .

* أي يتأكد من موت الجميع ، فلا يتركهم إلاّ وهو مطمئن إلى إبادتهم .

٣١ رَبَأْتُ : كنت ربيئة لهم ، رقيباً من الأعداء . حَمّ الظَّهيرَة : معظمها . اليَفَاع : التلّ المشرف .

* أي تقدمتهم ، إذا ما حاولوا التَّقاعس . من شدة الحرّ . ووعورة المكان .

٣٢ المجْدل : القَصر . أطْر السَّحَاب : مأطوره . والأطْر : الاعوجاج ، يريد ما تعطَّف من السَّحاب على هذه الهضبة .

* هذا مثل ، يريد أن يقول : إن لها عنقاً مشرفاً ، وهو يعني هَضْبة .

٣٣ مَرْهُوبَة : يرهب أن يُرقى فيها ، يريد هنا أكمة كبيرة . حَصّاء : ليس فيها نبات . لَيْسَ رَقيبُها في مَثْمل : أي ليس رقيبها في حفْظ .

* يريد أنه ركب المخاطر . واعتلى أكمة عالية ، لم تطأها قدم ، لأنّ الصّاعد إليها لا ينجو من الخطر .

٣٤ العَيْطَاء : الطَّويلة العنق . المُعْنقَة : الطَّويلة . أنيسُها وُرْقُ الحَمَام : أي لا يؤنسك فيها إلا الحَمام الَّتي فيها سواد وغبرة . جَميعُها لَمْ يُؤكل : لا يرقى فيها راق ، ولا راع ولا أحد ، فيأكل جميعها . الجَميم : ما نهض وانتشر من النَّبات .

* يصف هذا المكان الموحش الَّذي لم يُؤكَل عشبه . ولا يألفه أحد غير الحمام .

٣٥ وَضَعَ النَّعَامَاتِ الرِّجَالُ بِرَيْدِهــا مِنْ بَيْنِ شَعْشَاعٍ وَبَيْنِ مُظَلَّــلِ
٣٦ أَخْرَجْتُ منهـــا سِلْقَةً مَهْزُولَـةً ، عَجْفَاءَ ، يَبْرُقُ نَابُهـــا ، كَالمِعْوَلِ
٣٧ فَزَجَرْتُها ، فَتَلَفَّتَتْ ، إِذْ رُعْتُها كَتَلَفُّتِ الغَضْبَـــانِ سُبَّ الأَقْبَـــلِ
٣٨ وَمَعِي لَبُـــوسٌ لِلبَئِيـــسِ ، كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَبْهَـةِ ذي نِعاجٍ مُجْفِلِ
٣٩ وَلَقَدْ صَبَرْتُ على السَّمُومِ يَكُنُّنِي قَرِدٌ عَلَى اللِّيتَيْنِ ، غَيْرُ مُرَجَّلِ

---

٣٥ النَّعَامَة : خشبتان تُنصبان ، ويُلقى عليهما ثُمَام ، يَستظلّ بها الرّبيئة من الشَّمس والمطر . الرَّيْد : الحرف النَّاتىء في عرض الجبل . الشَّعْشَاع : الظِّل غير الكثيف الَّذي فيه فرج .

• يريد أن يقول : إنه نصب النَّعامة ، مستظلا بها من الشَّمس والمطر ، دلالة على نيَّته في الإقامة الطَّويلة في هذا المكان الموحش .

٣٦ سِلْقَة : ذئبة ، والذكر سِلْق . عَجْفَاء : مهزولة . كالمِعْوَل : يريد حديدة النَّاب ، كأن نابها طَرَفُ معْوَل .

٣٧ الأَقْبَل : من القَبَل ، وهوفي العَيْن إقبال سوادها على الأنْف . وقيل : هومثل الحَوَل بالتحريك أيضاً .

• يريد أنَّه حين زجرها وراعها غضبَتْ وخافت وأخذت تتلفَّت كتلفّت الأحول الغضبان إذا سبّ .

٣٨ ذو نعاج : يعني ثوراً . النّعَاج : البقر . الرَّوْق : القَرْن . معي لَبُوس : يعني تأبَّط شرّاً . البَئِيس : الشّجاع .

• يشبّه تأبّط شرّاً بالقرن في جبهة ثورهائج . وهوفي هذا التشبيه يعبّرعن شعوره نحوه .

٣٩ قَرِد : يعني شعره ، وقرِد بمعنى تجعد وتلبّد .

• يقول : قد طال شعري وتجعَّد وتلبَّد من طول ما تركته ، لم أدهنه ولم أغسله .

٤٠ صَدْيَانَ ، أَخْذَى الطَّرْفِ في مَلْمُومَةٍ ... لَوْنُ السَّحَابِ بِها كَلَوْنِ الأَعْبَلِ
٤١ مُسْتَشْعِراً تَحْتَ الرِّدَاءِ وِشَاحَةً ... عَضْباً ، غَمُوضَ الحَدِّ . غَيْرَ مُفَلَّلِ
٤٢ وَمَعَابِلاً صُلْعَ الظُّبَاتِ ، كَأَنَّها ... جَمْرٌ بِمَسْهَكَةٍ تُشَبُّ لِمُصْطَلِي
٤٣ نُجُفاً بَذَلْتُ لها خَوَافِيَ نَاهِضٍ ، ... حَشْرِ القَوادِمِ ، كاللِّفاعِ الأَطْحَلِ
٤٤ فَإِذَا تُسَلُّ ، تَخَلْخَلَتْ أَرْياشُها ... خَشْفَ الجَنُوبِ بِيَابِسٍ مِنْ إِسْحَلِ
٤٥ وَجَلِيلَةِ الأَنْسابِ ، لَيْسَ كَمِثْلِها ... مِمَّنْ تَمَتَّعُ ، قَدْ أَتَتْها أَرْسُلِي
٤٦ سَاهَرْتُ عَنْها الكَالِئَيْنَ كِلاهما ... حتَّى الْتَفَتُّ إِلَى السِّمَاكِ الأَعْزَلِ

---

٤٠ الأخْذى : الَّذي في طرفه استرخاء من عطش . الأعْبَل : المكان الَّذي فيه حجارة كبيرة بيض . في مَلْمُومَة : أي هضبة مدوّرة ، قد لُم بعضها إلى بعض .

* يصف حاله من العطش والتَّعب في هذا المكان الكثير الحجارة .

٤١ العَضْب : القاطع . الغَمُوض : الرّسُوب إذا مسّ الضّريبة غَمُض مكانه .

* يريد أن وشاحه سيف قاطع ، ثمّ يصف ذلك السَّيف ويقول : إنَّه قاطع ، لم يفلل ، وإن ضربته يغمض مكانها لعمقها .

٤٢ مَعَابل : سهام عراض النّصال . صُلْعُ الظُّبَات : تبرق ، ليس عليها صدأ . بمَسْهَكَة : بموضع شديد الرّيح . تُشَبّ : توقد .

* يقول : هذه النّصال كأنها جمر توقد لطالب الدفء ، وهو يشير بذلك إلى شدة بريقها .

٤٣ النّجُف : العراض النّصال والظّبات . الحَشْر : ما لطف من القَذذ ، والقذذ : جمع قُذة ، ريش السَّهْم . اللّفَاع : الكساء واللّحاف . الأطْحَل : الذي كلون الطحال إلى الحُمْرة .

* يتابع وصف هذه النّصال .

٤٤ الإسْحل : شجر يشبه الأثل ، تُتَّخذ منه المَساويك ، ويعظم حتى تُتَّخذ منه الرّحال .

* يقول : لَيْس ريشها بكزّ ، فاذا كَزْزتَها ، سمعت لها خشفة أي صوتاً .

٤٥ التَّمتع : حسن الغذاء والتّنعيم .

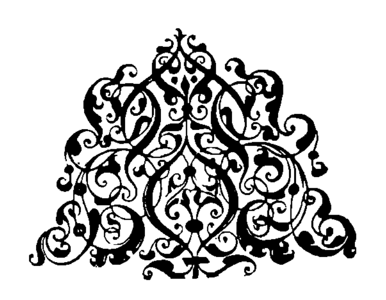
* يقول : امرأة سريَّة الأنساب ، ليس مثلها ممَّن تمتَّع .

٤٦ السّمَاك : ما سُمك به الشّيء أي رفع .

* ترقَّبتهما حتى نُوما ثم سرت إليها .

٤٧ فَدخَلْتُ بَيْتاً غَيْرَ بَيْتِ سَنَاخَـــةٍ وَأْزْدَرْتُ مُزْدارَ الكَـرِيمِ المُغْولِ

٤٨ فَإِذَا وذَلِكَ لَيْسَ إلاَّ حِينَـــهُ وإذَا مَضَى شَيْءٌ كَـأَنْ لَم يُفْعَلْ



---

٤٧ سَنَاخَة : يقال : سمن سَنخ إذا كان متغيّراً . المُغْول : المُدلّ .

• دخلت بيتاً ليس بيت دبّاغ ولا سمّان ، ولا بيت صاحب وَدك ولا بيت قذر ، أي بيتاً طيّب الرّيح .

٤٨ فاذا وذلكَ : الواو زائدة .

• أي حصل هذا في حينه ، أي أيام الشّباب الّذي مضى وكأنّ شيئاً لم يحصل .

الحُصَيْن بْن الحُمَام

الحُصَين بنُ الحُمَام

... _ ...

هو الحُصين بن الحُمام بن ربيعة ، بن سعد ، بن ذبيان ، بن بغيض ، بن ريث ، بن غطفان . شاعر جاهليّ مقلّ ، وفارس من فرسان الشّجاعة والوفاء . كان سيّد قومه ، ورائدهم ، وكان يقال له : « مانع الضّيم » لشدة وفائه . قاد قومه في عدة مواقع ، منها موقعة دارة موضوع ، بينهم وبين بني سعد بن ذبيان ، وصرمة بن مرّة . وقد دافع عن الحرقة ، وهم قوم من بني حميس بن عامر ابن جهينة ، كانوا أحلافاً لقومه ، وقد وقع خلاف بينهم وبين صرمة بن مرّة ، أنسباء الشّاعر . فتحامل هؤلاء على الحرقة ، وأرادوا فسخ الحلف ، فأنتصر الشّاعر لحلفاء قومه في عدد من رجاله . والتقى بأعدائهم في دارة موضوع ، فظفربهم ، وقتل منهم خَلْقاً كثيراً .

ومعظم ما نقع عليه من شعره لا يعدو ذكر الوقائع والحروب ، يعمد إلى ذلك بأسلوب سرديّ ، حيناً ، يخفت فيه حماسه ، وحيناً آخر ، إلى اسلوب تصويريّ مستمدّ من الأحداث والوقائع ، يمعن فيه بالغلوّ والتعظيم . وهو إذ يتصدى لوصف المعارك ، يذكر السّلاح ويتغنى به ، كما يلمّ بوصف الجيش ويشبّهه بكل تشبيه ، ويمثّله تمثيلا ملحميّاً . إلاّ أن أسلوبه ، مع ذلك كلّه ، لا يتميّز بخصائص تجعله منفرداً بضرب من ضروب النّظم ، بل أن قصائده تكاد أن تكون مبذولة في معظم الصّفحات الّتي تطالعنا في ديوان الشّعر الجاهلي .

يَا أَخَوَيْنَا

يسجّل الحصين في هذه القصيدة ، الأحداث الّتي جرت له ، وقد كان سيّد قومه بني سهم ، عند لقائه قبيلة صرمة ، وقتاله لهم وهزمه إيّاهم ، إذ أبَوْا إلاّ ذلك . ويذكر تجددّ القتال ، وانضمام بني ذبيان وبني مُحارب ابن خصفة إلى بني صرمة وسيره إلى القتال ، وليس معه إلا بنو وائلة بن سهم ، وحلفاؤه الحرقة ، بعد أن خانته قبيلتا عدوان ، وعبد غنم بن وائلة بن سهم . ويتحدث عن لقائه أعداءه بدارة موضوع ، فيسجّل هذه الأحداث ، ويحمل بني صرمة ، وزر هذه الحرب الّتي اقتتل فيها الأخَوان ، ويهزأ ببني مُحارب ، وبني ذبيان ، وما لحقهم من هزيمة ، مع كثرة عددهم وعدتهم :

١ يا أَخَوَيْنا ، مِنْ أَبِينَا وأُمِّنَـا ، ذَرُوا موْلَيَيْنَـا مِن قُضاعَةَ يَذْهَبَا

٢ فَإِنْ أَنْتُمُ لم تَفْعَلُوا ، لا أَبا لَكُمْ ، فَلاَ تُعْلِقُونَـا ماكَـرِهْنَـا ، فَنَغْضَبَا

٣ ونَحْنُ بنُو سَهْمِ بنِ مُرَّةَ لم نَجِدْ لَنَا نَسَباً عَنْهمْ ولا مُتَنَسَّبَـا

٤ مَتَى نَنْتَسِبْ تَلْقَوْا أَبانَـا أَبَاكُـمُ ولَنْ تَجِدُونَـا لِلْفَوَاحِشِ أَقْرَبَـا

٥ ولَمَّا رأَيْتُ الصَّبْرَ ، لَيْسَ بنَافِعِي وأَنْ كانَ يوْماً ، ذَا كَوَاكِبَ أَشْهَبَا

---

١ ذَرُوا : أتركوا .

• يحثّ أهله على أنْ يدعوا مواليهم من قَضاعة ، يرحلون عن الديار .

٢ • فاذا أبيْتُمُ ولم تُخلّوا لهم سبيلَهم ، فانّكم ستدفعونَنا ، من أجل ذلك ، إلى ما نكره وإلى ما يستثير غضبنا .

٣ • يريد أنّهم أبناءُ بني سَهْم ، لم ينتسوا لبني قضاعة بأيّ نسب أوقرابة .

٤ • يقول : إنّهم يجتمعون في نسب واحد ، وإنّهم يتحدرون من الوالد ذاته ، وانّهم ليَميلُون إلى الفضل من دون الفَواحش .

٥ الأشْهَب : الصّعب .

• يريد أنّه لما نفد صبره ، ولم ينفع مع القوم طول أنَاته ، جعل يومهم كريهاً صعباً .

٦ شَدَدْنا علَيْهِمْ ، ثَمَّ ، بالجَوِّ ، شَدَّةً   فَلاَ لَكُمُ . ثُمَّ دَعَوْنَ . وَلاَ .

٧ بِكُلِّ رُقَاقِ الشَّفْرَتينِ ، مُهَنَّـدٍ   وأَسْمَرَ عَـرَّاصٍ لَهْزَةٍ . أَرْقَبَ

٨ فما فَزِعُـوا إِذْ خالَـط القـومُ أَهلَهمْ   ولكنْ رأَوْا صِرْفاً . من الموت أَصْهَبَ

٩ وَلا غَرْوَ إِلاَّ حين جـاءَتْ مُحارِبٌ   إِلَيْنا بأَلْـفٍ حَـارِدٍ . قد تَكَتَّبَ

١٠ مَوَالِي مَوالِينَا ، لِيَسْبُوا نِساءَنـا .   أَثَعْلبَ ، قد جِئْتُمْ بنكْرَاءَ ثَعْلَبَ

١١ وقُلتُ لهُمْ : يا آل ذُبْيانَ ، مالَكُمْ   تَفَاقَدْتُمُ ، لم تَذْهبُوا العامَ مذْهَبَ

١٢ تَداعَى إلى شَرِّ الفَعَـال سَرَاتُهـا   فَأَصْبَحَ مَوْضُوعٌ ، بِذَلِكَ . مُلَتِّبَا

---

٦ الجَوّ : موضع .

* هجمنا عليهم في موضع الجوّ هجمة قويَّة ، وَشَدَدنا عليهم حتى لَعنوا آباءنا من شدة قسوتنا عليهم ، وبطشنا بهم .

٧ رُقَاق ورَقيق واحد . المُهَنَّد : السَّيف . العَرّاص : الشَّديد الاضّطراب ، يصف الرّمح . الأَرْقب : يريد غلظ متنه . شبهه بالحيوان الأرقب ، وهوالغليظ الرَّقَبة .

* وقد هاجمناهم بسيوف حادة الشفرات ، ورماح طويلة غليظة .

٨ الصرّف من كُلِّ شَيء : الخَالص . الأَصْهَب : الأحمر .

* لم يجزعوا منا في بادىء الأمر ، لاعتقادهم أنّنا من أهلهم ، وأنّنا لن نقاتلهم ، ولكنَّا بطشنا بهم بطشاً شديداً .

٩ ، ١٠ الغَرْو : العجب . الحَارد : القاصد . تَكَتَّب : صاركتيبة .

* ولا عجب حين جاءت إلينا قبيلة مُحارب بألف مُقاتل صنديد ، وقد تكتّلوا جماعات وكتائب ، ليسبوا نَساءنا ، ويرتكبوا المُنْكرالَّذي لا مثيل له .

١١ * يخاطب بني ذبيان ، ويقول لهم : إنَّهم حادوا عن جادة الصَّواب هذا العام .

١٢ مَوْضُوع : اسم مكان به كان يوم من أيامهم . مُلَتِّب : اللاتب ، الثَّابت ، والَتبَه : أوجَبَهُ وألْزَمَهُ .

* يريد أنّ سادة آل ذبيان ، قد تداعوا إلى الشَّر ، وأرادوا القتال ، فكان يوم موضوع ، أمراً لازماً لهم ، ليرفعوا الضَّيم عن أنْفُسهم .

دَارَةُ مَوْضُوعٍ

قال الحُصين هذه القصيدة ، يندد ببني عمّه ، رهط غزارة وحلفائهم ، وقد عزموا على محاربة قومه . وهو يذكرُ أنَّه لما رأى أنّ الوُدّ معهم ليس بنافع له ، وقد صَبَرَ على تحرّشاتهم كثيراً ، خرج إليهم في قبيلة بني وائلة ابن سهم ، فلمّا لقيهم ومن معه بدارة موضوع ، ظفر بهم ، وهزمهم وقتل منهم كثيرين . ثم يفخر بانتصاره عليهم ، وبشجاعته واستهانته بالموت في سبيل القضاء على أخْصَامه :

١ جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ العَشِيرَةِ كُلِّهـا ، بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ ، عُقُوقاً ومَأْثَمَا

٢ بَنِي عَمِّنَـا الأَدْنَيْنَ منهم ، ورَهْطَنَا فَزَارةَ ، إِذْ رامتْ بِنَا الحربُ مُعْظَمَا

٣ مَوَالِي مَوَالِينَـا ، الوِلاَدَةُ منهمُ ، ومَوْلَى اليمينِ ، حابِساً مُتَقَسَّمَا

٤ ولمَّا رَأَيْتُ الـوُدَّ ، ليسَ بنافِعي ، وأَنْ كان يوماً ذَا كَواكِبَ مُظْلِمَا

٥ صَبَرْنَـا ، وكان الصَّبْرُ فينا سَجِيَّةً ، بِأَسْيافِنـا ، يَقْطَعْنَ كَفاً ومِعْصَمَا

---

١ أَفْنَاءُ العَشيرَة : القَوم النَّزاح من ههنا وههنا ، لا يدري من أيّ قبيل هم . دارَة مَوْضُوع : مكان كانت فيه الوَقْعَة . عُقُوق ومأثم : جزاء عقوقهم وإثمهم .

• يُظْهر سخطه على الّذين اجتمعوا للقتال من كل صوب ، في دارة موضوع ، ويتمنّى لهم السّوء جزاء ما إنساقوا إليه من جحود وإثم .

٢ الأدنَيْنْ : الأقربين .

• هم بنوعمّنا الأقربون ، ورهط فَزارة ، وقد عزموا على محاربتنا .

٣ قسم مواليه قسمين ، مواليه القرابة وهم بنوعمّه ، وموالي اليمين ، وهم حلفاؤه . حَابِسُ مُتَقَسّم : حالان من اليمين ، لأنّه يقسم لهم على النّصرة ويحبس كل من الحليفَيْن به .

٤ مُظْلم : أظلم اليوم من غبار الحرب ، حتى استبانت الكواكب .

• يقول : لما رأيت أنّ تقديم المودة لهم ، لا يجدي ، عمدت إلى قتالهم في يوم شديد ، مظلم تلتمع فيه السّيوف التماعاً .

٥ صبرنا على الشدة ، ولبثنا نقاتل ونبطش بالأعداء بَطْشاً ذريعاً .

٦ يُفَلِّقْنَ هَاماً مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ عليْنا . وهم كانوا أَعَقَّ . وأَظْلَمَا

٧ وجوهُ عَدُوٍّ ، والصُّدُورُ حَدِيثَةٌ بِـوُدٍّ . فَأَوْدَى كلُّ وُدٍّ فأَنْعَمَا

* * *

٨ فليتَ أَبا شِبْلٍ رَأَىٰ كَرَّ خَيْلِنَا ، وخيلِهِمُ بَيْنَ السِّتَارِ فأَظْلَمَا

٩ نُطَارِدُهم ، نَسْتَنْقِذُ الجُرْدَ كالقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّمَا

١٠ عَشِيَّةَ ، لا تُغْنِي الرِّماحُ مكانَها وَلا النَّبْلُ ، إلاَّ المَشْرَفِيَّ المُصَمِّمَا

١١ لَدُنْ ، غُدْوَةً ، حتى أَتَىٰ الليلُ ما تَرَى مِن الخيلِ إلاَّ خارِجِيًّا مُسَوَّمَا

---

٦ الهَام : جمع هامة ، وهي الرأس . أظْلَم : يقول : بَدأونا بالظّلم على إعزازنا إياهم .

* يقول : إنّ سيوفهم تفتك بقوم أعزّاء عليهم ، وقد اضطّروا لقتالهم ، لأنهم استثاروهم بما ساقوه إليهم من ظُلْم .

٧ أوْدى : ذهب . فَأَنْعم : بالغ الوُدّ في الذهاب .

* وجوههم وجوه أعداء ، وكانوا قبلا مُقيمين على الوُدّ ، وقد فرقت بينهم ، وأقامت الحقْدَ والغُلّ مَقام المحبّة .

٨ أبُوشبْل : هومُلَيْط ـ بالتصغير ـ بن كعب المُرّي . السّتاروأظْلَم : موضعان .

٩ الجُرْد : الخَيْل القصار الشّعر . السَمْهَريّ : الرمح .

* يقول : نغنم منهم خيلَهم ، ونترك في أجسادهم رماحنا ، إذا طعنّاهم ، فهم يحاولون إخراجها .

١٠ مَكَانَهَا : أيّ في مكان استعمالها . المَشْرَفيّ : سيف منسوب إلى المشارف ، وهي قرى في أرض الشام أوإلى مشرف رجلٍ من ثقيف . المُصَمّم : الّذي يمضي في صميم العَظْم ويبريه . وإنما يلجأون إلى السّيوف ، حين تشتدّ الحرب ويلتحمون .

* يقول : إنّهم تدانوا ، بعضاً إلى بعض ، ولم يَعُدْ لَهُم قِبَل بالرّماح ، فجعلوا يتضاربون بالسّيوف .

١١ الخَارجيّ منَ الخَيْل : الجَواد في غيرنسب تقدم له ، كأنّه نَبَغ بالجودة . ومنَ النَّاس : مَن يخرج وَيشْرف بنفسه ، من غير أنْ يكون له نَسَب قديم . المُسَوّم : المُعَلّم بعلامة في الحرب ، ولا يفعل ذلك إلا الفارس الشّجاع .

* يقول : انّ النّاس انكشفوا في هذه الحرب ، فلم يبق إلاّ أهل هذه الخيل الأشداء الذين سَوّمُوا أنفسهم وخيلهم ، شجاعة وجراة .

١٢ وأَجْرَدَ كالسِّرْحانِ ، يَضرِبُهُ النَّدَىٰ ، ومحبوكةً ، كالسِّيدِ ، شَقَّاءَ صِلْدِمَا

١٣ يطَأْنَ مِن القَتْلَىٰ ، ومِن قِصَدِ القَنَا خَبَاراً ، فما يَجْرِينَ إلاَّ تَجُشُّمَا

١٤ عليهنَّ فِتْيانٌ كَساهُمْ مُحَرِّقٌ ، وكان إذا يَكْسُو أَجادَ وأَكْرَمَا

١٥ صَفَائِحَ بُصْرَى ، أَخْلَصَتْهَا قُيونُها ومُطَّرِداً مِن نَسْجِ داوودَ مُبْهَمَا

١٦ يَهُزُّونَ سُمْراً ، مِن رماحِ رُدَيْنَةٍ ، إِذَا حُرِّكَتْ ، بَضَّتْ عواملُهَا دَمَا

* * *

---

١٢ أجْرَد : هو الفرس القصير الشَّعَر . السِّرْحَان : الذئب . يَضْرِبُهُ النَّدى : يصيبه المطر فهو يسرع إلى مأواه . المَحْبُوكَة الفرس الّتي حُبِّك خلقها ، أي فُتل فَتْلا شديداً . السِّيد : الذئب . الشَّقَّاء : الطّويلة . الصِّلْدم : الصّلبة .

* يشبه الفرس بالذئب المُسرع إلى مأواه وينعتها بالطول والصّلابة .

١٣ القَنَا : الرمّاح . التَّجَشّم : حمل النّفس على المَشَقّة وما تكره .

* إنّ الخيل تعثر بالقتلى وبقصد القَنا ، أي القطع المُكَسَّرة من الرمّاح ، فكأنّما تطأ في خبار ، وهي الأرض اللّينة فيها جُحُور .

١٤ مُحَرِّق : لقب سُمّي به جماعة من ملوك العرب .

* يمتدح فرسان بني قومه بالشّرف والسّؤدد والثّراء ، ويقول : انهم يرتدون مثلما كان يرتدي جُند المُحرّق الّذي كان يجود عليهم ويكرمهم .

١٥ صَفائح : سيوف عريضة . بُصْرى : بلد تنسب إليه جياد السّيوف . القَيْن : الحَداد . أخلَصَتْها : جاءت بها خالصة من العُيوب . المُطَّرِد : المُتَتَابع الّذي ليس فيه اختلاف . يريد إنّها لا فَتْقَ فيها ، ويريد الدرع . المُبْهَم : الّذي لا ثلم فيه ولا خرق ، أو الّذي لا يخالط لونَه لونٌ آخر .

* يصف الفرسان الّذين يمتطون الخَيْل وما عليهم من عُدة الحرب ، كالسّيوف البصرية الخالصة والدروع الداووديّة .

١٦ السمر منَ الرماح : أصلب من غيرها ، لأنها تنضج في منبتها . رُدينَة : إمرأة كانت بالبحرين تُقَوِّمُ الرّماح . بَضّتْ : سالت . عَاملُ الرّمْح : سنَانه .

* يهزّون سيوفاً تسيل دماءَ مَنْ تُصيبُه .

١٧ أَثَعْلَبَ لَو كنتمْ ، مَوالِيَ مِثْلِهـا ، إذاً ، لَمنَعْنا حَوْضَكم أَنْ يُهدَّمَا

١٨ ولولا رجالٌ ، مِن رِزامِ بنِ مَازِنٍ ، وآلِ سُبَيْعٍ ، أَو أَسُوءَكَ عَلْقَمَا

١٩ لأَقْسَمْتُ لا تَنْفَكُّ مِنِّي مُحَارِبٌ على آلةٍ حَـدْباءَ ، حتى تَنَدَّمَا

٢٠ وحتى يَرَوْا قوماً تضِبُّ لِثاتُهُمْ ، يهُزُّونَ أَرماحاً ، وجيشاً عَرَمْرَمَا

٢١ ولا غَرْوَ ، إلاَّ الخُضْرُ خُضْرُ مُحارِبٍ يُمَشُّونَ حَوْلِي ، حَاسِراً ومُلأَّمَا

---

١٧ أَثَعْلَب : أراد : أَثَعْلَبَة ، فَرَخَّم ، وهم بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان . المَوَالي : الأولياء . الحَوض أراد به هُنا العزّ .

* يقول : لوكنتم موالينا في مثل هذه الحروب ، لمنعناكم الأعداء ، ولم ندع حياضكم تُسْتباح وَتُهَدم .

١٨ رزام بنْ مَالك ، وقد نصّ الأنباري على أنّ هذا خطأ ، وأنّ الصّواب رزام بن مازن ، وأنّ مالكاً هوإبن رزام لا أبوه . وهورزام بن مازن بن ثَعْلَبَة بن سعد بن ذبيان . سُبَيْع : هوابن عمروبن فتية . عَلْقَم : ترخيم علقمة بن عبيد بن عبد بن فتية .

١٩ لأَقْسَمْتُ : جواب لولا . مُحَارب : هم بنو محارب بن خصفة ، بن قيس بن عيلان . الآلَة : الحالة . الحَدبَاء : الصّعْبة . أي تحمّل على أمر عظيم صعب ، لا تطمئن عليه إذا ركبته .

* يقول : لولا رجال رزام بن مالك ، ومن إليهم ، لانقضضت على بني مُحارب ، وأذقْتُهم البلاء المرير .

٢٠ تَضبّ لثَاتُهُم : تسيل من حبّ الغنيمة وشَهْوَة الحَرْب . واللّثَة ، يقال : « جاء فلان تُضَبّ لثته » إذا جاء وهو حريص على الأمر . عَرَمْرَم : كثير .

* يصف الجيش الّذي يهددهم به ، ويقول : إن جنوده يطلبون ، ويهزّون لذلك الرّماح ، وينتظمون في جموع هائلة .

٢١ لاَ غَرْوَ : لا عَجَب . الخُضْرُخُضْرُمُحَارب : هم بنومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان . الحَاسر : الّذي لا مغفر عليه ولا درع . المُلأم : ذواللأمْة ، وهي الدرع والمغفر ، او احدهما .

* يذكر القوم الّذين هرعوا إليه ، وساروا إلى جنبه ، ويقول : إنهم أحاطوا به . مدجّجين . وغير مدجّجين بالسّلاح .

٢٢ وجاءَتْ جِحَاشٌ قَضُّها بِقَضِيضِها ، وجَمْعُ عُوالٍ ، ما أَدقَّ وأَلأَما

٢٣ وهارِبةُ البَقْعاءُ أَصبحَ جَمْعُها ، أَمامَ جُمُوعِ النَّاسِ ، جَمْعاً مُقَدَّمَا

٢٤ بِمُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ به قِصَدُ القَنا ، صَبَرْنا لهُ ، قد بلَّ أَفراسَنا دَمَا

* * *

٢٥ وقلتُ لهم : يا آلَ ذُبْيانَ ما لكُمْ تَفَاقدْتُمُ ، لا تَقْدِمونَ مُقَدَّمَا

٢٦ أَما تَعلمونَ اليومَ حِلْفَ عُرَيْنَةٍ ، وحِلفاً بصحراءِ الشَّطُونِ ومُقْسَمَا

٢٧ وأَبْلِغْ أُنَيْساً سَيِّدَ الحَيِّ ، أَنَّهُ يَسُوس أُموراً ، غَيْرُها كان أحزمَا

---

٢٢ جحَاش : بنو جحاش بن بجالة ، بن مازن ، بن ثعلبة ، بن سعد ، بن ذبيان . قَضّها بقَضيضها : أي صغيرها بكبيرها . والمُراد أنّهم جاءوا أجمعين . عُوال : هو ابن الحارث ابن ثَعْلبة بن سَعْد بن ذبيان .

٢٣ هَاربَةُ بن ذبْيان ، رحلوا من بني ذبيان ، فنزلوا في بني ثعلبة بن سعد ، فعدادهم معهم ، وهم قليل ، وسمّيت هاربة البَقْعاء لكثرة البلق في عساكرها ، ولا يركب الأبلق إلاّ مُدلّ بشجاعته .

٢٤ المُعْتَرَك : مَوْقع القتال . الضّنْك : الضّيق . قصَدُ القَنَا : ما تكسّر من الرّماح .

* يذكر القبائل الّتي قدمت للقتال ، ويصف هول المعركة ، وما تَكَسَّرَ فيها من رماح ، وَتسَرْبُل الجياد بالدم فيها .

٢٥ تَفَاقَدتُم : دعاء عليهم بالموت ، وأن يفقدوا بعضهم بعضاً .

* يُعيّر بني ذبيان ، تخاذلهم في القتال ويقول : إنّهم جبنوا وتضعضعوا .

٢٦ عُرَيْنَة ، هم بَنُو عُرَيْنَة بن نذير بن فسر ، بن بُجَيْلة بن أنمار بن نزار ، بن معد ، بن عدنان . وأشار بحلفهم إلى ما كان من تنازعهم واضطرارهم إلى محالفة قبائل شتّى من العرب . الشَّطُون : موضع . المُقْسَم : مكان القسم .

* أراد الشّاعر بذلك تحذير عاقبة الفرقة .

٢٧ أُنَيْس : يريد به أنس بن يزيد بن عامر العمري ، فصغّر اسمه .

٢٨ فإنك لو فارقْتَنَا ، قبلَ هـذِه إذاً لَبَعَثْنَا فوقَ قَبْرِكَ مَأتَمـا

٢٩ وأَبْلغْ تَليداً ، إنْ عَرَضْتَ ابنَ مالكٍ وهلْ يَنْفَعَنَّ العِلْمُ . إلاَّ مُعَلَّمَا

٣٠ أَقِيمي إليكِ عَبْدَ عَمْرٍو وشَايِعِي ، على كلِّ ماءٍ وسْطَ ذُبْيَانَ خَيَّمَا

٣١ وعُوذِي بـأَفنـاءِ العَشِيرةِ ، إنما يَعُوذُ الذَّليلُ بالعزِيزِ لِيُعْصَمَـا

٣٢ جَزَى اللهُ عنَّا عبدَ عَمرٍو ملاَمَةً وعُدْوَانَ سَهْمٍ ، ما أَدَقَّ وأَلأَمَا

٣٣ وحَيَّ مَنَاف ، قد رأَيْنَا مكانَهم ، وقُرَّانُ ، إذْ أَجْرَى إلينا وأَلْجمَا

٣٤ وآل لَقِيطٍ ، إنني لن أَسُوأَهُمْ ، إذاً لَكَسَوْتُ العَمَّ بُرْداً مُسَهَّمَا

---

٢٨ المَأتَم : كُلّ جماعة تجتمع ، وغلب عليه عند النَّاس الاجتماع على الميت .

* لو مُتّ قبل هذه الفعْلَة لبكَيْنا عليك ، ووجدنا على فَقْدكَ ، فَانْ مُتّ ، الآن ، لم نبكك ، ولم نجد على فقدك .

٢٩ إن عَرَضْتَ : جملة اعتراضية . إلاّ المُعَلَّم : أي لا ينفع العلم إلاّ من تَعَلَّم وتَمَكَّن .

٣٠ عَبْدُ عَمْرو ، وعُدْوَان : ابنا سهم بن مُرّة ، وهما اللّذان نكصا عنه ، كما سبق في جو القصيدة . خيَّم : أي خيّم حوله ، من قولهم : « خيَّم بالمكان » أقام ، كأنَّه نَصبَ الخيام .

* يقول لهؤلاء : إليكم عنَّا ، وشايعوا من ترون من ذبْيان .

٣١ عُوذي : من قولهم « عاذ بالشّيء » لجأ إليه واعتصم . الأفْنَاء ، فُسرّت في البيت الأول . ليُعْصَم : من العصمة ، وهي المنعة .

* يدعوهم ليفزعوا إليهم ويستنجدوا ، كما يستنجد الذليل بالكريم .

٣٢ عُدوَان سَهْم : يعني عُدوان بن سهم بن مرّة . أضاف الإبن إلى الأب ، مَا أدقّ وألأم : ما أدقَّهم وألأمهم . الدقَّة : هنا الخسّة .

* يهجو أعداءه وينعتهم باللّؤم ، ويدعو الله أن يعاقبهم على سوء فعلتهم .

٣٣ قُرَّان : قبيلة أو رجل . أجْرَى إلَينا وألْجَما : أجرى الخَيْل وألجمها .

٣٤ العَمّ : الجماعات . البُرْد المُسَهَّم : المُخطَّط الّذي يشبه وشيَه بنقش السّهام .

* يقول : إني أتحامى عنهم ، ولو شئت لهجوتهم هجاء يبقى أثره ، ويشتهرون به شُهرة البُرْدْ المسّهَم ، ويتسامع النّاس به .

٣٥ وقالوا : تَبَيَّنْ هل تَرَى بين ضَارجٍ ، ونَهْيِ أَكُفٍّ صارِخاً ، غيرُ أَعْجَمَا

٣٦ فأَلحقْنَ أَقواماً ، لِئَاماً بأَصْلِهِمْ ، وشَيَّدْنَ أَحساباً ، وفاجأْن مَغْنَمَا

٣٧ وأَنْجَيْنَ مَن أَبْقَيْنَ مِنَّـا بخُطَّةٍ ، من العُذْرِ لم يَدْنَسْ ، وإن كان مُؤْلَمَا

٣٨ أَبَى لابْنِ سَلْمَى أَنَّه غيرُ خَـالِدٍ ، مُلاَقِي المَنَـايَا ، أَيَّ صَرْفٍ تَيَمَّمَا

٣٩ فَلَسْتُ بمُبْتَاعِ الحياةِ بِسُبَّـــةٍ ، وَلا مُبْتَغٍ من رَهْبَةِ الموتِ سُلَّمَا

٤٠ ولكنْ خُذُوني أَيَّ يومٍ قَدَرْتُمُ ، عليَّ ، فَحُزُّوا الرأْسَ أَنْ أَتكلَّمَا

٤١ بِآيَةِ أَنِّي قـد فَجَعْتُ بفـــارسٍ إِذَا عَرَّدَ الأَقوامُ ، أَقْدَمَ مُعْلِمَا

---

٣٥ ضَارج : ماء لبني عبس ، وقيل : لغيرهم . نَهْي أكَف : موضع مطمئن من الأرض فيه ماء . الصّارخ هنا : المغيث . الأعْجَم : ما لا ينطق .

* يريد أنظر ، فلست ترى بين هذين الموضعين من يغيث وينجد .

٣٦ ألحقْن : يعني الخَيْل هزمن قوماً وصفهم بالخَوَر ، للؤم أصولهم . وشَيَّدن : رفعن أحساب من صبر في الحرب فَاجَأنَ مَغْنَماً : لقينه .

* يقول : إنّ الخيل لحقَت بقوم أذلاء ، مشوبي الأصل ، فيما رفعت أحساب فرسانها الّذين غَنمُوا غنائم كثيرة .

٣٧ منَ العُذر ، يريد : من أنْجَتْه الخَيْل وأبقته هذه الحرب ، فقد أتى بعُذر ، لأنَّه قد أبلى . لم يدنَّسْ ، أي لم يَفرّ فيركبه العَار ، وإن كان قد أصابه الألم من جراحه .

٣٨ سَلْمَى :أمه أو جدته . وأراد بابن سلمى نفسه . أيَّ صَرْف تَيَمَّم : أي جهة قصد .

* يريد أنَّه أبى أن يحتمل الذل والعار ، وأنَّه غير باق ، وأنَّه سيلقى المنايا .

٣٩ * يقول : لا أشتري الحياة بما أسَبّ عليه ، ولا أطلب النجاة من الموت ، فلا مهرب منه . فمن علم أنَّه ميّت لا محالة ، لم يحتمل المَذلَّة .

٤٠ قال ثعلب : يقول : متى وجدتموني فخذوني وحزّوا رأسي حتى لا أتكلَّم .

* إني أقولُ فيكم وأهجوكم وأذمّكم ما حييت .

٤١ الآيَة : العلامة .فجعت : فجعتكم بقتل فارس منكم . عرّد : هرب . المُعْلم : الَّذي يجعل لنفسه عَلامة في الحرب يعرف بها . يحرضهم على نفسه ، ويذكرهم بفارسهم الَّذي قتل .

المراجع والمصادر العامّة

آثار البلاد	القزويني	(دار صادر ـ بيروت)
أسماء المغتالين	محمد بن حبيب	(نوادر المخطوطات ٢١١ ـ ٢١٥)
الإشتقاق	إبن دريد ـ تحقيق عبد السلام هارون	(الخانجي ـ القاهرة)
أشعار الشعراء الستة الجاهلية		(القاهرة)
أشعار الهذليين	الشنتمري	
الإصابة	ابن حجر	(القاهرة ـ المكتبة التجارية)
الأصمعيات		
الأعلام	خير الدين الزركلي	(بيروت ـ دار العلم للملايين)
الأغاني	الأصفهاني	(طبعة ساسي)
الأغاني	الأصفهاني	(طبعة بولاق)
الأغاني	الأصفهاني	(دار الثقافة ـ بيروت)
أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي	الدكتور أحمد الحوفي	(القاهرة)
الاقتضاب	ابن السيد	(بيروت)
الأمالي	القالي	(طبعة دار الكتب المصرية)
الأمالي	المرتضى	(البابي الحلبي ـ القاهرة)
البيان والتبيين	الجاحظ ـ تحقيق هارون	(الخانجي ـ القاهرة)
تاج العروس شرح القاموس	المرتضى الزبيدي	
تاريخ آداب العرب	مصطفى صادق الرافعي	(القاهرة)
تاريخ آداب اللغة العربية	جرجي زيدان	(القاهرة ـ دار الهلال)
تاريخ الآداب العربية	نالينو	(دار المعارف ـ القاهرة)
تاريخ الأدب العربي	بلاشير ـ ترجمة ابراهيم الكيلاني	(دمشق)
تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات	(القاهرة)

تاريخ الأدب العربي	بروكلمان ـ ترجمة عبد الله النجار	(القاهرة ـ دار المعارف)
تاريخ الأدب العربي	حنا فاخوري	(بيروت)
تاريخ الأدب العربي	فروخ	(بيروت ـ دار العلم للملايين)
تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي والإسلامي	هاشم عطية وإبراهيم مصطفى	(القاهرة)
تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)	الدكتور شوقي ضيف	القاهرة ـ دار المعارف)
تاريخ الخميس	الديار بكري	(القاهرة)
تاريخ الشعر العربي	نجيب البهبيتي	(القاهرة)
تاريخ العرب قبل الإسلام	الدكتور جواد علي	(بغداد)
تهذيب تاريخ ابن عساكر	عبد القادر بدران	(دمشق ١٣٢٩ هـ)
التيجان	ابن هشام	(حيدر آباد)
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	الثعالبي	(القاهرة)
جمهرة أشعار العرب	القرشي	(دار صادر ـ بيروت)
جمهرة أنساب العرب	ابن حزم	(دار المعارف ـ القاهرة)
الحماسة	ابن الشجري	(حيدر آباد ـ الهند)
الحماسة	أبو تمام	(القاهرة)
الحماسة	البحتري	(القاهرة)
الحياة الأدبية في العصر الجاهلي	الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي	(القاهرة ـ المكتبة التجارية)
الحياة العربية من الشعر الجاهلي	الدكتور أحمد الحوفي	(القاهرة)
الحيوان	الجاحظ ـ تحقيق هارون	(القاهرة)
خزانة الأدب	البغدادي	(القاهرة)
خمسة شعراء جاهليين	عمر فروخ	(بيروت)
دراسة الشعراء «الشعر الجاهلي»	المرصفي	(القاهرة)
ديوان الشعر العربي	علي أحمد سعيد	(بيروت ـ المكتبة العصرية)
الذريعة إلى تصانيف الشيعة	آغا برزك الطهراني	(النجف)
رغبة الآمل	المرصفي	(القاهرة)
الروض الأنف	السهيلي	(القاهرة)

الكتاب	المؤلف	مكان النشر
سمط اللآل	البكري	(القاهرة)
السيرة النبوية	إبن هشام	(القاهرة)
شرح الحماسة	التبريزي	(القاهرة)
شرح الحماسة	المرزوقي	(القاهرة)
شرح شواهد الألفية	العيني بهامش خزانة الأدب	(القاهرة)
شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات	إبن الأنباري ـ تحقيق هارون	(القاهرة ـ دار المعارف)
شرح القصائد العشر	التبريزي	(القاهرة)
شرح شواهد المغني	السيوطي	(القاهرة)
شرح المعلقات السبع	الزوزني	(بيروت ـ دار صادر)
شرح المعلقات العشر وأخبار قائليها	الشنقيطي	(القاهرة)
شرح المفضليات	الأنباري	(القاهرة)
شرح النقائض		(ليدن)
شعراء الحرب في العصر الجاهلي	علي الجندي	(القاهرة)
الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي	الدكتور يوسف خليف	(القاهرة ـ دار المعارف)
الشعراء الفرسان	بطرس البستاني	(بيروت)
شعراء النصرانية قبل الإسلام	لويس شيخو	(القاهرة ـ دار المشرق)
الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه)	الدكتور محمد النويهي ج ٢	(القاهرة)
الشعر الجاهلي : مراحله واتجاهاته الفنية	الدكتور سيد حنفي حسنين	(القاهرة)
الشعر الجاهلي وأعلامه	الدكتور محمد صبري	(القاهرة)
الشعر والشعراء	إبن قتيبة	(بيروت ـ دار الثقافة)
صحيح الأخبار	إبن بلهيد	(القاهرة)
صحيح الأخبار	النميري	(القاهرة)
طبقات الشعراء	إبن سلام الجمحي ـ تحقيق محمود محمد شاكر	(القاهرة)

الكتاب	المؤلف	مكان النشر
طبقات الشعر	إبن المعتز ـ تحقيق عبد الستار فراج	(القاهرة)
العقد الفريد	إبن عبد ربه	(القاهرة)
العمدة	إبن رشيق	(القاهرة)
عيار الشعر	إبن طباطبا	(القاهرة)
عيون الأخبار	إبن قتيبة	(القاهرة)
الغزل في الشعر الجاهلي	الدكتور أحمد الحوفي	(القاهرة)
الفهرست	إبن النديم	(بيروت ـ مكتبة خياط)
في الأدب الجاهلي	الدكتور طه حسين	(القاهرة ـ بيروت)
الكامل	المبرد	(القاهرة)
كتاب الصناعتين	العسكري	(القاهرة)
كتاب الوحشيات	أبو تمام ـ تحقيق الميمني الراجكوتي ومحمود شاكر	(القاهرة)
لباب الآداب	أسامة بن المنقذ	(القاهرة)
لسان العرب	إبن منظور	(القاهرة ـ بيروت)
المثل السائر	إبن الأثير	(القاهرة)
المجاني الحديثة	البستاني	(بيروت)
مصادر الدراسة الأدبية	فاخوري	(بيروت)
معاهد التنصيص	العباسي	(القاهرة)
معجم البلدان	ياقوت الحموي	(القاهرة ـ بيروت)
معجم الشعراء	المرزباني	(القاهرة)
معلقات العرب	الدكتور بدوي طبانة	(القاهرة)
الفضليات	المفضل الضبي	(القاهرة)
ملاحظات على صحة الشعر العربي	آلورد	(جرابفسالد ١٨٧٢ م)
منتخبات الأدب العربي	فاخوري	(بيروت)
المؤتلف والمختلف	الآمدي	(القاهرة)
الموشح	المرزباني	(القاهرة)
نهاية الأرب	النويري	(القاهرة)

المراجع والمصادر الخاصة

أبوكبير الهذلي :

ديوان الهذليين : القسم الثاني ٨٨ ـ ١١٥ ـ ديوان أبي كبير الهذلي بشرح السكري (القاهرة) ـ لامية أبي كبير الهذلي (المجلة الأسيوية يوليو ـ سبتمبر ١٩٢٣) ـ الحماسة (أبو تمام) جـ١ /٢٨ـ ٣٠ ـ الشعر والشعراء ٥٦١ ـ ٥٦٥ ـ سمط اللالىء جـ١ /٣٨٧جـ٢ /٩٦٣ـ الإصابة جـ٤ /١٦٥ ـ بروكلمان جـ١ / ٨٤ و١٠٤ ـ الاعلام جـ٤ /١٧ ـ فروخ جـ١ /١٠٨ .

الأفوه الأودي :

ديوان الأفوه (الطرائف الأدبية للميمني) ـ الشعر والشعراء ١٤٩ ـ الأغاني (ط.الثقافة) جـ١٢ / ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ شعراء النصرانية جـ١ / ٧٠ـ ٧٤ ـ زيدان جـ١ / ١٣٤ ـ بروكلمان جـ١ / ٨٤ و١٠٧ ـ فروخ جـ١ /١٣٣ الاعلام جـ٣ /٢٩٧ .

امرؤ القيس :

ديوان امرىء القيس (ط. صادر) و(ط. دار المعارف) ـ الجمهرة (القرشي) ٩٥ ـ الأصمعيات ٤٠ و٤١ ـ الشعر والشعراء ٥٠ ـ ٧٥ ـ الأغاني (ط. الثقافة) جـ٩ /٧٦ ـ ١٠٣ ـ معجم الشعراء ٤ و١١ ـ الموشح ٢٦ ـ ٤٤ ـ شرح المعلقات للزوزني (ط. صادر) ٢٢ ـ ٨٠ ـ خزانة الأدب جـ٣ /٦٠٩ ـ ٦١٢ ـ شعراء النصرانية ـ جـ١ /١ـ ٦٩ ـ أمير الشعر في العصر القديم لمحمد صالح سمك ـ شرح ديوان امرىء القيس للسندوبي ـ امرؤ القيس لرئيف الخوري ـ أمرؤ القيس لسليم الجندي ـ الملك الضليل لمحمد فريد أبي الحديد ـ الروائع للبستاني ـ الشوامخ لمحمد صبري ـ بروكلمان جـ١ /٩٧ ـ مصادر الدراسة الأدبية (داغر) جـ١ /٢٢ ـ فاخوري (تاريخ الأدب العربي) ٧٦ ـ فاخوري (منتخبات) ١١ ـ ١٦ ـ الاعلام ١ / ٣٥١ ـ فروخ ١ /١١٦ .

بشر بن أبي خازم :

ديوان بشر (تحقيق عزة حسن) ـ المفضليات ٩٦ ـ ٩٩ ـ جمهرة أشعار الحرب ١٨٢ ـ طبقات فحول الشعراء ٨١ ـ الشعر والشعراء ١٩٠ ـ الاشتقاق ١٩ ـ عيار الشعر ٩٠ و٩٤ و١٠٧ ـ الأغاني (ط. بولاق) جـ١٦ /٩٣ ـ ٩٧ ـ ١٠٣ و١٠٤ ـ أمالي القالي جـ٢// ٢٢٩ جـ٣ /١٥٢ ـ ١٥٣ العمدة جـ١ /٧٨ ـ خزانة الأدب جـ٢ : ٢٦١ ـ ٢٦٤ ـ بروكلمان جـ١ / ٧٧ و١١٨ و١٣١ ـ الأعلام جـ٢ / ٢٧ فروخ جـ١ ١٦٣ ـ ١٦٥ .

تأبط شراً

المفضليات ١ ـ الأصمعيات ٣٧ ـ الحماسة جـ١ أنظر فهرسته ـ الوحسيات ١٣٠ ـ الشعر والشعراء ٢٢٩ ـ الأغاني (ثقافة) جـ٢١ / ١٤٤ ـ ١٩٧ ـ أمالي القالي جـ١ وجـ٢ ـ سمط اللآلي جـ١ / ١٥٨ ـ خزانة الأدب جـ١ / ٦٦ ـ المجاني الحديثة جـ١ / ١٣ ـ ١٨ ـ زيدان جـ١ ـ بروكلمان جـ١ / ١٠٤ ـ فروخ جـ١ / ١٠٧ ـ الأعلام جـ٢ / ٨٠ .

حاتم الطائي :

شرح ديوان حاتم الطائي (البستاني ـ صادر) ـ ديوان حاتم الطائي وأخباره : حسون (ليدن ١٨٧٢) ـ الحماسة جـ٢/٢٣ و٢٩٢ و٣١١ ـ الشعر والشعراء (ثقافة) ١٦٤ ـ ١٧٠ ـ الأغاني (الثقافة) جـ١٧ ـ ٢٧٨ ـ ٣٠٥ خزانة الأدب جـ١ / ٤٩٤ جـ٢ / ١٦٤ ـ زيدان جـ١ / ١٤٣ ـ شعراء النصرانية جـ١ / ٩٨ المجاني الحديثة جـ١ / ٢٩٧ ـ بروكلمان جـ١ / ١١١ ـ الاعلام جـ٢ / ١٥١ ـ فروخ جـ١ / ١٨٦ . شرح ديوان حاتم الطائي (ابراهيم الجزيني ـ بيروت ١٩٦٨) شرح ديوان حاتم الطائي ـ ديوان حاتم الطائي مع تعليقات (فيض الحسن ـ لاهور) ـ شرح ديوان حاتم الطائي (عطوي ـ بيروت ١٩٦٩) ـ ديوان الشاعر العربي حاتم طي (شرح شولتهس ـ ليبزج ١٨٩٧) .

الحارث بن حلزة :

ديوان الحارث بن حلزة (كرنكو) ١٩٢٢ ـ شرح ديوان الحارث بن حلزة (تحقيق هاشم الطعان ـ بغداد) ـ المفضليات قطعة ٢٥ ، ٦٢ ، ١٢٧ ـ الشعر والشعراء ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ طبقات فحول الشعراء ٢١ و٥٦ ـ الأغاني (ثقافة) جـ١١ / ٣٧ ـ ٤٥ ـ شرح المعلقات السبع (الزوزني) ٢٥٨ ـ ٣٨٣ ، زيدان جـ١ / ١٢٤ ـ شعراء النصرانية ٤١٦ ـ المجاني الحديثة ١ / ١٣٩ ـ فاخوري (تاريخ الأدب العربي) ١١٥ ـ فاخوري (منتخبات) ١٩ ـ ٢١ ـ الحارث بن حلزة (روائع البستاني ٢٦) ـ أخبار المراقسة (السندوبي ـ القاهرة ١٩٣٠) ٣٠٩ ـ ٣١٧ ـ الأعلام (الزركلي) جـ٢ / ١٥٥ ـ السبع الطوال (تحقيق هارون ـ المعارف) ٤٣١ ـ فروخ (تاريخ الأدب) جـ١ / ١٥١ ـ ١٥٤ .

الحصين بن الحمام :

المفضليات ١٢ و٩٠ ـ السيرة النبوية جـ١ / ١٠٠ ـ الحماسة جـ١ / ٦٧ و١٥١ ـ الشعر والشعراء ٥٤٢ ـ الأغاني (ثقافة) جـ١٤ / ٣ ـ ١٧ المؤتلف والمختلف ١٢٠ و١٢٦ ـ سمط اللآلي جـ١ / ١٧٧ و٢٢٦ ـ خزانة الأدب جـ٢ وجـ٣ ـ زيدان جـ١ / ١٣٩ ـ شعراء النصرانية ٧٣٣ ـ المجاني الحديثة جـ١ / ٢٨١ ـ الأعلام جـ٢ / ٢٨٨ ـ فروخ جـ١ / ٢٦٥ .

دريد بن الصمة :

جمهرة أشعار العرب ٢١١ ـ الأصمعيات ٢٨ و٢٩ ـ الحماسة جـ١ / ٣٤٢ و٣٤٦ وجـ٢ / ٣٣٠

ـ الوحشيات ٦٦ و٨٥ و١١٩ و٢٠٥ و٢٧٣ ـ الشعر والشعراء ٦٣٥ ـ الكمس جـ١ وجـ٤ ـ الأغاني (ثقافة) جـ١٠ /٣ـ ٤٠ ـ الاشتقاق ٤٩٢ ـ العقد الفريد جـ٣ـ أمالي القالي جـ١ وجـ٢ الموشح ١١ و٥١ و٢١٧ ـ خزانة الأدب جـ٤ـ شعراء النصرانية جـ٧٥٢/١ المجاني الحديثة جـ١ /٣١٥ ـ بروكلمان جـ١ /١٦٤ ـ الاعلام جـ١٦/٣ ـ فروخ جـ١ /٢٢٨ .

سلامة بن جندل :

ديوان سلامة بن جندل (تحقيق قباوة ـ حلب) ـ ديوان سلامة بن جندل (طبعة شيخو ١٩٤٠) ـ المفضليات ٢٢ ـ الأصمعيات ٤٢ ـ الشعر والشعراء ١٩٢ ـ المؤتلف والمختلف ٤٢ ـ خزانة الأدب جـ٢ /٨٦ ـ الاعلام جـ١٦٢/٣ ـزيدان جـ١ /١٤٦ـ بروكلمان جـ١ /١١٩ ـ شعراء النصرانية ٤٨٦ ـ البيان والتبيين جـ٣/ ٤٤ و٨٤ و٣١٨ .

السموأل بن عادياء :

ديوان السموأل (شرح هرشبرج ـ كراكاو ١٩٣١) ـ شرح ديوان السموأل (مع عروة بن الورد) (بستاني ـ صادر ١٩٦٤) ـ الشعر والشعراء ٦٠ و٦٣ و١٨٣ ـ الأغاني (ثقافة) جـ٣٠٢/٦ جـ٩ /١١٦ جـ١٠٧/٢٢ ـ الأصمعيات ٢٣ ـ الحماسة جـ١ /٣٦ ـ الوحشيات ١٦٥ ـ ١٧٣ ـ البيان والتبيين جـ١٢٧/٣ و١٨٥ ، جـ٦٨/٤ ـ الاشتقاق ٤٣٦ ـ عيار الشعر ٢٣ و٤٣ ـ طبقات فحول الشعراء ١١٥ ـ عيون الأخبار جـ١٧٢/٣ ـ الكامل جـ١ /١٥٤ وجـ١٨٨/٢ ـ سمط اللآلىء جـ١ /٥٩٥ ـ نهاية الأرب جـ٢٠١/٣ ـ زيدان جـ١ /١٦٥ ـ مجلة المشرق (شيخو) جـ٩وجـ١٠ ـ المجاني الحديثة جـ١ /٣٤٣ ـ بروكلمان جـ١ /١٢٢ ـ الأعلام جـ٣/ ٢٠٤ ـ فروخ جـ١ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام (جواد علي) جـ٣ .

الشنفرى الأزدي :

مجموع شعر الشنفرى (الطرائف الأدبية للميمني الراجكوتي ـ القاهرة) ـ دراسات في شعر الشنفرى (جورج ياكوب في نشرات أكاديمية العلوم في بافاريا رقم ١ وأكملها جابر في مجلة أسلاميكا جـ ٧ سنة ١٩١٥) ـ أعجب العجب في شرح لامية العرب ـ للزمخشري والمبرد (القسطنطينية ١٣٠٠ هـ) ـ تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب (ابن زكور المغربي) ـ نهاية الأرب في شرح لامية العرب (عطاالله المصري ـ القاهرة ١٣٢٨ هـ) ـ المفضليات ٢٠ ـ الحماسة جـ١ /١٩٣ ـ الوحشيات ٣٨ و١٣٠ ـ الشعر والشعراء ٢٥ ـ عيون الأخبار ـ جـ٤ /٧٩ الأغاني (ثقافة) جـ٢٠١/٢١ ـ ٢١٧ و١٨١ ـ سمط اللآلىء جـ١ /٤١٤ ـ الآداب العربية (شيخو) جـ٢/ ١٥٠ ـ بروكلمان جـ١ /١٠٥ ـ منتخبات (فاخوري) ٩ ـ الأعلام جـ٢٥٨/٥ ـ فروخ جـ١٠٢/١ .

عامربن الطفيل :

ديوان عامر بن الطفيل (نشره تشارلس ليال . ليدن ١٩١٣) ـ ديوان عامر بن الطفيل (صادر ـ ١٩٥٩) ـ المفضليات ١٠٦ و١٠٧ ـ الأصمعيات ٧٧ ـ ٧٨ ـ الحماسة جـ١ / ٥٠ و٣٠١ ـ البيان والتبيين جـ١ / ٥٤ و١٠٩ و٢٣٧ ـ الشعر والشعراء ٢٥١ ـ عيون الأخبار جـ٣ / ١٤٤ ـ الاشتقاق ٢١ و٢٦ و٥٥ ـ عيار الشعر ١٠٥ ـ الأغاني (ثقافة) جـ١١ / ١٣٣ و١٥٢ ـ أمالي القالي جـ٢ / ٢٥٥ جـ٣ / ١١٤ و١٤٧ ـ المؤتلف والمختلف ٢٨ و٢٣٠ و٢٨٦ ـ الموشح ١٤٢ ـ سمط اللآلىء جـ٢ / ٨١٦ ـ خزانة الأدب جـ١ ـ الإصابة لابن حجر جـ٢ / ٢٤٢ ـ زيدان جـ١ / ١٣٨ ـ رغبة الأمل جـ٢ / ١٧٦ وجـ٨ / ١٦٥ و٢٤٣ ـ بروكلمان جـ١ / ١١٧ والملحق ـ الأعلام جـ٤ / ٢٠ ـ فروخ جـ١ / ١٢٩ ـ المجاني الحديثة (شيخو) جـ١ / ٢٨٧ .

عبدالله بن سلمة الغامدي :

المفضليات ١٨ و١٩ ـ شرح المفضليات (للأنباري) ١٧٢ و١٩٤ ـ الاقتضاب (ابن السيد) ٣٢٩ ـ المعرّب (للجواليقي) ٢٠٥ ـ منتهى الطلب (لابن المبارك) جـ٣ ـ لسان العرب .

عروة بن الورد :

ديوانا عروة بن الورد والسموأل (شرح البستاني ـ صادر ١٩٦٤) ـ شرح ديوان عروة (رواية ابن السكيت) القاهرة ١٩٢٣ الجزائر ١٩٢٦ ـ جمهرة أشعار العرب ٢٠٥ ـ الأصمعيات ١٠ ـ الحماسة جـ١ / جـ٢ ـ الشعر والشعراء ٥٦٦ ـ عيار الشعر ٣٨ ـ الأغاني (ثقافة) جـ٣ / ٧٠ ـ ٨٤ ـ أمالي القالي ـ أمالي المرتضى جـ١ / ـ بروكلمان جـ١ / ١٠٩ ـ الأعلام جـ٥ ـ / ١٨ فروخ جـ١ / ٢١٢ .

عمروبن براق :

الأغاني (ثقافة) جـ٢١ ـ أمالي القالي جـ٢ ـ أمالي المرتضى جـ٢ ـ الاشتقاق ٤٣٣ ـ البيان والتبيين جـ٢ ـ المؤتلف والمختلف ٣٨٩ ـ كتاب الصناعتين ٣٨٩ ـ سمط اللآلى جـ٢ / ٧٤٩ ـ حماسة الشجري ٥٥ ـ الإصابة جـ٣ ـ زيدان جـ١ ـ الأعلام جـ٥ / ٢٤٢ .

عمروبن كلثوم :

ديوان عمرو بن كلثوم (كرنكو ـ بيروت) ـ شرح المعلقات السبع ـ جمهرة أشعار العرب ٧٢ و١٣٩ ـ ١٤٨ ـ طبقات الشعراء ٥٦ ـ الحماسة جـ١ / ١٨٨ ـ الوحشيات ٩٤ ـ الشعر والشعراء جـ١ / ١٣٩ وجـ٢ / ١٩٧ الكامل جـ٢ ـ الاشتقاق ٣٣٨ ـ الأغاني (ثقافة) جـ١١ / ٣٨ ـ ٤٥ ـ الموشح ١١٠ و١١٩ و٥٥٣ ـ معجم الشعراء ٦ ـ خزانة الأدب جـ١ ـ شعراء النصرانية جـ١ / ١٩٧ ـ المجاني الحديثة جـ١ / ١٢٧ ـ زيدان جـ١ / ١٢٢ ـ بروكلمان جـ١ / ١٠٣ ـ فروخ جـ١ / ١٤٢ ـ الأعلام جـ٥ / ٢٥٦ .

عنترة بن شداد :

شرح ديوان عنترة (للبطليوسي) ـ تحقيق شبلي والأبياري ـ القاهرة) ـ ديوان عنترة (صادر) ـ ديوان عنترة (شرح وتعليق عبد المنعم شبلي ـ القاهرة ١٩٤٧) ـ شرح المعلقات السبع (للزوزني) ـ جمهرة أشعار العرب ١٦١ ـ طبقات الشعراء ٥٦ ـ الحماسة جـ١ / ١٦٤ ـ الشعر والشعراء ١٧١ ـ عيون الأخبار جـ١ / ١٢٥ ـ الاشتقاق ٣٨ و١٣٨ ـ عيار الشعر ٢٠ و٥٣ و١٢٠ ـ الأغاني (ثقافة) جـ٨ / ٢٣٤ ـ أمالي القالي جـ٢ ـ المؤتلف والمختلف ١٣٨ ـ ٢٢٥ ـ البيان والتبيين جـ١ وجـ٢ ـ الموشح ٧٨ و١٤٣ و٣٤٩ ـ حماسة ابن الشجري ـ خزانة الأدب جـ١ ـ عنترة البطل العربي (جولد زيهر ـ مجلة جلوبس) ـ تاريخ الآداب العربية (نالينو) ـ بروكلمان جـ١ / ٩٠ ـ زيدان جـ١ / ١٢٧ ـ عنترة بن شداد (جوهر وبرانق والعطار ـ القاهرة) شعراء النصرانية ٧٩٤ ـ المجاني جـ١ / ١٥١ ـ أبو الفوارس عنترة (محمد فريد أبو الحديد ـ القاهرة) ـ فروخ جـ١ / ٢٠٧ ـ الأعلام جـ٥ / ٢٩٦ ـ فاخوري (منتخبات ، تاريخ الأدب العربي) ـ عنترة الشاعر الجاهلي (توربكه ـ ليبزج ١٨٦٧) .

قيس بن الخطيم :

ديوان قيس بن الخطيم (نشر كوالسكي ـ ليبزغ ـ ديوان قيس بن الخطيم (تحقيق السامرائي ومطلوب ـ بغداد ١٩٦٢) ـ ديوان قيس بن الخطيم (تحقيق الأسد ـ القاهرة) ـ ديوان قيس ابن الخطيم (صادر) ـ جمهرة أشعار العرب ٢٢٧ ـ الأصمعيات ٦٨ ـ طبقات فحول الشعراء ٨٤ ـ ٩١ ـ الحماسة جـ١ / ٦١ وجـ٢ / ٣٩ الأغاني (ثقافة) جـ٣ / ٣٠ ـ الأمالي جـ٢ ـ المؤتلف والمختلف ١٥٩ ـ معجم الشعراء ١٩٦ ـ سمط اللآلىء جـ٢ / ٧٩٧ ـ الإصابة جـ٣ ـ خزانة الأدب جـ٣ ـ زيدان جـ١ / ١٤٨ ـ بروكلمان جـ١ / ١١٤ ـ الأعلام جـ٦ / ٥٥ ـ فروخ جـ١ / ٢٠٣ .

المتنخل الهذلي :

مجموعة أشعار الهذليين ـ ديوان الهذليين ـ الشعر والشعراء ٤٣ و٥٥٢ ـ الأغاني (ثقافة) ٢٣ / ٢٥٩ ـ المؤتلف والمختلف ٢٧٢ ـ معجم الشعراء ٢٥٧ ـ سمط اللآلي جـ٢ / ٧٢٤ ـ خزانة الأدب جـ٣ ـ بروكلمان جـ١ ـ الأعلام جـ٦ / ١٤١ .

المرقش الأصغر :

المفضليات ٥٥ ـ ٥٩ ـ جمهرة أشعار العرب ١٩٩ ـ الأصمعيات ٥٢ ـ الشعر والشعراء ١٤٢ ـ طبقات فحول الشعراء ٢١ ـ الأغاني (ثقافة) جـ١٦ / ١٢١ ـ ١٢٩ ـ معجم الشعراء ٤ و٥ ـ المؤتلف والمختلف ـ أمالي المرتضى جـ٢ ـ العمدة جـ١ / ٨٧ ـ شعراء النصرانية ٣٢٨ ـ بروكلمان جـ١ أنظر فهرسته ـ الأعلام جـ٣ / ٤١ ـ فروخ جـ١ / ١٤٥ .

المهلهل بن ربيعة :

جمهرة أشعار العرب (المنتقيات) ٢٠٧ ـ الأصمعيات ٥٣ و٥٤ ـ الحماسة جـ١ / ٣٩١ ـ الشعر والشعراء ٢١٥ و٢١٧ ـ الكامل جـ١ و٢ و٣ و٤ ـ الاشتقاق ٦١ و٧٧ و٢٥٩ ـ الأغاني (ثقافة) جـ٥ وجـ٦ وجـ٨ ـ المؤتلف والمختلف ٧ و٨ ـ معجم الشعراء ٧٩ ـ أمالي المرتضى جـ١ / ١٢٣ ـ ١٢٥ ـ وجـ٢ / ٢٥٧ ـ خزانة الأدب جـ١ / ٣٠٠ و٣٠٤ ـ زيدان جـ١ / ١٣٥ ـ شعراء النصرانية جـ١ / ١٦٠ ـ المجاني الحديثة جـ١ / ٢٦٧ ـ أخبار المراقسة (السندوبي) ٢٣١ ـ ٣٠٣ ـ بروكلمان جـ١ / ٨٧ ـ فاخوري (منتخبات ٣ ـ ٨) ـ الأعلام جـ٥ /٩٠ ـ فروخ جـ١ / ١١٠ .

السليك بن السلكة :

الحماسة ٣٨٥ ـ الشعر والشعراء ١٧٢ و٢٨١ ـ الأغاني (الثقافة) جـ٢٠ ـ أمالي القالي جـ٣ ـ المؤتلف والمختلف ٢٠٢ ـ جمهرة أنساب العرب ٢٠٧ و٢٠٦ ـ شرح مقامات الحريري (الشريشي) جـ١ ـ زيدان جـ١ ـ الأعلام جـ٣ / ١٧٦ .